الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة 8 ماي 1945 قالمة

Université 8 mai 1945

الكلية: **العلوم الإنسانية والاجتماعية**

القسم: **علم الاجتماع**

مخبر التوطين: **مخبر التنمية الذاتية والحكم الراشد**

أطروحة

لنيل شهادة دكتوراه للطور الثالث

الميدان: **علوم اجتماعية** الشعبة: **علم الاجتماع**

الاختصاص: **أفراد – جماعات – مجتمعات**

من إعداد الطالبة: **سعاد نزاري**

بعنـــــــــوان:

دور الحوار الفكري في الفضاءات العلمية والبيداغوجية في ترقية المعرفة العلمية مقاربة سوسيولوجية لمعوقات الحوار ــ التعصب الفكري نموذجا ــ

بتاريخ: 2018/12/19 **أمام لجنة المناقشة المكونة من:**

الاسم واللقب:	**الرتبـــــة:**		
الأستاذ الدكتور: عبد الحكيم بوهروم	أستـاذ	جامعة عنابة	رئيسا
الأستاذ الدكتور: نوالدين بومهرة	أستـاذ	جامعة قالمة	مشرفا
الأستاذ الدكتور: رابح مراجي	أستـاذ	جامعة قالمة	ممتحنا
الدكتور: بلقاسم نويصر	أستاذ محاضر أ	جامعة سطيف2	ممتحنا
الدكتور: عبد الله بوصنوبرة	أستاذ محاضر أ	جامعة قالمة	ممتحنا
الدكتور: جمال حواوسة	أستاذ محاضر أ	جامعة قالمة	ممتحنا

السنة الجامعية: 2017– 2018

فهرس المحتويات:

- شكر وعرفان

- إهداء

- ملخص الدراسة باللغة العربية

- ملخص الدراسة باللغة الفرنسية

- فهرس الموضوعات

- فهرس الجداول

- فهرس الأشكال

- مقدمــة

شكـــــر وعرفـــــان

- الحمد والشكر لله سبحانه وتعالى الذي أعانني على إتمام هذا البحث المتواضع ولولا توفيقه عز وجل لما تحقق من ذلك شيئا.
- الشكر والعرفان لكل الأساتذة الذين تمدرست على أيديهم وأولهم أستاذي الفاضل / لبرش حسان معلمي الأول، آمن بقدراتي، فشجعني وساعدني على تخطي الكثير من العقبات النفسية والاجتماعية.
- أسمى عبارات الشكر والتقدير والعرفان للأستاذ المشرف البروفيسور/ بومهرة نورالدين على مجهوداته ونصائحه القيمة، وقيامه بواجبه المهني بكل صدق وأمانة، أتمنى له دوام الصحة والعافية، المزيد من العطاء في مجال البحث العلمي.
- أوجه امتناني لجامعة قالمة التي فتحت لنا فرصة مواصلة التكوين العلمي والمعرفي خاصة كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية بكل طاقمها: البيداغوجي والإداري والمهني.
- كما أشكر السادة أعضاء المناقشة الذين تفضلوا بقبول مناقشة هذه الرسالة.
- وردا للفضل إلى أهل الفضل، وعرفانا بالمعروف والجميل:

أتوجه بالشكر لكل من ساعدني وشجعني وأرشدني إلى الطريق الصحيح في سير هذا البحث من داخل الوطن وخارجه.

- الشكر موصول لكل من وقف بجانبي وساعدني ولو بالكلمة الطيبة.

- سعاد نزاري

إهـــــــــداء

أهدي ثمرة هذا العمل الذي رأى النور بعد سنوات من البحث والاجتهاد إلى:

- أبي وأمي: ماذا أهديكما وأنتما تحت التراب؟

تمنيت أن تعيشا لحظة الفرح هذه، لكن الموت غيبكما، والديّ الكريمين، لم تغيبا عن فكري وعقلي لحظة، أرقدا بسلام واطمئنا، فأنا بخير بفضل رعاية المولى عز وجل، وبفضل تربيتكما الصالحة لي .لقد وفقني الله عز وجل بأن أحقق حلمكما بمواصلة مساري الدراسي بعد انقطاع طويل.

والديّ الكريمين، جاء دوري للدعاء لكما:" يارب إجعل أبي رفيق النبي في أعلى الجنان، واجعل أمي إحدى نساء الجنة وسيدة من سيداتها ".

- إن قلت شكرا، فالشكر قليل في حقك أختي حورية، لقد كنت عوني وسندي بعد وفاة الوالدين، قدمت أكثر ما تستطيعين من جهد ومال ووقت، أدامك الله وعافاك من كل شر، أطال الله في عمرك وبارك لك في صحتك وأعمالك.
- إلى كل اخوتي وأخواتي وأبنائهم كل باسمه.
- إلى الأصدقاء والصديقات، إلى الزملاء والزميلات بقسم علم الاجتماع بجامعة قالمة، إلى كل الذين عرفوني، فأحبوني واحترموني
- إلى كل من جعل العلم والمعرفة رايته والحقيقة هدفه.

- سعاد نزاري

- **ملخص الدراسة باللغة العربية**

تتمحور الفكرة الأساسية لهذه الأطروحة، في أن الحوار الفكري الأكاديمي يشكل على الأقل في نظرنا، وضعا يستدعي القيام ببحوث جادة ومعمقة، تعتمد على رؤى وأساليب ومنهجيات جديدة تكون قادرة على القيام بمواجهة موضوعية نقدية للوضع المضطرب والمترهل الذي يتميز به الحوار الفكري في الوقت الراهن، على امتداد الوطن العربي بوجه عام وفي الجزائر بوجه خاص، بغرض إعادة توجيه بوصلته نحو تفعيله وتطويره، نظرا لأهميته ودوره في تطوير وترقية المعرفة العلمية .لقد تبين لنا من خلال قراءاتنا لمقاربات مختلفة لموضوع الحوار وكيف ساهم هذا الأخير ، بطريقة مباشرة وغير مباشرة في تشكل ظواهر وممارسات ما لبثت أن تحولت إلى معوقات فكرية تعترض طريق الباحث الأكاديمي لممارسة الحوار الفكري وفقا للقواعد والأسس العلمية للحوار، أبرزها ظاهرة " التعصب الفكري" ، الذي انعكس على تطور المعرفة العلمية وخاصة المعرفة السوسيولوجية.

من هذا المنظور حاولت الباحثة تحديد عدد من الأهداف تبدو لها كفيلة بتشخيص الوضع الحالي واستشراف مستقبل الحوار الفكري نذكر منها على وجه التحديد:

- التعرف على واقع المعرفة السوسيولوجية في الفضاءات العلمية والأكاديمية، من خلال تحليل لبعض المؤشرات
- الكشف عن تأثير التعصب الفكري على تطور المعرفة السوسيولوجية
- ابراز قيمة وأهمية الحوار الفكري في ترقية المعرفة السوسيولوجية
- التعرف على معوقات الحوار بالتركيز على التعصب الفكري كنموذج

وقد تمكنت الباحثة من صياغة إشكالية بحثها في شكل سؤال رئيسي على النحو التالي:

إلى أي حد يؤثر التعصب الفكري لدى الباحث الاجتماعي في ترقية المعرفة العلمية في حقل العلوم الاجتماعية؟

ولتسهيل عملية الإجابة عن هذا السؤال حاولت الباحثة تفكيك هذا السؤال إلى أسئلة فرعية على النحو الآتي:

1- ماهي البنية النفس-اجتماعية، والمعرفية للأستاذ الجامعي المحددة لممارساته الحوارية الفكرية في الفضاء الجامعي؟

2-هل واقع الممارسة السوسيولوجية في الفضاءات الجامعية تنبئ بنمو وتطور روح الحوار البناء؟

3-كيف يؤثر التعصب الفكري في ترقية البحث العلمي السوسيولوجي؟

4-هل يساهم الحوار الفكري في التخفيف من حدة التعصب في مجال البحث السوسيولوجي؟

ولإنجاز هذه الدراسة، استخدمنا المنهجين الكيفي المتمثل أساسا في منهج التحليل النقدي، والمنهج الكمي كمنهج مساعد، وقد استخدمت الباحثة أسلوب الحوار في كل مناسبة تمكنها من اللقاء بأساتذة ذوي خبرة ورصيد كبيرين في مجال البحث العلمي، سواء على المستوى الوطني أو العربي، والإسلامي، وهذا الحوار شمل العديد من الأسئلة التي تمحورت حول موضوع الدراسة.

فكان من بين النتائج الأساسية التي توصلت إليه الدراسة:

- هناك عوامل عديدة ساهمت في عدم الارتقاء بالبحث العلمي إلى مستويات أفضل (عوامل مادية، إدارية، سياسية، ثقافية)
- التسليم المطلق بنتيجة المعارف التي يتوصل إليها الآخر، فهي عبارة عن يقينيات ومسلمات تطبق بأعين وأذان وفكر مغلق دون وضع هذه المعرفة للتحليل والنقد والفحص المعمق، وكأن الفكر العربي غير قادر على إنتاج وإعادة إنتاج معارف جديدة.
- أصبح المفكر العربي يوصف بما يمكن أن نطلق عليه (مجازا) بـ"الوهن الفكري"، لأن كل ما يريده من معارف موجود وخاصة مع تطور حركة الترجمة منذ مطلع القرن الحالي، وكذلك ما توفره وسائل الاتصال الجديدة من معارف شبه جاهزة.
- نفتقد إلى وجود جماعات علمية حقيقية وليست إسمية تعمل بروح الفريق.
- تمكن الفكر التعصبي من السيطرة على النخب العربية، الذي أخذ مظاهر مختلفة، كعدم تقبل النقد والدفاع عن الآراء والأفكار بطرق خاطئة وأساليب لا تعبر عن قيمة هذه النخب.
- تمسكهم بإيديولوجيات (سياسية ودينية وثقافية)، مما جعلته رهينة لهذه القناعات، وكذلك رهينة لمصالح شخصية ضيقة، فكانت هذه الأخيرة موجها ومنتجا للمعرفة العلمية السوسيولوجية.

Résumé de l'étude en français :

L'idée principale de cette thèse c'est que le dialogue, intellectuel académique, appels à faire des recherche sérieuse et profonde, sur des nouvelles visions, méthodes et méthodologies capables de faire une confrontation substantive et critique de la situation troublée et désorganisée, caractérisée par le dialogue intellectuel actuellement à travers le monde arabe en générale et particulièrement en Algérie, dans le but de le réactiver et développer, compte tenu de son rôle dans le développement et la promotion des connaissances scientifiques. Comme le dialogue a contribué à la formation des intellectuels s'opposent à la voie du chercheur universitaire ; le plus important est l'intolérance intellectuelle qui a été reflétée dans l'évolution, en particulier la connaissance sociologique.

De ce point de vue, le chercheur a essayée d'identifier un certain nombre d'objectifs pour diagnostiquer la situation actuelle et le regard sur l'avenir du ce dialogue, nous les mentionnons spécifiquement :

- Connaitre la réalité de la connaissance sociologique dans l'espace scientifique et académique, en analysant certains indicateurs.
- Détecter l'influence de l'intolérance intellectuelle sur l'évolution de la connaissance sociologique.
- Mettre en valeur l'importance du dialogue intellectuel de la mise à niveau de la connaissance sociologique.
- Connaitre les obstacles on dialogue, en mettant l'accent sur l'intolérance intellectuelle, comme exemple.

Le chercheur a formulé la problématique de sa recherche dans la question suivante :

- Dans quelle mesure l'intolérance intellectuelle affecte-t-il le chercheur social dans la promotion des connaissances scientifiques dans le domaine des sciences sociales ?

Pour faciliter la réponse de cette question le chercheur à essayer de la démonter en sous-questions comme suit :

- Quelle est la structure psychologique et sociale du professeur d'université spécifique de son dialogue intellectuel dans l'université ?.
- Est-ce que la pratique sociologique dans les espaces universitaires a prédit le développement et la croissance de l'esprit du dialogue constructif ?

- Comment l'intolérance intellectuelle affecte-elle dans la promotion de la recherche scientifique sociologique ?
- Est-ce que le dialogue intellectuel contribue à la réduction de l'intolérance dans le domaine de recherche sociologique ?
- Pour cette étude on a utilisé deux approches ; qualitatives et quantitative, le premier c'est l'approche d'analyse critique, et le deuxième comme approche d'aide, le chercheur adoptée le style e dialogue pour rencontrer des professeurs ont une grande expérience dans le domaine des recherches scientifique au niveau national arabe et islamique.

Les résultats les plus marquants :

- L'effet des facteurs politiques, culturels et administratifs sur l'avancement de recherche scientifique.
- Acceptation absolue des connaissances obtenues sans critique.
- Le penseur arabe a été décrit comme "une faiblesse intellectuelle car la connaissance existe avec le développent de la traduction et les moyens de communication
- Le manque des véritables assemblées scientifiques travaillent par l'esprit d'équipe.

Contrôle de l'intolérance intellectuelle et non acceptation de la critique et le mal défense des opinions et des idées ce qui ne reflète pas la valeur de ces élites.

- Leur attachement aux idéologies (politique, religieuse et culturelle), les rendus otages et à la réconciliation personnelle étroite qui a été dirigée et produite la connaissance scientifique et sociologique.

فهـــرس الموضوعـــــات	الصفحة
الفصل الأول: المدخل المعرفي والمنهجي لموضوع الدراسة	38-2
أولا: إشكالية الدراسة	5-2
ثانيا: أسباب اختيار الموضوع	6
ثالثا: أهمية الدراسة	7-6
رابعا: أهداف الدراسة	7
خامسا: مفاهيم الدراسة	34-8
سادسا: منهج الدراسة/ المنهج التحليلي النقدي	38-35
الفصل الثاني: قيمة الحوار: إنسانيا وحضاريا	160-40
أولا: الحوار الفكري والعلاقة بين الأنا والآخر	112-40
1-الحوار: أهميته- أهدافه – أنواعه	61-40
2-آداب وأخلاقيات الحوار	75-61
3-معوقات الحوار	81-75
4-دراسات اهتمت بموضوع الحوار	90-81
5-مناقشة الدراسات المتعلقة بموضوع الحوار	92-90
6-إشكالية العلاقة بين الأنا والآخر (صراع أم حوار أم تعارف)؟	112-93
ثانيا: ثقافة الحوار الفكري في الفضاءات العلمية والبيداغوجية	160-113
1-الأصل في ثقافتنا الحوار مع الآخر	123-113
2-مصادر ثقافة الحوار	130-123
3-مظاهر ثقافة الحوار لدى النخب العربية	149-130
4-أهمية تعزيز ثقافة الحوار بالفضاء الجامعي	160-149

الفصل الثالث: الجامعة العربية وإشكالية بناء المعرفة السوسيولوجية	242-162
أولا: المعرفة العلمية الأكاديمية (مفاهيم ونظريات)	199-162
1-ماهية المعرفة العلمية	175-162
2-أنواع المعرفة وطرق الحصول عليها	188-175
3-دراسات اهتمت بالمعرفة العلمية الجامعية	197-188
4-مناقشة الدراسات المتعلقة بالمعرفة العلمية الجامعية	199-197
ثانيا: أبعاد أزمة المعرفة العلمية السوسيولوجية	242-199
1-أزمة المعرفة السوسيولوجية في الفكر العربي	212-199
2-واقع البحث السوسيولوجي في الوطن العربي	232-212
3-مسار تطور البحث العلمي بالجامعة الجزائرية	237-233
4-إشكالية إنتاج المعرفة السوسيولوجية بالجامعة الجزائرية	242-237
الفصل الرابع: معوقات تطور المعرفة السوسيولوجية-التعصب الفكري نموذجا-	338-244
أولا: ماهية التعصب الفكري	327-244
1-التعصب: عوامل نشأته-أشكاله ومظاهره	291-244
2-خصائص وسمات الفرد المتعصب فكريا	296-291
3-طرق مواجهة التعصب الفكري	307-296
4-دراسات اهتمت بموضوع التعصب الفكري	315-308
5-مناقشة الدراسات المتعلقة بالتعصب الفكري	317-315
6-عوامل انتشار ظاهرة التعصب في الوطن العربي	327-317
ثانيا: النظريات العلمية المفسرة لظاهرة التعصب الفكري	338-328
1-النظريات الدينامية النفسية	330-328
2-نظريات الصراع بين الجماعات	333-330
3-النظريات المعرفية	335-333

4-نظريات التعلم	336-335
5-النظريات البيئية	337-336
6-النظرية الحضارية	338-337
الفصل الخامس: الحوار الفكري الأكاديمي كمدخل لترقية المعرفة السوسيولوجية	389-340
أولا: نماذج أجنبية وعربية في تفعيل الحوار الفكري	367-340
1- فعالية المؤتمرات والملتقيات بالجامعات العربية (مقاربة نقدية)	350-341
2- مساهمة مدرسة شيكاغو في ترسيخ مبادئ الحوار الفكري	354-350
3- مدرسة فرانكفورت، نموذج للحوار الفكري الأكاديمي الناجح	363-354
4- مركز دراسات الوحدة العربية، تجربة لتأسيس البحث العلمي المؤسسي	367-363
ثانيا: طبيعة الحوار الفكري بالفضاءات العلمية والبيداغوجية الوطنية	389-367
1-المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية بالجزائر	371-367
2-الناتج العلمي لبعض مؤسسات التعليم العالي (قراءة في بعض المؤشرات)	381-371
3-تقييم أداء مخابر البحث العلمي في ضوء الدراسات الميدانية	389-381
- **مناقشة عامة**	400-391
قائمة المراجع	422-402

فهرس الجداول:

الرقم	العنـــــوان	الصفحة
01	يبين أنماط المتحاورين	59-60
02	تطور مؤسسات البحث العلمي في الجزائر منذ سنة 1962	236-237
03	يمثل العمل المشترك بين 10 جامعات وطنية	373-374
04	يمثل الدول التي يتعامل معها الباحث المنتمي لأفضل 10 جامعات وطنية	376
05	يمثل مستوى النشر العلمي بميدان العلوم الاجتماعية	377-378
06	يمثل مشاركة الباحثين في كتابة المقالات بمجلة إضافات	379
07	يمثل توزيع المواد المنشورة بحسب أنواعها	379
08	يمثل عدد مخابر البحث لأفضل 10 جامعات وطنية	381-382

فهرس الأشكال:

الرقم	العنـــــوان	الصفحة
01	يمثل عدد مراكز البحث في العلوم الاجتماعية ضمن الجامعات وخارجها (حسب البلد)	229
02	يمثل عدد مراكز البحث في الوطن العربي حسب التخصصات	230
03	يمثل التعصب والشخصية	292
04	يمثل نموذج الإقناع أو الاستمالة	300

05	المؤتمرات الدولية التي عقدت عام 2009 موزعة على قارات العالم	342
06	يمثل ترتيب مجالات النشر حسب التخصصات العلمية بجامعة قسنطينة (1، 2، 3)	377

- مقدمـــــــة

اتجهت العديد من الدراسات الحديثة بمختلف تخصصاتها الاجتماعية والاقتصادية وكذلك السياسية نحو الجامعة، باعتبارها تمثل أكثر المؤسسات التعليمية استقطابا للعديد من الظواهر الاجتماعية، ومع ما تعانيه الدول العربية من مشاكل في التنمية على كل المستويات، ازدادت هذه الأهمية، لأن الجامعة وحسب وظيفتها الأساسية، مؤسسة بحثية، تجمع فيه الطلبة والأساتذة بصورة منسقة ومنظمة من أجل تحقيق غرض التنمية المجتمعية.

لقد عاشت الجامعات العربية عامة والجزائرية خاصة، مرحلة من التراجع أثرت بشكل سلبي في تقدمها وتطورها، بالرغم من الإصلاحات الهيكلية والتنظيمية التي عرفتها خلال السنوات الأخيرة، فما يقال عنها غير أنها عبارة عن تجمع شعبي يقدم خدمات بالمجان للطلبة والأساتذة، فقد فقدت ذلك البريق العلمي الذي من المفروض أن ينير درب المجتمع وتخليصه من المشاكل المتعددة التي يتخبط فيها، هذا التخلف الذي تعيشه الجامعة، يحرك في نفسية كل باحث الغيرة على هذه المؤسسة التي ينتمي إليها، وتحرك فيه الكثير من التساؤلات التي من المفروض أن يبحث لها عن إجابات باعتباره عضو مشارك في هذا التنظيم بأي صفة كانت.

فواقع إنتاج المعرفة بالجامعة الجزائرية، وفقا لما أكدته نتائج الدراسات العلمية، لا ترق إلى مستوى الطموحات المسطرة من طرف الهيئات الوصية، لعل من أبرز العوامل التي ساهمت في هذا الواقع بشكل مباشر إشكالية " الحوار الفكري"، لقد عولج موضوع الحوار كآلية للتواصل في مختلف أشكال العلاقات الإنسانية، لكن كآلية لتطوير البحث العلمي، لم يحظ باهتمام واسع من قبل الباحثين والدارسين حسب علمنا، رغم اهتمام الجامعة بخلق آليات للحوار الفكري من: ملتقيات، مؤتمرات، ندوات..، وغيرها من الأنشطة الفكرية التي تعكس فلسفة الجامعة نحو تبني الحوار كمبدأ محوري وأساسي في العملية التعليمية والبحثية، بالإضافة إلى مخابر البحث العلمي، التي تعتبر من بين التنظيمات الحديثة على مستوى الجامعة، والتي تتكون من باحثين مؤهلين يتولون مهمة إنتاج بحوث علمية نظرية منها وتطبيقية، فقد وفرت وزارة التعليم العالي الظروف المناسبة والملائمة التي من شأنها أن تفرز نتائج علمية مرغوبة ومسطرة حتى تضيف للرصيد المعرفي شيئا جديدا.

إن اعتماد الجامعة على مختلف الآليات كمدخل لتطوير البحث العلمي، لدليل على وعيها بأهمية الحوار الفكري المؤسسي ودوره في تطوير وإنتاج المعرفة العلمية، وبالتالي أصبح الموضوع يشكل بؤرة اهتمام الكثير من الباحثين في مجالات متعددة، التي تحاول أن تكشف عن العوامل المعيقة للحوار الفكري الأكاديمي، وبما أن الأكاديميين هم المعنيين بالدرجة الأولى بممارسة الحوار انطلاقا من الوظائف المتعددة التي يضطلعون بها كأساتذة وكباحثين، كان لابد من توجيه البحوث والدراسات لمعرفة العوامل النفسية والاجتماعية التي تتحكم في طريقة ممارسة هذا الأخير

للحوار الفكري داخل الجماعة العلمية، وكذلك البحث عن ديناميات الجماعة العلمية ومدى تفاعلها حتى نتعرف إلى أي حد تمارس هذه الجماعة الحوار الفكري، لأن هذه التنظيمات والمؤسسات البحثية فكرة وجودها مرتبط بتطوير العمل البحثي الجماعي، ولمعرفة طبيعة الحوار الفكري داخل هذه الجماعات، لا بد من الوقوف على طبيعة المنتوج الفكري وما قدمته هذه الأعمال من إضافة علمية حقيقية، لقد كشفت لنا التقارير الدولية والعربية أن المعرفة العلمية والسوسيولوجية على وجه التحديد بالعالم العربي، لا تعكس حجم الموارد المخصصة للبحث العلمي.

كنتيجة لعجز المؤسسة البحثية الأكاديمية من تحقيق إضافة للمعرفة العلمية في الميدان السوسيولوجي، مقارنة ما وصلت إليه السوسيولوجيا الغربية، جاءت هذه الدراسة كمحاولة للتعرف عن معوقات الحوار الفكري، بالتركيز على التعصب كظاهرة أصبحت تشكل خطرا حقيقيا، ليس على مستوى الفضاء الجامعي فقط، بل تشكل خطرا على استقرار وأمن المجتمعات بصورة عامة، ولأهمية الموضوع، ركزنا في دراستنا على التعصب الفكري عند الباحث الأكاديمي، باعتباره أساس العملية البحثية، ولإنجاز هذا البحث قمنا بتقسيمه إلى خمسة فصول:

– **الفصل الأول:** حاولنا أن نضع القواعد الأساسية للعمل، وهي إشكالية الدراسة بما تتضمنه من سؤال رئيسي وأسئلة فرعية، وقد حددنا مسار البحث وتوجهاته من خلال تحديد: الأسباب الذاتية والموضوعية لاختيارنا للموضوع، والاعتبارات التي تنبع منها أهمية الدراسة والأهداف المرجوة منها، ثم عرض مفاهيم الدراسة الأساسية وبعض المفاهيم ذات العلاقة من الناحية اللغوية، الاصطلاحية والإجرائية، ومقاربة منهجية تمثلت في المنهج التحليلي النقدي. والمنهج الكمي.

– **الفصل الثاني:** نحاول من خلال هذا الفصل، الكشف عن قيمة الحوار إنسانيا وحضاريا من خلال العناصر التالية: تضمن الجزء الأول من الفصل، البحث عن الحوار الفكري والعلاقة بين الأنا والآخر، ولتجسيد هذه الفكرة ، تطرقنا إلى الحوار من حيث، أهميته ، أهدافه ، أنواعه، آداب وأخلاقيات الحوار ، معوقاته ، وظفنا بعض من الدراسات التي اهتمت بموضوع الحوار ومناقشتها ، وفي ختام هذا الجزء طرحنا إشكالية من بين الإشكالات التي يطرحها البحث حول العلاقة بين الأنا والأخر، وهي طبيعة العلاقة بين الحضارات من خلال طرح التساؤل التالي: هل هي علاقة صراع؟ أم حوار؟ أم تعارف؟

أما الجزء الثاني فيبحث عن ثقافة الحوار بالفضاء الجامعي، وقبل ذلك نرجع إلى ثقافة الحوار في التراث العربي الإسلامي، ثم التعرف على مصادر ثقافة الحوار، لكن الأهم معرفة مظاهر ثقافة الحوار لدى النخب العربية بمختلف الفضاءات العلمية، ثم التعرف على أهمية تعزيز ثقافة الحوار بالفضاء الجامعي.

- **الفصل الثالث:** حاولنا معالجة موضوع الجامعة العربية وإشكالية بناء المعرفة السوسيولوجية، من منظور ابستيمولوجي، لأن موضوع المعرفة العلمية من ضمن المباحث الأساسية في فلسفة العلوم الاجتماعية، بحثنا في الجزء الأول من هذا الفصل : المعرفة العلمية الأكاديمية (مفاهيم و نظريات)، من خلال ماهية المعرفة العلمية، أنواعها وطرق الحصول عليها ، أهم الدراسات التي اهتمت بالمعرفة العلمية الجامعية، وفي الجزء الثاني منه حاولنا أن نتطرق لأبعاد أزمة المعرفة العلمية السوسيولوجية، والتي ترجع في أساسها إلى أزمة في الفكر العربي، والذي انعكس من حيث التطبيق على البحث السوسيولوجي بالعالم العربي، ومعالجة الموضوع سيكون على مستوى الجامعة الجزائرية، بتتبع مسار تطور البحث العلمي، ومن خلال دراسة وأبحاث حول مستوى تطور المعرفة السوسيولوجية بالجامعة الجزائرية، يلاحظ أن هناك إشكالات عديدة تعترض مسار هذا التطور.

- **الفصل الرابع:** ركزنا في هذا الفصل على معوقات تطور المعرفة السوسيولوجية–التعصب الفكري نموذجا–، وللبحث في خبايا هذه الظاهرة، وظفنا العناصر التي يمكنها أن توضح لنا بشكل أدق ماهية التعصب الفكري، خصائص وسمات الفرد المتعصب فكريا، طرق مواجهة التعصب الفكري، دراسات حول التعصب الفكري، البحث عن عوامل انتشار ظاهرة التعصب في الوطن العربي، وفي الجزء الثاني من هذا الفصل تعرضنا لأهم النظريات المفسرة للتعصب الفكري.

- **الفصل الخامس:** لإبراز أهمية الحوار الفكري في ترقية المعرفة العلمية، وظفنا نماذج لأنشطة بحثية، دولية، عربية، تتمثل في: المؤتمرات والملتقيات، مدرسة شيكاغو، مدرسة فرانكفورت، مركز دراسات الوحدة العربية، المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، نظرا لما حققته هذه المؤسسات من نتائج إيجابية، خاصة فيما يتعلق الأمر بمدرسة شيكاغو ومدرسة فرانكفورت.

وفيما يخص الحوار الفكري الأكاديمي، فقد ارتأينا أن أحسن نموذج يمكن الاستشهاد هو المؤسسة الجامعية من خلال الإنتاج العلمي للأفضل 10 جامعات وطنية، ثم قدمنا نظرة حول أداء مخابر البحث في ضوء الدراسات الميدانية، باعتبارها من أهم الآليات التي أنشأتها الوزارة الوصية لتفعيل وتطوير البحث العلمي الأكاديمي، وفي الأخير مناقشة عامة لنتائج الدراسة.

الفصل الأول: المدخل المعرفي والمنهجي لموضوع الدراسة

أولا: إشكالية الدراسة

ثانيا: أسباب اختيار الموضوع

ثالثا: أهمية الدراسة

رابعا: أهداف الدراسة

خامسا: مفاهيم الدراسة

سادسا: منهج الدراسة/ المنهج التحليلي النقدي

الفصل الأول: المدخل المعرفي والمنهجي لموضوع الدراسة

أولا: إشكالية الدراسة

يعد الحوار إحدى أبرز السمات الحضارية للإنسان المعاصر، بل يعتبر من أهم وسائل التواصل الفكري والثقافي والاجتماعي التي تتطلبها الحياة المعاصرة، نظرا لما يشكله من أثر في تنمية قدرة الأفراد على التفكير المشترك من خلال تبادل الأفكار ونقل الخبرات والإبداع والتواصل مع الآخرين والتفاعل معهم.

ومن هذا المنظور يشكل الحوار ظاهرة صحية في المجتمع وركيزة فكرية وثقافية، يستطيع بها الفرد أن يوصل أفكاره إلى الآخرين بالحجة والبرهان، وعند النظر إلى أصول الحوار، نجد أنه وجد مع الإنسان بل وجد قبل وجود الإنسان وذلك ما جاء في القرآن الكريم من حوار **المولى عز وجل** مع إبليس لعنة الله عليه عند خلق آدم عليه السلام " **قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ، قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ، قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ** "سورة ص، الآيات رقم: 75-76-77

وجاء أيضا في الحضارات اليونانية القديمة بملامح متميزة كما عند **سقراط**، الذي اعتمد في طريقته على طرح الأسئلة والأجوبة ومناقشة الإجابات عن طريق الأسئلة أيضا، وحينما جاء الإسلام سعى إلى تحرير العقول من الوثنية وكان الهدف الرئيسي في الإسلام وصول الناس إلى الحقيقة بالطريقة التي تعمق الإيمان في نفوسهم وشرح صدورهم.

لقد أدى تطور المجتمعات البشرية في جوانبها الاقتصادية، الثقافية، السياسية ...الخ إلى تعقد الحياة الإنسانية، وإلى ظهور أزمات دولية مختلفة، الأمر الذي أصبح فيه الحوار ضرورة ملحة تفرضها الصراعات الحضارية القائمة، التي أفضت إلى ظهور أصناف مختلفة من الحوار بتنوع أطرافها، أهدافها ووسائلها والجهات المشرفة عليها مثل (حوار الأديان، الحوار المسيحي الإسلامي ، حوار الحضارات ، حوار الثقافات ، حوار شمال جنوب ، الحوار العربي الأوروبي، الحوار الاجتماعي، الحوار الفكري... الخ)،الأمر الذي أدى بالكثير من الباحثين إلى دعوة تقتضي ترقية الحوار باعتباره فلسفة في التفكير وأسلوب في التعامل مع الآخرين في كل المجالات خاصة المؤسسات التعليمية، وفي صدارتها الجامعة، لأن وجود الجامعة مقترن أساسا بالتنمية، لأنها منتجة للعلم والفكر ومؤسسة للحضارة الإنسانية، وقد حددت القوانين الدولية رسالة الجامعة في التدريس والبحث العلمي خدمة للمجتمع، فهي مركز لتوليد المعرفة العلمية، ومركز للإشعاع الحضاري.

عملت المؤسسة الجامعية الجزائرية على خلق آليات لتفعيل حركة البحث العلمي، كالملتقيات والندوات والمؤتمرات، ومخابر للبحث العلمي، بهدف ترقية ثقافة الحوار الفكري الأكاديمي، التي أثبتت فعاليتها على مستوى الجامعات الغربية، لكن هناك من الباحثين في طبيعة معوقات البحث العلمي، يرى أن هذه القنوات الحوارية التي يطلق عليها فضاءات للحوار الفكري والنقاش العلمي الجاد والهادف، تحولت هي كذلك إلى

فضاءات للصراع وإلى ساحة للمصارعة، يصدر هذا السلوك من فئة يقدمون أنفسهم على أنهم مثقفو الأمة، بدليل طبيعة المنتوج الفكري الهابط الذي تنتجه الجامعة الجزائرية ، وهذا ما حددته بعض المؤشرات، منها ما تقدمه التقارير العالمية وحتى العربية التي تصنف الجامعات وفقا لمنتوجها البحثي النوعي وليس الكمي، بالإضافة إلى حالة المجتمع الذي يتخبط في الكثير من المشاكل، الأمر الذي استدعى من الباحثين والدارسين للشأن الجامعي، إلى البحث عن العوامل التي تحد من انتاج معرفة علمية متطورة يمكن أن تكون منافسا للمنتوج العلمي العربي والغربي.

لقد أشارت الأدبيات التاريخية إلى أن الحوار الفكري، تعترضه جملة من المعوقات من بينها ظاهرة التعصب الذي عرفته البشرية خلال تاريخها الطويل، فقد حفظ لنا الشعر العربي معلومات عن التعصب القبلي والديني والطائفي، وسجل التاريخ حالات لا حصر لها من التعصب، وفي كل مرة تطل برأسها بأسماء و أهداف ورؤى جديدة تتناسب مع واقع المرحلة التاريخية التي تمر بها المجتمعات، ففي التاريخ المعاصر برزت حركات تعصب و عنف وإرهاب، اصطبغت تارة بالفكر الاشتراكي أو الشيوعي، و تارة بالقومية والعنصرية، وتارة بالصبغة الدينية إذ لم يعد بالإمكان أن يتجاهل دعوات وحركات عنف مثل الألوية الحمراء في إيطاليا، و بادر ماينهوف في ألمانيا و حركة أوم في اليابان، الجيش الجمهوري في إيرلندا الشمالية، منظمة إيتا في منطقة الباسك الاسبانية ، حركة **17** نوفمبر في اليونان، الحركات الهندوسية المتطرفة في الهند و بعض الحركات الثورية اليسارية في إمريكا الجنوبية، ظهور العبودية في أمريكا منذ نقل الإفريقيون إلى فرجينيا و تحولوا إلى عبيد، وشجع الانجليز حركة التمييز العنصري المماثلة في إفريقيا، أما في ألمانيا فقد ظهرت النازية و هي التي تدعو إلى احتقار أي جنس غير آري.

وهناك أمثلة أخرى لابد من الإشارة إليها منها على سبيل المثال:

في سنة **1995** شهدت بورندي ورواندا نزاعا أخذت شكل الإبادة البشرية بين جماعتين هما التوستي والهوتو، وفي **1975**، شهدت لبنان حربا أهلية بسبب التعصب الديني والطائفي، وما تعيشه الكثير من الدول العربية منذ سنوات من صراعات مختلفة بسبب الفكر التعصبي، مثلما يحدث في كل من اليمن، ليبيا، سوريا، العراق... الخ من مظاهر العنف والتطرف نتيجة لانتشار التعصب.

و قد ظهر التعصب باعتباره مشكلة بحثية تستحق الدراسة من قبل علماء الاجتماع وعلماء النفس في العشرينات من القرن الماضي، و تدرج تيار البحوث منذ الثلاثينات إلى غاية بداية الأربعينات، ثم عرف عدد

البحوث منحى تصاعدي بعد الحرب العالمية الثانية، التي حاولت الكشف عن أسرار ظاهرة التعصب ومعرفة أشكاله وأسبابه ونتائجه التي تشمل مختلف جوانب المجتمع و تؤثر على كافة أفراده، عندما يصل التعصب إلى درجات عالية يكون العنف والتدمير والخراب هو هدفها و مرادها الأسمى، ومن هذه الدراسات على المستوى العربي، والتي اهتمت بالجامعة كميدان للدراسة وتشكلت عينة الدراسة من الطلبة والأساتذة مثل دراسة:يوسف زكريا ابراهيم الداعور" **الدور التربوي للجامعات الفلسطينية في مواجهة التعصب الحزبي لدى طلبتها ، من**

وجهة نظر أعضاء الهيئة التدريسية "، **دراسةعيسى محمد الأنصاري**عالجت موضوع: **التعصب القبلي و الطائفي في جامعة الكويت**، دراسة **حسين سرمك ومفيد عبد الرؤوف**، هدف الباحثان إلى دراسة **مظاهر التعصب لدى طلبة جامعة القاهرة** "**... الخ**، هناك دراسات عديدة اهتمت بالتعصب بالوسط الجامعي على المستوى العربي والدولي، ولكنها شبه منعدمة على المستوى الوطني.

وتأسيسا على هذا يمكن القول بأن دراسة هذه الظاهرة، أصبح ضرورة تفرضها الظروف خاصة مع تنامى الفكر التعصبى بمختلف أشكاله وأهدافه، حيث كل العالم أصيب بهذا الفيروس الخطير، الذي كان ولازال داء الشعوب ومرضها العضال، إنه الخطر الداهم وسرطان الأمم ومن هنا تأتي أهمية الكشف المبكر عن هذا الورم الخبيث من أجل استئصاله وحماية جسد المجتمعات من آثاره المدمرة.

من بين هذه الجهود البحثية ما أسهم به علماء الاجتماع مثل المدرسة الاجتماعية في تفسير ظاهرة التعصب التي ترد كل شيء إلى تأثير المجتمع وأوضاعه وتقاليده، وما المرء إلا دمية يحرك خيوطها المجتمع كما يقول **دوركايم**، في حين أن المدرسة المادية التاريخية تضع الاعتبارات المادية كأساس لتفسير الظاهرة فمثلا ترى أن الدوافع الاقتصادية هي التي تصنع الأحداث وتغير التاريخ.

فيما يخص مساهمة بعض علماء علم النفس الاجتماعي ما قدمته النظريات المعرفية، تؤكد هذه النظريات على أهمية العمليات المعرفية التي تحدث لدى الأفراد في نشأة الاتجاهات التعصبية ونموها، أما نظرية الصراع بين الجماعات، تركز هذه النظريات اهتمامها على معرفة متى وكيف تنشأ الاتجاهات التعصبية في مجتمع معين أو ثقافة معينة أو جماعة معينة نتيجة أشكال الصراع المختلفة التي تنتج من تفاعل هذه المجتمعات.

ونظرا لأهمية الموضوع وخطورته الذي فرض نفسه على الواقع الاجتماعي على كل المستويات و في كل المجالات، حاولنا أن نركز في دراستنا هذه، على ظاهرة التعصب الفكري، لأننا ونحن في مرحلة اختيار موضوع الأطروحة، لاحظنا قلة الدراسات حول التعصب الفكري، على العكس من ذلك ، اهتمت أغلب البحوث بدراسة أشكال التعصب الأخرى، كالديني، الحزبي، الطائفي، واستكمالا لمجهودات الباحثين حول موضوع التعصب، كان اهتمامنا موجها نحو التعصب الفكري، الذي نعتبره القضية الأساسية في دراسة أي نوع من أنواع التعصب، فالفكر مصدر أي توجه سياسي، حزبي، أو ديني...الخ، فهو مصدر الأزمات التي تتخبط فيها المجتمعات العربية، فالمجتمعات الإنسانية ارتقت وتغيرت عندما شغّل الفكر الإنساني دواليب التفكير، فانتقلت الإنسانية بفضل عباقرة وعلماء في تخصصات مختلفة إلى تغيير الرؤية للعالم المادي والإنساني.

أصبح التعصب الفكري السمة المميزة لأسلوب النقاش والحوار بين أفراد النخبة ورفض فكر الآخر وعدم قبوله الاستماع إليه، ونظرا لمجال تخصصنا وهو علم الاجتماع، سنحاول مقاربة الظاهرة على مستوى المعرفة السوسيولوجية وما تعيشه هذه الأخيرة من أزمات بالجامعة الجزائرية، ومنذ السنوات الأولى لميلاد علم الاجتماع بالجزائر، طرحت إشكاليات عديدة حول وضعية علم الاجتماع بالوطن العربي، التي اهتمت بها:

- مؤتمر الكويت.
- مؤتمر أبو ظبي: نحو علم الاجتماع العربي، أفريل 1984
- مؤتمر أخلاقيات البحث العلمي الاجتماعي، القاهرة 1995
- ندوة الممارسة السوسيولوجية في الجامعة الجزائرية 2011
- أعمال المؤتمر بالجزائر الذي تم انعقاده سنة 2012 حول مستقبل العلوم الاجتماعية في الوطن العربي؟

ولحد الآن لازال الموضوع مطروحا بحدة، رغم انه لم يصبح مولودا جديدا، بل كبر ونضج إلى مرحلة يمكن اعتبارها كافية، لأن يعتمد عليه في معالجة قضايا المجتمع الشائكة والمتراكمة، هذا دليل واضح على أن أزمة علم الاجتماع لازالت تخيم بظلالها على الساحة الفكرية العربية، خصصت لهذا الموضوع ملتقيات وندوات ومؤتمرات سواء على المستوى العربي والوطني، نشطها أعمدة السوسيولوجيا بالعالم العربي، للبحث في عوامل الأزمة.

ونظرا للتأثير السلبي للتعصب الفكري على تطور المعرفة السوسيولوجية، فالأمر يحتاج الكثير من البحث والتدقيق الموضوعي عن أسبابها ومظاهرها، لأن المجتمعات العربية لم تستطيع التخلص أو حل مجمل الأزمات الخطيرة التي تعيشها.

ومن هذا المنظور حاولنا بلورة إشكالية بحثنا في صيغة سؤال مركزي على النحو الآتي:

إلى أي حد يؤثر التعصب الفكري لدى الباحث الاجتماعي في ترقية المعرفة العلمية في حقل العلوم الاجتماعية؟

وللإجابة عن هذا السؤال حاولنا اشتقاق أسئلة فرعية تمكننا من الإجابة عن هذا السؤال المركزي

1- ماهي البنية النفس-اجتماعية والمعرفية للأستاذ الجامعي المحددة لممارساته الحوارية الفكرية في الفضاء الجامعي؟
2- هل واقع الممارسة السوسيولوجية في الفضاءات الجامعية تنبئ بنمو وتطور روح الحوار البناء؟
3- كيف يؤثر التعصب الفكري في ترقية البحث العلمي السوسيولوجي؟
4- هل يساهم الحوار الفكري في التخفيف من حدة التعصب في مجال البحث السوسيولوجي؟

ثانيا: أسباب اختيار الموضوع:

يمكن اعتبار عملية اختيار موضوع بحث، وخاصة ما يتعلق بأطروحة دكتوراه، من العمليات المعقدة جدا، قد تتطلب من الباحث وقتا وجهدا مكثفا، حتى لا يقع فيما بعد الباحث في أخطاء منهجية قد تعيده إلى نقطة البداية، لذلك نحن نرى أن يأخذ الباحث الوقت الكافي ويوسع مشاوراته مع أساتذة وباحثين، حتى يتفادى هذه الانزلاقات أو السقطات التي أوقعت الكثير من الباحثين.

منطلقنا الأولي في اختيار هذا الموضوع، هو ملاحظة في بدايتها كانت تذمرا وانتقادا لسلوك الأساتذة الباحثين في مواقف مختلف، ثم تطورت الفكرة إلى ملاحظة علمية، تجسدت في طرح أسئلة عديدة بين لماذا؟ وكيف؟ ؟؟؟

ومنه تولدت لنا الرغبة الشديدة لدراسة هذا الموضوع انطلاقا من الأسباب الذاتية والموضوعية التالية:

- هي محاولة لتلبية الفضول العلمي، نظرا لما يمثله موضوع الحوار من أهمية كبيرة في الحياة الإنسانية، والذي أصبح منذ سنوات، الموضوع الأكثر تناولا على المستوى العربي والدولي نتيجة لعدة متغيرات أهمها قضية العولمة وما تشكله من آثار سواء كانت إيجابية أو سلبية على الدولة القومية بكل أنساقها.
- إن المتتبع للحوار والنقاش الفكري من خلال النشاطات والمناسبات العلمية والبيداغوجية والندوات وحتى على شاشات التلفزيون، يرى كيف تدور حلقات النقاش أو بالأحرى الجدال الذي كثيرا ما يصل إلى مستوى السب والشتم، الأمر الذي أثار فينا الرغبة للاطلاع والتعرف عن العوامل الكامنة وراء هذا التعصب للرأي حيث كل طرف متمسك برأيه.
- ضعف وهشاشة ومحدودية مستوى ثقافة الحوار لدى النخبة ومثقفي الأمة، خاصة على مستوى الباحثين في حقل العلم الذين لا يحتكمون للعقل والمنطق العلمي، الذي من المفروض أن يكون الحكم والفاصل في المواضيع العلمية والفكرية.

ثالثا: أهمية الموضوع:

- تكتسب هذه الدراسة أهميتها من طبيعة مادتها البحثية النادرة وهي مسألة الحوار الفكري والتعصب الفكري وأثرهما في ترقية المعرفة العلمية وتدهورها.
- تكمن أهمية هذا الموضوع في كون الحوار بكل أشكاله، قيمة إنسانية ومعلم مغيب من المعالم الحضارية الدالة على رقي الإنسانية وتطورها.

- نظرا للأهمية العلمية والبحثية التي يتميز بها الموضوع، وما يمكن أن يقدمه من إضافة في مجال البحث، خاصة وأنه يركز على أهم فئة مهنية التي تشتغل بالبحث العلمي، والكل يدرك قيمة البحث العلمي في تنمية المجتمع، لأن امتلاك المعرفة، يعني امتلاك القوة.
- يكتسي هذا الموضوع أيضا أهمية على المستوى الاجتماعي، لما يقدمه من معارف ونظريات تمكننا من ترقية الفكر الحواري داخل المجتمع حتى لا يقتصر هذا على أفراد النخبة، فالحوار عملية مطلبية اجتماعية بدءا من الأسرة والمؤسسات بمختلف أنواعها ونشاطاتها.
- كما تكمن أهمية الدراسة في تأثيرات التعصب الفكري السلبية على سير عملية البحث العلمي داخل الفضاءات العلمية والبيداغوجية، وهذا التأثير انعكس على العملية التعليمية ككل.

رابعا: أهداف الموضوع:

تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق أهداف تم تحديدها وفقا لما تضمنته فصول هذا البحث، حيث خضع تقسيم فصول الموضوع إلى ما نود معالجته، وما هي أهداف كل فصل من الفصول:

- التعرف على قيمة الحوار إنسانيا وحضاريا، وما هي المبادئ الأخلاقية التي تحدد طبيعة العلاقة بين الأنا والآخر.
- التعرف على طبيعة الحوار الفكري الذي يميز النخب العربية.
- الكشف عن مظاهر التعصب الفكري ومدى انتشاره بالمؤسسة الجامعية، وما يشكله من خطورة على النشاط الفكري للباحث السوسيولوجي.
- التعرف على معوقات البحث العلمي بشكل عام، والبحث السوسيولوجي بشكل خاص.
- التعرف على واقع البحث السوسيولوجي بالجزائر، من خلال مختلف النشاطات التي يقوم بها الباحثون بالفضاءات الجامعية
- توضيح علاقة التأثير والتأثر بين التعصب الفكري والبحث السوسيولوجي.
- إبراز أهمية ودور الحوار الفكري في الحد من التعصب الفكري.

خامسا: مفاهيم أساسية في الدراسة:

تعتبر عملية تحديد المفاهيم من الأمور المهمة وخطوة أساسية في البحث العلمي، خاصة عندما تتعدد معانيها ودلالاتها.

يقول محمد محفوظ، في طرحه لإشكالية المصطلح في الفكر العربي المعاصر، **أنه** من الخطأ الاعتقاد، أن المصطلحات لا تختلف في دلالاتها من بيئة معرفية إلى أخرى، لأن المصطلحات جزء من منظومة مفاهيمية متكاملة، وانتزاع المصطلح أو مفهوم من هذه المنظومة لا يخلصه من المضمون المعرفي لتلك المنظومة.

يشكل المفهوم والمصطلح جزءا أساسيا في البناء النظري والمنهجي لأية نظرية أو عقيدة، لأنه يختزن المضامين والمقولات الأساسية التي تنادي بها أية نظرية أو عقيدة أو ثقافة، لذلك تعتبر المفاهيم والمصطلحات جزءا أصيلا في البنية المعرفية لأي شعب، بمعنى أنها وليدة البيئة المعرفية وباختلاف البيئات المعرفية، تختلف المصطلحات ودلالتها الذاتية والاجتماعية، وتختلف باختلاف البيئات الحضارية والتاريخية[1].

للمفهوم وظائف علمية هي: وظيفة التنظيم، التوجيه والتعيين والتنبؤ، يمكن للمفاهيم أن تتطور مع تقدم العلم، وترتبط بنظريات وتتوصل إلى تطبيقات جديدة، لأنه يتأتى من سلسلة من الملاحظات يمكن بعد ذلك من الاستنتاج من التنبؤ بمشكلات أخرى وبنتائج أخرى للواقعات التي يعممها[2].

إن الهدف من تحديد وشرح المصطلحات التي جاءت في موضوع البحث، كون هذه المفاهيم تتطور باستمرار نتيجة ظهور الاختراعات والابتكارات والاكتشافات الجديدة، لذلك يمكن لهذه المفاهيم أن تحمل في مرحلة ما معنى معينا، قد يتغير في فترة لاحقة وتعطي معنى آخر كما قد يختلف معناها وتفسيرها تبعا لطبيعة وثقافة ولغة وعادات المجتمع على اعتبار أن المفاهيم السوسيولوجية معقدة وتحمل أكثر من معنى وانطلاقا من القاعدة القائلة: " **معرفة الشيء فرع عن تصوره** "

ومن هذا المنظور يمكن تحديد المفاهيم الأساسية لهذا البحث على النحو المبين أدناه:

1- الحوار الفكري

لغويا: مراجعة الكلام بين طرفين متخاطبين.

- الحوار: حوار مفرد (ج) حوارات، لغير المصدر، مصدر حاور: حديث بين شخصين أو أكثر " جرى حوار

---

[1] محمد محفوظ: **إشكالية المصطلح في الفكر العربي المعاصر**، مجلة الكلمة، تصدر عن منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث، مؤسسة التاريخ للطباعة والنشر، والتجارة، بيروت، لبنان، العدد 8، 1995، ص ص10-11

[2] مادلين غراويتز: **مناهج العلوم الاجتماعية (منطق البحث في العلوم الاجتماعية)**، ترجمة/ سام عمار، المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر، دمشق، سوريا، ط1، 1993، ص 54

مفتوح بين الرئيس ومندوبي الصحف – حوار أدبي – حوار الطرش: تباحث بين مخاطبين لا يفهم بعضهم بعضا – حوار هادئ: خال من الانفعال[1].

– وجاء في القاموس المحيط، " الحور "، الرجوع كالمحَار والمحَارَة والحوُور، والنقصان والمحاورة والمَحْوَرَة: الجواب: كالحَوير والحَوَار ويكسر والحيرة والحُوَيْرَة، مراجعة النطق وتحاوروا: تراجعوا الكلام بينهم والتحاور: التجاوب. وحاوره محاورة وحوارا: جاوبه وحاوره: جادله، وفي التنزيل العزيز في سورة الكهف الآية 37: " **قال له صاحبه وهو يحاوره** "، تحاوروا تراجعوا الكلام بينهم.[2]

وفي معجم مقاييس اللغة لابن فارس، " حور": الحاء والواو والراء ثلاثة أصول، أحدهما لون، والآخر رجوع، والثالث أن يدور الشيء دورا، أما الرجوع، فيقال حار، إذا رجع، قال الله تعالى: "**إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُور بَلَى** " سورة الانشقاق الآية 14.

الحوْرُ: هو الرجوع، يقال: لا يحور ولا يحول، أي لا يرجع ولا يتغير، والعرب تقول: " الباطل في حور" أي رجع ونقص، وكل نقص ورجوع حور، قال: " والذي يبقى وزاد القوم في حور"

والحَوْر: مصدر حار حَوْرا: رجع، ويقال: " نعوذ بالله من الحور بعد الكَوْر" وهو النقصان بعد الزيادة، ويقال: " حار بعد ما كار"، وتقول: كلمته فما رجع إليَّ حَوَارا وحوارا ومَحُورَة وحَويرا.[3]

– **أما اصطلاحا**، فقد اهتم الدارسون العرب قديما بالحوار ولو بشكل غير صريح، وقد كان الحوار ممارسا من قبل النقاد العرب، من خلال التعليق على الشعراء وإظهار الرأي وإبداء الموقف من الآخرين من خلال أشعارهم، وقد عالج الجاحظ قضية مهمة تتعلق ببنية الحوار من حيث علاقة الكلام بالمتكلم والمخاطب والمقام، فقال: " ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين، وبين أقدار الحاجات، فيجعل لكل طبقة، ولكل حال من ذلك مقاما، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات "، ويبدو من هذا القول، أن المتكلم والسامع يشتركان في التخاطب و بهما يكتمل التفاعل ويتطور، لأنهما يمثلان قطبي الحوار، ويتبادلان الأدوار وكل منهما يقتضي الآخر بالضرورة، إذ لا يمكن أن نبلغ شيئا دون وجود الآخر، ولا يكون هذا الآخر مستقبلا أو سامعا محايدا، بل يكون فاعلا، أي سائلا ومجيبا في الآن نفسه.

---

[1] أحمد مختار عمر: **معجم اللغة العربية المعاصرة**، المجلد الأول، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 2008، ص 579

[2] مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي: **القاموس المحيط**، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ط8، 2005، ص 381

[3] أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا: **مقاييس اللغة، الجزء الثاني**، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1979 ص 116

بهذا المعنى يشكل الحوار ظاهرة إنسانية وعنصرا مهما من عناصر التواصل البشري، ذلك أن أي تفاعل بين طرفين أو أكثر يتطلب الفعل ورد الفعل، من أجل غاية إخبارية أو إقناعية أو تواصلية أو حجاجية.[1]

– يعرفه **عبد القادر النحلاوي:** " أن يتناول الحديث طرفان أو أكثر عن طريق السؤال والجواب، بشرط وحدة الموضوع أو الهدف، فيتبادلان النقاش حول أمر معين، وقد يصلان إلى نتيجة، وقد لا يقنع أحدهما الآخر، ولكن السامع يأخذ العبرة ويكون لنفسه موقفا "، ويشترط في الحوار وحدة الموضوع والهدف الذي يقوم من أجله، فلا يستفاد منه إذا كان فارغا من الهدف، ويصبح ضربا من الكلام الذي لا تجنى منه فائدة، ويشير **عبد الرحمن النحلاوي** أن السامع هو المستفيد، لأنه يكون لنفسه موقفا من خلال الحوار الذي يدور بينه وبين من يتحاور معه.[2]

– عرفه **فراس ربايعة** بقوله: " الحوار أسلوب يعمل على نقل معلومة، لا بطريق الخبر، وإنما من خلال السؤال والجواب، أو رأيين يلتقيان حول الشيء ونقيضه "، أما **يحي زمزمي** عرفه بقوله: " الحوار هو تراجع الكلام والتجارب فيه المخاطبة والرد "، بينما عرفه سيد طنطاوي بأنه: " حديث يجري بين شخصين أو أكثر من أجل الوصول إلى الحق والخير، والتعمير لا التخريب، والإصلاح لا الإفساد، والاعتصام لا التفريق، والتعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان".[3]

– وعرفه **عجك بسام** بأنه: " محادثة بين شخصين أو فريقين حول موضوع محدد، لكل منهما وجهة نظر خاصة به، هدفها الوصول إلى الحقيقة، أو أكبر قدر ممكن من تطابق وجهات النظر، بعيدا عن الخصومة أو التعصب، بطريق يعتمد على العلم والعقل، مع استعداد كلا الطرفين لقبول الحقيقة ولو ظهرت على يد الطرف الآخر "، ويضيف **الصويان:** أن الحوار هو: " أداة وعي مشتركة، تتكوكب فيها الآراء وتستعرض فيها المسائل، ويستخلص منها ما دل عليه الدليل الشرعي أو النظري ".[4]

– يعرفه البعض على أنه: " عملية تبادل الحديث بين أفراد أو مجموعات على اختلاف توجهاتهم وأفكارهم من أجل تبادل المعرفة والفهم، وفنيات الحوار، مهارات متكاملة يتطلبها أداء الفرد للأنشطة التي يتضمنها الحوار

---

[1] زاوي أحمد: **بنية اللغة الحوارية في روايات محمد مفلاح**، أطروحة دكتوراه، تخصص لغة عربية، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة وهران، الجزائر، 2015، ص ص12–13

[2] المرجع السابق، ص 17

[3] سلطان بن مسفر الصاعدي الحربي: **دور الحوار في تعزيز الأمن الفكري**، وزارة التربية والتعليم المملكة العربية السعودية،2011، ص ص10–11

[4] ريم بنت خليف بن محمد الباني: **ثقافة الحوار لدى طالبات المرحلة الثانوية في مدينة الرياض ودورها في تعزيز بعض القيم الخلقية**، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، المملكة العربية السعودية، ط1، 2009، ص 34

بكفاءة "وتنقسم هذه الأنشطة: أنشطة في مراحل الإعداد للحوار، وأنشطة في مرحلة تنفيذ الحوار وممارسة فعلية، أما آداب الحوار فهي سلوك للإبقاء على العلاقة الإنسانية بين أطراف الحوار عند مستوى اللباقة والقبول الاجتماعي.[1]

– الحوار هو المراجعة في الكلام، أو الأخذ والرد بين شخصين أو طرفين، لكل منهما مفاهيمه أو أفكاره أو آراؤه، أو مقترحاته، وتجاذب أطراف الحديث بين طرفين أو أكثر يُهدف منه الوصول إلى لغة مشتركة، ومفاهيم متقاربة، وتشخيص موحد إن أمكن للأشياء كلها، وللمشكلات كافة، فالحوار لا تكون فيه معاندة، بل منهجه يستلزم أن يدخله الأطراف، وعندهم الجاهزية للتنازل أو للتراجع عما يبيِّن لهم الآخرون عدم جدواه، أو الاستعداد للانتقال إلى ما يطرحه الآخر، إذا كان ما يطرحه محقا في مواجهة باطل ما.

ومن خلال استعراض مختلف التعريفات لمفهوم الحوار، نستنتج جملة من الأفكار تتمثل في أن الحوار هو:

– حديث بين طرفين

– تفاعل لفظي وغير لفظي.

– يكون حول قضية محددة.

– يسعى إلى تحقيق أهداف محددة.

– يغلب عليه طابع الهدوء والبعد عن التعصب.[2]

يعتبر مفهوم الحوار من المفاهيم المركبة، فهو ينتمي إلى عائلة من الألفاظ طرحت في العديد من المرجعيات وبأوضاع مختلفة، ولقد حاول الباحثون فك التشابك والارتباط بين تلك المفاهيم، غير أن الكثير من الباحثين والمفكرين يحيل هذه المفاهيم في النهاية إلى مفهوم الحوار باعتباره الرئيس لتلك المفاهيم.

لهذا وجب بيان هذه المرادفات للحوار مع بيان الفرق بينهما وبين الحوار ومن هذه الألفاظ:

- **الجدال: ورد** في المعجم الوسيط في تعريف كلمة الجدل أنه " طريقة في المناقشة والاستدلال".[3]

وحسب **الجرجاني**، فإن الجدل هو القياس المؤلف من المشهورات، والمسلمات والغرض منه إلزام الخصم وإقحام ما هو قاصر عن إدراك مقدمات البرهان، دفع المرء خصمه عن إفساد قوله: بحجة أو شبهة، أو يقصد به تصحيح كلامه، وهو الخصومة في الحقيقة.

---

[1] حسن شحاتة، زينب النجار: معجم **المصطلحات التربوية والنفسية**، عربي–أنجليزي، أنجليزي–عربي، الدار المصرية اللبنانية، مصر، ط 1، 2003، ص 172.

[2] مهرة بنت عبد القادر محمد الزهراني: **إسهام الإشراف التربوي في نشر ثقافة الحوار من وجهة نظر المشرفات التربويات والمعلمات بمدينة مكة المكرمة**، أطروحة ماجستير، تخصص مناهج وإشراف تربوي، كلية التربية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 2011، ص 30

[3] مجمع اللغة العربية: **المعجم الوسيط**، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط1، 2004، ص 111

ويقول الشيخ **محمد الأمين الشنقيطي** في المجادلة: هي في اصطلاحهم أي المناطقة: المنازعة لا لإظهار الحق بل لإلزام الخصم.[1]

وقد أخذ الجدل معاني متعددة في الفكر الإنساني، حيث كان من بين العلوم التي عرفها تاريخ الفكر الإنساني

– قد عرفه ابن خلدون بأنه: " معرفة بالقواعد من الحدود والآداب في الاستدلال التي يتوصل إليها إلى حفظ رأي أو هدمه سواء كان ذلك الرأي من الفقه أو غيره.[2]

– فالجدل عند سقراط، هو المناقشة التي تقوم على حوار سؤال وجواب.

– عند **أفلاطون**، منهج في التحليل المنطقي يقوم على قسمة الأشياء أجناس وأنواع بحيث يصبح علم المبادئ والحقائق الأزلية.

– عند **كانط** منطق ظاهري في سفسطة المصادرة على المطلوب وخدع الحواس.

– عند **هيجل** هو انتقال الذهن من قضية ونقيضها إلى قضية ناتجة عنهما ثم متابعة ذلك حتى نصل إلى المطلق، الملاحظ لهذه التعاريف والمعاني المتعددة، قد أخذت الطابع المنطقي والفلسفي الذي سيطر على أصحاب هذه التعريفات.[3]

في الجدال يدافع كل طرف عن وجهة نظره، ولا يسعى للاستفادة من وجهة نظره، ولا يسعى للاستفادة من وجهة نظر الآخر، فتسير الأمور وفق معادلة " رابح/ خاسر" لكنه يبقى على مسافة منها ولا يتفاعل معها، فتسير الأمور وفق معادلة: " لا غالب ولا مغلوب "، أما الحوار فيصغي كل طرف إلى وجهة نظر الآخر، يتفاعل معها ويطورها ويتعاون مع الآخرين، من أجل استخلاص وقائع جديدة، الحوار وسيلة لاستمداد الطاقة من الفوارق وتوجيهها نحو شيء لم يستحدث من قبل، فتتضافر الجهود وتسير الأمور وفق معادلة "رابح/ رابح"، في الحوار نجد مساحة لقاء وارتقاء، نحقق الإبداع المشترك، فنستكشف، نحلم، نصمم، ونحيا معا، فالحوار الحقيقي ليس حوار عقائد وأفكار، لكنه حوار حياة.[4]

---

[1] محمد الأمين الشنقيطي: **آداب البحث والمناظرة**، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مجمع الفقه الإسلامي بجدة، السعودية، ص 273

[2] عبد العظيم محمود الديب: **الحوار والتعددية في الفكر الإسلامي**، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية جامعة قطر، العدد الثامن، 1990، ص 247

[3] فرج الله عبد الباري: **مناهج البحث وآداب الحوار والمناظرة**، دار الآفاق العربية، مصر، ط1، 2004، ص 128

[4] كاتي نصار، آلن الأوسطه: **تعزيز المناعة الاجتماعية بمواجهة التطرف**، **مجلة المستقبل العربي**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، العدد 451، سبتمبر 2016، ص 187

ويختلف الحوار عن الجدال من حيث الهدف، فهدف الحوار : التوصل إلى جواب عن مسألة نظرية وإزالة مشكلة عملية تواجه الجميع أو يتفق عليها الجميع، ومنه فإن الحوار لا يستهدف الغلبة على الآخر عن طريق إسكاته ، فالحوار خلاف الجدال يقوم على أساس الفهم والنقد، لا على قاعدة الهجوم والدفاع، الحوار هو الكلام الواقعي والإصغاء الواقعي، لذلك كان بينه وبين السكوت ارتباط وثيق، في الاحتجاج والجدال لا يتخذ أي من الطرفين جانب السكوت، أحد الطرفين يتكلم بصوت مرتفع مع الآخر، والآخر يتكلم أيضا بهدوء مع نفسه، ويعد نفسه للدفاع او الهجوم، الاثنان يتكلمان على الدوام، وليس ثمة سكوت وإصغاء.[1]

-**المناظرة:** لغة من النُظَرَ، ونظر إلى الشيء ينظر نظرا ونظرا: أبصره وتأمله بعينه ونظر فيه، تدبر وفكر، ونظر بين الناس: حكم وفصل بينهم، وجاء بمعنى التقابل، فيقال: داري تنظر داره: تقابلها، وأنْظَرَ الشيءَ بمعنى أَخَره وأمهله، وتناظر القوم في الأمر: تجادلوا وتراضوا، والمناظر: المجادل والمحاج.[2]

وهي أيضا: المقابلة بين اثنين كل منهما ينظر إلى الآخر أو كل منهما ينظر بمعنى يفكر، والفكر هو المؤدي إلى علم أو غلبة الظن.

أما في الاصطلاح، فتعرف بالمحاورة في الكلام بين شخصين مختلفين يقصد كل واحد منهما تصحيح قوله وإبطال قول الآخر، مع رغبة كل منهما في ظهور الحق، فكأنهما بالمعنى الاصطلاحي مشاركتهما في النظر الذي هو الفكر المؤدي إلى علم أو غلبة كل منهما في ظهور الحق.[3]

وقد حصرها بعض الفقهاء في غرض الوصول عن طريق التعاون إلى الصواب في الموضوع الذي اختلفت فيه أنظار المتحاورين، فهذا **ابن سينا** على سبيل المثال يعتبر المناظرة: " من الاعتبار والنظر الذي لا يدل على الغلبة والمعاندة "، ومادام غرض المتناظر هو حصول التعليم فقد الحق المناظرة بالتعليم، لأن غرض المناظرة حصول العلم، المناظرة قريبة من معنى الحوار، إلا أن المناظرة أدل في النظر والتفكر، كما أن الحوار أدل في مراجعة الكلام، ويرى **يوسف القرضاوي**، أن كلمة المناظرة توحي بالتحدي وإرادة الغلبة ومحاولة كل طرف أن يصيب الآخر في مقتل وبناء على كلام القرضاوي، فالمناظرة تكون أقرب للجدل من الحوار.

ومن شروط المناظرة جملة من الآداب التي ينبغي أن يتخلق بها كل مناظر، من بينها على سبيل المثال:

---

[1] هادي خانيكي: **الحوار مع الذات والحوار مع الآخر، مؤتمر دولي (كيف نواصل مشروع حوار الحضارات، الحضارات حوار أم صدام؟)**، المنظم بدمشق، منشورات المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية، الجزء الثاني، المنعقد بتاريخ:19-21جانفي2002، ص 211

[2] مجمع اللغة العربية: **المعجم الوسيط**، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط4، 2004، ص 932

[3] محمد الأمين الشنقيطي، مرجع سبق ذكره، ص 139

– أن يكون المتناظران متقاربان معرفة ومكانة، حتى لا يؤدي استعظام أحدهما الآخر، أو استحقاره له، إلى أن يضعف عن القيام بحجته أو يتهاون فيه.

– أن يوفي المناظر خصمه حتى يستوفي مسألته، كي لا يفسد عليه توارد أفكاره، وحتى يفهم مراده من كلامه كي لا يُقَوِّلْهُ ما لم يقل.

– أن يتجنب المناظر الإساءة إلى خصمه بالقول أو بالفعل، بغية إضعافه عن القيام بحجته ومن ذلك قلة الإصغاء إليه، والسخرية منه وتخجليه بفضح عيوبه وتشنيعه بالقدح في كلامه والتطاول عليه بالتنقيص والشتم.

– أن يقصد المناظر الاشتراك مع خصمه في إظهار الحق والاعتراف به، حتى لا يتباهى به حتى إذا ظهر على يده ولا يعاند فيه إذا ظهر على يد خصمه.

– أن يتجنب المناظر محاورة من ليس إلاَ المضادة، لأن من كان هذا مسلكه لا ينفع معه الإقناع بالحجة.[1]

يفرق **طه عبد الرحمن**، بين الحوار كإرسال الكلام وبين المناظرة التي كانت لها قواعد تضبطها ضبطا كاملا ولها أخلاقيات توجهها، بحيث من يخرج عنها يقال عن كلامه أنه غير مسموع، أي غير مقبول، فلم تكن المناظرة عند العرب مجرد طريقة أو منهجا لتصحيح المعرفة فقط، بل كانت وسيلة لتحصيلها والزيادة فيها، ويضيف طه عبد الرحمن إن الكثيرين قد أخطئوا عندما خلطوا بين المناظرة والجدل، وجعلوا غاية التناظر هي طلب النصرة والغلبة على الخصم، بينما المناظرة هي أصلا البحث المشترك، طلبا للصواب، سواء أظهر هذا الصواب على يد هذا الجانب(المعتقد أو المدعي) أم ذاك (المنتقد أو المعترض).[2]

ومنه يمكن أن نستنتج الفرق بين الحوار والمناظرة، أن المحاورة أعم من المناظرة وكل منهما حوار في الأصل، لأن التحاور يقتضي المجاوبة بين طرفين يتبادلان الكلام، غير أنه وجد في الحوار محاجة أو مجادلة أو خصومة أو نزاع كان مناظرة، وانعدمت فيه المحاجة والمجادلة، أو الخصومة كان محاورة.

بناء على ما سبق:

– أن ثمة توافق بين مفهومي الحوار والمناظرة في كون كل واحد منهما محادثة بين طرفين.

– يفارق الحوار، المناظرة في كونه لا يقوم على التضاد بين المتناظرين والخصومة، وإنما المناظرة هي التي تقوم على وجود التضاد بين الطرفين، للاستدلال على إثبات أمر يتخاصمان فيه نفيا وإيجابا، بغية الوصول إلى الصواب.

---

[1] طه عبد الرحمن: **في أصول الحوار وتجديد علم الكلام**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2007، ص 75

[2] طه عبد الرحمن: **الحوار أفقا للفكر**، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2013، ص 33

– الحوار بمفهومه الواسع يضم المناظرة وغيرها، بمعنى أن المناظرة فرع من المحاورة، فالمحاورة في أصلها مجرد عرض لوجهتي نظر.[1]

– **المناقشة:** لون حواري كذلك، وهي في أصلها اللغوي تمت بصلة ضعيفة إلى هذا المعنى، ولكنها صارت في الاصطلاح المعاصر، بعد التطور الدلالي للكلمة، صورة حوارية، قال في اللسان: " نقش الشوكة ينقشها نقشا وانتقشها:

أخرجها من رجله، وبه سمي المنقاش الذي ينقش به، وناقشه الحساب مناقشة، ونقاشا: استقصاه، وفي الحديث:" من نوقش الحساب عُذُب "، أي من استقصي في محاسبته وحوقق...وأصل المناقشة من نقش الشوكة إذا استخرجها من جسمه"

صارت المناقشة في الاصطلاح لونا حواريا ذا طبيعة خاصة، حيث تجتمع مجموعة من الناس لإدارة حوار حول مسألة متفق عليها من قبل، وهي في الاصطلاح " موقف مخطط يشترك فيه مجموعة من الأفراد تحت إشراف قيادة معينة وتوجيهها لبحث مشكلة أو موضوع محدد بطريقة منظمة، ويعرف كل فرد فيها دوره بهدف الوصول إلى حل تلك المشكلة.

وقد ساد هذا اللون الحواري في كثير من صور التعليم المعاصر حتى صارت المناقشة أشهر من مصطلح الحوار في عمليات التعلم المتنوعة.[2]

وتشترك المناقشة مع الحوار في كونها كلام أو حديث، إلا أن الفرق بينهما يكمن في أن المناقشة تقوم على تبيان الأخطاء، وتنطوي على المحاسبة، أما الحوار فإنه لا يقوم على بيان الأخطاء وتعريتها بشكل مباشر وإنما يتم تضمينها بأسلوب غير مباشر، وعلى الرغم من الطبيعة المتشعبة للحوار، فإنه ليس دعوة، ولا مناظرة، ولا مجادلة، ولكنه صيغة جامعة وأسلوب من أساليب التقارب والتجاوب والتفاعل، ولذلك فإن من شروط الحوار الجاد الهادف، أن يتصف بالحكمة، والحكمة هي جماع العلم والمعرفة، من عناصرها الفطنة، وحسن الفهم، وعمق الوعي وسعة الإدراك والرشد والتنبه، والقصد والاعتدال.[3]

---

[1] إبراهيم بن عبد الكريم السنيدي: **الحوار والمناظرة في الاسلام، (أحمد ديدات نموذجا في العصر الحديث)**، مجلة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الاسلامية، المملكة العربية السعودية، العدد 46، 2010، ص 48

[2] السيد علي خضر: **الحوار في السيرة النبوية**،رابطة العالم الإسلامي، المركز العالمي للتعريف بالرسول صلى الله عليه وسلم ونصرته، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، نقلا عن الموقع الالكتروني:

http://d1.islamhouse.com/data/ar/ih_books/single6/ar_hiwar_fi_Searah_Khedher، ص 27-28

[3] عبد العزيز بن عثمان التويجري: **الحوار والتفاعل الحضاري من منظور إسلامي**، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو)، الرباط، المغرب، ط 2، 2015، ص 15

والمتتبع لتاريخ المناظرات والجدال والمناقشة، كأحد أهم فنون الاتصال العلمي في العالم الإسلامي، يجد أنها انتشرت خاصة مع بداية القرن الثالث الهجري، الذي يعد بمثابة البداية الحقيقية للنهضة العلمية التي عاشتها الأمة الإسلامية، فكانت مجالس المناظرات إحدى صور الحركة العلمية المزدهرة والتي تمثلت في نوعين من العلوم: نوع ديني يرتبط بدراسة القرآن والحديث والفقه، ونوع دنيوي مرتبط بدراسة الطب وما يتعلق به .[1]

لقد اختلفت المواقف حول تحديد الفروقات بين المفاهيم المذكورة وغيرها من المفاهيم التي لم نتطرق لها، رغم أن العلماء والباحثين وضعوها من ضمن المفاهيم ذات العلاقة بمفهوم الحوار، وقد تم طرح آراء مختلفة، منهم من يضع فروقا بين هذه المفاهيم وأخرى ذات صلة بمفهوم الحوار، وهناك طائفة لا تسلم بكل الفروق، بل تشير إلى وجود اختلافات أولية بين بعض هذه المفاهيم، فقد أوردوا الحوار أو المحاورة إلى جانب مفاهيم أخرى مثل المناظرة والمعارضة والمناقضة والتفكير والتدبر والاعتبار والتأمل والاستدلال، وبالتالي أفضوا بالقول إلى أن هذه الاختلافات لا تؤثر على الموقف العام الذي سلم بوجود تعالقات بين مختلف هذه المفاهيم، ويتضح أن القاسم المشترك بين مختلف هذه المفاهيم، هو استحالة تحققها دون وجود طرفي أو أطراف الحوار، فتحديد المفهوم يساهم بشكل كبير في تحديد نمط الحوار وطبيعته، لهذا يبدو أن مدلولات بعض هذه المفاهيم: الحوار، الجدال، المناقشة، المناظرة، وان اختلفت فيجوز أن تتكامل فيما بينها وينزل بعضها فوق بعض في مراتب معينة. [2]

ومنه نستنتج ان الحوار الفكري حسب ما يتفق واهداف دراستنا ، يتضح أن المفهوم قد تمت معالجته بشكل واسع ودقيق، فتعددت التعاريف، والتي اتفقت في مجملها على أن للحوار أركان أساسية: أطراف الحوار–موضوع الحوار – أسلوب الحوار والذي نعني به (أخلاقيات الحوار وآدابه)، ومنه نستنتج، أن الحوار، حسب ما يتفق وأهداف دراستنا، هو:" **عملية تفاعل بين طرفين أو أكثر، الأطراف المعنية،(باحثين في مجال العلم والمعرفة)، بصورة مباشرة أو غير مباشرة، داخل إطار مؤسسي معين، قد يكون مخبر بحث جامعي، أو مؤسسة بحثية خاصة، أو جماعة علمية، يتم من خلالها طرح موضوع فكري معين ويتم العمل وفق منطق الحوار العلمي كقاعدة أساسية للبحث، من أجل تطوير المعرفة العلمية، خاصة المعرفة السوسيولوجية، والتي يتوصل إليها فريق البحث بالاعتماد على الحجج والبراهين العلمية** ".

---

[1] خالد أحمد حسنين علي حربي: **بنية الجماعات العلمية العربية في القرنين الثالث والرابع الهجريين (دراسة في الأسس الابستمولوجية)**، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، مصر، 2001، ص 65

[2] حسان الباهي: **الحوار ومنهجية التفكير النقدي**، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2004، ص ص19– 20

- مفهوم الفكر

لغويا: فكر: يفكر، فكرا، الرجل في الأمر، اعمل العقل فيه وتأمله.

- **فكر**: الفكر هو إعمال العقل في المعلوم للوصول إلى معرفة المجهول ما يحظر بالقلب من المعاني يقال: لي في الأمر فكرة أي نظر ورؤية –وما لي في الأثر فكرة أي مالي حاجة ولامبالاة (ج) أفكار[1]

- وحسب قاموس المحيط **للفيروز أبادي**، فإن مفهوم الفكر لغة: الفكْر بالكسر ويفتح: إعمال النظر في الشيء، كالفكرة، والفكرى بكسرهما، ج: أفكار، فكر فيه، وأفكر وفكر، وتفكر وهو فكير، كسكيت وفَيْكَرٌ كَصَيْقَلٍ: كثير الفكر ومالي فيه فَكْرٌ، وقد يُكْسَرُ، أي حاجة.[2]

لقد اتفقت معظم المعاجم والقواميس العربية تقريبا على هذا المفهوم اللغوي للفكر.

من الناحية الاصطلاحية يتخذ الفكر مفاهيم متعددة، حيث يعرف، بأنه:

– قيمة تشترك فيها الإنسانية جمعاء، وبذلك يعد الفكر بمثابة وحدة إنسانية يجعلها تتميز بإنسانيتها بغض النظر عن الخصوصيات الثقافية والحضارية لهذه الإنسانية. وهذا المعنى للفكر جاء في البدايات الأولى لمعنى الفكر الإنساني، ولكن بعد الانتشار وتكتل الجماعات البشرية أصبح هناك نوع من الخصوصية فأصبح بذلك "مجموعة من المبادئ والنوازع والانتماءات التي تتكون مع تطور تاريخ وحضارة أي أمة من الأمم، وهو تلك الإيديولوجية غير المقننة التي تشكل الجنسية الحقيقية لثقافة من الثقافات، وبتمايز الجماعات البشرية واتخاذها صفات معينة، أصبح هناك تمايز فكري، فيقال، الفكر اليوناني، الفكر العربي، والفكر الأوروبي، والفكر الإفريقي".[3]

– يعرف **التفكير** بأنه: التقصي المدروس للخبرة من أجل غرض ما، وقد يكون ذلك الغرض هو الفهم أو اتخاذ القرار أو التخطيط، أو حل المشكلات، أو الحكم على الأشياء، أو القيام بعمل ما، أو هو ببساطة عبارة عن سلسلة من النشاطات العقلية التي يقوم بها الدماغ، عندما يتعرض لمثير يتم استقباله عن طريق واحدة أو أكثر من الحواس الخمسة، ونبدأ التفكير عادة عندما لا نعرف ما الذي يجب عمله بالتحديد، والتفكير مفهوم مجرد، لأن النشاطات التي يقوم بها الدماغ أثناء التفكير نشاطات غير مرئية وغير ملموسة، وما نلمسه ونشاهده في

---

[1] علي بن هادية وآخرون: **القاموس الجديد للطلاب معجم عربي مدرسي الفبائي**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط7، 1991، ص 787

[2] مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، مرجع سبق ذكره، ص 458

[3] منى أبو القاسم، جمعة عبد الرحمان: **الاغتراب الفكري والاجتماعي في الشخصية القومية العربية**، منشورات قار يونس، بنغازي، ليبيا، ط 1، 2008، ص، ص 157، 158

الواقع ليس إلا نواتج فعل التفكير سواء كانت بصورة مكتوبة أو منطوقة أم حركية.[1]

– يحدد بعض المفكرين المعاصرين مفهوم **الفكر**: " على أنه صورة من المدارك الإنسانية في حقلي التحصيل والاختبار، يبدأ في حكم جارف عن ظاهرة أمر من أمور الحياة وينتهي إلى تعليل الحياة بشكل بارع مبني على تحليل دقيق لعوامل الحياة "، و التفكير هو أعلى أشكال النشاط العقلي لدى الإنسان وهو العملية التي ينظم بها العقل خبراته بطريقة جديدة، كحل مشكلة معينة أو إدراك علاقة جدية بين أمرين أو عدة أمور، أي إدراك العلاقات بين الموضوعات ومزج المعلومات وتركيبها على هيئة جديدة، بقصد الوصول إلى نتائج مرغوب فيها، والمتتبع للتعريف الحديث للفكر يجدها متأثرة إلى حد كبير بالمفهوم الغربي ومنسجمة مع مدلوله .

– جاء تعريفه في المعجم الفرنسي بأنه: " طريقة تفكير خاصة بشخص أو مجموعة من أشخاص معبر عنها بواسطة القول أو مجموعة أفكار خاصة بشخص معين، مجتمع معين، عصر معين، مقدمة في شكل أقل أو أكثر تنظيما أو دوغمائية".[2]

– أما الموسوعة السياسية فهي تعرفه على أنه: " القدرة على الكشف والتعميم والتجربة والتأثير والتغيير"، كما أن الموسوعة السياسية تشير إلى أن النظرة إلى الفكر تختلف باختلاف المذاهب الفلسفية والاجتماعية المختلفة والتي حددها بثلاث وجهات نظر على النحو الآتي : النظرة إلى الفكر باعتباره عملية معنوية خالصة مستقلة كل الاستقلال عن كل أساس مادي فهو خلق محض، ولا وجود للطبيعة الخارجية بغير الفكر، فالفكر هو الذي يصنع الوجود وهي نظرة مثالية مطلقة، والنظرة إلى الفكر باعتباره مجرد ثمرة مباشرة من ثمرات المادة وإفراز من إفرازاتها وهي نظرة مادية...، والنظرة التي تدرك الأساس العضوي للعملية الفكرية كما تدرك أساسها الاجتماعي والتاريخي، ولكنها لا تكتفي بهذا كله، بل تجد في الفكر أداة للكشف والخلق و التأثير والتغيير، وهذه النظرة العلمية الموضوعية للفكر.

من خلال التعاريف السابقة للفكر، يستنتج العلماء:

- الفكر بمعنى إعمال النظر والتأمل والتدبر في مجموعة من المعارف بهدف الوصول إلى تحقيق معرفة جديدة.
- الفكر بمعنى الثمرة التي تنتج عن عملية التفكير.
- التفكر كعملية تستخدم فيها كل الوسائل المساعدة للوصول إلى حقيقة الدنيا والآخرة.

---

[1] المصطفى حدية: **قضايا في علم النفس الاجتماعي**، منشورات المجلة المغربية لعلم النفس، الرباط، المغرب، ط1، 2005، ص 63

[2] محمد الرحوحي: **الاتجاهات التربوية في المغرب الإسلامي بين النظرية والتطبيق**، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم والآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن طفيل القنيطرة، المغرب، 2007، ص ص24–25

- الفكر أداة للكشف والتعميم والخلق والتغيير وربط الفكر بالواقع.[1]

من خلال التعريفات السابقة لمفهومي الحوار والفكر، يتضح لنا أن هناك علاقة وطيدة بين الفكر والحوار وتتضح هذه العلاقة، فعن طريق الحوار تتفتح المدارك الفكرية ويتطور مستوى الفهم، فينتج عن ذلك توجهات وقناعات، حيث يعتبر الفكر المادة الأساسية للحوار هذا من جهة، من جهة ثانية فمعالجة أي خلل على مستوى الأفكار، لن يكون إلاّ بالحوار، ولا يمكن استئصال أي فكر تعصبي تسلطي إلاَ من خلال الحوار لا غير.

2- الفضاءات البيداغوجية والعلمية:

ينقسم المفهوم إلى جزئين أساسيين: الفضاء، البيداغوجيا

- **فمفهوم فضاء:** من الناحية اللغوية يعني هو ما اتسع من الأرض، الخالي من الأرض ما اتسع من الأرض أمام الدار ما بين الكواكب والنجوم من مسافات لا يعلمها إلا الله، جمع أفضية.[2]

- **البيداغوجية، أو البيداغوجيا:** مصطلح له عدة معاني ودلالات، يتكون في الأصل اليوناني من حيث الاشتقاق اللغوي من شقين: pèda وتعني الطفل، وAgogé وتعني القيادة والسياقة وكذا التوجيه، ومنه فإن **البيداغوجي:** هو الشخص المكلف بمراقبة الأطفال ومرافقتهم في خروجهم للتكوين أو النزهة، والأخذ بيدهم ومصاحبتهم، قد كان العبيد يقومون بهذه المهمة في العهد اليوناني القديم.[3]

أما كلمة **بيداغوجيا** تأخذ عدة معاني، حيث اعتبرها **إميل دوركايم**، نظرية تطبيقية للتربية، تستعير مفاهيمها من علم النفس وعلم الاجتماع، واعتبرها **أنطوان ماكرينكو** (العالم التربوي السوفياتي): " العلم الأكثر جدلية، يرمي إلى هدف علمي"، وذهب **روني أوبير**، إلى أنها ليست علما ولا تقنية ولا فلسفة ولا فنا، بل هي هذا كله، منظم وفق مفصلات منطقية.[4]

يستعمل البعض مصطلح **البيداغوجيا**، للتعبير عن المعتقدات التربوية والوسائل المتنوعة التي يشيع استخدامها بين المربيين لبلوغ أهداف المجتمع في بناء مواطنيه وتشكيل سماتهم العقلية والخلقية وغيرها،

---

[1] خالد فوزي يعقوب المحاسنة: **النهضة في فكر مالك بن نبي وعلى شريعتي (دراسة مقارنة)**، اطروحة دكتوراه، تخصص، فلسفة في العلوم السياسية، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، مصر، 2013، ص 58

[2] علي بن هادية وآخرون، مرجع سبق ذكره، ص781.

[3] أحمد قايد نورالدين، سبيعي حكيمة: **التعليمية وعلاقتها بالأداء البيداغوجي والتربية**، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، جامعة غرداية، الجزائر، العدد 08، 2010، ص ص34-35

[4] علي تعوينات: **التعليمية والبيداغوجيا في التعليم العالي**، الملتقى الوطني الأول حول تعليمية المواد في النظام الجامعي، مخبر تطوير الممارسات النفسية والتربوية، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة قاصدي مرباح، الجزائر، أفريل 2010، ص 5

ويستخدم هذا المصطلح إلى اليوم في اللغة الفرنسية للتعبير عن مختلف العناصر التي تقوم عليها عملية التربية وعلى هذا لا يكون المقصود بالمصطلح هو علم بعينه، وإنما مجموعة العلوم التي تتكامل فيما بينها

لتوفر للمربيين فهما سليما لطبيعة أبنائهم وأداء أفضل لعملهم واستخداما أرشد للوسائل المتاحة ثم تقويمها موضوعيا لما يتم تحقيقه من عمل.[1]

إذن **الفضاءات العلمية والبيداغوجية** حسب ما استنتجناه من خلال التعاريف السابقة، وحسب ما يتفق وأهداف هذه الدراسة: "**هي المؤسسات أو المراكز التي تجمع الأساتذة والباحثين لممارسة نشاطات مختلفة: كالتدريس، البحث العلمي الذي يأخذ أشكال مختلفة، في محاولة لإيجاد حلول للمشاكل التي يعيشها المجتمع، والأهم من ذلك تفعيل الحوار الفكري وترسيخه كمبدأ أو كفلسفة لتطوير وترقية المعرفة العلمية**".

3- المعرفة العلمية:

يمكننا أن نحدد معنى هذا المفهوم في جزئين: أولا المعرفة وثانيا العلم.

- **تعرف المعرفة لغة:** بأنها إدراك الشيء على ما هو عليه، قال **المعري:** تعارف العيش لم نظفر بمعرفة أي المعاني بأهل الأرض مقصود؟ والمعرفة في النحو هي ضد الفكرة.[2]

وحسب معجم التعريفات للعلامة **علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني،** بأن المعرفة: " ما وضع ليدل على شيء بعينه وهي المضمرات والأعلام والمبْهمات وما عرف باللاَّم والمضاف إلى أحدهما والمعرفة أيضا إدراك الشيء على ما هو عليه وهي مسبوقة بجهل بخلاف العلم، ولذلك يسمى الحق تعالى بالعالم دون العارف "[3]

وحسب المعجم الفلسفي **لمراد وهبة،** فإن المعرفة هي: " فعل الذات العارفة في إدراك موضوع وتعريفه بحيث لا يبقى فيه أي غموض أو التباس".[4]

وكمقابل للفظة المعرفة في اللغة العربية، تستخدم كلمة **(Knowledge)** في الإنجليزية المشتقة من اللفظة اللاَّتينية **(Cognoscere)**، وفي شرح المفردة فقد وردت كل من: علم، دراية، خبرة، كمقابلات لها وعلم، درى، ميز، تقابل الفعل **(Know)**، وقد ورد تعريف كلمة **(Knowledge)** في قاموس أكسفورد بأنها: " الحقائق والفهم والمهارات التي اكتسبها الإنسان من خلال الخبرة والتعليم".

---

[1] فاروق عبده فليه، أحمد عبد الفتاح الزكي: **معجم مصطلحات التربية لفظا واصطلاحا**، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ، مصر، 2004، ص 69

[2] علي بن هادية، مرجع سبق ذكره، ص 1103

[3] علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني: **معجم التعريفات**، تحقيق ودراسة محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة مصر، ص 185

[4] مراد وهبه: **المعجم الفلسفي، دار** قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2007، ص 606

وإذا كان استخدام لفظة معرفة في لفظة واحدة في اللغة الانجليزية، فإن اللغة الفرنسية نجد استخدامها أعقد إذ تم إحصاء أكثر من **27** استخداما لمصطلح المعرفة في اللغة الفرنسية، ونجد أن الأكثر استخداما وشيوعا هما لفظتي (**Connaissance, Savoir**)، حيث تشيران إلى علم، معرفة، دراية، تحصيل.[1]

– من الناحية **الاصطلاحية**،تعد مصطلحا قديما، حيث عمل الفلاسفة على الكتابة في هذا الموضوع منذ مئات السنين، وقد تناول الإغريق المواضيع الفلسفية المتعلقة باحتمالات الوجود والمعرفة الموضوعية بالبحث، فجادل أستاذ البلاغة والخطابة الفيلسوف السفسطائي **جورجياس** في القرن الخامس قبل الميلاد، حول حقيقة وجود الأشياء، وادعى بأن الأشياء لا توجد في الواقع، لأنها قد توجد ولا تعرف، وفي بعض الأحيان تعرف لكن يستحيل نقل المعرفة بها.

– وقد تبنى **أفلاطون** الرد على فرضيات السفسطائيين، ويؤكد على أن المنهج العقلي المجرد فقط هو الذي يقودنا لمعرفة أصيلة حقيقية، وأن اعتمادنا على الإدراك الحسي للحصول على المعرفة، يشوش وجهات نظرنا ويجعلها غير مستقرة.

–وتابع **أرسطو** السير على خطى **أفلاطون**، واتفق معه على أن المعرفة المجردة، لا ترقى إليها مستوى آخر من مستويات المعرفة، لكنه اختلف معه حول أسلوب الوصول إلى المعرفة المجردة، إذ رأى **أرسطو** أن المعارف كلها نتاج للخبرة، وأن المعلومات يمكن الحصول عليها إما مباشرة باستخلاصها من موضوع المعرفة، أو بشكل غير مباشر باستنباط حقائق جديدة من المعارف المتوافرة فعليا عن موضوع المعرفة باستخدام قواعد المنطق أو الالتزام الصارم بها مع الملاحظة الدقيقة.

أما مفهوم **المعرفة** حديثا يمكن تحديده في جملة من المعارف:

– المعرفة تلك الأفكار أو المفاهيم التي تصل إليها كينونة معينة (فرد–أو مؤسسة أو مجتمع) والتي تستخدم لاتخاذ سلوك فعال نحو تحقيق أهداف الكينونة.

– يستخدم مصطلح **المعرفة** لوصف فهم أي منا للحقيقة، حيث أن هذه الحقيقة نسبية وتعود أساسا إلى مدى قدرة الفرد على إدراكها وفقا لمبادئه وأفكاره بغض النظر عن صحتها وفقا للمدلول العام[2]

المعرفة العلمية كما يراها ريبك **RYBICK**:" على أنها شكل من أشكال الإنتاج الفكري للإنسان وهي نشاط فكري يتضمن جمع وتنظيم وتصنيف المعلومات والبيانات الموضوعية المشتقة من الظواهر والأشياء المرئية

---

[1] دناقة أحمد: **الأستاذ الباحث وواقع إنتاج المعرفة العلمية في الحقل السوسيولوجي (دراسة على عينة من أساتذة علم الاجتماع بجامعة: الأغواط، غرداية، ورقلة)**، أطروحة ماجستير، تخصص علم الاجتماع، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، 2011، ص34

[2] ياسر الصاوي: **إدارة المعرفة وتكنولوجيا المعلومات**، دار السحاب للنشر والتوزيع، القاهرة مصر، ط1، 2007، ص ص14–18

وغير المرئية المحيطة بالإنسان ".[1]

يطلق العلماء مفهوم **المعرفة**، على كل ما وصل إليه الإنسان من مشاعر أو حقائق أو أوهام أو أفكار، تسهم في التعرف على البيئة من حوله والتعامل معها، والمعرفة جزء من التكوين البشري، بدونها يفقد الإنسان جزءا كبيرا من إنسانيته، فهي تعينه على فهم بيئته التي يعيش فيها وفي التنبؤ بمخاطرها المقبلة ليتقيها والتعرف على السنن الكونية (القوانين الطبيعية) التي تسيرها ليسخرها لمصلحته وهي تقوم بالترويح عنه وملئ فراغه وإشباع غريزته وحب الاستطلاع عنده.[2]

في القرن السادس عشر، ظهر **فرنسيس بيكون**، وفي مقولته المشهورة عن المعرفة، التي كثيرا ما يستشهد بها وهي: " المعرفة هي القوة ووعي بالطاقة الكامنة في المفاهيم الجديدة للعلم "، ولقد تم حصول المعرفة على مراحل هي:

- ✓ **المرحلة الأولى:** مرحلة المعرفة الحسية والخبرة الذاتية، وما تزال قائمة حينما يعجز الإنسان عن تفسير أو مواجهة مواقف معينة، وتنطبق هذه المرحلة على مرحلة العلم، عندما كان الإنسان يحاول أن يجد حلاً دون أن يستطيع التحرك، بطريقة منظمة، ومنه فإن المحاولة والخطأ تعتبر أولى مراحل تطوير العلم
- ✓ **المرحلة الثانية:** هي مرحلة الاعتماد على مصادر الثقة والتقاليد السائدة، كالاعتماد على الحكماء القدامى في تعليل بعض الظواهر، كاعتماد الحضارة الغربية في القرون الوسطى على تعاليم أفلاطون **وأرسطو**، وما تزال هذه الطريقة معتمدة لحد الآن.
- ✓ **المرحلة الثالثة:** هي مرحلة التأمل والحوار، وهي مرحلة التدليل العقلي والمنطقي، فقد توصل **أرسطو** بواسطة التفسير العقلي من المعروف، إلى غير المعروف بإتباعه لعملية استدلالية أو استنتاجية، تعتمد في أساسها على القياس المنطقي.
- ✓ **المرحلة الرابعة:** هي مرحلة المعرفة العلمية والتحقيق العلمي، أي مرحلة وضع الفروض وإجراء التجارب ثم استخلاص النتائج وتعتبر هذه الطريقة أكثر دقة، إذا أمكن تحويل المعلومات المتعلقة إلى تعبير كمي.

– كما يقول **أوغست كونت:** " إن المعرفة العلمية جاءت في مرحلة متأخرة من تطور العقل الإنساني، حينما استطاع أن يفسر الظواهر تفسيرا علميا، هذا النوع من المعرفة هو المعرفة العلمية التجريبية، تقوم على أساس

[1] العجيلي عصمان سركز، عياد سعيد أمطير: **البحث العلمي أساليبه وتقنياته**، الجامعة المفتوحة طرابلس، ليبيا، ط 1، 2002، ص 19

[2] سعيد اسماعيل صيني: **قواعد أساسية في البحث العلمي**، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط1، 1994، ص 13

الملاحظة المنظمة، ووضع الفروض والتحقق منها بالتجربة".[1]

- مفهوم العلم:

يقول **الإمام الغزالي:** " من لم يشك لم ينظر، ومن لم ينظر لم يبصر، ومن لم يبصر سقط في متاهات العمى والضلال "، وهكذا من حق الإنسان أن ينظر ويبصر، وهنا ندخل في نطاق العلم، وكلمة العلم من الكلمات الشائعة المستعملة قديما وحديثا، ولاقت الكلمة اهتماما بالغا من قبل العلماء، أطلقت كلمة العلم في دور من أدوارها على ما يضاد الجهل بنوع محدود من المعارف.

و**العلم** هو محاولة لكشف العلاقات التي تقوم بين الأحداث أو بين الظواهر، وقد أكد هذا المعنى الفيلسوف الرياضي الفرنسي **هنري بوانكريه Henri Poincaré**، حيث يشير إلى أن العلم: " معرفة لا تتعلق بالأشياء أو الظواهر في ذاتها، وإنما العلم يتعلق بإدراك الروابط والعلاقات القائمة بين الظواهر".

فقد اختلفت وجهات نظر العلماء والباحثين فيما يتعلق بمفهوم كلمة العلم، وتعددت تعريفاته:

- فمن العلماء من اعتبره جسد منظم من المعرفة.

- عرفه قاموس **أكسفورد** بأنه: " ذلك الفرع من الدراسة الذي يتعلق بجسد مترابط من الحقائق الثابتة المصنفة والتي تحكمها قوانين وتحتوي على طرق ومناهج موثوق بها لاكتشاف الحقائق"

- وعرفه **ويبستر** في قاموسه: " بأنه المعرفة المنسقة التي تنشأ عن الملاحظة والدراسة والتجريب والتي تتم بغرض تحديد طبيعة وأسس وأصول ما تمت دراسته"

- عرفه آخرون بأنه" البحث الكفء الذي يستند إلى منهج علمي" [2]

- لقد اعتبر العلم من وجهة النظر التقليدية مجرد مجموعة من المعارف الإنسانية،التي تتضمن المبادئ والفرضيات والحقائق والقوانين والنظريات التي كشفها العلم ونظمها، بهدف تفسير ظواهر الكون.

- وقد اعتبر **كونانت (conant)**،هذه النظرة إلى العلم نظرة جامدة، وميز بينها وبين النظرة الأخرى التي ترى العلم شيئا متحركا ديناميكيا ونشاطا إنسانيا متصلا لا يعرف الثبات أو الجمود، ويرى **كونانت** أن العلم: " سلسلة من تصورات ذهنية ومشروعات تصورية مترابطة متواصلة، هي نتاج لعمليتي الملاحظة والتجريب".

وتتفق هذه النظرة للعلم مع نظرة **كيرلنجر** الذي يرى: " أن العلم يعرف بوظيفته الأساسية المتمثلة في التوصل إلى تعميمات، بصورة قوانين أو نظريات، تنبثق عنها أهداف فرعية، تتلخص في وصف الظواهر

[1] رجاء وحيد دويدري: **البحث العلمي، أساسياته النظرية وممارسته العملية**، دار الفكر المعاصر، لبنان، دار الفكر، دمشق، ط1، 2000، ص 26

[2] حسين عبد الحميد أحمد رشوان: **أصول البحث العلمي**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، 2003، ص ص14-18

وتفسيرها وضبط المتغيرات للتوصل إلى علاقات محددة بينها، ثم التنبؤ بالظواهر والأحداث بدرجة مقبولة من الدقة ".[1]

العلم باعتباره نسقا للمعرفة يتأثر بالواقع الاجتماعي كما يؤثر فيه، فهو منتج إنساني يتفاعل مع مجمل العوامل التاريخية والثقافية والاقتصادية والسياسية التي تؤثر في أي منتج إنساني، كما أنه ممارسة بشرية نوعية، يتأثر بعوامل أخرى ترتبط بطبيعة العلم نفسه وبعضها بطبيعة القائمين عليه ووعيهم بهذا العلم وضرورته.[2]

بما أن الغرض من العلم، هو تحقيق الرقي والازدهار الاجتماعي، لذلك يطرح بعض العلماء أمثال، **د. برنال** إشكالية العلاقة بين العلم والمجتمع فيقترح، إعادة تنظيم هذه العلاقة، والتي حددها في النقاط التالية:

– إجراء تغييرات كثيرة حتى يصبح قادرا على تحقيق رسالته وعلى استمرار بقائه كقوة فعالة من قوى النشاط الإنساني، والمقصود بهذه التغييرات، هو إعادة بناء تنظيم العلم جملة تنظيما لا يمكن أن ينفرد به رجال العلم وحدهم، بل يساهم في ذلك رجال الدولة والاقتصاد، لذلك يكون إصلاح العلم وإطلاقه من قيوده التي يرسخ فيها مسألة تتصل بالمجتمع وتستدعي تغييرا فيه وفي وجهة نظره إلى العلم، فيكفي أن يكون المجتمع راغبا رغبة حقيقية في إنهاض العلم وتطبيقه لخير الإنسانية، وأن يكون على استعداد لتقديم المساعدات اللازمة للنهوض بالعلم وتحقيق رسالته الاجتماعية.

– ضرورة التوسع، إن ما أشد ما يحتاج إليه العلم هو التوسع الكبير إلى درجة تبلغ عشرة أضعاف ما هو عليه الآن على الأقل، فالعلم اليوم يشكو من الضمور وضيق المجال، أكثر ما يشكو من قلة الكفاءة، وما يتطلبه العلم اليوم لتحقيق هذا الهدف لا يخرج عموما عن أن تكون زيادة في ميزانية العلم.

– التنظيم وصيانة الحرية، فزيادة النشاط العلمي وتوسيع مجاله مع تحسين تنظيمه والكفاءة فيه، على شرط أن لا يؤدي ذلك إلى الحد من حرية العلماء في التفكير أو إضعاف روح الابتكار فيهم في جميع أنواع النشاط العلمي من التدريس والإعداد إلى التنظيم الداخلي والتطبيق العملي، والعلماء وحدهم القادرون على تحقيق تلك الشروط، وهم وحدهم الذين يعلمون مواضع الخطر.

– اختيار العلماء، يجب لنهضة العلم ونموه أن يختار له خير من يصلحون للانخراط في سلكه من الشباب، والطرق المتبعة حاليا في معظم الدول، لا تؤدي إلى هذا الغرض، وترتبط هذه المشكلة بمشكلة أخرى أعم

---

[1] ربحي مصطفى عليان، عثمان محمد غنيم: **مناهج واساليب البحث العلمي – النظرية والتطبيق**–، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2000، ص ص13–14

[2] نفيسة حسن حسن دسوقي: **اساليب التنشئة الأكاديمية للباحثين، في علم الاجتماع في مصر**،(دراسة استطلاعية)، أطروحة ماجستير، تخصص علم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة القاهرة، مصر، 2004، ص 8

وأشمل، وهي تعديل نظم التعليم بحيث يوجه الطالب الوجهة الصحيحة التي تتفق وميوله ومواهبه، حيث يرى الباحث، أنه مطلقا لا يمكن أن تتم النهضة العلمية الحقيقية، إلاّ إذا حدثت نهضة مماثلة في جوانب أخرى من الحياة الاجتماعية والاقتصادية، وهذه بدورها ستحتاج إلى اختيار المادة البشرية الصالحة لها، الأمر الذي يفرض على القائمين على أمر العلم إلى العناية الفائقة باختيار المتقدمين إليهم والاستفادة الكاملة ممن يعملون معهم فعلا.[1]

يختلف مفهوم العلم عن مفهوم المعرفة، وهذا ما جاء في معاجم اللغة العربية التي تعتبر أن العلم هو عملية الإدراك الكلي والمركب، والمعرفة تقال للإدراك الجزئي أو البسيط، ومن هنا يقال عرفت الله، دون علمته.[2]

وخلاصة القول، أن العلم هو محاولة لاكتشاف ما يحيط بنا من ظواهر، ومعرفة العلاقات المتداخلة والمنسقة للحقائق، ذلك أن الحقائق المنعزلة لا تكون علما، ومن ثم لابد من اكتشاف الصلة بينها وبين بعضها البعض.

نظرا للتداخل بين مصطلحي العلم والمعرفة، وجب توضيح الفرق بينهما، المعرفة أوسع واشمل من العلم، ذلك لأن المعرفة تتضمن معارف علمية واخرى غير علمية، ونستطيع أن نميز بينهما على أساس قواعد المنهج وأساليب التفكير التي تتبع في تحصيل المعارف، فإذا اتبع الباحث قواعد المنهج العلمي واتبع خطواته في التعرف على الظواهر والكشف عن الحقائق الموضوعية، فإنه يصل إلى المعرفة العلمية.[3]

وفقا لما قدمناه من مجموعة تعريفات لكل من المعرفة والعلم، يمكن أن نصيغ تعريفا لمصطلح " المعرفة العلمية "، رغم أن هناك اختلاف إلى درجة الجدال بين العلماء في تحديدهم أي من المعارف الإنسانية التي يمكن اعتبارها معرفة علمية؟، وبعيدا عن هذا وحسب المعلومات البسيطة التي استطعنا أن نكونها، يمكن أن نعرف المعرفة العلمية بأنها: " **هي كل ما يتوصل إليه الباحث في مجال العلم، ومجال المعرفة العلمية وفقا لرؤية بعض العلماء هي: مجال العلوم الطبيعية، العلوم التقنية، العلوم الاجتماعية والإنسانية وما تضمه من تخصصات مختلفة، فلكل علم مناهجه، أدواته ووسائله التي يوظفها للاستدلال على صحة نتائجه، أي بمعنى إتباع خطوات المنهج العلمي، ولن يتوقف البحث عند هذا الحد لأن النتائج المتوصل إليها ليست يقينية، وستكون بداية لبحث جديد، لا يوجد معرفة يقينية، فالعلم يتصف بالتجديد ويتحقق له ذلك عندما يخضع أدوات ومناهج وموضوعات ونظريات العلوم للمساءلة الابستمولوجية، كما يؤكد على ذلك محمد عابد الجابري** " **الدراسة النقدية لمبادئ العلوم وفروضها ونتائجها، بقصد تحديد قيمتها ونفعها**".

---

[1] د. برنال: **رسالة العلم الاجتماعية**، ترجمة/ إبراهيم حلمي عبد الرحمن، المركز القومي للترجمة، مصر، ط1، 2016، ص ص311-314

[2] مجمع اللغة العربية: **المعجم الوسيط**، مرجع سبق ذكره، ص 624

[3] أحمد بدر: **أصول البحث العلمي ومناهجه**، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، مصر، 1996، ط9، ص 19

4- التعصب الفكري:

التعصب، في اللغة مأخوذ من العصبية ومعناه دعوة الرجل لنصرة عصبيته والتآلب معهم على من يناوئهم ظالمين كانوا أم مظلومين، والعصبي من يعين قومه على الظلم، وهو الذي يغضب لعصبته، والعصب هم الأهل والأقارب من جهة الأب، والتعصب هو المحاماة والتحامل والمدافعة.[1]

وقال اللغويون أيضا: التعصب مأخوذ من العصبة، والعصبة هم أقارب الإنسان من جهة الأب، لأنه يحتمي بهم ويشتد بهم ويرتبط بهم، وقال بعضهم التعصب مأخوذ من العصب وهو الذي يربط مفاصل الإنسان، وكل ما يربط شيئا بشيء، أطلقوا عليه أيضا تعصب، وقالوا أيضا: مأخوذ من الشدة، ولذلك ورد في القرآن الكريم " **وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ** "، سورة هود الآية 77

إذن من حيث اللغة: التعصب مأخوذ فيه مسألة الشدة، ومسألة الارتباط، ومسألة استدارة شيء حول شيء، وكأن الإنسان المتعصب يرتبط بشيء ويتعصب له فيحكم ذلك الشيء سيطرته عليه كالعصابة التي تلتف حول رأس الإنسان.[2]

- اشتق التعصب في أصله الأوروبي من المصطلح اللاتيني **(Praejudicium)**، ويعني الحكم المسبق، وقد مرّ هذا المفهوم بعدة تغيرات في معناه إلى أن وصل إلى المعنى الحالي، وتمثلت هذه التغيرات في ثلاث مراحل هي:

- المعنى القديم: ويقصد به الحكم المسبق الذي يقوم على أساس القرارات والخبرات الفعلية.

- وفيما بعد اكتسب المفهوم في الانجليزية معنى الحكم الذي يصدر عن موضوع معين قبل القيام باختبار وفحص الحقائق المتاحة عن هذا الموضوع فهو هنا بمثابة حكم متعجل مبتسر **(premature)**.

- وأخيرا اكتسب المفهوم خاصيته الانفعالية الحالية، سواء بالتفضيل أو عدم التفضيل التي تصطحب الحكم الأولي المسبق الذي ليس له أي سند يدعمه.

- في قاموس أكسفورد يعرفه**(Hornbay1990):** " **بأنه** اعتقاد بالحب أو عدم الحب دون مبررات أو أساليب منطقية، ومن أهم أشكاله السلبية التعصب العنصري الذي يوجه ضد الأفراد أو الجماعات التي تختلف في اللون أو السلالة أو المستوى الاقتصادي.[3]

---

[1] ابن منظور محمد بن مكرم الأفريقي: **لسان العرب**،دار المعارف، القاهرة، مصر، 1981، ص2966

[2] عبير سهام مهدي: **التعصب في الفكر الصهيوني**، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، سورية، ط1، 2012، ص ص21-22

[3] رندة عبد العزيز أبو سويرح: **التعصب الحزبي وعلاقته بالاتجاهات السياسية لدى طلبة جامعة الأزهر**، كلية التربية، قسم علم النفس، جامعة الأزهر، غزة، فلسطين، 2013، ص 14

– **أما من الناحية الاصطلاحية،** لقد حظي مفهوم التعصب باهتمام الكثير من العلماء والباحثين في ميادين متعددة، كالفلسفة، علم الاجتماع، علم النفس وعلم النفس الاجتماعي، وسنقوم بعرض بعض منها نظرا لأهميتها في هذه الدراسة:

يشكل مفهوم العصبية عند **ابن خلدون،** بحق عصبا من الأعصاب الرئيسية التي تضمنتها المقدمة، والعلة في ذلك أن **ابن خلدون** جعل منه مفتاح الديناميكا الاجتماعية، فضلا على أنه أكثر استخدامه في أكثر من **500** مرة في عرضه، بعبارة أخرى فإنه لا يتسنى لقبيلة ما أن تستولي على الحكم ولا يمكن لها أن تتحضر إلا إذا زودت بالعصبية، ويقول **ابن خلدون** في هذا الصدد: " **فقد ظهر أن الملك هو غاية العصبية فالعصبية تصور يقع بين البداوة والحضارة**"، وهو عقدة إشكالية ابن خلدون الخاصة بالانتقال من طريقة إنتاج إلى أخرى، ويقدم خلدون بادئ ذي بدء هذه العصبية في حالتها الأصلية التي تكاد تكون وحشية، فالبادية أساس وقوام هذه العصبية بالإضافة إلى هذا فإن العصبية كانت في العصر الجاهلي تدل في الواقع على الترابط الدموي بين أعضاء جماعة ما.[1]

مما تجدر الإشارة إليه أن ابن خلدون لاحظ، أن تطور مصطلح العصبية هو التعصب خلال تأمله مراحل متعاقبة من التاريخ، فوحدة النسب كافية لإثارة التعصب، وإنما هي الوعي بما تعنيه هذه الوحدة ووفق هذه الفكرة فسر قوله صلى الله عليه وسلم:" **تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم** "، أي أن النسب فائدته هذا الالتحام الذي يوجب صلة الأرحام حتى تقع المناصرة والنعرة.[2]

فالعصبية غريزة التجمع والتعصب له والميل إلى القطيعة في الانتماء وإلغاء المغاير المخالف، تقوم العصبية في الأساس على النسب والقربى، ومن هنا فإن أعضاء العصبة هم إخوة في رابطة الدم وفي حالة الأيديولوجيات تتحول الأخوة من رابطة القربى إلى رابطة الأخوة العرقية أو الدينية أو القومية، ومنه تتخذ العصبية شكل " **النحن العصبي**"، المتمثل في التناصر والتعاضد والالتحام وصولا إلى حالة الدفاع عند المواجهة.

[1] عبد الغاني مغربي: الفكر **الاجتماعي عند ابن خلدون**، ترجمة/ محمد الشريف بن دالي حسين، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988، ص 86

[2] عبير سهام مهدي، مرجع سبق ذكره، ص 23

أما التعصب فيشير إلى آلية الغلو والقطيعة التي تذهب إلى حد الشطط في ادعاء الحق والكمال للذات في مقابل استنكار ما يكون غير ذلك، والتصدي للضد بالقوة وصولا إلى إخضاع الآخر في الرأي وإنكار وجوده.[1]

يعتبر التعصب ظاهرة بشرية خالصة تنتمي إلى مجال العلاقة بين إنسان وإنسان، يمكن أن يعالج بمناهج وأساليب متعددة، تبعا للزاوية التي نتأمله منها ففي استطاعة علم النفس وعلم الاجتماع والتاريخ والعلوم البيولوجية أن تلقي الضوء على ظاهرة التعصب.

- فمن منظور علم الاجتماع، وكما جاء في كتاب علم الاجتماع المعاصر **لقباري محمد إسماعيل:**

" التعصب هو اتجاه نفسي جامد ومشحون انفعاليا ولذلك فالتعصب هو موقف معاد أو اتجاه ضد فرد أو جماعة وهو اتجاه مشحون ببعض المعتقدات والأفكار والاتجاهات خاصة بالمساوئ التي يراها فرد ضد أقلية" عنصرية وللتعصب أشكاله وصوره فهناك التعصب الطبقي مثل البورجوازية والبروليتاريا، التعصب العنصري بين الأبيض والأسود في الولايات المتحدة الأمريكية، التعصب الديني ضد المسلمين، التعصب السياسي والإيديولوجي، مثل موقف اليهود والغرب والمسلمين وموقف الرأسماليين من الشيوعيين، لقد ثبت أن التعصب هو اتجاه مكتسب ومأخوذ من الوالدين أثناء العملية الاجتماعية.[2]

– أما علماء النفس الاجتماعي، فيعرفون التعصب على غرار كل **من كرتش وكرتشفيلد:** " هو تلك المعتقدات والاتجاهات المتعلقة ببعض المساوئ التي يوجهها فرد أو جماعة ضد أقلية عنصرية أو قومية ".

– يعرفه **حامد زهران:** " على أنه اتجاه نفسي حاقد مشحون انفعاليا أو هو عقيدة أو حكم مسبق مع أو ضد جماعة أو شيء أو موضوع، ولا يقوم على سند منطقي أو معرفة كافية أو حقيقة علمية وإن كنا نحاول أن نبرره، ومن الصعب تغييره أو تعديله ويجعل الإنسان يرى ما يجب أن يرى فقط، ولا يرى ما لا يجب أن يرى، فهو يعمي ويصم ويشوه إدراك الواقع ويهيأ الفرد أو الجماعة للشعور والتفكير والإدراك والسلوك بطرق تتفق مع اتجاه التعصب.[3]

– يرى **نيوكمب(NEWCOM)**، وآخرون التعصب على أنه:" اتجاه بعدم التفضيل بمثل استعداد للتفكير والشعور والسلوك بأسلوب مضاد للأشخاص الآخرين بوصفهم أعضاء في جماعات معينة ".

---

[1] مأمون طربيه: **علم الاجتماع في الحياة اليومية (قراءة سوسيولوجية معاصرة لوقائع معاشة)**، دار المعرفة، ، لبنان، ط1، 2011، ص ص98-99

[2] قباري محمد إسماعيل: **مدخل إلى علم الاجتماع المعاصر، مشكلات التنظيم والإدارة والعلوم السلوكية**، منشأة المعارف، مصر، 1988، ص 437

[3] عبد الحافظ سلامة: **علم النفس الاجتماعي**، اليازوردي، الأردن، 2007، ص 82

– كما يرى **زاندن ((ZANDEN**، أنه:" نسق من الإدراك والمشاعر والتوجهات السلوكية السلبية المتصلة بأعضاء جماعة معينة".

– يعرف **شريف** التعصب، على أنه: " موقف ضد إحدى الجماعات لا يكون لها اتصال مباشر مع الجماعة التي ينتمي إليها الفرد ويعرفه آخرون على انه: " اتجاه مكتسب، أو من تعلم ينمو مع نمو الفرد ويكون من مصادره الوالدين، أو إحداهما ولا يشترط أن كون هناك اتصال مباشر بين المتعصب والمتعصب ضده، وإن كان هناك اتصال مثلا بين الزنوج والبيض في المجتمع الأمريكي، إلا أن البيض يرون أن مطالبة الزنوج بالحقوق المدنية إنما هو تهديد للشعور بالتفوق بل وبالتسيد".[1]

– وقد عرفه **محمد عابد الجابري**، بقوله: " إنه رابطة اجتماعية، سيكولوجية شعورية ولا شعورية معا، تربط أفراد جماعة ما، قائمة على القرابة ربطا مستمرا، يبرز ويشتد عندما يكون هناك خطر يهدد أولئك الأفراد، كأفراد أو كجماعة ".[2]

من المفاهيم التي رأى فيها العلماء أنها تتداخل مع مفهوم التعصب، والتي يجب التمييز بينها وبين مفهوم التعصب: التمييز والتحيز –القوالب الجامدة النمطية–التصلب والجمود–العنصرية– التطرف.

– **التمييز والتحيز**: ورد في معجم العلوم الاجتماعية مصطلح **التمييز** بتعبير " تمايز "، ويستخدمه علماء الاجتماع للإشارة إلى الفروقات الطبقية وتم فصلها في حياة الناس اليومية وتكيفهم مع آلياتها "، وثمة من الباحثين يعنون بهذا المفهوم: "بالاتجاهات القائمة بين الجماعات، وذلك على أساس المعلومات المفترضة عن هؤلاء الأشخاص، سواء كانت اتجاهات سلبية تتسم بالنفور والتجنب والعداوة والكراهية ".[3]

– **التحيز** لغويا **(bias)**، يعني الانحياز إلى جانب نظرية أو فرضية أو تفسير معين أو الوقوف ضدها، مما يؤثر بصورة غير واعية في الحكم الذي يصدر عن الفرد، إنه اتخاذ موقف يصدر عن هوى النفس ويستبق التحقق من صحة الشيء والتدقيق في ملابساته.

- في **معجم علم الاجتماع**، يشير هذا التعبير على التجنب، الذي يعني نوع من أنواع السلوك، يتسم غالبا بطابع السلبية وعدم التعاون، وفي مواضع أخرى يشير مفهوم **التحيز** إلى: " التباعد النفسي الذي يمارسه أفراد وجماعات اتجاه بعضهم البعض، سيما إذا كانوا في مكان واحد أو مناطق سكنية متقاربة أو في

---

[1] أحمد علي حبيب:**علم النفس الاجتماعي**، مؤسسة وطنية للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2007، ص 108

[2]محمد عابد الجابري: **فكر ابن خلدون العصبية والدولة (معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي)**، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت، لبنان، ط5، 1992، ص 168

[3]مأمون طربيه، مرجع سبق ذكره، ص 80

مؤسسات عمل مشتركة "، وهذا ما بحثه رواد علم النفس الاجتماعي ضمن دراسات المسافة الاجتماعية ومدى أهمية الفرد للآخرين، كي يشاركهم الدراسة أو العمل أو الزيارات إلى غير ذلك من مختلف الأنشطة، وللتدليل على هذا نذكر مثال عن دراسة قام بها **بوجادرس** التي أراد من خلالها التعرف على مدى تقبل الأمريكي أو نفوره من أبناء القوميات الأخرى، فوجد بعد تطبيقات عديدة لتقنية بحث استطلاعية على عينة من **1725** أمريكيا، أن الأمريكيين يظهرون نوعا من التباعد تجاه الأتراك في حين يبدون نوعا من التقارب (**الانحياز**) تجاه السويديين.[1]

رغم الارتباط الشديد بين مفهومي **التمييز والتعصب**، اللذان يستخدمان كثيرا بالتبادل للدلالة على المعنى نفسه، إلا أن العلماء يرن الأمر ليس كذلك، فالاتجاهات التعصبية هي المفهوم الأمثل الذي يضم التمييز بوصفه المكون السلوكي للاتجاهات التعصبية، **فالتمييز** عبارة عن التعصب مترجما إلى سلوك فعلي اتجاه أعضاء جماعة ما بسبب عضويتهم في هذه الجماعة، بمعنى آخر، التمييز: " تعبير علني أو سلوكي عما يعتقده الفرد ويشعر به، إزاء أعضاء جماعة معينة، سواء كانت هذه الاعتقادات والمشاعر في صالح أو ضد هذه الجماعة، وإن كان ينبغي الإشارة إلى أن التمييز قد يحدث أحيانا دونما تعصب ".

هذا عن التمييز على المستوى الفردي، أما فيما يتعلق بالمستوى المؤسسي، خاصة في مجال العلاقات بين جماعات الأغلبية والأقلية، فإن **التمييز** ينقسم عموما إلى أربعة فئات رئيسية: التمييز في العلاقات الاقتصادية، وفي المعاملات والحقوق القانونية، وفي الأمور السياسية، وأخيرا في العلاقات الاجتماعية.[2]

– **القوالب الجامدة (النمطية):** غالبا ما يتداخل هذا المفهوم مع مفهوم الاتجاهات التعصبية وقد كان **ليبمان (Lipman1922)**، أول من أطلق في كتابه " **الرأي العام** " مصطلح **القوالب الجامدة** للدلالة على تلك الصور في رؤوسنا التي تزودنا بمعايير جاهزة للحكم على الأشياء ولتفسير الأحداث والتي قد لا نعلم عنها أكثر من الجزئيات ثم شاع استخدام المصطلح في علم النفس الاجتماعي للدلالة على: " إدراك مقنن إلى درجة كبيرة لكل أفراد فئة من الناس "، فنحن وبشكل طبيعي نصنف الناس الآخرين في جماعات، وننمي معتقدات عن شخصيات وقدرات ودوافع الناس في هذه الجماعات المصنفة، هذه المعتقدات الاجتماعية، إذا لم ترتبط بحقائق موضوعية، أو لم تستند إلى أي دليل منطقي عندئذ نكون بصدد القوالب الجامدة، وعلى ذلك يمكن تعريف القوالب الجامدة باعتبارها من المعتقدات التي تعزز مجموعة من الصفات لأعضاء جماعة اجتماعية، إلاّ أن هذه المعتقدات لا تكتسب من خلال الخبرة المباشرة، وليست دقيقة، إذ تتسم بالتعميم الزائد، كما تتسم أيضا

[1] المرجع السابق، ص ص93-94

[2] هاني الجزار: **في أسباب التعصب، نحو رؤية تكاملية**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ط1، 2006، ص 29

بالتبسيط المفرط والجمود نتيجة الإدراك والتفسير الانتقائيين، وبالتالي تجاهل، بل أحيانا إنكار البرهان المضاد أو إدراكه أحيانا أخرى بوصفه مؤيدا للفكرة المسبقة، وبذلك تشكل القوالب الجامدة المكون المعرفي المركزي في الاتجاهات التعصبية، ومن ثم تقدم الأساس اللاّزم للاتجاه التعصبي.[1]

-**التصلب والجمود:** يشير مفهوم التصلب إلى مقاومة التغيير بالنسبة للأنساق الكلية للمعتقدات، ذلك أن الجمود يعتبر خاصية لنسق المعتقدات تعوق صاحبها عن أحداث التغيير، والجمود يتشكل من عدة خصائص منها: إنه طريقة منغلقة على التفكير، ترتبط بإيديولوجية بصرف النظر عن مضمونها، وعدم تحمل الأشخاص الذين يختلفون أو يعارضون المعتقدات الخاصة بأصحابها وتسامح مع الأشخاص الذين يعتنقون معتقدات مشابهة.[2]

يؤكد **دكت** سنة **2000**، على أن الجمود الفكري يشير: " إلى درجة مقاومة الأفكار الجديدة، ودرجة تقييم المعايير بمعايير مسبقة، ويفترض أن هذا النمط الخاص من الوظائف المعرفية هو سبب التعصب وعدم التحمل، وكلما زاد الجمود الفكري في بناء معتقدات الشخص، يزيد استعداد الشخص لرفض وكراهية الأشخاص والجماعات الخارجية التي لا تشاركه هذه المعتقدات ".[3]

إذن ومن خلال التعاريف، توضح لدينا أن هناك علاقة ارتباط بين التعصب والجمود الفكري، وقد أوضح مقياس الجمود الفكري الذي أعده **روكيش** ارتباطات منتظمة إيجابية مع مقاييس التعصب والتمركز العرقي، وقد أوضحت بحوث **إلسفر ينكيل – برونزيك(1949)**، أن التفكير الجامد يسهل نمو التعصب، فقد وجد أيضا أن الأفراد الذين يتصفون بالتفكير النمطي الجامد يميلون أيضا إلى أن يتصفوا بالتعصب، وذكرت **حنان خوخ** سنة

---

[1] المرجع السابق، ص 30

[2] عبد الله صافي: علاقة **التعصب بسمتي السيطرة والاجتماعية لدى عمال المحروقات (شركة سوناطراك قسم الإنتاج المديرية الجهوية بحاسي رمل)**، أطروحة ماجستير، تخصص علم النفس العمل والتنظيم، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، الجزائر، 2007، ص 45

[3] أماني بنت محمد بن سعد الدوسري: **العلاقة بين الجمود الفكري والمسؤولية الشخصية الاجتماعية لدى عينة من عضوات هيئة التدريس بجامعة ام القرى في ضوء بعض المتغيرات الديمغرافية**، أطروحة ماجستير، تخصص شخصية وعلم النفس الاجتماعي، كلية التربية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 2011، ص ص12-13

2008، أن التعصب وليد الجمود الفكري، فهما يتشابهان في النسق المعرفي، وهو الانحراف عن معيار العقلانية المتمثل في تشبث الفرد المتعصب لأفكاره.[1]

– **العنصرية:** من أكثر المفاهيم التي تتداخل ومفهوم التعصب إلى حد سيادة الاعتقاد، بأن التعصب لا يعني سوى العنصرية، وربما يرجع ذلك إلى الجزء الأكبر من الأدب السيكولوجي الخاص بالتعصب، وهي تمثل أكثر ما عانت منه البشرية، غير أن العنصرية أو التعصب العنصري كما يعتبرها السيكولوجيون ليست إلاّ شكلا من أشكال الاتجاهات التعصبية إلى جانب الأشكال الأخرى العديدة.[2]

يشير **دكت**، إلى أن العنصرية أيديولوجيا تؤكد على سيادة عنصر أو استغلاله لعناصر أخرى، وتشمل هذه الإيديولوجيات:

- إطار للاعتقادات في التدني البيولوجي والثقافي لعنصر معين.
- استخدام مثل هذه الاعتقادات في تبرير المعاملة غير العادلة لأفراد هذه الجماعة.

وهكذا ترتكز العنصرية على ثلاث أسس:

- الأول: أن الإنسانية لا ترتد إلى سلالة واحدة، بل إلى عدد من السلالات.
- الثاني: أن هذه السلالات ليست متساوية في خصائصها، بل أن بعضها يتفوق على البعض الآخر.
- الثالث: بل أن مظاهر الحضارة والرقي ترتبط بخصائص السلالات.

وعلى هذا فالجماعات المرشحة لصنع الحضارة، هي الجماعات الأرقى وليس على الجماعات الأخرى (الأدنى)، إلاّ أن تظل تابعة أو خادمة للسلالات الأرقى وليس لها أن تتطلع إلى نفس المكانة.

فالعنصرية أو التعصب العنصري كما يعتبرها السيكولوجي، ليست إلاّ بعدا من أبعاد الاتجاهات التعصبية إلى جانب الأبعاد العديدة الأخرى.[3]

- **مفهوم التطرف:** يعتبر من المفاهيم التي يصعب تحديدها، وترتبط هذه الصعوبة بالمعنى اللفظي والذي يشير إلى أنه تجاوز حد الاعتدال، وهو معنى نسبي يختلف من زمن إلى آخر ومن مجتمع إلى أخر وفقا لنسق القيم السائدة فيه، فما يعتبر تطرفا في زمن ما، قد لا يكون مقبولا في زمن آخر، وما ينظر إليه على أنه تطرف في مجتمع ما قد يكون مألوفا في مجتمع آخر، و معناه مجاوزة الوسط في كل شيء، في

---

[1] وفاء مصطفى محمد عليان: **الجمود الفكري وقوة الأنا وعلاقتهما بجودة الحياة لدى طلبة الجامعات في محافظات غزة**، أطروحة ماجستير، تخصص علم النفس، كلية التربية جامعة الأزهر غزة، فلسطين، 2014، ص ص21–22

[2] نبيلة عبد الكريم الشرجبي: **علم النفس الاجتماعي رؤية معاصرة**، دار الأيام للنشر والتوزيع، عمان الأردن، 2015، ص 220

[3] سامح ممدوح حامد عبد الرؤوف: **الاتجاهات التعصبية وعلاقتها ببعض الأساليب المعرفية (التروي والدوجماطيقية)**، أطروحة ماجستير، تخصص علم النفس، كلية الآداب، جامعة المنصورة، مصر، 2007، ص 51

الاعتقاد والسلوك والآراء، ومجاوزة الوسط قد يكون بالإفراط والعنف يولد التطرف، وقد يكون بالتفريط والإهمال فيولد الانحلال والتسيب، وكلا الطرفين مذموم شرعا وعقلا، وهذا التحديد البسيط ذو نسب قوي بالمدلول اللغوي لكلمة التطرف في أصلها الاشتقاقي وبالجذر اللغوي.[1]

ويعرف التطرف عادة بأنه مجاوزة الاعتدال، ويعرف الاعتدال بأنه لزوم الوسط بين طرفين أو بين شيئين متناقضين، والتطرف إذن هو انزواء وابتعاد والأخذ بطرف واحد وإهمال أو إنكار باقي الأطراف، والمتطرف يحصر الصواب في الطرف الذي اختاره وحده دون غيره، وبالتالي يهمل الباقي ويقصيه، فإنه بذلك يمارس عدوانا على الأشياء وتعسفا في الأحكام معتبرا ذلك صوابا ومعرفة، رافضا الحوار والموقف العقلاني قوامه الحوار، ومنه **التطرف** يعتبر ظاهرة إنسانية لا تخلو منها أية ثقافة وقد يتسم به فرد أو جماعة.[2]

لم يعد يقتصر **التطرف** على المجال الديني فحسب، بل أصبحنا نلاحظه في مختلف مجالات الحياة اليومية، حيث أصبح سمة من سمات العلاقات، ولعل ابرز مجالات التطرف، هو التطرف الفكري، حيث قد يكون تطرف في الفكر وحده، إذا لم يكن معه سلوك متأثر به، وقد يكون في السلوك وحده مع استقامة الفكر، وقد يكون فيهما ما لا يقتصر على مجال دون غيره، إذن أصحاب الفكر **المتطرف** لا يقبلون الحوار والرأي الآخر، يرتبط التطرف بمحاولة أقلية جامدة فكريا أن تفرض رؤيتها وأسلوبها في التفكير على الأغلبية، ومثل هذا الغلو والتطرف يولد مشاعر متزايدة من الإحباط والكبت وفقدان الثقة.[3]

تتداخل عدة مفاهيم مع مفهوم التطرف، كالانحراف أو الجريمة، فالجريمة بالمعنى السوسيولوجي هي خروج عن القواعد الاجتماعية أو القانونية بسلوك مناقض لما تقضي به هذه القواعد، أما التطرف فهو حركة تبدأ في حدود القواعد الاجتماعية والقانونية ثم يبالغ في حركته حتى يتجاوز مداه الحدود التي يرتضيها المجتمع، فالسلوك المتطرف أو المنحرف يتفقان في اعتبارهما سلوكا يخرج عن نطاق القيم والمعايير السائدة في المجتمع الواحد، إلا أنهما يختلفان في أن الانحراف سلوك معاكس ومنذ بدايته فهو يمثل انحرافا عن القيم والمعايير المجتمعية السائدة، أما التطرف فهو سلوك متطرف في اتجاهه نحو رفض القيم والمعايير السائدة، والانحراف سلوك مرفوض من باقي فئات المجتمع، أما التطرف فهو سلوك قد يحظى فيه المتطرف بتعاطف بعض فئات المجتمع وتضامنها.[4]

---

[1] محمد السيد الجليند: **الأصولية والحوار مع الآخر**، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1999، ص 22

[2] محمد عابد الجابري: **المسألة الثقافية في الوطن العربي**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط 2، 1999، ص ص125-126

[3] حسين عبد الحميد أحمد رشوان: **التطرف والإرهاب من منظور علم الاجتماع**، مؤسسة شباب الجامعة، مصر، 2002، ص ص18-19

[4] محمود الجوهري وآخرون: **علم الاجتماع والمشكلات الاجتماعية**، دار المعرفية الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1998، ص ص237-238

منه فإن **التعصب** من أهم دلائل التطرف، حيث يعبر عن التصلب والتشدد لما يعتنقه الفرد من أفكار ويؤدي غالبا إلى الانعزال عن الفكر السائد في المجتمع، ويغلق باب الحوار والفهم المتبادل وعدم تقبل ما يستجد من أفكار، كذلك يعتبر التعصب مقدمة للعدوان، فهو يقدم التبرير المنطقي أو الشحنة الانفعالية التي تحث الفرد على ارتكاب سلوك عدواني نحو الآخر، ويذهب علم النفس الاجتماعي، إلى تعريف العدوان بأنه: أي سلوك يصدره فرد أو جماعة صوب الآخرين أو صوب ذاته لفظيا كان أم ماديا، إيجابيا كان أم سلبيا، مباشر أم غير مباشر أملته مواقف الغضب أو الإحباط أو الدفاع عن الذات و الممتلكات أو الرغبة في الانتقام أو الحصول على مكاسب معينة، ترتب عليه إلحاق أذى بدني أو مادي أو نفسي بصورة متعددة بالطرف الآخر.[1]

- من خلال التعاريف السابقة، يتبين أن التعصب كمفهوم أخذ حيزا كبيرا من اهتمام الباحثين والعلماء، فقدموا تعاريف مختلفة كل من منظوره المعرفي ومن زاوية تخصصه، فمن جانبنا حاولنا ان نستنتج مما سبق وحسب موضوع وأهداف دراستنا مفهوم للتعصب الفكري، والذي تمت صياغته كاللاتي: " **هو اتخاذ موقف، سواء بالرفض أو القبول، دون الاستناد إلى دليل أو حجة أو مبرر منطقي، اتجاه القضايا الفكرية، رغم ما يتصف به العلم من خصائص أهمها عدم التسليم بيقينية المعارف العلمية، خاصة في مجال البحث السوسيولوجي ، كون موضوع دراسته هو الإنسان، ذلك المركب النفسي الاجتماعي المعقد والمركب ، يتخذ المتعصب فكريا موقفا عدائيا اتجاه كل من يخالفه الرأي أو الفكر، ويظهر ذلك العداء في شكل صراعات ضمنية وعلنية انعكست على سير البحث العلمي التشاركي والجماعي، بمعنى عدم قدرة هذا الأخير على الحوار وتقبل الرأي الآخر**".

سادسا: منهج الدراسة:

يحدد أصحاب المنطق مفهوم المنهج في أنه " فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة، إما من أجل الكشف عن الحقيقة، حين نكون بها جاهلين، أو من أجل البرهنة عليها للآخرين، حين نكون بها عارفين "، والمنهج بمعناه الاصطلاحي:" هو الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم، بواسطة طائفة من القواعد العامة تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة".[2]

اعتمدنا في معالجة هذه الدراسة على منهج التحليل النقدي، وفقا لمبررات منطقية، أهمها طبيعة الموضوع،

[1] المرجع السابق، ص 238

[2] عبد الرحمن بدوي: **مناهج البحث العلمي**، وكالة المطبوعات، الكويت، ط3، 1977، ص ص4-5

حيث تنتمي الدراسة لحقول معرفية متنوعة هي: علم الاجتماع، علم النفس الاجتماعي، فلسفة العلوم، نظرية المعرفة، هذه الأخيرة تبحث في إشكالات ابستمولوجية متعددة، لأن البحث في طبيعة المعرفة، ومصدرها وطرق الحصول عليها، لازالت محل نقد ابستمولوجي مستمر من طرف المفكرين.

لقد أخذ النقد الابستمولوجي على عاتقه نقد الإنتاج العلمي أو تحديد وضعية أي علم، كذلك إبراز ومعرفة الأسس الابستمولوجية التي تنطلق منها العلوم، يبحث عن العوائق التي تعترض تطور وتقدم العلوم، كما يهدف أيضا إلى نقد النظريات السائدة لفهم الواقع، لأنه وليس من باب المبالغة أن الفكر النقدي ظهر لإحداث القطيعة مع الفكر الدوغمائي والإيديولوجي، فمن مميزاته أنه ينطلق دائما من الحاضر، وهو مستعد للتخلي عن فرضياته إذا ما أثبت الواقع خطأها، وهو أيضا فكر شكاك، لأنه فكر يعرف جيدا أن الواقع أكثر تعقيدا مملوء بالمفاجئات والانقطاعات.

انطلقنا في تحليلنا لأزمة السوسيولوجيا العربية، من إشكالية معرفية وهي أزمة الفكر العلمي الغربي و العربي لكن الأزمة مطروحة بأكثر حدة على الساحة العربية، لأنه ولحد الآن لم تتوصل السوسيولوجيا العربية إلى إحداث ثورة معرفية حقيقية على مستوى المناهج والأدوات والنظريات، فالدراسات والبحوث بالدول العربية، لازالت تعالج وفق أسس وقواعد علمية أسسها الأوائل بالتحديد ما حققته السوسيولوجيا الغربية، الأمر الذي يستدعي توسيع عملية حوار فكري موسع بين مختلف تخصصات العلوم الاجتماعية، لأنه بالحوار العلمي الجاد والهادف فقط يمكن أن نتعرف على أسباب أزمة السوسيولوجيا العربية، التي يقر بها ويعترف بها أعمدة الفكر السوسيولوجي في الوطن العربي وحتى الغربي، والأزمة لا تخص السوسيولوجيا فقط، فهي تنطبق حتى على المعارف الطبيعية والتقنية.

وجه للفكر العربي انتقادات من طرف الكثير من المفكرين، أبرزهم **محمد عابد الجابري، محمد آركون، جورج طرابيشي علي حرب، برهان غليون**... الخ، يرجع كل واحد منهم أزمة الفكر العربي إلى أحد العوامل، منهم من ركز على العوامل الثقافية، وآخرون ركزوا على عامل التراث، ومنهم من اعتبر الدين المتسبب الرئيسي لهذه الأزمة، وكذلك العوامل السياسية...الخ، ورغم هذه الانتقادات التي ترجمت في أعمال فكرية ضخمة، على غرار ما قدمه ال**جابري** في سلسلة مؤلفات تمحورت حول فكرة أساسية واحدة وهي (**أزمة العقل العربي**)، إلاّ إن الفعل المعرفي للنخب العربية وباعتراف تقارير عربية ودولية لم يرتق بعد إلى مستوى الإنتاج المعرفي الغربي الذي يتصف بالتجديد والإبداع، فنتج عن أزمة الفكر العربي، أزمة الفكر السوسيولوجي، حيث حاولنا الحفر عميقا في جذور الأزمة بالتطرق للعديد من المساهمات العربية والوطنية،

حتى نتعرف إلى أي حد استطاع العقل العلمي للباحث السوسيولوجي أن يبحث أكثر في عمق الأزمة، قليلة هي الدراسات التي حاولت أن تبحث في الجانب الابستمولوجي للمشكلة.

إن تحليل الوضعية الحالية لعلم الاجتماع في الوطن العربي، تقودنا إلى طرحها على المستوى المؤسسات الأكاديمية، خاصة فيما يخص الإنتاج العلمي للمؤسسة الجامعية، ومقارنتها بما أنتجه مراكز بحث عربية وغربية، أين استطاعت هذه المؤسسات أن تحقق قفزة نوعية في البحث السوسيولوجي، فكثيرة هي الملتقيات والندوات التي طرحت أزمة علم الاجتماع في الوطن العربي، في محاولة لإعادة تأسيس علم الاجتماع جديد يكون قادرا بمناهجه وأدواته ونظرياته، على حل مشاكل المجتمعات العربية المتراكمة، لذلك ينطلق الباحثون في نقدهم للمعرفة السوسيولوجية، من مبررات وجود هذه المعرفة وشروط إنتاجها، إذا كانت المعرفة بشكل عام عبارة عن شكل من أشكال التفكير الإنساني، فإن أي تأخر أو تراجع في تطور المعرفة، مرده إلى تعطل هذا الفكر في إنتاجها، فلا يقتصر البحث في أزمة السوسيولوجيا على البحث في إشكالياتها المنهجية ونقد نظرياتها، بل البحث عن الشروط الابستيمية لقيامها ومدى وعي الفكر بواقعه لإنتاجها، لقد سبق وإن اهتم بهذا الموضوع علماء ومفكرين في محاولة لنقد المعرفة السوسيولوجية والخروج بمنهج نقدي يسمح بتفكيك هذه المعرفة ومعرفة خلفياتها النظرية وبالتالي إعادة بنائها بما يتلائم والواقع الذي تدرسه [1]

ويضيف **محمد عزت حجازي** قائلا: " أن النظرة التحليلية النقدية لواقع العلم، تنتهي بنا إلى أنه يمر بأزمة، فقد نشأ وتطور، ومازال هزيلا لا يوفر مقولات نظرية خصبة قادرة على الإيحاء بأفكار تعين على النماء والتجدد، ومناهج يمكن أن تقود إلى نتائج صلبة، كان ومازال منعزلا ومغتربا عن الواقع الاجتماعي الحي ... " [2]

لقد أرجع محمد **عزت حجازي**، أزمة علم الاجتماع إلى المشتغلين به، وقد نتفق مع هذه الرؤية، التي حاولنا نحن بدورنا أن نركز على المشتغلين بعلم الاجتماع بالتساؤل حول: **إلى أي حد ساهم الباحث في العلوم الاجتماعية في تطور حدة الأزمة؟**

---

[1] يوسف حنطابلي: **إشكالية السؤال السوسيولوجي في الفكر العربي المعاصر، الواقع العربي بين ماضي الأنا وحاضر الآخر، (دراسة تحليلية نقدية)**، أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع، تخصص ثقافي، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 1 (يوسف بن خدة)، الجزائر، 2008، ص ص43-47

[2] محمد عزت حجازي: **الأزمة الراهنة لعلم الاجتماع في الوطن العربي، نحو علم اجتماع عربي: علم الاجتماع المشكلات الاجتماعية والمشكلات العربية**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان ط1، 1986، ص 13

ولفهم طبيعة الأزمة، وبالاعتماد على المنهج النقدي التحليلي، نموذجنا الذي نقتدي به حول أهمية النقد ودوره في طرح الإشكاليات الراهنة بصورة جديدة ومتجددة، هو المدرسة النقدية المتمثلة فـي (مدرسة فرانكفورت)، أن نوجه النقد لطبيعة المنتوج الفكري السوسيولوجي بالعالم العربي، وذلك بتتبع المسارات التاريخية التي تطور فيها علم الاجتماع بالعالم العربي، وهل وفقت المعرفة السوسيولوجية الحالية في تحقيق نظرة تكاملية للظاهرة الاجتماعية بالعالم العربي، ثم كان لنا ان نقارن بين وضعية السوسيولوجيا العربية ذات المنشأ الغربي، بالسوسيولوجيا الغربية ذات المنشأ الأصلي، الأمر الذي أدى بنا إلى طرح السؤال التالي: هل أثر منشأ السوسيولوجيا بأدواتها ونظرياتها ومنهجياتها، على السوسيولوجيا العربية نظريا وعمليا؟ وهي أحد الاشكاليات التي طرحت ولازالت تطرح بشدة على المفكر العربي، وهل البدائل التي بدأت تأخذ طريقها في الإنتشار لحل الأزمة وجدت لنفسها مؤيدين؟ وهل استطاع أصحاب هذا الاتجاه أن يقدموا نظرية متكاملة مستوفية كل الشروط التي تبنى عليها النظريات العلمية، أن تؤسس فعلا لسوسيولوجيا عربية حديثة؟

لذلك نحن نطرح الأسئلة التالية: إذا كنا نملك عقولا فكرية منتشرة على قدر شساعة مساحة الوطن العربي، أليس باستطاعتها تشخيص الأزمة في محاولة لإيجاد حلول لها؟ أم أن هذه العقول هي الأخرى تتميز بفكر تعصبي لإيديولوجيات وتوجهات فكرية معينة؟

الأمر الذي قادنا أن نبحث في موضوع التعصب وما علاقته بتطور البحث العلمي، فعملية النقد توجه أولا للمشتغلين بالسوسيولوجيا حسب **محمد عزت حجازي**، لأنهم هم من يفكر ويبدع، ويبرهن على أفكاره بالأدلة والبراهين، فالعملية تبدأ منه وتنتهي إليه، قبل نقد النظريات والمناهج والأدوات، فالأزمة في الأصل تعود إلى أزمة الفكر العربي ورغم ما طرح من مبادرات لفهم أزمة الفكر العربي، نحن نظن أننا مازلنا بعيدين عن التشخيص الحقيقي للأزمة، لذلك فرض علينا أن نتحدث على الحوار وكيفية إرساء ثقافة الحوار وتعزيزها بين الباحثين والمفكرين، فاطلاعنا على بعض الحوارات الفكرية بين قامات الفكر العربي، وجدنا أنها تنتهي بالخصام والتجريح والتشكيك في الهوية الوطنية، لذلك لابد من تضافر الجهود، بمعنى توحيد الرؤى والاتجاهات عن طريق عملية الحوار الفعال والجاد بين المشتغلين في حقل السوسيولوجيا، لأن الاختلاف في وجهات النظر لا يمكن أن يؤسس لعلم اجتماع قادر على معالجة مشكلات المجتمع العربي المتراكمة والتي ازدادت تراكما في السنوات الأخيرة، والباحث السوسيولوجي يشاهد المنظر من بعيد كغيره من الناس العاديين، وخير دليل ما تعيشه الجامعة من مشكلات على مستوى البحث العلمي، والباحثين منقسمين إلى صنفين منهم من يندد دون أن يقدم حلولا، ومنهم من يتفرج لأن الوضع على ما هو عليه لا يشكل له قلقا معرفيا.

لذلك فمعالجة هذا الموضوع وفق المنهج النقدي التحليلي، بالاعتماد على مؤشرات خاصة بالبحث العلمي الأكاديمي، هو الأنسب للكشف عن طبيعة الحوار الفكري بالفضاء الجامعي، وإلى أي حد يؤثر التعصب على مسار تطور المعرفة السوسيولوجية؟

ونظرا لطبيعة الموضوع تم توظيف المنهج الإحصائي كمنج مساعد، باعتباره منهج كمي، بإمكانه أن يقدم لنا دلالة توضيحية عن بعض المؤشرات، فيما يتعلق بواقع البحث العلمي، خاصة على مستوى البحث السوسيولوجي بالعالم العربي والجزائري.

الفصل الثاني: قيمة الحوار: إنسانيا وحضاريا

أولا: الحوار الفكري والعلاقة بين الأنا والآخر

1- الحوار: أهميته – أهدافه – أنواعه

2- آداب وأخلاقيات الحوار

3- معوقات الحوار

4- دراسات اهتمت بموضوع الحوار

5- مناقشة الدراسات المتعلقة بموضوع الحوار

6- إشكالية العلاقة بين الأنا والآخر (صراع أم حوار أم تعارف)؟

ثانيا: ثقافة الحوار الفكري في الفضاءات العلمية والبيداغوجية

1- الأصل في ثقافتنا الحوار مع الآخر

2- مصادر ثقافة الحوار

3- مظاهر ثقافة الحوار لدى النخب العربية

4- أهمية تعزيز ثقافة الحوار بالفضاء الجامعي

الفصل الثاني: قيمة الحوار: إنسانيا وحضاريا

نحاول من خلال هذا الفصل، إظهار قيمة الحوار في الحياة الإنسانية، باعتباره المدخل الرئيسي للحفاظ على الحياة البشرية في كل أبعادها الإنسانية والثقافية والروحية والاقتصادية والاجتماعية، وتقدم العالم وتطوره، وازدهاره وأمنه واستقراره وتنميته، وأهم العناصر التي سنحاول أن نكشف من خلالها، قيمة الحوار الإنسانية والحضارية، أولا البحث، عن ماهية الحوار في أدبيات العلم بمختلف تخصصاته، من علم الاجتماع إلى علم النفس، والفلسفة وكذلك الدراسات الإسلامية، ثم نعرج على أهم الدراسات التي عالجت موضوع الحوار في المؤسسات التعليمية بالتركيز أكثر على المؤسسة الجامعية لأنها محور هذه الدراسة، بعدها نبحث في طبيعة العلاقة بين الأنا والآخر لأنهما يشكلان أساس عملية الحوار، وللاستدلال على ذلك نطرح أهم الإشكاليات بين الأنا العربي والآخر الغربي تعتبر من السجالات الفكرية الحديثة و التي أحدثت جدلا واسعا بين الطرفين الإسلامي والغربي، أما ختام الفصل سيكون التعرف على مظاهر ثقافة الحوار على مستوى النخب العربية، كذلك الكشف عن أهمية ترسيخ ثقافة الحوار في الفضاء الأكاديمي.

أولا: الحوار الفكري والعلاقة بين الأنا والآخر

1- الحوار: أهميته – أهدافه – أنواعه:

1- 1. أهمية الحوار:

مما لاشك فيه أن للحوار حاجة ماسة وضرورية لكل مجال من مجالات الحوار العامة، سواء لرجل الدعوة ولطالب العلم والسياسي والاقتصادي والإعلامي هذا على المستوى الداخلي أو المحلي وكذلك على المستوى الدولي، فالظروف الراهنة التي يعيشها العالم المعاصر سببها التباين في الأفكار والمواقف والاتجاهات وهي تحتاج إلى الدعوة للحوار للوصول إلى صيغة لتحقيق التعايش بين بني البشر، على أساس من احترام الآخر والأسباب التي تؤكد أهمية الحوار وضرورته لا تخرج في مجموعها عن أسباب ترجع إلى طبيعة البشر، كما أن الظروف الاجتماعية والسياسية لها من الآثار الكبيرة في نشأة الاختلاف والصراع بين بني البشر وهي قد ترجع إلى عامل نفسي أو خلقي أو فكري أو علمي، فأما الأسباب التي ترجع إلى طبيعة البشر وتؤدي إلى الاختلاف بينهم تتفاوت في قدرات البشر ومداركهم في الفهم والاستدلال وطبيعة التفكير.[1]

[1] سناء محمد سليمان: **فن وأدب الحوار بين الأصالة والمعاصرة**، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2013، ص ص67-68

وترجع أهمية الحوار باعتباره نافذة لتبادل الأفكار بما يحقق العديد من الأمور الهامة فهناك فوائد تعود على المشارك في الحوار:

- معارف جديدة ومعلومات أكثر حول الموضوع محل الحوار والاطلاع على ثقافات وأنماط مختلفة من الفكر.
- كسب خبرات في طرق العرض ومهارات الإقناع والاستماع والاتصال.
- معرفة أماكن قصوره ونقاط ضعفه سواء حول خلفيات الموضوع محل الحوار، أو في مهارات الاتصال والحوار والدفع لملء هذه الفراغات ونقاط الضعف.
- وهناك فوائد تعود على الموضوع محل الحوار:
- نشر الموضوع محل الحوار وعمل رأي عام حوله.
- شرح الموضوع محل الحوار وتوضيحه وإزالة اللبس حول بعض نقاطه.
- إثراء الموضوع وتطويره نتيجة لاختلاف الأفكار ومزجها.
- جذب مؤيدين وحشد الآراء لمناصرة الموضوع والاقتناع به.[1]
- بالإضافة إلى فوائد عامة تتمثل في:
- التعرف على أسلوب راقي في الحديث للوصول إلى الهدف المنشود.
- يثري الحوار السامع والقارئ والرائي بأفكار تطرح أمامه بالحجة والبرهان، فيعتاد التفكير السليم والأسلوب الراقي.
- الحوار أثبت في النفس، فالمتابع يشغل أكثر من حاسة في فهم أبعاد الحوار.
- قد يكون الحوار بين أصلين مختلفين كالإيمان والكفر، وقد يكون في أمر واحد وفكر واحد فيه دقائق بشرى المتابع، فيعلمه الدقة في الاستنتاج واللذة والإمتاع.
- أما أهمية الحوار والتواصل في عملية التعلم فيتمثل في:
- يعتبر هذا النوع من الحوار الأكثر انتشارا بين الناس ليس في المدارس والمعاهد والجامعات فحسب بل في المنزل بين الآباء والأبناء، وبين الإخوة الكبار والصغار وبين الجيران وفي أماكن العمل بين المعلم والصبي.

[1] المرجع السابق، ص ص68-69

- أما في المدارس والمعاهد فهناك أصول معتمدة في التدريس وهناك مدرسون مؤهلون غالبا، غير أن طرق التدريس وأساليبه تختلف باختلاف المكان والزمان والنظريات، على أن معظم الطرق المتعارف عليها ولاسيما الحديث عنها يعتمد على إثارة نوع من الحوار حول المواضيع المقررة بين المدرس وطلابه ليتوصلوا بمساعدة المدرس إلى النتائج المطلوبة، وهكذا نجد أن الحوار من أهم الوسائل وأكثرها انتشارا في مجال التعليم واكتساب الخبرات.[1]

من فوائد الحوار أيضا أنه يربي الإنسان على طريقة حضارية في حل النزاعات الناشبة بين أفراد جنسه ويجنبه الطرائق الوحشية ويرفعه إلى مستوى احترام الإنسان والإنسانية جمعاء وإلى هذا وذاك، فإذا كان الحوار يسمح بتبادل الأفكار ونقدها، فإنه يفعل أكثر من ذلك إنه يولد الأفكار الجديدة، وبالتالي فالحوار يولد الحقيقة ومن ثم يساهم في إعداد النوع البشري كله قديمه وحاضره ومستقبله، فهي تبنى على أساس التكامل والتقارب فيما بين كل أجزائها المتواجدة على مستوى كل شخص منا، لا شك أن أفضل النعم التي يمكن للحوار أن يولدها، والتي يبتغيها الإنسان العاقل، هي نعمة السلام، بكل ما تعنيه الكلمة من مدلول، السلام بين الطبقات الاجتماعية، وبين الأمم وبين الغرب والعالم الثالث، وبين الإيديولوجيين يبنى أيضا بالحوار، هذا الأخير إذا تم في إطار إنساني وعلى مستوى كل التبادلات الدولية: سياسية وعلمية واقتصادية، وسياحية وتعاونية ... إن هذه المستويات ستكون الضامن الأكبر للسلام، سيحقق الحوار داخل البلد الواحد أو الأمة الواحدة، أو بين الأمم مبدأ إنساني هام، وهو مبدأ الشورى، أو ما يعرف اليوم بمبدأ الديمقراطية، فتحقيق الشورى أو الديمقراطية بين الأمم يضمن التجانس والتعاون ويبعد شبح الحروب والنزاعات المدمرة وشبح المجاعات والأمراض، ومنه يتبين أن الحوار إذا وضع في إطاره الإنساني السليم وطبق في جميع المجالات وفي كل الأوقات، فهو يعكس وبكل بساطة وبكيفية سليمة الطبيعة البشرية الفطرية التي تأبى الثبات، فيه تبني البشرية مجتمعها ومصيرها المشترك ومن دونه ترهن مصيرها ومستقبلها.[2]

ويمكن تلخيص أهمية الحوار بمجموعة من الفوائد على مستوى مؤسسات التنشئة الاجتماعية:

- الحوار على مستوى الأسرة التي تعتبر نواة المجتمع: أولا على مستوى الزوجين، يقوي المحبة والمودة بينهما، كما أن الحوار في مختلف المواضيع العلمية والثقافية والدينية يوسع دائرة معارف كلا منهما، ويقوي الصلة بينهما، وهنا يجب أن نشير حول أهمية تقارب المستوى بين الزوجين، والغرض من هذا الحوار هو حل المشاكل

[1] المرجع السابق، ص ص69-70

[2] مناد طالب: **مشكلات فلسفية نهضوية معاصرة**، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص ص30-31

التي قد تقع بينهما التي مهما كان حجمها، فإنه يمكن حلها بالحوار، أما أهميته مع الأبناء، فتتمثل في معرفة مشاكل الأبناء، حيث يمكن للآباء مساعدتهم لحلها، وإعطائهم الفرصة لحل مشاكلهم، التقرب أكثر منهم لفهمهم

وفهم طريقة تفكيرهم، تعويدهم على الجرأة، ولن يتم كل ذلك، إلاَ إذا كانت قنوات الحوار مفتوحة بين الطرفين.[1]

وهذه الأهمية تدعمها نتائج العديد من الدراسات، على غرار دراسة الباحثة/**كروش كريمة** الموسومة بـ **(الحوار بين الآباء والأبناء)**، توصلت الباحثة إلى نتيجة مفادها، أن الأسرة من أهم المؤسسات الاجتماعية البارزة في تنشئة الفرد وبناء شخصيته عبر مختلف مراحل عمره، فالتربية السليمة هي التي تعود الطفل على حرية التفكير وتعلمه أساليب النقد والمناقشة واتخاذ القرارات بعقل واع وروح رياضية عالية، بدلا من تعليمه الخضوع والطاعة العمياء لآراء الآخرين دون نقاش.[2]

ودراسة أخرى تشيد بأهمية الحوار داخل الأسرة، ما توصلت إليه الباحثة/**حورية بدرة** من خلال دراستها الموسومة: بـ **(الحوار الأسري وعلاقته بالقيم الاجتماعية)**، أن الأسرة التي يسودها جو من الحوار الهادئ والبناء بين أفرادها، يمكن أن يؤدي إلى غرس أو نمو قيم إيجابية متنوعة ومتوازنة لديهم، فهو صمام الأمان الذي يحمي العلاقات الأسرية، ويحافظ على توازن شخصية أفرادها ويهيأ الأجواء السليمة لغرس القيم المختلفة مما يساعدهم على مواجهة مختلف التحديات في المجتمع.[3]

- الحوار على مستوى المؤسسات التعليمية: وتتجلى أهمية في كل أطوارها، في علاقة الإدارة والمعلمين، مفيدة في تنظيم العمل وتطبيق النظام، ويمكن عن طريقه تبادل الخبرات والمعلومات وحل المشكلات التي قد تحدث داخل المدرسة، والحوار بين المعلمين والأساتذة يقوي العلاقات الاجتماعية، ويساهم بشكل فعال في تنمية مهارات التلاميذ وينمي تفكيرهم، وللحوار بين المدرسة وأولياء الأمور فوائد منها: معرفة مشاكل الطلاب من أجل حلها، وتنمية مهارات الطلاب والمساهمة في تعليم وتثقيف أولياء الأمور.
- الحوار على مستوى المجتمع: فإن فوائده متعددة الجوانب ويكون على مستويات عدة، أولا فهو يساهم في نشر العلم بينهم، وتحقيق مبدأ التناصح ويساهم في تخفيف ضغوط الحياة، والحوار بين الجيران مفيد في جانب التعلم

---

[1] خالد بن محمد بن وصل المغامسي: **الحوار آدابه وتطبيقاته في التربية الاسلامية**، أطروحة ماجستير، تخصص تربية إسلامية، كلية التربية بمكة المكرمة، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 2002، ص 245

[2] كروش كريمة: **الحوار بين الآباء والأبناء**، أطروحة ماجستير، تخصص إرشاد وتوجيه، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة السانيا وهران، الجزائر، 2011

[3] حورية بدرة: **الحوار الأسري وعلاقته بالقيم الاجتماعية (دراسة ميدانية على عينة من تلاميذ الثانوية)**، مجلة العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة الجزائر، العدد 09 ديسمبر 2012، ص 127

وفي جانب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويمَكِّن الحوار الإصلاح بين الجيران، أما الحوار على مستوى علاقة القائد بالشعب، فيمكن أن يحقق مبدأ التشاور، الذي يعتبر أساس الديمقراطية في التخطيط لمصير المجتمع نحو مستقبل أفضل اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا وسياسيا، فالتنمية للجميع يجب أن يساهم فيها الجميع. ومنه لا يمكن أن نهمل دور الإعلام الذي يعتبر شكلا من أشكال الحوار الحديث، يساهم الإعلام الذي يعرف في السنوات الأخيرة تطورا مذهلا في تنوع وسائل الإعلام والاتصال السمعي والمرئي والمكتوب، توعية المجتمع بقضاياه الأساسية، زيادة التقارب بين المجتمعات، تعريف الآخر البعيد بثقافة المجتمع العربي الإسلامي ومحاولة محو الصورة النمطية السيئة الذي يكونها الآخر عنا... الخ[1]

إن الاختلاف بين البشر، مسلمة ينطلق منها الإنسان عند التعامل مع الآخرين، فالتباين والاختلاف والتعدد سنة إلهية، لكن الاختلاف ليس بالضرورة أن يكون نزاعا أو صراعا، وإنما هو لتبادل المنافع والخبرات والرأي والفكر، يكتسب الحوار أهميته البالغة، من كون الوجود الاجتماعي الإنساني، لا يتحقق إلا بوجود الآخر المختلف، ومن أن الإنسان لا يحقق ذاته الإنسانية ولا ينتج المعرفة، إلا بوجود الآخر والتفاعل معه، إذ به تتولد الأفكار الجديدة في ذهن المتكلم وبه تتضح المعاني، إذ أن أهمية الحوار ضرورة من وجهتين:

- الحوار يتيح لنا أن نعرف الآخر، بما نملك من فكر واتجاهات.
- ينبهنا الحوار في الكثير من الأحيان إلى جوانب ربما لم ننتبه إليها.

إن أهمية الحوار تكمن أيضا في تبادل وجهات النظر بين المتحاورين كي يعرف كل محاور وجهة نظر الآخر من أجل معرفة الحق والحقيقة أو نشر الوعي بين البشر في شتى المجالات.[2]

فمن خلال الدراسات التي قام بها الباحثون والدارسون لأهمية الحوار على المستوى التربوي والاجتماعي، فعلماء التربية، أكدوا على ضرورة تفعيله من أجل الإعداد الجيد والسليم للأبناء، كما أشارت في ذلك **سرى العليان** لما حققه الحوار من ثمار تربوية، وهذا ما أكد عليه **حسنين والشبوكي والحازمي**، فذكروا مايلي:

- إنه وسيلة لحل المشكلات السلوكية.
- يصقل قدرات العقل وينمي إبداعاته.
- ينمي السلوك التعليمي، كالإيجابية والمشاركة الفاعلة، وإشباع الحاجة للعلم، تقريب الأفكار والآراء زيادة المعلومات والحصيلة العلمية.

[1] خالد بن محمد بن وصل المغامسي، مرجع سبق ذكره، ص 245

[2] السيد علي خضر، مرجع سبق ذكره، ص ص169-170

- يكسب الحوار الطالب الشجاعة الأدبية وفصاحة اللسان.
- تهيئة النشء لمواجهة عالم سريع التغير.
- يساهم في تقوية الروابط الأسرية، فالطفل يحتاج إلى إشباع حاجاته وإعطائه الاهتمام الكافي عندما يسأل ويستفسر.
- زيادة جرأة المتعلم وقدرته على المواجهة والثقة في النفس.
- أما من الناحية الاجتماعية، فقد تناول كل من **الشوبكي وقاسم والشماني، العبيد وسرى العليان**، وكان من أبرز ما توصلت إليه نتائج دراساتهم، أن الأهمية الاجتماعية للحوار:
- ينمي السلوك الاجتماعي للفرد، كحسن التعامل مع الآخرين، احترام أرائهم وتقدير مشاعرهم، والبعد عن التعصب للآراء والمقترحات.
- ينمي الحوار بين أفراد المجتمع مفهوم المواطنة الصالحة ما حّول المواطن من العيش لنفسه إلى شخص يعيش في جماعة.
- الحوار حاجة إنسانية لا يستغني عنها أي مجتمع.
- يكشف الحوار الايجابي بين أفراد المجتمع الوجه الحضاري للأمة.
- يساهم في تيسير التعامل مع الكثير من القضايا الاجتماعية في الميادين المختلفة.
- يساهم الحوار في التقريب بين الأطياف المختلفة في المجتمع وزيادة الاتفاق بينها.[1]

حاول العديد من الباحثين ومن خلال الدراسات التي قدموها، إلى إبراز أهمية الحوار الذي اتضح وبشكل كبير خاصة في هذا العصر، الذي يتصف بتدفق مذهل وخطير في نفس الوقت للمعلومات والأفكار، إنه الوسيلة المثلى في إشاعة ثقافة تقبل الاختلاف في الآراء، ووسيلة للوصول إلى الآراء الأكثر صوابا.

وبذلك لا يمكن مهما حاولنا أن نعدد أهمية الحوار وفوائده على المجتمع فلن نحصيها، لكن علينا أن نؤمن بأن الحوار لا غيره يمكن أن يحل أية مشكلة، قد تعترض المجتمعات سواء على المستوى الداخلي أو الخارجي.

ورغم أهمية الحوار التي تزداد يوما بعد يوم نظرا لكثرة المشاكل والأزمات، إلاَ أننا مازلنا نعاني من غيابه بدءا من الأسرة إلى غاية أعلى مستوى وخاصة بين الأكاديميين، فالمعرفة العلمية تعيش حالة ركود وانحطاط في

[1] أحمد بن عبد العزيز الرومي: **الدواعي المعرفية والوطنية لتعزيز ثقافة الحوار لدى طلاب المرحلتين المتوسطة والثانوية من وجهة نظر المعلمين (دراسة ميدانية على مدينة الرياض)**، مجلة العلوم التربوية، مصر، مجلد 22، العدد 4، ج1، أكتوبر 2014، ص ص340-341

المنتوج الفكري، بسبب غياب الحوار العلمي الفعال و الجاد، فما يدور بيننا أشبه ما يكون بحلبة للمصارعة كل طرف يحاول أن ينتصر لنفسه وليس للحقيقة، فارتباط بعضنا ببعض يفتقد إلى التعاون والرغبة في توضيح الأمور، ويتبدل الحوار إلى الرغبة في التغلب على الخصم بأي حجة وذريعة، والسؤال المطروح لماذا نحن نتحاور بهذه الطريقة؟ ولماذا نتبدل أثناء الحوار ؟، نكون في حالة هادئة أثناء علاقاتنا العادية، لكن مجرد ما ندخل في حوار حول موضوع ما مهما كانت طبيعته، نتغير ونظهر بشكل مفرط من العداء والكره.

من المعلوم أن جميع الروابط التي تربطنا، واقعة تحت تأثير الهوية الفكرية واحتياجاتها وخصوصيتها وأساسا نحن نرتبط مع بعضنا بواسطة هذه الظاهرة المخربة، حيث تتغير وتتبدل أبحاثنا في كل موضوع إلى حالة من الجدل والمراء، بحيث لا نفكر في التعاون لتوضيح الموضوع والمسائل المحيطة به، فهناك العشرات من الخصوصيات السلبية والتي تعتبر مخربة للهوية الفكرية التي تتدخل في كل رابطة وتبدلها إلى كيفية مخربة ومضرة، فأحد هذه الخصوصيات المخربة للهوية الفكرية هي: الفرار والخواء، ويتفرع عنها عدة مسائل تؤثر على أشكال البحث والحوار بين الأفراد وتبدله من حوار مفيد ورابطة بناءة إنسانية إلى ميدان للصراع والنزاع والجدال والمتتبع لحلقات النقاش يلاحظ وببساطة، أننا نحاول أن نخلق مشكلة أو موضوع تافه ونجعله محور حديثنا والابتعاد عن جوهر القضية المطروحة في بداية النقاش، والحقيقة أن المصلحة النفسية هي إيجاد وحفظ هذه المسألة والنزاع معها لا توضيحها ورفعها، وعندما يكون هذا الدافع الباطني هو الحاكم على بحثنا وحوارنا، **فهل نتوقع أن نتعاون فيما بيننا؟** [1]

لقد كان **طه عبد الرحمان** من الباحثين العرب الذين تنبهوا إلى قضية الحوار باعتباره مشكلة بحثية تستدعي البحث والتنقيب، نظرا لما يشكله هذا الموضوع من أهمية خاصة على المستوى الأكاديمي حيث يرى، أنه ليس من العجيب أن ينزل الحوار منزلة الحقيقة، وأن طريق الوصول إلى الحق ليس واحدا، وإنما طرق شتى، لأن الحق هو نفسه، على خلاف الرأي السائد ليس ثابتا لا يتغير، بل أصله أن يتغير و يتجدد، وما كان في أصله متجددا، فلابد من أن يكون الطريق إليه متعددا، وحيثما وجد التعدد في الطرق فثمة حاجة إلى الحوار، إن تواصل الحوار بين الأطراف المختلفة يفضي مع مرور الزمن إلى تقلص هوة الخلاف بينهم، وذلك لدخول هذه الأطراف في استفادة بعضها من بعض، لأن الحوار حسب طه عبد الرحمان، يسهم في توسيع العقل وتعميق مداركه بما لا يوسعه ولا يعمقه النظر الذي لا حوار معه، إذ أن الحوار هو بمنزلة النظر من جانبين إثنين، فالعقل يتقلب بتقلب النظر في الأشياء، و العقل الذي لا يتقلب ليس بعقل حي على الإطلاق، وفي تشخيصه

[1] محمد جعفر مصفا: **التفكير الزائد**، ترجمة/أحمد القبانجي، مؤسسة الانتشار العربي، لبنان، ط1، 2012، ص ص151-154

للحالة الفكرية على مستوى الساحة المغربية: " أنها مازالت بعيدة عن الفضاء الحواري الجديد ، فالمفكر المغربي لا يحاور غيره، فهو إما يعتزل في برجه العاجي، ظنا منه أن قوله قول الفصل في كل شيء، وإما يتعمد الشذوذ في أقواله" ، وطبقا للقاعدة السارية " **خالف تعرف**"، إن الذي يغلق باب الحوار أو يخل بأدبه يميت في نفسه روح العقلانية النافعة، ومن يميت هذه الروح يقطع الأوردة التي تحمل إليه هذه المعرفة الممتحنة، فيحرم نفسه من إمكان تصحيح آرائه و توسيع مداركه فيضيق نطاق عقله ويتسع نطاق هواه، فيميت في نفسه وفي غيره روح الجماعة الصالحة، ولعلنا في منعطف التغيير الذي دخل فيه مجتمعنا في مطلع القرن الجديد، فنحن بحاجة إلى تكامل هاتين الروحين: "الروح العقلانية النافعة، والروح الجماعية الصالحة ".[1]

كما يعلق طه **عبد الرحمن**، كما جاء في كتابه: " **في أصول الحوار وتجديد علم الكلام** "، أهمية بالغة على الحوار، ويذهب إلى تنزيله منزلة الحقيقة، فقد توصل إلى قناعة هامة، هي أن الحضارة الإسلامية قد ابتعدت عن طريق مناظرة عقلانية خاصة بها يسميها بـ " **العقلانية الحوارية** "، وأن الأصل في الكلام هو الحوار، فحقيقة الكلام الذي تكلم به الإنسان الأول كانت حقيقة حوارية، وهذا الحوار موصولا بالفطرة وموصولا بالوجود وبالروح، ثم دخلت على الحوار فيما بعد تهذيبات وتقنينات وضوابط محددة.[2]

للحوار إذن، أثر في توجيه سلوك ومعتقدات الآخر، سواء بإشراكه في الرأي، أو إجباره على تعديل معتقداته وفق ما يقتضيه المقام، ومنه فإن وسيلة الإقناع التي يعتمدها المحاور من أجل إقناع الطرف الآخر اعتماده على الحجج والبراهين، باعتبارها الوسيلة المثلى لذلك، فالمحاور الناجح، باختياره لأسلوب الإقناع، يكون قد اختار منطقة الوسط كهدف ينبغي الوصول إليه أثناء عملية الحوار، ووصوله لتلك المنطقة الوسطى يعني حصول الإجماع بتعبير **هابرماس**، الحوار في ذاته مجالا لإبداء الآراء بامتياز، وهو بذلك متنفس يجد فيه المتحاورون إمكانية لقول ما يمكنهم قوله بشأن القضايا الثقافية والسياسية والاجتماعية.[3]

ولنا في مالك بن نبي المفكر الجزائري اللاّمع، النموذج الذي اعتمد على الحوار والمناقشات كأحد الوسائل المعرفية التي ساعدت في تكوينه العلمي والمعرفي، حيث كان شغوفا للمناقشة كعادة أي مثقف صغير، لقد تأثر بكل المناقشات والحوارات التي صادفته في حياته لتجعل منه مفكرا يتجاوز بإنتاجه الفكري كل عوالم الثقافة ويؤسس زاوية ومنهجا فكريا (تحليلية نقدية)، ومن بين النقاشات التي أثرت في مالك بن نبي : نقاشاته مع

[1] طه عبد الرحمن: **حوارات من أجل المستقبل**، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2011، ص ص7-11

[2] طه عبد الرحمن: **الحوار أفقا للفكر**، مرجع سبق ذكره، ص 28

[3] محمد نظيف: **الحوار وخصائص التفاعل التواصلي، (دراسة تطبيقية في اللسانيات التداولية)**، افريقيا الشرق، المغرب، 2010، ص 60

حمودة بن ساعي، نقاشاته مع زوجته خديجة ذات الأصول الفرنسية، منظمة الوحدة المسيحية للشبان الباريسيين، مناقشاته مع شخصيات فرنسية، كذلك نقاشه مع أسرة يهودية... الخ. [1]

فقد ساهمت هذه الحوارات والنقاشات الفكرية مع شخصيات من مختلف الديانات، في توسيع إدراكاته ومعارفه، وما أنتجه مالك بن نبي من مؤلفات فكرية تعدت الحدود العربية ووصلت إلى العالمية، لدليل على أهمية ما أنتجه.

كان لنا لقاء مع بعض الأساتذة من جامعات مختلفة من الوطن، أثناء مشاركتنا بالملتقيات التي تنظمها الجامعة الجزائرية، حديث ونقاش حول موضوع أطروحتنا، الأمر الذي ساقني إلى طرح بعض من الأسئلة للاستفادة من خبرة ومعارف هؤلاء الأساتذة الذين لهم باع كبير ومسار مهني طويل في مجال البحث العلمي، من بين هذه الأسئلة: **ماهي أهمية الحوار مع الآخر؟**، أنا لم أحدد في سؤالي من هو الآخر، فأغلب إجابات الأساتذة قد تركزت على الآخر الغربي، الآخر المختلف عنا دينيا ولغويا وثقافيا، ويمكن أن نلخص مجمل الإجابات في العناصر التالية:

- يحقق لنا التثاقف والاستقرار والسلم الاجتماعي.
- إذا اتجهنا إلى لغة الحوار، سنكسب احترام الآخر الذي يفوقنا علما وفكرا بالإضافة إلى الابتعاد عن الفردية في اتخاذ القرارات.
- تنعكس أهميته على الفرد والمجتمع، تجعل من الفرد إنسانا صالحا وسطيا وغير عنيف، أما على مستوى المجتمع، فإنه يجعل منه مجتمعا راقيا أخلاقيا وفكريا، لكن لو استعمل لأغراض إنسانية، أما إذا استغل إيديولوجيا أصبح وسيلة ضغط على المجتمعات الضعيفة، من أجل أغراض ومصالح.
- وسيلة لتحقيق الاتصال والتواصل واكتساب أفكار ومعارف جديدة، الإسهام في بناء حلول جديدة لمختلف الإشكاليات.
- تغيير المواقف والاتجاهات وتعديل بعض الآراء الخاطئة، التعود على العمل الجماعي الهادف.
- الاطلاع على ما يعتقده الآخر عنا، ترسيخ ثقافة الاتصال والإصغاء.
- استيعاب منطق الآخر، تعلم آليات التعامل مع عقلانيات أخرى.
- تسهيل سير العمل وتطوير البحث العلمي، خلق جو مناسب لتحقيق الهدف الأسمى، علاج القضية أو الموضوع المدروس بإخلاص وإرادة قويتين.
- ضرورة للتقدم الإنساني.

[1] العابد ميهوب: **الفكر التربوي عند مالك بن نبي**، اطروحة دكتوراه، تخصص علم الاجتماع التربية، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2014، ص 78

- إبراز حقائق الأشياءوإعادة ترتيب قيمها السابقة، تفادي اتساع دائرة الصراع الفكري غير النزيه وتوضيح طبيعة التأثير الفكري في المعرفة العلمية.
- وكانت لنا فرصة زيارة المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية بالجزائر بوهران (CRASC)، حيث تم التطرق لنفس السؤال الذي تم طرحه على بعض من أساتذة المركز، فأجمع الكل
- على أهمية الحوار مع الآخر، حيث لم تختلف إجاباتهم كثيرا على ما تم التطرق له في إجابات الأساتذة، لكن سنحاول أن نذكر أهمها:
- الحوار مهم جدا، لأنه أساس التعايش المشترك والتعاون، كما أنه يجنبنا التعصب والأحكام المسبقة.
- مفيد في النقاش العلمي وفي علاقات العمل داخل المركز وحتى في الحوار مع الآخر وأهميته تتجلى من خلال طرح انشغالات والوصول إلى حلول وهذا كله بالاعتماد على الإقناع للحصول على المعرفة العملية.
- يخلق لنا سلام اجتماعي وانفتاح على الآخر، مهما كانت الاختلافات بل وحتى التناقضات.
- التعرف على مختلف الذهنيات ومحاولة فهمها، أن يكون الفرد اجتماعي بدل من العزلة السلبية – تجنب مختلف الصراعات وفهم الأشياء بطريقة مباشرة اتجاه الشخص أو الأشخاص المعنيين.

لقد اتفق جميع الذين طرحنا عليهم هذا السؤال، على أهمية الحوار خاصة في مجال العلاقة مع الآخر، وتقبل آراء المختلفة بعيدا عن التعصب للرأي، والمساهمة في تطوير الفكر الإنساني خدمة للإنسانية ككل.

1- 2. أهداف الحوار:

من الشروط الهامة والضرورية لبدأ الحوار، تحديد أهدافه، لأنه بدون ذلك لا يمكن أن يصل المتحاورون إلى الغايات والنتائج المرجوة من وراء عملية الحوار، حتى لا يحيد أي طرف من الأطراف عن مسار الحوار، وحتى ألاّ يدور الحوار في حلقة مفرغة، مثلما يسمى " **حوار الطرشان** "، الكل يتكلم بلغة وبمفاهيم مختلفة لا تربط بينهما أرضية، فتحديد الأهداف يعتبر شرطا أساسيا قبل البدء في الحوار الذي يتم تحديده من طرف المتحاورين أنفسهم، تتعدد وتنوع أهداف الحوار، بتنوع شكل الحوار وطبيعة الأطراف المتحاورة، ويبرزه أحد الباحثين في الأهداف العامة والخاصة، حيث يحدد الأهداف العامة للحوار في:

- إظهار الحقائق المدعمة بالأدلة والبراهين، فمن أبرز أهداف الحوار، ليس الوصول للطرف الآخر وإقناعه جبرا وقسرا بالأفكار التي يدور حولها الحوار، وإنما إظهار الحقائق بواسطة الحجج والبراهين والأدلة وليس من لوازم الحوار دائما الوصول إلى اتفاق ما، لكن ليس من اللاّزم أن يكون الحوار مدخلا إلى الصراع والنزاع، وإنما المزيد من الحوار ومحاولة الالتقاء والتعايش.

- التفاهم والتعاون للخروج من الأزمة: من أبرز أهداف الحوار تحقيق الأمر الإلهي القاضي بتعزيز روابط التفاهم والتعايش والتعارف بين شعوب العالم وأممه.[1]
- الترقي بالذات: إن الثقافة التي لا ترى إلاَ ذاتها، وتلغي ثقافة الآخرين، تعتبر مقدمة نظرية لسلوك عدواني اتجاه الآخر المختلف عنها، ففي هذه الحالة الذات لا ترى سوى ذاتها ولا ترى إلاَ أفكارها، فالحوار نوع من مشروع إصلاح الذات وتخليصها من سموم الثقافة العدوانية التي ماهي، إلا خطوة لتغييب الآخر وإلغائه لمجرد مخالفته للذات في الإيديولوجيا أو المواقف أو نحو ذلك، يعتبر الحوار خطوة ضرورية لتخليص الأفراد والمجتمع من طوفان الاستبداد الفكري القائم على احتكار الحقيقة، فالتواصل مع الآخر عن طريق الحوار والتبادل المعرفي مرآة حقيقية تتكشف من خلالها مصداقية الأفكار والرؤى وسلامة التصورات، أو خللها وبذلك يعتبر الحوار من أهم وسائل إعادة العلاقة بين الذات ومع غيرها على أساس القبول والتعددية، والاعتراف الضمني بمشروعية الاختلاف ونسبية الحقيقة وإمكانية التصويب الفكري.
- التلاقح الحضاري: أخذ موضوع حوار الحضارات حيزا كبيرا من اهتمامات الباحثين خاصة بعد صدور نظرية حوار الحضارات على يد المفكر الفرنسي **روجيه غارودي**، ونظرا لما يعيشه العالم اليوم من أزمات خطيرة سواء على المستوى الداخلي للمجتمعات أو بين الدول، أصبح الحوار ضرورة فرضتها الظروف والمتغيرات العالمية الجديدة ، أصبح الحوار حتمية وضرورة حضارية لا يمكن أن تستغني عنها أية حضارة في سبيل تطوير ذاتها من خلال عملية التثاقف والتلاقح الحضاري، والاقتباس والنقل والتبادل المعرفي، فكل حضارة وعلى مر العصور أبدعت ونقلت وأخذت وأعطت، فالنقل، والتلاقح، والتفاعل، والأخذ والعطاء الثقافي ليس وباءا، وإنما هو ضرورة حضارية وظاهرة صحية، لكن الباحثون في الشأن الحضاري، يضعون ضوابط للحوار مع الآخر المختلف عنا في الهوية والدين، بل ضرورة التمييز بين ما هو مشترك إنساني عام والانفتاح عليه وتقبله، وبين ما هو خاص بالأمة ذاتها.
- تصحيح المفاهيم: غياب الحوار قد يجعلنا نكوِّن أفكارا مغلوطة عن الطرف الآخر والعكس صحيح، لذلك لابد من إعادة تصحيح نظرتنا للآخر، من خلال تصحيح المفاهيم والأفكار المغلوطة والتي يشوبها التشويش والأحكام المسبقة والصورة النمطية التي كونّاها عن الآخر الذي نجهل عنه الكثير، فثمة صور ومفاهيم مشوهة عن الإسلام والعرب، غرست في ذهن العالم الغربي، نظرة مغايرة تماما عن الواقع، ولا يمكن بحال من الأحوال تغيير هذه الصورة السلبية دون إقامة حوار مثمر وبناء من أجل إظهار الصورة

[1] مصطفى يوسف كافي: **هندسة الحوار والإقناع**، دار الحامد للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2015، ص 15

الحقيقية لكل طرف، ومن هنا يصبح الحوار جهدا فاعلا وضرورة حتمية لابد من تنميتها وتوسيع وسائلها، لكشف الأخطاء والتصورات عن الانغلاق الفكري.

- حل النزاعات والخلافات: من أبرز أهداف الحوار حل النزاعات التي تتكون بين الأفراد والمجتمعات، وكذلك العمل من أجل تجديد فكر الأمة والنهوض بالمشروع الحضاري، فالتنوع والتعدد يفترض له أن يسهم في إثراء فكر الأمة في مختلف جوانبه العقائدية والفكرية والاقتصادية، وذلك في إطار ممارسة الفكر بطرقه السلمية بواسطة الدليل والحجة في حوار ينفتح فيه الجميع وتتبادل فيه الآراء والطروحات الفكرية بموضوعية وعلمية بعيدا عن التعصب. [1]

- للحوار أيضا أهداف خاصة، يمكن إبرازها في النقاط التالية:

- وجود خلاف شخصي ذي طابع فكري أو تجاري بين فردين، فيلجأ الطرفان إلى الحوار بغرض حسمه.

- يعد وسيلة للتعلم والتثقف، إذ بواسطته يحدث تبادل للمعلومات أو تغذيتها من طرف إلى آخر.

- يعد الحوار أسلوبا للدعوة الدينية أو الفلسفية أو الاجتماعية، بحيث يقدم المحاور إلى الآخرين الذين يحاورونه فكرا جديدا، أو يؤكد ضرورة الالتزام بعقيدة الأمة.

– يمكن استخدام الحوار بوصفه طريقة للعتاب اتجاه شخص يكون قد أساء إليك، فالحوار الهادئ والعتاب بلطف يجعل المسيء يتراجع عن إساءته.

الحوار أسلوب للإصلاح والتهذيب فيلجأ الإنسان الصالح إلى محاورة الإنسان الطالح حوارا هادئا ورقيقا ودافئا فيوضح له عواقب مسلكه أو أخطاءه.[2]

إن معرفة أهداف الحوار له أهمية كبيرة في دراسة أي موضوع، إذ أن هدف الحوار هو ثمرته المطلوبة بتحديد موضوعاته وأساليبه وآدابه وعليه فإن الحكم على الحوار يكون بمعرفة أهدافه، كما أن معرفة أهداف الحوار هي التي تحدد مدى نجاح الحوار، بالإضافة إلى أن تحديد الأهداف هي الخطوة الأولى في كل عملية يريد أن يقوم بها الإنسان [3]

وهناك من الباحثين من يحصر أهداف الحوار في:

– تعميق التفاهم بين فئات المتحاورين.

---

[1] المرجع السابق، ص ص16– 19

[2] المرجع السابق، ص ص19–20

[3] يحي بن محمد حسن بن أحمد زمزمي: **آداب الحوار في ضوء الكتاب والسنة**، أطروحة ماجستير، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1992، ص 25

– تبادل الأفكار بين أفراد المجتمع حتى يتزود الفرد بالمعارف والأفكار والقيم والعادات والأنماط السلوكية المختلفة والتي لا يعرفها هو، وهي عند الآخرين فيجليها الحوار وتتضح الصورة جلية.

– للحوار دور فعال في نقل التراث الثقافي من جيل إلى جيل مع تنشيط المعلومات وتحديثها.

– نقل التجارب من بيئة إلى بيئة والاستفادة منها (تبادل الخبرات الإنسانية).

فهدف الحوار هو تحقيق الخير والصلاح وتنمية العلاقات الإنسانية، حتى يكتسب كل إنسان من المعرفة ما يدفعه إلى التقدم في الميدان العلمي ويكون من وراء ذلك، إثراء الثقافات ونشر المعارف وتحفيز المواهب للابتكار بروح المنافسة الشريفة، ليكون من وراء ذلك تحسين ظروف الحياة.

– يتجلى هدف الحوار أيضا في التفاعل، لإثراء الحياة وتنشيط العقول، فهو تدافع لا تنازع، والتفاعل الحضاري بين أهل الثقافات والحضارات يجب أن يرتكز على إشاعة قيم التسامح الذي يدعو إلى التفاعل بين الثقافات والحضارات، لأنه يعتبر الحل المنشود لفك الاختناقات السياسية، وإزالة العقد الثقافية.[1]

ثمة حقيقة أساسية ينبغي أن ننطلق منها لتحديد أهداف الحوار، وهي أن الحوار وسيلة موصلة للحقيقة التي تحمل في طياتها وظيفة ذات أبعاد ودلالات سامية، والحوار بهذا الأسلوب يتطلب من المحاور التزود بالإدراك والتسلح بالمعرفة والإثبات بالحجة لإيصال وتبليغ الحقيقة لمن يحاوره، ويكون هذا عن طريق النقد البناء، فالحوار لا يتعارض مع النقد، وإنما يؤسس للمعرفة المتبادلة التي تجعل النقد بناءا وبعيدا عن الإقصاء والإلغاء.

يساعد النقد على طرح رؤى وأفكار وصيغ وتساؤلات تفعل الحوار، وتدفع الجميع نحو المزيد من التدبر والتفكر، واستخدام الأدوات المعرفية قبل دحض المقولات ورد الحجج وكشف الانحرافات، وبهذا فإن الحوار والنقد يتكاملان، فلا نقد بناء بدون حوارات مستمرة و متواصلة تتجه إلى تبديد الجهل المتبادل وتعميق أسباب الفهم والإدراك والمعرفة، لذلك فإن الحوار يجب أن ينطوي أولا على تأسيس لواقع الحياة الاجتماعية والإنسانية، الإنسان الذي لا يحسن الحوار مع غيره المختلف عنه، لن يستطيع أن يطور علاقاته وينمي أفكاره وأنماط إنتاجه مع المثقفين معه ، وذلك لأنه يفتقد للقدرة المؤهلة لترتيب علاقاته مع كل الدوائر المحيطة به، مما يجعله فاقدا للآليات اللاَّزمة لتنمية وتطوير سبل التعاون بينه وبين نظرائه على مستوى الفكر والممارسة.[2]

فرض موضوع الحوار كحل لفض أو التقليل من شدة النزاعات وبالتالي وضع الباحثون أهدافا للحوار، والتي حددوها في العناصر التالية:

---

[1] منصور الرفاعي عبيد: **الحوار أدابه وأهدافه**، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، مصر، ط1، 2004، ص36

[2] مريم آيت أحمد: **جدلية الحوار قراءة في الخطاب الإسلامي المعاصر**، منشورات مجلة علوم التربية، الرباط، المغرب،2011، ص43

- التعرف على وجهات نظر الأطراف الأخرى، والبحث من أجل الاستقراء وتنويع الرؤى والتصورات المتاحة، للوصول إلى نتائج أفضل.
- يتجه الحوار الإيجابي نحو تحقيق أهدافه المخطط لها بكل ثقة واقتدار، ويتغلب على جميع المعوقات التي قد تحول دون تحقيق ذلك، وتحديد هذه الأهداف يخضع لعدة معايير يأتي في مقدمتها، طبيعة الموضوع، طبيعة المتحاورين أنفسهم.
- لكل حوار هدف يسعى المتحاورون إلى تحقيقه بشكل دائم، عن طريق إقامة الحجة ودفع الشبهة ورد الفاسد من القول والرأي.
- الحوار الهادف تعاون بين المتحاورين على معرفة الحقيقة والتوصل إليها، ليكشف كل طرف ما خفي على صاحبه منها، والسير بطرق الاستدلال الصحيحة للوصول إلى الحق، وهذه هي الغاية الأصلية للحوار، وأن هناك أهدافا فرعية لهذه الغاية تتمثل في:
- إيجاد حل وسط يرضي أطراف الحوار، وذلك بنبذ الخلاف والانطلاق من نقاط الاتفاق والبعد عن الفتن
- الوصول إلى القناعة بهدف نبيل، يتمثل في تحقيق التقبل عن طريق التواصل اللفظي وغير اللفظي.[1]

1-3. أنواع الحوار

يقسم الباحثون الحوار من زوايا مختلفة ومتنوعة، وتتمثل هذه المنظورات:

- **تقسيم من منظور الشكل:** إن أبرز حوار من زاوية الشكل، هو ذلك الحوار الهادئ ونقيضه المتشنج، وهو الحوار الذي يصدر من إنسان مثقف ثقافة موضوعية ويتحلى بدرجة عالية من الأخلاق السامية، في المقابل فإن الحوار المتشنج هو الحوار الغضوب الانفعالي، الفضولي، تتعالى فيه الصرخات وقد تستخدم فيه الألفاظ الغير اللائقة، ويحاول فيه الشخص ما أن يفرض رأيه بالصراخ والصوت المرتفع.

- **تقسيم الحوار من حيث المضمون:** إذا تم تحليل طبيعة الحوار من منظور المضمون، نجد أن هناك حوارات يتداخل بعضها مع البعض الآخر كما يلي:

[1] محمد بن عبد الله بن محمد المطلق: **الحوار ودرء الفتن الطائفية دراسة تأصيلية**، أطروحة ماجستير، كلية الدراسات العليا، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، المملكة العربية السعودية، 2013، ص ص52-53

✓ **الحوار المتفتح والحوار المتزمت:** يزاوله شخص متعصب فكريا ومنغلق على عقيدته الخاصة، لا يمتلك مفاهيم ومعايير سوى المفاهيم المنبثقة من عقيدته والحوار المتزمت، حبله قصير ومداه ضيق وأهدافه لا تتفق مع روح العصر

✓ **حوار الاستزادة من المعلومات والثقافة وحوار المهاترة أو الإدعاء:** من الملاحظ أن شتى أنواع الحوارات سواء كانت فكرية، سياسية واجتماعية، فالمتحاورون يهدفون من خلاله إلى زيادة معلوماتهم وإثراء ثقافتهم وهم يقبلون على الحوار برغبة فكرية ونفسية تنم عن حب الفكر وعشق الحقيقة والعمل على استمرار التثقيف الذاتي دون توقف أو كلل أو ملل، أما ذوي النفوس الصغيرة أو العقول الضحلة الذين لا يسعون للحوار، إلاّ من أجل إدعاء بثقافة أو فكر بينما والمعروف أنه كلما زادت ثقافة المثقف زاد تواضعا، فالثقافة بحر عميق لافرار له شأنها شأن الحياة بجوانبها المتعددة وبأركانها المختلفة.

✓ **حوار الحقيقة وحوار المنافع الشخصية:** من المفروض غاية أي نوع من الحوار هو الوصول للحقيقة، أو اكتشاف جوانب جديدة أو تقديم أفكار بناءة في المناقشة الحرة ومثل هذا النوع من الحوار يستند إلى دعائم محددة وواضحة أبرزها:

- احترام الذات واحترام الآخرين.
- الإدراك بأن الحقيقة ليست مطلقة وإنما هي نسبية. [1]
- الإيمان بأن للحوار هدف معلوم يتمثل في إقناع الغير بالفكرة أو العقيدة أو التأكد من دقة المعلومات المستلمة.

-**تقسيم الحوار من منظور الأشخاص:** تتعدد صور الحوارات في هذا الشكل وفقا لطبيعة الأطراف الداخلة في هذا الحوار، حيث يمكن حصرها في:

✓ **الحوار بين العاقل والجاهل:** فالعاقل هو الشخص الذي يتمتع بكل القدرات والمهارات العقلية، إذ يستخدم طاقات عقله في التفكير والتحليل والاستنباط، أما الجاهل فهو فرد محروم من نعمة العلم وقد تختلط صفة الجهل بالحمق أو الغباء أو الطيش، لذلك فإن شخصية كل من العاقل والجاهل متباينتان فهما على طرفي نقيض في السلوك أو في الأهداف أو في فلسفة الحياة.

[1] سناء محمد سليمان، مرجع سبق ذكره، ص ص71-72

✓ **الحوار بين الشباب والشيوخ:** عامة نجد العلماء يطرحون فكرة صراع الأجيال، لذلك يسمى هذا النوع من الحوار بصراع الأجيال، فالشباب يمثلون الحيوية والرغبة في التجديد، بينما الشيوخ يمثلون خبرات الحياة والرغبة في الحفاظ على مقومات الشعب وتراثه.[1]

✓ **الحوار الخاص والعام:** الحوار بين المتخصصين في مجال ما ومن هم بعيدين عنه، فمثلا إذا أراد تنفيذ مشروع تنموي معين في وسط المدينة كبناء جسر مثلا، فإن الإدارة تكلف المهندسين المتخصصين بالحوار مع عامة الشعب لمعرفة مدى صلاحية تطبيق هذا المشروع وما هي أبعاده التنموية والاجتماعية.

✓ **الحوار بين الحاكم والمحكومين:** وهو أدق أنواع الحوار، فالحاكم يرغب بفرض رأيه أو فكره ويتبنى المصالح الشخصية في البقاء على السلطة والحكم من جهة وينطلق من الموارد المتاحة في أهدافه، أما المحكوم فيعرض أفكارا متنوعة ويتجاهل أفكاره وآرائه الشخصية.

ومن أنواع الحوار أيضا:

- **الحوار الصامت:** يرى الباحثون، أن الحوار الصامت قد يكون أدق وأصدق في التعبير وقديما قال العرب:" **رب إشارة أبلغ من عبارة** "، وللحوار الصامت عدة أشكال، قد يكون بالعيون أو باليدين، أو بقسمات الوجه، أو بحركات الكتفين أو الرجلين أو بالرأس:

✓ **لغة العيون:** تعرف العيون بأنها مجاديف القلوب، فبواسطتها يعرف ما في القلب وإن لم يتكلم صاحبها وأن العيون ليست وسيلة فقط لرؤية الخارج، بل هي وسيلة بليغة التعبير بما في الداخل، أي بما في النفوس والقلوب ونقله للخارج، فقد تعددت النظرات المعبرة، وقد سمي الله تعالى بعض النظرات ب: " **خائنة الأعين** " سورة غافر الآية 19.[2]

وهناك من الباحثين من قسم أنواع الحوار إلى:

- **حوار الحياة:** الذي يعني اهتمام واحترام الطرف الآخر بخصوصياته وأفكاره وظروفه الخاصة سعيا لإيجاد قواسم مشتركة معه.

- **حوار العمل:** الذي يعني تضافر وتكثيف الجهود لتحقيق كل ما هو في صالح الإنسانية والصالح العام من الوجهات الاقتصادية والاجتماعية والإنسانية.

- **حوار العقل والفكر والعقيدة:** الذي يعني تفهم أوجه التباين بين مختلف الديانات واستغلال القواسم المشتركة بينها.

---

[1] المرجع السابق، ص 73

[2] المرجع السابق، ص 74

ومن صور الحوار وأنواعه أيضا، كما وردت في بعض المراجع ما يلي:

- **الحوار في الأدب:** يعني حوار بين الأدباء ويتمثل غالبا في النقد الأدبي وهو حوار مثمر يساهم إيجابا في تقدم الأدب وتطوره، إذا ما اتبع النقد بشكل عام.

- **الحوار في الأعمال الأدبية:** في القصة والرواية المسرحية يلعب الحوار بين الشخصيات دورا مهما جدا في التطور والعمل وإعطائه مضمون حيوي وشكله الذي يقربه من الواقع الذي يفترض أن يمثله ويحاكيه.[1]

- **الحوار بين البائع والمشتري:** فهذه العلاقة تتضمن حوار حول نوع السلعة وسعرها والكمية المطلوبة منها وتوفرها لدى البائع وكيفية تسلمها وشروط الدفع، وهو حوار تحكمه عوامل عديدة منها: ظروف السوق وظروف السلعة نفسها وظروف الطرفين (البائع–المشتري)، وهذا النوع من الحوار أساسي في حياة الناس يحدث يوميا بينهم في مجالات مختلفة وكثيرة جدا وينتج عنها تحسن شروط الحياة وتطورها في مجال المعيشة.

- **الحوار بين الأصدقاء:** وهو حوار يغلب على حوار الأصدقاء، فهم غالبا لا يتطرقون إلى مسائل تثير الحسابات.

- والخلافات بينهم فنجد كلام كل منهم ينصب على تبادل المجاملات والنكت والدعايات والأحاديث العامة والهوايات والأفلام ورغم ما قد يكشف ذلك من مناقشات إلا أنها قد تصل إلى نتيجة ذات أهمية.

- حوارات أخرى:

- **أما المواضيع ذات الحساسية الخاصة:** كالدين والقومية والانتماءات السياسية، تحدث بين المنتمين أو المتعصبين نوعا ما، أو يهدف إلى إقناع الآخرين بوجهة نظرهم فقد يحدث حولها حوارات بين بعض الأصدقاء وعلى مستويات معينة.

- **الحوارات الرسمية في العمل:** تتم الحوارات الرسمية في العمل بأشكال مختلفة تتنوع بحسب أطراف الحوار، فهناك الحوارات الفردية بين الزملاء، وبين الرؤساء ومرؤوسيهم حول مواضيع مختلفة أهمها مواضيع العمل وهي حوارات تأخذ على الأغلب صورة حوارات غير رسمية، وهناك حوارات جماعية منها حوارات المجالس واللجان والاجتماعات والمؤتمرات وتدور مواضيعها حول المنشأة وأسلوب عملها وأهدافها، أما الحوار الأكثر خطورة، فهو الحوار الذي يكون الهدف منه حل النزاعات الناشئة بين العمال كمجموعة(نقابة) وبين (المنشأة) وبين المنشأة (الإدارة)، وهو ما ينطبق عليه ما قيل عن الحوار من أجل حل النزاعات وقد

[1] المرجع السابق، ص ص74–75

يأخذ في بعض الحالات كالحوار اليومي بشأن مسائل فردية صورة الحوار غير الرسمي، إلاَ أنه في المسائل المعقدة لابد أن يأخذ الحوار طابعا رسميا.

- **الحوار بين المواطن والحكومة:** يعتبر من أكثر الحوارات أهمية، وتتجلى هذه الأهمية في الصور التالية:

✓ **الحوار الاجتماعي:** يدور غالبا حول أمور تتعلق بظروف العمل والمعيشة تهتم بالتعبير عن حقوق منتسبيها المتميزين عن غيرهم كنقابات العمال والفلاحين والطلبة والمهن الحرة والمجالس التشريعية.

✓ **الحوار السياسي:** ويتمثل في التأييد أو الرفض لتوجيهات الحكومة السياسية.[1]

الحوار في السياسة، يعد بديلا طبيعيا للحروب، وحينما يخفت صوت المتحاورين، ويتوقع أن ترتفع أصوات الأسلحة، ويضع سليمان العسكري أربع معادلات في الحوار السياسي:

- **معادلة حوار المصالح المادية:** والعلاقة هنا بين عرب وغير عرب، وبين مسلمين وغير مسلمين.
- **معادلة الحوار الثقافي:** ويعني كيف يجري حوار بين ثقافتين مختلفتين ليصل إلى أعلى درجة من التوافق والتفاهم متجاوزا حالة التنافر والتراشق.
- **معادلة الحوار الوجودي:** إذا كان للعرب نظرة للغرب باعتباره مستعمرا، وإذا كان لدى الغرب نزعة مركزية وجودية توسعية، فالسؤال الذي يطرح: كيف لحوار بين طرفين يحملان موروث الماضي أن ينجح؟
- **معادلة الحوار التفاوضي:** إذا كانت حالة الضعف لدى العرب مدعاة لعدم الثقة بالنفس، وإذا كان الغرب يستقوى بقوته، فإن السؤال كيف يمكن أن يتم الحوار حول الممكن والمعقول ضمن اعتراف كل طرف بمصالح الآخر؟ .

- **نوع الحوار بحسب الوسيلة:** يجري الحوار بين أطراف مباشرة أو عبر وسيط أو وسيلة، وقد تطورت أدوات وقنوات التواصل فصار الحوار عبر الفضائيات والانترنت والهواتف النقالة.

- نوع الحوار حسب اللغة المستخدمة: يكون الحوار لفظيا شفهيا، حين يستخدم الحديث المنطوق، ويكون كتابيا عبر الكلمة المطبوعة، ويكون الحوار غير لفظي، إذا استخدمت فيه لغة الإشارة والتواصل غير اللفظي، واللغة هي الطريق التي يتلقى الطفل عن طريقها كل أو غالبية ما يحصله من معرفة في مراحل

[1] المرجع السابق، ص ص75 – 76

عمره المتتالية وبدون التربية اللغوية السليمة للأطفال بلغتهم الأم، فإن جهاز المعرفة لدى الأطفال يتدهور ومن ثم تضعف قيمة التحاور ونقل فاعليتها.[1]

- **الحوار التثقيفي التعليمي:** هدفه الأساسي نقل المعلومات وتبادل الأفكار بين أطراف الحوار حول موضوع معين، يهدف إلى الوصول لتعريف دقيق لشيء ما، لتوضيح وتفصيل المعلومات والمعارف المتعلقة بالموضوع أو بهدف وصف ظاهرة وشرحها ويتطلب استخدام لغة بسيطة مباشرة ودقيقة وموضوعية.

- **الحوار التأثيري أو الإقناعي:** وهدفه التأثير في اتجاهات أو معتقدات أو سلوكات أطراف الحوار اتجاه موضوع معين، حيث يتولى أحد الأطراف مهمة إقناع الطرف الآخر، ويفيد هذا الحوار للترويج للأفكار المستحدثة وفي مجال الدعاية والإعلان، وتزداد أهميته في المجتمعات المعاصرة في ظل التطورات المتصارعة والاكتشافات المدهشة وفي المجتمعات النائية، يلجأ قادة الفكر ورواد التغير إلى هذا النوع من الحوار في سبيل نشر الأفكار الجديدة وإقناعهم بتبني أفكار وآراء ينتج عنها تغير في سلوكهم واتجاهاتهم.

-**الحوار في المناسبات الاجتماعية:** تختلف هذه الحوارات باختلاف مواقف الحياة اليومية مثل مواقف التعارف والترحيب والتكريم والتسلية والمرح وتتسم هذه الحوارات بالتلقائية والبساطة، وتفرض طبيعة المناسبة وطبيعة المشاركين فيها طابعا مميزا للأحاديث المتبادلة بين الأطراف، وتتميز هذه الحوارات بدفء العلاقات الإنسانية والحرص على آداب السلوك الاجتماعي وإشاعة جو من المرح والبهجة واستخدام لغة بسيطة ومراعاة اهتمامات ومشاعر المشاركين في الحوار.[2]

-يقسم الباحثون الحوار من حيث المردودية إلى حوار إيجابي وآخر سلبي:

-**الحوار الإيجابي:** وهو الحوار الموضوعي الذي يعطي لكل طرف فرصة التعبير والإبداع، هدفه إثبات الحقيقة.

-ويتأسس على أصول علمية، بتقديم الأدلة المثبتة ونقلها بطريقة صحيحة وعدم التناقض في الكلام والإقرار بأهمية المتحاور والرضا والقبول بالنتائج والالتزام بها، فضلا عن عدم التعصب والالتزام بآداب وأخلاقيات الحوار والتسليم بنسبية النتائج مع الاتفاق على منطلقات ثابتة، والحوار الإيجابي له أيضا صفات تميزه، منها: الموضوعية، الواقعية، الصدق، التكافؤ، النسبية، المرجعية.

---

[1] حسان بن عمر بصفر، سامي بن أحمد المهنا: **مهارات الاتصال وفن الحوار**، مركز النشر العلمي، جدة، المملكة العربية السعودية، 2008، ص ص24-26

[2] سناء، محمد سليمان مرجع سبق ذكره، ص ص76-78

-**الحوار السلبي:** ويتمثل في الحوار التعجيزي أو العدمي– حوار المناورة –السلطوي – المزدوج – السطحي – الطريق المسدود – الالغائي التسفيهي – المرافق – المعاكس – العدوان السلبي – البرج العاجي، وكلها أنواع سلبية تحد من الأفكار الإبداعية للفرد مما يؤثر سلبا على الحركة الاجتماعية.[1]

تبين الباحثة/ **صفية بنت عبد الله بن أحمد بخيت،** أنواع الحوار السلبي من خلال أنماط المتحاورين، وصفاتهم وكذلك كيفية التعامل معهم. من خلال الجدول التالي:

نمط المحاور	صفاتـــه	كيفيــة التعامـل معـه
المحاور التعجيزي	الذي لا يرى الاَ السلبيات والأخطاء والعقبات وعادة ما ينتهي الحوار معه بدون فائدة.	تذكيره ببعض الإيجابيات والاتفاق معه في بعض الأخطاء الواضحة والصريحة ومحاولة عدم الخوض معه في القضايا الحساسة.
المحاور المناور	يتميز بالتفوق اللغوي في المناقشة بصرف النظر عن الثمرة الحقيقية والنهائية لتلك المناقشة وهو يسعى إلى إثبات ذاته بشكل سطحي.	الثناء على أسلوبه وموافقته في بعض عباراته ومحاولة مجاراته في الأسلوب ومحاولة تقديم الأدلة والبراهين له.
المحاور المزدوج	يعطي كلامه معنى غير ما يكنه باطنه لكثرة ما يحتويه من التورية فهو يستخدم الألفاظ المبهمة ويهدف دائما إلى إرباك محاوره.	حاول أن تجعله يعيد ما قلت له وعامله بلطف وأطلب منه توضيح عباراته بهدوء.
المحاور السلطوي	يلغي كيان الطرف الآخر ويعده دون من ان يحاوره ويرى أن محاورة يجب أن يسمع بدون مناقشة.	استمع إليه جيدا وناقشه في تناقضاته التي يوردها.

[1] عبد الحليم آيت أمجوض: **الحوار في الواقع المعاصر: المفهوم، المشروعية، والأبعاد التواصلية، والحجاجية**، مطبعة تامونت أكادير، المغرب، ط1، 2009، ص ص22–23

المحاور الإلغائي	وهو الذي يصر على رأيه ولا يرى شيئا غير رأيه ولا يكتفي بذلك وإنما ينكر أي رؤية ويسففها ويلغيها.	اجعل حوارك معه عقليا ومنطقيا وحاول أن تعطيه حقائق نذكرها بعد الحوار.
المحاور الطريق المسدود	وهو الذي يعلن منذ البداية تمسكه بثوابت مضادة تغلق الطريق أمام الحوار ويتصف صاحبه بالتعصب الفكري وانحسار الرؤية.	اتفق معه أولاً على القواسم المشتركة والتزم الهدوء معه وحاوره بالدليل والبرهان.
المحاور التجاهلي	هو الذي يلجأ إلى الصمت السلبي عنادا وتجاهلا ورغبة في مكايدة الطرف الآخر دون التعرض لخطر المواجهة.	أطرح عليه أسئلة مفتوحة وأثنى على بعض الأفكار الجيدة التي يطرحها.
المحاور المرافق	وهو الذي يلغي حقه في التحاور لحساب الطرف الآخر، إما استخفافا به، أو تبعية حقيقية طلبا لإلقاء المسؤولية الكاملة على الطرف الآخر.	أشركه في طرح الرأي في قضية تهمك وتهمه وإعطائه بدائل تجعله يختار منه وثبت معه نقاط الاختلاف ونقاط الاتفاق

الجدول رقم01: يبين أنماط المتحاورين[1]

بالإضافة إلى أنواع أخرى من الحوار والتي يحددها الباحث حسان الباهي في كتابه " الحوار ومنهجية التفكير النقدي " :

- **حوار الصدام والنزاع الشخصي:** يقوم على المواجهة المستندة إلى العنف القائم على التهجم والصدام
- **الحوار التناظري أو المناظرة:** ينبني على التعاون القائم على النقاش الهادي واحترام المتناظرين للقواعد المحددة
- **الحوار أو التفكير النقدي:** يبنى على الاختلاف في الرأي بين المتحاورين، لكل منهما وجهة نظر يبتغي التدليل عليها، بهدف إقناع الآخر بها
- **حوار البحث والتقصي:** ويستخدم قصد الزيادة في اكتساب المعرفة ونمائه، ويسعى إلى الحفاظ على التعاون وإلى أن يكون علميا وواقعيا في قواعده ومنهجه

[1] صفية بنت عبد الله بن أحمد بخيت: **تحديد معوقات الحوار في المجتمع الإسلامي وطرق علاجها في ضوء الحوار الإسلامي**، مجلة جامعة أم القرى للعلوم التربوية والنفسية، المملكة العربية السعودية، المجلد4، العدد 2، جويلية 2012، ص445

- **الحوار التفاوضي:** يبنى على حسن التعامل، ويرمي بالدرجة الأولى إلى الظفر بفائدة ومصلحة شخصية وفقا لطريقة متفق عليها
- **الحوار الاستخباري أو الاستعلامي:** مبتغاه سعي أحد أطراف الحوار إلى الحصول على أخبار ومعلومات معينة يتوفر عليها الطرف الآخر
- **الحوار التربوي:** يخص مجال التربية والتعليم، هدفه بالأساس تنظيم وضبط العلاقات داخل المؤسسات التعليمية والتربوية [1]

2-آداب وأخلاقيات الحوار

إن الطبيعة الإنسانية ميالة بطبعها وفطرتها إلى الحوار، وإذا كان الحوار من الوسائل الحضارية للوصول إلى الحقيقة، فلا يعني ذلك أن يختار المتحاورون الوسيلة التي يراها كل واحد أنها مناسبة، بل هناك جملة من الآداب لابد من مراعاتها من أجل سلامة الحوار ونجاحه، للخروج إلى الغاية المنشودة التي يتوخاها الجميع، التزاما بالمنهجية الحوارية بين أطرافه.

وعليه، فإنه يتوجب على من يريد المشاركة في أي حوار أن يكون على دراية تامة بأخلاقيات الحوار، التي نحاول أن نذكر أهمها:

- **الكلمة الطيبة:** بما أن الحوار محاولة للوصول إلى التفاهم والتقارب، لذا يجب أن يغلب عليه طابع الهدوء والانسجام، والبعد عن الخصومة وكل ما يثير أجواء الحوار، لذا ينبغي أن يكون الكلام طيبا، حتى يكون مفتاحا للقلوب وأقرب إلى القبول والرضا، فالكلمة الطيبة وحسن الألفاظ والعبارات، قد تكون عاملا أساسيا في نجاح الحوار والوصول إلى نتيجة، كما أن العبارات الفاحشة وبذاءة اللسان، سبب في إثارة الطرف الآخر، ومن ثم فشل الحوار وعدم الوصول إلى نتائج إيجابية.

هناك أمور تتعلق بالكلمة الطيبة، وتعتبر من ضمن هذا الأدب:

✓ التبسم وطلاقة الوجه، ونعني بها الابتسامة الحقيقية التي تأتي من أعماق النفس، حيث أن تعبيرات الوجه تتكلم بصوت أعمق من صوت اللسان، ومن آثارها: أنها تعمل عمل السحر فتفتح مغاليق النفوس، وتنفذ إلى الأعماق، تنفذ إلى القلب، تنفذ إلى الطاقة المكنونة في الكيان البشري، فتربط المتحاورين برباط الجاذبية

[1] حسان الباهي: **الحوار ومنهجية التفكير النقدي**، إفريقيا الشرق، المغرب، 2004، ص ص23- 24

والتقارب.[1]

✓ نداء الآخرين بأحب الأسماء إليهم، إن مناداة الطرف الآخر في الحوار باسمه وبأحب الأسماء إليه من الأمور التي تشعره بأنك تحترمه وتقدر منزلته، لأن الإنسان يحب أن يسمع اسمه يتردد على لسان محدثه، فقديما قالو: "**أحب أسماء الإنسان إليه اسمه**"، ومنه يستحسن للمحاور أن يثني على محاوره، وأن يستعمل في حواره الكلمات المهذبة التي تبرز رغبة الطرف الآخر وتشجعه إلى تقبل الحق، على أن يلتزم المحاور حدود الاعتدال والاتزان في ذلك.[2]

– **عدم الانتصار للنفس:** ألا يكون قصد المحاور الانتصار للنفس والعلو على غيره وإفحامه واستعراض القوة على الغلبة والتعاظم على الآخرين بالقول والفعل، والظهور بمظهر الأستاذية والتلبيس بلباس المشيخة، وأنه وحده المدرك البصير الذي يسمع قوله ويعتمد رأيه، فإذا وقف فالناس جلوس، وإذا تكلم فالناس سكوت، ينبغي على الإنسان الصادق الجاد أن يحاور محاورة مشاورة ومناصحة مليئة بالألفة والمحبة والتواضع، بعيدا عن المكابرة والمعاندة، ولا يكون قصده الظفر بالخصم والسرور بالغلبة والقهر، فإنه من دأب الأنعام الفحولة كالكباش والديكة، والعلو والكبر من الآفات الخطيرة التي تقلل من قدر المرء حتى ولو كان مصيبا في أصل رأيه.[3]

-**حسن الإنصات والاستماع وتجنب المقاطعة:** إن حسن الاستماع والإنصات للمحاور، أمر مساعد على نجاح الحوار، إن المحاور الجيد هو الذي ينتظر ويتأكد مما يسمعه ويستوضح أي غموض قبل إصدار الحكم.[4]

كثيرا ما نرى ونسمع محاورات في وسائل الإعلام، خاصة المرئية والمسموعة منها، فنجد هذا الأدب مفتقدا في كثير منها، إذ يتحدث أحد المتحاورين فلا يصبر عليه الآخر فيقاطعه قبل إتمام حديثه، أو يتكلمان مع بعض في نفس الوقت وهي آفة أخرى من آفات الحوار، تجبر مدير الحوار على التدخل وإنهاء النزاع، الذي قد يصل إلى الضرب أحيانا، وبالتالي تكون صورة مؤسفة تضيع معها بعض معالم القضية موضوع الحوار.[5]

ولا شك أن فضيلة الاستماع للآخر تحقق إيجابيات كثيرة في الحوار، وهذا لا يعني الاستماع السلبي، أي تصبح متلقيا غير متفاعل مع ما هو قادم من الآخر، وبالتالي كأنه أمر لا يعنيك، في حين أنك عندما تستمع إليه

---

[1] جمال ماضي: **الدعوة المؤثرة (الدعوة الفردية الدعوة العامة)**، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، مصر، ط1، 2006، ص 26

[2] عقيل سعيد ملا زاده: **الحوار قيمة حضارية، دراسة تأصيلية لمنهجية الحوار في الإسلام**، دار النفائس للنشر والتوزيع، ، الأردن، ط1، 2009، ص 158

[3] أحمد بن عبد الرحمن الصويان: **الحوار أصوله المنهجية وآدابه السلوكية**، دار الوطن للنشر، السعودية، ط1، 1992، ص ص92-93

[4] حسن محمد وجيه: **مقدمة في علم التفاوض الاجتماعي والسياسي**، عالم المعرفة، العدد (190)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1994، ص 149

[5] السيد علي خضر، مرجع سبق ذكره، ص ص149- 150

بشكل إيجابي ومتفاعل، فإن درجة وحجم التأثر والتأثير على الطرف المقابل ستكون باستمرار أعلى وأكبر، الأمر الذي يجعل عملية هدر للطاقات ولا سيما النافعة منها في أقل نسبة ممكنة.[1]

وقد أثبت علماء النفس الاجتماعي، أن الاستماع الجيد إلى الآخرين ليس بالضرورة ينتهي إلى التأثير الكامل عليهم، إلاَّ أنه يزيد من أواصر المحبة والتقارب الروحي والعاطفي بين الناس، كما أن من أبرز سمات العظماء وأصحاب النفوذ والتأثير في المجتمعات هي الاستماع والإصغاء إلى كلام الآخرين.[2]

فالمحاور الجيد هو الذي يهتم بالطرف الآخر ويصغي إلى كلامه، ويحسن الإنصات حتى لا يكون في عالم منعزل عنه، وهذا يعين على هدوء الطرفين المتحاورين ويتيح لهما حسن الفهم ووضوح الرؤية، إن عدم الإصغاء للمتحدث وكثرة مقاطعته والاعتراض عليه، سوف يجعل الأمر أمامه أكثر صعوبة لاستعراض آرائه وتصوراته، وإذا لم نحسن الاستماع للآخرين، فكيف نطلب منهم أن يحسنوا الاستماع إلينا؟[3]

- **التحرر من التعصب:** ينبغي على المحاور أن يتحرر من التعصب لأراء الأشخاص، أقوال المذاهب والطوائف والأحزاب، المتعصب أشبه بامرئ يعيش وحده في بيت من المرايا فلا يرى فيها غير شخصه أينما ذهب يمنة أو يسرة، وكذلك المتعصب لا يرى، رغم كثرة الآراء غير رأيه فهو منغلق على وجهة نظره وحدها، ولا يفتح عقله لوجهة سواها، يزعم أنه الأذكى عقلا، والأوسع علما والأقوى دليلا، وإن لم يكن لديه عقل يبدع، ولا علم يشبع ولا دليل يقنع.[4]

ما أصعب وأندر أن يتخلص الإنسان من التعصب، أي لون من ألوان التعصب، فإن الحزبيات قد أثرت في المسلمين تأثيرا كبيرا جدا، فمثلا يتعصب المرء أحيانا لمذهب أو لوطن أو قبيلة أو لدعوة أو لجماعة، فهذا ما يسمى بالحزبية بحيث يحيط هذا الشيء بعقله، فلا يملك عقلا متحررا من القيود والأوهام، بل تجده يدور في فلك معين، ولا يستطيع أن يتقبل الحق إلا في إطار محدود.[5]

إن المتعصب لا يرى نفسه ولا يعتد إلا برأيه وهذا يحمله على أن تأخذه العزة بالإثم ورفض التسليم بالخطأ رغم علمه به، مع أن التسليم بالخطأ، والاعتراف به من أسمى درجات الأخلاق وأكبر درجات الشجاعة، ومن أقبح

---

[1] عبد الله علي العليان: **حوار الحضارات في القرن الواحد والعشرين، رؤية إسلامية للحوار**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الأردن، ط1، 2004، ص 107

[2] فاضل الصفار: **الاستماع ودوره في إنجاح التفاهم والحوار**، مجلة النبأ، مؤسسة المستقبل للثقافة والإعلام، العراق، العدد 35، السنة الخامسة، 1999، نقلا عن الموقع الالكتروني: http://annabaa.org/nbahome/index.htm

[3] أحمد بن عبد الرحمن الصويان، مرجع سبق ذكره، ص 111

[4] يوسف القرضاوي: **الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم**، دار الشروق، مصر، 2001، ص 130

[5] رضا المصري: **فن الحوار الناجح**، دار قطوف للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2011، ص 42

مظاهر التعصب، أن يكون هم المحاور إسقاط صاحبه وتتبع هفواته والتحايل عليه رغبة في تحقيره.

- **العدل والإنصاف:** لكي يكون الحوار مفيدا ومجديا لابد أن يتحلى المحاور بخلق العدل والإنصاف مع نفسه ومع خصمه، وهذا يؤدي إلى إيثار الموضوعية في نقاشه دون أن يخضع لتأثير هوى الذات أو الحزب أو الجماعة، وللعدل إمارات تظهر من خلال قبول الحق، إذا ظهر على لسان الخصم، وإن كان يخالف قناعة من قبله، كذلك الاعتراف بالخطأ دون حاجز التعصب الذميم أو الهوى المتبع، فإمارات العدل أن يتحرر المحاور من التعصب لهواه، فكم من محاور يحركه هواه طلبا للشهرة والجاه والمباهاة والظفر بالخصم والسرور بالغلبة والقهر، وقد أكد العلماء على هذا الخلق، حيث قال **ابن تيمية** :"... **والمناظرة والمحاجة لا تنفع إلا مع العدل والإنصاف**"، إن عدم العدل والإنصاف يرجع إلى الجهل والقصور العلمي بل وفساد النية وضيق الأفق وعدم الاعتراف بآراء الآخرين، ومن كان هذا شأنه فليس له أهلية للحوار.[1]

- **تقديم الخصم واحترامه:** ذلك أن تبادل الاحترام يقود إلى قبول الحق والبعد عن الهوى والانتصار للنفس، ومن هذه المنطلقات الإيجابية، فإن مراعاة الخصم وعدم إسقاطه أو تجاهله سوف يعزز مفاهيم الحوار، كما أن الإسقاط يؤدي إلى نتائج سلبية قد يصل الأثر فيها إلى الموضوع والآخرين أيضا، ومن هذا المنطلق يتطلب هذا الاحترام والتقدير للآخر في إطار هذا الحوار وآدابه، أن نقبل الاختلاف مع هذا الآخر، وينبغي لنا في إطار آداب الحوار، ألاّ نستعلي على الآخرين، لأن النفس الإنسانية، عندما تسرف في تقدير ذاتها، وتحس بالتفوق على الآخر وترفض الاعتراف بغيرها، وتقود هذه الاستعلائية الذاتية إلى الاستبداد والأنانية، ويرى **توكفيل:**" إن الفردية بحد ذاتها صيغة مخففة من الأنانية التي تدفع كل فرد من أفراد المجتمع إلى عزل نفسه والابتعاد عن الآخرين وهكذا تبدو الفردية وكأنها في البداية تضعف القيم الإيجابية في الحياة العامة للمجتمع ولكنها على المدى البعيد، تعادي وتدمر كل هذه القيم فتتحول إلى أنانية صرفة ".[2]

- **الالتزام بوقت محدد في الحوار والمناقشة:** يجب أن يلتزم كل الأطراف أثناء المناقشة بوقت محدد، لأن هذا الالتزام يجعل الطرف الآخر إيجابيا في استجابته وتفهمه، وهو في ذات الوقت عادل في تقسيم الوقت وتوزيعه على المتحاورين، لطرح وجهة نظرهم، وما يريدون شرحه وتوضيحه، وإلاّ حصل عدم القبول بسبب

---

[1] سعد عبد الله عاشور: **ضوابط الحوار مع الآخر**، مجلة الجامعة الإسلامية، (سلسلة الدراسات الإسلامية)، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، المجلد 16، العدد 1، جانفي2008، ص 121

[2] مرتضى معاش: **التواصل مع الآخر، تأصيل لمنهجية التعايش**، مجلة النبأ، مؤسسة المستقبل للثقافة والإعلام، العراق، العدد 47، 2000، نقلا عن الموقع الالكتروني: http://annabaa.org/nbahome/index.htm

هذه الإطالة أو الاستطراد في الحديث دون إعطاء الطرف الآخر الفرصة أو الدخول في صلب القضية المطروحة في الحوار، وهذا يرجع لأسباب عديدة منها:

- ✓ إن البعض يعجب بنفسه وقدراته كما يعتقد، ولذلك تراه يطيل الحديث ويتوسع في الشرح ويعدد مناقبه ومسيرته وعمله وخبراته، وهذا الأسلوب لا يسهم في إنجاح الحوار بل أنه ربما يجهض مسارات الحوار بهذه النرجسية المفرطة.
- ✓ البعض الآخر يحب الشهرة والثناء ويترصد نظرات الحضور وملامحهم، لعله يجد التقدير والثناء أو ربما يقال عنه أنه رجل يملك المعرفة والعلم والقدرة على الحديث والنقاش الواسع دون التوقف أو التعلثم.
- ✓ البعض الآخر يعتقد أنه عندما يطيل الحديث ويتوسع في الشرح أنه يأتي بجديد لم يطلع عليه الحضور أو لم يسمعوه طول حياتهم، ولذلك يزداد نشوة في الكلام ويقحم الكلمات في غير مجالها أو مسارها ويطرح الآراء غير الدقيقة أو التي ليست في مجال الحوار.

وأيضا في هذا المجال عدم الالتزام بوقت محدد في الحديث فيه سلبية مقيتة وهو قلة اللاّمبالاة بالناس وعلمهم ووقتهم وظرفهم، حيث لا مراعاة لهؤلاء الذين يجلسون معه ويستمعون له وربما بعضهم أعلم منه، وأكثر قدرة على الحديث والشرح بأضعاف مما شرحه مع الفارق العلمي الذي ربما يتفوقون به عليه، لكنهم لم يجارونه في هذا الأسلوب غير المستحب، المهم أن الالتزام بوقت محدد بين الأطراف المحاورة إحدى الطرق والوسائل الايجابية للحوار بل هي من آداب الحوار الهامة التي يجب الالتزام بها مسبقا.[1]

يقول **ابن عقيل** في كتابه فن الجدل:" وليتناوبا الكلام مناوبة لا مناهبة، بحيث ينصت المعترض للمستدل حتى يفرغ من تقريره للدليل، ثم المستدل للمعترض حتى يقرر اعتراضه، ولا يقطع أحد منهما الآخر كلامه، وإن فهم مقصوده من بعضه"، وقال أيضا: " وبعض الناس يفعل هذا تنبيها للحاضرين على فطنته وذكائه، وليس في ذلك علم غيب، أو زجرا صادقا، أو استخراج ضمير حتى يفتخر به، والطول والاعتدال في الحديث يختلف من ظرف إلى ظرف ومن حال إلى حال، فالندوات والمؤتمرات تحدد فيها فرص الكلام من قبل رئيس الجلسة، ومدير الندوة، فينبغي الالتزام بذلك، ومن الخير أن ينهي المتحدث حديثه والناس متشوقة للمتابعة، مستمتعة بالفائدة، وهذا خير له من أن تنتظر الناس انتهاءه.[2]

---

[1] عبد الله علي عليان، مرجع سبق ذكره، ص ص102- 103

[2] صالح بن عبد الله بن حميد: **أصول الحوار وآدابه في الإسلام**، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة – مكة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1994، ص30

- **التسليم للحق والاعتراف بالصواب:** من آداب الحوار وأصوله، التسليم للحق والاعتراف بالصواب بعد قيام الحجة و البرهان من أحد المتحاورين وعدم التعصب للرأي، إذا ثبت خطأه، لذلك من آداب الحوار وأصوله أن يوطِّن الشخص نفسه على الرضا والاقتناع والتسليم للحق، الذي ظهر في الحوار والمناقشة على لسان الآخر ورأيه، وعليه أن يستيقن أن الآراء والأفكار ليست ملكا لأحد أو جنس أو طائفة، والصواب ليس حكرا على أحد بعينه، إن من الخطأ البيِّن أن يظن أحد من الناس أن الحق لا يغار عليه إلاّ هو، ولا يحبه إلاّ هو، ولا يدافع عنه إلاّ هو ولا يخلص إلاّ هو، الإشكالية أن التعصب للرأي مع وجود الحجة والبرهان ينشئ العصبية المقيتة والاعتقاد الخاطئ بامتلاك الحقيقة.[1]

فالمحاور الناجح هو الذي يعزو الأفكار إلى مصادرها ويتسلح بالدليل والبرهان الناصع ويستعين بلغة الأرقام والإحصائيات بعيدا عن التهوين والتهويل.[2]

- **البدء بالأهم:** إن المحاور العاقل الذكي هو الذي يصل إلى هدفه بأقرب طريق، فهو لا يضيع وقته في ما لا فائدة منه، أو لا علاقة له بأصل الموضوع أو بمعتقدات، أو أمور جانبية يظنها مهمة وهي ليست كذلك، لذلك فإن معرفة الأهم، و البدء به وتحديده بوضوح، يسهل المهمة بين أطراف الحوار، ويختصر الطريق إلى الهدف المقصود، وهذا ليس معناه إهمال بعض المقدمات الضرورية والتي لابد منها، وإنما المقصود التوازن في ذلك أولا، ثم وبعد المقدمات والتهيئة يختار أهم قضية في الموضوع والبدء في نقاشها ومن ثم الانتقال إلى غيرها وهكذا...، فقد يحتاج المحاور إلى أن يتدرج ويتنازل مع خصمه، ويسلم له ببعض الأمور تسليما جدليا مؤقتا، وذلك حتى يصل إلى القضية الأهم والمسألة الأم، وكثيرا ما يكون هذا الأسلوب هو بداية النجاح للمحاور المحق، إذ أن الخصم المعاند غالبا ما يتمسك بجزئية تافهة أو حجة واهية ويظن أنها القاصمة لخصمه، وأنه سيعلو بها فيبني عليها جميع نقاط الحوار والنقاش، ويرجع إليها كل صغيرة وكبيرة، فإذا سلم له المحاور من بداية الطريق تسليما مؤقتا وأظهر موافقته التامة على شبهته، التي يظنها حجة دامغة، عندما يكون المحاور قد أحرق أهم ورقة لخصمه، وعندما يمكن للمحاور أن يجر خصمه إلى القضية الأهم ويلقي عليه من الحجج والبراهين ما تفحمه وتسقطه، إذ لا يملك جوابا ولا ردا لها، لأنه لم يحسب لها أي حساب أصلا، كما أن عدم مراعاة الترتيب والتدرج في العلم والحوار والنقاش، يبعثر الجهد، ويفقد التركيز: " فإن العلوم مرتبة ترتيبا ضروريا، وبعضها طريق إلى بعض والموفق من راعي ذلك الترتيب والتدريج[3]

---

[1] عبد الله علي العليان، مرجع سبق ذكره، ص 107

[2] سعد عبد الله عاشور، مرجع سبق ذكره، ص 122

[3] يحي بن محمد حسن بن أحمد زمزمي، مرجع سبق ذكره، ص ص296-307

- **العلم:** العلم شرط أساسي لنجاح الحوار وتحقيق غايته، وبدونه لا ينجح الحوار، ويهدر الوقت ويضيع الجهد، فيجب على المحاور ألاّ يناقش في موضوع لا يعرفه، ولا يدافع عن فكرة لم يقتنع بها، فإنه بذلك يسئ إلى الفكرة والقضية التي يدافع عنها، ويعرض نفسه للإحراج وعدم التقدير والاحترام، يقول الشيخ **ابن تيمية** في التأكيد على ضرورة العلم وأهميته لمن يتصدى للحوار" وقد ينهون عن المجادلة والمناظرة، إذا كان المناظر ضعيف العلم بالحجة وجواب الشبهة، فيخاف عليه أن يفسده ذلك المضل، كما ينهي الضعيف في المقاتلة أن يقاتل علجا قويا من علوج الكفار، فإن ذلك يضره ويضر المسلمين بلا منفعة"[1]

على المحاور أن يعد موضوع حواره إعدادا جيدا بأدلته وعناصره والإتقان في كل أمر محمود مطالب به، لابد إذا للمحاور الناجح التسلح بالعلم والمعرفة، خاصة في الموضوع الذي سيحاور فيه، إن موضوع الحوار والعلم بتفاصيله والتسلح بالحجج والبراهين المؤيدة له سلاح فعال في يد المحاور الناجح، يمكنه من الوقوف على أرض ثابتة وليس على رمال متحركة، وحق الاعتراض والتصدي للمحاورة والجدال لا يتأتى لجاهل في مواجهة عالم.

ومن الطرق العلمية في إعداد موضوع الحوار أو الندوة أو المناقشة على سبيل المثال، أن تقوم بزيارة المكتبة واستعراض الموضوع وأثناء قراءتك للصحف والمجلات جهز مقصا بجانبك لاستخدامه في قص الفقرات المتصلة بموضوع البحث، وتبدأ عن طريقها في إعداد ملف المعلومات الخاص بك، ويجب أن تتوقع الموضوعات التي من المحتمل أن يطلب منك الحديث عنها في خلال خمسة سنوات أو عشرة مقبلة.[2]

ولذلك ليس كل إنسان مهيأ للحوار، حتى وإن كان صاحب حق، فإنه ربما حاور بهدف نصر الحق، فيخذل بذلك الحق، لضعف علمه وبصيرته، وربما حاور بجهل فيقتنع بالباطل الذي مع خصمه، وربما احتج بحجج باطلة، مثلما يحدث في بعض المناظرات والمحاورات التي تعقد، فلا يقتنع الناس بالحق الذي يحمله، ولا بد من الفهم مع العلم وقوة العقل ليدرك المتحدث حجج الخصم ويتمكن من فهمها، ويعرف نقاط الضعف والقوة فيها، فيقبل ما فيها من حق ويرد ما فيها.[3]

- **التواضع واحترام الآخر:** التواضع خلق كريم، يزيد صاحبه رفعة وعزا ويحببه إلى قلوب الآخرين، فالحوار والنقاش الذي يدور بين الناس إذا كان يدور على التواضع والاحترام المتبادل بين الأطراف وعلى الأسلوب المهذب

---

[1] عمر عبد الله كامل: **آداب الحوار وقواعد الاختلاف**، بحث مقدم إلى المؤتمر العالمي حول موقف الإسلام من الإرهاب، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، نقلا عن الموقع الاكتروني: http://www.asharqalarabi.org.uk/markaz/di-06082011.pdf، ص 11

[2] السيد علي خضر، مرجع سبق ذكره، ص ص131- 133

[3] سلمان بن فهد العودة: **أدب الحوار**، نقلا عن الموقع الالكتروني:http://www.alkutubcafe.com/book/tHlvCM.html، ص 16

الخالي من كل لا يليق، فإن نتائجه تكون طيبة وآثاره حميدة، أما الحوار أو النقاش الذي يكون مبعثه الغرور، والتعالي والتفاخر والتباهي بالأقوال، فمن المستبعد أن يأتي بنتيجة توصل إلى حق أو حقيقة.[1]

والمحاور المتواضع يحمله تواضعه على احترام الآخر مسلما كان أم كافرا، فالإسلام يأمرنا أن ننزل الناس منازلهم، فإذا كان الحوار مع شخص مهم أو كبير في السن أو يحتل منصبا مهما سياسيا أو اجتماعيا أو اقتصاديا، ينبغي أن نحفظ له حرمة المنزلة التي يحتلها حتى لو كان مسيحيا أو يهوديا أو وثنيا ونختار الألفاظ المناسبة لمكانته ونجامله بالحق ونثني عليه على ما فيه من جوانب إيجابية، وهذا كله لا ينافي عزة المؤمن ولا واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمهم في ذلك ألا نقع في الملق الرخيص، أو النفاق المرذول، أو الكذب في إضفاء صفات لا يستحقها المخاطب، ومن الإنصاف أن يبدي المحاور إعجابه بالأفكار الصحيحة والأدلة والمعلومات الجيدة التي يوردها الطرف الآخر ويسلم بها وربما يقتبس المحاور من كلام صاحبه في وقت لاحق عبارة جيدة تفوه بها في وقت سابق، وهذا يفتح قلب الطرف الآخر لقبول آراءه، ويذهب بروح التحفز التي تسود عادة أجواء المناظرات والمناقشات وتضفي على المحاور صفة الموضوعية.

والإفساح للرأي الآخر، وعدم تخطئته مقدما مصدره رسوخ القدم في العلم وإدراك تعدد وجوه الحقيقة وتعدد الطرق إليها... ومصدره كذلك تواضع النفس والعقل والتسليم بأن كل صاحب رأي بشر يخطئ ويصيب ومصدره فوق ذلك الحرص على الحقيقة، والأمانة في السعي إليها.[2]

إن التزام الأدب وحسن الخلق والتواضع على وجه الخصوص، له دور كبير في إقناع الطرف الآخر، وقبوله للحق وإذعانه للصواب، فكل من يرى من محاوره توقيرا وتواضعا، ويلمس خلقا كريما، ويسمع كلاما طيبا، فإنه لا يملك إلاّ أن يحترم محاوره ويفتح قلبه للاستماع إلى رأيه.[3]

– **رفض الانغلاق:** إذا انغلق الإنسان على رأيه، وأعرض عن الانفتاح على الآراء الأخرى، فإنه سيعزل نفسه عن تطورات الفكر والمعرفة، ويحرم نفسه من إدراك حقائق ومعارف مفيدة، وقد يكون رأيه الذي انطوى عليه خاطئا، فلا يكشف بطلانه في ظل الانكفاء والانغلاق.

– **التعددية والرأي الآخر:** ليس حتما أن يصل الطرفان المتحاوران إلى رأي واحد، فقد يعجز كل منهما عن إقناع الآخر بوجهة نظره، وقد يفشلان في الالتقاء عند منتصف الطريق ويبقى كل منهما متمسكا برأيه، عن حق

---

[1] سعد عبد الله عاشور، مرجع سبق ذكره، ص 111

[2] المرجع السابق، ص 112

[3] عمر عبد الله كامل، مرجع سبق ذكره، ص 8

أو لشبهة، **أو** مكابرة وعنادا، وهنا لابد من القبول بالتعددية والاعتراف بوجود الرأي الآخر، لأن الدنيا تتسع للجميع، والحياة فيها حق مشترك، وحرية العمل والحركة متاحة لبني البشر.[1]

ومن أمثلة الاختلاف في الرأي، الاختلاف الفكري الذي هو موضوع دراستنا التي نحن بصدد إعدادها، حيث يشخص لنا **طه عبد الرحمن** هذه الظاهرة في كتابه المعنون " **الحق الإسلامي في الاختلاف الفكري** "، يؤمن بالتعددية الفكرية والتعدد في الرأي، إلاّ أنه يميز بين نمطين من الاختلاف الفكري:

✓ **لاختلاف الفكري اللين:** الذي يقع بين أمتين، اختارتا في التعامل الفكري بينهما طريق التعارف، ولما كان أصلا التعارف تعاونا على المعروف المطلوب هنا هو أفكار تنفع الجانبين، وجب أن تبقى أسباب التواصل والتحاور بين الأمتين محفوظة، بحيث لا تدعي أية أمة منهما أن مفاهيمها وأحكامها وقيمها تعلو على قيم وأحكام وقيم الأمة الأخرى، ولا أنه بالأولى يلزمها الأخذ بها، أيا كانت ظروفها الخاصة.

✓ **الاختلاف الفكري الصلب:** وهو الاختلاف الذي يقع بين أمتين اختارتا في التعامل الفكري بينهما، طريق التعاون، أي عمل فكري من جانبين إثنين إلى رتبة التوصيل، أي عمل فكري من جانب واحد، بحيث تلقي إحداهما بفكرها إلى الأخرى ولا تتلقى منها فكرها، وهذا يعني أن فكر إحدى الأمتين المتعاونتين يفقد اللين الضروري للتواصل الحقيقي، بمعنى " **يتصلب** "، ويمكن أن يسمى بـ: " **التصلب الاستعلائي** "، وتسمى الأمة التي تقع فيه بـ: " **الأمة المستبدة** "، ومنه فإن الآفات الخلقية التي تقع فيها الأمة المستبدة ثلاث:

✓ **آفة التعصب الفكري:** لا شك أن الأمة التي ترى، أن ما تدركه وتعتقده وتريده لا يخصها وحدها، بل أيضا يشمل الأمة التي تتعاون معها، تجعل المشروعية الفكرية في جانبها، فتصير إلى التشدد في أفكارها وأحكامها، ناظرة إلى كل اعتراض تورده هذه الأمة على أفكارها وأحكامها على أنه اعتداء على حقوقها وتهديد لوجودها.[2]

✓ **آفة التسلط الفكري:** لا تكتفي الأمة المستبدة بإبداء التطرف في أفكارها وأحكامها، بل تسعى إلى فرضها على كل أمة تدخل في التعاون معها وقهر عقول أهلها على الانقياد لها، ومن أجل الوصول إلى هذه الهيمنة الفكرية، فإنها لا تتردد في أن تتخذ كل الوسائل المتاحة، مشروعة كانت أو غير مشروعة.

---

[1] حسن موسى الصفار: **الحوار والانفتاح على الآخر**، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، سلسلة الدراسات الحضارية، بيروت، لبنان، ط2، 2012، ص، ص 28، 80

[2] طه عبد الرحمن: **الحق الإسلامي في الاختلاف الفكري**، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 2005، ص ص143 –144

✓ **آفة الإقصاء الفكري:** تسعى الأمة المستبدة من الأمتين المتعاونتين إلى أن تنزع عن فكر الأمة الأخرى صفات القائدة والمعقولية والإبداع التي يتصف بها، وهكذا يقال أن الأمة المستبدة يتصلب فكرها، فكذلك تتصلب أخلاقها، أو كما يقال يتصلب وجهها، فالتعصب يجعلها لا ترى الصواب، إلاّ فيما تفكر فيه ولا شيء يحجب

✓ الحقيقة مثلما يحجبها الرأي الواحد حتى ولو كان صوابا، والتسلط يجعلها تملي على غيرها ما ينبغي أن يفكر فيه، ولا ينبغي أن يفكر فيه، ولا شيء يضر بالفكر مثلما يضره هذا الإملاء، إذ يضيق نطاق آفاقه ويخمد طاقات الإبداع فيه.[1]

الأمة المستبدة بفكرها، تنكر حق غيرها من الأمم في أن تفيدها بأفكارها، وتنكر حق هذه الأمم في أن تختلف عنها في أفكارها، وهذا ما يبن أن هذه الأمم ذات فكر أحادي، وهذا النوع من الفكر، يتميز بخصوصية وهي عموما:

* **فكر واحدي:** لا يقبل هذا الفكر أن يوجد معه شريك، وكل من يُشرك به فكرا آخر، فحظه أن يعد ناقصا في عقله، متخلفا في ثقافته، حيث يقال على هذا الفكر: " إن الفكر الأحادي يمارس نوعا من الإقصاء المعنوي والإرهاب الفكري".

* **فكر تقليدي:** يتجلى هذا التقليد في مظهرين، أحدهما أن المتلقي يجد نفسه محمولا على أن يعتقد ويقلد هذا الفكر الذي يصدر عن جهة لها سلطان سياسي أو اقتصادي غير منازع فيه.

* **فكر تمجيدي:** لا يتوان الفكر الأحادي، بذكر مزايا العولمة، ويبشر بمستقبل أفضل للمجتمع الإنساني، فيقرر أن في عولمة السياسة مزيدا من ترسيخ حقوق الإنسان، وفي عولمة الاقتصاد مزيدا من التقدم والسعادة، وفي عولمة المعلومات مزيدا من الانفتاح والارتباط.

* **فكر هرمي:** ينزل العنصر المعلومي في الفكر الأحادي منزلة القاعدة من الهرم يليه العنصر الاقتصادي ثم العنصر السياسي في قمته، ولو أن هذه العناصر يأخذ بعضها برقاب بعض.

* **فكر مصلحي:** يخدم الفكر الأحادي مصالح مجموعات قوى مخصوصة، وهي مجموعة القوى السياسية، القوى الاقتصادية، والقوى المعلوماتية، ولا يوجد تضارب بين مصالح هذه القوى، بل تتكامل مع بعضها البعض، حيث يلزم أن يتولى الفكر الأحادي الذي تنتهجه هذه المجموعات الثلاث، إقامة الأدلة على تكامل المصالح ومشروعيتها وكذا على ضرورة الحصول عليها ووجوب التكيف معها.[2]

---

[1] المرجع السابق، ص ص144 -145

[2] المرجع السابق، ص ص183- 186

* **فكر تصنيعي:** لما كان للأفكار آثار بالغة في حياة المواطنين، فقد اقتنعت هذه المجموعات المصلحية المذكورة سابقا، بأن عمل الأفكار وترويجها بينهم، أضحى أمرا يخدم مصالحهم، فانطلقت تهيئ أفضل الأسباب المادية للقادرين على إنتاج الأفكار وغرسها في النفوس (خبراء الفكر، والمشتغلون بالبحث العلمي)، تتمثل الأسباب المادية في: المنشآت المالية، ومنظمات اقتصادية، ومراكز بحث داخل الجامعات الكبرى تمول مشاريعهم ودراساتهم، وعرفت هذه المراكز الخاصة (صناديق الأفكار).

يصل **طه عبد الرحمن** بعد تحديده لخصائص الفكر الأحادي، إلى نتيجة مفادها:

أن الفكر الأحادي فكر بلا أمة – فكر بلا أخلاق – فكر بلا إنسان – فكر وقاحة واجتثاث، إذا كان الأصل في الوقاحة هو الصلابة، فلا أصلب من هذا الفكر.[1]

ينتقد **طه عبد الرحمان**، الساحة الفكرية المغربية، أنه إذا كانت الساحة السياسية المغربية أخذت تستأنس مؤخرا لبعض أساليب الممارسة الحوارية، فإن الساحة الفكرية مازالت تنأى بنفسها عن هذا الفضاء الحواري الجديد، فالواحد من أهل الفكر المغاربة لايحاور غيره، فهو إما يعتزل في برجه العاجي، ظنا منه، أن قوله هو قول الفصل في كل شيء، وإما يتعمد الشذوذ في أقواله، مطبقا القاعدة اليسارية: " **خالف تعرف** "، وأما إذا اعترض على غيره أخفى إسمه وعنوانه، كما لو أن التصريح بالاسم أو ذكر العنوان تنقيص من منزلته، وإما إذا اعترض عليه غيره، أعرض عن الجواب وحث أصحابه على الإعراض عنه كما لو أن في الرد على الاعتراض ذم وتقليل من شأن عمله.

وحال الذي يغلق باب الحوار، أو يخل بأدبه يميت في نفسه روح العقلانية النافعة، والعقلانية النافعة هي التي تكون ثمرة الامتحان بواسطة الأدلة من جانبين إثنين على الأقل، ومن يميت هذه الروح يقطع الأوردة التي تحمل إليه هذه المعرفة، فيحرم نفسه من إمكان تصحيح آراءه وتوسيع مداركه فيضيق نطاق عقله ويتسع نطاق هواه، وحينئذ لا يفيده علمه، بل أنه يضره ويضر غيره ، بل أبعد من ذلك فهو يميت في نفسه وفي غيره روح الجماعة الصالحة، والجماعة الصالحة هي التي يكون أمرها على هدى من الشورى القائمة بين أفرادها، ومن يميت هذه الروح يسد المسالك التي تنقل إليه العمل المشترك، فيحرم نفسه من تقويم أفعاله وتهذيب أخلاقه، فتقوى لديه دواعي الاستئثار في نفسه وتضعف دواعي فيها، وحينئذ لا يصلحه عمله وإن توهم أنه يصلح به، ولا بالأولى يصلح غيره بل يفسده ويفسد غيره، ولعل في منعطف التغيير الذي دخل في مجتمعنا في مطلع القرن الجديد لا

[1] المرجع السابق، ص ص187-190

نحتاج إلى شيء، أكثر من احتياجنا إلى هاتين الروحين المتكاملتين: الروح العقلانية النافعة والروح الجماعية الصالحة، التي تورثهما الممارسة الحوارية.

ويدعو **طه عبد الرحمان**، بأن يعجل في وضع خطة تربوية دقيقة وشاملة توفر لمجتمعاتنا تكوينا متينا في منهجيات الحوار وأخلاقياته، ولنا في الدول المتقدمة أسوة حسنة كما لنا في تراثنا وتاريخنا الكثير مما يفيدنا في تأصيل هذه التربية وتسهيل انتشارها بين الفئات والأفراد، فقد ترك لنا أهله تقليدا راسخا في المجالس والمناظرات التي ارتقت إلى رتبة عالية في مجال التحضر، فضلا عن غزير إنتاجهم العلمي الذي يدور حول مسألة الحوار.[1]

- **التركيز على الفكرة لا على صاحبها:** على المحاور أن يلتزم بنقاش الأفكار التي يتم تداولها أثناء الحوار، والفصل بين الفكرة وصاحبها.

- **إنهاء الحوار بأدب ولباقة:** على المتحاورين أن يختموا حواراتهم بجمل رقيقة وحسنة، مع إبداء الشكر والتقدير لكل المتحاورين، وإذا كان ختام الجلسات الدورية فيه شكر وعرفان للجميع، تصبح هذه الجلسات من الذكريات الجميلة لدى المتحاورين فيما بينهم.[2]

والباحث في مجال العلم، مطلوب منه أكثر من غيره أن يلتزم بقواعد الحوار العلمي البناء الذي من مميزاته الموضوعية، والهدوء وتقبل الرأي الأخر دون تعصب أو مآثرة النفس، ومن بين هذه القواعد:

- ✓ **القاعدة الأولى:** أن يكون هدف الباحث الوصول إلى الحقيقة، ويقتضي هذا عدم التعصب للرأي، وأن يعتمد في الاستدلال على قوله بالحجة والبرهان، وقد أصبح من موروثنا العلمي والثقافي القول: " رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب ".
- ✓ **القاعدة الثانية:** أن يتقيد الباحث بالعبارات المهذبة في عرض رأيه المخالف ومناقشته، وأن يتجنب الطعن أو التجريح، أو الاستهزاء والسخرية من الرأي المخالف أو تحقيره.
- ✓ **القاعدة الثالثة:** التزام الباحث بتقديم الأدلة المثبتة أو المرجحة لما يدعيه والتزامه بإثبات صحة النقل عن الآخرين فيما ينقل، وقد تقرر عند أهل العلم قولهم: " إذا كنت ناقلا فالصحة، وإذا كنت مدعيا فالدليل".
- ✓ **القاعدة الرابعة:** أن لا يكون الباحث ملتزما في أمر من أموره ضد الدعوى التي يحاول إثباتها، فلا يدعي دعوى ويعتقد ضدها، لأن الضدين لا يجتمعان، وكل من يدعي دعوى ويكون معتقدا ضدها تسقط دعواه.
- ✓ **القاعدة الخامسة:** أن لا يكون دليل الباحث على دعواه ترديدا لأصل الدعوى مقترنا ببراعة في التلاعب بالألفاظ

---

[1] طه عبد الرحمان: **حوارات من أجل المستقبل**، مرجع سبق ذكره، ص ص6-8

[2] مصطفى يوسف كافي، مرجع سبق ذكره، ص ص124-125

- ✓ **القاعدة السادسة:** أن لا يلجأ الباحث إلى الطعن في أدلة المخالف من غير حجة أو دليل علمي يعتمده في تبرير أفكاره.
- ✓ **القاعدة السابعة:** التسليم بالقضايا المسلمة والمتفق عليها، وعدم المكابرة والإصرار على إنكارها، لأن إقامة الأدلة على المسلمات والثوابت إضاعة للوقت، وقديما قال الشاعر: " وليس يصح في الإفهام شيء... إذا احتاج النهار إلى دليل".
- ✓ **القاعدة الثامنة:** قبول النتائج التي يتوصل إليها بالأدلة الصحيحة، سواء أكانت أدلة قطعية، أو تفيد ظنا غالبا بدعوى أنها نتائج غير قطعية.[1]

ومنه أصبح الحوار، ضرورة حضارية، حيث وصف هذا العصر بعصر الحوار، لذلك لابد من إقامة وفتح النوافذ وإقامة جسور الحوار بين الأطراف المختلفة، فهو البلسم الشافي للصراع القائم بين أصحاب التوجهات والمشارب المختلفة الذين يتبادلون الأحكام المعلبة والمستنسخات الجاهزة والوصفات المعدة مسبقا، وهذا لايعني أن تصير الأطراف المختلفة نسخا طبق الأصل لبعضها البعض، بل أن يتخلى كل طرف عن إمبرياليته ونظرته الاستبعادية، إن تواصل الحوار بين الأطراف المختلفة فئات أو أفرادا، يفضي بمرور الوقت إلى تقليص فجوة الخلاف بينهم، وذلك لدخول هذه الأطراف في الاستفادة من بعضها البعض.[2]

فالحوار يلعب دور الشرايين التوحيدية والململمة للأجنحة المختلفة والمتعددة المرجعيات في المجتمع الواحد، ورغم الصعوبة التي تكتنف هذا التقريب ولملمة هذا الشتات، يقول أحد الباحثين: " يجب أن نعترف بداية بأن الأمر ليس من السهولة بمكان، خصوصا في بيئة تتسم بالانحطاط والاستبداد، حيث يسعى كل فريق إلى الانفراد برأيه والانغلاق عليه مع العمل على استدعاء رصيده التاريخي من الشكوك والاتهامات ليعلنها في وجه الفريق الآخر ويتم بذلك مصادرة الحاضر والمستقبل ورهنهما في ذلك الماضي، إن الأمر يتطلب كخطوة أولى القطع مع ذلك الماضي المشحون بالعداء والتشكيك ثم العمل على إيجاد أرضية مشتركة وذلك من خلال التفاكر والحوار حول إشكالات الأمة وأولويات أسئلتها الراهنة بكلمة، إن الوعي الحضاري يدعو إلى العمل على دمج

---

[1] حسين مطاوع الترتوري: **البحث العلمي خطته وأصالته ونتائجه**، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، جامعة القدس المفتوحة، فلسطين، العدد 20، جوان 2010، ص ص103-105

[2] محمد آيت حمو: **أفق الحوار في الفكر العربي المعاصر، منشورات الاختلاف، الجزائر**، دار الأمان، المغرب، ط1، 2012، ص ص273-275

التعدد والتنوع في إطار الوحدة"، فإغلاق أبواب الحوار وسد نوافذه والإخلال بأدبه، فعلة شنعاء توقع صاحبها في إماتة روح العقلانية النافعة فضلا عن روح الجماعة الصالحة.[1]

-**تجنب التعميم والتفسير**: كثيرا ما يتحدث المتحاورون بطريقة قاسية، لأنهم يعممون في كلامهم، أو يطلقون تصريحات تحتوي على بعض الظلم والإجحاف بحق الآخر، ومن بين المفردات التي تصدر من المتحاور،

-ينبغي تفاديها، مثل (أبدا، دائما، بشكل عام، كل...)، فهذه الكلمات، عند استعمالها في جمل، تضفي عليها طابع العنف والقسوة وهذا من شأنه أن يثير حفيظة طرفي الحوار، كما أن الموضوع الأساسي الذي عقد من أجله الحوار، قد يخرج عن طريقه وينحرف جانبا إلى الهوامش، وقد يتحول الحوار إلى نزاع شخصي، بسبب عدم مراعاتنا لأساليب الكلام غير المنصفة، وبذلك نكون قد فقدنا الحل العقلاني الذي يرضي الطرفين.

– **لا تقدم نصائح وأنت تحاور**: أن يتجنب المحاور تقديم الملاحظات والنصائح أثناء الحوار، أحيانا ينجر الحوار إلى الانغلاق ويكون المحاور في تضايق، فإذا أخذنا نستنتج من كلام محدثنا استنتاجات سريعة وتأخذ بتفسير كلامه قبل فهمه بالشكل المطلوب والدقيق، فإن هذا يزعجه وربما يشده نفسيا وينتهي به الأمر إلى تعطيل المحاورة، غالبا ما ينحى هذا الأسلوب بأجواء المحاورة إلى التوتر والانزعاج ويقلبها إلى منازعات شخصية فيها من التشفي أكثر مما فيها من التعاطي والأخذ والرد، وربما قد يعطي هذا للطرف الآخر، بل وللحضور ككل انطباعا سلبيا يجعلهم ينغلقون عليك ولا يحبذون محاورتك أو التواصل معك.[2]

لقد حاول **هابرماس** الاقتراب من ضوابط الحوار، وذلك في إطار اهتمامه الأساسي بمسألة الكلام واللغة و المناقشة، من أجل الكشف عن مستويات امتلاك الحقيقة من خلال النقاش وأخلاقياته، فالنقاش يقتضي وجود طرفين إحداهما عارض وآخر معروض عليه، يضيف **هابرماس**، يجب أن تراعي المناقشة عدة مقتضيات من بينها: مقاصد المناقشين، بحيث أن أخلاقيات النقاش تقتضي أن يكون الجواب مدللا ومفهوما لا غلط فيه ولا تقليد، ومن هذا المنطلق فإنه يساهم بنظريته الإجمالية للحقيقة في حيازة الحقيقة المتعالية وفي الوهم الدائم بامتلاك الحقيقة الواحدة، ولا سيما في زمن خلفت فيه الحداثة صيغا متعددة للحوار ومجالا عموميا له آليات تكشف عن مختلف الحقائق في سياقات ومجالات للقول متحركة دوما، ومنه فالمناقشة عند **هابرماس** هي أساس

[1] المرجع السابق، ص 276

[2] فاضل الصفار: **تقنيات الحوار البناء، والتفاهم المثمر**، مجلة النبأ، مؤسسة المستقبل للثقافة والإعلام، العراق العدد 34، الربيع الأول، السنة الخامسة، 1999، نقلا عن الموقع الالكتروني: http://annabaa.org/nbahome/index.htm

التواصل، وأن التواصل أصبح الفاعلية الوحيدة التي في إمكانها إعادة ربط الصلة بين أطراف هذا العالم متقطع الأوصال.[1]

ومنه يرى البعض، أن المعرفة عند **هابرماس وآبل**، غير ممكنة، إلاّ انطلاقا من شروط عقلانيات التواصل، فالتواصل غير ممكن، إلاّ انطلاقا من الاستعمال الإنساني للخطاب، وتستند عقلانية التواصل إلى أخلاقيات المناقشة والبرهنة مؤكدة على الالتزام، قبل أي نقاش والموافقة مسبقا على معايير منطق الخطاب وصفاته (الصدق – الصحة – الصلاحية – الدقة – المسؤولية – المعقولية)، وكلها شروط التواصل العقلاني، مما يعني أن رفض مبدأ البرهنة يعني الانسحاب على الفور من جماعة الكائنات العاقلة.

وبذلك يرى **هابرماس**، أن الحوار والنقاش الصحيح، عملية تراضي وهو لا يقوم على أسس معقولية، وليس بالتهديد والعنف، فالنقاش يقوم على القوة الخالية من عنف الخطاب، وعلى هذه الأسس يؤثر المتحاورون الواحد في الآخر في الفاعلية الإستراتيجية وفي الفاعلية التواصلية، يؤثر الفاعلون طبقا للتفاهم المتبادل، وهنا مبدأ الأخلاق، فالتواصل إيضاح مملكة الأخلاق النظرية.[2]

إذن الحوار هو بمثابة عملية حفر في الفكر البشري عن الحق والحقيقة، وفق آداب وأخلاقيات الحوار، لأنه لا أحد يدعي امتلاك الحقيقة والصواب، فالأدلة والحجج والبراهين وحدها التي تفصل بين المتحاورين.

3. معوقات الحوار

يعترض الحوار مثل أي نشاط اجتماعي لعوائق وصعوبات يسببها المتحاورون، وهذه العوائق قد تكون شخصية أو موضوعية، وتتمثل في:

- **العوائق الشخصية:**

✓ **الثرثرة:** وتعني الرغبة في الكلام من أجل الكلام، فالثرثار عندما يهدف إلى إبراز شخصيته، كأنه فرض عقوبة الإصغاء الكامل للكلام الفارغ.

✓ **الإطناب في الكلام:** يهتم بعض الأفراد كثيرا بالصياغة اللفظية، بالفكرة أو الرأي كما أنه يولي عناية خاصة للبيان والبديع والطباق والجناس.

---

[1] أودينة سليم: **فلسفة التداوليات الصورية وأخلاقيات النقاش عند يورغن هابرماس**، أطروحة ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم الفلسفة، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2009، ص ص86-95

[2] أبو النور حمدي أبو النور حسن: **يورجين هابرماس(الأخلاق والتواصل)**، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 2012، ص، ص 250، 252

✓ **اللف والدوران:** بمعنى أنك تحاور فردا يلف ويدور حول الموضوع ويأبى الدخول في صلب الموضوع قصدا، للتهرب من مواجهة حقائق معينة أو الاعتراف بشيء لابد من الاعتراف به

✓ **غياب الأدلة والبراهين:** بعض المتحاورين يتكلم دون دليل مادي أو مستند منطقي أو برهان عمل، لأنها تعتبر ضوابط نظامية للفكرة أو الرأي.

✓ **إخفاء جزء جوهري من الحقيقة لأغراض التعتيم والتضبيب:** يتعمد بعض المتحاورون على إخفاء جزء جوهري من الحقيقة المعروضة، وذلك لإضفاء الضبابية على الواقعة أو الفكرة.

✓ **الغضب والانفعال:** الهدوء شيء لازم لمناخ الحوار العلمي، وهذا يعني أن يسيطر المتحاور على انفعالاته.[1]

- **العوائق الموضوعية:** يحصر بعض الباحثين العوائق الموضوعية في جملة من النقاط:

✓ **تباين المفاهيم:** لكل علم مفاهيمه الخاصة به، كما أن أي مصطلح يختلف مضمونه من علم لآخر، لذلك يقتضي الأمر قبل البدء بالحوارات، أن يحدد كل طرف معنى المصطلح أو المفهوم الذي يستخدمه.

✓ **اختلاف الأجيال:** الحوار بين الأجيال في أغلب الظروف، وكأنه معركة بين متحاورين كل منهم يحاول إخماد أنفاس الآخر، فالحوار بين الأجيال، إذا استند إلى أسس موضوعية وجرى الالتزام في نطاقه بأخلاقيات الحوار العلمي، يصبح حوارا مفيدا وينتفع منه كل جيل على حدة.

ومن العوامل أيضا التي قد تحول دون تواصل بين الناس ومد جسور الحوار بينهم:

- **التعصب للآراء والمذاهب والأفكار والأشخاص:** هي ظاهرة تمثل انحرافا مرضيا حينما لا تكون ذات مضمون أخلاقي، والمتعصب لا يفكر فيما يتعصب له، يقبله كما هو، لذا فلا يمكن لمتعصب أن يتواصل إلاَ مع من يردد مقولاته نفسها.
- **التسرع في إصدار الأحكام:** التسرع في إصدار الأحكام دون روية ومع عدم وضوح الرؤية، يقع في أخطاء، ولعل ما يدفع إلى التسرع:

✓ الغرور بالنفس، والاعتداد بسرعة البديهة.

✓ الكسل الذهني وعدم الرغبة في إجهاد الفكر للتعرف على الحق.

✓ الانفعال النفسي، كالغضب والخوف والطمع وطيش الهوى.

[1] سناء محمد سليمان، مرجع سبق ذكره، ص ص88-89

✓ الحاجة الملحة ومدافعة الضرورة الطبيعية.[1]

- **التفكير السطحي:** الذي لا يغوص في أعماق المشكلات ولا يدرك أثر العلاقات ببعضها البعض، ولا يستوعب تأثير المتغيرات، بل يتوقف عند الأسباب الظاهرة للمشكلة، والتفكير السطحي هو الذي يغيب العقل، ويهمل العلم ويغفل العمل، ومن سماته إرجاع المشكلات والظواهر إلى عامل واحد، مع أن المشكلات لا يمكن إرجاعها لسبب واحد.

- **أخذ زمام الحديث بالقوة** : وذلك لكي لا يدع للخصم فرصة يتحدث فيها، فيهدم بنائك الضعيف، أو يحطم حججك الزجاجية، أو يثير البلبلة في نفوس الناس، فبهذا التصرف يكون المحاور، قد أخذ بمبدأ الكلمة التي قالها **دايلي كازنيجي** في كتابه **(كيف تؤثر في الناس وتكسب الأصدقاء)**، إذ قال: " إذا كنت تريد أن ينقص الناس من حولك و يسخروا منك عندما توليهم ظهرك وتتركهم، فإليك الوصفة: " لا تعطي أحدا فرصة للحديث، تكلم بدون انقطاع، وإذا خطرت لك فكرة، بينما غيرك يتحدث، فلا تنتظر حتى يتم حديثه، فهو ليس ذكيا مثلك، فلماذا تضيع وقتك في الاستماع إلى حديثه السخيف؟ اقتحم عليه الحديث واعترض في منتصف كلامه واطرح ما لديك".

- **تهويل ما قاله الطرف الآخر:** يهول البعض أقوال الآخرين ويحملون كلامهم من الضخامة مالا يخطر إلاَ في نفوس مرضى القلوب، لئلا يتجرأ أحد على القول بمثل ما قالوا أو نصرة ما ذهبوا إليه.

- **الاعتداء في وصف الطرف الآخر:** فتصفه بما لا يليق من الأوصاف تأديبا له وردعا لأمثاله، فتقول له: هذا جاهل، سخيف، حقير متسرع، وأضعف الإيمان أن تصفه، بأنه ليس أهلا لهذا الأمر، ولا يعكس هذا فحسب، بل لابد من كشف هذا الإنسان فتمته بفساد نيته وسوء طريقته وخبث مقصده.[2]

- ومن عوائق الحوار كما جاء في أحد الأبحاث:

- **المراء:** من العوائق التي تفسد الحوار، وتجعله غير مفيد للمتحاورين والمستمعين له، تحوله إلى مراء، والمقصود بالمراء: هو " طعن في كلام الغير إظهار خلل فيه من غير أن يرتبط به غرض سواء تحقير الغير، فالمحاور يحرص كل الحرص على إبطال كلام الطرف الآخر ويسعى إلى الاعتراض على أي رأي يبديه لمجرد الاعتراض وتخطئة الخصم بغير وجه حق".

- **عدم وجود قواسم مشتركة بين المتحاورين:** من عوائق الحوار، عدم وجود قواسم مشتركة بين المتحاورين، فكل منهم يتحدث في موضوع لا يفهمه الآخر، أو أنه يتحدث عن أمور لا يستطيع الطرف الآخر استيعابها،

[1] المرجع السابق، ص ص89-91

[2] المرجع السابق، ص ص91-94

ومما يزيد الأمر صعوبة، أن كلا منهما لا يرغب في تجاوز هذا الأمر، ومحاولة فهم رأي الآخر، إن عدم وجود قواسم مشتركة بين الطرفين يؤدي إلى أن تستمر المناقشة دون فائدة، مادام إطار المرجع لكل منهما لم يتداخل مع إطار الآخر، في كثير أو قليل من أجزائه، ولذلك الحوار السليم يبدأ بالقدر المشترك من الإطار المرجعي لهما.[1]

بالإضافة إلى معوقات أخرى تم معالجتها في بحوث مختلفة، ويمكن التطرق إليها لأهمية الموضوع، وتتمثل في:

-معوقات تتعلق بشخصية المتحاور، نذكر منها:

✓ **التشتيت:** وهو أن يلجأ المحاور إلى المكر، حين يجد نفسه في مأزق ولا يستطيع أن يخرج منه، والتشتيت هو الكلام في الأمور الجانبية، لا علاقة لها بموضوع الحوار، والغرض هو التهرب من مواجهة حقائق معينة، وحقيقة هذا النهج لا يخلو من أغراض سيئة، لأن من يتبعه يهدف إلى تحقيق غاية معينة كالتعتيم والبعد عن الحقيقة، والبعد عن الصواب، أو إيصال معلومات ناقصة، تؤثر سلبا على طبيعة الحوار ومنهجيته، وهذا الأسلوب يلجأ إليه العاجزون عن تقديم المعلومات الصحيحة من أنصاف المتعلمين الذين تخيل لهم عقولهم أنهم على درجة من العلم والإدراك، فيحاولون امتطاء الإبهام والغموض لتغطية عجزهم وقصورهم العلمي

✓ **الإهمال واللاَمبالاة:** من صور الإهمال واللامبالاة عدم الاهتمام بموضوع الحوار، إما لقلة العلم به وعدم إدراكه، أو لأنه موضوع قليل الأهمية فيلجأ إلى الصمت أو عدم التفاعل مع موضوع الحوار، أو قد يكون المحاور أصغر سنا وأقل معرفة، أو رغبة في عناد الطرف الآخر أو هروبا من مواجهة هزيمة محتملة، يقول أحد الحكماء: " **ليست المشكلة في وصف الواقع وحسن تصويره ... ولكن البراعة في تغييره إلى أفضل...** "، لذلك يجب أن يقتصر المحاور في حديثه على القليل النافع الجميل، فحديث الإنسان ترجمان عقله ودليل فضله.[2]

وهناك معوقات تتعلق ببيئة الحوار: ينبغي لأطراف الحوار قبل الدخول في الحوار اختيار الظروف المناسبة حتى ينجح الحوار ويحقق أهدافه، وتتضح الظروف المناسبة في التالي:

- **ملائمة المكان:** يجب أن يختار المتحاورون المكان المناسب لإجراء الحوار، كالهدوء، البعد عن الضوضاء، توفر الإضاءة الكافية، التهوية المناسبة، أن يكون موقعه جيد، أن يخلو من أي نوع من المؤثرات أو مصادر تشتيت الانتباه التي قد تنعكس سلبا على أطراف الحوار.

[1] خالد بن محمد بن وصل المغامسي، مرجع سبق ذكره، ص، ص 47، 51

[2] صفية بنت عبد الله بن أحمد بخيت، مرجع سبق ذكره، ص ص429 -431

- **ملائمة الزمان:** يجب أن يكون الوقت مناسبا لإجراء الحوار من جهة، وكذلك المدة التي تخصص للحوار، فهي مرتبطة بطبيعة الموضوع، يجب أن يكون الوقت كافيا تكون فيه الفرص متكافئة للنقاش.

- **ملائمة الطقس:** تؤثر درجة الحرارة أو البرودة سلبا على أداء المتحاورين.

- **ملائمة الحالة النفسية للمتحاورين:** فالإرهاق والجوع والغضب، التعب والحزن لا يصلح أن يتم الحوار بهما مع شخص يعاني من بعضهما أو أحدهما، إذ قد يؤثر في الحوار سلبا فتبتره، كذلك لابد من مراعاة حالة الحضور هل هم على مستوى الحوار؟ أم أعلى أو أدنى؟، فالناس تتفاوت عقولهم وتتباين أفهامهم فلابد من مراعاة هذا التباين.

- **الإسراف في تقدير الذات:** حيث أن الإسراف في تقدير الذات من أبرز عوامل الجمود والتوقف عن السير في الخط الإيجابي، وقد جاء تحذير النبي عليه الصلاة والسلام من تلك المرحلة أيما تحذير، حيث قال: " **إذا رأيت شخصا مطاعا، وهوى متبعا، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بخاصة نفسك** "، وهذا ما يؤدي إلى فقدان الثقة في الآخرين وسد قنوات الاتصال بهم وانتشار الانحرافات الفكرية والثقافية وغيرها.[1]

- أما معوقات الحوار حسب رأي **مارتن بوبر:**

- فقدان الثقة: يقول **مارتن بوبر:** " إن البشر في العصر الحديث، إما سجناء غرورهم الذاتي، أو سجناء المجتمع، أو الدولة أو الكنيسة أو المدرسة أو الاقتصاد أو الرأي العام، و يجدر أن نحطم تلك الجدران ونتصل بغيرنا من الأشخاص على نحو مباشر، فمثل هذه الجدران من شأنها أن تسبب العزلة بين البشر التي هي حياة المونولوج "، ومن يعش حياة المونولوج لن يعي الآخر، بصفته مختلفا عنه وفي نفس الوقت لن يحقق اتصالا به، وستكون العزلة بالنسبة إليه بمثابة سند قوي للرؤى والأفكار، إذن يمكن القول، أن أسوار العزلة التي فرضها الإنسان الحديث حول نفسه، من الأسباب الأولى التي حالت دون قيام حوار أصيل بين البشر، والسبب في تلك العزلة لا شك هي أن العلاقات، تتسم بالعابر و الأداتي، واختفاء الدائم والغائي من العلاقات الإنسانية.

- ولكي يبني الإنسان جسورا للثقة بينه وبين غيره من الناس، فعليه ألا يجعل من ذاته محورا للاهتمام في الحوار، لأنه سيجهض بذلك ما يقوله، وستكون النتيجة فشل الحوار، فالحوار يتطلب من الإنسان أن يتجه على نحو تام إلى الآخر كآخر في ذاته، وهو مدرك تماما أنه مختلف عنه، فأنا أقبل الآخر كما هو، وأنا سأكون على وعي بالآخر عندما أدخل معه في علاقة، وهذا يعني عندما يصبح الآخر حاضرا بالنسبة لي.

[1] المرجع السابق، ص ص431 -434

- **عدم استجابة الإنسان لوجوده:** ويقصد بذلك، أن الإنسان الذي يغيب عن وجوده، عندما لا يشارك في الواقع الذي يعيشه، ويقول **بوبر**: " إن من يأخذ موقفه في العلاقة يساهم في الواقع ..."، والواقع بمعناه الحقيقي هو واقع أشارك فيه، ولا يقع تحت سيطرتي، إن الاتصال المباشر **بـ** " **الأنت** "، إنما يكون في المشاركة التامة للوجود.

- يجب على الإنسان أن يستجبل حياته، وأن يستعد لأن يكون " **أنت** "، لغيره، وألا يستسلم لعالم، الـ "**هو**"، لأن **بوبر** يريد أن يعلمنا كيف نعيش الحياة كبشر، إذن الاهتمام بالواقع ومشاركة الآخرين مشكلاتهم والإنصات للآخر، وعدم الاستسلام لعالم الـ " **هو** "، هي الشروط الواجب توافرها حتى يستجيب الإنسان لوجوده، **فمارتن بوبر**، لا يفصل أبدا ولا يجد ضرورة لذلك بين الإنسان والحياة، أو بين الإنسان وأي مجال من مجالات الحياة.

- ونموذج الإنسان الحديث الذي يهرب من الاستجابة الوجودية يتم استقطابه على نحو شخصي، فهو لا يريد أن يستجيب لحقيقة وجوده، فهو إما يلجأ إلى تجمع يسلبه مسؤوليته، أو ينغلق على ذاته لا ينظر بعين الاعتبار لأي شخص إلاّ نفسه فقط، فيظن أن أمن الوجود متماثل مع وجوده الذاتي.[1]

- **عدم توجه المشاركين في الحوار تجاه بعضهم البعض:** إن للكلام طابعا وجوديا عند **بوبر**، يظهر من خلال اهتمام الناس ببعضهم البعض على نحو متبادل، حينما يبين أحدهم للآخر شيئا ما في العالم بطريقة يفهمها، أو حين يعطي شخص ما شخصا آخر لافتة تعينه على معرفة موقفه بطريقة لم تكن متاحة له من قبل، بحيث تتصل الخبرات بعضها ببعض أخذا وعطاء، تأثيرا وتأثرا، ومن ثم يدرك الإنسان عالما لم يدركه من قبل، وكل هذا يجري في مسار المساهمة المعرفية المتبادلة، وهذه هي **الـ** " **نحن** "المعاشة، الـ " **نحن** " الحقيقية.

- **النظر إلى الآخرين بوصفهم أشياء:** فالحوار، بما هو حوار، يقتضي نوعا من العلاقة التبادلية بين طرفين " **أنا** " و " **آخر** " ، مع فهم هذا الآخر باعتباره " **أنت** "، فأي شخص مخاطب قادر بذاته على أن يتحدث وأن يشارك في الحوار، ذلك أن العلاقة التبادلية هنا تعني، أن عملية الفهم والتفسير من خلال الحوار، لا يمكن أن تحدث في اتجاه واحد يسير من الأنا إلى الآخر، فهذه العملية ينبغي أن تسير أيضا من الآخر إلى الأنا، والأنا هذه، هي التي تملك زمام المبادرة لتحقيق هذه العملية على نحوها الصحيح، عندما تنفتح على الآخر وتسمح له أن يتحدث إليها مثلما تتيح لنفسها أن تنصت إليه، بذلك تتبادل معه المواقع، فلا تتعامل معه

[1] علاء حلمي عبد اللطيف محمد: **الحوار وفلسفة التاريخ عند مارتن بوبر**، أطروحة ماجستير، كلية الآداب، جامعة القاهرة، مصر، 2008، ص ص 106 -113

باعتباره موضوعا تسعى للسيطرة عليه، ولا تعامل نفسها كما لو كانت ذاتا محايدة أو " **كوجيتو ديكارتي**"، أعني ذاتا مفكرة تتعامل مع الآخر باعتبارها كيانا منفصلا عنه، لا يتردد صداه فيها.[1]

4-دراسات اهتمت بموضوع الحوار

للقيام بأية دراسة علمية حول موضوع ما، يكون من الضروري القيام بمسح لجميع الدراسات السابقة التي أجريت حول موضوع ، (طبعا في حدود إمكانيات الباحثة، حتى لا ندعي اطلاعنا على كل الدراسات، لكن يجب الإشارة أن الباحثة لم تدخر جهدا من أجل البحث، سواء على المستوى الوطني أو العربي)، حتى تبدأ الدراسة من حيث انتهى الآخرون، وتستفيد من كل ما بذل من جهود ومحاولات في هذا الصدد، وكذلك حتى توضع الدراسة في إطارها الصحيح ، حيث أنها تشكل تراثا غنيا وهذا ما يجب الاطلاع عليه قبل الشروع في إعداد بحث أو دراسة، وهذا لما تسهم به هذه الأخيرة في بلورة مشكلة البحث، وتساعد الباحث في تحديد أبعاد دراسته، إضافة إلى ذلك فإنها تنبه كل باحث الذي سبق له و إن اطلع على هذه الدراسات التي لها علاقة أو التي عالجت نفس الموضوع من جانب معين، من الوقوع في الأخطاء التي وقع فيها غيره حتى يتمكن من تجنبها.

و منه فقد قامت الباحثة بعملية مراجعة لبعض الدراسات ذات العلاقة بالموضوع، تجدر الإشارة ومن خلال عملية البحث المكثف للدراسات ذات العلاقة المباشرة بالدراسة الحالية، عملية البحث التي شملت المكتبات الجامعية الكبرى بالجزائر (مكتبة الحامة – مكتبة جامعة بوزريعة- مكتبة جامعة تلمسان- قسنطينة- سكيكدة- عنابة – مركز البحث العلمي والتقني في علم الإنسان الاجتماعي والثقافي- المكتبات الخاصة – البحث عبر الأنترنت)، بالإضافة أنه كانت لها فرصة إجراء تربص بكل من إيران، المغرب ومصر، أين استطاعت التعمق أكثر في عملية البحث، لم تجد الباحثة رسالة تناولت موضوعها بشكل مباشر إلى غاية الوقت الذي لم تناقش فيه هذه الرسالة، وإنما وجد عدد من الرسائل تناولت بعض الجوانب في موضوعها.

تعد مراجعة خلفيات موضوع البحث فرصة لنقد ما هو موجود بشأن الموضوع وهي تشكل قاعدة معرفية تساعدنا في معرفة المؤشرات أو الجوانب التي حظيت بالاهتمام وتلك التي لم تحظ بهذه الأهمية، وعلى ضوئها قد يعمد من خلالها الباحث إلى تبني المؤشرات نفسها أو اختيار مؤشرات جديدة بما يتفق مع أهداف الدراسة، ومن هنا فمن الضروري جدا تحديد العلاقة الموجودة بين الدراسة الحالية والدراسات السابقة لمعرفة مدى مساهمة

[1] المرجع السابق، ص ص113-116

تلك الدراسات في توضيح بعض جوانب الموضوع المدروس من ناحية، وكذلك لتحديد أهمية دراستنا في توسيع نطاق المعرفة العلمية حول موضوع البحث من ناحية أخرى.

فالأخذ بالدراسات السابقة له أهمية بالغة يمكن الاستفادة منها في بناء وتوجيه الإطار النظري للدراسة، أو في مقارنة بعض الخطوات والأدوات المنهجية المعتمد عليها إضافة إلى مقارنة نتائجها بالنتائج الممكن الوصول إليها، كما يعتبر عرض الدراسات السابقة اعترافا بالجهد الذي بذله غيرنا في هذا الموضوع، والاعتراف بأسبقيتهم وفضلهم في توجيهنا إلى اختيار هذا الموضوع، فأي دراسة **مهما كانت أهداف**ها أو منطلقاتها لا يمكن أن تنطلق من فراغ.

أما فيما يخص موضوع دراستنا والذي حاولنا أن نعالج فيه موضوع: **دور الحوار الفكري في الفضاءات البيداغوجية والعلمية في ترقية المعرفة العلمية، مقاربة سوسيولوجية لمعوقات الحوار – التعصب الفكري نموذجا-**

وبعد مراجعة الأدبيات التي عالجت هذا الموضوع، توصلنا إلى تحديد ثلاث محاور للدراسة: دراسات خاصة بالحوار، دراسات تتعلق بالمعرفة العلمية (السوسيولوجية)، دراسات خاصة بالتعصب ثم التعليق على هذه الدراسات بشكل عام، وكذلك تحديد موقع الدراسة الحالية من الدراسات السابقة.

لكن هناك دراسات تعاملت مع الموضوع من زوايا متباينة، وهي في الحقيقة مكملة لبعضها البعض.

سنتناول في هذا المحور أولى متغيرات الدراسة، وهو الحوار بصورة عامة والحوار الفكري بصورة خاصة، من خلال البحث، وحسب ما جاء في تحديد المفاهيم أن الحوار يتداخل مع بعض المصطلحات، لذلك تطرقنا لبعض الدراسات المشابهة والتي تصب في صلب الموضوع، أي أن هناك دراسات فرضت نفسها على الباحثة نظرا لأهميتها وخدمتها لموضوع الدراسة.

- **دراسات أجنبية:**

4-1. دراسة بسكاس(2010)

الدراسة بعنوان(**الحوار كوسيلة للتعلم والتدريس**)، التي أجريت بمركز الإعلام التربوي جامعة ولدن مينوسوتا الأمريكية، على عينة تكونت من ثلاثة مجموعات من المعلمين، إضافة لمجموعة من الطلاب في دروس عملية في الفصول الدراسية لقياس قدرة المعلمين على استخدام الحوار وكذلك قدرة الطلاب على استيعاب أهمية الحوار في التعلم، على اعتبار أن الحوار وسيلة من وسائل التعليم و التعلم، وكان الغرض من هذه الدراسة، هو دراسة الكيفية التي يؤثر بها الحوار في عملية التعلم و التعلم في الفصول الدراسية، واستخدمت هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، وقد أثبتت أن الحوار يتخذ أشكالا عدة، لأنه يستخدم في التفاعلات الجماعية، ويستخدم مع التكنولوجيا، وكذلك يستخدمه في استخدام المعلمين لأسلوب الحوار، وكذلك وجود رغبة وتقبل

لأسلوب الحوار من قبل الطلاب، كما أن الحوار يمثل جانبا هاما في الفصول الدراسية، وأن من الواجب تطويره و التدرب عليه بسرعة واحترافية من أجل توفير أفضل أنواع التعليم في الفصول الدراسية.

4-2. دراسة مارشيل(2007)

هدفت الدراسة إلى معرفة مدى فاعلية وتأثير الحوار النقدي في عملية رد الفعل أو الاستجابة واستخدمت المنهج الوصفي التحليلي، وتكونت عينة الدراسة من مجموعتين من المعلمين والطلاب، توصلت هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج منها:

- وجود جو من الثقة والاحترام وامتلاك مهارات الحوار يؤيدان دورا فاعلا في سير الحوار
- كما أن التحيز الشخصي في عملية الحوار يحدث تأثيرا في فاعلية ومشاركة بعض الطلاب فيحجمون عن الحوار، كما تحدث الإشارات البصرية وغيرها مثل الملصقات والأسئلة والتعليقات والنشرات مع النصائح، تأثيرا في الممارسة الحوارية والتدريب عليه، يتطلب التحليل الذاتي من الطلاب تعلم مهارات الحوار النقدي، كما توصلت هذه الدراسة لنتيجة مهمة: وهي أن مهارات الحوار النموذجي في جميع مراحل العملية التعليمية، تلعب دورا هاما في تقدم وتطور العملية التعليمية.[1]

4-3.بليجرز ودولمنز(2006)

دراسة حول: **تصورات الطلاب حول خصائص الحوار الفعال خلال تقديم مهارة التعلم**، هدفت الدراسة إلى الكشف عن تصورات الطلاب حول العوامل التي تساهم في فعالية الحوار بين الطلاب وأعضاء هيئة التدريس في التعليم الجامعي، تكونت عينة الدراسة من **48** طالبا من طلاب السنة الأولى والثانية تخصص طب في جامعة أيوا الأمريكية واستخدمت الدراسة المقابلة كأداة لجمع المعلومات، وتوصلت الدراسة إلى أن هناك أربع خصائص رئيسية للحوار الفعال كما تراها عينة الدراسة وهي: طلب الشرح والحصول عليه من عضو هيئة التدريس وتطبيق المعرفة الذاتية بشكل فعال، ومناقشة الفروق في وجهات النظر حول محتوى التعليم وتوجيه ومراقبة محتوى الحوار واستخدام العمل الجماعي للحوار.[2]

4-4. دراسة ويقرف (weigerif 2000)

انطلقت هذه الدراسة من مسلمة وفرضية مفادها، أن التعليم مثل الشرارة الكهربائية التي تتولد بالاحتكاك بين إثنين مختلفين، وتتركز أهمية هذه الدراسة على دور الحوار في التعليم وأهميته وأهمية المناقشة والحوار.

[1] مهرة بنت عبد القادر محمد الزهراني، مرجع سبق ذكره، ص، ص 59، 61

[2] راشد بن ظافر الدوسري: **ممارسة الحوار في جامعة الملك سعود من وجهة نظر الطلاب – كلية التربية نموذجا** –،مجلة دراسات، جامعة الأغواط، الجزائر، عدد 39، فيفري 2016، ص 75

والاختلاف بين الأطراف المختلفة للوصول إلى حقيقة الأشياء والتعلم الصحيح، استخدم الباحث المنهج شبه التجريبي وقام بتصميم نموذج حواري قائم على الاختلاف وفق مجموعة من القواعد هي: أن لكل طالب حق المشاركة والشك والادعاء والعمل التعاوني، وقام بتطبيق هذا النموذج على عينة من طلاب إحدى المدارس بالولايات المتحدة الأمريكية في قاعات الدروس، وأسفرت نتائج الدراسة بعد تطبيقه لنموذجه الحواري القائم على الاختلاف، عن وجود نوعية تعاونية من الطلاب تتعلم وتفكر بأسلوب الحوار في التعليم.[1]

- دراسات عربية:

4-5. دراسة راشد بن ظافر الدوسري (2014)

موضوع الدراسة: **ممارسة الحوار في جامعة الملك سعود من وجهة نظر الطلاب (كلية التربية نموذجا)**، هدفت الدراسة إلى التعرف على واقع ممارسة الحوار في كلية التربية بجامعة الملك سعود والوقوف على معوقات ممارسة الحوار في الكلية، وتحديد وسائل تعزيز الحوار فيها، وتكون مجتمع الدراسة من طلاب كلية التربية بجامعة الملك سعود لمرحلة البكالوريوس وعددهم **1242** طالبا وطلاب الدراسات العليا (الماجستير والدكتوراه في الكلية وعددهم **1024** طالبا وتم اختيار عينة بنسبة **20%** من مجتمع الدراسة، وكانت الاستبانة هي أداة الدراسة).

توصل الباحث إلى جملة من النتائج، نذكر بعضا منها:

- أن ممارسة الحوار في كلية التربية بجامعة الملك سعود كان بدرجة عالية، وتمثل ذلك في، أن الحوار يتم في جو من الاحترام المتبادل بين المتحاورين، يعتقد المتحاورون بأن الحوار وسيلة للوصول إلى الحقيقة، كانت هناك موافقة إلى حد ما بين أفراد عينة الدراسة على معوقات ممارسة الحوار في كلية التربية ومن بين هذه المعوقات : خوف المحاور من الانتقادات، قلة الأنشطة الثقافية داخل الكلية، كذلك غموض مفهوم الحوار لدى المتحاورين- يوجد اتفاق بين أفراد عينة الدراسة على وسائل تعزيز الحوار في كلية التربية بجامعة الملك سعود، وذلك باستخدام وسائل معينة منها: مساعدة الطالب على كسر الرهاب الاجتماعي والخوف من الحوار مع الآخرين، تشجيع الحوار المباشر بين الطالب وعضو هيئة التدريس داخل الكلية، إقامة دورات تدريبية داخل الكلية تعنى بتنمية الحوار، وتشجيع الطالب على تقبل الآراء المخالفة.[2]

[1] مهرة بنت عبد القادر محمد الزهراني، مرجع سبق ذكره، ص 57

[2] راشد بن ظافر الدوسري، مرجع سبق ذكره، ص 64

4-6. دراسة أحمد رياض سكر (2013)

الدراسة بعنوان: **دور أعضاء هيئة التدريس في كليات الإعلام ونظيراتها بالجامعات الفلسطينية في تعزيز ثقافة الحوار لدى طلبتهم وسبل تطويره،** هدفت الدراسة إلى الكشف عن درجة قيام أعضاء هيئة التدريس بكليات الإعلام ونظيراتها في الجامعات الفلسطينية بدورهم في تعزيز ثقافة الحوار لدى طلبتهم من وجهة نظر الطلبة أنفسهم، وكذلك التعرف إلى سبل تطوير هذا الدور لأعضاء هيئة التدريس في تعزيز ثقافة الحوار لدى طلبتهم من وجهة نظر الخبراء والمختصين التربويين والإعلاميين، استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي، مستعينا بأداتين للدراسة: الاستبانة والمقابلة الشخصية، تكون مجتمع الدراسة من طلبة كليات الإعلام ونظيراتها في الجامعات الفلسطينية بمحافظات قطاع غزة للسنة الجامعية (**2012-2013**)، والبالغ عددهم (**1553**)، طالبا وطالبة، تم معالجة البيانات إحصائيا بواسطة برنامج الرزم الإحصائية (**spss**)، وأسفرت الدراسة عن النتائج منها:

- أن الدرجة الكلية لدور أعضاء هيئة التدريس بكليات الإعلام ونظيراتها في تعزيز ثقافة الحوار حصلت على وزن نسبي (**67،63 %**).
- يوجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (**α أصغر أو تساوي 0,5**) بين متوسطات تقديرات عينة الدراسة لدور أعضاء هيئة التدريس في تعزيز ثقافة الحوار تعزى لمتغير الجنس، (ذكور، إناث)، حيث كانت الفروق لصالح الإناث في الجانب (الفكري، الصوتي، الشخصي)، ولم تظهر أي فروق في الجانب (اللغوي، وجانب لغة الجسد).
- لا يوجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (**α أصغر او تساوي 0,50**)، بين متوسطات تقديرات عينة الدراسة لدور أعضاء هيئة التدريس في تعزيز ثقافة الحوار تعزى لمتغير الجامعة (الأزهر، الإسلامية، الأقصى، فلسطين).[1]

4-7. دراسة العطوي (2012)

اتخذت دراسة العطوي عنوان: **واقع ممارسة أعضاء هيئة التدريس في جامعة تبوك لمهارات الحوار من وجهة نظر الطلاب،** وهدفت إلى: -**التعرف** على واقع ممارسة أعضاء هيئة التدريس في جامعة تبوك لمهارات الحوار.

[1] أحمد رياض سكر: **دور أعضاء هيئة التدريس في كليات الإعلام ونظيراتها بالجامعات الفلسطينية في تعزيز ثقافة الحوار لدى طلبتهم وسبل تطويره،** أطروحة ماجستير، تخصص أصول تربية كلية التربية، جامعة الأزهر، غزة، فلسطين، 2013

– الكشف عن الفروق في استجابات أفراد العينة حول واقع ممارسة أعضاء هيئة التدريس حسب متغير (السنة الدراسية والمرحلة الدراسية)، استخدمت الدراسة المنهج الوصفي والاستبانة كأداة لجمع البيانات، وحجم العينة بلغ 589 طالبا من طلاب جامعة تبوك، فكان من بين النتائج المتوصل إليها:

– أن أعضاء هيئة التدريس بجامعة تبوك يمارسون مهارات الحوار بدرجة كبيرة، وهذا وفقا لمؤشرات إحصائية كالمتوسط الحسابي.

4– 8. دراسة العنزي (2012)

دراسة بعنوان: **مدى ممارسة أعضاء هيئة التدريس بجامعة الملك سعود لمهارات الحوار الفعال**، هدفت الدراسة إلى رصد وجهة نظر الطلاب وأعضاء هيئة التدريس في مدى توافر مهارات الحوار الفعال لدى أعضاء هيئة التدريس، رصد وجهة نظر الطلاب وأعضاء هيئة التدريس، في مدى تمكن أعضاء هيئة التدريس من مهارات الحوار الفعال، الوقوف على المعوقات التي تحد من ممارسة الحوار الفعال لدى أعضاء هيئة التدريس، واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، واختار الباحث عينة شملت **312** طالبا و**301** عضوا من أعضاء هيئة التدريس، وكانت الاستبانة هي أداة جمع البيانات الرئيسية، فكشفت عن النتائج التالية:

– سجلت النتائج عن درجة مرتفعة لمدى التوافر والتمكن لمهارات الحوار الفعال لدى أعضاء هيئة التدريس

- اختلاف بين رؤية الطلبة وأعضاء هيئة التدريس حول معوقات ممارسة الحوار الفعال، وقد حدد الطلبة 18 معوقا من أهمها: تدني مستوى الاستماع والإصغاء للمتحاورين وعدم امتلاك المحاور للمعلومات الكافية حول الموضوع والتعصب للرأي، في حين يحددها أعضاء هيئة التدريس في معوقين أساسيين: اعتقاد المتحاورين أن الحوار وسيلة للتفوق على المتنافسين، خوف المحاور من الانتقادات.[1]

4–9.دراسة سلطان بن مسفر الصاعدي الحربي(2011)

عالجت الدراسة: **دور الحوار في تعزيز الأمن الفكري**، أنجزت الدراسة بالمملكة العربية السعودية، وهو بحث علمي مقدم لمسابقة جائزة: تعزيز الأمن الفكري، هدفت الدراسة إلى الإجابة عن الأسئلة التالية: ما مفهوم الحوار وآدابه؟، ما مفهوم الأمن الفكري وأسسه؟ ما دور الحوار في تعزيز الأمن الفكري؟ ما التطبيقات التربوية للحوار في البيت والمدرسة والمجتمع؟، استخدم الباحث المنهج الوصفي والمنهج التحليلي، وقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها: أن الحوار هو تجاذب الكلام بين طرفين فأكثر، في موضوع ما، ومن أركان الأمن الفكري: الإيمان والعلم والتواصي بالحق، للحوار دور وقائي للأمن الفكري من خلال محاربة الشرك والبدع

[1] راشد بن ظافر الدوسري، مرجع سبق ذكره، ص 73

والخرافات والمعاصي والجهل، إن المقصود بالفكر عمليات عقلية في أشياء معلومة لكشف غامض أو مجهول.[1]

4-10. دراسة الطيار (2010)

الدراسة بعنوان: **الحوار في التربية والتعليم، مدى استخدام المعلمين والمعلمات للحوار الحر داخل المدرسة (دراسة ميدانية)**، هدفت الدراسة إلى التعرف، على درجة استخدام المعلمين والمعلمات للحوار الحر داخل المدرسة، وتدريب المتعلمين عليه، ودور المدير والمشرف التربوي في مساعدة المعلم على ذلك، واستخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي و الاستبانة كأداة لجمع البيانات، طبقت على عينة مقدارها **959** ، شملت المعلمين والمعلمات بمراحل التعليم الثلاث في خمس مدن موزعة في مناطق تعليمية مختلفة في المملكة العربية السعودية، وخلصت الدراسة إلى نتائج أهمها: أن استخدام المعلم للحوار مع المتعلمين كان متوسطا يميل إلى الضعف، وأن استثمار الأنشطة وحصص الانتظار ضعيف، بينما كان التزام المعلم بآداب الحوار مرتفعا، كما أوضحت أن دور المشرف التربوي والمدير في تشجيع ودفع المعلم لاستخدام وتنمية الحوار متوسطا لا يرقى إلى المأمول منها، وأظهرت الدراسة وجود فروق دالة إحصائيا في متغير الجنس لصالح المعلمة، وتفوقت عسير على جدة والرياض، وكذلك الشرقية على الرياض في متغير المنطقة، كما برزت المرحلة الابتدائية على المرحلتين المتوسطة والثانوية، وظهرت الفروق أيضا الدالة في متغير الخبرة لصالح ذوي الخبرة **15** سنة فأكثر ولم تكن الفروق دالة في متغيري المؤهل التربوي والتخصص، وأوصت الدراسة بمزيد من الاهتمام بنشر ثقافة الحوار داخل البيئة التعليمية وتدريب المعلمين والمتعلمين على ممارسته، واقترحت عمل بعض الدراسات المرتبطة بموضوع الحوار.

4-11. دراسة السكارنة (2010)

دراسة بعنوان: " **دور الجامعات في تعزيز ثقافة الحوار والتسامح** "، هدفت إلى التعرف على مدى وأهمية دور المؤسسات الأهلية والتعليمية في نشر ثقافة الحوار، استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي، وهي دراسة نظرية، وقد توصلت الدراسة إلى: أن مفهوم الحوار عبارة عن تفاعل لفظي بين اثنين أو أكثر من البشر بهدف التواصل الإنساني وتبادل الأفكار والخبرات وتكاملها، وهو نشاط حياتي يومي نمارسه في المنزل والشارع والعمل والمدرسة والجامعة ووسائل الإعلام، وبقدر ما يكون الحوار إيجابيا يكون مثمرا في حياة الفرد والجماعة، وبقدر ما يكون سلبيا يكون هداما لكيان الفرد والجماعة، من العوامل التي تؤثر في ثقافة الحوار والتسامح، بيئة الجامعة وعضو هيئة التدريس والطالب والمواد، وأن أهمية التعليم في الجامعات ودوره يتعلق في التعلم للمعرفة والتعلم

[1] سلطان بن مسفر الصاعدي الحربي، مرجع سبق ذكره، ص2

للعمل والتعلم للتعايش معا والتعلم من أجل البحث في الذات وتقبل القيم العالمية، وكان من أهم النتائج: أن للجامعات دورا بارزا في نشر وتعزيز ثقافة الحوار والذي يظهر من خلال المحاضرات الصيفية والمؤتمرات وورش العمل والنشاطات اللاّمنهجية والمهرجنات والاحتفالات واللقاءات العامة والرحلات الترفيهية الجماعية والندوات الثقافية والعلمية واتحادات الطلبة... الخ.[1]

4-12. دراسة أمل البوسعيدية والمشيفري(2007)

محور الدراسة هو:**التعليم ودوره في تنمية ثقافة الحوار – تجربة سلطنة عمان**، هدفت إلى إلقاء الضوء على تجربة سلطنة عمان في تنمية ثقافة الحوار من خلال المناهج الدراسية و البيئة المدرسية، وقد توصلت الدراسة إلى جملة من النتائج أبرزها: تطرقت وثيقة فلسفة التربية في سلطنة عمان إلى العديد من المفاهيم الصريحة والضمنية لموضوع ثقافة الحوار، وتضمنت مرئيات الهيئة الاستشارية للمجلس الأعلى لمجلس التعاون العديد من التوصيات والمرئيات التي تتعلق بقضايا الشباب من خلال إتاحة الفرصة لهم بالتعبير عن آرائهم والتأكيد على ثقافة الحوار واحترام الرأي الآخر وقبول النقد وحرية التفكير وإتباع استراتيجيات التعليم والتعلم التي تشجع على الحوار مثل التعلم التعاوني والمناقشة والحوار، منح المدارس مرونة كافية من أجل تحقيق الأهداف المنشودة منها خاصة فيما يتعلق بثقافة الحوار.[2]

4-13. دراسة الصبان (2005)

- عالجت الدراسة موضوع: **ترسيخ ثقافة الحوار في مؤسسات التعليم العالي ودوره في جودة مخرجاتها، بالمملكة العربية السعودية**، وهدفت إلى، الكشف عن بعض الجوانب ذات الصلة بالحوار، ومنها التعرف على أسباب غياب الحوار في مؤسسات التعليم العالي، استعراض أهم تأثيرات ترسيخ ثقافة الحوار في المواقف التعليمية على أداء الطلاب والأساتذة، الكشف عن وسائل دعم الحوار في مؤسسات التعليم العالي، استخدم الباحث المنهج الوصفي، وكانت المقابلة أداة الدراسة، وخلصت إلى نتائج منها:

- من وسائل دعم الحوار في مؤسسات التعليم العالي: سعة إطلاع الأساتذة وتنوع مجال ذلك الاطلاع، وتمكن الأستاذ من مادته، استخدام أساليب متنوعة عند تدريس المقررات.
- تشجيع الطلاب على إبداء آرائهم ومناقشتها بصدر رحب
- إعطاء الأساتذة والطلاب دورات في فن الحوار، وتغيير طريقة التعامل مع أسئلة الطلاب ولا يستخفون بها.[3]

---

[1] أحمد رياض سكر، مرجع سبق ذكره، ص ص14-15

[2] مهرة بنت عبد القادر محمد الزهراني، مرجع سبق ذكره، ص 59

[3] راشد بن ظافر الدوسري، مرجع سبق ذكره، ص 64

4-14. دراسة آسيا بنت مسعد بن سرحان العتيبي(2005)

عالجت الدراسة موضوع: **الحوار التربوي بين الأستاذ الجامعي و طلاب الدراسات العليا في ضوء ثقافة إعادة الهندسة**، سعت الباحثة إلى التعرف على واقع وأهمية الحوار التربوي بين أستاذ الجامعة وطلاب الدراسات العليا في التعليم العالي المعاصر في ضوء ثقافة إعادة الهندسة (الهندرة)، وكذلك الكشف عن أهم الآليات المقترحة لثقافة إعادة هندسة الحوار التربوي بين طلاب الدراسات العليا والأستاذ من وجهة نظر كل منهما، اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي المسحي، شملت العينة **92** عضوا من أعضاء هيئة التدريس بكلية التربية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، في جميع الأقسام التربوية (التربية الإسلامية، والإدارة التربوية، والمناهج وطرق التدريس، وعلم النفس والتربية الفنية)، وكذلك اشتملت على **315** طالب وطالبة من طلاب الدراسات العليا من الذين تم تسجيلهم في الماجستير والدكتوراه في الفصل الدراسي الثاني من عام **(2004-2005)**، اعتمدت الباحثة على إستبانة لاستقصاء عمليات هندرة الحوار التربوي بين الأستاذ الجامعي وطلابه في مرحلة الدراسات العليا.

أما الأساليب الإحصائية فقد اعتمدت على التكرارات والنسب المئوية والمتوسطات الحسابية واختبار" **ت** " تحليل التباين. أظهرت نتائج الدراسة: أن الأساتذة يرون، أن معظم مقومات الحوار التربوي يتم ممارستها وتتراوح درجة ممارستها من متوسطة الممارسة إلى ممارس جدا، وعلى العكس من النتيجة السابقة، لا يربط بالدراسات العليا أن معظم مقومات الحوار التربوي لا يتم ممارستها حيث تتراوح درجة الممارسة لهذه المقومات من وجهة نظر الطلاب من ممارس إلى غير ممارس جدا، كما اتفق كل من الأساتذة والطلاب على أهمية هذه المقومات للحوار التربوي حيث تراوحت درجة الأهمية من مهم إلى مهم جدا، كذلك اتفق الأساتذة والطلاب على الآليات المقترحة لمقومات الحوار التربوي والتي وافق عليها الطلاب والأساتذة بشدة، ولم توجد فروق في درجة الممارسة بالنسبة لأعضاء هيئة التدريس بينما وجدت فروق في درجة الموافقة على الآليات وكذلك درجة الأهمية لمقومات الحوار التربوي ترجع إلى التخصص والجنس والدرجة العلمية وسنوات الخبرة.[1]

4-15. مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني(2004)

موضوعها: **ثقافة الحوار في المجتمع السعودي رؤية أعضاء هيئة التدريس في جامعات المملكة العربية السعودية، من إعداد إدارة الدراسات و البحوث و النشر**، هدفت الدراسة إلى:التعرف على وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس السعوديين ومدى تقبلهم لهذه الثقافة، العوامل المؤثرة في رفع ذلك المستوى، الكشف عن مدى قابلية وجاهزية المجتمع السعودي لتقبل ثقافة الحوار، تحديد القطاعات الأكثر أهمية في رفع مستوى ثقافة الحوار في المجتمع السعودي، التعرف على مدى فعالية اللقاءات التي يشرف عليها مركز الملك عبد العزيز

[1] آسيا بنت مسعد بن سرحان العتيبي: **الحوار التربوي بين الأستاذ الجامعي وطلاب الدراسات العليا في ضوء ثقافة إعادة الهندسة**، أطروحة ماجستير، تخصص إدارة تربوية وتخطيط، كلية التربية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 2005

للحوار الوطني ودورها في رفع مستوى ثقافة الحوار، تمثل مجتمع الدراسة في أعضاء هيئة التدريس في الجامعات والمؤسسات التعليمية التابعة لوزارة التعليم العالي، وقد كان حجم العينة **643** بنسبة **20%**، حيث توصلت إلى مجموعة من النتائج أهمها:

– ارتفاع مستوى ثقافة الحوار لدى الطبقة المثقفة عنها لدى الطبقة العاملة وهذه النتيجة تعتبر نتيجة منطقية ومتوقعة، تبين أن التعليم يحتل المرتبة الأولى، يلي ذلك عامل التربية الأسرية، فعامل الإعلام ثم أخيرا اللقاءات والأنشطة الثقافية كما أشارت نتائج الدراسة إلى أن نسبة كبيرة من عينة الدراسة **44%** أبدت عدم علمها بمستوى فعالية اللقاءات الوطنية للحوار.[1]

4-16.أجريت هذه الدراسة من طرف مجلة المعرفة(2003)

عنوان الدراسة: **الطلاب بين ثقافة العنف، ثقافة الحوار**، أجريت الدراسة بالمملكة العربية السعودية هدفت إلى التعرف على اتجاهات الطلاب نحو قضايا الحوا، العنف، التعامل مع الآخر تفهم وجهات النظر الأخرى، مدى الشعور بالكبت وعدم القدرة على التعبير عن الرأي والفكرة، وقد استخدم في هذه الدراسة المنهج الوصفي المسحي، والإستبانة كأداة لها، وشملت عينة الدراسة على **598** طالبا من أجمالي طلاب المرحلة الثانوية بالمناطق التعليمية المختلفة بالمملكة، وقد توصلت الدراسة إلى جملة من النتائج من أبرزها:أن**39,8 %** من الطلاب يرون أن معلميهم لا يرحبون بطرح آراء مختلفة من قبل الطلاب، وأن**26%** من عينة الدراسة يرحبون بالقوة لحل مشكلات العالم، **56%** من عينة الدراسة يقولون " نحن مكبوتون "، ولا يجدون ترحيبا بطرح الأسئلة، وأنهم يشعرون في كثير من الأحيان بالكبت ولا يستطيعون التعبير عن آرائهم خارج المدرسة أكثر من داخلها، وأكد **61%** من عينة الدراسة، بأن مقررات اللغة العربية والأدب والعلوم الشرعية لم تساعدهم على تعلم الحوار و التعبير عن الرأي وهي عبارة عن تلقين فقط.[2]

5-مناقشة الدراسات المتعلقة بموضوع الحوار

من خلال اطلاعنا على بعض الدراسات ذات العلاقة الجزئية بموضوع الدراسة قيد الانجاز، والتي عالجت أحد متغيرات الدراسة وهو الحوار، أظهرت أن الحوار قيمة إنسانية وحضارية، يجب تعزيزها في المجتمع من خلال تفعيل مختلف مؤسسات التنشئة الاجتماعية، لعل أهمها المؤسسات التعليمية، نظرا لما تشكله هذه الأخيرة من لبنة أساسية في بناء المجتمع، وفي تكوين شخصية الطفل وتنمية مهارات الحوار والنقاش لديه، باعتباره وسيلة تعليمية فعالة وهذا ما أكدت عليه العديد من الدراسات، والتي اخترنا مجموعة

[1] محمد بن عبد الله بن محمد المطلق، مرجع سبق ذكره، ص 15

[2] مهرة بنت عبد القادر محمد الزهراني، مرجع سبق ذكره، ص 58

منها لإثبات أن للحوار دور وأهمية بالغتين في التطوير الفكري والعقلي للتلميذ، فتركيز الباحثين على المراحل العمرية الأولي للطفل، إلاّ دليل على أهمية ترسيخ هذا المبدأ لدى النشء حتى ينمو ويتطور ويصبح سلوكا ثابتا في شخصيته، يستمر معه مدى الحياة.

ومن الدراسات التي استطعنا الحصول عليها والتي وظفناها لأهميتها، ومن بين هذه الدراسات التي عالجت الحوار بالفضاء الجامعي دراسة كل من **(دراسة قدمت من طرف مجلة المعرفة، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، آسيا بنت مسعد بن سرحان العتيبي، الصبان، السكارنة، العنزي، العطوي، أحمد رياض سكر، راشد بن ظافر الدوسري، بليجرز ودولمنز، مارشيل، بسكاس)**

اهتمت هذه البحوث بدراسة الحوار بالوسط الجامعي، والتي أخذت مواضيع مختلفة، أهمية الحوار بالجامعة، طبيعة الحوار بالجامعة، علاقة الأستاذ بالطالب من خلال الحوار، مشكلات الحوار بالوسط الجامعي، ثقافة الحوار بالوسط الجامعي ودورها في تنمية القيم الخلقية للطلبة، شروط الحوار ومقومات نجاحه، معوقات الحوار بالوسط الجامعي، غير أن جل الدراسات ركزت على الحوار كآلية تواصلية بالوسط الجامعي، وليس كما نحن بصدد معالجته في دراساتنا وهو الحوار كآلية لتوليد المعرفة العلمية، والذي يتجسد بأشكال متنوعة

تتفق هذه الدراسات إلى حد ما مع الدراسة الحالية من حيث الأهداف، والتي تتمثل في التعرف على أهمية الحوار بالفضاءات الجامعية، وكذلك البحث عن أهم السبل لتعزيز ثقافة الحوار، اعتمد الباحثون في معالجتهم لهذه الدراسات على المنهج الوصفي التحليلي، ماعدا دراسة الباحث **ويقرف** التي أجراها سنة **2000**، طبق فيها المنهج شبه التجريبي، أما عينة الدراسة فوجهت بشكل أساسي لطلبة الجامعات والأساتذة الجامعيين باعتبارهم الفاعلان الأساسيان في عملية البحث العلمي، مستخدمين في ذلك الاستبيان أو استمارة بحث كأداة رئيسية في جمع البيانات، وكذلك منهم من استخدم الاستمارة والمقابلة معا كدراسة **أحمد رياض سكر** التي عالج فيها موضوع **(دور أعضاء هيئة التدريس في كليات الإعلام ونظيراتها بالجامعات الفلسطينية في تعزيز ثقافة الحوار لدى طلبتهم وسبل تطويره)**، أما دراسة **الصبان** التي كان موضوعها **(ترسيخ ثقافة الحوار في مؤسسات التعليم العالي ودوره في جودة مخرجاتها)**، فقد استخدم المقابلة كأداة لجمع البيانات.

غير أن الدراسة الحالية، فقد وظفت منهج التحليل النقدي وفقا لمبررات معينة تم شرحها من قبل.

يجمع الباحثون من خلال نتائج البحث التي توصلوا إليها، على أهمية الحوار الفكري داخل المؤسسات التعليمية باعتبارها فضاء يعبر فيه الأساتذة والطلبة بحرية وديمقراطية عن آرائهم خاصة العلمية، لأن العلم لا يمكن أن يتطور بدون حرية فكرية، والحرية الفكرية تترجم من خلال الحوار عبر قنوات اتصالية منظمة

ومهيكلة حتى تكون الفائدة أعم وأشمل، لأنه إذا لم يتم تفعيل نتائج الأبحاث العلمية وتطبيقها على المجتمع من أجل تحسين أوضاعه الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، فلا فائدة من البحث العلمي من الأساس.

أما فيما يخص تحلي الأساتذة والطلبة بثقافة الحوار، فإن النتائج جاءت متباينة، منها ما يؤكد على أن الأساتذة يملكون مهارا ت وثقافة في الحوار مع الطلبة بالمؤسسات الجامعية، وهناك من ينفي أن مستوى ثقافة الحوار بهذه المؤسسات متدني، وهذه النتيجة لا يمكن تعميمها، فلكل بلد أو لكل مؤسسة تعليمية خصوصيتها في التسيير وفي طبيعة الكفاءات التعليمية التي تنتمي لها، ملاحظة أن أغلب الدراسات كانت سعودية وفلسطينية.

من خلال نتائج هذه الدراسات التي اهتمت بالحوار في الفضاء الجامعي، اتضح لنا أن الجامعة فضاء أكاديمي مهم جدا يمكن أن يجسد ثقافة الحوار، لأن الجامعة مؤسسة بحثية بالدرجة الأولى أين يستطيع الباحثون ممارسة الفعل البحثي، لأن أصل البحث العلمي هو حوار يتخذ أشكال متعددة، ومنه يمكن للمعرفة العلمية أن تتطور وأن تعطي دفعا حقيقيا للبحث العلمي الجاد والهادف خدمة للمجتمع وتطويره، ولتحقيق ذلك عكف الباحثون على دراسة أهم معوقات التي يمكن أن تقف حجر عثرة أمام العمل البحثي، ونحن نريد أن نبحث إلى أبعد من ذلك، إذا كان غياب الحوار أحد معوقات البحث العلمي، فنحن نبحث في معوقات الحوار، والتي حددناها في التعصب، حيث لم نجد أي دراسة قد ربطت بين الحوار والمعرفة العلمية والتعصب.

هناك إجماع على أهمية الحوار ودوره في تحسين وتطوير المؤسسة الجامعية وتحسين أدائها بغرس ثقافة الحوار لدى فاعليها الأساسيين (حوار أستاذ/ أستاذ، حوار أستاذ / طالب، الأستاذ/ الإدارة، طالب/ طالب.)

ما يعاب على هذه الدراسات، أنها لم توضح بشكل كافي ومعمق معوقات الحوار الفكري بالوسط الجامعي، لأن الملاحظ والمتتبع للشأن الجامعي يلاحظ وحسب ما جاء في نتائج الدراسات، أن ثقافة الحوار بهذه الفضاءات، ليست كما يجب أن تكون، فهناك غياب لروح الحوار ولأساليبه، لأن ما يحدث من اتصال بين الأستاذ والطالب أو الأستاذ والأستاذ ..الخ ، هو حديث أو كلام وليس حوار، لذلك جاءت هذه الدراسة لتركز على أحد أهم معوقات الحوار الفكري، وهو التعصب، الذي أصبح يشكل ظاهرة سلبية عمت كل الأوساط الاجتماعية، والمشكل الأخطر تميز أفراد النخبة بالفكر المغلق والمتعصب، الأمر الذي يستدعي منا كباحثين توسيع دائرة البحث في عمق الظاهرة.

6-إشكالية العلاقة بين الأنا والآخر (صراع أم حوار أم تعارف)؟

الأنا/ الآخر، ثنائية يعبر بها عن حدود فاصلة بين ذاتين مغايرتين، وتأخذ هذه الثنائية أشكالا عدة، يمكن إيجازها في الثنائيات التالية:

الذات/ الغير، الشرق/ الغرب، الشمال/ الجنوب، الحب/ الكره، الصداقة/ العداوة، التواصل/ الصراع، التفاهم/ الاختلاف، الأهلي/ الأجنبي، المطلق / النسبي، المحكم/ المتشابه، الإيمان / الكفر، العنف/ التسامح، المسلم / المسيحي (أو الملحد أو اليهودي)، غالب / مغلوب، متحضر/ متخلف... الخ من الثنائيات التي قد يشكلها مصطلحي الأنا/ الآخر، وهذه الثنائيات وغيرها من أشكال تمظهر الأنا والآخر، نجدها مبثوثة في ثنايا الثقافة الإنسانية لاعتبارات دينية وتاريخية وجغرافية، أخذت العلاقة بين الأنا والآخر ومحدداتها أهمية لافتة بشكل واضح في الدراسات النقدية المعاصرة، لأنها جدلية وجدت بشكل أو بآخر منذ أن وجد الإنسان على الأرض، فالعالم تتنازعه إرادتان: إرادة البقاء في مقابل إرادة الهيمنة التي تريد افتراس الهوية وسلبها، وهذه الإشكالية نجد لها صدى في الثنائيات السالفة الذكر، التي تحوم حول: " حب التجاوز، ظاهرة التفرد والعبقرية " ، أو صعود الأنا وأفول الآخر، كما يقول المفكر العربي الراحل حسن حنفي، الذي يرى أن هناك محددات تحكم العلاقة بين الأنا والآخر، وهي تتوزع على ثلاث جبهات: الجبهة الأولى " إعادة بناء التراث "، الجبهة الثانية " التراث والتجديد "، بمعنى تجديد الموقف من الآخر، أما الجبهة الثالثة: " موقفنا من الواقع المباشر، الحاضر، الراهن ".[1]

ومنه فإن مصطلح الآخر قد حدده الباحثون، بالإنسان الغربي بداية من صانع الحضارة اليونانية القديمة حتى إلى صانع المدنية الأوروبية والأمريكية في عالم اليوم، رغم الرؤية غير المتكافئة بين الأنا والآخر، فالآخر المقصود به العالم العربي والإسلامي بالنسبة للإنسان الغربي، هو كائن خامل غير قادر على الإبداع، ومن ثم فليس من حقه أن يحصل إلاّ، على الفتات الذي يعطيه إياه الإنسان المبدع، الخلاق، المبتكر، وأن الآخر بالنسبة للإنسان العربي، هو كائن هامشي متسلق، عفن لا يصلح له أن يحيا حياة السادة صناع الحضارة والتقدم.[2]

---

[1] صوافي بوعلام: **محددات الأنا والآخر في المتن الروائي الجزائري الجديد**، أطروحة دكتوراه، تخصص أدب عربي، كلية الآداب والفنون، جامعة أحمد بن بلة وهران 1، الجزائر، 2015، ص، ص 19-23

[2] أنطوان ضو: **ثقافة حوار الحضارات**، مؤتمر دولي (كيف نواصل مشروع حوار الحضارات)، المنظم بدمشق بالتعاون مع المركز الدولي لحوار الحضارات في طهران، منشورات المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية بدمشق، الجزء الأول، المنعقد بتاريخ: 19-21 جانفي، 2002، ص ص155-158

لكن الإنسان كان فردا أو جماعة، لا يمكنه العيش خارج بيئته أيا كان الزمان والمكان، إذن فهو مرتبط بالوسط أو العالم وبتغيراته المتسارعة على كل الأصعدة، حيث لا يمكن للإنسان أن يعيش في عزلة خارج الإطار المجتمعي والثقافي، وإن حدث وأن اختار العيش في عزلة، انتهت به هذه العزلة إلى العجز في تطوير حياته وأدواته وحاجاته، ومن ثم وقع في الخلط والجهل والنقصان، إذن الحياة بكل متطلباتها تفرض على الإنسان والشعوب عملية التواصل فيما بينها.[1]

لقد عرفت المجتمعات البشرية منذ نشأتها العديد من التقلبات في علاقتها ببعضها البعض، سواء على مستوى العلاقات الفردية القرابية أو المهنية والمؤسساتية، داخل المجتمع الواحد أو بين المجتمعات والذي حسب تصورنا، أن هذا الأخير قد أخذ حيزا كبيرا من اهتمام الباحثين في تخصصات مختلفة خاصة بعد الحرب العالمية الثانية، للكشف عن أحد أشكال العلاقات بين الحضارات لبلوغ مستوى لائق من التعايش الثقافي والحضاري.

ومنه سنحاول أن نتعرف أكثر عما أجادوا به في هذا الصدد، وبوابتنا في ذلك تبدأ من طرح التساؤل التالي: **هل العلاقة بين الحضارات قائمة فعلا على التضاد والتعارض والصراع؟ أم أن هناك مساحات كافية، وفرص وافرة للحوار وبناء جسور التعارف والقبول المتبادل؟**

يؤكد المؤرخون أن الحضارات قد شهدت حصول اتصالات إيجابية وتبادلا للمنافع في جو من السلم، عرفت من خلالها استقرار في أزمنة متقاربة أو متباعدة، وقد ميز هذه الاتصالات فترات صراع وتصادم، وقد أدى بهذه الثنائية (السلم–الصراع)، في الواقع التاريخي والحالي بطرح نظريات مختلفة متصادمة أحيانا حول العلاقات بين الحضارات، وخاصة في مرحلة يشهد فيها العالمان الغربي والعربي تحولات في البنى الثقافية والفكرية.

إن موضوع العلاقة بين الحضارات من المواضيع الحساسة والمعقدة التي يتداخل فيها الجانب العقائدي مع ما هو حضاري وثقافي، ويتشابك فيها الاقتصادي مع السياسي وحتى الإيديولوجي أحيانا أخرى، وهي من القضايا الراهنة التي لا تزال تثير نقاشات حادة في أوساط النخب الفكرية على الصعيدين العربي والغربي وفي المحصلة، فإنه لم يتم الفصل فيها بشكل نهائي، وأمام عالم متغير انتهت معالمه القديمة بسقوط الشيوعية، وحدوث تغيرات بارزة على صعيد العلاقات الدولية لفترة ما بعد الحرب الباردة، الأمر الذي أدى إلى رواج العديد من المفاهيم والأطروحات: مثل أطروحة نهاية التاريخ، صدام الحضارات، حوار الحضارات، تعارف الحضارات، وفقا للمدخل الكرونولوجي، نعمل على توضيح مختلف الآراء الفكرية لهذه النظريات.

[1] حسين جمعة: ثقافة **الحوار مع الآخر**، مجلة جامعة دمشق، سوريا، المجلد،24، العددان3 و4، 2008، ص 11

6-1.الأطروحات الفكرية حول صدام الحضارات

إن التطور التاريخي لظاهرة الصراع قديمة قدم الإنسانية، حيث اتخذت أشكال مختلفة حول شكل العلاقة بين صراع الإنسان مع نفسه، مع الطبيعة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى أن طبيعة العلاقة القائمة في تحديد شكل التفاعلات الصراعية في المجال المعرفي، كانت لها أنماط مختلفة من صراع العقل اليوناني والخرافات والميتافيزيقيا، ثم صراع العقل اليوناني والمسيحية والإسلام حول أسبقية العقل عن النقل والعكس، ثم صراع القانون والدين، فصراع العقل والفكر المادي فالصراع والحرب، لعبا دورا في تطور الفكر الإنساني، سواء بالسلب أو الإيجاب.[1]

فمن مظاهر الصراع الفكري، الذي ظهر خلال القرن **19**، ظهور أطروحات مختلفة، تحاول الكشف عن إشكالية العلاقة بين الأفراد من جهة وبين الدول والحضارات من جهة أخرى، لقد أخذ هذا السجال الفكري اهتمام كبير من قبل علماء وباحثين عرب وغرب، ولكل آلياته وأدواته التي يحاول بها إثبات صحة نظريته، ومن أهم هذه الإفرازات المعرفية، أطروحة صدام الحضارات، التي سنحاول التعرف على مبادئها، وإلى الانتقادات التي وجهت لها.

بدأت فكرة الصراع من الناحية التاريخية، مع **فرانسيس فوكوياما**، حيث قدم نظريته في كتابه (**نهاية التاريخ وخاتم البشر**)، ليتحدث عن تاريخ للبشرية واضح المعالم والأهداف، يتجه بالشطر الأعظم من البشرية صوب الديمقراطية الليبيرالية، وذلك لسببين مستقلين، الأول متصل بالاقتصاد، والثاني بما يسمى الصراع من أجل نيل التقدم والاحترام.[2]

بعد ذلك، قدم **برنارد لويس**، مؤرخ بريطاني من أصل يهودي متخصص في قضايا الشرق الأوسط تاريخا وحضارة، مفهوم صدام الحضارات منذ سنة **1957** كما ذكر بعض الباحثين، في حين يذهب آخرون الى أن الصياغة الحقيقية تمت سنة **1964** [3]

ينطلق **برنارد لويس** في فكرته عن الصراع من الإسلام، على أنه واحد من أعظم ديانات العالم، الذي منح الراحة والطمأنينة لملايين الرجال والنساء، ولكن على شاكلة غيره، عرف فترات نفخ فيها روح الكراهية والعنف

---

[1] كيبش عبد الكريم، عبد اللطيف بوروبي: **إشكالية الصراع الحضاري في مرحلة العولمة (مقاربةنظرية)**، مجلة المفكر، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، العدد 03، فيفري 2008، ص 69

[2] مالك عبيد أبو شهيوة، محمود محمد خلف: **صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي**، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان، مصر، ط1 1999، ص115-127

[3] محمد لمين ثابت: **عوائق حوار الأديان، الحوار الإسلامي المسيحي نموذجا(دراسة تحليلية نقدية)**، أطروحة ماجستير تخصص حوار الأديان، جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية، قسنطينة ،2013، ص 35

في إتباعه موجهة ضد العرب في الغرب، كما أكد على أن القرآن بالطبع توحيدي بشكل راسخ، ويؤمن بإله واحد، وهناك صراع في قلوب البشر بين الخير والشر أي بين أوامر الله والإغراءات، لكن صراع الخير والشر في الإسلام اكتسب بسرعة أبعادا سياسية وعسكرية، وينظم إلى هذا الفريق مفكر عربي مغربي الأصل " **مهدي المنجرة**"، الذي يعتبر من المنظرين الأوائل لنظرية صراع الحضارات، قبل صدور مقال **صامويل هنتنغتون** حول صدام الحضارات بسنتين.[1]

يرى **مهدي المنجرة**، أن التعددية الثقافية هي مصدر الصراع وهي وراء ثلاثة تخوفات مرضية أو فوبيات لدى الغرب، التخوف من التضخم السكاني في الدول الإسلامية التي سوف تمثل **40%** من سكان العالم، التخوف من الإسلام كدين ترتكز عليه الحضارة الإسلامية، والتخوف من التطور التكنولوجي الأسيوي، الذي لم يسلك سبيل النهج الغربي في التقدم.[2]

لقد طرح **هنتنغتون** فكرته حول صدام الحضارات سنة **1992**، حاول اختبارها في مقالة قصيرة نشرها بمجلة "**فورين أفيرز**" الأمريكية، و بسبب ما أثارته هذه الفكرة من نقاشات واحتجاجات ساخنة ومتواصلة بين مختلف ثقافات وحضارات العالم وفجرت حولها كما يقول الكاتب الأمريكي وأستاذ العلوم السياسية " **جيمس كورت**" صداما كبيرا بين الكتاب، هذه النقاشات الاحتجاجية، حرضت **هنتنغتون** بالتوسع في دراسة هذه الفكرة والتأسيس لها فكريا وتاريخيا وجمع القرائن والأدلة في كتابه الذي صدر سنة **1996** بعنوان " **صدام الحضارات وإعادة صياغة النظام العالمي**".[3]

يتمثل الافتراض الرئيسي في خطاب صدام الحضارات في، أن " الثقافة أو الهوية الثقافية والتي هي في أوسع معانيها الهوية الحضارية التي تشكل نماذج التماسك والصراع في عالم ما بعد الحرب الباردة، ويضيف هنتنغتون أن في عالم ما بعد الحرب الباردة، فإن أكثر الاختلافات أهمية بين الشعوب ليست إيديولوجية ولا سياسية أو اقتصادية، إنما ثقافية أو تراثية، إن مجموعة الدول الأكثر أهمية لم تعد مكونة من ثلاث معسكرات كما في الحرب الباردة، لكن من سبع أو ثمان حضارات رئيسية، إن الصراع بين القوى العظمى قد حل محله صدام الحضارات، يؤكد أن هذا العالم الجديد أكثر الصراعات انتشارا وخطورة، لن تكون بين طبقات اجتماعية غنية وفقيرة أو جماعات أخرى محددة على أسس اقتصادية، ولكن بين شعوب تنتمي إلى هوايات ثقافية مختلفة، وفي

---

[1] شبلي هجيرة: **إشكالية مستقبل العلاقة بين الحضارات (زكي الميلاد نموذجا)**، أطروحة ماجستير، تخصص فلسفة الحضارة، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر،2013، ص ص 60 -67

[2] بن العزمية علال: **أطروحات الصراع والتثاقف في زمن العولمة**، منشورات عالم التربية، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2011، ص ص 89-90

[3] زكي الميلاد: **من أجل بناء نظرية لحوار الحضارات، مؤتمر دولي (كيف نواصل مشروع حوار الحضارات، حوار الحضارات، أسسه وقواعده)، المنظم بدمشق**، بالتعاون مع المركز الدولي لحوار الحضارات في طهران، منشورات المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية، الجزء الأول، المنعقد بتاريخ: 19-21 جانفي2002، ط1، 2002، ص ص116-117

عالم ما بعد الحرب الباردة، تحدد الدول بشكل متزايد مصالحها في شكل حضاري، فهي تتعاون وتوحد نفسها مع الدول التي تشاطرها ثقافة متشابهة أو مشتركة، وهي في الأغلب تدخل في صراع أكثر مع الدول التي تختلف عنها في الثقافة.[1]

إلاّ أن نظرية صدام الحضارات، قد أثارت على مستوى توجهاتها المنهجية والمفاهيمية الكثير من الاضطراب والغموض مما ساهم في عدم وضوح الرؤية التحليلية **لهنتنغتون**، وأثار الكثير من اللبس حول المنهجية المتبعة والمرتكزات النظرية والمفاهيمية الموجهة للأطروحة، يعتمد **هنتنغتون** في تحليله على منطلقات تاريخية ورؤية شمولية للمسار العام الذي تتطور فيه الأحداث والمتغيرات الدولية، مسترشدا في ذلك على المعطيات التاريخية لبناء التطورات والتنبؤات المحتملة مستقبلا، فهو يحاول قراءة شمولية انتقائية للأحداث التاريخية وللنزاعات والحروب التي تعرفها الساحة الدولية في الوقت الراهن.[2]

في المقابل هناك من بحث في البنى الفكرية للحضارة الغربية التي ساعدت على تزكية هذه النزعة الصدامية وأرجعها إلى:

- **الهيجلية:** نسبة إلى **هيجل** في فلسفة التاريخ وهي التي قامت على نسخ للعصر القديم عبر الصراع مع مكوناته والحلول معها.

- **الداروينية:** نسبة إلى داروين في فلسفة النشوء والارتقاء وهي التي قامت على صراع الأحياء ونسخ الأقوى للأضعف والضعيف لأن الأقوى هو الأصلح.

- **الصراع الطبقي:** سواء في ماركسية **ماركس**، أو في الليبرالية الرأسمالية والذي يعتمد النزعة الفلسفية الصراعية في علاقات الطبقات الاجتماعية، فالطبقة الوليدة والجديدة تصارع الطبقة القديمة لتقهقرها وتزحزحها وترثها وتنفرد بكل الثمرات والامتيازات وبكل السلطات البرجوازية في الليبرالية والبروليتارية عند الماركسيين.[3]

تعرضت نظرية **صاموئيل هنتنغتون** بدورها للنقد الشديد، انطلاقا من التساؤل التالي: **أي آفاق للحوار الحضاري في ظل وجود أطروحة صدام الحضارات ونهاية التاريخ؟**

قدم المفكر العربي **محمد عمارة**، قراءة لأطروحة **هنتنغتون**، والذي بدوره لا يستبعد فكرة صراع الحضارات، وهي بمثابة قراءة مستقبلية استشرافية، يطرح المقال فرضية، بأن الخلافات بين الحضارات، هي خلافات حقيقية ومهمة، وأن الوعي بالتفاوت الحضاري في تزايد، وسوف يحل صراع الحضارات محل الصراع الأيديولوجي والأشكال الأخرى للصراع باعتباره الشكل العالمي السائد للصراع، وستكون الصراعات بين الجماعات ذات

[1] شبلي هجيرة، مرجع سبق ذكره، ص ص68-69

[2] محمد سعدي: **حول صراع الحضارات، حوارات ومقالات مختارة لصاموئيل هنتنغتون**، إفريقيا الشرق، المغرب، 2006، ص 59

[3] شبلي هجيرة، مرجع سبق ذكره، ص ص74-76

الحضارات المختلفة أكثر تكرارا وأكثر استمرارا وأكثر عنفا من الصراعات التي تنشب بين جماعات داخل نفس الحضارة.[1]

قدم الأستاذ **محمد محجوب**، باحث ومدير المعهد العالي للعلوم الإنسانية بتونس جملة من الأسئلة مرفوقة بأجوبة في نفس الوقت، ردا على أطروحة صدام الحضارات التي طرحها **صاموئيل هنتنغتون: كيف يمكن أن نستبدل هذا التصور بتصور يقوم على أساس أن الحقيقة لا المصلحة قائمة على الحوار بين الحضارات؟، ألا يكون على الحضارات الأخرى بما في ذلك حضارتنا نحن، أن نكسر منطق الصدام القائم على إنهاء التاريخ أي على إنهاء التفاعل من خلال السيطرة واستيعاب الغيرية والاختلاف؟، وذلك بالخروج من منطق الهوية والتربية إلى منطق التسامح؟** ، وللخروج من منطق الهوية، يقترح المفكر، أنه لابد من تطوير كل فكر وكل تأويلة قادرة على أن تبين لنا كيف نستوعب الغيرية، وثانيا التربية على التسامح لا كخلقية ذاتية، وإنما كخلقية كونية، كخلقية عالمية، إذن المناداة بهذه المثل وتكريسها على مستوى الواقع العالمي، لا كآلية دفاع ذاتي وإنما كفكر كوني وكنظرية كونية يمكن أن تشترك فيها الإنسانية حتى تتفاعل ضمنها الحضارات.[2]

ومن جانبه ينتقد الباحث/ **السيد ولد أباه** نظرية **هنتنغتون** التي عبر عليها **بنظرية صدام الثقافات**، حيث يذكر عن **وجيه الكوثراني** في تعليقه على أطروحة **هنتنغتون**، فإن الغرض من نظرية " **الصدام الثقافي** "، لا تخرج، عن نطاق السعي لإدارة الأزمات في كوكب الفقراء، الذي تنفجر فيه الديمغرافيا والثقافات "، لابد من الإقرار أن أحد التوجهات الرئيسية للنظام الدولي، هو انفجار العامل الثقافي عبر الصراعات القومية والدينية والطائفية التي اجتاحت العالم في مرحلة ما بعد الحرب الباردة، وحسب **جميل مطر** يندرج خطاب " **صدام الحضارات** "، في قلب التوجهات الجيوسياسية الأمريكية، فإن الخطاب: " إنتقل من النظرية إلى الممارسة العينية، ويستشهد بالعديد من المؤشرات، من بينها: المواقف المتشددة للكونغرس الأمريكي في الفترة الأخيرة ومظاهر الغطرسة والتصعيد، التي طبعت تصريحات العديد من كبار المسؤولين الأمريكيين "، وخلص **جميل مطر** من تحليله الهام: " صحيح أن **صاموئيل هنتنغتون** لم ينجح في إقناع الكثير من الأكاديميين بنظريته، لكنه نجح بالتأكيد في كسب أنصار له من السياسيين، وهؤلاء على كل حال هم الذين يصنعون السلام ويشنون الحرب".[3]

---

[1] محمد عمارة: **الحضارات العالمية تدافع؟ ... أم صراع؟ ؟**، نهضة مصر للطباعة والنشر، مصر، ط1، 1998، ص ص43-44

[2] محمد محجوب: **نظريات في صراع الحضارات** (النص الديني بين منطق الهويات وحوار الحضارات)، وقائع جامعة الوعاظ، المنستير، المنظم من طرف وزارة الشؤون الدينية، تونس، العدد 3، المنعقد بتاريخ: 1-2 أكتوبر 2002، ص ص100-115

[3] السيد ولد أباه: **خطاب صراع الثقافات، الخلفيات الفكرية والاستراتيجية**، الإسلام وحوار الحضارات: وقائع الندوة المولّدِيَة الدولية، المنظم من طرف وزارة الشؤون الدينية، القيروان، تونس، الدورة 27، العدد 1، المنعقد بتاريخ: 12 و13 جوان، 2000، ص ص 145-159

بعدما تم طرح أطروحة صدام الحضارات من طرف **صاموئيل هنتنغتون**، ظهر مصطلح " حوار الحضارات"، بشكل قوي في عالم السياسة، من خلال التنظير الفكري للباحثين والمفكرين، بالإضافة إلى المؤسسات الدولية، ردا على أطروحة **هنتنغتون**، وكذلك من أجل البحث عن السبل والإمكانيات التي تحد من الصدام الحضاري.[1]

أسئلة عديدة تطرح حول هذا الطرح الجديد: **هل يمكن أن نعتبر نظرية الحوار الحضاري البديل الأمثل لتحديد شكل العلاقة بين الأنا والآخر؟**، هذا ما سنتعرف عليه من خلال التعمق أكثر في مضمون النظرية ومن هو أبرز مؤسسيها؟، التي وجدت هي الأخرى مؤيدين ورافضين لها.

6- 2. حوار الحضارات... رؤى واتجاهات

شاع تداول مصطلح "**حوار الحضارات** " في السجال الثقافي والسياسي والفكري في عالمنا العربي والإسلامي، كما شاع استعماله من قبل الغربيين والأسيويين، واكتشفنا من خلال هذا الشيوع والتداول تضاربا في الأقوال وتعارضا في الطرح.

من بين الإسهامات المهمة في هذا الشأن، نظرية **روجيه غارودي**" حوار الحضارات "، خلص **غارودي**، إلى الدعوة لحوار الحضارات و التحرر من عقدة **(مارثون)**، التي فصلت الشرق عن الغرب، ووضعت العالمين وجها لوجه في علاقة حرب وصدام، من خلال تجربة حياته الحافلة بالغنى الإنساني التي حملته إلى ثقافات لا غربية، وإلى أناس من آسيا ومن الدول الإسلامية، ومن إفريقيا إلى أمريكا اللاَتينية، تطلع **غارودي** إلى نماذج أخرى من علاقة الإنسان بالإنسان، وعلاقة الفرد بالجماعة، وذلك لمكافحة عزلة الأنا الأوروبية، وضرورة الإقلاع عن تصور المستقبل في شكل إيمان بالتقدم أو في صورة فيض من إنجاز مشروعات تقنية، بل في طفولة جديدة لحياة حضارية إنسانية متعاونة تؤدي إلى المدنية إلى آخر المطاف، لهذا قام **غارودي** سنة **1976**، بتأسيس المعهد الدولي **لحوار الحضارات** في **جنيف** بالتعاون مع منظمة **اليونيسكو**، بهدف إبراز دور البلاد غير الغربية وإسهامها في الثقافة العالمية، حتى يتوقف الحوار ذو البعد الواحد من جانب الغرب الذي يقوم على وهم وعقدة التفوق عند الإنسان الغربي.[2]

تقوم نظرية **روجيه غارودي** على جملة من الأفكار التي صاغها في كتابه "**في سبيل حوار بين الحضارات**"، وتتلخص هذه الأفكار فيما يأتي:

- الغرب طارئ والحضارة كونية تشاركية وليست غربية محضة.

---

[1] يحي سعيد قاعود: **أطروحات فوكوياما وهنتنغتون والنظام العالمي الجديد (دراسة تحليلية مقارنة)**، مركز البيان للدراسات والبحوث، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2015، ص 249

[2] شبلي هجيرة، مرجع سبق ذكره، ص ص88- 89

- الاستفادة من القيم المتنوعة في الحضارات المختلفة.
- عدم التذرع باختلاف الأديان لرفض الحوار بين الحضارات[1]

كذلك يعتبر **محمد خاتمي**، من الأوائل الذين تبنوا فكرة الحوار الحضاري، اقترح باسم الجمهورية الإيرانية الإسلامية، أن تبادر الأمم المتحدة بخطوة أولى إلى تسمية **2001** بعام " **حوار الحضارات** "، على أمل أن يحقق الحوار هذه الخطوات الضرورية الأولى في سبيل العدل والحرية على المستوى العالمي، فإن من أهم مكاسب القرن الواحد والعشري، الاقتناع بضرورة الحوار دون اللجوء إلى القوة، وتعزيز عملية التنسيق والتفاعل في المجالات الثقافية والاقتصادية والسياسية إلى جانب تعزيز أسس الحرية والعدل وحقوق الإنسان، ونتيجة لاقتراح **محمد خاتمي**، الذي تقدم به إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورتها الثالثة والخمسين، باعتبار سنة **2001** سنة الأمم المتحدة للحوار بين الحضارات، وهذا التبني لمفهوم حوار الحضارات وتحويله إلى مفهوم متحرك في مجال العلاقات الدولية واختيار سنة **2001**، القصد منه استقبال الألفية الثالثة بنوع من التفاؤل والثقة والشعور بالأمن والسلام، لكن مع **11 سبتمبر 2001**، الحدث الذي أصاب العالم بهزة عنيفة غيرت صورته وقلبت معادلاته وتوازناته، وأصبح المجتمع الإنساني لأول مرة وكأنه يعيش صدام حضارات، المفهوم الذي أخذ العالم يتداوله على أوسع نطاق وكأن **هنتنغتون** قد صدق في نبوئته.[2]

لكن هناك من يرى أن سنة **2001**، هي بداية حرب الحضارات وليس سنة حوار الحضارات التي اعتمدتها الأمم المتحدة، وكانت الجزائر من بين الدول التي استجابت لدعوة الحوار الحضاري التي نادت بها العديد من المنظمات والشخصيات الفكرية البارزة في العالم كافة، حيث بادرت إلى تنظيم ملتقى دولي حول الفيلسوف المسيحي (**القديس أوغسطين**)، لكي تبين للعالم أنها فعلا مع حوار الحضارات، من خلال إحياء لفلسفة وبعض من أفكار هذا الفيلسوف، وأيضا لكي تبين التواصل الثقافي والحضاري الذي كان بين شعوب البحر المتوسط.[3]

هذا الفريق من المفكرين الذين يأملون في أن يؤسس الحوار لفكرة القبول المتبادل بين الحضارات والتعايش السلمي بين الثقافات لعل ذلك يعود بالخير والمنفعة على البشرية جمعاء، باعتبار العالم العربي والإسلامي جزء لا يتجزأ من هذا العالم.

لكن وحسب رأي الدكتور **أحمد برقاوي**، الذي له رؤية مختلفة حول إشكالية العلاقة بين الحضارات، انطلاقا من السؤال التالي: إذا كان السؤال: **العلاقة بين الحضارات صراع أم حوار؟**، فهو يرى أنه يعتبر سؤالا زائفا، كان من الأجدر طرح السؤال التالي: **ما منطق العلاقة بين الحضارات؟**، إن طرح السؤال حياديا على هذا النحو لا يفترض إلاّ شيئا واحدا، وهو الإقرار بوجود علاقة بين الحضارات، وأنه لم يخل تاريخ حضارة من الحضارات من

---

[1] بوالروايح محمد: **نظريات حوار وصدام الحضارات**، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، ط1، 2010، ص 29-32

[2] زكي الميلاد: **تعارف الحضارات، الفكرة، الخبرة والتأسيس**، مجلة الحوار الثقافي، تصدر عن مخبر حوار الحضارات والتنوع الثقافي وفلسفة السلم، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، الجزائر، عدد خريف وشتاء 2013، ص ص12-13

[3] عبد المجيد عمراني: **مستقبل حوار الحضارات في ظل العولمة**، دار الوليد للتوثيق، بومرداس، الجزائر، ط1، 2009، ص 33

علاقة الحضارة أو أكثر، إلاّ في حالات الشعوب البدائية المغلقة، يرى الباحث أن النقاش الدائر الآن حول حوار الحضارات أو صراعها، نقاش عقيم أولا، ولا ينتج عقليا من الصيرورة التاريخية للحضارة، فالحضارة القوية لا تحاور بل تهيمن، ولا تتأثر بغيرها بل تنتج مؤشرات في غيرها، حتى ولو اكتسبت منجزات حضارات أخرى، والحضارة الراكدة لا تحاور هي أيضا، بل تستقبل ما ينتج من حضارات أخرى.[1]

ومن بين الباحثين المؤيدين لفكرة الحوار الحضاري الباحث التونسي **الشاذلي لقليبي**، في مقال معنون " **من أجل إنشاء نظام تضامني بين الحضارات** "، لكنه يقف موقف الناقد لفكرة حوار الحضارات، من خلال طرحه لبعض الأسئلة: "يتحدث بعضنا عن حوار الحضارات: **فهل من النزاهة الفكرية أن نستعمل كلمة حوار وحضارتنا اليوم غائبة عن صنع الحضارة الكونية؟، أليس المقصود هو الشعوب الإسلامية؟**، بسبب الصورة الظلامية التي ننشرها عن الإسلام وعن مجتمعاتنا الإسلامية، والحوار عبارة مجازية، تستر علاقة غير متكافئة بين حضارة ضعيفة في طور ذبولها وحضارة قوية في أوج اندفاعها."[2]

وحتى يتحقق الحوار الحضاري، فإن الباحثين في هذا الموضوع، يضعون شروطا وآليات أساسية لإنجاحه فالقاعدة التي ينطلقون منها هي: الإنسان في أساسه عالمي، لم يكن معروفا بنوعه، ولا بلونه ولغته ولا بدينه، ولا بحضارته أو ثقافته، ولأن في طبيعة الخلق التكتلات، إلاّ أن الفراق والرحيل كان سببا في البعد بين الأنا والآخر، وللعودة ثمن، تنازلات بمعرفة الخطأ، وتنازلات لانعدام الإرادة، وفي كل قرن تنشط الصحوة من أجل عودة اللقاء ثم تختفي في كل يأس، وفي هذا القرن تتحدد على أمل أن يتم اللقاء ويجري الحوار والتواصل الذي يمكن الإنسان الذي انشطرت حياته بين الأنا والآخر من درء الصراع و العودة إلى الفطرة التي جبل عليها.[3]

فالدعوة لحوار الحضارات، هي شعور بأن البشرية لم تعد تتحمل حروبا عالمية جديدة بعد، المآسي التي خلفتها الحربين العالميتين الأولى والثانية، فالحوار هو الخيار الوحيد لتحقيق السلام الواقعي والدائم بين الأنا والآخر وإنهاء حالة الصراع الحضاري الذي يضغط بشدة على عالمي الشرق والغرب، فالآخر الحضاري، سواء بالنسبة للشرق أو الغرب، يتضمن مجموعة من الإنجازات التي لا غنى للإنسان عنها، فمن الخطأ الاعتقاد بأن

---

[1] أحمد برقاوي: **منطق العلاقة بين الحضارات**، كيف نواصل مشروع حوار الحضارات الجزء الثاني (الحضارات حوار أم صدام) ؟، مجموعة محاضرات المؤتمر المنظم بدمشق، منشورات المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية، المنعقد أيام: 19-21 جانفي، 2002، ص ص115-122

[2] الشاذلي القليبي: **من أجل إنشاء نظام تضامني بين الحضارات**، الإسلام وحوار الحضارات، الندوة المولدية الدولية، المنظم من طرف وزارة الشؤون الدينية، القيروان، تونس، الدورة 27، العدد1، المنعقد بتاريخ: 12 -13 جوان 2000، ص ص42-46

[3] عقيل حسين عقيل: **منطق الحوار بين الأناو الآخر، من حوار الأفراد إلى حوار أهل الحضارات والأديان، دار** الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، 2004، ص ص8-9

طريق تمكن الأنا الحضارية في الواقع الخارجي، يمر عبر تدمير الآخر الحضاري، فالمنظور السليم الذي ينبغي من خلاله رؤية الآخر.[1]

إن الاختلافات الحضارية في أساسها ليست اختلافات مطلقة مثلما تبدو ومن أجل ذلك، فإن محاولة التعرف على الآخرين تعرفا حقيقيا أمرا لا ينبغي التخلي عنه، وإذا كانت هناك شعوب وأمم مختلفة فإن هذا الاختلاف بينها يدعوها إلى أن تتعرف كل منهما على الآخر.[2]

لا أحد ينكر أهمية الحوار مع الآخر، لقد أصبح ضرورة تفرضها المتغيرات العالمية الحديثة، لذلك يرى **أبو القاسم العليوي**، أن من بين أحد أهم الآليات الأساسية لإنجاح الحوار الحضاري التركيز على "**التربية** "، باعتبارها مشروع حضارة، تعمل على ربط الفرد بالإنسانية، بتنزيل كينونته في سياق الكونية وربط ضميره بها، حتى يستطيع تخطي الطبيعة المعطاة وبلوغ الطبيعة المكتسبة التي تتجلى التفكير في الوجود ماهية وقضايا وغاية، والتربية التي نبتغيها كما يقول **العليوي**، هي التربية الإنسانية التي تتغلب فيها قوى الوئام على مسببات الصدام، وتفرز من التنوع في تجارب الإنسانية سدى وحدتها الحضارية التي تكون بها أسرة كبرى يجمع بين أعضائها الاعتصام الشديد بنفس القيم، والدافع الجماعي الجياش إلى التعاون من أجل تجسيدها في الزمان والمكان، وقدر التربية في العالم الجديد الذي تقاربت أطرافه حتى غدا قرية صغيرة بحكم التطور المتسارع الذي تشهده تكنولوجيات الاتصال، هو أن تزال أكثر ما يمكن من عوائق التواصل الحضاري بين البشر، حتى تتقلص المسافات الفكرية والنفسية التي تفصل بينهم، وكذلك المسافات الجغرافية بين أصقاع المعمورة ، إن الفكر التربوي الذي نحتاج إليه الآن، هو فكر الحوار، وهو الفكر الذي تنتصر فيه قيم التسامح والوسطية والتقدم ونكوِّن شراكة حضارية في علاقة تعاون خصب مع الآخر، ويسعى هذا الفكر، لإتاحة الفائدة للجميع، بعيدا عن كل نزعات الاحتكار والاستئثار والتعصب وتهميش الآخر.[3]

وللحوار شروط ومبادئ ينبغي مراعاتها لإدامته وتعميم فوائده على جميع أطرافه، بما يحقق السلم والعدل والمساواة والتفاهم بينهم، وتتلخص هذه الشروط عند **روجيه غارودي**، الذي يعتبر الأب الروحي لهذا التوجه، أو المؤسس الأول لفكرة الحوار الحضاري من الجانب الغربي:

- الحوار الحقيقي، يوجد عندما يكون كل محاور مقتنعا منذ البدء أن ثمة شيء يتعلمه من الطرف الآخر.

---

[1] نجاة بوقزولة: **الحوار الحضاري في رواية " كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد ل: واسيني الأعرج** "، أطروحة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة الجزائر، 2008، ص 71

[2] محمود حمدي زقزوق: **الإسلام وقضايا الحوار**، ترجمة/ مصطفى ماهر، مطابع الأهرام التجارية، قليوب، مصر، 2002، ص 13

[3] أبو القاسم العليوي: **التربية وحوار الحضارات**، الإسلام وحوار الحضارات: الندوة المولّدِيَة الدولية الدورة، المنظم من طرف وزارة الشؤون الدينية، القيروان، تونس الدورة 27، العدد 1، المنعقد بتاريخ: 12 -13 جوان، 2000، ص ص 196-209

- فهم الثقافات الأخرى وهذا يستلزم تحولا كبيرا في عقليتنا العربية وجهدا كبيرا في التواضع الفكري وفي القبول، لنرفض التشويهات المتبادلة والتنازلات والمصالحات، فالحوار لا يقوم على هذا النحو بل نطلب من كل أن يصبح ما هو.[1]

يركز **عمار جيدل** باحث جزائري في الشؤون الإسلامية والحضارية، أن الشرط الأساسي للحوار الحضاري، هو مبدأ الحرية الذي يعتبر مطلب لجميع أطراف الحوار، حيث لا يتم اختيار الحوار كمسلك حضاري، إلا لمن أحس بحريته وعايشها وعاش بها، كما لا يمكن الحديث عن الحوار مع من لا يقدر في نفسه هذه القيمة (الحرية) الإنسانية السامية، لهذا يعد فاقد الحرية فاقدا للإنسانية، ومن ثم لا يمكنه مباشرة الحوار الفاعل المؤثر في صياغة مشروع الحاضر والمستقبل، ويضيف الباحث، أنه لا يجب أن يذهب بنا الخيال بعيدا فنظن أننا في مقام الإحساس بالحرية في جانبها السطحي البسيط المتجلي في القضايا ذات الدور الثانوي (الأكل والشرب والملبس والمأكل...الخ).[2]

يرى الباحث **المنجي بوسنينة**، أنه علينا أن نؤمن بأنه من واجبنا تدعيم الحوار الحضاري بسبل مختلفة:

- المساهمة في دعم الحوار الحضاري وتطوير سبله، وتحقيق آلياته وخلق الفرص الملائمة لبلورة أهدافه وتحويلها إلى برامج ملموسة.
- العمل على نشر قيم التسامح والإخاء والتعاون والتضامن عن طريق جل الوسائل المتاحة، عبر البرامج التربوية والثقافية والإعلامية.
- العمل على تشخيص ما يهدد الحوار الحضاري، والسعي إلى مواجهة ومقاومة أسباب الصراع ومحرضاته بمقاومة مظاهر الجهل والتجاهل والأمية الثقافية المستفحلة في العالم.
- التخلص من النظرة التشاؤمية.
- لابد من تطوير وتعزيز الندوات ومنابر الحوار العربي مع الحضارات الأخرى.
- تطوير وتوسيع البرامج الثقافية العربية المتوجهة إلى الآخر كالمهرجانات السينمائية والمسرحية والموسيقية ومعارض الصور والرسوم والآثار.
- بعث المشاريع الثقافية المشتركة، تكثيف برامج الترجمة والنقل ودعمها.
- التعريف بكنوز الثقافة العربية وبإبداعاتها بجميع الوسائل الحديثة وإقامة المواقع الثقافية العربية.

---

[1] روجيه غارودي: **في سبيل حوار الحضارات**، ترجمة/ عادل العوا، عويدات للنشر والطباعة، بيروت لبنان، ط6، 2007، ص 107

[2] عمار جيدل: **متطلبات الحوار الحضاري، كيف نواصل مشروع حوار الحضارات**، مجموع المحاضرات التي ألقيت في المؤتمر المنظم بدمشق،منشورات المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية بدمشق، الجزء الأول، المنعقد بتاريخ: أيام 19-21 جانفي، 2002،ص 143

- التوجه إلى الإعلام الجماهيري قصد خلق رأي عام عربي واع ومثقف.
- تدعيم الإعلام العربي الجاد وذي المصداقية والموضوعية حتى يرتقي إلى مستوى العالمية ليساهم في نقل صورة موضوعية عن حضارتنا.

فحوار الحضارات لا يكون مجديا ولا ذا مصداقية، إذا ما تم في ظل وجود فوارق مجتمعية بين الأغنياء والفقراء، ففي ظل التفاوت الذي يؤدي إلى أوضاع متفاوتة واختلالات عميقة، يكتسي التضامن الدولي أهمية بالغة لإرساء أسس الحوار الحقيقي بما يستدعي إقامة حلف لمقاومة الفقر والتهميش، الذي بات يهدد باستعمال مشاعر الغبن والإحساس بالظلم، فذلك كله يمكن أن يكون مقدمة لتعاطي العنف وتغذيته فالحوار يبحث عن الحلول للقضايا العالقة.[1]

لكي ينجح حوار الحضارات، لابد من إزالة العوائق التي تعترض سبيله، وأهم هذه العوائق، الفهم الخاطئ المتوارث بين أطراف الحوار، إن كثيرا من حقائق حضارتنا العربية الإسلامية على سبيل المثال مجهولة لدى الآخر الذي نريد أن نحاوره، بل هناك خلط ولبس كبيران في صورتنا لدى الآخر، هناك اتهامات وترهات وأباطيل تفوق الخيال، نسجتها أساطير شعبية متوارثة في أوروبا منذ الفترة الأندلسية، ثم الحروب الصليبية ثم الحروب العثمانية مع أوروبا، قال **بولدوين:**" إن العالم المسيحي، أو أجزاء هامة منه ظلت تواجه خطر عالم إسلامي معاد لفترة تقرب من الألف سنة تمتد من تاريخ وفاة النبي صلى الله عليه وسلم عام**632م**، حتى انهيار آخر هجوم عثماني أمام فيينا عام **1863**.[2]

يتطرق **سهيل فرج** إلى معيقات الحوار الحضاري، وكما جاء على لسان الباحث **عبد القادر بوعرفة**، نذكر منها:

- **غياب الأنثروبولوجيا والعقلانية: يعتقد سهيل فرج**، أن غياب الدراسات الأنثروبولوجية، يعتبر من بين العوائق الأساسية، لكونها تمكن الإنسان من فهم الإنسان كبنية تركيبية من عوامل متنوعة اجتماعية وبيولوجية ونفسية.

✓ **الذاكرة التاريخية:** الإنسان ابن الماضي سواء أكان قريب أو بعيد، حيث يسيطر على الإنسان سيطرة لاشعورية، لكونه يحمل تلك النزعة السحرية التي من خلالها يمجد ذاته المهزومة أو المأزومة، فالحوار الذي لا يتحرر من الذاكرة التاريخية، يوقظ في الطرفين صور الخوف من الآخر.

---

[1] المنجي بوسنينة: **مرتكزات أساسية. حوار الحضارات تواصل لا صراع**، (حوار الحضارات تواصل لا صراع)، أعمال الندوة التي نظمتها جامعة الدول العربية بالقاهرة، المنعقدة بتاريخ:26-27 نوفمبر 2001، ص ص28-29

[2] السيد علي خضر، *مرجع سبق ذكره، ص*178

✓ **أدلجة الحوار:** إن الحوار المؤدلج ينتهي من حيث بدأ، فالجهل المركب بقيم الآخر ونصوصه يحجب الحقيقة، فلعل الفرق بين الطرفين، لا يتعدى بعض الفروع وبعض الأصول ولا يمكن أن نكشف حقيقة التقارب، بين الأطراف، إلاّ عندما نهدم إيديولوجية الصفوة والنخبة والفرقة الناجية، يقترح **سهيل فرج** للخروج من حلقة الجهل المركب أو منطق الإيديولوجيا القاتلة، أن يتمعن كل طرف في النصوص الدينية المؤصلة، تدفع الناس إلى الحوار والتعاون والتسامح، فالجهل بالنصوص والنفوس، كما يقول الفيلسوف الألماني، **هولباخ** عن الجهل، بأنه " **أبو الخطايا** "، الذي يقع حائلا أمام الحوار.

✓ **الديمقراطية المنقوصة:** قبول الآخر كشريك حضاري وإنساني يتطلب ثقافة ديمقراطية واسعة، لأن السلوك الديمقراطي، يفتح أعين الناس على مبادئ التفاهم والاختلاف، وشرط الحرية كأهم قاعدة من قواعد الديمقراطية، فغياب الثقافة الديمقراطية، يمثل عائق مُشِل لأي تقدم في العلاقات الحوارية.[1]

في مقال للباحث/ **أحمد مداس** المعنون بـ **(المعرفة واستئثار الأنا بإنتاج الآخر)**، يضع الحوار مع الآخر على درجة كبيرة من الأهمية لكلا الطرفين، إذا توفرت الشروط المساعدة على الحوار، ومنه فإنه يرى أن إنفتاح الأنا الغربي خاصة الأمريكي، على الآخر (سواء كان مسلم أو غير مسلم)، يكون بصورتين:

- **الصورة الأولى:** انفتاح إيجابي على العلماء والمفكرين أصحاب الحل والعقد، الذين تمكنوا من فهم الوجود الذاتي في ثقافتهم، وفهم وجود غيرهم في ثقافتهم، وهم بذلك على قدر عال من المعرفة، تخولهم العمل لصالح الإنسانية أجمع.
- **الصورة الثانية:** انفتاح سلبي على الدهماء من الناس المتبعين على المعرفة الموروثة التي تحمل بذور الدهاء والفكر المخالف والمشكك في حقيقة وجود الآخر، لقد تعارف الناس على بعضهم من خلال فعل الانفتاح، عن طريق الأسفار وأدب الرحلة والبعثات العلمية والترجمة والتواصل الإنساني.[2]

وهذه الفكرة الأخيرة، فيما يخص دور السفر والتعليم في الانفتاح والتعرف على الآخر، كانت من بين النقاط التي ركز عليها الباحث الإيراني، **د/ زارع** من جامعة الخوارزمي، في حوار أجريناه معه أثناء تواجدنا بإيران في إطار تربص كان في ديسمبر **2014**، حيث أكد أن هناك عاملين يعتبران من المعوقات الأساسية للحوار مع الآخر: السفر والتعليم، فهما من الناحية الثقافية يساعدان على التنمية الفكرية، ويضيف أن هناك عوامل ثلاث تتحكم في شخصية الباحث وهي التي تحدد انغلاقه أو انفتاحه على الآخر:

---

[1] عبد القادر بوعرفة: **الحضارات والأديان أسئلة الحاضر والمستقبل (قراءات في فكر سهيل فرج)**، دار القدس العربي، وهران، الجزائر، ط1، 2010، ص ص22-29

[2] أحمد مداس: **المعرفة واستئثار الأنا بإنتاج الآخر**، مجلة مخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة بسكرة، الجزائر، العدد 9، 2013، ص ص10-11

الطبيعة، المجتمع والنظام السائد، يعطي مثالا على ذلك، الشاعر/ **سعدي** والثاني **حافظ،** كلاهما من شيراز بإيران، الأول هاجر وسافر إلى مدن مختلفة : الشام، العراق، كانت نظرته انفتاحية، أما الثاني بقي ماكثا بمسقط رأسه، فأنتج أدبا انطوائيا، فمن أتيح له أن يجرب هذين العاملين (السفر والتعليم)، كلما كانت له الفرصة بأن يبتعد عن الجانب التعصبي.

لقد تعددت الطروحات، فيما إذا كان الحوار مع الآخر ضرورة تفرضها الظروف الراهنة، أم هو خيار بالإمكان الاستغناء عنه، وهذا ما تؤكده حلقات النقاش والحوار ضمن ما يعقد من ندوات وملتقيات وطنية ودولية، وهذا دليل واضح على أهمية الموضوع وحساسيته.

ومن بين الباحثين الذين اهتموا بالشأن الحضاري، **عبد العزيز بن عثمان التويجري** وفي مقال له " **حوار الحضارات تواصل لا صراع** "، يرى أن الحوار الحضاري يرتقي إلى مستوى الضرورة، لاعتبارات شتى، فهو الوسيلة الأنجع والأسلوب الأقْوَم لبناء السلام ولإقامة الأسس القوية لعالم يسوده التعايش بين شعوبه وأممه ويحتكم فيه المجتمع إلى قواعد القانون الدولي.[1]

وتزايد الاهتمام بالحوار مع مولد النظام العالمي الجديد سواء على المستوى الثقافي والقيمي، أوعلى الصعيد السياسي والاقتصادي، وتعمق الاقتناع به وبدوره في تحقيق وفاق ثابت بين أبناء الأمة الواحدة، وتفاهم مشترك بين الشعوب المختلفة على أساس قاعدة الكرامة والعدالة والمساواة، ويعتبر سمة من سمات عصر ثورة المعلومات وثورة الاتصالات التي هي ثمرة من ثمرات العلم، وبالحوار يقوى التواصل بين بني البشر، وتتأسس صيغة معرفية جديدة ومتجددة تعتمد على تزاوج الأفكار، وتبادل الرؤى وتداول الطروحات، من خلال الاستماع إلى الرأي الآخر والإصغاء إليه والاهتمام به تحقيقا للتواصل العلمي والمعرفي، والابتعاد عن العزلة والانكفاء الذي لم يبق لهما مكانا في عالم الألفية الثالثة، قد تنوع الحوار وتعددت أشكاله بتعدد موضوعاته وبتنوع مقاصده وأغراضه، فكان منه ما يعنى بالمناهج الفكرية، ومنه ما يعنى بتحديد العلاقة بين الدول والأمم والشعوب [2].

فالاعتراف بالآخر والإقرار بخصوصيته، لم يعد مبدئيا شأنا دينيا أو عقديا فحسب، ولا نظرية منتزعة عن الحياة العملية للإنسان، بل حاجة ماسة في ظل الحضور الكثيف والفاعل للرأي والرأي الآخر، أين أصبح للعولمة تأثير ونفوذ على مسرح الحياة اليومية، التي أدت إلى تسطيح الفكر والرأي وذبح الخصوصيات، إلا أن الحاجة إلى التكامل تجعل ظاهرة الحوار حاجة ضرورية لا مناص منها حتى لأرباب نظرية القطب الواحد في الإدارة العالمية للعالم. من

---

[1] عبد العزيز بن عثمان التويجري: **حوار الحضارات تواصل لا صراع،** (حوار الحضارات تواصل لا صراع)، أعمال الندوة التي نظمتها جامعة الدول العربية بالقاهرة، المنعقدة: أيام 26 – 27 نوفمبر، 2001، ص 114

[2] حسن شحاتة: **الذات والآخر في الشرق والغرب (صور ودلالات وإشكاليات)**، دار العلم العربي، القاهرة، مصر، ط1، 2008، ص 203

جهة أخرى، فإن شبح الاقتتال الحربي والفكري والسياسي، وما خلفه من آلام ومآسي إنسانية لا تحصى، استغل فيه حتى الدين أسوأ استغلال، فإن الواجب يستدعي على كل منا للقيام بمهمة الدفاع عن فكرة الحوار ومقولة التعايش مع الآخر بكل ما يملك من عقلانية وعاطفة معا، وأن نجاح الحوار لن يتم من دون احترام الآخر والإقرار له بحق الدفاع عن رأيه وفكرته والإتيان بالحجج والبراهين والأدلة بكل حرية، فإن الاعتراف بالآخر يصبح ليس من قبيل الترف الفكري بل لازمة من لوازم التقدم الإنساني دون تردد.[1]

فالعبرة من نبذ التعصب بمختلف أشكاله والدعوة للحوار البناء الموضوعي، هو تحقيق التآلف والتكامل بين الحضارات، فلكل حضارة أو مجتمع خصوصية، بفضل المثاقفة والاحتكاك، تستفيد البشرية من منجزات بعضها البعض، والأخذ بما هو إيجابي ومفيد لمجتمعاتها مع مراعاة الخصوصية الثقافية، الدينية والحضارية للمجتمعات العربية، إذن هناك شبه اتفاق بين الكثير من الباحثين العرب والغرب، على ضرورة الحوار والتقارب الإنساني والتواصل الحضاري مع الرفض التام لتقسيم العالم وتصنيف الشعوب، وتلوين الحضارات، كما يجب التصدي للحملات الظالمة التي تشوه صورة الآخر وترفض الأفكار التي تؤدي إلى العزلة والإقصاء.

5-3. زكي الميلاد ونظرية تعارف الحضارات

ظهرت في المقابل مساهمات فكرية عربية إسلامية، أهمها ما قدمه المفكر والباحث السعودي المعاصر **زكي الميلاد**، حاول من خلالها بناء تصور مستقبلي يسمح بتجاوز إشكالية الصدام الحضاري مع الآخر، حيث يعد أحد أكثر الكتاب مساهمة في العالم العربي بنشر كتابات ومقالات ودراسات جادة حول فكرة الحضارة تخطى بها مفهومي حوار الحضارات وصدام الحضارات.

حاولت نظرية تعارف الحضارات البحث عن مفهوم آخر، لأنه من مقتضيات التجدد والاجتهاد والفاعلية، وعدم الجمود أو التوقف، ولضرورات البحث عن أبعاد أخرى غير مكتشفة، ولفتح مجال التفكير نحو مفهوم جديد، يرى **زكي الميلاد**، أنه إذا أردنا أن نقرب مفهوم التعارف إلى بعض حقول المعرفة الإنسانية، فإنه يشترك في نسق معرفي متقارب أو متجاور مع مفهوم التواصل عند المفكر الألماني المعاصر **يورغن هابرماس**، الذي حوله إلى فلسفة أطلق عليها (**التفاعلية التواصلية**)، فمقولة تعارف الحضارات لا تعني مجرد الاعتراف بتعدد الحضارات وتنوعها، وإنما تستند على ضرورة بناء وتقدم الحضارات في العالم، وتأسيس الشراكة الحضارية فيما بينها، وتبادل المعرفة والخبرة فالعالم ليس بحاجة إلى حضارة واحدة، وإنما إلى استنهاض الحضارات كافة.[2]

لقد طرح المفكر **زكي الميلاد** هذا المصطلح لأول مرة في صيف **1997**، الذي لقي اهتماما وتقبلا في بعض الأوساط الأكاديمية، إن المتأمل في هذا الاصطلاح بطريقة معرفية، أمكن الكشف عن قيمته الدلالية التي منها:

---

[1] غريغوار منصور مرشو، سيد محمد صادق الحسيني: **نحن والآخر**، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 2001، ص ص99-100

[2] زكي الميلاد: **من حوار الحضارات إلى تعارف الحضارات**، تعارف الحضارات، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 2006، ص ص57-65

-الخروج من الإشكالية الثنائية التي كرست الطابع الجدلي والاحتجاجي بين مقولتي **حوار الحضارات وصدام الحضارات**، الإشكالية التي قد تضيق عمليات الفهم وتورث السجال.

- تجاوز إشكالية الجمود والتوقف، أو الاقتصار على تلك المقولتين فحسب، إلى النوع من التجدد والكشف من خلال مقولة جديدة ومختلفة.
- إن مفهوم تعارف الحضارات هو أوسع وأشمل وأعمق من مفهوم حوار الحضارات، وهو ينطلق من أرضية تكوين المعرفة والتأسيس عليها، فالتعارف هو الذي يحدد شكل العلاقات وحدودها ومستوياتها وآفاق تطورها
- إن المشكلة بين الحضارات ليس في عدم الحوار بينها، وإنما في عدم التعارف، والانقطاع عن تكوين هذه المعرفة، وسيادة الجهل أو الفهم المنقوص، أو الصورة النمطية والسطحية في المعرفة.
- من الغايات الأساسية لحوار الحضارات الوصول إلى التعارف، أو إلى قدر معقول منه أو تصحيح الصورة وإزالة عدم الثقة.[1]

يرى بعض المؤيدون لنظرية تعارف الحضارات، أنه لا يمكنها تحقيق الفعالية، إلاّ إذا استندت على مرتكزات ومبادئ وهي:

- وحدة الأصل الإنساني التي عبرت عنها آية الحجرات، وأكدتها الأحاديث الشريفة.
- الاختلاف في الألوان واللغات آية من آيات الله تعالى وسنة من سننه الكونية.
- المحبة، إن التسليم بوحدة الرحم الأولى يفترض أن يثير في الإنسان اتجاه أخيه الإنسان مشاعر نبيلة سامية كالمحبة، لأن حاجة البشر إليها أعظم من حاجتهم إلى كل ضرورات الحياة.
- حرية الاختيار، ذلك أن التعارف لا يستطيع أن يمضي أبعد من أشواطه الأولى وبداياته إن بدت نية فرض الاختيارات.

تسعى نظرية تعارف الحضارات إلى تحقيق الأهداف التالية وفق الرؤية الإسلامية:

- التقارب والتسامح، فالتعارف الإيجابي هو الذي يبذل فيه كل طرف أقصى جهوده للتعرف على ما يقربه من الطرف أو الأطراف الأخرى التي تشاركه التطلع نفسه.
- التعايش السلمي، يتطلب هذا تعميقا بالغا لفلسفة السلام وأفكاره، وتفكيرا جادا للخروج بالمسألة من حسابات ومصالح السياسيين والعسكريين.
- معرفة الآخر على حقيقته وتصحيح الصورة المسبقة عنه، فكثيرا ما رسمت الحضارات صورا نمطية لغيرها من الحضارات، فلا تنظر إليها إلاّ من خلال تلك الصور، وتخضع حسابات التعامل معها لمقتضاها، وغالبا ما تكون تلك الصور مغلوطة.
- تشجيع فكرة الانتفاع المتبادل من خيرات الأرض من خلال فكرة التعاون، فالتعارف يجعل من كل فريق ينتفع بخير ما عند الفريق الآخر، وتكون الخيرات كلها لابن هذه الأرض وهو الإنسان

[1] زكي الميلاد: **تعارف الحضارات**، تعارف الحضارات، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 2006، ص ص203-207

- احترام الخصوصيات الحضارية، إن ما يفرق حضارة عن حضارة أخرى هي خصوصيات ومميزات كل منها، فتشكل الحضارات تنوعا فسيفسائيا من الثقافات يغني الحضارة العالمية ويصنع بهجتها الدنيوية [1]

ومنه فإن استخدام (**تعارف الحضارات**) وليس حوارها أو صراعها، يمثل مجرد رد فعل لما أثارته أطروحات (**صراع الحضارات**)، تلك الأطروحات التي جاءت من خارج الدائرة الإسلامية تعبيرا عن الاهتمامات الفكرية والعملية في الغرب، في حين أن الرؤية الإسلامية على مستوى المعرفة والفكر أسبق إلى تقديم طرح آخر، كما أن الواقع الإسلامي في ظل موقعه من توازنات القوى العالمية، لابد أن يطرح السؤال التالي: **هل يمكن للغرب أن يدخل في حوار حضاري مع حضارات غير متكافئة معه من الناحية المادية، وهو المحكوم دائما باعتبارات توازن القوى المادية؟**[2]

بالرغم من الجهود الفكرية سواء من الجانب الغربي أو العربي، التي بذلت لتصحيح صورة الآخر عند الطرفين، وهذه الجهود تجسدت في ملتقيات وندوات دولية وكتابات وجمعيات وهيئات أممية وكذلك قوانين دولية لنبذ العنف والتمييز العنصري، إلاّ أن هناك دراسات عربية وأجنبية حاولت أن تبين حقيقة الصورة التي لازال يرسمها العربي اتجاه الآخر الغربي، وكذلك صورة العربي في نظر الغربي، ومن بين هذه الدراسات ما قدمه الكاتب الإنجليزي **جون لافين في** كتابه الذي عنونه (**العقل العربي تحت الفحص**)، أما عنوانه الفرعي (**الحاجة إلى الفهم**)، هذا العنوان الفرعي يعني أن الكتاب موجه أساسا لقراء من غير العرب. أول صفة حرص المؤلف على أن يلصقها بالعرب هي: صفة العنف، لقد حاول منذ البداية أن يثبت وجود جذور تاريخية قديمة لهذه الصفة، وأن الكاتب يحاول أن يصور العرب على أنهم ينتزعون إلى العنف بطبيعتهم، وبحكم تراثهم وتاريخهم، وأنه من الخطأ أن نطبق القيم الحضارية الغربية على الوطن العربي، لأن القيم الحضارية الغربية قيم داعية للسلام، أما السلوك العربي فهو عنيف، ولكي يفهم الإنسان الغربي الوديع العنف العربي، لابد له أن يتجرد من قيمه ويتركها جانبا.[3]

دراسة أخرى حول صورة العرب والإسلام في عقل الآخر الأمريكي، للباحث **ميخائيل سليمان**، يشير في دراسته إلى، جملة من الملاحظات المناهضة للإسلام، فكانت الإجابات " أن الإسلام عقيدة تخنق الإبداع، المسلمون متعصبون، قدريون، بطيئون في قبول التغيير، يحملون عقائد ليس هذا زمانها، الإسلام له تأثير تعويقي، المسلمون يرتدون ألبسة غريبة الأشكال، يمارسون تعدد الزوجات، شعب مولع بالحروب...الخ "، إلى غير ذلك من الصور السلبية التي ترسخت في أذهانهم"، فهذه المواقف تعتبر إحدى موانع الحوار وتساهم في تغذية الرواسب السلبية للصراع، وفي مقابل ذلك تكون ردة الفعل بالنسبة للطرف العربي وردا على تلك التعبئة الإعلامية المشحونة بمشاعر الكراهية والسخرية، تتولى بعض المؤسسات الدينية، هيئات أو شخصيات فاعلة،

---

[1] محمد مراح: **نحو رؤية إسلامية لتعارف الحضارات**، تعارف الحضارات، **دار الفكر، دمشق، ط1، 2006، ص ص87-100**

[2] نادية محمود مصطفى: **تعارف الحضارات**، تعارف الحضارات، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 2006، ص ص181-182

[3] فؤاد زكريا: **خطاب إلى العقل العربي**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 2010، ص ص115-120

بالتعبير عن سخطهم بالمساس بالمقدسات الدينية، عن طريق أعمال عنف، تفجيرات أو مظاهرات، رغم أن لهذه الاعتراضات لها ما يبررها على أرض الواقع، قد تشكل هذه الردود حجة على الإسلام والمسلمين للدلالة على أن الإسلام دين عصبية ودين تطرف ...الخ.[1]

أما صورة الغرب في الفكر العربي، وأمام الواقع المزدوج الذي طبع صورة الآخر أمام الفكر العربي، الذي أدى في النهاية إلى إثارة متناقضة اتجاهه، مشاعر إيجابية وأخرى سلبية، فهذا الأخير نجده يواجه بعدوانية مضادة والتعصب بالتعصب، والتطرف بمثله، إنها الدعوة نحو التمركز حول الهوية التراثية كآلية لمواجهة الأخر.[2]

ومن بين الدراسات العربية التي تكشف عن صورة الغرب لدى الفرد العربي: دراسة قدمها الباحث / **خالد عطية السعودي** الموسومة بـ: **صورة الآخر في كتب التربية الإسلامية لمرحلة التعليم الأساسي في الأردن (دراسة تحليلية)**، حاول الباحث إبراز ثلاثة أنماط طبيعية للآخر في إطار تاريخي سردي، وفق ثلاث أبعاد: الإيجابي والسلبي والحيادي [3]

وكذلك دراسة كل من الروايضية 2007، وأبو عمر 2008، إن المتأمل في هذه الدراسات وما توصلت إليه من نتائج، يلاحظ أن كل طرف سواء العربي أو الغربي يحمل صورة في أغلبها صورة سلبية عن الطرف الآخر.[4]

إن الصورة السلبية التي كونها الآخر الغربي عن الفرد العربي والملامح المشوهة للأمة العربية، لم تأتي من فراغ، بل من الواقع العربي المتردي الذي يبين وبشكل واضح ضعفنا على المستوى الاقتصادي، الثقافي والاجتماعي والسياسي، رغم المحاولات لإصلاح البيت العربي، والحال العربي من سيء إلى أسوء، وبالتالي لا يمكن أن نتحدث عن حوار شرق/ غرب، أو حوار إسلامي/ مسيحي، في ظل الإخفاقات العربية، لأن منطق الحوار يتطلب التكافؤ في القوة، حتى لا يفرض القوي منطقه وشروطه على الطرف الأضعف.

في سؤال طرح على صاحب نظرية تعارف الحضارات المفكر **زكي الميلاد: ما الذي يميز هذه الأطروحة؟**

يجيب **زكي الميلاد** على هذا السؤال بقوله: " بأن المقولات الثلاث (صدام الحضارات، حوار الحضارات، تعارف الحضارات)، إنما تتعدد وتختلف بحسب اختلاف أنساقها المعرفية وتعددها، فكل واحدة منها لها طبيعتها النسقية

---

[1] عقون مليكة: **دور الحوار في تصحيح صورة الإسلام لدى الغرب (الإمكانية والموانع)**، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، تصدر عن مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية، جامعة معسكر، الجزائر، العددان 5 –6، جوان 2014، ص 57

[2] بن خيرة بوعلام: **إشكالية الآخر في الفكر الجابري (دراسة تحليلية نقدية للغرب من منظور الفكر العربي ... محمد عابد الجابري نموذجا)**، أطروحة ماجستير، تخصص فلسفة، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الجزائر، 2005، ص ص26–28

[3] خالد عطية السعودي: **صورة الآخر في كتب التربية الإسلامية لمرحلة التعليم الأساسي في الأردن (دراسة تحليلية)**، مجلة العلوم التربوية والنفسية، جامعة البحرين، المجلد 13، العدد 03 سبتمبر 2012، ص، ص 532، 555

[4] المرجع السابق، ص ص536–539

المتميزة بها، والمكونة لعناصرها ومكوناتها الذاتية وملامحها الكلية، فنظرية تعارف الحضارات، هي أكثر من كونها مرحلة وسيطية أو انتقالية، بمعنى أن على أساسها تتحدد مستويات العلاقات ودرجاتها واتجاهاتها ونظام التواصلات بين الناس، كما أن لها من الفاعلية بأن تجنب الحضارات مصير الصدام، لأن الناس كما قال **الإمام علي**، كرم الله وجهه **(الناس أعداء ما جهلوا)** " [1]

قد يتساءل البعض: **لماذا تناولنا إشكالية العلاقة بين الأنا والآخر؟**، والتي حددناها في إشكالية العلاقة بين الغرب والعرب:

أولا شكل هذا الموضوع، جدلا فكريا بين الباحثين الغرب والعرب، وبما أن صلب موضوعنا هو الحوار الفكري ومعوقاته، حاولنا أن نتطرق لهذا الموضوع الفكري وإشكالياته، إشكالية العلاقة بين الغرب والعرب، صيغت هذه الإشكالية في صورة نظريات عرفت، بنظرية: صراع الحضارات، حوار الحضارات وآخرها تعارف الحضارات، فكل واحدة من هذه النظريات، قد تعرضت للنقد والتحليل، فوجدت لديها أتباعا ورافضين، غير أن هذا الحوار تركز أساسا بين نظريتي الصدام لصاحبها **هنتنغتون** ونظرية حوار الحضارات **لروجيه غارودي**، أما نظرية تعارف الحضارات ذات المنشأ العربي الإسلامي للمفكر/ **زكي الميلاد**، التي لم تأخذ مكانتها بعد ضمن النظريات العالمية، ويكون لها تأثير واضح على المستوى الدولي، والسؤال الذي يطرح: **لماذا لم تأخذ هذه النظرية مكانتها الفكرية؟ هل لحداثتها؟ أم أن صاحبها عربي؟** وهنا نفتح قوس، ونطرح السؤال البديل؟ **لماذا لا تنجح المنتجات الفكرية العربية في منافسة الطروحات الغربية؟ هل يمكن أن نستنتج أن نظرية تعارف الحضارات، تعامل معها المفكرون، عرب كانوا أم غرب بنوع من التعصب؟** أسئلة تحتاج لندوات ومؤتمرات لكي يجيب عليها باحثون ومفكرون في مجال النظريات الفكرية.

شكلت هذه الطروحات المختلفة سجالا فكريا لازال متواصلا لحد الآن، بين العلماء والباحثين، لكن الملفت للنظر أن هذا الحوار الفكري حول الموضوع لم يخل من تأثير الإيديولوجيا بمختلف مؤثراتها الدينية والاقتصادية والسياسية وحتى الثقافية، نتيجة لسيطرة الفكر التعصبي الذي يتميز به المفكرون والعلماء من الجانبين العربي والغربي، ويتضح الأمر جليا وأكثر حدة عند الطرف الغربي، وحسب ما أفادنا به الباحث المغربي/ حسان الباهي في حوار معه حول هذه الإشكالية، فهو يرى أن الحوار الفكري حول موضوع إشكالية العلاقة بين الأنا والآخر(العرب والغرب أو بين الإسلام والمسيحية) لم يحقق أهدافه، لأن أطراف الحوار لم تطبق شروط الحوار العلمي الهادف و لم تلتزم به (شروط التي كنا قد ذكرناها في عنصر سابق)، وهذا معناه تميز كلا الطرفين بفكر تعصبي، حيث لم يستطيعا أن يتخليا عليه رغم أنهم من دعاة الحوار، فلم يعط أحدهما الآخر الفرصة الكاملة لإظهار الحقيقة التي قد تكون في جانب أحدهما، لذلك لم يحقق هذا الموضوع تقدما وتطبيقا على أرض الواقع ، بالرغم من وجود مؤلفات أقل ما يقال عنها أنها مجلدات حول الحوار بين الأنا والآخر، لكنها مجرد آراء لم ترق إلى مستوى التطبيق الفعلي بين الطرفين، والدليل ما تعيشه شعوب العالم من تمييز عنصري وعنف وتطرف،

[1] حسن آل حمادة: **حوار حول أطروحة تعارف الحضارات**، تعارف الحضارات، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 2006، ص ص209-210

ضحيتها الإنسان، إذن هذا التوجه الفكري الذي يسعى لتحقيق التقارب بين البشرية بغض النظر عن الاختلافات: الدينية، السياسية، الثقافية...الخ، لم يستطيع من اقتلاع جذور التعصب التي أدت إلى هلاك الإنسانية، والسؤال يبقى مطروحا:

هل بإمكاننا تحقيق التقارب مع الآخر الغربي في ظل الاختلافات والخلافات الجوهرية بين الطرفين، وخاصة الاختلافات الفكرية؟

هذا السؤال تم طرحه على بعض من أساتذة جامعات الوطن، وكذلك على بعض الأساتذة من خارج الوطن، الذين كانت لنا فرصة اللقاء بهم أثناء التربص الذي استفدنا منه، في كل من مصر، المغرب، إيران، فكانت الإجابة أنه بإمكان تحقيق التقارب مع الآخر، حتى في ظل الاختلافات والصراعات التي تحيل دون تحقيق هذا التقارب، ورأيهم أن الظروف والمستجدات العالمية الجديدة فرضت علينا التفكير في هذا التقارب، هي:

- العولمة، الحروب والحروب الأهلية الطائفية.
- تراجع نسبي لأحادية القطب الواحد مع بروز ثقافات صاعدة مشرقية خاصة واقتصاديات منافسة للهيمنة الأمريكية:
- دول البريكس (البرازيل، روسيا، الصين، الهند، جنوب افريقيا).
- ذيوع إعلامي للأقليات الثقافية والدينية واتساع مساحات النقاش عبر وسائل الإعلام والاتصال الجديدة
- بالنظر إلى المشكلات الحاصلة في الحياة الاجتماعية، زيادة على مخاطر العنف والكراهية والإقصاء يبرز الحوار بوصفه الأسلوب الأنجع للتفاهم، ومن ثمة تفادي العديد من المشكلات والمعضلات مستقبلا.
- ساهمت الظروف والعوامل التاريخية في بروز الحوار، من ناحية سياسية: تأسيس النظام العالمي الجديد في بداية التسعينات وخفوت الاتحاد السوفياتي، جعل الحوار مهما وخصوصا بين الأديان.
- موجة الإرهاب التي طالت بداية القرن 21 م والتي جعلت من الحوار ضرورة ملحة.
- من ناحية إعلامية تطور التقنية والتي جعلت من العالم قرية جديدة الأمر الذي جعل الاختلاف أكثر رسوخا لدى رواد الفضاء التواصلي الإلكتروني، وكذلك الإعلام السمعي البصري بشقيه المنفتح والدوغمائي جعل من الحوار أكثر نضجا.
- من ناحية تربوية انتشار التعليم لدى شرائح كبيرة من الأفراد جعلهم ينشئون قنوات حوار بينهم، ظهور بؤر التوتر والصراعات الدولية المصلحية (التكتلات الإقليمية ورفض الآخر).

ثانيا: ثقافة الحوار الفكري في الفضاءات العلمية والبيداغوجية

1- الأصل في ثقافتنا الحوار مع الآخر

تفرض الحياة بكل متطلباتها على الإنسان والشعوب عملية التواصل فيما بينها، وهذا التواصل لا يتم إلا بالحوار، وقد يكون هذا الحوار ذاتيا بين الفرد ونفسه، والذي يعتبر ذا قيمة كبرى، لأنه أداة مراجعة المرء لأعماله وسلوكه وآرائه وتصوراته وأبحاثه، ليصل إلى درجة يرضى عنها ويتقبلها المجتمع بقبول حسن، ولا تتعارض مع القيم الخلقية ومبادئ الشريعة السمحاء، لقول أمير المؤمنين **عمر بن الخطاب:** " **حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم**"، و المقصود هنا مراجعة ذاتية يجريها المرء بينه وبين نفسه بحوار ذاتي موضوعي عاقل محايد.[1]

وقد يكون الحوار مع الآخر، إلاّ أن بعض الباحثين، لا يرى في الحوار مع الذات حوارا، لأن الأصل في الحوار الاختلاف وأننا لا نتكلم إلاّ ونحن اثنان، وهنا يرد **طه عبد الرحمن** على هذا الطرح، بأن المرء يتكلم مع نفسه أو يخاطب ذاته فيقول:

" إن الكلام مع النفس أو مخاطبة الذات ليس حقيقة أصلية، وإنما حقيقة متفرعة عن حقيقة أولى، هي الكلام مع الغير أو مخاطبة الغير، حيث أنك تشبه علاقتك بنفسك بعلاقتك بغيرك "، ويطرح التساؤل التالي: **ألست حين تكلم ذاتك تتصرف كما تتصرف الذاتان المتمايزتان فيما بينهما؟**[2]

لكن هل تختلف الذات مع نفسها، إذا كان الأصل في الحوار هو الاختلاف؟ أم أن الحوار لا يوجد إلاّ حيث يوجد الاختلاف ؟، فمعنى ذلك أن الحوار هو بمنزلة نظر من جانبين، وليس النظر من جانب واحد كالنظر من جانبين اثنين.[3]

والمقصود بالحوار مع الذات، ليس الحوار مع الذات الواحدة أو مع النفس، بل المقصود بالذات هو الذاتية الجمعية المعبرة عن المجموع، كالجماعة، أو الأمة، أو الشعب، أو تيار، **وهل تختلف الأمة الواحدة وهي التي تدين بعقيدة، وبحضارة واحدة، أو بثقافة واحدة؟ وكيف يمكن أن نتقدم بصيغ حوارية مع الآخر، إذا كنا منقسمين مع ذاتيتنا ومختلفين مع بعضنا البعض؟** مع الافتراض أن يكون الاختلاف مع الآخر وليس مع الذات.[4]

---

[1] حسين جمعة، مرجع سبق ذكره، ص ص11-12

[2] طه عبد الرحمن: **الحق العربي في الاختلاف الفلسفي**، مرجع سبق ذكره، ص ص27 -28

[3] طه عبد الرحمن: **في أصول الحوار وتجديد علم الكلام**، مرجع سبق ذكره، ص ص 20-21

[4] عبد الله علي العليان، مرجع سبق ذكره، ص 178

وبالرجوع إلى تراثنا العربي نجد أن الأصل في ثقافتنا هو الحوار مع الآخر، فحين نحتكم إلى التاريخ، عبر رواياته وأخباره وشواهده، ونصوصه يزداد الأمر جلاء، حيث تخبرنا الشواهد التاريخية أن العربي في الجاهلية، أظهر معرفته لثقافة الحوار، فقد عرف محاورا جيدا في الدفاع عن حقوقه ومحاورته لنفسه، محاورته للآخر، فمحاورته لنفسه دالة على تقليبه للأمور من جميع جوانبها، ومحاورته للآخر دالة على تقبله لهذا الآخر، فهو الزوجة، والابنة التي يستمع إليها وإلى شكواها، وحتى هذا الآخر هو ناقته التي يحس بها وينطقها كما صنع **المثقب العبديّ وعنترة**، وهذا الآخر كذلك الملوك، الذين وفد إليهم، وكانت وسيلتهم الأساسية في عملية الحوار الشعر، حيث أبدع العرب أثناء الجاهلية في اللغة الشعرية فتركوا لنا نماذج قيمة من الشعر الذي يسمى الشعر الجاهلي الذي تميز بلغة عربية راقية، ولنا في هذا السياق نماذج حوارية من الثقافة العربية، حتى نبين أن الحوار كثقافة يضرب بجذوره إلى قبل مجيء الإسلام.[1]

ومن أصناف الآخر الذين حاورهم العربي في الجاهلية، المرأة، فهذا الشاعر **حاتم الطائي**، يقيم حوارا بينه وبين زوجته، التي لا تنفك تلومه عن كرمه المتعاظم، لكنه يرد عليها بالحوار النافع، فيقول لها:

- **وقائلة: أهلكت بالجود مالنا – ونفسك، حتى ضرّ نفسك جودُها**
- **فقلت: دعيني، إنما تلك عادتي – لكلّ كريم عادة يستعيدها**

ويتخذ من محاورته هذه، لإقناعها، بأنه صاحب عادة وإهلاكه المال حافظ له ولعرضه، وهو يرد بأفعاله هذه السنة الناس عنه، ثم يسألها إن رأت رجلا بخيلا حافظا لماله، قد خلد في هذه الدنيا، فكل إلى زوال، ويبين لها أنه يصبح سيّدا على سادات العشيرة.

حوار مع الملوك، استطاع الشاعر الجاهلي بفطرته النقية أن يتواصل مع الملوك، وأن يعرض قضيته بحوار هادئ، وقد وجدنا **علقمة بن عَبَدَة الفحل التميمي** يتوجه على رأس وفد من قومه إلى **الحارث بن جبلة بن أبي شمر الغساني** ليشفع في أخيه **شأس**، وقد أنشده قصيدته البائية التي مطلعها:

- **طحا بك قلب في الحسان طروب – يُعَيْدَ الشّباب عصر حان مشيب**

في هذه القصيدة نجده محاورا فذا، إذ كان واضح الغاية في ذهابه إلى هذا الملك، فاختار الأسلوب الأمثل الذي يعتمد اللين والمحبة وسيلة للوصول إلى الهدف، وهذه الطريقة تعتمد الكلمات الطيبة المرنة التي تقرب الأفكار وتعمل على توحيد المفاهيم بعيدا عن العنف والشدة.[2]

---

[1] عمر عبد الله أحمد شحادة الفجاوي، ريم فرحان عودة المعايطة: **ثقافة الحوار مع الآخر في نماذج من الأدب الجاهلي**، مجلة العلوم العربية والإنسانية، جامعة القصيم، المملكة العربية السعودية، المجلد 7، العدد 2، 2014، ص2

[2] المرجع السابق، ص، ص 16، 18

والأمثلة عديدة لا يسع المجال لذكرها، لكن المطلع على التراث الجاهلي، يدرك فعلا أن ثقافتنا العربية ثقافة حوار بالدرجة الأولي، وليس كما يروج عن أن العربي في الجاهلية لا يعرف إلاّ السيف، وما الشعر الفصيح الراقي لدليل على أن العرب قد اعتمدوا على الحوار كوسيلة للتخاطب، أما مظاهر ثقافة الحوار في فترة التاريخ الإسلامي فالأمر يزداد إبهارا إزاء عدة معالم نقرأ منها:

– ثقافة حوارية من الطراز الجيد، تقبل التعددية، وتنطلق من الاختلاف، وتنتهي بالتسامح والتفاهم مع الآخر قبولا أو جدلا، والدليل على ذلك تعدد المدارس التي كانت الأصل الذي نهضت على أساسه ثقافتنا في كل فروع العلم وساحات المعرفة بين مدارس المحافظين والمجددين، مدارس اللغويين والفلاسفة، أهل النص وأهل الرأي، علوم الأوائل، والعلوم المترجمة، وكذلك كانت حوارات النقاد، الزهاد، والزنادقة، صحيحا أن صراعا قد نشب بين بعض تلك المدارس، وتجلت بعض صوره في منطق الهجوم أو الدفاع، ولكن المؤكد أيضا أن ثمة مصالحة معرفية قد قبلت تعايش المدارس المتنافسة، فوصلنا تراثها وفكرها فكان حواريا قبل أي اعتبار آخر، فهي تتميز بأنها :

– ثقافة إنسانية بدأت من الإنسان وانتهت إليه، فلم تعرف الانشغال بالأجناس، أو مولد العلماء بقدر انشغالها بثقافاتهم ونشأة الفكر لديهم، ودليل ذلك ما تمتع به علماء العصر العباسي ومبدعوه من جمع رائع بين موروث البادية العربية في صفائها ونقائها، وبين ضجيج الحضارة العباسية في صخبها الحضاري موزعا بين عناصر عربية، ومشاركات فارسية ويونانية وهندية، لينتهي الأمر لصالح البعد الإنساني لثقافتنا، لأنها ثقافة الحوار مع الآخر، ويحث العلماء الشباب على إعادة قراءة سيرهم العلمية والفكرية، ليعرفوا جوهر الأدوار العلمية في ثوبها الإنساني الراقي، أمثال **ابن سيناء، الخوارزمي، الرازي الجرجاني، ابن حيان، وابن الهيثم**....إلى غير ذلك من العلماء والمفكرين، لو كانت ثقافة صراع أو تعصب لشغلوا بمعارك فرعية، ولم يقدموا للإنسانية هديتها الكبرى بمعزل عن فكرة الأجناس والانتماءات والأديان والمذاهب، حين تكلم العلم بالعربية على مدار ثمانية قرون من عمر الزمان، علم فيها الإنسان كيف يكون إنسانا.[1]

تستمد الثقافة العربية مبادئها من الدين الإسلامي، الذي هو دين الحوار ودين يدعو إلى قبول الآخر المختلف عنا دينيا، فثقافة قبول الآخر تمتد بجذورها إلى الدين الإسلامي، ولكن كمصطلح متداول في الساحة الفكرية، فقد تم تداوله بعد عام **1997**، بعد صدور مسرحية الكاتب الكبير **ادوارد البي**، عن قصة حديقة الحيوان، وقد جاء على لسان أحد شخوصها أن **(الجحيم هو الآخر)**، بعد هذا التاريخ أخذت ثقافة قبول الآخر بالظهور لتأخذ حقها من

[1] عبد الله التطاوي: **الحوار الثقافي مشروع التواصل والانتماء**، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر، ط1، 2006، ص ص25–26

النقاش والحوار وأن الآخر هنا هو كل شيء يقف في خلاف مع الأنا وقد يكون الاختلاف فكريا أو دينيا أو مذهبيا أو ثقافيا.[1]

فتميزت علاقتنا بالآخر بمبدأ التسامح والمعاملة الحسنة، وما يؤكد أن ثقافتنا ثقافة تسامح، ما حفل به الواقع التاريخي للأمة الإسلامية في مختلف عصورها وشتى أقطارها، بأروع مظاهر التسامح، وعلى سبيل المثال، نذكر بعض من النماذج التي تبين سماحة الإسلام والمسلمين في تعاملهم مع الآخر، لأننا لا يمكن أن نتحدث عن ظاهرة اجتماعية بمعزل عن تأثير الدين في العلاقات الإنسانية:

- سماحة **الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم**، في تعامله مع أهل الكتاب (يهود المدينة)، عندما هاجر إلى المدينة المنورة، أول ما فعله هو أنه أقام بينه وبينهم ميثاقا، تحترم فيه عقائدهم، وتلتزم فيه الدولة الإسلامية بدفع الأذى عنهم.
- من الشواهد الهامة على تسامحه صلى الله عليه وسلم، تعامله مع أسرى بدر (دون أن ندخل في تفاصيل الحادثة).

فصور التسامح التي تميز بها **الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم** مع الآخر، متعددة ومختلفة، لا يتسع المجال لذكرها، فسيرة الرسول الكريم غنية عن كل تعريف، لأنه جاء موحدا لا مفرقا، جاء معلما لا مستبدا، أما ما يتسحق الذكر من صور التسامح مع الأخر، ما تميز به المسلون بعد الرسول الكريم، وسنأخذ بعض من النماذج للدلالة على سماحة الدين الإسلامي بغض النظر عن الأشخاص وبغض النظر عن الزمان والمكان:

- لقد كتب " **ول ديورانت** " في كتابه " قصة الحضارة حيث يقول: " لقد كان أهل الذمة المسيحيون والزردشتيون، واليهود، والصابئون، يستمتعون في عهد الخلافة الأموية بدرجة من التسامح لا نجد لها نظيرا في البلاد المسيحية في هذه الأيام ...الخ).
- ومن مظاهر التسامح الديني ما يسجله **مصطفى السباعي**، من تكرر صور الاشتراك بالأعياد الدينية وزينتها منذ العهد الأموي، كانت للنصارى احتفالاتهم العامة في الشوارع، وقد دخل **البطريرك ميخائيل** مدينة الإسكندرية في احتفال وبين يديه الشموع والصلبان والأناجيل.
- ومما يشاد به ضمن هذا التسامح هو شهادة للرحالة الأندلسي **ابن جبير** متعجبا من حسن التعامل بين المسلمين والصلبيين، رغم ضراوة الحرب بينهم.

[1] ممدوح الشيخ: **ثقافة قبول الآخر**، مكتبة جزيرة الورد، القاهرة، مصر، ط1، 2007، ص 174

- ومن حسن تعامل المسلمين وتسامحهم مع غيرهم إبان الحروب الصليبية، ما سجله التاريخ في تسامح **صلاح الدين الأيوبي**، بعد أن استرد بيت المقدس، حيث وفى للنصارى بعهودهم وسمح لمن أراد منهم الخروج، وبقيت كنائسهم على ماهي عليه، حيث أشاد المؤرخون بحسن معاملة المسلمين لأعدائهم الصلبيين، فيقول **قدري قلعجي:** " ويثني المؤرخون جميعا غربيين وشرقيين على الموقف النبيل الذي وقفه **صلاح الدين** أثناء فتح بيت المقدس ..."[1]

هناك العديد من اللقاءات الحوارية بين **الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم** وبين المشركين، ونظرا لتعددها أردنا الاختصار، أول هذه الحوارات لقائه **بورقة بن نوفل**، أحد علماء أهل الكتاب المسيحيين الذي يعتبر أول إنسان صدق **النبي صلى الله عليه وسلم**، حوار آخر بينه وبين عدي **بن حاتم الطائي**، الذي انتهى الحوار بإسلامه، ولقائه مع وفد نصارى نجران...الخ، الدلالات التي يمكن استخلاصها من هذه اللقاءات:

- إسلام أغلبية الذين التقى بهم، إلاَ وفد نصارى نجران حيث لم يسلم منهم إلاَ البعض.
- ظهور الأدب النبوي الرفيع في معاملة الآخر المختلف عنه في العقيدة سواء أكانوا مسيحيين أم يهود.
- أثر أخلاق الرسول الكريم، في إيصال نور الإسلام وجمال دعوته إلى قلوب الآخرين.
- التزامه بمنهج القرآن الكريم.
- إعراضه عن الدخول في الجدال العقيم، الذي خاض فيه اليهود والنصارى أمامه، بل أنه فضل الصمت عندما وصل الحوار معهم إلى الطريق المسدود.
- حذره من انحراف الحوار عن المنهج الصحيح وذلك بتوضيح **النبي صلى الله عليه وسلم** للحقائق التي أراد أهل الكتاب أن يلبسوها عليه وعلى دعوته، وذلك بجوابه على من قال له:" **أتريد منا يا محمد أن نعبدك ... فقال صلى الله عليه وسلم معاذ الله**"
- استخدم الأسلوب العقلي في حواره مع المسيحيين وذلك في قوله **لعدي:** " **هل تعلم من إله سوى الله؟، وقوله: وتعلم شيئا أكبر من الله** ".
- استخدام النبي صلى الله عليه وسلم أسلوب الترغيب للدخول في الإسلام، كترغيبه **لعدي**بأن الله تعالى سينصر الإسلام ويعز المسلمين.[2]

---

[1] ابراهيم بن محمد الحمد المزيني: **التعامل مع الآخر (شواهد تاريخية من الحضارة الإسلامية)**، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 2005، ص ص32-48

[2] بسام داود عجك: **الحوار الإسلامي –المسيحي (المبادئ، التاريخ، الموضوعات، الأهداف)**، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 1998، ص 120

وعليه ومن خلال النموذج الأعلى معلم البشرية الأول **رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم**، الذي جاء ليرسخ قواعد الدين الإسلامي، ومن بين الأساليب المعتمدة وسيلة الحوار والإقناع، يتضح لنا مكانة وأهمية الحوار في الإسلام، فقد أكده القرآن الكريم وحثت عليه السنة النبوية المطهرة، ففي الكتاب والسنة أمثلة متعددة من الحوار، حيث يعتمد الإسلام على العقل والحجة عماد للمحاورة، إن الرؤية الإسلامية العقدية والفكرية ترى أن الأصل والسنة والقاعدة والقانون هو الاختلاف والتنوع والتمايز، فالواحدية والأحادية فقط للذات الإلهية، وما عدا ذلك، كل الكون يقوم على التعددية والاختلاف، ذلك هو القانون التكويني الذي يسود ويحكم كل عوالم المخلوقات في الإنسان والحيوان والنبات والجماد، فقد أرسى الإسلام مبدأ الحوار بأشكاله وصوره وأساليبه المختلفة، ووضع الأسس والضوابط التي تكفل استخدامه وتضمن نجاحه وتحقق غايته.[1]

إن الحوار بين الثقافات والحضارات، وبين الأفراد والجماعات وبين الشعوب والحكومات وبين المؤسسات والتنظيمات، هو الوسيلة المثلى لتحقيق التوازن في الحياة الإنسانية، وقد كان للتطور الذي عرفته العلاقات الدولية مؤخرا الأثر في تقوية الاهتمام بالحوار في مدلولاته العامة، باعتباره وسيلة ثبتت نجاعتها لتحقيق التعايش بين الشعوب، باعتباره وسيلة لاستتباب الأمن والسلم في العالم، إن الاهتمام بقضية الحوار في إطاره الثقافي والحضاري وبأهدافه الإنسانية موضع إجماع من البشر على اختلاف ثقافاتهم وتباين حضاراتهم، باعتبار أن الحوار هو اختيار الحكماء والعقلاء في العالم، إن العلاقة بين المستقبل والحوار والمسلمين والغرب في حاجة إلى ضبط منهجي، فالحوار الحضاري العميق والشامل هو إحدى الوسائل العلمية التي توفر للبشرية لإقامة علاقات تعايش وتعاون مثمرة ونافعة لجميع الأطراف.[2]

فالمتتبع لسيرة **الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم** وصحابته والتابعين، يدرك فعلا الجوانب المضيئة في تاريخنا المجيد، ويدرك أن الدين الإسلامي استطاع، أن يملأ الأرض مغربها ومشرقها، جنوبها وشمالها، لولا تمتع حاملي رسالته بثقافة الحوار التي يتميزون بها، وما يملكونه من براعة في الحديث والأسلوب اللين في الدعوة إلى دين الحق، وليس كما يروج من افتراءات وادعاءات عن أن الإسلام نشر بحد السيف، قد يكون هناك تجاوزات أو ظروف فرضت نفسها للتعامل بالسيف كآخر الحلول، فلا يمكننا الحكم لأننا لم نعايش تلك الفترة ولا نعرف الظروف التي حدثت فيها بعض التجاوزات، وهذا يبقى حالة استثنائية، لماذا استثنائية؟، لأن ثقتنا ليست في الأشخاص الذين حملوا على عاتقهم نشر الدعوة، بل ثقتنا بالتعاليم القرآنية والسيرة النبوية، التي لا تدعو أي مجال

---

[1] سهير علي الجيار: **الحوار في مؤسساتنا التربوية المؤتلف والمختلف**، مؤتمر التعليم في العالم الإسلامي، دار الضيافة جامعة عين شمس، مصر، المنعقد بتاريخ: 31 جانفي إلى 01 فيفري 2009، ص ص7-8

[2] حسن شحاتة، مرجع سبق ذكره، ص 217

للشك، بأن الدين الإسلامي دين تسامح ودين حوار ، لذلك يجب أن نعيد تجديد الفكر الحواري في المجتمعات العربية الإسلامية، ونحيي هذا البعد الحضاري من ثقافتنا الضاربة بجذورها منذ الأزل.

ولعل أبرز ما يبينه لنا التاريخ المعاصر، أن الأصل في ثقافتنا الحوار مع الآخر ، والنموذج هنا من داخل الجزائر، وهي شخصية الأمير عبد القادر، والتي يوضح لنا فيها **واسيني الأعرج** في روايته التي حملت عنوان: " **كتاب الأمير**" ، جوانب مضيئة من تاريخ الجزائر، وضح من خلال هذه الرواية والتي كتبها بعد أحداث **11 سبتمبر 2001**، الأنا عبر شخصية تاريخية هي (**الأمير عبد القادر الجزائري**)، في لحظة مواجهة **الآخر(المستعمر الفرنسي)**، يصف الروائي واسيني الأعرج، أن الحوار تنوع بين الأمير والآخر، فقد شمل الأمور الدينية والدنيوية، حيث اهتم بتأليف الكتب حتى يعرف الفرنسيون الدين الإسلامي، رغم الأسر ورغم بشاعة ما حدث للأمير في أسره، إلاّ أنه استطاع أن يكسب محبة الراهب وبعض من العسكريين والمدنيين الذين تعاطفوا معه ومع قضيته التي يدافع عنها، وهذا بفعل حنكته وانفتاحه على الحضارة الفرنسية بما تحمله من مبادئ إنسانية كونية، وقد ظهر هذا الاحترام، عندما زار الطبيب الأمير حتى يتفحص قدمه المجروحة، فوضع عليها المساحيق والمراهم، ولفها كي يمنعها من التعفن، ثم خرج معتذرا عن الانزعاج.[1]

وفي نفس الموضوع، قدم الباحث **أحمد الزعبي** دراسة حول " **الآخر في فكر الأمير عبد القادر الجزائري، دراسة في فتنة دمشق 1860**"، كانت فتنة دمشق حادثة عابرة في حياة الأمة وما جعلها عابرة هي رؤية استشرافية، عالجت أزمة وخففت آلاما ورسمت منهجا وطريقا لأجيال وأجيال في كيفية تقديم رؤية عصرية على الرغم من قدمها، كان الأمير منسجما مع ذاته متوافقا مع ما كان يؤمن به طريقا ومنهجا في تعاطيه مع فتنة ضربت المفهوم الجمعي ومفهوم التعايش بين ديانتين لا زالتا تقدمان نماذج للتسامح والمحبة والإخاء خارج التعصب والتمييز.

سعى **الأمير عبد القادر** إلى وأد الفتنة بشتى الطرق، وهذا ميخائيل مشاقة شاهدا على شهامته وشجاعته، أن الأمير يدرك جيدا أبعاد المسألة وخوفه على البلاد من المتربصين فيها من الأعداء، فظهرت خبرة وحنكة **الأمير عبد القادر** في تعاطيه مع الفتنة الطائفية، هذا الوعي بالذات الذي قضى بالضرورة، وعي بالآخر ووعي بما هي عليه التركيبة الدينية والطائفية، وهذه القدرة على الحكم بموضوعية تامة، باستخدام أسلوب استثارة النخوة العربية المتأصلة بالدروز وترهيب باستخدام سلاح الدولة.

[1] ماجدة محمود: **إشكالية الأنا والآخر (نماذج روائية عربية)**، عالم المعرفة، العدد (398)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2013، ص 243

فمواقف الأمير البطولية كثيرة ومتعددة منذ أن تواجد بدمشق ومحاربته للفتنة بكل الطرق، ما يدل على حنكة الرجل وقدرته وحكمته في التعامل مع مثل هذه الضروب العصيبة التي قد تحدث داخل المجتمع المتشكل من عدد من الديانات والمذاهب والطوائف، فتعامله مع الآخر المختلف عنه كتعامله مع من يوافقون ديانته، لأن موقفه هذا مستمد من تعاليم الشريعة الإسلامية السمحاء، فقد أكدت نتائج الدراسة حول الدور المميز الذي لعبه **الأمير عبد القادر**، في التخفيف من آثار مذبحة دمشق سنة **1860**، حيث أجمعت كل أطراف الصراع في الفتنة على الدور المميز الذي قام به الأمير في التقليل من نتائج الفتنة، الطريقة المتأنية لطريقة الفهم الحداثي للأمير لدينه ودوره، تعيد إلى الأذهان فكرة ضرورة إعادة النظر في الموروث في إطار حداثي يوازن ولا يقطع يجتهد ولا يجتر.[1]

كم نحن بحاجة اليوم لمثل شخصية، كشخصية الأمير عبد القادر والعالم العربي يعيش فتنة طائفية، فالقاتل منا والمقتول منا ودافع الفاتورة منا، لذلك لابد من فتح قنوات الحوار للتعريف بالدين الإسلامي وإظهار القيم الإنسانية المتمثلة في التعايش وروح التسامح التي نص عليها ديننا الحنيف وسنة نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم، لكن المتتبع لواقع ثقافة الحوار بالمجتمعات العربية، يلاحظ أن هذا المبدأ ورغم وجوده ورسوخه في الثقافة العربية، إلاّ أنه يتلاشى تدريجيا، حتى نكاد نفقد هذا المبدأ الإنساني في تعاملنا مع ذواتنا أو مع غيرنا.

الواقع أن هناك أسبابا جوهرية، حالت دون التوافق والانسجام والتعايش مع الذات الجمعية للأمة الواحدة، الذي انعكس على توافقنا وانسجامنا مع الآخر المختلف عنا والذي حدده العلماء في الآخر الغربي، فالمجتمعات العربية تعيش أزمة حوار على كل المستويات، **إذا لم نستطيع أن نتحاور مع ذواتنا فكيف سنتحاور مع الآخر المختلف عنا؟**، ومن بين هذه الأسباب:

– **الابتعاد عن فهم التعددية:** تراجعنا كثيرا عن استلهام معاني التعدد والتسامح والتعايش مع الأفكار والآراء واختلافها، وعلينا أن نقرأ أن هذا التعدد حكمة إلهية، حيث خلق الله سبحانه وتعالى الناس مختلفين ومتباينين في ألسنتهم وألوانهم وتصوراتهم وأفكارهم، وكل ذلك يفضي بصورة تلقائية إلى التعدد في الآراء.

– **الإخلال بمبدأ التعايش:** التعايش هو التفاعل، وهذا التعايش لا يكون إلا بين المتعددين والمختلفين، فالإنسان لا يتعايش مع نفسه، لكنه يعيش نفسه ويعيش ذاته، والإشكالية التي تواجه التعايش بين الأفكار والاجتهادات واختلافها في عصرنا الراهن، هي في كيفية الانفتاح على أفكار الآخرين، ولا يعني التعايش القبول بنسق واحد من التفكير والسلوك، وصهر الجميع في بوتقة، كما لا يعني التنازل عن الحق أو توزيعه على

[1] أمجد أحمد الزعبي: **الآخر في فكر الأمير عبد القادر الجزائري (دراسة في فتنة دمشق 1860)**، مجلة البحوث والدراسات الإنسانية، جامعة سكيكدة، الجزائر، العدد 12، 2016، ص ص10–39

المتعايشين بنسبة متساوية وفقا لمفهوم التعددية الذي يفهمه الغرب، بل يحتفظ كل طرف بوضعه الخاص ويمارس نشاطه الديني أو المذهبي أو الفكري أو السياسي في إطار الحقوق والحريات العامة التي يكفلها الإسلام بمضامينها المتوازنة والمرشدة.

– **غياب التسامح:** الحاجة إلى التسامح تعني سلوك سبيل اليسر، وتعدد الممارسات الدينية داخل الدين الواحد، وتعدد الأديان داخل المجتمع الواحد، فالإسلام قد ارتفع بالتسامح إلى مستوى رفيع، قلما نجده في الكثير من الحضارات والديانات غير السماوية، وقد اعترف بهذا الارتفاع بالتسامح في الإسلام الكثير من المستشرقين والباحثين، لكن قيمة التسامح على المستوى الذاتي داخل المجتمع العربي، تراجعت في بعض مستوياتها خاصة في الاختلافات المذهبية.

– **ازدهار التعصب:** أخطر ما يواجه الأمة العربية والإسلامية في راهنها ضمن الأزمات الأخرى، قضية التعصب الذي يشكل خطرا حقيقيا على وحدة الأمة وتماسكها وتآلفها، ذلك أن المتعصب يدعي امتلاك الحقيقة واحتكارها، ويخطئ الآخرون دون الرجوع إلى منطق الحوار والنقد، وربما يستخدم العنف للدفاع عن آراءه وفرضها على المختلفين معه في الرأي، والتعصب رباط يشد عين صاحبه فلا يرى من خلاله إلا الظلام ونحن بأمس الحاجة إلى نقطة ضوء، و لا بد من التذكير والتأكيد على أن الحوار والتسامح شجاعة وقوة وليس ضعفا وتحكيم العقل والحجة والبرهان و الدليل.[1]

تكاد تنعدم ثقافة الحوار بين أفراد الأمة الإسلامية الواحدة في الوقت الراهن، و **يرجع زكي الميلاد**، أزمة الحوار إلى قيادات المجتمع، فهم يختلفون والمجتمع يتآكل من هذا الاختلاف ويدفع الثمن في المزيد من الفرقة والتمزق والنزاع، ولا أحد يتدخل في وقف هذا النزيف، ويضيف قائلا، أن الواقع الذي نعيشه بائس بسبب أزمة الحوار، في الوقت الذي تتعالى أكثر من أي وقت مضى قيمة الحوار بين النخب والجماعات الفكرية والسياسية في العالم العربي والإسلامي، كمبدأ وأسلوب في التفاهم والتعايش السلمي، وفض النزاعات والخلافات، وفهم الطرف الآخر بوضوح وواقعية، فمهما كان الخلاف عظيما بين الدول والشعوب والأشخاص في التصور والثقافة والمواقف فعليها أن تلجأ إلى ثقافة الحوار والإيمان به كمبدأ للتكيف فيما بينها، والسعي إلى التفاعل مع حالة التغيير الذاتية والموضوعية نفسيا واجتماعيا وثقافيا وسياسيا، فثقافة الحوار تؤمن بالتخلص من مبدأ (**الناس على دين ملوكهم**)، وتتبنى مناهج مبتكرة في حالات التغيير والتحول لاكتساب مهارات جديدة لا تتناقض مع حالة التكيف والتوافق بين الشعوب، إن ثقافة الحوار لا تعتمد مبدأ التغير للتغير، وإنما تعتمد التغير للمبادرة والتلاؤم

[1] مصطفى الحسن: **إلى الحوار الضائع**، مجلة النبأ، مؤسسة المستقبل للثقافة والإعلام، العراق، العدد 25–26، أكتوبر – نوفمبر 1998، ص ص3–4

والتكيف والتقدم والابتكار والارتقاء، وبناء عليه، فإن حالة التلاؤم مع التغير تحتاج إلى وعي به وإرادة وقيم ومعرفة وقدرة على فهم الهوية وخصائصها المشتركة حتى لا يذوب كل محاور بثقافة الآخر وآرائه.[1]

فثقافة الحوار الموضوعي، تؤدي إلى تلاقح ثقافي وانفتاح على المفاهيم والمصطلحات والمعارف والعلوم والنظريات، وما يجعلها تتكامل وترتقي لخدمة الإنسان وسعادته، لأن الإنسان هو الغاية، لهذا لابد من تربية ثقافة الحوار بين الأجيال على قيم الحوار الخلقية وثقافته الأصيلة المفيدة، وعليهم أن يكسبوهم مهارة الحوار وتقنياته، وهذا دور العلماء والباحثين والأدباء بترسيخ ثقافة الحوار بعيدا عن كل المصالح الضيقة، حتى لا يقع مجتمعهم في الجهل والتخلف والضعف والعجز، والحوار بهذا التصور يخرج الإنسان و الشعوب وثقافتها من الانغلاق والعزلة والتخلف والجهل، والتحجر والتزمت إلى آفاق إنسانية رحبة، إنه ينطلق إلى تعميق الغايات النبيلة التي تكسب عملية التنمية والتكامل نهوضا وارتقاء في كل نشاط فكري وسياسي، وتعزز السلوك الاجتماعي والأخلاقي بين الناس، فثقافة الحوار تتجاوب مع الفطرة الإنسانية الحرة، ومع التنوع والتعدد والتكامل في الطبيعة، أي على كل مجموعة أن تدرك قيمة التجانس في صميم التعدد والتنوع، وعليها أن تتحمل مسؤوليتها نحو ذلك...، فأكبر عيب ممكن أن يصيب الأطراف المتحاورة، أن تفقد مسؤوليتها الخلقية الإنسانية في ثقافة الحوار، وأن تكون جاهلة بقواعده ومناهجه ومعارفه.[2]

وفي هذا السياق وفي سؤال وجه لبعض الأساتذة من جامعات مختلفة: **ما هي الشروط الواجب توفرها لخلق ثقافة الحوار؟**

فجاءت إجاباتهم عن هذا السؤال على النحو الآتي:

- المساواة، العدل، الثقافة العالية، العلم والاحترام.
- احترام الآخر، مهما كان مستواه التعليمي والثقافي ورأيه وإيديولوجيته والرغبة المتبادلة والمشتركة في التبادل الفكري، ومناقشة الأمور من منظور مزدوج بعيد عن الفردية والأنانية.
- التربية والتعليم والممارسة والقدوة الحسنة.
- الحجاج بحيث هو التأسيس المهم لأي فكرة وهو الاستناد على البراهين المقنعة والعقلانية.
- الاتفاق حول موضوع معين للحوار دون التكلم في مواضيع عامة.
- نبذ التعصب والتطرف وعدم إقصاء الآخر

[1] حسين جمعة، مرجع سبق ذكره، ص ص14-15

[2] المرجع السابق، ص ص15-16

- اتقيا المناقشة، مفهوم جوهري استخدمه **هابرماس** يعني الأخلاقيات الموجب الاستناد عليها في المناقشة.
- الاعتراف، وهو أساسه بحيث لا تكفره إذا كان مجال الحوار دينيا والا تتهم الآخر باتهامات مشوهة للفكر والحوار.
- إرادة الحوار والتواصل، الندية أو التقارب في المستوى، القابلية لتغيير الأفكار.
- القدرة على الحجاج والاستدلال والنقاش البناء.
- الإيمان بنسبية المعارف والأفكار.
- تقبل الآخر، تجنب التعصب والاحتكام لأفكار الأنا، فتح المجال للتعرف على البدائل الثقافية والعلمية.
- قابلية الحوار كفكرة أولا، أن يكون المجتمع والفرد مثقفا، وجود عادات وتقاليد تمجد ثقافة الحوار.
- ترسيخ مبادئ الديمقراطية والعمل والتواضع والعلم.
- توفر طرفي الأنا والآخر على ثقافة ايجابية، القدرة على قبول المواجهة في انجاز الحوار، يقوم على تجنب كل
- طرف الأحكام المسبقة على الآخر.
- الجو الملائم للعمل، عدم التعصب للآراء، الثقة العلمية والتواصل.

2- مصادر ثقافة الحوار

يمكن أن نعيد لثقافة الحوار دورها الحضاري في بناء وتنمية المجتمعات الإنسانية، انطلاقا من ثقافتنا العربية الإسلامية التي هي في الأساس ثقافة حوار وتعايش مع الآخر، من خلال تفعيل دور المؤسسات التالية التي تعتبر البنى الأساسية في بناء وتكوين أي مجتمع:

2-1. العائلة وثقافة الحوار: تمثل الأسرة الخلية الأولى في تكوين وتشكيل شخصية الفرد، ففيها ينمو الفرد ويترعرع ثقافيا وتربويا في أحضان الأسرة التي تعلمه أسلوب الحياة النزيهة والشريفة ماديا ومعنويا وسلوكيا، حيث يتفاعل مع مجموعة من الأوامر والنواهي التي تضمن له سلامة الانتساب إلى عائلته وإلى وطنه وإلى مجتمعه الكبير أي الإنسانية، فيتعلم الاحترام، الحوار، التسامح ، القناعة، الانضباط والتعاون، وفق قانون أخلاقي، يحترم من خلاله الآخرين ويتواصل معهم، والذين هم أيضا مطالبون باحترامه كذات بشرية تتمتع بحقوق وعليها واجبات، لكن الملاحظ على الأسرة العربية، أنها تتميز بثقافة حوارية هرمية تقوم على أساس العمر كما تقوم على أساس الجنس، توجب عليهم الطاعة الشبه مطلقة في علاقة سلطوية، ويتم التواصل تقليديا بين الكبار والصغار ليس أفقيا بل عموديا فيتخذ من فوق إلى تحت طابع الأوامر والتبليغ وتوجيه التعليمات والتخويف والتهديد

والتوبيخ والشتم وتوليد الشعور بالذنب والقلق ويقترن هذا التواصل من فوق إلى تحت بالعقاب والحرمان والغضب والصفع والإخضاع، فهذا الواقع التربوي، لا يؤهل الأسرة بأن تصنع طفلا قادرا على التفكير الحر وعلى الحوار مع الآخر واحترامه، وحتى تستطيع العائلة مسايرة الأحداث والمشاركة في بناء مجتمع إنساني متزن ونزيه وتكوين جيل صالح لنفسه ولعائلته ولوطنه ولأبناء جنسه، لابد وأن تؤسس لنفسها ثقافة سليمة تقوم على الاحترام وحماية الفرد وحثه على الجد والجدية والتعاون والمحبة والتسامح والحوار والتربية الحسنة، وتحضيرهم للمشاركة في القضايا الإنسانية الكبيرة في إطار ثقافة الحوار والتفاهم.[1]

احتفظت الأسرة بالدور الرئيسي في عملية التنشئة الاجتماعية، فقد امتازت بجملة من الخصائص عن بقية مؤسسات التنشئة الاجتماعية الأخرى، والقاعدة الأنسب التي تبدأ من خلالها عملية التنشئة الاجتماعية، الأمر الذي جعلها هي الأولى في تحمل مسؤولية تشريب النشء ثقافة الحوار وقبول الآخر دون إفراط أو تفريط، ولكي تستطيع الأسرة القيام بدورها المأمول، في إرساء ثقافة الحوار والتسامح بين أفرادها، فإن على الوالدين أولا التحلي بقيم التسامح والحوار، حتى يتمكنوا من تكوين وإخراج أطفال قادرين على استيعاب الآخر وتقبلهم.[2]

ومنه فإن الحوار داخل الأسرة، أصبح له أكثر من ضرورة، فهو سلوك وممارسة، وليس توجيهات تصدر عن سلطة عليا هي الأب أو الأم، فتعويد الأبناء على الحوار والمناقشة وتقبل الرأي الآخر، لم يعد قضية ترفيه، وإنما أصبحت ضرورة من ضرورات الحياة العصرية في عملية التنشئة والتعليم، وإن لم تستطيع الأسرة القيام بهذا الدور على أكمل وجه، فإن الحوار في المجتمع سوف يخنق في مهده.[3]

لذلك ونظرا لأهمية الأسرة في تعزيز الحوار لدى النشء، كانت هناك دراسات ذات أهمية ركزت على دور الأسرة المتمثلة في الآباء في غرس ثقافة الحوار في شخصية الأبناء وتعويدهم على روح الحوار منذ نشأتهم، لأن الأسرة هي المؤسسة الأولى التي يتعلم فيها الطفل كيف يتعامل مع الآخرين، يقول **الإمام الغزالي:**

" ... والصبي أمانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية من كل نقش وصورة، وهو قابل لكل ما نقش ومائل إلى كل ما يمال به إليه "، لقد بينت العديد من الدراسات أهمية الأسرة في ترسيخ ثقافة الحوار على غرار دراسة الباحثة الجزائرية/**كروش كريمة** المعنونة **(الحوار بين الأبناء والأبناء)**، توصلت الباحثة إلى نتيجة أساسية، هي أن الحوار بين الآباء والأبناء في غاية الأهمية، باعتبار الأسرة نقطة الانطلاق الأولي التي تعزز ثقة الفرد في التواصل مع الآخرين، فالأسرة تعمل على خلق جو من التفاعل والتحاور بين أفرادها، ولضمان حياة هادئة ومستقرة، لابد من وجود لغة الحوار والتواصل بين أفراد هذه الأسرة، لما لذلك من أهمية بالغة في حياة

---

[1] سعيدي محمد: **حوار الشعوب في ظل التعايش الديني والحضاري والثقافي**، مجلة الفكر المتوسطي، الصادرة عن مخبر حوار الحضارات والديانات في الحوض المتوسط، جامعة تلمسان، الجزائر، العدد 1، 2012، ص ص 24-26

[2] محمود محمد صالح الشامي: **مستوى ثقافة الحوار لدى الأسرة الفلسطينية في محافظة رفح (دراسة ميدانية على عينة من الآباء والأبناء)**، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة سطيف، الجزائر، العدد 19، ديسمبر 2014، ص ص182-183

[3] المرجع السابق، ص 183

أفرادها للتعبير عن أفكارهم وانشغالاتهم ومشاعرهم بكل حرية وصراحة، فالتربية السليمة، هي التي تعود الطفل على حرية التفكير وتعلمه أساليب النقد والمناقشة، واتخاذ القرارات بعقل واع وروح رياضية عالية، بدلا من تعلمه الخضوع والطاعة العمياء لآراء الآخرين دون نقاش، كما تعلم الطفل تحمل المسؤولية وممارسة الفكر التقدمي البناء عن طريق الحوار الموضوعي بعيدا عن أساليب التسلط والقسوة والعقاب.[1]

كذلك دراسة أخرى للباحثة/ **حورية بدرة** حول (**الحوار الأسري وعلاقته بالقيم الاجتماعية**)، حاولت الباحثة إبراز أهمية الحوار الأسري ودوره في تحقيق القيم عند الفرد الجزائري، كذلك توعية الأسرة بإيجابيات الحوار الأسري بالنسبة للفرد داخل هذه الأسرة وسلبياته في حالة غيابه، ومنه توصلت الباحثة إلى نتيجة أساسية مفادها، أن للحوار أهمية بالغة داخل الأسرة، ليس لأنه مطلب حضاري فقط، ولكن فهو مطلب شرعي حث عليه الدين الإسلامي، وهو صمام الأمان الذي يحمي العلاقات الأسرية ويحافظ على توازن شخصية أفرادها، ويهيئ الأجواء السلمية لغرس القيم المختلفة لدى الأفراد مما يساعدهم على مواجهة مختلف التحديات في المجتمع.[2]

وقد بينت نتائج دراسة للباحثة/ **حصة بنت عبد الرحمن الوايلي**، بعنوان **(الحوار الأسري التحديات والمعوقات، دراسة وصفية تحليلية)**، أن الأسرة العربية في الوقت الحالي بحاجة، إلى أساليب الحوار الهادف لحماية أفرادها وكيانها من التصدع والتشتت والانحرافات الفكرية والسلوكية والاضطرابات النفسية.[3]

نظرا لحجم المخاطر أو التهديدات التي تتعرض لها الأسرة العربية، فإنه لا بديل عن الحوار للحفاظ على الاستقرار الأسري والتصدي لهذه المخاطر، هذا من جهة، أما من جهة أخرى، فاعتماد الأسرة على الحوار كأسلوب تربوي له نتائج إيجابية على مستوى الأسرة من جهة، ونتائج مهمة تنعكس إيجابا على المجتمع ككل، لذلك على الأسرة العربية والجزائرية على الخصوص أن تنتبه لأهمية الحوار العائلي ودوره في نشر قيم الاجتماعية النبيلة.

2-2. المؤسسات التعليمية وثقافة الحوار: تعد المدرسة، بيئة تربوية وتعليمية واسعة تسهم في بناء الأفراد، كما تعمل التربية المدرسية على تزويد التلاميذ بخبرات المجتمع وأساليب الحياة الصالحة فيه، ومن الأساليب التربوية التي تستخدمها المدرسة للتعليم " **الحوار** "، فهو ينمي التفكير، ويقوي اللغة، فيشعر المتعلم بالراحة، والطمأنينة وتقوده إلى الإقناع والقبول، فتشبع المستمع أو المتلقي وهو التلميذ، الرغبة في المعرفة والاطلاع والكشف عن المجهول، ويعتبر الوسيلة الصادقة للكشف عما لدى الآخرين من آراء ومقترحات، تؤثر على الحراك والتغير الاجتماعي، إن طبيعة العملية التعليمية تتطلب حوارا بين المعلم وتلامذته وبين المدير والمعلم، فكل منهم يبدي بوجهة نظره اتجاه المواضيع التي تهم العملية التعليمية.[4]

---

[1] كروش كريمة، مرجع سبق ذكره، ص 147

[2] حورية بدرة، مرجع سبق ذكره، ص، ص 117، 127

[3] حصة بنت عبد الرحمن الوايلي: **الحوار الأسري التحديات والمعوقات (دراسة وصفية تحليلية)**، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 2010، ص 12

[4] ريم بنت خليف بن محمد الباني، مرجع سبق ذكره، ص ص10-12

المطلوب من المدرسة أو المنظومة التربوية ككل، أن تعمل على زرع وتأسيس وتدعيم ثقافة الحوار بين الأفراد وذلك بتبني برامج ومناهج تعليمية وتربوية نزيهة وشريفة هدفها تكوين رجال الغد قادرين على التفكير والتحليل والمساءلة وفق أسس معرفية وموضوعية خالية من الأيديولوجيات المزيفة والصراعات الإثنية الضيقة التي أصابت المنظومة التربوية والتعليمية، إن الشعوب المحبة للحوار وللسلم وللتعايش مطالبة بالتفكير الجدي والتكفل الصحيح والسليم بمنظوماتها التربوية، تكفلا علميا سليما يصونها ويصون أبناءها من الانحرافات التي قد تعصف بها وبكيانها الثقافي والاجتماعي والأخلاقي والإنساني، وحتى تساهم المدرسة في تأسيس وزرع ثقافة الحوار والاحترام واللذين يتجليان عبر محطتين إثنين:

– الحوار والاحترام بين الأقطاب المتفاعلة من حيث الفعل البيداغوجي، أي حوار المعلم مع زميله واحترامه، وحوار المعلم مع التلميذ واحترامه له، وحوار الإطار الإداري مع المعلم ومع التلميذ واحترامه لهما.

– الحوار والاحترام للآخر، باختيار برامج ومضامين تدريسية تحترم فيها وعبرها الشعوب الأخرى والابتعاد عن الرؤية العدائية والاحتكارية لها، وأن تغرس روح النقد والقدرة على التفكير والتحليل وفق أطر علمية نزيهة وشريفة، لا أن تجعل منه وعاء بيداغوجيا تكدس فيه معلومات وأفكار قد تكون خاطئة وخطيرة تسيء له ولثقافته الإنسانية الشاملة.[1]

وحسب أحد الباحثين، أن المؤسسات التعليمية، تمتلك من الآليات ما يمكنها من تفعيل ثقافة الحوار داخل الفضاءات التربوية، ويتم تفعيلها كالآتي:

- **الآلية الإدارية:**

- ✓ وظيفتها وضع المناهج الخاصة بثقافة الحوار وربطها بالمناهج الدراسية وأهدافها.
- ✓ وضع الاستراتيجيات والأهداف العليا لنشر ثقافة الحوار.
- ✓ عقد الدورات التدريبية لمعلمي مراحل التعليم المختلفة في أسس وأهداف ثقافة الحوار وكيفية ربطها بالمنهج الدراسي.
- ✓ توظيف وسائل الإعلام الحديثة في إنتاج برامج تصب في نشر ثقافة الحوار عن طريق برامج تلفزيونية وأقراص مدمجة وبرامج حاسوب.
- ✓ تفعيل النشاط التربوي اللاّصفي وتوظيفه في نشر ثقافة الحوار، عن طريق الرحلات والمسارح والرياضة والأنشطة الثقافية.
- ✓ تفعيل دور المكتبات في المدارس في توسيع مدارك الطلاب وزيادة المعرفة وتنمية روح البحث العلمي.

[1] سعيدي محمد، مرجع سبق ذكره، ص ص 26-28

دور المعلمين في نشر ثقافة الحوار: يحتل المعلم مكانة بارزة في الميدان التربوي لأنه هو الذي يباشر العملية التربوية وهو القدوة الحسنة أمام الطلاب، لأنه يقضي معهم وقتا طويلا وتقتضي عملية التعليم اختيار أساليب

التدريس المناسبة، من أجل توصيل المعلومات للطلاب وتعليمهم المهارات وإكسابهم اتجاهات إيجابية في الحياة.[1] ومنه نستنتج، أن للمؤسسات التربوية والتعليمية بكل أطوارها حتى المستوى الجامعي، دور فعال في إعادة البعد الحضاري للحوار من خلال الاعتماد على جملة الآليات التي تم ذكرها من قبل.

2-3. المؤسسات الدينية وثقافة الحوار: يمثل المسجد، أحد أهم المؤسسات الاجتماعية بالمجتمعات العربية في تعزيز ونشر ثقافة الحوار، فالمؤسسة المسجدية قادرة على بناء معتقدات الأفراد وصياغة توجهاتهم، نظرا لما تمثله هذه الأخيرة، من قدسية بالنفوس لدى المجتمعات العربية، فالدين بوصفه نظاما اجتماعيا، يعد من القوى الأصيلة في كل المجتمعات، لأنه يمارس سلطة اجتماعية لا غنى عنها، لما لها من فاعلية وأثر في ضبط سلوك الأفراد ومراقبة تصرفاتهم.[2]

تقوم المؤسسات الدينية بدور مهم في تأسيس ثقافة الحوار بين الناس، فالمؤكد أن الديانات السماوية التوحيدية جاءت، لتخرج الإنسان من الظلمات إلى النور وتحرره من كل أنواع الظلم والاستبداد والعبودية والشر، لم تكن في يوم من الأيام لتناقض بعضها البعض أو لتتصارع مع بعضها البعض، ولا يمكن الحديث عن التقارب إلا إذا استطاع المتدينون تجاوز الخلافات والاختلافات الإيديولوجية الدينية، التي لا تمت إلى هذه الديانات بأي صلة فهي من وحي وإبداع المتطرفين الذين انحرفوا عن الفعل الديني السليم واكسبوه قيما وأوصافا متطرفة تكفيرية، والتي تعتبر الآخر المختلف دينا وعقيدة عدوا وكافرا، لقد جاءت الديانات السماوية التوحيدية الثلاثة لتكرم الإنسان وتعززه، حيث تبنى الإسلام مبدأ الحوار وسيلة فعالة وإجرائية في دعوة الناس إلى الإيمان وفي توجيههم وتثقيفهم وتربيتهم وتعليمهم مبادئ دينهم، إن التفاعل الديني الصحيح والسليم بين الديانات التوحيدية قادر على حماية الذات البشرية من الشر بكل أنواعه وأشكاله، من تقاتل وتطاحن واعتداءات إرهابية، لقد حثت الديانات السماوية التوحيدية كلها على ضرورة احترام الإنسان لأخيه الإنسان وعلى ضرورة التعاون على البر والتقوى،ومن هذا المنطلق وجب على الأئمة والفقهاء ورجال الدين أن يصنعوا خطابا دينيا سلميا وسليما، يقوم أصلا وأساسا على الموعظة الحسنة والاحترام والمحبة والتفاهم والتعاون والأمن والاستقرار ونبذ العنف والتطرف والتعصب والإرهاب.[3]

---

[1] خيام محمد الزعبي: **ثقافة الحوار في مؤسساتنا التربوية**، الحوار المتمدن، العدد 4293، بتاريخ 02/ 12/ 2013، على الساعة: 09 سا و20 د، نقلا عن موقع: http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=389443

[2] يحي جبر، عبير حمد: **دور المؤسسات التعليمية والأهلية في نشر ثقافة الحوار**، جامعة النجاح، نابلس، فلسطين، نقلا عن الموقع الالكتروني:blogs.najah.edu/staff/yahya-jaber/article/article-49

[3] سعيدي محمد، مرجع سبق ذكره، ص ص 29-33

ويستدلون على ذلك بما جاء في الثقافة الإسلامية من دلائل واضحة، تبين أهمية الحوار مع الآخر والاعتراف بوجوده واحترام حَقِهِ، حَقَهُ ليس فقط في تبني رأي أو موقف أو اجتهاد مختلف فحسب، بل احترام حقه في الدفاع عن هذا الرأي، ثم من واجبه تحمل مسؤولية ما هو مقتنع به.

إلاّ أن الفهم الخاطئ للنصوص الدينية وبوجود الفكر المتطرف، أصبحت المجتمعات العربية تعيش حالة من الفوضى الفكرية والتفسير الخاطئ أحيانا، والمتعمد أحيانا أخرى لزرع الفتن بين أفراد الأمة التي تفرقت إلى عدد لا يحصى من الفرق التي اتخذت لنفسها مبادئ تدافع عنها بكل الطرق المشروعة وغير المشروعة، وما يعيشه العراق، لبيبا، سوريا، اليمن... من جرائم أقل ما يقال عنها أنها جرائم ضد الإنسانية باسم الدين والشريعة، الدين بريء من دم هؤلاء، وما تعرض له أقباط مصر يوم الجمعة 26 ماي 2017 من هجوم ترك على الأقل 29 قتيلا، لدليل على خطورة تفشي هذا الوباء الفتاك الذي سيدخل الأمة الإسلامية في حالة حرب تقضي على الأخضر واليابس، لذلك دعوة لعقلاء الأمة الإسلامية إلى توحيد الصفوف وتوحيد الرؤى من أجل التصدي للفكر المتطرف ونبذ التعصب بأشكاله المختلفة، وذلك بإعادة تنظيم وتفعيل دور المؤسسة الدينية.

2-4.وسائل الاتصال والإعلام وثقافة الحوار:

لا يمكن لأحد، أن ينكر دور وسائل الإعلام والاتصال في نشر وتدعيم ثقافة الحوار داخل الوطن الواحد وبين أبناءه أو بين الأوطان المختلفة، وقد تعد هذه الوسائل من أنجح وأقوى الوسائل المادية والمعنوية في التقارب بين الشعوب، وخاصة ما تعرفه اليوم من تطورات وثورات علمية وتكنولوجية هائلة، فلم تعد تحدها حدود مكانية أو زمانية، فالخبر أو المعلومة تسافر في زمن قياسي من شعب إلى شعب أخر، ومن هذا المنطلق فإن المنظومة الإعلامية مرشحة للتكفل بثقافة الحوار، مطالبة بأن تكون نزيهة وذات مصداقية وذات نزعة علمية وأخلاقية في نشر الخير والمعلومة دون الإساءة إلى الآخر ودون نشر الأكاذيب وما قد يشعل نار الفتنة سواء داخل الوطن الواحد وبين أبناءه أو بين الشعوب الأخرى، ودون إصدار أحكام خطيرة وخاطئة في حق هذه الشعوب وفي حق ثقافتها وفي حق سيادتها، التي يطلق عليها بالسلطة الرابعة، لما تملكه من إمكانيات مادية ومعنوية ما يؤهلها لأن تكون وسيلة قوية و فعالة في بناء ثقافة الحوار.[1]

ونظرا لما تمر به المنطقة العربية خاصة في السنوات الأخيرة، من تطور في ظاهرة العنف والتعصب، أصبحنا نفتقد لثقافة الحوار على مستوى مؤسساتنا باختلاف مجالات تخصصها، برزت أهمية الإعلام المعتدل في إعادة الاعتبار لثقافة الحوار لدى المجتمعات العربية، خاصة وأن الإعلام في حد ذاته والمتابع للحصص التلفزيونية أو صفحات الجرائد يلمس بوضوح تدني ثقافة الحوار بين أفراد هذه المؤسسة، وحتى بين الضيوف الذين تحضرهم بعض البرامج الحوارية، رغم امتلاكهم من الخبرة والمعرفة والشهادات العليا، إلاّ أن مستوى الحوار ، يصل أحيانا

[1] المرجع السابق، ص ص 35-36

إلى مستويات دنيا تستعمل فيه كل أساليب العنف اللفظي والرمزي وحتى الجسدي، لذلك يجب أن يلعب الإعلام الدور الريادي في ترسيخ مبادئ الحوار الناضج والهادئ، ويكون النموذج الأمثل من بين المؤسسات الاجتماعية في نشر وتعزيز ثقافة الحوار سواء كان حوارا فكريا، سياسيا، تربويا، اقتصاديا...، ونظرا لقوة التأثير التي يمارسها الإعلام في توجيه سلوك الأفراد، الذي يمثل السلطة الرابعة.

- ولكي يؤدي الإعلام دوره والمتمثل في إعادة البعد الحضاري لثقافة الحوار، لابد له من العمل على:
- أن يبتعد الإعلام عن خطابات الكراهية المفرطة.
- نشر الوعي بين الأفراد.
- الفهم الصحيح لمعنى الرأي والرأي الآخر، بمعنى أن يقدم الإعلام للناس كيف يحترم الرأي المخالف بعيدا عن التجريح والشتم الذي يعتبر ميزة أغلب الحوارات الإعلامية المنتشرة حاليا.
- ولكي يتفادى الإعلام مثل تلك المظاهر، لابد من انتقاء الضيوف الأكثر اتزانا وأكثر قدوة وقدرة على الحوار الفعال والهادئ.
- محاولة نشر روح التسامح بين البشر على اختلافهم، وذلك بالتعريف بثقافة الآخر ومميزاته وخصائصه، يعني إبراز الجوانب الإيجابية للآخر المختلف دينيا ولغويا وسياسيا وثقافيا، إذن فالتسامح يعني احترام التنوع الثقافي الذي تزخر به البشرية من شمالها إلى جنوبها ومن غربها إلى شرقها.

2-5.المنظمات الوطنية والدولية وثقافة الحوار: إن عددا من المنظمات والهيئات السياسية والثقافية والعلمية، تأسست أصلا وأساسا من أجل نشر وتدعيم ثقافة السلم والسلام في العالم والعمل، من أجل فض النزاعات والحروب القائمة هنا وهناك بين الدول ومساندة الشعوب في تقرير مصيرها والحصول على الاستقلال، كما ظلت تسعى جاهدة إلى دعوة الشعوب إلى التآخي والاحترام والتقارب والتعايش السلمي، لقد أحست هذه المنظمات، بأن الحوار والتحاور أصبح ضرورة ملحة في خضم هذا العالم الذي انتشر فيه الظلم والاستبداد والاستعباد وديكتاتوريات الأنظمة السياسية التي زرعت الرعب والعنف والإرهاب بين الشعوب.[1]

من منتجات العصر الحديث، ظهور منظمات دولية ووطنية، كان لها الدور الكبير في حل الكثير من القضايا الاجتماعية داخليا وخارجيا، استطاعت هذه المنظمات أن تكون بمثابة الناطق الرسمي والممثل لمشاكل فئات معينة، كمنظمات تعمل لتحسين ظروف ذوي الإعاقة، منظمات تدافع عن حقوق المرأة، حقوق الطفل، العمال...الخ، فهي الطرف الذي يعمل على التفاوض باسم الفئة التي يمثلها ويدافع عن حقوقها أمام الهيئات المعنية، وفعلا أصبحت نموذجا يجسد فكرة الحوار، كآلية لتحقيق المطالب، لذلك أصبحت من بين الآليات المجتمعية أو المصادر الرئيسية التي يستمد منها ثقافة الحوار.

[1] المرجع السابق، ص ص 36-37

وبما أن موضوعنا يرتكز حول الحوار الفكري بالجامعة، بالإضافة إلى كونها مؤسسة تعليمية بحثية، تضم تنظيمات طلابية مختلفة، تلعب الوسيط بين الطالب والإدارة الجامعية، يعبر فيها الطالب الجامعي عن احتياجاته، سواء كانت نفسية، اجتماعية، حاجات فيسيولوجية عضوية... الخ.

فالجامعة البيئة المثلى لممارسة الحوار، لأنها تضم خيرة أبناءها من أساتذة وإداريين وطلبة، ولعل من البديهي أن تكون هذه الفئات أحسن ممن يمارسون الحوار كأسلوب راقي للتعامل مع الغير، ويمارسون ثقافة الحوار في حل مشكلات الجامعة من جهة ومشكلات المجتمع من جهة أخرى، لذلك فتعزيز وترسيخ مبادئ الحوار ينطلق من المؤسسة الجامعية، لأنه سيعود بالفائدة على مختلف الأنساق الاجتماعية الأخرى، كذلك النقابة الوطنية للأساتذة الجامعيين: هي الأخرى بمثابة إحدى أهم الآليات التي توظفها الجامعة لتعزيز ثقافة الحوار، تركز النقابة الوطنية للأساتذة الجامعيين على مناقشة كل ما يتعلق بالأستاذ الجامعي: مشاكله، اهتماماته، طموحاته، إذن فهي من بين القنوات التي يمارس فيها ثقافة الحوار، لأنها هي كذلك بمثابة الوسيط الذي يعمل على إيصال صوت الأستاذ للسلطات سواء على مستوى المؤسسة الجامعية أو على مستوى أعلى كالوزارة، ومن هنا يتأكد أن للجمعيات والمنظمات والنقابات على مستوى الجامعة، دورا هاما في ترسيخ وتثبيت مبادئ الحوار كأسلوب حضاري لمناقشة مشاكل الجامعة، الغاية منها تحسين مستوى الأداء الجامعي، ونظرا لأهمية المجتمع المدني التي تزداد يوما بعد يوم، فهو بمثابة العين الساهرة والمراقبة والمصححة لمسار الحكومات لكي لا تتعدى أو تتجاهل حقوق الأقليات خاصة الفئات المحرومة، وفعلا استطاعت هذه المنظمات أن تكسب العديد من الرهانات، بإخضاع المجتمع الدولي لإصدار قوانين تجرم الدول في تعديها على حقوق الفئات الهشة من المجتمع، فهي إذن من بين المصادر الهامة التي يمكن أن تكون نموذجا للحوار الفعال والناجح.

3-مظاهر ثقافة الحوار لدى النخب العربية:

إن الثقافة، هي الإطار والمضمون الفكري الذي يحدد السمات الأساسية لأي مجتمع، وكأن السمة الأساسية التي تميز الحياة المعاصرة في كثير من مجتمعاتنا هي ثقافة التسلط، وهذا التسلط إنما يتمثل في الثقافة الأحادية المسيطرة على كل شيء من التربية إلى السياسة إلى الاقتصاد والآداب والفنون لتصل إلى اختيار الطالب مساره

الأكاديمي في المدرسة إلى اختيار تخصصه بالجامعة ومن ثم قبوله في الوظيفة التي يرى له أنها هي الأنسب لمستقبله.[1]

وفي هذا السياق نحاول أن نسلط الضوء على بعض من صور الصراع الفكري والإيديولوجي والديني الذي تميز به بعض من العلماء، والسبب حسب تقديرنا تفشي ظاهرة التعصب بكل أشكاله وأنواعه، التعصب الذي قاد هؤلاء إلى التطرف والانحراف عن مسار الحوار الفكري البناء.

من أهم القضايا التي شكلت حضورا خطيرا، إشكالية الخلاف بين العقل ورجال الدين، حيث بدأ الصراع في الإسلام في وقت مبكر، ففي العهد الأموي قام **واصل بن عطاء** بتأسيس ما يسمى فرقة المعتزلة، إذ اعتزل حديث جماعة من الفقهاء، رآهم لا يرحبون بحرية الفكر ولا يتقبلون أصالة رأي، وقد استمرت الفرقة وتعايشت مع تسامح **المأمون** وسعة أفقه، في عهد **المتوكل** ضاق بها وضيق على أربابها، وكان أكبر خصوم المعتزلة **أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري**، الذي بدأ معتزليا، ثم انقلب على المعتزلة، وشن حربا طاغية على حرية الفكر وحرية البحث، وتلاه **أبو حامد الغزالي، حجة الإسلام، محمد بن محمد الطوسي الشافعي**، ولا سيما في كتابيه (تهافت الفلاسفة، والمنقذ من الضلال)، فقيهان كبيران يهاجمان المعتزلة، وما يدعوا إليه المعتزلة إنما هو حرية الفكر، وهنا يطرح صاحب هذا المرجع **أحمد سليم سعيدان**، سؤالا: **لماذا هذا الهجوم؟**، ويرى أن هناك أمور يضعها الباحث الموضوعي في بؤرة النظر أولها: أن سبيل البحث الفلسفي كسبيل البحث العلمي، هي سبيل التجربة والخطأ، وأن حقائقها متطورة غير حتمية وغير مطلقة، وثانيها: أن الفلسفة ميدان صعب المسالك أكثر وعورة من ميدان العلم، ولكن مسائلها تجتذب القادر وغير القادر ويخوض فيها العارف وغير العارف، ومن ثم فاحتمال الخطأ فيها كبير.[2]

يقول **سليم سعيدان:** " يمكن التسليم، بأن المعتزلة، قد يكونون في نظر الفقهاء أخطئوا، ولكن الخطأ يصوَّب ويقوَّم، لا يحارب، وتقييد الحرية، حرية البحث وحرية الرأي جريمة أشد من الخطأ، التفاحة الفاسدة تؤخذ من السل وترمى، ولا يرمى سل التفاح، وهذا ما صنعه الفقهاء، لقد وجد **الإمام الغزالي** عند **ابن سيناء** الطبيب البارع، آراء فلسفية لم تعجبه فهاجم الفلسفة إطلاقا، ولم يتنبه إلى أن **ابن سيناء** في بحوثه الفلسفية يخوض في

---

[1] علي محمد جبران، وليد أحمد مساعدة: **ثقافة الحوار من منظور إسلامي وأهميته في حل المشكلات الطلابية في الجامعات**، عمادة البحث العلمي، جامعة آل البيت، الأردن، 2008، ص 16

[2] أحمد سليم سعيدان: **مقدمة لتاريخ الفكر العلمي في الإسلام**، عالم المعرفة، العدد 131، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1988، ص ص92-93

بحار يضيع فيها الاتجاه "، كل هذا جرى والعالم الإسلامي في ذروة إبداعه العلمي وإنتاجه الغزير، حيث صار الفقهاء يتنافسون على المناصب، يزاحمون العلماء، ويطعنون بعلمهم، ويكفرونهم بدعوى أنهم يخالفون النصوص الدينية، سبيل العقل والتفكير المنطقي صاروا يرمون إلى تحريمها، فرد عليهم العلماء والفلاسفة مثل رواية **حي بن يقضان** وضعاها على غير اتفاق سابق: **ابن سيناء** في المشرق، **وابن طفيل وابن رشد** في المغرب، تقول إن المرء بالعقل وحده دون رجال دين ودون فقهاء، وأن يكتشف بنفسه كل حقائق الدين، **والسهروردي** المقتول وضع رسالة من هذا القبيل قال: إن كل تاريخ العالم الإسلامي يمكن الاهتداء إليه بالعقل دون كتاب أو مخطوط أو نص محفوظ... ، وهذه كلها أصداء معركة ليس الخلاف فيها دينيا في الجوهر، وإن يكن يلبس لبوس الدين، وقد كانت المعركة في العالم الإسلامي، سجالا تنتصر فيه الحرية أو تنهزم حسب إرادة الحاكم الذي يجري التزاحم على أعتابه، وفي الشرق انحدر العقل فتقهقر الشرق، ولم تقم له قائمة، وفي الغرب انتصر العقل، فانتصر الغرب، وجاء الفكر المعاصر الذي ننشهده".[1]

ومن مظاهر أزمة ثقافة الحوار في جانبه الفكري، والمتمثل في أزمة الحوار في الفكر الإسلامي، ومثال ذلك، تداعيات صدور كتاب **(السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث)** للشيخ **محمد الغزالي**، حيث كشف هذا الكتاب عن أزمة حقيقية في الحوار الإسلامي والنقد الإسلامي، حيث دخل الكتاب في معارك فكرية ساخنة وحادة، بسب أنه جاء بأفكار جريئة ليست كسابقتها، أو ما تعودت عليه الساحة الفكرية، لأنه أعاد الاعتبار للعقل الإسلامي، حيث أراد أن يمارس حقه العلمي الاجتهادي المشروع في النقد الإسلامي، وعن تاريخية أزمة الحوار الإسلامي والتي تبين بشكل واضح أن غياب ثقافة الحوار، تضرب بجذورها إلى سابق الأزمان، وقد بلغ الانكسار ذروته بسقوط الدولة بأيدي التتار في القرن السابع الهجري، وحسب **الغزالي** فإن: " الانكسار ألقى بظله على ساحة العلم، فأصابها الفقر وسرى روح التقليد في الأمة، واقترن التقليد بضيق الصدور والعقول، فشاع التعصب، واختفى الحوار، واستبدل به الجدل والمناظرة، مما لم يكن هدفه توصل المتجادلين إلى الحق، ولكن نجاح كل منهما في تخطئة الآخر.."[2]

أخذ موضوع علاقة العلم بالدين قسطا وافرا من البحث من طرف العلماء العرب، والتي أفرزت مجموعة من الفرضيات، لعل أهمها: فرضية تطرح إمكانية التكامل بينهما، ويذهب الباحث **محمد شمص**، إلى توضيح أهمية التكامل بين العلم والدين والتي تفرضها قيمة المعرفة التي يقدمها كلا منهما للآخر، حيث يشكل كل واحد

---

[1] المرجع السابق، ص ص93-95

[2] عبد العزيز الخياط: **أسس الحوار الإسلامي – الإسلامي**، مجلة الكلمة، تصدر عن منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث، مؤسسة التاريخ للطباعة والنشر والتجارة، بيروت، لبنان، العدد 12، السنة الثالثة، صيف 1996، ص88

منهما للآخر قوة دافعة لتطوير الآخر، يعتقد كاتب غربي معاصر: " بعد ظهور الأدوات الحجرية، ترك لنا الإنسان الأول إلى جانب أدواته شواهد على وسطه الفكري، تشير إلى بوادر دينية لا لبس فيها، وتبين ظهور الدين إلى جانب التكنولوجيا كمؤشرين أساسيين على ابتداء الحضارة الإنسانية، وإلى يومنا هذا لا أرى في كل نواتج الحضارة الإنسانية، إلاّ استمرارا لهاتين الخصوصيتين الرئيسيتين للإنسان، إذن هناك تلازم وثيق بين الدين والعلم يشكلان معا حضارة الإنسان وتاريخه ومستقبله ".[1]

إذن أمام هذه الأهمية التي تشكلها علاقة الدين بالعلم في مجال إنتاج المعرفة بمختلف أنواعها، نطرح العديد من الأسئلة: **لماذا تطرح أو تفتعل إن صح التعبير قضية صراع الدين والعلم؟، لماذا يتصارع رجال الدين وهم الأقدر من غيرهم بمعرفة قواعد وشروط الحوار؟**، والسؤال نفسه يطرح على المفكرين والعلماء؟ **الم يكتشف العلم الحديث الكثير من الحقائق العلمية التي جاءت موثقة في القرآن الكريم؟** .... الخ، الأمثلة عديدة، تبرز بشكل جلي وواضح الغياب الشبه تام لثقافة الحوار على مستوى العقول المفكرة الذين يعتبرون نخبة الأمة ...الخ، النتيجة التي نتوصل إليها أن العلاقة بين الدين والعلم علاقة حوار دائم ومستمر لا علاقة مواجهة وصراع.

يتبين مما سبق، أن مظاهر الصراع بين الطرفين الذي وصل أشده لحد التكفير والقتل والنفي، وبهذا الشأن يشير/ **مصطفى طلال** في مقالته بعنوان (**ثقافة القمع هي السائدة و ثقافة الحوار هي الغائبة**)، أن ثقافة التسلط هذه تسربت إلى لغة الناس مع بعضهم البعض بالوطن العربي، وإلى طريقة تفكيرهم وحديثهم، وتمر هذه الثقافة عبر سلسلة ثقافية متكررة من القنوات الموجودة في الجسم الاجتماعي، والتي تسمى العلاقات الثقافية التسلطية، وأولى تجلياتها نجدها في العلاقة بين الرجل والمرأة، فالمرأة في كثير من المجتمعات، ليس لها حق أن تختار أو تناقش أو تحاور أو أن تفكر أو تحلل، فعليها أن تذعن لسلطة الرجل دون أي نقاش أو اعتراض، و بالتالي الجمود والشلل الذهني والتكيف مع ثقافة اللاّحوار التي أصبحت جزءا من حياتنا اليومية.[2]

بعد ذلك انتقلت ثقافة التسلط إلى مجال أوسع نسبيا لتشمل أفراد الأسرة من خلال علاقة الأب مع أبنائه، والتي تقوم أحيانا على التسلط الذي يحكم تلك العلاقة، وبالتالي يغرس الأب الخوف والطاعة في نفوس أبناءه ويحرم لغة الحوار فيما يتعلق بشؤون الأسرة ويتعرضون إلى قائمة لا تنتهي من الأوامر والنواهي باسم التربية

[1] محمد شمص: **العلم والدين صراع أم حوار (مقاربة فلسفية لإشكالية العلاقة بين العلم والدين)**، معهد المعارف الحكمية، بيروت، لبنان، ط1، 2006، ص ص101-104

[2] جبران علي محمد، وليد أحمد مساعدة، مرجع سبق ذكره، ص 16

الخلقية وباسم معرفة مصلحتهم دون أي نقاش، وهذا ما يؤدي بالضرورة إلى حالة من الشلل الفكري ويعطل القدرة على التفكير والتحليل والنقد وهي جميعا شروط رئيسية للارتقاء الفكري والاجتماعي.

وتمتد ثقافة التسلط لتنتقل إلى خارج الأسرة، وبالتحديد إلى المؤسسات التربوية والتعليمية لنجد جزءا من علاقة الأستاذ بالطالب علاقة تسلطية، فمهمة الطالب أن يحفظ عن ظهر قلب ما يقوله الأستاذ وعليه ترديد أقواله وأفكاره في الامتحان، حتى ينال النجاح، و بالتالي تتحول المؤسسات التعليمية إلى عملية تدجين ثقافي تفرض الحصار الفكري والثقافي على الطالب، كي يكون مجرد أداة مذعنة، ويتم تحت شعار غرس القيم الخلقية، قيم الاحترام والطاعة والنظام وحسن السيرة والسلوك، لا يسمح للطالب أن يعمل فكرة أو أن ينتقد أو يتخذ موقفا شخصيا، وبالتالي يقع ضحية ثقافة التسلط التربوية، بالتالي يمكن القول، أن أي نهوض بالمجتمع لا يمكن أن يتحقق إلا إذا أوجدنا ثقافة حوارية نقدية في الحقول المجتمعية كافة (الأسرة، المدرسة، الجامعة، المؤسسة الوظيفية، المؤسسات الدينية، النقابات، الأحزاب السياسية وغيرها من المؤسسات)، التي ترسخ حق الآخر بالاختلاف بغض النظر عن اتجاهه الاجتماعي والفكري والسياسي، ذلك لأن ثقافة الحوار هي الأساس لحل تلك الأزمات و المشكلات العديدة التي تعيشها مجتمعاتنا المعاصرة، إن ثقافة الحوار هي بمنزلة البوصلة التي ترشدنا إلى الاتجاه الصائب، الاتجاه الحواري النقدي الذي يرفض الإقصاء والتهميش مهما كان مصدره، و بالتالي إعادة الاعتبار الحقيقي لإنسانية الإنسان وإشراكه في صنع القرار الذي يخصه على كافة المستويات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.[1]

لقد بينت الكثير من الدراسات، أن ثقافة الحوار بالمجتمعات العربية، تكاد تنعدم حتى على مستوى النخب، ولعل أبرز مثال على ذلك، ما قدمه الباحث **عمر عنيق** حول ثقافة الحوار في الدراسات النقدية، والذي حاول إبراز طبيعة الحوار بين المثقفين العرب في فترة معينة.

لعل من أبرز ملامح الحراك النقدي، في الوطن العربي، وخاصة في المجال الأدبي، قبل مائة عام تقريبا، وصف بعض النقاد ذلك السجال أو الحوار بـ " **المعارك الأدبية** " التي كشفت عن التباين الثقافي والمنهجي بين الأدباء والنقاد، وتوزع الحوار النقدي في ذلك الوقت على مسارات عدة، مثل السجال بين **طه حسين والعقاد** حول صراع الثقافتين الفرنسية والانجليزية في مصر، الصراع بين **هيكل وطه حسين** حول التاريخ والأسطورة والجدال بين **رفيق العظم وطه حسين** حول طريقة كتابة التاريخ، وشهدت الصحافة الأدبية حوارا عرف بـ:" **أدب السندويتش** "، **بين الزيات والمازني والعقاد**، وهو مساجلة هادئة حول الأدب، ودار خلاف فكري بين **عبد**

[1] المرجع السابق، ص ص17

الرحمن الرافعي وعباس محمود العقاد حول كفاية التراث الشرقي لنضج الحياة العقلية عند الشرقيين، أخذ فيها **الرافعي** جانب قصور التراث الشرقي وضرورة الترجمة وأخذ العقاد جانب كفاية التراث الشرقي. [1]

وعندما أصدر **عزيز أباظة** ديوانه " **أنات حائرة** "، كتب **طه حسين** مقدمة الديوان، فنشر **المازني** مقالا في جريدة البلاغ هاجم فيه هذه المقدمة قائلا: " إن الدكتور **طه حسين** قد خسره الأدب، ولم تربحه الحكومة "، وقد أثارت هذه المقدمة ثائرة **طه حسين**، الذي وجه خطابا إلى رئيس تحرير البلاغ ضمنه نوعا من الهجاء اصطنع فيه اسلوب الرمز والإيماء مؤكدا بأنه لا يتحدث إلى القارئ بقدر ما يتحدث إلى **المازني** نفسه، وكتب **أحمد أمين**، مجموعة مقالات في مجلة الثقافة تحت عنوان **(جناية الأدب الجاهلي على الأدب العربي)** سنة **1939**، وقد واجهت مقالاته ردا عنيفا من **زكي مبارك** الذي كتب سلسلة مقالات بعنوان(**جناية أحمد أمين على الأدب العربي**)، وقد استمر هذا السجال بين الكاتبين لمدة ستة أشهر على صفحات مجلة الرسالة، وهناك العديد من مظاهر الحوار الفكري الأدبي، والتي كانت تتميز بنوع من الصراع أحيانا بين الكتاب والنقاد ، وهذا إن دل إنما يدل على التعصب الذي يتميز به بعضهم، وما يبن على وجود التعصب، قوة الرد اللاّدع الموجهة لبعضهم البعض.[2]

وأبرز تجليات ثقافة الحوار بين النقاد، الحوار الموضوعي، الذي أخذ جانبين الإيجابي والسلبي:

فعن الحوار الموضوعي الإيجابي، مواقف **جورج طرابيشي** من الخطاب الفكري **للجابري**، عارض **فيها** خطاب **الجابري** في غير دراسة، وخاصة في كتابه **(نقد نقد العقل العربي)**، الذي ذهب فيه أن **الجابري** فرض منهجه على القراء وأن مكمن الخطورة والقوة معا في خطاب **الجابري**، أنه يعرض نفسه أو يفرضها بالأحرى على متلقيه من خلال شبكة من الإشكاليات، والحال أن كل نقد يكتفي بمناقشة نتائج الإشكاليات يبقى أسيرا لها.

وفي موضع آخر يسجل **الطرابيشي** تقديره لجهود **الجابري** في قوله: " بعد أشهر من صدور كتاب " تكوين العقل العربي "، كتبت في العدد الأول من مجلة الوحدة، تعليقا مطولا ثمنت فيه الكتاب تثمينا عاليا، باعتباره أطروحة عن " العقل وفي سبيل العقل".[3]

ومن جهة أخرى يتهم **الطرابيشي** شواهد **الجابري** بالتحريف والتزييف كما يتجلى في قوله: " ثم اندفعت أتحرى عن شواهد **الجابري** والتحقق منها واحدا واحدا، سواء أكانت عربية أم أجنبية، فانفتح عندئذ أمامي باب أكبر للذهول:فليس بين مئات شواهد الجابري في تكوين العقل العربي، سواء قلة قليلة ما أصابها تحريف أو تزييف أو توظيف بعكس منطوقها " ، وفي موضع آخر يشيد **طرابيشي** بعلم المعرفة في خطاب الجابري، حيث يقول: " أن ما صنع مجد **الجابري** من وجهة النظر المعرفية، ليس من طبيعة سوسيولوجية أو سيكولوجية، بل

---

[1] عمر عتيق: **ثقافة الحوار في الدراسات النقدية**، مجلة الجزيرة للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة الجزيرة، السودان، المجلد 13، العدد 1، 2016، ص7

[2] المرجع السابق، ص 8

[3] المرجع السابق، ص 9

من طبيعة ابستيمولوجية، وما يميز الجابري عن من تقدمه من الذين كتبوا عن العقل العربي هو قوة تأسيسه النظري أو الابستيمولوجي، كما يؤثر أن يقول لهذا العقل، ورفعه إياه من مستوى اللفظ أو المعنى، إلى مستوى المفهوم، يقر **الطرابيشي**، بأهمية ما قدمه **الجابري**، لكنه يرى أنه :" لا يمكننا الوقوف عنده، فعند النظر للحضارة الغربية، نجد أن الحداثة الغربية لم تتوقف عند أي من أعلامها الكبار مثل: **فولتير**، و**مونتسكيو** و**ديكارت**، بل عملت دائما على تجاوزهم، لذلك لا يمكن أن يكون **الجابري** سوى نقلة من النقلات المعرفية التي يجب تجاوزها إلى ما هو أبعد "، إن ثقافة الحوار في المشهد النقدي بحاجة ماسة إلى طبيعة هذا النقد الموضوعي الذي يتسم بالشفافية والصراحة والوضوح، وبسجل المآخذ المنهجية ويشيد بالرؤى الفكرية المستنيرة، والابتعاد عن المواقف الضبابية والرمادية، ويتجاوز المواقف الشخصية.[1]

ينزاح الحوار الموضوعي عن قواعده وآدابه، ومن بين تجليات هذا الانزياح، عندما يبدأ النقد بالمدح والإطراء ثم يتحول إلى تعداد المآخذ ورصد العيوب، وقد يأخذ الحوار مسارا أحاديا، بمعنى حوار من طرف واحد، حيث يفضي الحوار الأحادي إلى تعدد الرؤى النقدية للقراء الذين ينقسمون بين مؤيد ومعارض، ويحقق هذا الانقسام في المواقف النقدية ثراء فكريا للعمل المنقود، ويوسع الفضاء الثقافي للقضايا المختلف عليها، ولكن امتناع الطرف الثاني عن الرد يحرم الخطاب النقدي من الامتداد الثقافي للقضايا المختلف عليها، ولكن امتناع الطرف الثاني عن الرد يحرم الخطاب النقدي من الامتداد الأفقي والرأسي بين الطرفين.[2]

أمضى **جورج الطرابيشي** ربع قرن في مراجعة مؤلفات **محمد عابد الجابري** ونقدها، وعلى الرغم من اهتمام الصحافة الأدبية بنشر موقف **الطرابيشي** ونقده لمؤلفات **الجابري**، إلاّ أن الحوار بقي أحاديا بسبب امتناع **الجابري** عن الرد لذلك يصف **الطرابيشي** حواره مع **الجابري** بأنه (**حوار بلا حوار**)، فغياب الحوار النقدي بينهما أضاع فرصة إثراء المشهد الفكري العربي وبخاصة الخطاب المتعلق ببنية العقل العربي، لأن نقد النقد يفتح آفاقا تأملية ومعرفية لا تتوافر في الحوار الأحادي، ويبقى السؤال عن سبب امتناع **الجابري** عن الرد على **الطرابيشي** قائما، وتبقى الإجابة المفتوحة للتوقع والتكهن، لكن لا وجود لإجابة محددة وقاطعة على الرغم من أن بعض الباحثين زعم أن امتناع **الجابري** عن الرد يعود إلى الغرور والاستعلاء.[3]

اتسمت مواقف بعض الشعراء والروائيين من النقاد بالتذمر حينا والسخط أحيانا، فقد عبر الشاعر راشد حسين**1958** عن غضبه في قوله:" إن مصيبة شعرائنا، أنهم لا يجدون ناقدا واحدا يعرف أصول النقد وكل من يدعون النقد، إنما ينظرون إلى القصائد من خلال نظرات حزبية، والصحافة تخشى نشر النقد الصحيح الجريء، وإن وجد فتمسخه مسخا لئلا تغضب الشاعر، أو لأن خطابها السياسي لا يتفق مع أفكار الناقد"، ويجتهد بعضهم في تعليل التذمر من النقاد، وشيوع عبارة **(لا يوجد نقد)**، التي يطلقها بعض الشعراء بين الحين والآخر،

---

[1] المرجع السابق، ص ص9-10

[2] المرجع السابق، ص 22

[3] المرجع السابق، ص 23

لا تعني إلاّ أمرا واحدا وهو أن النقد لم يحتف بتلك التجربة كما يحب صاحبها، وكما يريد من النقد أن يتحول إلى جناحين تصفقان طربا وحبا لهذا النشيد غير المسبوق الصادح من تلك الحنجرة الشعرية فريدة عصرها، وفي مثال عن تذمر المبدعين من النقاد، نشر **عادل الأسطة** مقالة نقدية حول رواية **(القدس مدينة الله)** للروائي **حسن حميد** استهلها بقوله: " ما الذي يدفع كاتبا روائيا لكتابة رواية عن مكان لا يعرفه؟...، لما لا يكتب **حسن حميد** عن واقع الفلسطينيين في الشام؟ لماذا لا يكتب عن مكان يعرفه وزمان يبدو شاهدا عليه، اللاّفت للنظر أن رد الروائي **حسن حميد** بدا هادئا ومجاملا وشاكرا في قوله: " إنني سررت بكتابة أخي الناقد الفلسطيني الدكتور **عادل الأسطة**، فأنا متابع لكتاباته ونشاطه النقدي، وقد قرأت كتبه النقدية "، ثم يتحول ذلك الهدوء إلى هجوم على منهجية **الأسطة** في الكتابة في قوله : " رأيت في كتابة أخي **عادل الأسطة** ما لا أحبه، وما لا يحبه أي كائن مشغول بالوطنية والإبداع، ذلك لأن كتاباته إخبارية، وأنا لا أحب الناقد المخبر، أنا مفتون بالناقد الذي يذهب إلى الأسئلة المعرفية، أي من يذهب إلى الأعماق "، ويحرص الروائي حسن **حميد** على الجمع بين عبارات المجاملة والنقد اللاّدع، نحو قوله: " والمشكلة في كتابة أخي **د. عادل الأسطه**، هي ليست في توليفة الإخبار فقط، وإنما هي في أن هذه الأخبار مغلوطة كليا، وهي تقوم على أسئلة افتراضية تستوجب قولات افتراضية أيضا". ويعود **حميد** للإجابة عن سؤال **الأسطة** بقوله: " هذا السؤال يوجه للإسرائيلي الذي يكتب عن القدس ولا يوجه لحسن حميد الكاتب الفلسطيني الذي عاش أهله أزمانا طوالا في القدس؟[1]

ومن أشهر الحوارات الفكرية التي دارت بين قامتين فكريتين بارزتين على المستوى العربي وحتى العالمي، بين **حسن حنفي** من مصر **ومحمد عابد الجابري** من المغرب، وهذا الحوار نشر في كتاب بعنوان **(حوار المشرق والمغرب، نحو بناء الفكر القومي العربي)**، والذي نشر على صفحات مجلة اليوم السابع الباريسية، وقد أثار هذا الحوار ردود فعل واسعة في الأوساط الفكرية والسياسية العربية إلى حد سمي بـ: " **حوار الثمانينات** "، وقد شارك فيه نخبة من الأساتذة والمفكرين، تناولا المتحاوران مجموعة من المواضيع الشائكة التي كانت ولازالت تشغل المفكرين عالميا وعربيا وأهم هذه القضايا:

- في معنى الحوار ومقاصده: يقول **حسن حنفي:** " بعيدا عن منطق الفرقة الناجية، يستهل خطابه : " عزيزي **محمد**، لقد آن الأوان لجيلنا أن يتجاوز أحادية الطرف، والتفكير والتخوين المتبادلين، ففي الفكر والوطن متسع للجميع، وأن أشد ما أضرنا هو حديث (الفرقة الناجية) المشكوك في صحته عند **ابن حزم الأندلسي**، يعتبر **حسن حنفي** الحوار الفكري مقدمة للحوار السياسي والحوار بين المفكرين يمهد الطريق للحوار بين القادة والزعماء، فالفكر يسبق الفعل، والتصور يأتي قبل الممارسة، هذه ليست مثالية تعطي الأولوية للفكر على الواقع، بل إنها عين الواقعية في المجتمعات التراثية التي مازال فكرها بديلا عن واقعها وماضيها ممتد فوق حاضرها،

[1] المرجع السابق، ص ص23-25

فالحوار لا يبغي التعددية ولا يبغي أحادية النظرة، فالفكر متعدد الاتجاهات ومتباين المداخل، تعدد الأطر النظرية طبقا للاتجاهات الفكرية الأربعة، ومع ذلك يمكن الاتفاق على برنامج عمل وطني موحد [1]

لقد دأب بعض المفكرين العرب على إعطاء الأولوية للنظر على العمل، بدعوى التأصيل المعرفي أولا، إلاّ أن هذا ليس مجديا في نظر **حسن حنفي**، فنظريات المعرفة في الغرب متجددة، مرة ابتداء من العلوم الطبيعية، ومرة ثانية ابتداء من العلوم الرياضية، ومرة ثالثة ابتداء العلوم اللسانية، ظل الفكر العربي لاهثا وراء هذا الإيقاع السريع، فلا هو أصَّل معرفته ولا هو أدرك واقعه، لذلك قال الأصوليون القدماء: " إن كل مسألة نظرية لا ينتج عنها أثر عملي يكون وضعها في العلم زائدا، يعتبر ترفا عقليا لا نستطيع دفع ثمنه "، وحسب رأي حسن حنفي، أنه حتى يكون الحوار متجها نحو الواقع مباشرة وليس حول النظرية، فإن الوضع العربي الراهن يواجه بتحديات رئيسية سبعة كما حددها حسن حنفي، والتي رتبها حسب الأهمية على النحو الآتي: " تحرير الأرض، الحريات العامة، العدالة الاجتماعية، الوحدة في مقابل التجزئة، الهوية في مقابل التغريب، التقدم في مواجهة التخلف، تجنيد الجماهير ضد اللاّمبالاة "، هذه المحاور الرئيسية للحوار بين المثقفين وهي تكون بمثابة برنامج عمل وطني موحد للقادة السياسيين، وعلى هذا النحو يجتمع المثقفون والقادة على موضوعات واحدة، يبدأ المثقفون الحوار وعيونهم على الوطن، وقد يبدأ القادة الحوار وآذانهم للثقافة.[2]

أما **محمد عابد الجابري**، فقد رحب بفكرة الحوار مع الأستاذ/**حسن حنفي**، وقد أبدى إعجابه بفكرة حسن حنفي عندما بدأ الحوار بالدعوة الى التخلي عن منطق الفرقة الناجية، حاول الجابري أن يبن فكرته حول أن المشرق يجهل الكثير عن المغرب، والعكس صحيح، ويستدل بذلك حول سؤال طرح عليه وهو يدرس بالشام : هل عندكم ماء؟ ، استغرب **الجابري** لهذا السؤال، بعدها فهم أن من العرب الذين يدرسون بدمشق، يعيشون في الصحراء أين الماء قليل، فأدرك الجابري أن صورة المغرب في وعي أهل المشرق منتزعة من صورة بعض مظاهر الواقع في المشرق نفسه، وأن الحكم الضمني الذي صدر عنه ذلك السؤال حكم مبني على القياس.[3]

إذن الفكرة التي يريد أن يوصلها **الجابري**، يطرحها انطلاقا من السؤال التالي: **كيف يمكن أن يتحدث المغربي على المشرق وهو يجهله والعكس كذلك؟**،أراد **الجابري** توضيح فكرة الفرقة الناجية، وحسب الحديث النبوي: " **ستتفرق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار، إلاّ واحدة، قيل ومن هي يا رسول الله، قال:**

---

[1] حسن حنفي، محمد عابد الجابري: **حوار المشرق والمغرب (نحو إعادة بناء الفكر القومي العربي)**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت لبنان، ط1، 1990، ص ص7-10

[2] المرجع السابق، ص ص10-14

[3] المرجع السابق، ص ص15- 17

ما أنا عليه وأصحابي " ، حديث كان موضوع نقاش بين علماء الأندلس والمغرب، لأنهم رؤوا في توظيف المشارقة له مالا ينسجم مع العقل ولا مع الشرع، وبما أن الحديث مروي بسند صحيح فقد قبلوه وفي الوقت نفسه اجتهدوا في أن يفهموه فهما عقلانيا، إذن هذا الحديث والاختلاف والتشكيك في صحته من قبل ابن حزم وعلماء المغرب على غرار ما قام به المشارقة ، فذهبوا إلى تعداد الإثنين وسبعين فرقة (الضالة)، وتعيين الفرقة الناجية الواحدة ، فهذا حسب رأي **الجابري** فيه تهكم وتعسف لا يقبله العقل ولا الشرع، يستبعد **الجابري**، أن يكون هذا الحديث معناه الفصل بين المشرق والمغرب، بل بالعكس أن معناه وغايته هو ربط ثمرات الثقافة العربية الإسلامية بعضها ببعض.[1]

وبعد حلقات من النقاش والحوار حول مواضيع مهمة شائكة ومتشابكة، أراد الرجلان أن يقفا وقفة لمراجعة الذات، مراجعة لطبيعة الحوار الذي ساد بينهما، فيتساءل **حسن حنفي: لماذا كان حوارنا باردا؟، يقول لماذا اتفقنا أكثر مما اختلفنا؟ ونحن في العالم العربي تعودنا على أن يكون الخلاف أكثر من الاتفاق؟ إن كان هناك اتفاق أصلا ؟، لماذا تجاورنا أكثر مما تصادمنا؟، لماذا أعطى كل منا ظهره للآخر، أحيانا بدلا من أن يواجه كل منا الآخر؟، ونحن لا تعوزنا المواجهة ؟، هل نحن كنا في غاية التحضر؟ نعطي جيلنا نموذجا فريدا لأدبيات الحوار؟ هل لأن كل منا يقدر الآخر حق قدره مما جعلنا أشبه بنجمين ساطعين يهديان الناس في ظلمة الليل؟**[2]

يقول **حسن حنفي:** " إن حوارنا على وشك الانتهاء، لذلك أردت هذه المرة أن ننتقد أنفسنا ذاتيا حتى نستطيع أن نستدرك ما فات كما هي عادة الفلاسفة في الاستدراكات، إني ألاحظ أن الحوار قد تم في حلقاتنا السبع الأخيرة بثلاث طرق: طرق إدارة الظهر، طرق المجاورة وطريق الحديث العابر...أما طريق إدارة الظهر، فقد بدا في حلقتنا الأولى، حول أهداف الحوار ومقاصده، فقد حددت قضايا أساسية التي من الممكن أن يتم الحوار فيها وهي القضايا السبع طبقا لأولوياتنا في وعينا القومي، لكنك أدرت ظهرك تماما، وأثرت الدخول في موضوع آخر، صورة المشرق لدى المغربي وصورة المغرب لدى المشرقي بناء على تجربتك الخاصة بدمشق ".[3]

يعيب **الجابري** على **حسن حنفي**، قراءته السطحية لكتاباته حول المواضيع المطروحة للنقاش، وفي رده على المسائل التي تمت مناقشتها، واتهم **حسن حنفي الجابري**، بأنه تعامل معها مرة بإدارة الظهر ومرة بالمجاورة ومرة أخرى عن طريق الحديث العابر، بدا الحوار بين **الرجلين** هادئا، ولكن بموقف **حسن حنفي** والوقفة التي أرادها

---

[1] المرجع السابق، ص ص17-22

[2] المرجع السابق، ص 94

[3] المرجع السابق، ص 95

أن تكون وقفة لتقييم الذات، وتقييم الآخر في نفس الوقت، أخذ الرجل يوجه مجموعة اتهامات **للجابري**، حول طريقة تعامله مع القضايا المطروحة، وفي رد **الجابري** عن كل هذه الاتهامات، حاول أن يبين موقفه من القضايا، فوجه نقدا شديد اللهجة **لحسن حنفي**، بأن قراءته كانت سطحية فيما يخص موضوع الحلقة الأولى التي كان موضوعها (الحوار ومقاصده)، فيجيب **الجابري**: " لقد قلت لك في تعقيبي، أنا لا أختلف معك حول الموضوعات التي حددتها، بل أراها جديرة بالحوار، لكنني خالفتك فيما ذهبت إليه من إلغاء الفروق بين المشرق والمغرب، وكيف يمكن أن نتجاهل تلك الفروق حتى ولو كانت بسيطة طفيفة، ما دمنا قبلنا الدخول في حوار تتحدث فيه أنت باسم المشرق، بينما أتحدث أنا باسم المغرب، فإن قبولنا لهذه المهمة يفرض علينا الانطلاق من الإقرار أو الاعتقاد بوجود فروق على هذه الدرجة أو تلك من الأهمية، بين المشرق والمغرب، وقد حاولت من جهتي إبراز بعض تلك الفروق من خلال علامات سيميائية، انثروبولوجية: كالكسكس والحلوى وهل عندكم ماء؟ وقصة الصاحب **بن عباد** مع (العقد الفريد)، وقصة الخليفة الأندلسي مع كتاب الأغاني ...".[1]

تساءل **حسن حنفي: لماذا غلب على نقاشنا النماذج الثلاث ؟، هل لأننا مختلفان تماما؟، وظل كل منا يتحسس موقف الآخر ويتجنب المواجهة؟**، ليتنا كنا متفقين من جهة ومختلفين من جهة أخرى، حتى نعرف فيم نتفق وفيما نختلف "، فكان رد **الجابري** هادئا على أسئلة **حسن حنفي**، فيجيبه: " حوارنا كان هادئا في الشكل وقويا في المضمون "، هو يعترف: " حقا لقد كان حوارنا هادئا على مستوى الشكل والعبارة، وهذا شيء إيجابي ولكنه لم يكن أبدا هزيلا ولا باردا على مستوى المضمون ".[2]

ويستدل **الجابري** على أن الحوار كان مجديا وناجحا بعرضه لأهم الردود الإيجابية ومنها الرسالة التي تلقاها، من كاتبة مصرية مشهورة كناقدة متميزة، ويستدل **الجابري** بنص الرسالة التي أرسلتها الناقدة المصرية: " أعجبت كثيرا بالمحاورة، وهل أقول المناورة، بينك وبين **حسن حنفي**، وإليك ملاحظاتي التي أكتبها فور الانتهاء من القراءة بغير مراجعة...، الحوار كان ممتعا وشيقا إلى أقصى درجة، يغري بمتابعة المبارزة الحوارية بشغف، وأتمنى أن ينتهي بفوز العقل العربي بشقيه بغير خسائر محلية (شوفينية) تماما، كما يعمل عقل الإنسان السليم برغم صفاته التشريحية بقدرات في الجزء الأيمن لا تنفصل عن قدرات الجزء الأيسر، فهو في النهاية كل لا يتجزأ، تحياتي وتمنياتي... ".[3]

---

[1] المرجع السابق، ص 103

[2] المرجع السابق ص، ص94، 100

[3] المرجع السابق، ص 104

يواصل **الجابري** الرد: " لقد كان حوارنا ناجحا، وفي تقديري وتقدير آخرين كثيرين، لم يكن باردا، بل كان حارا وفي نفس الوقت هادئا، وإذا كان بعض القراء لم يتجاوزوا بعد مرحلة المعارك الأدبية القديمة التي عرفتها مصر أيام زمان، أيام **العقاد وطه حسين وعثمان أمين وزكي نجيب محمود** ... الخ، فإن قراء آخرين في مصر وخارج مصر أصبحوا يفهمون من الحوار والنقد غير ذلك، إنهم يقرؤون قراءة تأويل واجتهاد تساهم في إنتاج المعنى ولا يقرؤون من أجل الفرجة والاستمتاع بطريقة مشاهدة مباراة في الملاكمة أو في كرة القدم، يجب أن يكون الهدف من الحوار والنقاش بناء الرأي وليس مجرد اختلاف في الرأي وأعتقد أننا سلكنا السبيل التي كان ينبغي أن نسلكه ".[1]

وبعد هذا الحوار الذي شمل موضوعات فكرية مختلفة تهم الشأن العربي، ورغم اتفاق الرجلان أحيانا واختلافهما أحيانا أخرى، لكن تلقى المتحاوران ردود مختلفة من القراء، فيقول **حسن حنفي:** " لقد قصدنا الحوار فعوقبنا بالتجريح وتصيد الأخطاء، يقول **حسن حنفي،** بقدر ما سعدت بالحوار مع أخ وزميل، حاولنا إعطاء نموذج جديد من الحوار، بقدر ما هالني حق الرد إلى واقعنا العربي الأليم، يبدو أننا مازلنا طائفيين، نستعمل أسلوب التخوين والتكفير، يزايد بعضنا على بعض في أمور تستحق توحيد الجهود والتبصر بالأمور، ومن أجل الوصول إلى الحد الأدنى من الاتفاق الذي فقدناه والمطالبة بالحد الأقصى الذي أصبح ستارا يخفي العجز والقصور، يقول : مازلنا قبليين متحزبين... أخذ كل محاور في حق الرد جزءا وترك الكل، تعرض لما يستهويه وترك ما يهم الناس، أثبت ذاته ونسي موضوعنا، قرأ الحوار كي ينشئ خطابا ثالثا، لم يقصده المتحاوران الأساسيان، وكانت النية تصيد الأخطاء، وإيقاع المتحاورين في التناقض، وإثبات جهلهما وخيانتهما وتفكيرهما ولعنهما أمام الناس، نقص التسامح، غابت الطيبة، لماذا التجريح والشق على قلوب الناس؟ أليس من قال لأخيه أنت كافر في الدين أو خائن القضية أو عميل لسلطة باء بها؟ ".[2]

وقد حاول الرد ، حيث كشف عن حد اللباقة، حيث وصفه أحد المتحاورين: " بأنه المناظر المفترض، وبما أنه يحمل ثقافة الفتنة، وأنه مفكر التسوية، وبأنه يدعو إلى التحريض الطائفي "، يرى **حسن حنفي،** إن في ذلك الكثير من الإسقاطات من الذات على الآخر ومن الداخل إلى الخارج، ولماذا الاتهام بالاضطراب عن التفكير مع كل هذا العناء، وقد اتهم المفكر بأنه خادم الدولة، وأن الحوار بين المفكرين مقدمة لحوار الساسة، يتمنى

[1] المرجع السابق ص 105

[2] المرجع السابق، ص ص129-130

حسن حنفي أن يقوم المفكرون بهذه المهمة حتى لا يتقاتل الفرقاء ويكفر الساسة بعضهم بعضا، فتكون دولة فكر وليست دولة شرطة وأمن. [1]

فلم يسلم **الجابري** هو الآخر من الانتقادات، وقد حاول الرد عليها بمقال عنونه **(حول ما قيل عن تعصبي للمغرب)**، أولا هو يشكر المجلة بمنحها لحق الرد، لأن الإنسان العربي ومن المهد إلى اللحد يحرم من حق الرد، فالطفل عندما يحتج يبكي وإذا بكى تسكته أمه بوضع ثديها في فمه، أما إذا كبر ودخل المدرسة، فإن عليه أن يتلقى وإذا سئل وأجاب خطأ، هزئ أو على الأقل صرف عنه النظر، وإذا سئل بمبادرة منه قمع قمعا وإذا عاد إلى البيت منع من حق الرد من والديه أو إخوته الكبار، وإذا دخل الجامعة وجد من الأساتذة من يتسع صدره للأسئلة فعليه أن يتلقى الجواب ولا يرد، وإذا سئل وأجاب فعليه أن يسمع الملاحظات ويقبل الحكم وليس من حقه أن يرد، أما إذا أوقفه الشرطي في الشارع، فعليه أن يسمع و يعترف بكل ما ينسبه إليه هذا الأخير ولا يرد، أما إذا كان برلمانيا، فعليه أن يمجد الحكومة بالتمجيد والتنويه ... الخ، إذن حق الرد من الحقوق التي يجب أن نطالب بها ونناضل من أجلها، فإذا كان الكثير منا يشتكي غياب الحوار في الساحة العربية، السياسية، الثقافية، فذلك مجرد مظهر من مظاهر مصادرة حق الرد في حياتنا بمختلف جوانبها.[2]

يرفض **الجابري** التعقيب على من كان لهم انتقادات حول الحوار الذي جرى بينه وبين زميله **حسن حنفي**، ولكن تم إقناعه بذلك، فيعقب قائلا: " ما قرأته مما كتب عن الحوار، سواء على صفحات هذه المجلة أو في مجلات وجرائد أخرى، كان إيجابيا كله، سواء كان منه تأييدا أو تحفظا أو اعتراضا أو معارضة، فممن أسعدني الحظ بالاطلاع على ما كتبوا، قد فعلوا ذلك بروح المساهمة الجدية في الحوار، فلم يكن هناك مدح ولا هجاء ولا كلام من النوع الذي يسود المعارك الأدبية، كانت الردود امتداد لروح الحوار، هادئة مثله، بناءة في الجملة، إذن أنا أوافق من خالفني أو اختلف معي، لأنه بدون خلافه واختلافه، يصبح رأيي عدما، إن الرأي لا يعيش إلاّ إذا كان هناك رأي آخر يخالفه، أما إذا قال الجميع آمين، فتلك علامة من علامات انتهاء الدعاء على الميت. ما لم يحبذه ولم يوافق عليه **الجابري بقوله:** " وهو ما يقوله من يرد على ما لم أقل، أو على ما قلته في معنى وفهمه هو في معنى آخر"، وهذا ما ألم **الجابري** سوء فهم كتاباته وإعطائها تأويلات غير صحيحة، حتى أنه في إحدى الردود اتهم بالتعصب للمغرب، ولكن كان له ردا مقنعا.[3]

---

[1] المرجع السابق، ص ص132- 134

[2] المرجع السابق ص ص134-140

[3] المرجع السابق، ص140-143

يضيف **الجابري**، أن ما اكتشفته من خلال حق الرد، أننا في الوطن العربي في حاجة ماسة ليس فقط إلى حوار المغرب والمشرق، بل أيضا إلى حوار الشمال والجنوب، حوار السودان والبيضان، حوار قحطان وعدنان، حوار المغرب والجزائر، الشام والعراق حوار ربيعة ومضر، بل نحن في حاجة إلى حوار أم القرى، ذلك الذي تخيَّله **عبد الرحمن الكواكبي** والذي جعل فيه الفاسي والتونسي والمصري والمقدسي والشامي والمدني واليمني والكردي ... الخ، يعبرون عن رأيهم في القضية المصيرية المشتركة قضية النهضة وأسبابها، لقد كان **الكواكبي** واقعيا حكيما فجعل كل واحد من المشاركين في الحوار يفسر أسباب التخلف من منظوره الخاص، المنظور الذي تتحكم فيه خصوصية المنطقة التي يسكنها، أما ماقيل عن تعصبه للمغرب على المشرق، قال: " فليعلم الجميع أنني أؤمن أن المغرب مشرق والمشرق مغرب ولن يفترقا، نحن إخوة أبناء أب واحد، ولكن ربما من أمهات عديدة ومختلفة، لسنا توائم، نحن إخوة ".[1]

ما يبدو لقارئ هذا الحوار بين المفكرين **محمد عابد الجابري وحسن حنفي**، وما دار بينهما من نقاش حول مواضيع مختلفة، يتبين لنا أن الحوار الفكري حتى على مستوى النخبة لا يزال يسير بخطى عرجاء، وما بينهما من اتهامات: كالقراءة السطحية، عدم الفهم، التعصب... اتهامات مختلفة بعضها ظاهر وبعضها يقرأ ما بين سطور كتابتهما، طبعا لا يمكن لأي كان أن يفهم ما قد يكتبه الرجلان، إلاّ من يملك قراءات كثيرة للرجلين بمعنى أن يكون متخصصا في قراءة مشروعهما الفكري، بالإضافة أن يكون ناقدا متمرسا، متميزا بفكر موضوعي، غير متحزب أو متحيز أو متعصب.

وفي مثال أخر، نبين من خلاله أننا لم ندعم بعد مستوى ثقافة الحوار في الوطن العربي، خاصة عندما يتعلق الأمر بمعالجة موضوعات حساسة، ومثالنا هو ما جاء في كتاب **لطارق البشري** المعنون **(الحوار الإسلامي العلماني)**، يقول صاحب الكتاب، أنه ساهم في ندوتين، الأولى كانت حوارا بين الإسلام والعلمانية، والثانية كانت حوارا حول الإسلام والعروبة، جرت باسم الحوار القومي الديني، فتقييمه لنتائج الندوتين، ذلك أن ندوة الحوار الإسلامي العربي، كانت أكثر إيجابية، وكانت أرحب نسبيا، من حيث مجال اللقاء، ونقاط التقارب بين الفريقين المتحاورين، من ندوة الحوار الإسلامي العلماني، بمعنى أن هذه الأخيرة تميزت بالضيق في مجالات التقارب والندرة في نقاط الالتقاء، كما أن الحوار الإسلامي العربي كان أكثر صراحة، وأقل مراوغة والتفافا من الحوار الإسلامي العلماني، ومن ثم كان الأول أكثر خصوبة، وأقل جذبا، إنه إذا جرى حوار حول مسألة محددة أمكن لطرفيه أن يتفقا ويختلفا، أما إذا جرى الحوار حول ذاتيتهما، لم يمكن التقارب في الغالب.[2]

وفي تشخيصه للحوار الإسلامي العلماني بمصر، مع بداية الثمانينات، الفترة التي لم تعرف الحوار، بقدر ما تميزت بكثرة الصراعات الفكرية، كانت هناك مساعي ولو ضئيلة لإنعاش الحوار في فترة نهاية السبعينات

---

[1] المرجع السابق، ص 145

[2] طارق البشرى: **الحوار الإسلامي العلماني**، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1، 1996، ص 8

وبداية الثمانينات، شكل الحوار الذي كانت الأطراف المتحاورة تسعى إلى تحقيقه هو الذي يسعى إلى التوفيق بين وسيلتين تستهدفان غاية واحدة، أو التوفيق بين مصلحتين يمكن الجمع بينهما، وهذا الهدف يقتضي استطلاعا دائما لوجهات النظر المتعارضة، وأن يعايش كل جوانب الهموم الفكرية للجانب الآخر وأن يتفهم شواغله ويعمل على إدراك المنطق الداخلي للرأي المخالف، وأن يتعرف على التوظيفات الفعلية لهذا الرأي في الظروف الواقعية الملموسة، وهذا يقتضي من الأطراف المعنية العمل على جرد المحتويات التطبيقية لكل فكرة ونظرية، بهذا الأسلوب تتبين جوانب التطابق والتوافق والتقارب، كما تتبدى وجوه التنافي ومجالات التعارض، وتتبين المساحة الوسيطية التي يجيز كل من الأطراف المتحاورة لغيره أن يختلف معه فيها دون ظلم أو جور، وكل ذلك يكشف عن القدرة الفكرية لكل طرف في أن يستوعب عناصر من فكر الطرف الآخر، يراها مثرية لفكره هو ونافعة في تغذية موقفه إن الطرف القادر على امتصاص ما لدى غيره من زاد فكري، هو الطرف الذي يترجح أن تكون له الغلبة وأن يكون هو الوارث.

لكن حدث في السنوات القليلة بعد الثمانينات، أن تحول أسلوب الحوار بين الأطراف المعنية إلى ما يمكن تسميته (الحرب الفكرية)، عرفت هذه الفترة تحولات سياسية كبيرة، وظهور المعارضة السياسية الإسلامية في العديد من التنظيمات والتوجهات الفكرية، وهي الفترة التي بدأت التيارات المختلفة تتعرف فيها على بعضها، لتحدد نواحي الاتفاق والتقارب ووجوه الاختلاف والتباعد، وهي الفترة التي بدأت السلطات فيها تستشعر الخطورة من تقارب تيارات المعارضة على الصعيدين العربي والإسلامي، بالإضافة إلى عوامل خارجية كاندلاع الحرب الإيرانية – العراقية، والحرب الطائفية في لبنان في ظلها أيضا اصطنعت المعارك الفكرية والسياسية الداخلية ضد الشريعة الإسلامية.[1]

يرى **طارق البشري**، أن هذا التضارب والصراع بين التيارات الفكرية والسياسية ليس من محض الصدفة، بل قد يعود لتخطيط مسبق للإيقاع بين التيارات الوطنية بعضها ببعض، وبهذا صار الجدل يجري وفق أسلوب (الحرب الفكرية)، ومن مظاهر تلك الحرب، غلق الحدود الفكرية بين الأطراف المتصارعة ومنع تسرب أفكار كل طرف إلى الطرف الآخر، ويجري ذلك باتخاذ موقف المدافعة والتعصب عن آراء الآخرين ورفض تمثلها واستيعابها، حيث يدفع بالطرفين إلى تكوين أجسام فكرية مضادة للرأي الآخر، وأن من خصائص هذا الموقف الفكري المحارب، أن يمتنع على كل طرف تمثل المنطق الذاتي للطرف الآخر وهمومه الفكرية والزاوية التي يرى منها الواقع، كما يمتنع عليه محاولة تفهم السياق الداخلي لأفكار الطرف الآخر وآراءه، وبالتالي ينصرف الجهد لا، إلى البحث عن مجالات الالتقاء أو التقارب، ولكن إلى التفتيش عن وجوه الخلاف، وثمة حرص لا على الاعتراف بنواحي القوة لدى الطرف الآخر، ولكن على التنقيب عن نقاط الضعف والعمل على توسيعها والنفاذ منها، والتشنيع على الخصم بها، وثمة بحث عن أمراض الطرف الآخر، لا لمداواتها ، ولكن للطعن عليه بها ومحاولة اغتياله منها، وثمة حرص على تضخيم الذات، وتضعيف ما بيد الغير، وبهذا ينشأ

[1] المرجع السابق، ص ص 43- 44

تلازم عكسي بين ما ينفع الطرفين وما يضر بهما، وضعف الواحد قوة للآخر على وجه التلازم والحتم وبهذا تتنافى القوى وتتهافت وتستخدم الأطراف المتخاصمة والمتحاربة أدوات للصراع الفكري، كل ما يعطي الانطباع بالقوة في الجانب المؤيد، وبالضعف في الجانب المخاصم، وكل ما يجمع النفس ويشتت الخصم.[1]

حاول الباحث/ **طارق البشري**، أن يبين أساليب الحوار التي اتخذتها الأطراف المتنازعة كوسيلة للتعبير عن آرائها في تلك الفترة، ويحددها في العناصر التالية:

– **تحويل الفكرة المجردة إلى فكرة مشخصة:** أي ربطها بمؤسسة معينة، أو بفرد معين، أو بحادث تاريخي أو سياسي معين، ثم تضرب الفكرة في مقاتل ما شخصت به، هنا لا يقوم حوار أو جدال من حيث هو أخذ ورد، ولكن يقوم بنوع من القولبة للفكرة في كائن ملموس.

–**تحريف الفكرة:** أي تعديل الرأي المضاد لنقده، فلا يؤخذ القول كما هو، إنما يجري تعديل هيئته وصورته، أو أنه يزحزح عن موضعه، فيقرب ليصير في مرمى القذائف الفكرية للناقد، فقد كان للصراع الفكري نتائج وخيمة على الأمة الإسلامية، وهي ظهور الفتن الطائفية، بإشاعة روح التعصب وتوليد الشعور الطائفي: الإحساس بالخوف وفقدان الأمن الجماعي، وذلك متى أحاط الخوف وفقدان الأمن طائفة من الناس تتميز بوحدة المعتقد أو المذهب أو اللغة أو غير ذلك.[2]

وهذا مثال حي يوضح بشكل جلي طريقة أو أسلوب الحوار بين النخب الفكرية في تناولها لمواضيع فكرية هي ليست حساسة، بل مواضيع تهم المجتمع، لكن الفكر المتطرف والمتحيز والمتحجر أحيانا الذي انزاح عن طريق الصواب وعن التشخيص الموضوعي للمشكلات، بل تعصبهم أوصل هذه المشكلات إلى أن تتطور وتنمو أكثر فأكثر، فلحد اليوم لم نجد حلولا معقولة لمشكلاتنا سواء كانت سياسية، دينية فكرية... الخ، فالنخب المثقفة تعاني أمراضا مختلفة، كالإيديولوجيا، التعصب، التطرف، الجمود الفكري ... ، وهذا إن دل، إنما يدل عن عدم التقيد بقواعد وبأخلاقيات الحوار.

ونظرا لما يعانيه الفكر العربي من أزمات أهمها غياب ثقافة الحوار، كما جاء في الأمثلة السابقة، بأن النخبة المثقفة أو المفكرة تعاني من أمراض أقل ما يقال عنها أنها نخب مغرورة مصابة بمرض تضخم الذات، فالعديد من المفكرين العرب باختلاف انتماءاتهم الإيديولوجية، قد حاولوا تشخيص أمراض النخبة، فعلا هي أمراض وليس مرض واحد، الذي أصابهم، وبالتالي منعهم من الرقي والتطور بأفكارهم نحو الأفضل، فغياب ثقافة الحوار جعلتهم حبيسي أفكارهم منغلقين على أنفسهم، وبالتالي لم يتمكنوا من مساعدة مجتمعاتهم على التطور والنمو الحضاري الذي تعيشه بلدان كثيرة على غرار أوروبا وأمريكا وبعض من دول آسيا.

ونتيجة لما أصبح يتميز به المثقف العربي من عدم القدرة على ممارسة الحوار الفكري الفعال، حاول بعض العلماء والمفكرين تشخيص هذه الحالة، ومن بين هذه المساهمات ما قدمه علي حرب في انتقاده للنخب العربية

---

[1] المرجع السابق، ص ص45-46

[2] المرجع السابق، ص ص47-58

كما جاء ذلك في كتابه (**أوهام النخبة**)، بأن نموذج المفكر والمثقف صاحب المشاريع وصل إلى أفوله ولا بد من اقتراح مفهوم جديد يرتكز على المستجدات الحديثة التي جاء بها المجتمع، تكمن إشكالية النخبة الثقافية حسب **علي حرب**، في نخبويتها بالذات، حيث أن المثقفين مازالوا يشتغلون بحراسة الأفكار وبمعنى الحراسة التعلق بالفكرة كما لو أنها أقنوم يقدس أو وثن يعبد، بل أن الأفكار والنظريات ما هي في الحقيقة، إلاّ أدوات تساعدنا في فهم الواقع، إنها حيلنا في التدبر والتعقل.[1]

ويكمل **علي حرب** في نقده للمثقف انطلاقا من المثقف ذاته، على المثقفين أن يعيدوا تشكيل أفكارهم ومفاهيمهم بنقد أفكارهم، على نحو يحررهم من التوهم المثالي وهذه هي أزمة المثقف، ذلك أن المفكر هو فاعل فكري بالدرجة الأولى يبتدع ممارسات فكرية جديدة ويبتدع منهجا فكريا جديدا، كمشتغل في ميدان الفكر، همه إنتاج أفكار جديدة ، كما انتقد **علي حرب** أداء النخبة المثقفة في الدول العربية ووصفهم بالهشاشة الفكرية، ينطلق **علي حرب** في هجومه على المثقف العربي، من مقولة: " أن المثقف يسعى من خلال عمله الفكري والتنظيري إلى توظيف سلطته العلمية والمعرفية لزيادة نفوذه الاجتماعي، وتحقيق سلطة سياسية مدفوعا بإرادة القوة، الغريزة الوحيدة التي يعتمدها المفكر بعد الحداثي لتفسير السلوك الاجتماعي والسياسي ".[2]

كما نوه **إدوارد سعيد**، إلى خطر اختفاء المثقف أو صورته واحتمال تحول المثقف إلى مجرد مهني أو أحد وجوه تيار اجتماعي ما، فقد وهِب المثقف ملكة عقلية لتوضيح رسالة، أو وجهة نظر أو موقف أو فلسفة أو رأي، ولهذا الدور محاذيره، ولا يمكن القيام به من دون شعور بأنه إنسان مهمته أن يطرح علنا لمناقشة أسئلة حرجة، ويجابه المعتقد التقليدي والتصلب العقائدي بدلا من أن ينتجها، في نفس الوقت لا يرى **إدوارد سعيد**، أن يكون المثقف دائما ناقدا معارضا، بل يرى في المهنة الفكرية حفاظا على حالة من اليقظة المتواصلة ومن الرغبة الدائمة في عدم السماح لأنصاف الحقائق والأفكار التقليدية، بأن تسير المثقف معها، وفي نظره هناك نوع آخر من المثقفين، وهو المثقف المداهن وظيفتهم الرئيسية، هي حماية الوضع الراهن، والتأكد من أن الأمور تجري بسلاسة، لا تبديل فيها لا اعتراض عليها، واستعرض كلام **جورج أورويل** عن ذلك على نحو مقنع جدا : " أن لغة هؤلاء مصممة على جعل الأكاذيب صادقة أو تبدو كذلك". [3]

لقد هدم **بيار بورديو** قلعة حصينة ظل المثقفون يتسترون وراء أسوارها، وهي قلعة نخبويتهم وكونهم أهل فكر ومعرفة يجعلهم بعيدين عن كل تحليل نقدي وبمنأى عن كل دراسة موضوعية.[4]

---

[1] مخنان طارق: **أزمة غياب دور النخبة المثقفة الجزائرية في التغيير**، أطروحة ماجستير علم اجتماع، تخصص، التنظيم والديناميكيات، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، مدرسة دكتوراه، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، 2012، ص ص29-40

[2] المرجع السابق، ص ص40-46

[3] المرجع السابق، ص ص59-60

[4] المرجع السابق، ص 105

وفي دراسة، قام بها مولود سعادة حول (النخبة والمجتمع وتجدد الرهانات)، الملاحظ أن النخب بالدول المتخلفة، عموما تسودها بعض الشوائب، وعلى سبيل المثال فالعلاقة بين النخب السياسية، فإن الإغراءات والامتيازات يجعل منها نخبا جد ظرفية وهنة، فاقدة للتلاحم الداخلي وللمصداقية، كما أن انغلاق النخب على نفسها لا يفسح لها المجال للتفاعل بينها لإيجاد النفاذية المتبادلة والتنسيق المثمر، وهذا يتطلب كسر حاجز التباعد والتنافر بين النخب لكسب الثقة والخروج من دائرة التوجس المتبادل إلى دائرة التعاون المتعامد، أما خصائص النخب الجزائرية في الفترة الحالية حسب رأي الأستاذ مولود سعادة:

- الارتباط العضوي للنخبة المثقفة بالإيديولوجية الرسمية.
- إزدواجية الخطاب الإيديولوجي الرسمي في محاولة للتوفيق بين مرجعيات مختلفة ثنائيات كانت أو ثلاثيات.
- اقتصار الخطاب المنتج على العمليات الإسقاطية للإيديولوجيات السائدة عالمية ومحاولة التفسير القسري للواقع طبقا لمقولاتها الجاهزة.
- استمداد المشروعية من البعد الوطني المتماهي مع الإيديولوجية الغالبة عالميا.
- التميز بوتيرة عالية من الإقصائية لدرجة التلاغي بين المختلفين وعدم البحث عن أية مساحة للمشترك.
- اصطناعية النخب واستعجالها للتغيير في الاتجاه الذي تقتنع به، لدرجة تبدو معها وكأنها تبحث عن قاعدة شعبية بديلة لثقل الاستجابة التي تحس بها من قبل الجمهور المخاطب.[1]

في مقال **لـ: أبو بكر سعد الله،** نشر بجريدة الشروق يوم 2017/08/30، بعنوان **(الروائي رشيد بوجدرة ورفاقه)**، تطرق لأسلوب النقد الهابط الذي وصل إليه المثقف الجزائري، حيث تحدث عن الروائي رشيد بوجدرة وهو يوجه انتقادات غير لائقة لزملاء له في المهنة، أما الناظر في سلوكات وتحركات لأدباء اليوم فيشاهد في بعضها ما يندى لها جبين المواطن..."، ثم هاجم **بوجدرة** رفيقه **الأمين الزاوي وواسيني الأعرج،** بسب ضعفهما في اللغة الفرنسية ... " ، وهو بدوره كاتب هذا المقال يقدم الانتقادات للكتاب الجزائريين الذين تم ذكرهم في المقال: **رشيد بوجدرة، الأمين الزاوي، واسيني الأعرج، كمال داود، بوعلام صنصال،** فهو يصفهم: " بالذين يسعون إلى الأبهة والنجومية والاسترزاق المادي، التي لها سبل وأنفاق متعددة، ومن سبلها أن يتاجر المثقف ونصف المثقف بالدين ليخادع الناس ويزيد من جاهه ومكانته في مجتمعاتنا، ومن سبلها أن يتاجر المثقف ذو الوجهة الأخرى بالدين وبمقومات وطنه ليرضي المجتمع الغربي وساساته، وبذلك يحتمي هذا المثقف بالأقوى فيتكلم لغته ويبجلها ويروّج لأفكار السادة، ويوظف قلمه لحامية حتى لو كانت كتاباته لا تخدم وطنه أو تسيء إليه، لو كان زمن الحروب لصنف بعض هؤلاء في فئة المرتزقة، وما أبشعها من صفة... ما أحوجنا إلى فهم أداء مثقفينا اليوم ".[2]

---

[1] مولود سعادة: **النخبة والمجتمع تجدد الرهانات، مجلة الباحث الجزائري،** جامعة قسنطينة 2، الجزائر، العدد 10 سبتمبر 2010، ص ص11 -14

[2] أبو بكر خالد سعد الله: **الروائي رشيد بوجدرة ورفقائه، جريدة الشروق** الصادرة بتاريخ 30/ 08/ 2017، **بالجزائر**

يتضح لنا ونحن نقرأ هذا المقال الذي ارتأينا أن نوظفه، لنبين غياب ثقافة الحوار بين المثقفين، فالكل يشتم الكل ، حيث يقدمون انتقادات شرسة لا علاقة لها بالانتقاد الموضوعي البناء، وصل بهم الحد إلى تبادل اتهامات من درجة الخيانة الوطنية، التشكيك في عقيدة ووطنية بعضهم البعض، وهذا ما يدل عن غياب ثقافة الحوار وعن التواصل بين المثقفين والمبدعين، هذا التواصل الذي من شأنه أن يقدم للحركة الأدبية إضافة نوعية ويحدث بذلك ديناميكية إيجابية في مجال الأدب، إذا كان هؤلاء لا يتقنون ولا يفقهون هذه الثقافة، لماذا نقدم انتقادات للطبقة ذات المستوى الفكري والعلمي المتوسط؟.

لقد سألنا الأستاذ الباحث الجزائري، وهو بمثابة رجل مثقف ويمثل نخبة النخبة الوطنية، كل ما قيل عن المثقف وكل ما كتب عنه وعن تعصبه وعدم تقبله للحوار: **يا ترى ما هي أهم عوائق الحوار الفكري؟**، حيث كانت الإجابات على هذا النحو:

- عدم الاستماع إلى الآخر، وعدم فهمه، كلما كانت اللغة غير مفهومة، كلما استعملنا الأيدي بشكل رهيب.
- هي الرؤية المركزية القاصرة، وكذلك التعصب ونبذ الآخر، الاعتقاد في المعرفة العلمية ووصولها إلى الحقيقة فقط ونبذ المعارف الأخرى.
- الأنانية، البيروقراطية الإدارية والأنا المتضخم.
- حب الذات، البخل العلمي، تحقيق مكانة اجتماعية.
- غياب الإرادة والرغبة وضعف التكوين وعدم الاستعداد، مثل هذه المجالات التي تتطلب المعرفة ومواكبة التطور.
- التعصب في الآراء والأفكار، عدم تقدير الآخر وسوء الفهم.
- عدم توفر الإمكانيات العلمية والمادية اللازمة، عدم إعطاء حرية جزئية للبحث العلمي.
- احتكار المعرفة من طرف الباحثين، الخلط بين الصراعات الشخصية والصراعات الفكرية.
- عدم تقبل النقد، الأحكام المسبقة التي تعرقل المعرفة الحقيقية للموضوع.
- التكبر والتعالي، قلة المعرفة والمعلومات ومحدودية الاطلاع، تشتت الفكر.
- غياب أدبيات وأخلاقيات الحوار بصفة عامة، وجود أفكار مسبقة وإطلاق الأحكام، غياب الروح العلمية والروح المهنية لدى الأطراف المعنية، النقد الهدام.
- نقص التواصل بين الباحثين، التركيز على العمل الفردي، الرغبة في احتكار المعارف وعدم التبادل، احتقار الباحثين الآخرين والاستهانة بمعارفهم العلمية.

- عدم احترام صاحب المشروع أو المسير للمشروع، والإنقاص من قيمته العلمية أو الإنسانية أو عدم احترام جهوده البحثية والميدانية أو يعتقد من هو أعلى درجة علمية أو سلطة هو الأكبر معرفيا ولا يجوز مناقشته.
- الافتقاد إلى الكفاءات العلمية المتخصصة، الإيديولوجيا والأفكار المسبقة، غياب التواصل بين الأفراد والمؤسسات، اللجوء إلى العنف والعدوانية مع الأفراد، عدم الاعتراف بالآخر.
- وجود فجوة بين الفكر الشبابي والجيل السابق.
- الملاحظ أن، هناك اتفاق حول التعصب كأحد أهم معوقات الحوار الفكري داخل الفضاءات العلمية والبيداغوجية، الذي أصبح يمثل السمة المميزة للعلاقات بين الباحثين، والأسباب أغلبها ترجع إلى عوامل أخلاقية أكثر منها اجتماعية او ثقافية أو ذاتية، وبالتالي انعكس تدني المستوى الأخلاقي للأستاذ الجامعي سلبا على أدائه التدريسي والبحثي.

ومنه نستنتج من مواقف ودراسات لباحثين ومفكرين لطبيعة النخب العربية بمختلف تخصصاتها وتوجهاتها الفكرية، أن مثقفيها ومفكريها يعيشون حالة من الانقسام والتشرذم، وانعدام الاتصال الفكري وحتى إن وجد فهو لا يعبر فعلا عن اتصال فكري إيجابي يعكس مدى نخبويتهم وقدرتهم على الإبداع الفكري الفعال، فالنخب العربية تعيش حالة مرضية أقل ما يقال عنها أنها مستعصية، وحسب تشخيص الباحثين والدارسين، أن أهم مرض أصاب النخب العربية، هو " مرض الغرور "، الغرور الذي قادها لأن تكتسب أمراض أخرى، كعدم تقبلها للنقد والحوار.

4 – أهمية تعزيز ثقافة الحوار في الفضاء الجامعي

يعد إحياء ثقافة الحوار أمر في غاية الأهمية يقوم على عاتق المؤسسات التربوية بدءا بالأسرة إلى غاية الجامعة، ومن هنا نؤكد أن مختلف المؤسسات التربوية في المجتمع ينبغي أن تستوعب ثقافة الحوار كقاعدة تؤسس عليها مواقفها البناءة، والتأكيد على أن هذه القضية تعود إلى سبب رئيسي، يتمثل في طريقة التعليم في مؤسساتنا التعليمية، إن ممارسة التعليم بالتلقي فقط لا يمكن أن تصنع ثقافة الحوار، ولا نقول أن ثقافة الحوار غائبة بمؤسساتنا التعليمية، إلا أننا لازلنا بحاجة إلى ترسيخ هذه الثقافة كي تكون منهجا وطبعا وسجية للتعامل مع مختلف القضايا سواء كانت دينية أم ثقافية أم حضارية أم علمية أو غيرها، ويمكن أن تكون الجامعة مسرحا هاما لترسيخ هذه الثقافة بين طلبة الجامعات لأهمية دور الجامعة في المجتمع من جهة، وحساسية طبيعة العلاقات بين كثير من الطلبة من جهة أخرى، لقد أثبتت الدراسات الميدانية في الجامعات أن للحوار أهميته القصوى في حل المشكلات المختلفة في الجامعة، لأنه يحقق الآتي:

- رفع مستوى التحصيل الدراسي.
- تقليل نسبة الغياب عن المحاضرات.
- زيادة الثقة بالنفس لدى الطلبة.
- التقليل من مظاهر العدوانية لديهم وخاصة في علاقة الطلبة مع بعضهم البعض.
- القدرة على التفكير وحل المشكلات.
- زيادة النشاط والمناقشة لدى الطلبة.
- توثيق العلاقة بين الطلاب وكوادر الجامعة من مدرسين وإداريين.[1]

إن تعزيز ثقافة الحوار في المؤسسات التعليمية من مرحلة الابتدائي إلى غاية الدراسات الجامعية، من شأنه أن يحقق جملة من الفوائد، التي تنعكس إيجابا على الطلبة وعلى تحقيق أهداف العملية التعليمية وعلى المجتمع ككل، وقد حدد **العبد الكريم** وآخرون هذه الفوائد في:

- تعزز استراتيجيات بناء العلاقات الإيجابية بين العاملين في المؤسسات التعليمية من خلال الاحترام المتبادل ونبذ الصراع بينهم.
- تبني وتعزز ثقة العاملين بأنفسهم، وتؤكد ذواتهم وانتماءاتهم واستقلاليتهم وتشجعهم على اتخاذ القرارات المناسبة.
- تساعد في تعديل اتجاهاتهم وسلوكهم.
- تنمي الاكتشاف والمنافسة والمبادرة لديهم، وتنمي الروح الاجتماعية فيهم، بحيث يمكن تناول قضايا اجتماعية وتربوية مفيدة لهم، وتساعد على تبادل الخبرات والمعارف.
- تتيح الفرصة للطلاب ليعبروا عن آرائهم وأفكارهم.
- تساعد في اكتشاف قدرات الطلاب وإمكانياتهم وقدراتهم على تقديم آراء إيجابية.
- تساعد في تحمل المسؤولية وخاصة في الأمور التي يدلي بها الطالب برأيه واقتراحه.
- تزيد إحساس الطلاب بأهميتهم وثقتهم بأنفسهم، تكسبهم مهارة التحدث بطلاقة وثقة.
- تساهم في حل العديد من المشكلات السلوكية لدى الطلاب.[2]

---

[1] جبران علي محمد، وليد أحمد مساعدة، مرجع سبق ذكره، ص 18

[2] العبد الكريم وآخرون: **نشر ثقافة الحوار لدى العاملين في المؤسسات التربوية**، المادة العلمية، تنفيذ مكتب الآفاق المتحدة بتكليف من مكتب التربية العربي لدول الخليج، ص 48

ويضيف **الموجان** إلى فوائد الحوار في المؤسسات العلمية:

- تحقيق مبدأ الشورى القائم على النظام واحترام الرأي المعارض.
- يكسب القيم الأخلاقية والمبادئ الإسلامية، من خلال التعود على ممارسة الحوار ضمن أطر هذه القيم والمبادئ.
- يكسر حاجز الخجل وإبعاد مظاهر القلق والخوف لدى المتعلم، بحيث تتخذ انشغالاته شكلا طبيعيا ومتزنا.[1]

ولكي يوجد حوار صحيح و بناء، لابد من وجود بيئة تدعمه وتساعد على تنميته وبقائه، فبيئة الحوار هي المحيط النفسي والاجتماعي والحسي الذي ينشأ فيه الحوار، وقد ذكر **الجيوسي** أن التواصل في الحوار يتم في سياق معقد، وأحد جوانب هذا السياق بيئة مادية هادئة ومريحة ذات درجة حرارة معتدلة مناسبة وإضاءة مناسبة خالية من الضوضاء والزحام، وعدم الاهتمام بعناصر البيئة المادية والأخذ بها وبتأثيرها على الحوار يجعل هذا الاتصال إما غير كامل أو مشوش، كما أن للجانب المعنوي لبيئة الحوار أهمية قد تفوق أهمية الجوانب المادية، وذلك لما لهذا الجانب من دور يضمن إجراء حوار فعال وهادف، وقد حدد الباحثون أهم ما ينبغي أن تتسم به البيئة المعنوية الداعمة للحوار، ويتمثل ذلك في أنها :

- تقدر الاختلاف في وجهات النظر.
- تقدر التراجع عن الخطأ.
- تحقق مبدأ " **رأيي صواب يحتمل الخطأ ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب**".
- تشعر المحاور فيها بالأمن النفسي والحسي.
- تؤمن بحرية التعبير المسئولة.[2]

- لعل من النماذج التي يقتدى بها في نشر وتطوير وترسيخ ثقافة الحوار، جامعة الملك سعود بالمملكة العربية السعودية، حيث اعتمدت على مجموعة من البرامج والدورات وحلقات النقاش، ومن تلك البرامج والفعاليات:

- تنظيم برامج تدريبية في الحوار من قبل عمادة تطوير المهارات بالتعاون مع مركز عبد العزيز للحوار الوطني.
- عقد حلقة نقاش حول قضايا الشباب من قبل المركز الوطني لأبحاث الشباب بالجامعة والتي أظهرت آراء

[1] عبد الله بن حسين الموجان: **الحوار في الإسلام**، مركز الكون، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، ط1، 2006، ص 48

[2] مهرة بنت عبد القادر محمد الزهراني، مرجع سبق ذكره، ص 45

الشباب والشابات حول أكثر القضايا أهمية حسب رؤية الطرفين.

- تنظيم حلقة " الشباب والصيف " من قبل المركز الوطني لأبحاث الشباب بالجامعة.
- المشاركة في الاجتماع التحضيري الخامس للقاء الوطني السابع للحوار الفكري بمشاركة الطلاب والمهتمين من أعضاء هيئة التدريس
- توقيع مذكرة تفاهم بين الجامعة ومركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني للعمل على نشر ثقافة الحوار ونشر مفاهيمه في الأوساط الجامعية.
- تنظيم دورات تدريبية في فن الإقناع ومهارات الفكر الوسطي لتعزيز المناعة الفكرية لدى الشباب من قبل كرسي الأمير نايف لدراسات الأمن الفكري بالجامعة.
- عقد لقاءات حوارية دورية بين الطالبات والطلاب وبين أعضاء هيئة التدريس لمناقشة قضايا الشباب
- تواصل الطلاب وطالبات الجامعة الكترونيا من خلال البريد الالكتروني مع مدير الجامعة وكذاك مع جميع المسئولين بها ومع أعضاء هيئة التدريس.
- عقد لقاءات دورية تجمع مدير ووكلاء الجامعة مع أعضاء هيئة التدريس ومع الطلاب والطالبات [1]

تبذل الجامعة جهودا في ترسيخ ثقافة الحوار في ذاكرة ووجدان الشباب الجامعي وتدريبه على ممارسة حرية التعبير وإبداء الرأي وجدل الفكر والمناقشة والمداخلة دون خطوط حمراء، أو تعطيل لمستوى الحوار، حيث تعمل الجامعة على تنظيم الملتقيات والمؤتمرات باعتبارها فضاء معرفيا يمكن من خلاله ممارسة الحوار الفكري البناء، بعيدا عن التعصب والتطرف، فعلاقة الحوار بالفكر علاقة وطيدة، بالفكر تتوضح المدارك الفكرية، وتتلاقح الأفهام، وتنتج عنها التوجهات والقناعات، بل أن المادة الأساسية للحوار هي الفكر، ومن ناحية أخرى لا يمكن معالجة الخلل في الأفكار إلا بالحوار، ولا يمكن استئصال أورام الفكر السيئ إلا من خلال الحوار، ولا يمكن تفهم التناقضات والإشكالات إلا من خلال اللقاءات الحوارية.[2]

إن ما أصاب العالم العربي في السنوات الأخيرة بما يعرف بالربيع العربي، الذي كان بطله الشباب، وحتى لا تؤخذ القيم والمبادئ التي قامت من أجلها الثورة، وحتى لا تفقد بريقها الروحي والأخلاقي وتفاديا للانحرافات الفكرية والتعصبية، يجب أن تتولى الجامعة دورها في تعزيز الأمن الفكري عن طريق فتح فضاءات الحوار، ومنه فإن ثقافة الحوار لابد أن تكون المنطلق والغاية نحو مواجهة مشاعر الكراهية التي جذّرَتْها أنظمة الاستبداد بين أبناء الأمة، تلك المشاعر التي وصفها الكاتب الإيرلندي الساخر **برنارد شو** بأنها:" **انتقام الجبان الذي**

[1] راشد بن ظافر الدوسري، مرجع سبق ذكره، ص ص72-73

[2] سلطان بن مسفر الصاعدي الحربي، مرجع سبق ذكره، ص23

أهينت كرامته "، و كرامة الإنسان المهانة قد تقود إلى سلوكات سلبية ليس أقلها التطرف والتعصب، لذلك فإن تلك المشاعر يجب أن تستبدل بثقافة الحوار والتسامح مع الأخر، الأمر الذي يفرض على الجامعات التفكير في بناء جسور الحوار والتعايش والبناء السلمي، وتعزيز ثقافة الحوار التي تمثل البيئة المثلى، ولعل ما تتصف به ثقافة الحوار من ثنائية الأبعاد يعطي للمؤسسة الجامعية دورا أساسيا في تنشئة مادتها البشرية على ثقافة الحوار.

ومن جهة أخرى، يعد الاستعداد للحوار وعدم الخوف منه من أهم ضرورات نشر وترسيخ ثقافة الحوار وأن الحقيقة يجب أن تكون متاحة للجميع بأشكال وصيغ متنوعة ومتعددة، مما يعطي خطأ فكرة احتكار الحقيقة التي إن دلت على شيء، فإنما تدل على ضيق الأفق والعجز عن التحاور مع الذات ومع الآخر.[1]

تتحمل المؤسسة الجامعية مسؤولية تأسيس ونشر ثقافة الحوار بين طلبتها عبر تحويل فكرة احترام الرأي الآخر معه سلميا إلى برنامج عمل سلوكي ومعرفي، وبأسلوب يدفع الشباب إلى اعتماد المعلومة الموثقة وتبادل

الخبرات مع الأساتذة والزملاء بغية إشاعة روح الحوار في الوسط الجامعي، لأن الجامعة تعتبر منارة العلم والمعرفة، لكن المتتبع لحلقات النقاش والحوار الذي تنظمه الجامعة والتي يديرها أساتذة متخصصون، إلاّ أن الملاحظ لهذه النقاشات، يصطدم بواقع مغاير تماما لما يجب أن يكون عليه النقاش العلمي والموضوعي بين أفراد النخبة، من هنا برزت الكثير من دواعي تعزيز ثقافة الحوار في الفضاء الجامعي:

- **الدواعي المعرفية:** ليس من المبالغة من القول أن معرفة الآخر واحترام أفكاره، حتى ولو جاءت مخالفة لما نعتقد، فقد أصبحت من المثاقفة الكونية فضلا عما تموج به الساحة العربية والعالمية من تغيرات عصفت بكل ما كان مستقرا في الذهنية العربية العالمية، وهذا يعني أن الاعتراف بقيمة الآخر وقدرته والحوار معه يصبح جزءا من أخلاقيات التفاهم الدولي وبناء أسس التعايش السلمي، وحتى نعرف الآخر ونقبله أولا، لابد من تأصيل الفكرة التي تؤكد حق الإنسان في الفكر الذي يجده مشروعا أو جديرا بالاعتناق والدفاع عنه، وذلك انطلاقا من حرية الفكر والعقيدة، ومما يستحق الالتفات إليه، هو أن البناء المعرفي المطلوب لتعزيز ثقافة الحوار في البيئة الجامعية العربية عموما، يعاني من نقص شديد في المعارف التي تتصل بثقافة الحوار وما تحمله هذه الثقافة من مضامين حضارية وإنسانية، ومنه فإن الدواعي المعرفية التي تتطلب من الجامعة العمل على تعليمها للطلبة كمدخل لتعزيز ثقافة الحوار في البيئة الجامعية :

- ✓ تعريف الطلبة بالمخاطر الناتجة عن غياب الحوار.

---

[1] صابر جيدوري: **ثقافة الحوار في الفضاء الجامعي. آمال وتطلعات**، نقلا عن الموقع الالكتروني: http://www.achr.eu/%25D8%25AB%25D9%2582%25D8%25A7%25D9%2581%25D8%25A9%2520%2، ص 2

- ✓ تعريف الطلبة بأهمية الحوار مع الآخر والتسامح معه.
- ✓ تعريف الطلبة بمهارات الحوار وآلياته وآدابه.
- ✓ تعريف الطلبة بالمضامين الإنسانية والحضارية للحوار.[1]

- **الدواعي الوطنية:** تمثل الوحدة الوطنية لأي مجتمع من الأولويات التي يسعى إلى تحقيقها على الصعيد الوطني عبر مؤسساته التربوية والاجتماعية المختلفة، لأن الإنسان بحاجة ماسة إلى الانتماء الذي يحول الفرد من شخص يعيش لنفسه إلى شخص يعيش في جماعة، يشاركها حياتها ويتحمل تبعاتها كي يصبح عضوا مسئولا في المجتمع الذي ينتمي إليه، ولأن الأمر كذلك يصبح من واجب الجامعة العمل على تعزيز ثقافة الحوار في بيئتها، لأن عدم الاعتراف بالحوار وغلق جميع قنوات التعبير عن الرأي يكون حافزا لتنمية ثقافة العنف لدى شريحة واسعة من طلبة الجامعة، مما يؤدي إلى التشكيك في منطلقاتهم الفكرية وضعف ولائهم وانتمائهم لوطنهم، من هنا تتأكد ضرورة تقوية وتمتين الوحدة الوطنية باعتبارها ممارسة متواصلة، ومشروع مفتوح على كل المبادرات التي تزيد من مستوى الوطنية ومتطلباتها في الواقع الاجتماعي، ولا شك أن الحوار، هو من المداخل الأساسية في هذا المجال، ومن ثم فإن الحوار الوطني المستديم، هو الذي يمد واقع الوحدة الوطنية بالمزيد من الحيوية والفاعلية، وكذلك يتطلب من المؤسسة الجامعية إقامة النشاطات واللقاءات الحوارية التي يمكن من خلالها تشكيل اتجاهات إيجابية لدى الطلبة نحو حب الوطن والمحافظة على أمنه ووحدته وتبصيرهم بالدور المهم الذي يجب أن يقوموا به اتجاه ما يحقق الوحدة الوطنية، وفي ضوء ذلك يمكن الإشارة إلى مجموعة من الدواعي الوطنية التي تتطلب من الجامعة أخذها بعين الاعتبار كمدخل لتعزيز ثقافة الحوار في البيئة الجامعية منها:

- ✓ نشر ثقافة الحوار بين الطلبة لمواجهة العنف والإرهاب الذي يستهدف الوحدة الوطنية.
- ✓ تمكين الطلبة من التعايش داخل وطنهم وفق شروط المواطنة الصحيحة.
- ✓ تنويع الأنشطة الحوارية لتكريس الوحدة الوطنية.
- ✓ تمكين الطلبة من الحوار في القضايا الوطنية المختلفة. [2]

- **الدواعي الاجتماعية:** لقد تعرضت المجتمعات العربية خلال العقدين الماضيين، إلى ضعف في مناعة في الجسم الاجتماعي، وفي بنيته التي يشد أعضاؤها بعضه بعضا، مما أوهن مقومات تماسكها الاجتماعي وأدى إلى حدوث خلل اجتماعي وتناقض في المصالح اتخذ مبررات طائفية أو عرقية أو مذهبية أو لغوية

[1] المرجع السابق، ص 3

[2] المرجع السابق، ص ص4- 5

حضارية أو توجهات سياسية حزبية، وقد أدى ذلك التشرذم أحيانا إلى كثير من التوتر والإحباط، ثم فقدان الثقة بالنفس وفي القدرة على صناعة القرار والعمل الجماعي على المستوى المجتمعي، وقد نجم عن ذلك في بعض الحالات زعزعة مقومات الأمن الوطني واحتدام الصراعات المحلية والعربية، بل والحروب الأهلية في بعض الأقطار، وما يخلفه ذلك من تدمير الثروة والعمران، وفي معترك هذا المشهد الاجتماعي يكمن التحدي لنظام التعليم الجامعي والأجهزة الثقافية في تكوين عقلية بصيرة تتجاوز الجمود والتعصب، وأحادية الرؤية مع تعقد الحياة وحركتها المتواصلة، فالتحرر من داء التعصب والتفرقة والنزاعات العنصرية في المجتمعات العربية، أمر مرهون بإذكاء عملية تربوية تتصف بطابع الشمول والعمق، تكون قادرة على توظيف مختلف الطاقات التربوية والجامعية في تعزيز بناء قيمي وروحي قوامه الحوار مع الآخر والتسامح معه، ومهمة الجامعة هنا هي التركيز على مفهوم الحوار ومهاراته وآلياته، ومحاربة مفاهيم وقيم العرقية العدوانية، مع التأكيد هنا أن للحوار أهمية كبيرة في عملية الحراك الاجتماعي والسياسي والثقافي والتنموي لأي مجتمع، كما أن للحوار أهمية في تحصين المجتمع من الانحرافات والانزلاقات والتفاعلات الصراعية، فالمجتمع الذي يغلق باب الحوار والمشاركة الفاعلة بين أفراده، لابد وأن يكون مصيره الوقوع في الاستبداد والانحراف والصراع.[1]

في ضوء ما سبق يمكن الإشارة إلى مجموعة من الدواعي الاجتماعية التي تتطلب من الجامعة أخذها بعين الاعتبار كمدخل إلى تعزيز ثقافة الحوار في البيئة الجامعية:

- ✓ نشر ثقافة الحوار بين الطلبة لدفعهم إلى المشاركة في عملية الحراك الاجتماعي.
- ✓ تعزيز ثقافة الحوار كمدخل لتماسك المجتمع واستقراره.
- ✓ تعزيز ثقافة الحوار لتنمية منظومة القيم الاجتماعية لدى الطلبة.

- **دواعي التربية الدولية:** من المعروف أن المتغيرات التي حصلت على صعيد الاتصال والتواصل وزوال الحدود والحواجز، كان لها الأثر الأكبر في بلورة قيمة الحوار وتناقل المعلومات والمعارف والقيم، حيث ظهرت آليات واستراتيجيات جديدة تسمح بانفتاح الثقافات والحضارات على بعضها البعض، بعد أن أصبح قبول الآخر والحوار معه مطلبا مجتمعيا وكونيا، ومدخلا مهما لمستلزمات المثاقفة الكونية، وهذا ما أكده **جاك ديلور** بقوله:" إن أهداف العملية التعليمية لم تعد قاصرة على تعلم المعرفة وتعلم التطبيق وتعلم الوجود، بل أصبحت تشمل بعدا رابعا، هو كيف نعيش مع الآخرين ونحاورهم" ؟.

وهذا يعني أن الحديث اليوم عن ثقافة الحوار وعن الحوار بين الأديان والتقارب بين الثقافات لم يعد ترفا

[1] المرجع السابق، ص ص5-6

فكريا، بل هو رهان جديد للألفية الثالثة، لذلك اعتبر **فيدريكو مايور**: " أن عالم الغد ينبغي أن يكون مختلفا بعمق عن العالم الذي نعرفه اليوم، حيث يعتبر الوعي بصدقية وحتمية هذا الرهان بتجاوز النزاعات الدوغمائية المغلقة والانفتاح على فضاء أرحب غني بتنوعه".

وعليه فإن المؤسسة الجامعية معنية بتعزيز ثقافة الحوار من أجل مقاومة تأثير العوامل المؤدية إلى الخوف من الآخر، ومساعدة الطلبة على ممارسة التفكير النقدي، مما يتطلب إسهام السياسات والبرامج والمناهج التربوية الجامعية في تعزيز قيم التفاهم والتضامن والتسامح والتعايش بين الأفراد في المجتمعات المختلفة من أجل أن يسود السلام العالمي المبني على العدل والإنصاف، في ضوء ما سبق يمكن الإشارة إلى مجموعة من دواعي التربية الدولية التي تتطلب من الجامعة أخذها بعين الاعتبار كمدخل إلى تعزيز ثقافة الحوار في البيئة الجامعية:

- ✓ ترسيخ فكرة أن الحوار مع الآخر، تتطلب احترام التنوع الثقافي والديني والعرقي.
- ✓ نشر ثقافة الحوار بين الطلبة لإرساء قواعد التعايش مع الآخر المختلف.
- ✓ توجيه الطلبة إلى اعتبار الحوار معيارا أساسيا للتعامل مع الآخر.
- ✓ حث الطلبة للتفتح على المجتمعات الأخرى والتحاور معها.[1]

ونظرا لما تكتسيه أهمية ترسيخ ثقافة الحوار بالفضاء الجامعي، على مستوى أداء الجامعة، فإن العضو الفاعل والذي له الدور الكبير في تعزيز ثقافة الحوار بالجامعة: الأستاذ الباحث، نظرا لتعدد أدواره كأستاذ وباحث وإداري، إذن فهو الحلقة المحورية التي تنطلق منها كل النشاطات داخل الجامعة، فهو يعتبر عنصر مؤثر في التعليم الجامعي وما يصاحبه من تثقيف وتربية وتهذيب لشخصية الطلبة، وهو دور جوهري يندرج ضمن الأهداف الرئيسية التي تضطلع بها الجامعات ويشرعها قادة العمل التربوي وراسموا السياسات التعليمية في البلدان العربية.

لذلك يرى المختصون والباحثون للشأن الجامعي، حتى نتمكن من ترسيخ ثقافة الحوار، لابد من التركيز على الأستاذ الجامعي باعتباره الفاعل الأساسي في العملية التعليمية ككل، وباعتباره مفكر ومنتج للمعرفة العلمية، لأنه ودائما حسب المختصين، فإن تحقيق هذا المسعى، يتطلب بشكل أساسي أن يتمتع الأستاذ بثقافة الحوار، نظرا لما تشكله من أهمية في تطوير البحث العلمي، ومنه يتوجب على باحث اليوم أن يتصف بما يلي:

- ✓ يتوجب على عضو هيئة التدريس الجامعي في عالم اليوم الذي يتصف بالتغير السريع والمتطور، أن

[1] المرجع السابق، ص ص6-8

تكون لديه العديد من الإمكانات والمهارات والسمات والقيم والاتجاهات والاهتمامات الإيجابية، تمكنه من القيام بأدوار عديدة تستلزم لتربية الأجيال تربية سليمة.

✓ يقوم عضو هيئة التدريس في أي نظام تعليمي بعدة أدوار تنقسم بحسب **هاردين وكروسبي** إلى ستة أبعاد رئيسية هي: المزود بالمعرفة، والنموذج، والقدوة والمسير، والمقيم والمنتج للمواد التعليمية.[1]

✓ التعليم عملية اتصال اجتماعي ودور الأستاذ الجامعي في هذه العملية ليس دور المشغل، ولكن دور المسهل أو المنظم، ومن هذا المنطلق يصبح التفاعل بين أعضاء الموقف الاتصالي (الأستاذ الجامعي والطالب)، شرطا أساسيا لحدوث التعلم أو اكتساب الجديد من الخبرات.

✓ من وظائف الحوار، إثراء الحركة العلمية وتشجيع الدراسة والبحث وإعادة النظر فيما ننتج، وهو وسيلة لتنمية الأفكار والمهارات العقلية، ولهذا يعتبر من صميم المهارات التي قد يكتسبها الطالب من أستاذه، حيث لازال الأستاذ الجامعي هو المصدر الرئيسي للطالب الي يستقي منه أفكاره ويتأثر بأسلوبه وسلوكه.

✓ فالأستاذ قادر بحسب **الشمراني** على أن ينشر فكرا حواريا راقيا وثقافة بين أبنائه الطلاب وذلك باتباع أسهل الطرق وأفضل الأساليب ومنها الأسلوب اللفظي وغير اللفظي.

وتتعدد محاور دور عضو هيئة التدريس الجامعي في تعزيز ثقافة الحوار لدى طلبته بحسب الجوانب الخمس التي تتكون منها ثقافة الحوار، ويمكن تلخيص هذه الأدوار في العناصر التالية:

- **الجانب الفكري:** يعتبر الجانب الفكري من ثقافة الحوار مقوما أساسيا يتصف به أي محاور جيد، وبه يتحدد نجاح الحوار في الوصول إلى الغاية المنشودة، وتمتع عضو هيئة التدريس الجامعي بالسمات الفكرية اللاّزمة للحوار المثمر مع طلبته هو المعيار الجوهري للحكم على مدى قيامه بدوره في تعزيز هذه الثقافة.[2]

ويتم تعزيز سمات الجانب الفكري من ثقافة الحوار عبر الوسائل التوضيحية التي يستخدمها عضو هيئة التدريس أثناء المحاضرة، من خلال أساليب التعبير الشفهي وتوعيته لهم بطريقة ربط الأفكار ببعضها في تسلسل منطقي، والفرق بين الفكرة الرئيسية والفرعية والعلاقة بينهما، وكيفية تلخيصه للأفكار المهمة ومهارة إنهاء الحديث بطريقة مهذبة.

- **الجانب اللغوي:** إن الغاية الأساسية من تعلم اللغة وتعليمها هي قدرة عضو هيئة التدريس الجامعي على تمكين الطلبة من تبليغ أغراضهم إلى الآخرين بعبارات سليمة صحيحة، فالجانب اللغوي من ثقافة الحوار تتطلب

[1] أحمد رياض سكر، مرجع سبق ذكره، ص ص89

[2] المرجع السابق، ص 90

من المتكلم القيام بعدة عمليات عقلية معقدة من حيث استدعاء الأفكار والمعاني وانتقاء ما يلائمها من الألفاظ والتراكيب والأساليب، مع ربط بعضها ببعض ومراعاة التسلسل والترتيب، ويتركز دور عضو هيئة التدريس في هذا الجانب اللغوي من ثقافة الحوار، على استخدام اللغة العربية الفصحى في حديثه، وما يرافق ذلك من نطق صحيح للكلمات والحروف ينعكس إيجابا على وصول الحوار لأهدافه وبلوغ المحاورين لدرجة من الوضوح في طرحهم لأفكارهم.

- **الجانب الصوتي:** إن اللغة هي الألفاظ الدالة على المعاني والأصوات التي يعبر بها كل قوم عن أغراضهم كما أنها نظام من الرموز المنطوقة المكتسبة تستخدمه جماعة معينة من الناس بهدف الاتصال وتحقيق التعاون بينهم، وكون اللغة أداة التواصل ووعاء للفكر، يأتي التركيز على الجانب الصوتي من ثقافة الحوار في أهميته المتعلقة بإيصال المعاني وتدعيمها بالرسائل المصاحبة، فخبرة عضو هيئة التدريس في النطق الصحيح للكلمات والتنويع الصوتي أثناء الحوار، هو عامل مهم في أداء المعنى وقبل ذلك التأثير في رصيد الطلبة المعرفي ووعيهم بالجانب الصوتي من اللغة.

- **جانب لغة الجسد:** تعتبر لغة الجسد، لغة التواصل غير اللفظي بين البشر، والكل يدرك أهميتها في الوسط التربوي، وتأخذ قيمتها من قدرتها على تدعيم الأفكار والمعاني التي يريد عضو هيئة التدريس الجامعي إيصالها للطلبة، والأهم من ذلك، أنها تثري العملية التعليمية، وتساعد في التحكم في الحوار للوصول إلى علاقة أفضل مع الطلبة من خلال إرسال إيماءات ورسالات جسدية توحي بذلك، والجدير بالذكر أن التواصل يشمل كلا من التواصل اللفظي وغير اللفظي، حيث يتضمن التواصل اللفظي الحديث والكتابة، بينما يشمل التواصل غير اللفظي التعبيرات الوجهية وحركات الرأس والملابس، لذلك يجب على عضو هيئة التدريس الجامعي، أن يثري ثقافة الحوار لدى طلبته عبر توعية طلبته بأهمية لغة الجسد في التفاعل الاجتماعي، واستخدامه لعنصر التكاملية بين الجانب اللفظي وغير اللفظي، جنبا إلى جنب، باعتبار أن كليهما يدعم الآخر ويقويه، وهذا مما يؤدي في نهاية المطاف إلى زيادة جودة عملية التواصل وبلوغ المتحاورين إلى أهدافهما من عملية الحوار.[1]

- **الجانب الشخصي:** تؤدي قوة الشخصية دور مهم في مجريات الحوار، وتتمثل في قدرة الفرد على التحكم في سلوكه عند الغضب، والمحافظة على الاتزان الانفعالي له، يمثل الجانب الشخصي من ثقافة الحوار بعدا جوهريا يساعد على نجاح عملية التواصل وتبادل الرسائل بين أطراف الحوار، فالخصائص الإيجابية مثل ضبط النفس، الاتزان الانفعالي، التواضع، الصبر، تقبل النقد، واحترام شخصية الآخرين هي عوامل مهمة تنتج

[1] المرجع السابق، ص ص90-93

حوارات مثمرة عنوانها التفاهم والقبول، يشير الأستاذ / **طعيمة** إلى أن الأستاذ الجامعي، هو الذي يتمتع بمجموعة من السمات الانفعالية والاجتماعية، ومن أبرز هذه السمات أن يكون متزنا في انفعالاته وفي أحاسيسه، ذا شخصية بارزة، محبا لطلبته، ملتزما بآداب المهنة، وأن يكون واثقا بنفسه، وأن يتميز بالموضوعية والعدل في معاملة الطلبة... الخ، ويخلص الباحث إلى أن السمات الشخصية عنصر مهم في إثراء ثقافة الحوار بين أعضاء هيئة التدريس والطلبة، خصوصا إذا اتصف عضو هيئة التدريس الجامعي بصفة أساسية وهي الإنسانية وبكل ما تنطوي عليه هذه الكلمة من معنى.[1]

لكن شتان بين التنظير لثقافة الحوار وما يمكن أن تساهم به في تطوير المعرفة العلمية بالجامعة، وبين ما هو معمول به بالفضاءات الجامعية، حيث وباعتراف أساتذة كان لنا معهم حوار هامشي حول وضعية ثقافة الحوار بالجامعة، انطلاقا من سؤال، ونحن نعترف أن السؤال للباحث/ **عبد الله بن عبد العزيز الحسين**، لأنني رأيت فيه سؤالا مهما، يعبر بالفعل عن الوضعية الكارثية لمستوى ثقافة الحوار بالجامعة الجزائرية، وهو: **أمية ثقافة الحوار بالمؤسسة الجامعية إلى متى؟**

الكل يعترف بانعدام ثقافة الحوار بالوسط الجامعي، والكل يلوم الكل، ويضع المسؤولية على الآخر، فالأستاذ يلوم الإدارة والطالب والعكس، الإدارة تلوم الأستاذ والطالب، ومن جانبه الطالب يضع اللوم على الأستاذ والإدارة ، فيما يخص معوقات تطور ثقافة الحوار بالوسط الجامعي، ولكننا وبحكم تواجدنا بالجامعة لمدة معينة وأيضا نظرا لاهتمامنا بالموضوع منذ سنة أولى تسجيل بالدكتوراه تسجيل سنة **2012**، ونحن نراقب ونسجل الملاحظات حتى نستطيع أن نعطي حكما حول وضعية الحوار بالمؤسسة الجامعية من خلال أنشطة الجامعة المختلفة ، تبين لنا أن الجامعة تعيش أزمة حوار حقيقي بين الفاعلين سواء على المستوى الأفقي أو العمودي، ولكن الخطير في الأمر، أزمة حوار بين الأساتذة وخاصة من الجيل الأول، حاولنا بكل الطرق أن نعرف أسباب انعدام التواصل بين أفراد الجيل، ولكننا نعترف بعدم قدرتنا على فك اللغز، واجتهادا مني أظن أن السبب يرجع إلى المكانة التي يحتلها الباحث داخل الجامعة، فالمناصب الإدارية التي يسعى أكثرية الأساتذة للوصول إليها، كانت سببا مباشرا في تطور الصراع بين الأساتذة، وازدياد حدة الخلاف بينهم، فانعكس ذلك على البحث العلمي الذي يتطلب العمل الجماعي الجاد بين الأساتذة، بعيدا عن التعصب والخلافات الشخصية، حتى أننا بجامعة قالمة وبقسم علم الاجتماع، لدينا أساتذة برتبة أستاذ تعليم عالي، ولكن القسم لا يمتلك مخبر بحث، والسؤال: **ما هي معوقات إنشاء أو تأسيس مخبر للبحث في العلوم الاجتماعية بالقسم؟**، مع العلم أن كل جامعات الوطن

[1] المرجع السابق، ص 93

حسب علمي تمتلك مخبرا خاصا بالعلوم الاجتماعية.

ومنه فإن ترسيخ وتدعيم ثقافة الحوار بالفضاءات العلمية، خاصة بالفضاء الجامعي، أصبح يشكل ضرورة ملحة لإنقاذ الجامعة من التخلف، ونحن نعلم مستوى الجامعة الجزائرية بحسب التقارير الدولية، لا يهمنا إذا كانت التقارير صحيحة أم خاطئة، لكن لا بد أن نعترف بأننا كطلبة نعاني نقصا معرفيا في الكثير من الجوانب (اللغات الأجنبية، الإحصاء، المنهجية) مواد التخصص بقسم علم الاجتماع.

يقر كل الفاعلين بالفضاء الجامعي بأهمية تعزيز ثقافة الحوار، لكن قد يتساءل البعض: **ما الغاية من هذا التعزيز؟ وهل له علاقة بتطور المعرفة العلمية؟**

ولكي نجيب عن هذا التساؤل، الذي تم طرحه على بعض من الأساتذة الجامعيين بالجامعات الجزائرية، فكانت الإجابة، أن هناك علاقة بين الحوار وتطور المعرفة العلمية، وخاصة المعرفة الاجتماعية والإنسانية، معللين على ذلك بـ:

- تبادل المعرفة لا يأتي من العدم بل بمعرفة رصيد الآخر المعرفي ومجال بحثه والنتائج المحققة في تخصصه حتى نتمكن من إصلاح أخطاءنا ولا يتم ذلك إلاّ عن طريق الحوار.
- يثري أو يصحح أو يضيف أشياء لمعرفة الآخر.
- من خلال الحوار يتم تبادل الأفكار، تتغير المواقف والآراء ويعاد النظر في الكثير من المعارف على ضوء أفكار الطرف الآخر، وبالتالي تطور الأفكار والمقاربات والمعارف.
- يطور الفكر ويناقش قضايا علمية وثقافية وفكرية مختلفة تهتم بمشكلات المجتمع وأوضاعه الراهنة والمستقبلية بهدف التطوير في أساليب الحياة وأنماط العيش.
- كلما نشأ الحوار بين الأفراد كما يقول **بيار بورديو**، كلما نشأ سوق لفظي، فالحوار يزيد في تطوي القاموس اللغوي للأفراد.
- لأن التقدم العلمي يبنى أساسا على الحوار.
- اكتساب المعارف، يشجع على تبادل الآراء في مختلف المجالات الفكرية، كما أن مواكبة التحول الفكري يشجع على مواجهة الآخر للاستفادة والمقارنة وتقديم البدائل المرتبطة بنمو المعرفة العلمية.
- الحوار القائم على الصدق وفي إطار موضوع محدد، قد يساهم في تطوير المعرفة العلمية أو يجيب عن بعض تساؤلاتها القائمة.

يتفق أغلب الأساتذة على وجود علاقة بين الحوار كأسلوب للنقاش الفكري وتطور المعرفة العلمية، لكن يرهنون ذلك بضرورة توفر شروط وقواعد للحوار، حتى تكون هناك نتيجة مثمرة.

الفصل الثالث: الجامعة العربية وإشكالية بناء المعرفة السوسيولوجية

أولا: المعرفة العلمية الأكاديمية (مفاهيم ونظريات)

1- ماهية المعرفة العلمية

2- أنواع المعرفة وطرق الحصول عليها

3- دراسات اهتمت بالمعرفة العلمية الجامعية

4- مناقشة الدراسات المتعلقة بالمعرفة العلمية الجامعية

ثانيا: أبعاد أزمة المعرفة العلمية السوسيولوجية

1- أزمة المعرفة السوسيولوجية في الفكر العربي

2- واقع البحث السوسيولوجي في الوطن العربي

3- مسار تطور البحث العلمي بالجامعة الجزائرية

4- إشكالية إنتاج المعرفة السوسيولوجية بالجامعة الجزائرية

الفصل الثالث: الجامعة العربية وإشكالية بناء المعرفة السوسيولوجية

يعتبر التفكير كموضوع للدراسة من أعقد المواضيع الفكرية التي شغلت اهتمام المفكرين ذوي تخصصات مختلفة ينتمون لأطر ثقافية متباينة، وبما أنه فعل عقلي واعي وهادف، تميز به الإنسان على خلاف باقي المخلوقات الأخرى، اتجه الباحثون للبحث عن الأداة المنتجة للتفكير والتركيز عليها لمعرفة العوامل الذاتية والاجتماعية والثقافية التي قد تؤثر على أدائه السليم وهي ملكة " العقل "، من خلال هذا الفصل نحاول استدعاء الفكر والفكر العربي خاصة، للتعرف على مساهمته في إنتاج المعرفة العلمية، من الجانب النظري من خلال التعرف على ماهية المعرفة العلمية، أنواعها وطرق الحصول عليها، مدعمين هذا الفصل بدراسات امبريقية اهتمت معظمها بمعوقات تطور المعرفة العلمية وسبل التخلص من هذه المعوقات، وكان لنا أن نعرج على أهم هذه المعوقات وهي قراءة ابستمولوجية لأزمة السوسيولوجيا في الفكر العربي ، وكذلك التعرف على واقع البحث السوسيولوجي بالجامعة الجزائرية، انطلاقا من السؤال التالي: **ماهي العلاقة التي تربط بين أزمة الفكر العربي المعاصر وبين أزمة علم الاجتماع؟، أيهما أدى إلى إعاقة الآخر؟، هل السبب يرجع إلى عجز السوسيولوجيا عن أداء دورها في فهم وتفسير وتحليل أسباب أزمة الفكر العربي؟ أم أن الفكر العربي عجز عن تطوير السوسيولوجيا، منهجيا ونظريا؟**

أولا: المعرفة العلمية (مفاهيم ونظريات)

1- ماهية المعرفة العلمية

1-1. نظرية المعرفة والابستيمولوجيا:

ودع الإنسان بنوع من الحنين نظاما معرفيا تراتبيا وكونيا، من أجل الدخول في نظام من المعرفة، لم يعد له مركز ولا تلاحم ظاهري، والذي أصبح منفجرا و مجزء، فلم يعد هناك وجود عالم، لقد صار الإنسان " باحثا "، لأن كل اكتشاف يطرح تساؤلات جديدة كما لم تعد للمعرفة العلمية أي حدود، يتطور في ظل هذا العالم الجديد كل علم في ميدانه الخصوصي، حيث يسعى كل علم انطلاقا من علم الفلك وصولا للتحليل النفسي، إلى تأكيد ذاته من خلال جدية مناهجه وتحاليله وأخذ تماسكه واستقلاليته الذاتية، فلم نعد نقبل بالقوانين المفروضة من الخارج وبشكل لا محسوس، تقوم هذه الفضاءات المستقلة للمعرفة

بتأكيد ذاتها.[1]

وامام هذا التغير والتطور في طبيعة المعرفة الانسانية، التي يسعى الإنسان إلى الوصول إليها بمختلف الوسائل والأدوات، شكل الحوار الفكري أحد أهم هذه الوسائل، الحوار الذي اخذ أشكالا مختلفة باختلاف انواع المعرفة أو التخصصات العلمية التي نبحث فيها.

يرجع الكثير من الباحثين نظرية المعرفة إلى الفيلسوف الإنجليزي **جون لوك**، الذي يعتبرونه أول من حاول وضع هذا المبحث في صورة العلم المستقل، وذلك في كتابه **(مبحث في الفهم الإنساني)**، الذي نشر في نهاية القرن السابع عشر، ويعد هذا الكتاب أول بحث منظم يتناول بالفحص والدرس أصل المعرفة وماهيتها وحدودها ودرجة اليقين فيها، لكن هناك من يعارض بعدم التسليم بأن **لوك** أول من درس المعرفة كموضوع مستقل، وأن **أفلاطون و أريسطو** هما أول من قدم بحوثا في المعرفة وهي بحوث مستقلة وواضحة المعالم لديهما، وهذه الأطراف تقدم حجج وبراهين لتستدل على موقفها هذا، لكن هناك فريق آخر يرفض هذا الطرح، حيث يرون ، أن **أفلاطون وأريسطو**، رغم اهتمامهما لم يضعا حدا فاصلا بين موضوعاتها والمسائل الميتافيزيقية من جهة، ولم يضعا حدا فاصلا بينها وبين الدراسات المنطقية الخالصة من جهة أخرى، وهذه الأطراف تحاول البرهنة على صحة طرحها بحجج وبراهين معينة.[2]

لاحظ العلماء والباحثون، أثناء سعيهم لتحديد مفهوم نظرية المعرفة، أن هناك تداخل مع بعض المصطلحات الفلسفية، كمصطلح الابستيمولوجيا، لذلك سنحاول أن نبين الفرق بين المفهومين.

فنظرية المعرفة، مصطلح مركب بين لفظين: أحدهما نظرية، ويعني بها قضية أو تركيب عقل مؤلف من تصورات منسقة، تهدف إلى ربط النتائج بالمقدمات، كما أنها تطلق على ما يقابل الممارسة العملية في مجال الواقع، أي على التجربة الخالية من الغرض، المتجردة من التطبيقات العملية، فنظرية المعرفة هي دراسة منهجية منظمة لقضية العلم أو مسألة المعرفة بدراسة ماهية المعرفة وإمكانها وطبيعتها وطرق الوصول إليها وقيمتها وحدودها.[3]

يقابل هذا المصطلح في اليونانية لفظ " **الابستيمولوجيا Epstimologie**"، وهو مؤلف بين مقطعين: " **epstimo**"، ومعناه معرفة و " **logie**" معناه نظرية أو علم حسب المدرسة الانجليزية، فمعنى ابستيمولوجيا :

---

[1] جاك لوفرا: **الحوار**، ترجمة/ الهدراتي نجية، السعيد الركراكي، Force équipement، المغرب، ط1، 2012، ص ص112- 113

[2] مصطفى النشار: **نظرية المعرفة عند أريسطو**، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط3، 1995، ص 27

[3] راجح عبد الحميد الكردي: **نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة**، مكتبة المؤيد، المملكة العربية السعودية، ط1، 1992، ص 63

نظرية المعرفة أو علم المعرفة، أو فلسفة العلم، أي دراسة مبادئ العلوم وفرضياتها، أما المدرسة الفرنسية فتفرق بين المصطلحين، فالابستمولوجيا إذا تناولت بالتحليل والنقد لنتائج العلوم الطبيعية منها والإنسانية كإحدى إهتماماتها الرئيسية، فإنها تعني بذلك نوعا من" **فلسفة العلوم** "، فمن الممكن اعتبار الابستمولوجيا نوعا من الفلسفة العامة، بوصفها إحدى المباحث الثلاثة للفلسفة: الوجود، القيم، المعرفة، ولكن لا يعني جواز استخدام مصطلح " فلسفة العلم " باعتباره مرادفا لنظرية المعرفة.

في حين أن المدرسة الانجليزية لا تفرق بينهما، فقد عرفها قاموس **وبستر** الجديد، على أنها: " إدراك المعرفة والحصول عليها، كمعرفة سببها ودراسة مرجعيتها وحدودها ومدى مصداقيتها "، وهي بهذا المعنى امتداد لنظرية المعرفة في العربية إلى أقصى حد.[1]

يعرفها **لالاند** في معجمه الفلسفي بـ: " أنها فلسفة العلوم، وهي تختلف بهذا عن علم مناهج العلوم (ميتودولوجيا)، لأن الإيبستيمولوجيا تدرس بشكل نقدي مبادئ كافة أنواع العلوم وفروضها ونتائجها لتحديد أصلها المنطقي وبيان قيمتها ".[2]

رغم محاولة العلماء والباحثين إعطاء مفاهيم محددة، وتحديد طبيعة العلاقة بين مصطلح نظرية المعرفة والابستمولوجيا، إلاّ أن العلماء لازالوا يقرون أنه من الصعب جداّ إقامة فواصل أو حدود نهائية بين الابستمولوجيا وبين مختلف الأبحاث والدراسات المشابهة لها، فالغالب أن الابستمولوجيا تتناول مسائل هي في الأصل من ميدان الميتودولوجيا أو المنطق أو فلسفة العلوم أو نظرية المعرفة، مما أدى بأحد الباحثين إلى القول: " سواء سميناها منطقا خاصا، أو منطقا كبيرا، أو نظرية اليقين، أو نظرية المعرفة، أو ابستمولوجيا، أوكنوزيولوجيا(**Gnoseologie**) أو علم المعايير أو النقد، فإن البحث الذي نقوم به كان هدفه دوما بشكل أو بآخر هو بيان شروط المعرفة البشرية وقيمتها وحدودها".[3]

إذا كانت نظرية المعرفة تختص فلسفيا بالبحث في أصل المعرفة، ومصدرها وطبيعتها، وحدودها، وقيمتها، فإن تصور المعرفة يرتبط ميتافيزيقيا بطبيعة الوجود، ويتشكل اجتماعيا في إطار المجتمع، ويتصل عقليا بوصف أشكال النشاط العقلي، ويرتبط منطقيا بقواعد الاستدلال الصحيح، ويتعلق نفسيا بعملية تكوين

---

[1] بليل عبد الكريم: **المفاهيم المفتاحية لنظرية المعرفة في القرآن الكريم**، أطروحة ماجستير، تخصص فلسفة إسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، 2009، ص ص4-5

[2] مصطفى حسيبة: **المعجم الفلسفي**، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2009، ص 625

[3] محمد عابد الجابري: **مدخل إلى فلسفة العلوم، العقلانية المعاصرة وتطور الفكر العلمي**، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ط5، 2002، ص 19

المعرفة ويتحدد أخلاقيا بالالتزام بالحقيقة، إذا كان الإنسان هو مركز الدراسات الإنسانية ومحورها، فإن نظرية المعرفة هي أساس هذه الدراسات وجوهرها، من حيث تتعلق دراستها بأهم أشكال الحياة الإنسانية وهي المعرفة البشرية، وإذا كان البشر جميعا يسعون إلى المعرفة بحكم طبيعتهم، فإن هذه المعرفة هي التي تحرر عقل الإنسان من الوهم، وتحرر نفسه من العزلة وتحرر سلوكه من الغلط وتساعده على تمييز الحق من الباطل والصدق من الكذب، والصواب من الخطأ والطيب من الخبيث والخير من الشر، ولن يتمكن الإنسان من العمل بحكمة، دون أن يعرف ذاته ويعرف عالمه ويتخلص من عزلته، ويفتح باب التواصل مع الآخرين عن طريق اكتساب المعرفة، وعلى الرغم من أن المعرفة لا تمثل مشكلة بالنسبة للشخص العادي، الذي ينظر إلى المعرفة باعتبارها شيئا قد فرغ منه، وسيطر عليه، واستقر فيه، إلاّ أن ذلك لا يلغي إشكالية المعرفة فلسفيا وأهمية اكتسابها تربويا ونقلها من شخص يعلم لآخر يتعلم في موقف تعليمي مقصود.[1]

وحسب موسوعة **لالاند** للفلسفة فإن نظرية المعرفة هي: " دراسة العلاقة بين الذات والموضوع، في فعل المعرفة في أقدم صورة للمسألة، إلى أي حد يبدو ما يتمثله البشر مماثلا لما هو قائم، بصرف النظر عن هذا التمثل وفي صورتها الحديثة لنفترض أن الذات العارفة لها الطبيعة في أعمال الفكر وما هو إسهامها في التمثل؟ ولكن هذه الصورة الثانية للسؤال، مابرحت تعتبر هي أيضا كأنها مفضية حكما ومثل الأولى إلى تحديد قيمة العلم والتمثل " يطلق اسم نظرية المعرفة على مجموعة تنظيرات هدفها تحديد قيمة معارفنا وحدودها ".[2]

فالمدرسة الفلسفية تفرق بين مصطلح نظرية المعرفة والابستمولوجيا، بأنه وإن كانت **(الابستومولوجيا)**، مدخلا ضروريا لنظرية المعرفة، إلا أنها تبحث في المعرفة من جهة ما هي مبنية على وحدة الفكر كما في نظرية المعرفة، بل تبحث فيها من جهة ما هي معرفة "بعدية "، منفصلة على أبعاد العلوم وأبعاد موضوعاتها، في حين أن المدرسة الإنجليزية لا تفرق بينهما.[3]

يرى **الجابري**، إنه يمكن تبرير مشروعية عدم التمييز بين: الابستيمولوجيا، الميتودولوجيا، نظرية المعرفة وفلسفة العلوم، لكونها جميعا متداخلة متشابكة، إلى الحد الذي يصعب معه تقرير ما إذا كانت قضية ما من قضايا المعرفة تخص الواحدة منها دون الباقي.[4]

---

[1] عادل السكري: **نظرية المعرفة من سماء الفلسفة إلى أرض المدرسة**، الدار المصرية اللبنانية، مصر، ط1، 1999، ص ص22-23

[2] أندريه لالاند: **موسوعة لالاند الفلسفية المجلد الأولG -A**، ترجمة/ خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط2، 2001، ص 1455

[3] راجح عبد الحميد الكردي، مرجع سبق ذكره، ص ص63-64

[4] محمد عابد الجابري، **مدخل إلى فلسفة العلوم، العقلانية المعاصرة وتطور الفكر العلمي**، مرجع سبق ذكره، ص 20

وخروجا عن الرؤية الفلسفية لها، فإن للمعرفة طبيعتها الاجتماعية تتطور في سياقها التاريخي الذي تنطلق منه وتتعدل في سياقها الاجتماعي وفق شروط المجتمع الذي تنشأ فيه.[1]

إذا كانت الإبستيمولوجيا حسب تعريف **لالاند**، تدرس بشكل نقدي مبادئ كافة أنواع العلوم وفروضها ونتائجها لتحديد أصلها المنطقي وبيان قيمته، فإنه توجد علاقة بين الابستيمولوجيا والسوسيولوجيا، يحددها الباحثون في كونها، علاقة جدلية تبادلية، فحسب ما جاء في مقال للأستاذ الباحث / **أحمد عماد الدين خيواني** حول (**حوار الابستيمولوجيا والسوسيولوجيا نحو فك التمركز**)، يقول: "إن النقد الابستيمولوجي للمعرفة الاجتماعية يسمح بتوفير المبررات الضرورية للمعرفة التي تعالجها وفق تصورات منهجية تشكل في النهاية البنية التأسيسية لمعرفة علم اجتماعية، إذا كانت هذه الوظيفة الابستيمولوجية داخل النسق المعرفي للعلوم الاجتماعية، فإن هذه الأخيرة تمد التفكير الابستيمولوجي بالبعد الاجتماعي في عملية إنتاج المعرفة، انطلاقا من المبادئ والأحكام التي تصل إليها من خلال ممارستها للفعل السوسيولوجي داخل المجتمع، ذلك أن المعرفة الإنسانية عموما والمعرفة العلمية بشكل خاص تنمو وتتطور خلال سيرورة الممارسة المجتمعية التي تسعى لتقديم حلول معقولة وفعالة للمشكلات التي تفرزها الحياة الاجتماعية".[2]

إن أهمية النقد الابستيمولوجي داخل النسق المعرفي للعلوم الاجتماعية، يبدو أكثر إلحاحا وأبعد أثرا، لأن هذه الممارسات الاجتماعية لا تخلو من التوظيفات اللاّعلمية الايديولوجية السياسية التي استغلت التفكير السوسيولوجي من أجل الهيمنة على المؤسسات الاجتماعية، لذلك فإن العلوم الانسانية والاجتماعية، لم تسهم في غالب الأحيان في إنتاج معرفة علمية، بل أنتجت خطابا إيديولوجيا تبريريا، كما أنها لم تنتج مثقفين نقديين، بل أنتجت شريحة من المثقفين العضويين الذين خدموا السلطة السياسية ومشاريعها، إذن العلاقة بين الابستيمولوجيا والسوسيولوجيا ليست علاقة أحادية التأثير، بل هي علاقة تبادلية، إذ يتعلق الأمر بتعاون مشروع بين العلمين، يتبادلان الخدمات، فهما يترصدان بعضهما ويستحثان بعضهما للعمل، إنها مواجهة مقلقة، لكنها مثمرة، فهنا يفرض نفسه التآخي وسياسة اليد الممدودة، وهذا الأمر لايستبعد مع ذلك كل انصهار وكل التباس بين هذين العلمين، اللذين يفترض بهما أن يظلا مستقلين، لذلك فتحليل سوسيولوجيا " الآخر، الأنا"، يجب أن ترتبط بدعوة

---

[1] سمراء كحلات: **تمكين المعرفة في المنظمة الجزائرية، دراسة ميدانية بمكتبات جامعة باتنة**، أطروحة ماجستير علم المكتبات، جامعة منتوري قسنطينة ،2009، ص ص25-29

[2] أحمد عماد الدين خواني: **حوار الإبستيمولوجيا والسوسيولوجيا نحو فك التمركز**، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة سطيف 2، الجزائر، العدد 16 ديسمبر 2012، ص ص6 -7

أخرى إلى ضرورة بعث فكر ابستيمولوجي أصيل، يصوغ المبادئ والمعايير الخاصة بتحليل وتقييم المعارف المحققة في تلك العلوم بعد توطينها، وهذا بالطبع يشكل دعوة إلى إخضاع مناهج البحث وتقنياته وكذلك الأطر المفاهيمية، لنظرة نقدية فاحصة من أجل تطويعها وتطويرها [1]

السؤال الذي يطرح: **ما طبيعة العلاقة بين الابستمولوجيا والسوسيولوجيا؟**، بما أننا نبحث في طبيعة المعرفة السوسيولوجية، لقد أثبت **جورج غورفيتش** في كتابه **(الأطر الاجتماعية للمعرفة)**، أهمية العلاقة بين السوسيولوجيا والابستمولوجيا، وتتمثل ضرورة هذه العلاقة في: " إننا نعتبر أنهما يملكان قاسما مشتركا يدرسه كل منهما بطريقة مختلفة، الأمر الذي يقودهما إلى التلاقي، ويجعل بذلك من الممكن حدوث مساهمة متبادلة سلبية أو إيجابية على حد سواء، وبالتالي يجعل من الممكن التعاون المشروع بين هذين العلمين".

وينتهي **جورج غورفيتش**، إلى أن العلاقة بين السوسيولوجيا والابستيمولوجيا هي علاقة تجاوز وتعاون، ترمي الابستمولوجيا إلى البت في مسألة الصحة والبطلان، أو حين تهدف إلى تقديم مبرر لصلاحية المعرفة، إنما تجد نفسها مرغمة على الانتباه للمسائل التي يطرحها عليها علم الاجتماع المعرفة، فتستبعد بذلك كل حل تبسيطي، وفي المقابل يطرح علم الاجتماع المعرفة على الابستيمولوجيا مسألة تنوع منظورات المعرفة، وعلى الابستيمولوجيا أن تحل بوسائلها الخاصة مسألة ما، سواء كانت هذه المنظورات : إيديولوجية أو طوباوية، أم أسطورية... الخ، إلاّ أن **جورج غورفيتش**، يلفت الانتباه إلى فكرة هامة، مفادها أن علم الاجتماع المعرفة يطرح على الابستيمولوجيا مسائل جديدة تتعلق بالفاعل الاجتماعي وصلاحية إنتاجه المعرفي.[2]

ويقدم الباحث **فردريك معتوق** أفكارا مهمة للنظر في العلاقة بين سوسيولوجيا المعرفة والابستيمولوجيا، حيث يذهب إلى أن " الباحث في علم اجتماع المعرفة، ينبغي أن يجمع في شخصية واحدة السوسيولوجيا والفلسفة، وأن يتقن اللغة السوسيولوجية واللغة الفلسفية على حد سواء، وهذان الشرطان لا يتوفران دائما، مما يجعل هواة علم الاجتماع المعرفة عبر العالم قلائل"، وعليه، فإن البحث في هذه العلاقة يؤسس لحقل جديد داخل سوسيولوجيا العلم، يمكن أن يطلق عليه الحقل السوسيو– ابستيمولوجي، فالبحث في إنتاج واكتساب المعرفة السوسيولوجية، يحتاج إلى ميدان بحث يجمع بين المهارات الابستيمولوجية والمهارات السوسيولوجية جنبا إلى جنب، لكي يتم سد الفجوة المعرفية والفنية الخاصة بالإنتاج العلمي داخل ميدان علم الاجتماع المعرفة، كما أن السوسيولوجي سيظل مهتم بالقضايا النظرية والمنهجية والتطبيقية، والابستيمولوجي مهتم

---

[1] المرجع السابق، ص ص7 –8

[2] أحمد موسى بدوي: **الأبعاد الاجتماعية لإنتاج واكتساب المعرفة (حالة علم الاجتماع في الجامعات المصرية)**، سلسلة أطروحات الدكتوراه (76)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2009، ص ص83–84

بالبحث في المشكلات الابستيمولوجية الخاصة بكل العلوم، واستمرار التجاهل العلمي لهذه العلاقة، يؤدي في النهاية إلى غياب تدهور الإنتاج العلمي.[1]

1-2. قيمة المعرفة وأبعادها:

منذ أن أطل الإنسان على العالم بنظره عاين فيها الأشياء، فعلم بعلم بسيط لا يعتريه شك ولا يشوبه ريب أن الفضاء مملوء بموجودات هائلة، والأرض تحتوي على كائنات لا تحصى، كما علم بعلم فطري أن في الكون ديارا سواء ما يراه، وأن في صحيفة الوجود موجودات غيرها، وأن وراء نفسه وتصوراتها حقائق واقعية ثابتة لم يَرْتَبْ في ذلك أبدا، وكل واحد منا إذا رجع إلى أولويات حياته، يقف على أنه ما عرف يمينه من يساره، وإلاّ أدرك قبل عرفانه هذا، أن وراء وجوده وتصوراته عالما مشحونا بالموجودات، وأنه في هذا العالم مبدأ لأفعال تصدر عنه باختياره، فهو يأكل إذا جاع، ويشرب إذا ظمئ ويكتسي إذا عري، ويستريح إذا تعب، إن الاعتراف بأن وراء ذهن الإنسان حقائق ووقائع تحكي عنها علومه وإدراكاته، ليس بمعنى تصويب كافة أرائه وأفكاره، بل المراد التصديق الإجمالي بأنها تكشف عن واقعيات، لأنه كما يكون مصيبا في بعض إدراكاته، قد يخطئ في بعض منها، هذا ما عليه جل البشر، إلاّ أن هناك شرذمة قليلين خالفوا الرأي في هذا المجال، وهم بين منكر للواقعيات والحقائق، قائل بأن الصور الذهنية ليست إلاّ خيالا في خيال ولا تكشف عن شيء وراءها أبدا، ومسلم بالحقائق والواقعيات لكنه شاك في صحة ان ينطبق ما ندركه عليها، غير مذعن بأن لهذه الصور إمكانية الكشف عما ورائها، وهاتان الطائفتان تقابلان المنهج الثالث الذي عليه عقلاء البشر.

وبعبارة أخرى: أن هناك، مسألتين: مسألة وجود واقع موضوعي للإدراكات والإحساسات، والأخرى مسألة مطابقة ما يبدو لنا في إدراكنا وحواسنا لذلك الواقع، هناك من ينكر المسألة الأولى، ومنهم من يقبلها لكنه يشك في مطابقة ما يبدو في إدراكنا وحواسنا لما هو الواقع.[2]

من الوسائل التي تساعد على فهم قيمة المعرفة، أن يلاحظ المرء أن بإمكانه معرفة الشيء الحقيقي فقط، وأن شرط الحقيقة في اعتقادات الإنسان يبدو شيئا ذا قيمة، إذا عرفنا أن الحقيقة في الاعتقاد ذات قيمة، وأن المعرفة تتطلب وجود الحقيقة، لاشك في أن الحقيقة في اعتقادات الإنسان على أقل تقدير مسألة ذات قيمة، بمعنى أنه إن كان الفكر الحديث وأتباعه يفخرون بإيمانهم بأهمية المعرفة واسمين العصر بها: "**عصر المعرفة**"، فإن الإسلام بتعاليمه الخالدة وفكر أتباعه الأصيل كان له السبق في تأكيد أهمية المعرفة، وهذا ما يتجلى في

---

[1] المرجع السابق، ص ص84-85

[2] جعفر السبحاني: **نظرية المعرفة (المدخل إلى العلم والفلسفة والإلهيات)**، مؤسسة الإمام الصادق، إيران، 2008، ص ص57-58

آيات الرحمن عز وجل، وفي أحاديث **النبي صلى الله عليه وسلم**، لقد خلق الله الكون وجعله كتابا للمعرفة ووجه الحواس والعقول إلى بدائع صنعه فيه ودعا إلى التفكير في آياته.[1]

وإننا نجد هذا أقوى دليل على أهمية المعرفة منذ البداية، وما العلم الحديث إلا فرصة الإسلام التي تتجلى فيها معجزاته من جميع جوانبها، وحينما نفكر في المعرفة فإننا وبلا شك أمام موضوع يرتبط بالإنسان ارتباط وجود، وارتباط وظيفة، وارتباط غاية، وارتباط مفهوم، فالمعرفة خاصية جوهرية في قوام الإنسان، حيث جعل الله طبيعة الإنسان قابلة لاكتساب المعرفة، وبالمعرفة ميزه عن باقي المخلوقات وحتى عن الملائكة في السماء، كما جاء في قوله تعالى في سورة البقرة الآية 31:" **وعلم آدم الأسماء كلها**"، وبالمعرفة يحقق الإنسان ذاته ويعظم دوره في الحياة، وبالمعرفة يكتشف أغوار عالمه ويطوعه لصالحه على **قول فرنسيس بيكون (FRANCIS.BACON)**:" **لكي نسود الطبيعة ينبغي أن نعرفها**"، والمعرفة أداة لرقي الفرد وتقدمه، وتعد خطوة أساسية نحو اكتساب المهارات وتكوين الاتجاهات المرغوب فيها، فالمعرفة هي بمثابة المفاتيح التي تسمح لنا بفتح الزمن باستنتاج ما حدث في الماضي والتنبؤ بما سوف يحدث في المستقبل، إن المعرفة هي حصيلة عمل العقول الإنسانية عبر التاريخ ومنذ فجر الإنسانية تتراكم وتتزايد، يستمر بعضها وينمو ويتداول بين البشر وينتقل من جيل لآخر، ومن المعرفة ما يندثر نتيجة عدم الاستخدام ولكنه أبدا لا يضيع بل يمكن دائما البحث عنه وإعادته إلى مجال الاهتمام والإدراك المعاصر.[2]

ولهذه الخصوصية في العلاقة بين الإنسان والمعرفة، يستدعي الأمر أن تكون المعرفة مسألة حيوية في الاتصال الاجتماعي حتى تحتل دورها الحقيقي في تلك العملية الاتصالية الإنسانية بقصد إنماء الإنسان ومساعدته في إدراك غاياته، قدم علماء الأعصاب تفسيرا لتأكيد ثمة متعة حقيقية تجتاح الدماغ ويحس بها الإنسان عندما يلتقط معرفة أو يفهم شيئا كمكافأة يشبهونها بجرعة من مادة الأفيون، ويوضح **بيدرمان** أن مستقبلات هذه المواد تكثر في خلايا الحزمة العصبية في المناطق المعنية بالفهم والإدراك، وكلما كثر النشاط العصبي أثناء جهد الفهم والتحليل في تلك المناطق كلما كان الشعور باللذة أعظم، وهذا ما يدفع بالناس إلى رفع أقصى حد من قدرات الاستيعاب الذهني لديهم.[3]

وبصفة عامة يشترط في المنهج الجيد للحصول على المعرفة ذات القيمة العلمية باختصار ما يلي:

---

[1] عبد الفتاح العيسوي: **نظرية المعرفة في الفكر الإسلامي**، دار الوفاء، الإسكندرية، مصر، 2002، ص 39

[2] سمراء كحلات، مرجع سبق ذكره، ص 24

[3] المرجع السابق، ص25

- درجة دقة تحديد المصادر الأساسية والثانوية ودرجة وضوح الفرق بينهما ودرجة وضوح وطريقة الاستفادة منها.
- وضوح الطريقة التي تم بموجبها تحليل المادة العلمية أو معالجتها ومن ثم استنتاج المعرفة منها أو الحصول على الخلاصة منها.
- درجة وضوح النقطة الأولى والثانية بحيث تمكن الباحثين الآخرين من اختبار درجة ثبات تلك الطرق.

1- 3. خصائص المعرفة العلمية:

من المؤكد أنه لا توجد خصائص للمعرفة في كل مكان وزمان، والرأي هنا أن للمعرفة خصائص تكوينية مشتركة، لكن مضمون المعرفة ومنظورها يختلف باختلاف السياق الاجتماعي، الاقتصادي، الفكري والثقافي الذي توجد فيه ملامح مميزة للمعرفة بإطلاقها وبغض النظر عن طبيعتها ومضمونها واختلاف وجهات النظر حولها، وتتلخص ملامح وخصائص المعرفة العلمية في النقاط التالية:

- **اليقينية:** إن أهم الخصائص العامة والمشتركة للمعرفة بجميع أنواعها هي خاصية الجزم واليقين والوضوح، فالمعرفة دون اعتقاد أو يقين هي مجرد معلومات مطبوعة بهوية الفرد أو الجماعة، وللإشارة فإن اليقينية هنا، لا تعني أن المعرفة ثابتة ولا تعلو على التغيير، بل تعني الاعتماد على أدلة مقنعة ودامغة على الأقل خلال فترة محددة.[1]
- **الحدود الزمنية والمكانية للمعرفة:** غالبا ما تتحدد المعرفة ضمن إطار مرحلة تاريخية محددة، فمعرفة القرن التاسع عشر، غير معرفة القرن العشرين، والتي بدورها لن تكون معرفة القرن الواحد والعشرين، كما أنها تختلف من مكان إلى آخر ومن مجتمع إلى آخر، فالمعرفة بذلك تعكس حاجات ومتطلبات المجتمع، وكذلك درجة تطور مجتمع ما، على أن مفهوم الاختلاف هنا لا يعني المقاطعة إن صح القول، فمعرفة اليوم موجودة بفضل معرفة الأمس وهكذا... الخ.
- **التراكمية:** لم تتوقف البشرية يوما عن تقديم كل ما هو جديد والمتتبع لسير الحضارات القديمة حتى يومنا هذا لا يجد صعوبة في اكتشاف أن كل سعي الحضارات كان من أجل المعرفة، وكل معرفة تدرك كانت توضع حجرا جديدا في صرح الحضارة الإنسانية وحافزا جديدا لاكتشاف معارف أخرى، وصدق سقراط حين قال:" **إن الروح تبقى إلى الأبد في حالة معرفة** ".

[1] المرجع السابق، ص 26

- **المعرفة مضمون اجتماعي إنساني:** إنها كائن لا يعيش بنفسه ولنفسه، بل يحتاج إلى بيئة يتنفس ويعيش فيها وأرض ينبت منها ومجتمع يتشارك بالمعرفة من أجل التقدم والرقي، فهي تتطلب تفاعل إنساني مع الواقع ووعيا وإدراكا له من حيث متغيراته وعناصر تشكله والقوى المحفزة للتطور والتغيير، ترتبط المعرفة ارتباطا وثيقا بالتقدم الحضاري والتنمية الإنسانية الشاملة وكذا رغبة الكائن البشري المستمرة في إيجاد إجابات للأسئلة التي تتبادر إلى ذهنه.[1]
- **البحث عن الأسباب:** يهدف التسبيب والتعليل إلى إشباع رغبة الإنسان في البحث والتعليل لكل شيء، وإلى معرفة أسباب الظواهر لأن ذلك يمكننا من التحكم فيها وتطويعها، فالمعرفة في النهاية هي سلوك عقلي.
- **المعرفة جزء من نظام ديناميكي:** للتفكير والإدراك للواقع الموضوعي، بمعنى أن المعرفة هي نتاج النشاط الذهني للعقل في حواره مع الطبيعة وفي تعامله مع الواقع وإدراكه البديهي لمتغيرات الواقع والحقائق الجديدة في الحياة.
- **المعرفة لها دورة حياة:** يمكن أن تولد عندما تكون من خلال تجاوزنا، خاصة إذا وجدت لها أرضا خصبة تساعد على توليد معارف جديدة دوما، وهذا ما يجعلها تعيش وتتطور وتؤثر أيضا كما يمكن لها أيضا أن تموت بموت صاحبها أو بحلول معارف أخرى محلها أو عند تغيير المعتقدات.
- **المعرفة يمكن أن تمتلك:** من مختلف مصادرها ويمكن أن تخزن سواء على حوامل مادية إذا تم التصريح بها أو أن تخزن في عقول الأفراد كما يمكن تبادلها دون فقدانها فهي مورد لا ينضب بل في تزايد مستمر وهذه خاصية تنفرد بها المعرفة.
- **اللاّملموسية القياسية:** حيث أن المعرفة كمنتج غير ملموس يحد من المتاجرة بها كسلعة رغم أهميتها في الاقتصاد الحديث، لكنها قياسية بدرجة كافية للسماح بالمنافسة بها، لذا يتم المتاجرة بها على نطاق واسع، وهذه الملموسية القياسية هي محور اهتمام منظمات المعرفة.[2]

الحصيلة المعرفية إذن سؤال وجواب، وقد تمتد الشقة بينهما لبعض الوقت، لكن لكل سؤال جواب يعكس الرصيد المعرفي لإنسان معين في حقبة معينة، وقد نشترك جميعا في إثارة سؤال واحد لكن تأتي إجابتنا في العادة معبرة عن تجربة ذاتية وعن المحتوى المعرفي لكل فرد منا، ومن ثم تتعدد الإجابات، لذلك تظل الأسئلة باقية حتى نتفق قدر الإمكان على إجابات محددة، وهنا تتحول المعرفة إلى علم،

[1] المرجع السابق، ص ص26- 28

[2] المرجع السابق، ص ص28-31

أو إلى ما نطلق عليه معرفة علمية، وكانت هذه المعرفة ذات خصائص تميزها عن المعرفة الساذجة أو معرفة العامة، تجعل منها معرفة من نوع خاص، إذن بالإضافة إلى الخصائص السابقة التي تتميز بها المعرفة العلمية، يضيف بعض العلماء خصائص مهمة لهذه الأخيرة وتتمثل في:

- **النزاهة والموضوعية:** يرى الباحث أن البحث النظري الخالص، هدف وغاية للعلماء المخلصين، فهم لا يجنون أرباحا ولا يتوقعون عائدا من وراء بحوثهم، فمهنة العالم تقتضي إنكارا للذات وتتطلب منه امتناعا من استغلال علمه من أجل الإثراء.[1]

كما ترتبط المعرفة العلمية بالنزاهة، فإنها ترتبط بالحياد والموضوعية بمعنى تسجيل ما تجود به الطبيعة وحدها أو ما تنقله لنا الوقائع كما هي حادثة بالفعل وليس كما نتمنى لها أن تحدث، على العالم إذن أن يتصف بروح النقد، والنقد يعني: إعمال العقل وإصدار الحكم، كما يفعل القاضي عندما يطرح ميوله الشخصية جانبا، ويصبر على فحص الحجج التي يستقي منها حكمه، فالعالم يأخذ على عاتقه فحص كل البراهين المتاحة فحصا دقيقا دون تدخل من أهوائه، ويتطلب ذلك طاقة أخلاقية كبيرة وقدرة على كبح أهواء الذات، كما يتطلب ذلك نوع من الذكاء الذي أسماه باسكال " **بالحس المرهف** " الذي يمكِّنه من أن يجمع كل الحجج الدقيقة والعديدة جدا، ويجعل لكل منها دورا دون أن يغفل واحدة منها.

كما يوضح **برتراند راسل** بقوله: "أن المنهج العلمي وثيق الصلة بفضيلة اجتماعية هي نزاهة القصد " ويلخص هذه الخاصية العالم العربي/ **الحسن بن الهيثم** في مقدمة كتابه**(المناظر)**: " ونجعل غرضنا في جميع ما نستقريه ونتفحصه استعمال العدل لا اتباع الهوى، ونتحرى في سائر ما نميزه وننقده طلب الحق لا الميل مع الآراء".

- **الثقافة العلمية معيار انتقاء الواقع:** لا يتمسك العالم بتخصص بعينه، بل عليه أن يكون واسع الثقافة متقنا لعلوم عصره، مدركا لطبيعة علاقة كل علم ببقية العلوم، فالواقع أشد تعقيدا مما يتصور وأكثر تركيبا مما نعتقد، ولا يفهم مدى تعقد الواقع إلاّ من عرف كثيرا وجرب كثيرا وقضى على فرص الخطأ، يوصي **كلود برنارد:** " **من يعد نفسه ليكون عالما، أن يتزود من الثقافة الفلسفية والفنية** "، لأن الفلاسفة في رأيه يبحثون دائما في المسائل المختلف عليها، من جهة أخرى العلم لا يتعارض مع ملاحظات الفن ومعطياته، بل أن الفنان يجد في العلم أسسا أرسخ، والعالم يستقي من الفن حدسا

[1] محمد محمد قاسم: **المدخل إلى مناهج البحث العلمي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر**، لبنان، ط1، 1999، ص ص26-27

أصدق، ويتم الاستناد إلى الثقافة الواسعة للباحث إلى حصيلته المعرفية استنادا علميا ومشروعا في ضوء الموضوعية والاحتكام إلى التجريب.[1]

- **التصويب الذاتي:** إن العلم بصفة عامة، والعلم الطبيعي على وجه الخصوص في مسيرته نحو تفسير الظواهر، يتوقف بين الحين والآخر ليعدل من نظرياته ويوسع مجال تطبيق قوانينه العامة، فالعلم ليس صندوقا محكم الأركان وليس قولا فصلا انتهى إليه العلماء، بل أن المعرفة العلمية موجة من الاحتمالات تتسع حلقاتها كلما أمعنا النظر، وتعديل العلم لنظرياته لا يعني إلغائها أو الاستغناء عن كل ما ينطوي تحتها من قوانين، وإنما تقوم كعناصر تدخل في بناء قانون عام جديد أو تسهم جميعها في تشييد نظرية تفسيرية أوسع، وبهذه الطريقة تشكل القوانين السابقة واللاّحقة نسقا علميا جديدا يمتاز بالشمول والسعة عما سبقه من أنساق، وفي رصد هذه الخاصية الأساسية تعكس ما يجب أن يتصف به الباحث وهو الاعتماد على القيم النسبية لا المطلقة، التقريب لا الكمال، الاحتمال لا القطع.[2]

ومنه تؤكد هذه الخاصية الطبيعة اللاّحتمية للعلم، التي توفر فرصة للعلماء لتصويب ما تقع عليه أعينهم من أخطاء علماء سبقوه، بمعنى أن نتائج العلم تصوَّب نفسها باستمرار.

- **النسبية والتقريب:** إن الأخذ بالتقريب يعطي نتائج موثقة إلى حد ما حول المستقبل القريب أكثر من التكهنات بعيدة المدى، فالمعرفة التامة غير ممكنة، والمعرفة العلمية في صورتها النهائية مستحيلة، فلو ادعى أحدا أنه يعرف حقيقة علمية معرفة دقيقة وتامة، فإنه ادعاء غير مقبول، فكل قياس في العلم يعطي دائما مع خطأ محتمل، وهذا الاعتراف بالخطأ المحتمل هو المنفذ الذي يجري من خلاله تعديل النظرية وإثرائها.
- تعتبر الفروض عنصر هام من عناصر المنهج العلمي، فهي تتصف بخاصية التقريب كذلك، حيث لا توضع الفروض في صورتها النهائية أو يسلم بها منذ البداية، وإنما يأخذ صورة عبارة أو قضية تفسرها ظاهرة أو مشكلة تواجهنا، فلا يمكن أن يسلم بها، إلاّ إذا أثبتته التجربة، وعندما يصبح الفرض مقبولا بصورة تقريبية، فقد يأتي فرض أوسع وأشمل في المستقبل يحتوي الظاهرة موضع تفسيرنا بكل وقائعها المعروفة لنا، بالإضافة إلى ما قد يستجد لنا معرفته من وقائع جديدة تنتمي لهذه الظاهرة وما كنا لنعرفها، إلاّ بما استحدث من وسائل القياس والكشف، هنا يصبح الفرض الجديد أكثر قبولا ومعقولية من الفرض التقريبي السابق.

---

[1] المرجع السابق، ص ص 27 – 30

[2] المرجع السابق، ص ص30– 34

- **الدقة الكمية والقياس:** إن ما يكسب العلوم وبصفة خاصة العلم الطبيعي، هو استخدامه القياس واعتماده على الدقة الكمية، وبالنظر لتاريخ العلم على أن التقدم العلمي جاء مرتبطا بمدى الاعتماد على القياس الكمي وعلى الأساليب الرياضية، وقد انتقل الإحساس بأهمية القياس والدقة الكمية إلى مجال الدراسات والبحوث في العلوم الإنسانية، فمادام العلم يعني القياس الكمي الدقيق، فلابد من محاولة تكميم الظواهر الاجتماعية وإخضاعها هي الأخرى للاختبار والتحقيق التجريبي، فحسب هذا التصور يمكن قياس ظواهر اجتماعية مثل الترابط الأسري أو تفككه، ارتباط ظاهرة الانتحار بوقائع اجتماعية معينة...، ومع مرور الوقت تطورت أساليب القياس الاجتماعي لتقيس مدى التجاذب والتنافر في العلاقات الاجتماعية السائدة بين أعضاء الجماعات، كما راحت تتنبأ بمعدل وقوع الجرائم والانحراف واتجاهات السلوك الانتخابي والتصويت.[1]

ويذهب فلاسفة العلم إلى القول بأن الدقة الكمية تزيد من قوة الاستدلال الاستقرائي، وأن الحديث عن الدقة الكمية يرتبط بلغة العلم، تلك التي تعتمد على تحليل الأشياء والظواهر إلى عناصرها أو مقوماتها الأساسية، مدخلة في تلك المقومات مقاديرها التي دخلت بها في حالة التركيب، ومنه فإن الاعتماد على الإدراك الكيفي وحده للأشياء لا يفيد في صنع هذه الأشياء، أما الإدراك الكمي للأشياء فإنه يفيد في صنع هذه الأشياء والتحكم فيها.

- **بساطة الفروض:** تصبح المعرفة علمية بقدر استخدامها لأبسط الفروض المتاحة، وكلما كان الفرض أو النظرية معقدا أو أكثر تركيبا أشار ذلك إلى أن سبيل تقدمنا لازال في أوله، الفروض بمثابة تساؤلات يتوقع أن تتضمن الإجابة عليها تفسيرا أو حلا لمشكلة تواجهنا، ومن ثم فإن الفروض التي تصاغ بطريقة مركبة هي فروض مضللة، وكلما اتسع نطاق خبرة الباحث العلمي جاءت فروضه أكثر بساطة، ومن ثم أكثر تحديدا، ويتفق العلماء على قاعدة تعد إحدى خصائص البحث العلمي هي: على العالم أن يقبل أبسط الفروض، ولا يقبل فرضا أكثر تركيبا إلاَ، إذا ظهرت وقائع جديدة تشير إلى عدم كفاية الفرض البسيط، والبساطة تعني الوضوح التام لمفردات الفرض العلمي والعلاقة الوثيقة بين عناصر الفرض الداخلية من جهة، وبين الفرض نفسه والظاهرة التي يفسرها من جهة ثانية.[2]
- **التحليل:** يتفق فلاسفة العلم على أن التحليل أساس التفكير العلمي وسمة وأداة للبحث العلمي، ومن ثم خاصية للمعرفة العلمية، يعرف عن منهج التحليل أنه يقوم على شعار " **فرق تسد** "، وهو مبدأ مثمر

[1] المرجع السابق، ص ص34-39

[2] المرجع السابق، ص ص39- 42

في الفلسفة والعلم كما هو كذلك في ميادين أخرى، ومنه تظهر أهمية التحليل كسمة للبحث العلمي، بالإضافة إلى نظرة نقدية ثاقبة يتناول بها العالم ما يواجهه من حوادث مركبة فتحلل إلى عناصرها البسيطة وقد لا يكون التحليل هنا " بالتفكيك المادي " لأجزاء الحادث بل بالتحليل العقلي لمقوماته.

يوجد أنواع من التحليل: التحليل المادي ـ التحليل التصوري ـ التحليل العقلي، بالإضافة إلى هذه الأنواع الثلاثة، يضيف **بول موى** نوعا رابعا يجمع فيه بين الأنواع السابقة مضيفا إليها القدرة على المقارنة والاستدلال أسماه التحليل التجريبي والبرهاني معا.

- **التركيب:** وهو الجزء المكمل للتحليل أو هو العملية المقابلة له ويستخدم في حالتين: الأولى البرهنة على مشروعية التحليل وسلامته كما في حالة التحقيق التجريبي، والتركيب يستخدم لإعادة بناء الظاهرة في إطار هذه القاعدة أو المبدأ، أما في الحالة الثانية، فالتركيب عملية للعرض وللتعميم في نفس الوقت.

وإن عدنا لمقارنة التركيب بالتحليل لاحظنا أنه بعد أن نعرف المكونات الأساسية لظاهرة من الظواهر أو العلل المشتركة التي تدخل في تكوينها، فإنه يمكننا أن نعيد تركيب هذه العناصر من جديد، إما بنفس النسب والعلاقات وهذا يعني أننا أصبحنا نعرف الظاهرة، أو بتركيب جديد يؤدي إلى معنى جديد يشير إلى الابتكار والابداع.

- ومنه فإن الهدف الحقيقي من وراء عملية إعادة التركيب، هو اكتشاف مركبات جديدة وليس مجرد مراجعة خطوات التحليل فقط، فنحن عندما نربط بين ظاهرتين أو بين بعض عناصرها تنشأ لنا ظاهرة جديدة لها خصائص جديدة متمايزة عن خصائص مكوناتها الأصلية.[1]

2- أنواع المعرفة وطرق الحصول عليها

تتنوع المعارف التي يحصل عليها الإنسان وتختلف باختلاف مصادر المعرفة من جهة، وطبيعة شخصية العارف من جهة أخرى، وفي هذا الإطار يعطي **جورج غورفيتش** في كتابه (الأطر الاجتماعية للمعرفة) تفصيلا لأهم السمات المميزة لشتى أنواع المعرفة:

المعرفة الإدراكية: تؤكد المعرفة الإدراكية للعالم الخارجي صحة موضوع متناسق من الصور الموضوعية في ميادين وأزمنة ملموسة، فإدراكها وأماكن صوغها في مفاهيم وفي معايير كمية من الأمور البالغة التنوع، مثال المجتمع الإقطاعي كانت المعرفة الإدراكية للعالم الخارجي موضوعة فيه في المرتبة الأخيرة (انعدام الأفق في الفن

[1] المرجع السابق، ص ص33-47

وانغلاق المدن والقرى على نفسها في عمرانها ومحيطها، هما دليل كاف على ذلك)، إن المعرفة الإدراكية للعالم الخارجي، بوصفها واقعة اجتماعية، تفترض أولا الإدراك الجماعي للميادين وللأزمنة حيث يقع العالم، سواء تعلق الأمر بالميادين أو بالأزمنة، فإن إدراكنا لها هو إدراك ذو طبيعة جماعية، إلاّ أن تجلياتها تظهر تنوعا كبيرا في المزايا.

- **معرفة الأغيار**: النحن، الجماعات، الطبقات، المجتمعات المدركة في واقعها والمثبتة صحتها بحكم واع تمثل نوعا خاصا من المعرفة، لم تدرك هذه المعرفة إلاّ مؤخرا، وقد ظهر هذا الإدراك في الفلسفة أكثر منه في علم الاجتماع، لهذه المفارقة ثلاث أسباب ومصادر، فلا يمكن تخيل أي إطار اجتماعي(ميكرو اجتماعي– جماعي– شمولي)، لا يحدث فيه هذا الاكتناه وهذه المعرفة لأنهما عنصر منشئ للواقع الاجتماعي ذاته ولكنهما غالبا ما يكونان ضمنيين أكثر منهما صريحين، وفي الوقت نفسه فإن كثافتهما المتبادلة، أهميتها ومزاياها والدور الذي تلعبه بنية الآخر، تعابير وجهه مسلكه، حركاته كلماته، مواقفه الاجتماعية رغبته أو رفضه الاتصال، إن كل ذلك يتغاير مع كل إطار اجتماعي مثلما تتغاير في معرفة الآخر بحصر المعنى والمعايير والنماذج والرموز التي توحي بها الجماعات، الطبقات والمجتمعات الشمولية للصور الإدراكية عن الآخر.[1]

- **معرفة الحس السليم**: والتي تعرف أيضا بـ "**معرفة الحياة اليومية**"، هي نوع خاص من المعرفة، وهي تكمن في توليف معرفة الآخر والنحن، المعرفة الإدراكية للعالم الخارجي بوصفه المحيط الأقرب من النحن أو من الجماعة، وبعض المعارف التقنية الأكثر تداولا ويسرا، ومنها تقنيات الجسم، وأصول اللياقة ومظاهر التحفظ والتأدب.

- **المعرفة التقنية**: ليست مجرد معرفة الوسائل التي تستخدم لبلوغ أهداف مثالية كما توهم بذلك بعض الفلسفات الروحانية، ولا هي بمعرفة علمية مطبقة تتميز بأرصانها وقابليتها للتناقل كما تقول الوضعية الشائعة، إن المعرفة التقنية معرفة قائمة بذاتها لا تقبل الخفض إلى أي معرفة أخرى، وهي مسكونة برغبة السيطرة على العالم واستعماله وتشغيله وتوجيهه إنها جزء منشئ الفعل (بالمعنى الذي كان يعنيه **ماركس**)، وتندرج في القوى المنتجة مباشرة.

ويرى الباحث، أنه من الخطأ حصر المعرفة التقنية فقط بمعرفة استخدام المادة، ومن ثم الخطأ خفضها الى التكنولوجيا فمن جهة تعتبر المعرفة التقنية في أن واحد صريحة على قدر ما يمكن تناقلها، وضمنية على قدر ما ترتبط بالمهارة واللباقة.

---

[1] جورج غورفيتش: **الأطر الاجتماعية للمعرفة**، ترجمة/ خليل أحمد خليل، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط3، 2008 ص ص30–35

- **المعرفة السياسية:** يمكن رصد المعرفة السياسية بوجه خاص في الأفعال، النزاعات والصراعات، حيث تتصادم الجماعات، الطبقات والأحزاب تصادما مباشرا، إن اقتران الأحكام القيمية والأحكام الفعلية، يشكلان المعرفة السياسية، إنهما معرفة واقعية ودقيقة جدا للقوى المتنازعة وللبيئة التي يجري فعلها فيها وبالتالي فإن المعرفة السياسية تتضمن الوعي الواضح للمصاعب التي ينبغي قهرها بالسلوك الواجب اتخاذه في هذا الظرف الاجتماعي أو ذاك، وهي بمقتضى الحال ستوحي إذن بسلوك ثوري متطرف أو مطلبي على الأقل لكي تدفع في ظروف أخرى نحو التسوية والاعتدال.[1]

- **المعرفة العلمية:** هي نوع معرفي ينزع إلى التجريد كما في قول **سبينوزا:** " **لاضحك ولابكاء**"، والانفتاح والتراكم والانتظام والتوازن والوصل بين المدركي والتجريبي، إنها تنطلق من أطر علمية هي جوهرها حصيلة نتائج سابقة غالبا ما تدعو إلى تحقق اختباري.

لم تكن المعرفة العلمية تشغل مكانة هامة في منظومة المعارف وفي بعض أنماط البنى الرأسمالية، لاسيما نمط الرأسمالية التنافسية فمنذ حلول المجتمعات، دخلت في سباق وتنافس مع المعرفة الفلسفية التي أفسحت لها المكان في ما بعد وعلى الرغم من مزاعمها المبدئية في أن تكون فوق الالتباس، أي أن تكون منفصلة عن الأطر الاجتماعية، فإن المعرفة العلمية لا تتمتع إلاّ باستقلال نسبي وأن الخطأ الأكبر للوضعية يكمن في أخذ هذه المزاعم بحرفيتها، ففي كل معرفة علمية تتدخل المعاملات الاجتماعية تدخلا قويا على قدر ما تكون المعرفة متطورة.[2]

- **المعرفة الفلسفية:** إنها معرفة من الدرجة الثانية تتلاقح مباشرة مع معارف أخرى، مثلما تتلاقح مع أفعال ذهنية غير معرفية سابقة الاكتمال وتسعى لاستيعاب تجلياتها الجزئية في كليات لامتناهية حتى تبررها، إن هذا النوع من المعرفة هو من حيث المبدأ متعال، متباعد، باطني، ارستقراطي وعلى الرغم من انتسابه إلى جدل بين المعرفة المستخلصة والملتزمة، فإن المعرفة الفردية تسود فيه على المعرفة الجماعية، إن العلاقة بين الفلسفة والمعرفة العلمية تبقى معقدة فيما يتعدى العصور حيث كانت هيمنة الأولى تبدو مؤكدة وراسخة في كل مكان.

إن تحليل تغايرات هرمية الأنواع المعرفية وفقا لأنماط المجتمعات، يقودنا الى الخلاصة التالية: لم تحتل الفلسفة المكانة الأولى، إلاّ بالحضارات القديمة من جهة، وفي مجتمعات بداية الرأسمالية من جهة ثانية، حيث كانت هي الأساس عصر الأنوار وفي عصرنا نراها مستبدلة بالمعرفة التقنية والمعرفة السياسية.

---

[1] المرجع السابق، ص ص35-40

[2] المرجع السابق ص 42

وتتضمن الأنواع المعرفية السابقة الذكر، أنواع أخرى من المعرفة، وهذه أيضا تتبدل وفقا للأطر الاجتماعية وهذه الأزواج الخمسة بتدقيقات مختلفة داخل كل نوع من المعرفة:

- المعرفة الصوفية والمعرفة العقلية.
- المعرفة التجريبية والمعرفة المدركية.
- المعرفة الوضعية والمعرفة التنظيرية.
- المعرفة الرمزية والمعرفة المناسبة.
- المعرفة الجماعية والمعرفة المناسبة.[1]
- إلاَ أن هناك من يصنف المعرفة إلى أصناف مختلفة، منها:
- **المعرفة من حيث الموضوع:** وفي هذا المجال يمكن التمييز بين نوعين من المعرفة هما:

✓ **المعرفة الطبيعية:** وهي المعرفة المتعلقة بالظواهر الطبيعية باختلاف أنواعها وأشكالها ومن أهم أنواعها: المعرفة الكيميائية، المعرفة الفيزيائية، المعرفة البيولوجية، المعرفة الفلكية، والجيولوجية والطبية وغيرها.

✓ **المعرفة الإنسانية:** وهي المعرفة المتعلقة بالظواهر الإنسانية التي تتشكل عن العلاقات السائدة في المجتمع بمؤسساته المختلفة مثل المعرفة الاجتماعية والاقتصادية، والمعرفة السياسية والنفسية والمعرفة الإدارية.

- **المعرفة من حيث الشكل والطبيعة:** في هذا المجال فإنه يلاحظ، بأن المعرفة تختلف من حيث طبيعتها وشكلها باختلاف المستوى الإدراكي للفرد الإنساني بالوصول إليها ويرى **كيرلنجر Kerlinger**، أن الإنسان يحتاج في حياته إلى ثلاث أنواع من المعرفة يستطيع الحصول من خلالها على ما يريد من معلومات ومعارف وهذه الأنواع هي:

✓ **المعرفة الحسية:** وتتشكل لدى الفرد الإنساني نتيجة التفاعل الحسي من خلال حواسه الخمسة المستخدمة لاكتشاف الظواهر الكونية والإنسانية المحيطة به عن استخدام الممارسة والخطأ في الحياة اليومية، وأن هذه المعرفة لا ترقى إلى مستوى التحقيق العلمي ولا تؤدي إلى معرفة العلاقات القائمة بين الظواهر والمتغيرات المختلفة وأسباب حدوثها.[2]

✓ **المعرفة الفلسفية:** وهي أرقى من المعرفة السابقة وتستند على التفكير واستعمال العقل بصورة شمولية كلية، وتعد أصل المعرفة الإنسانية المنظمة، وقد سادت الحضارة الإنسانية وقدمت معارف مهمة استند إليها الباحثون في

---

[1] المرجع السابق، ص ص45-47

[2] علي معمر عبد المؤمن: **البحث في العلوم الاجتماعية، الوجيز في السياسات والمناهج والتقنيات**، منشورات جامعة 7 أكتوبر، ليبيا، ط1، 2008، ص ص41-42

أبحاثهم، وهذا عن المعارف التي تبحث في مسائل نظرية وتتطلب جهدا عقليا أكثر مما تتطلبه الأمور اليومية التي تواجه الإنسان العادي، والمعارف هنا تعتمد بشكل أساسي على التأمل والقياس في تفسير الظواهر، وتبحث في مواضيع يتعلق بعضها بما وراء الطبيعة، ومن هذه المعارف الفلسفية ما جاءت في الفلسفة اليونانية والفلسفة الرومانية والفلسفة الإسلامية.

✓ **المعرفة العلمية:** وهي معرفة مؤكدة تثبت صحتها بموضوعية بعيدا عن التحيزات والرغبات والانفعالات الشخصية، وهي المعرفة التي يتم فحصها وتدقيقها وتصل إلى الفرد الإنساني عن طريق الآخرين نتيجة جهودهم البحثية، أو قد تأتي نتيجة جهود ذاتية، وتقوم على تفسير الظواهر المختلفة باعتماد الملاحظة العلمية المنظمة للظواهر بصياغة الفروض والتحقق منها بالتجربة من خلال جمع البيانات وتحليلها للوصول إلى نتائج أكثر صدقا وثباتا، ويضيف **عبد المعطي** على هذه الأنواع بما يطلق عليه بالمعرفة البدائية وهي التي تكون بصورة معلومات وأفكار غير مترابطة، يشكلها الفرد الإنساني بالمشاهدة والخبرة وتفسيرات شخصية، وهي معرفة جزئية لا تمكن الفرد الإنساني من أن يشكل صورة شاملة ومترابطة كلية حول الظاهرة المراد التعرف عليها، وتتصف هذه المعرفة بالسطحية والتأثر بأراء الآخرين والتفسيرات الانفعالية.[1]

تتداخل العديد من العوامل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والنفسية في تكوين المعرفة العلمية، فإنتاج الأفكار في مختلف المجالات المعرفية عملية مرتبطة بالنشاط المادي والاجتماعي للبشر الذي يختار أنواعا معينة ويرفض أنواعا أخرى، لا لأنها، لا ترقى إلى علميتها ودقتها وأخذها بالمعايير والمقاييس التي لا يمكن التشكيك فيها، بل إنها لا تخدم أوساطا أو جهات رسمية معينة التي قد تبرر ذلك بحفظ وعدم انفجار البنى الاجتماعية والاقتصادية وزاعمة أيضا إلى استتباب الأمن وصيانة النظام والمصلحة العليا للبلاد، إن النظريات والاكتشافات العلمية تخضع للعوامل والمصالح الاجتماعية لدرجة يمكن القول معها أن المعرفة العلمية اجتماعية أكثر منها معرفة تجريبية منطقية، إن المجتمع هو الذي يتحكم في العقل العلمي ويسيره ويحدد معنى مفاهيمه وأدواته وشهاداته، وإلا فما هو السبب في اختلاف تأويل العلماء وتفسيرهم للظاهرة نفسها التي يشاهدونها عبر مر العصور، ولِمَا يرى كل منهم شيئا في الظاهرة لا يراه الآخرون، إن الجواب على هذه الأسئلة يتمثل في وجود أدوات ذهنية تقع خلف الأدوات التجريبية، وأن هناك قواعد مسبقة هي التي تستحكم في عمل التفكير العلمي وتقربنا من مشكلات وتبعدنا عن أخرى.[2]

---

[1] المرجع السابق، ص ص 42-43

[2] الهيتي توفيق: **المعرفة العلمية والعوامل المؤثرة فيها، (الطب نموذجا)**، مطبعة أميمة، فاس، المغرب، ط1، 2008، ص ص14-16

إن المفاهيم العلمية والاكتشافات أخذت تظهر وكأنها نتيجة للفعل الاجتماعي أكثر من كونها نتيجة للفعل العلمي، إن قضايا التنافس والتمويل والغيرة والتراتبية الاجتماعية للعلماء والمصالح الاجتماعية من خداع وغش، لهم دور كبير في عملية تكوين الحقيقة وآليات المكتشفات، كما أن السلوكيات الحسنة للعلماء داخل المؤسسات العمل بصدق وإخلاص وتفان وحب للحقيقة ولا شيء غير الحقيقة العلمية الثابتة، يؤثر بشكل كبير على المعرفة العلمية.

في هذا الإطار، يطرح الباحثون السؤال التالي: **هل لعقول العلماء وما يوجد فيها من أفكار وموروثات ثقافية وعقد نفسية دورا في تفكيرهم العلمي؟**، وهل **للقيم الاجتماعية والوسط المحيط وعقلية عصر من العصور أثر في تبني العلماء نظريات دون غيرها؟، وبالتالي هل العلم يتعلق بالعوامل الخارجية المحيطة به وبعلمائه، أكثر من تعلقه بتجاربه وملاحظاته؟**

فالإجابة عن هذه الأسئلة، تثبت دور الأفكار والخرافات الموروثة والمغامرات والمعرفة العامية، في تسيير بحوث العلماء أكثر مما تسيرها التجارب العلمية، ولعل هذا ما يفسر ظهور الأفكار الغريبة التي كانت تسكن عقول العلماء عن الذهب والنار والأحجار الكريمة ومحاولة إعطاء هذه الأشياء طابعا روحيا يبعدها عن طابعها المادي البحت ويعطيها مكانة أرفع من مكانة الأشياء المادية الأخرى.

إن الانتقال من نموذج علمي إلى آخر في عصر ما يسمى(ثورة)، مثل ذلك ما يجري في عالم السياسة، حينما تضعف المؤسسات الوطنية ويدب فيها الفساد والرشوة ويشعر أفراد الشعب بأن النظام ليس قادرا على تسيير أمورهم وإنصافهم في كل من الثروة والسلطة، تظهر بوادر التغير وطبعا يلجأ إلى شن حملات إعلامية لإقناع الجماهير بتفوق نموذج ما وقدرته على تلبية تطلعاتهم، وفي الغالب تنتصر القوة التي تطالب بالتغيير وبالطريقة نفسها التي تنتصر في ميدان العلم.

النموذج الذي يستطيع حشد عدد كبير من العلماء للدفاع عنه وتقديم البحوث التي تبين أنه النموذج الأقدر على إيجاد التغيرات المناسبة للظواهر الجديدة وفحوى المقارنة بين الثورات السياسية والعلمية، أن النماذج الإرشادية لا تنتصر على بعضها عن طريق البراهين المنطقية والأدلة التجريبية، بل عن طريق حصول النموذج على موافقة المجتمع العلمي لأنه السلطة الأعلى التي تحسم المنافسة بين النموذج، كما يجب ألاّ لا ننسى دور السلطة بمعنى الدولة في تكوين وصياغة الأفكار، حيث غالبا ما تكون هذه الأفكار تصب في مصلحتها وإن كانت غير منطقية وصحيحة إلى حد ما.[1]

[1] المرجع السابق، ص ص 16-17

يرى **شيلر**، أن أشكال المعرفة تتنوع تبعا للبيئة الثقافية التي تنشأ وتنمو فيها، لأن المعرفة تتكيف مع هذه البيئة أو المناخ الثقافي، ومن ثم يتعين على علم اجتماع المعرفة، أن يبحث عن الأصول لكل أشكال المعرفة بما في ذلك الأوهام والأساطير والخرافات وصور الخداع والمغالطات والتضليل، إذ لابد أن تكون الصور جميعا مرتبطة بعناصر موجودة في البناء الاجتماعي والثقافي الذي توجد فيه، ويصنف **شيلر** المعرفة في سبعة أشكال، كما يلي:

- المعرفة الأسطورية والخرافية.
- المعرفة المضمرة في اللغة الشعبية والمأثور الشعبي.
- المعرفة الدينية.
- المعرفة الصوفية.
- المعرفة الفلسفية والميتافيزيقية.
- المعرفة الوضعية المجردة كما في الرياضيات.
- المعرفة الفنية التكنولوجية.

وحسب فرضية **شيلر**، أن المعرفة العلمية البحتة تتغير من يوم إلى لآخر، بل من ساعة إلى أخرى، وذلك لأن هذه المعرفة ليست لصيقة بالواقع الثقافي والاجتماعي، أما أنواع المعرفة التي تمس عواطف الناس ومشاعرهم بصورة مباشرة، فإنها تتغير ببطء لأنها تؤثر مباشرة في الواقع الثقافي والاجتماعي، كما أنها تشبه مقولة **الفريد فيبر**: " في أن التغير الحضاري يسبق التغير الثقافي".

ويؤكد **شيلر**، على الطابع الاجتماعي للمعرفة، ويقول: " إن الطابع السوسيولوجي لكل معرفة، ولكل أشكال الفكر، ... أمر مسلم به. والأشكال التي تتخذها العمليات العقلية التي تكتسب المعرفة بواسطتها. تتقرر جميعا سوسيولوجيا، بواسطة البناء الاجتماعي ".[1]

فهناك من يقسم المعرفة البشرية على أساس فطري أو مكتسب:

- **المعرفة الفطرية:** هذا الصنف يوجد في عقل ونفس الإنسان بالقوة منذ ولادته، وهي مسائل وقضايا بديهية أولية قبلية.
- **المعرفة المكتسبة:** هذا النوع من المعارف البشرية، يكتسبه الإنسان من خلال الاكتساب والتجارب والمشاهدة، ويطلق عليه المعرفة التجريبية البعدية أو المعرفة المكتسبة.[2]

---

[1] نبيل رمزي: **سوسيولوجيا المعرفة (جدل الوعي والوجود الاجتماعي)**، دار الفكر الجامعي، مصر، الجزء الأول، 2001، ص ص74-75

[2] جعفر عباس حاجي: **نظرية المعرفة في الإسلام (دراسة مقارنة لأهم الأسس والمفاهيم المتعلقة بنظرية المعرفة في الإسلام وبقية المذاهب الفلسفية الأخرى)**، مكتبة الألفين للطباعة والنشر والتوزيع، كويت-بيروت، لبنان، ط1، 1986، ص 85

يقترح **كانط** أيضا نوعين من المعرفة: المعرفة القبلية أو المسبقة، والمعرفة البعدية، الأولى يمكن الحصول عليها بشكل مستقل عن الخبرة، والثانية يمكن الحصول عليها من الخبرة فقط، وبين التحليل والتركيب، تظهر أن المعرفة القبلية، على أنها معرفة صحيحة بحكم التعريف لكنها لا تخبرنا بأي شيء عن الواقع، على سبيل المثال: " لا يوجد شخص واحد متزوج "، أما الثانية فهي أحيانا قد تكون كاذبة، أو غير صحيحة، لكنها تعلمنا بشيء عن الواقع، على سبيل المثال: " كل العزاب مكتئبون".[1]

من أبرز الفلاسفة المسلمين الذين صنفوا المعرفة تبعا لقاعدة أو ميزان الاكتساب، أو عدم الاكتساب، الفيلسوف الإسلامي ابن **سينا، الذي** قسم المعرفة على أساس ثلاث فئات رئيسية هي:

-**المعرفة بالفطرة،** تتمثل في الإدراكات والحقائق والمبادئ الأولية، مثل الكل أكبر من الجزء، وأن الواحد نصف الإثنين.

-**المعرفة بالفكرة:** وهي معرفة مكتسبة، وتكون بإدراك المجردات المعقدة والكليات العامة، ولا يدركها إلاّ من وصل إلى مرتبة العقل المستفاد.

-**المعرفة بالحدس:** فهذا النوع لا يحتاج فيه الإنسان إلى العقل الفعال، ولا يستلزم منه بذل جهود مضنية ولا يحتاج إلى تخريج وتعليم، ومنه تجدر الإشارة إلى أن الاستعداد الحدسي بمختلف أصنافه، له درجات متباينة بين الجنس البشري، وكذلك بالنسبة للمعرفة بالفكرة أو بالحدس أو بالفطرة فهي متفاوتة ومتباينة بين أفراد الجنس البشري.

أما الفيلسوف الإسلامي **ابن رشد** فيقسمها على أساس صفة الخصوصية والعمومية:

-**المعارف العامة:** أو ما تسمى المعارف الأولى، وهي معروفة بنفسها، سواء بالرأي أو بالطبع.

-**المعارف الخاصة:** كالتي يعرفها الإنسان بالقياس العقلي أو النظري، أي استنباط المجهول من المعلوم.

وهناك من يقسم المعرفة البشرية طبقا لوضوحها وغموضها، أو من حيث بساطتها وتعقيدها إلى معارف: بديهية بسيطة واضحة.

- نظرية معقدة في عملية اكتسابها.[2]

بالإضافة إلى أن هناك أنواع أخرى من المعرفة مثل، المعرفة الأساسية، المعرفة غير الأساسية، المعرفة المباشرة، المعرفة الاستدلالية، المعرفة العلمية والمعرفة الدينية، المعرفة الحدسية، المعرفة الخاصة بالإدراك الحسي،

[1] Olivier Tschannen : **Histoire de la sociologie et théorie sociologique,** ***Support de cour,*** **RESSOURCE ELECTRONIQUE :** *classiques.uqac.ca/inter/ressources/sociologie/tschannen/tschannen_histoire_socio.PDF*

[2] جعفر عباس حاجي، مرجع سبق ذكره، ص ص85 -88

معرفة الذاكرة، معرفة العالم الفيزيائي، معرفة العالم العقلي.[1]

تباينت مصادر المعرفة باختلاف الاتجاهات الفكرية، وقد انقسم الفلاسفة والمفكرون بخصوص إمكانية المعرفة ومصدرها إلى عدة مذاهب ومدارس، لقد اهتمت الفلسفة الحديثة والمعاصرة بالبحث عن مصادر المعرفة اهتماما جديا، وانقسمت بذلك إلى مدارس فلسفية رئيسية تتفق فيما بينها على جملة من الأسس والبديهيات والقواعد الأساسية لمصدر المعرفة، وأبرز هذه المدارس:

– **الاتجاه العقلي:** ويمثل هذا الاتجاه الفلاسفة العقليون وهم **(ديكارت– لايبنتز– سبينوزا)**، اتفقوا في مصدر المعرفة على جملة من المبادئ الرئيسية منها: المعرفة الحقيقية، يستقل بها العقل وحده وأنها في طبيعتها أفكار وتصورات، لكنهم يختلفون فيما إذا كانت هذه الأفكار فطرية في العقل أم هي في مستوى أعلى منه.

يرى فلاسفة هذا الاتجاه، أن الصورة المثلى للمعرفة هي تلك التي يمثلها البرهان الرياضي، لأن هذه البراهين تبدأ ببديهيات أو حقائق واضحة بذاتها، وعن طريق سلسلة من الاستنباطات والاستنتاجات المتدرجة إلى نتائج منطقية ضرورية لا رجوع عنها، والسؤال الذي طرح على الفلاسفة العقليين: **كيف نصل إلى الحقيقة باعتماد العقل مصدرا للمعرفة؟**

يجيب على هذا السؤال كبير الفلاسفة العقلانيين **ديكارت**، بأن ذلك يتم باعتماد المنهج العقلي الذي يبدأ من الشك، إلى اليقين وفق قواعد معروفة، هي قاعدة الشك وقاعدة التحليل وقاعدة التركيب وقاعدة الإحصاء، والمنهج الديكارتي أساسه قائم على الشك في كل معرفة نحصل عليها من الحواس لنصل في خطوة ثانية لإثباتها، عن طريق الفكر، إذ يقسم **ديكارت** الأفكار إلى ثلاث أنواع: أفكار فطرية فينا ـ وأفكار تأتينا من خارج أنفسنا ـ وأفكار نخلقها خلقا.[2]

– **الاتجاه التجريبي:** يعتبر هذا الاتجاه الخصم المألوف للاتجاه العقلي في مصدر المعرفة، حيث يصرح أتباعه، بأن مصدر كل معرفة هو الحس أو التجربة، إذ يذهب أحد فلاسفة هذا الاتجاه إلى القول: " **أننا نعرف ما هتدينا إليه** "، كما وجه هذا الاتجاه انتقادات أساسية إلى الاتجاه العقلاني حول مصدر المعرفة، ومن هذه الانتقادات: أن المبادئ الأولية الواضحة عند العقليين هي مبادئ مستمدة من التجربة الحسية، فضلا عن أن مبدأ العلية التي قال بها العقلانيون هو أيضا مبدأ تجريبي تراكمي مستمد من الملاحظات الحسية، أبرز الفلاسفة التجريبيين: **جون لوك وديفيد هيوم**، إذ يصرح **لوك** أن العقل يولد صفحة بيضاء، وأن التجربة الحسية هي التي تخط سطورها على

[1] صلاح اسماعيل: **نظرية المعرفة المعاصرة**، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2005، ص 34

[2] حسن مجيد العبيدي: **من الآخر إلى الذات (دراسات في الفلسفة الحديثة والمعاصرة والفكر الفلسفي العربي المعاصر)**، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص ص16–17

هذه الصفحة البيضاء، ما يعني أن **جون لوك،** قد رفض الأفكار الفطرية التي قال بها **ديكارت** وتبريره في ذلك، أنه لو وجدت معاني فطرية وقضايا موروثة لتساوى في العلم بها الناس في كل زمان ومكان، في حين يذهب **لوك** إلى تفسير مصدر المعرفة والفكر تفسيرا آليا عن طريق تداعي المعاني وترابطها

ترابطا آليا ميكانيكيا، لا يدع مجالا لفاعلية ذهنية كبيرة، والتجربة الحسية عند **لوك** نوعان: تجربة تأتي عن طريق الأشياء الخارجية الموجودة في العالم، وتجربة إدراك تأملي عن طريق العمليات الذهنية.[1]

أما نظيره الفيلسوف **ديفيد هيوم،** فقد قسم الادراكات إلى قسمين: هما الانطباعات الحسية والأفكار.

– **الاتجاه النقدي عند كانط:** خط هذا الاتجاه الفيلسوف الألماني **كانط،** في كتابه **(نقد العقل الخالص)**، والذي جمع فيه رأي العقليين والتجريبيين في مصدر المعرفة، وبذلك فهو قد أحدث ثورة في نظرية المعرفة، شبهها الباحثون **بالثورة الكوبرنيكية*** في الفلك، إذ قرر هذا الفيلسوف أن المعرفة لا تتم بالخبرة الحسية وحدها ولا العقلية وحدها، بل بهما معا، والمقصود بالنقد هنا، تحليل الأحكام التي تطلق على الأشياء أو تحليل المعرفة تحليلا ينتهي بها إلى استخراج الأصول الصورية التي لابد من افتراضها لكي نطلق ما أطلقنا من أحكام، بمعنى لابد من افتراضها لكي نعرف ما نعرف. إذن فموقف **كانط** من مصدر المعرفة، لا يمكن أن ينظر إليه، إلاّ من خلال هذه الزاوية، باعتبارها محاولة ذاتية لتشكيل العالم أو إخضاع الطبيعة لقوانين العقل، فهو اتجاه عقلي شارط، أي أنه يضع شروط التي تدرك بواسطتها.

– **الاتجاه الحدسي:** يتفق الحدسيون مع المتصوفة، أن الحق أو الله لا تكون الوسيلة إلى معرفته: الحواس أو العقل، ولا بكليهما، بل تكون الوسيلة إلى معرفته هي: الحدس أو العيان المباشر أو البصيرة، والمعرفة هي إمتزاج شخص العارف بالشيء المعروف، حتى لا تكون هناك تفرقة بين الذات من جهة والموضوع من جهة أخرى، يقدم الحدسيون والمتصوفة دليلا على قولهم، أن الإنسان لا يعرف أنه موجود لا بعينه أو أذنه، لأنه لو أغلق هذه الأبواب التي يطل منها على العالم فسيعرف أنه موجود، يعني أن الإنسان لا يعرف نفسه بمقدمات برهانية، بل بالإدراك المباشر، وهذا الإدراك المباشر، يطلق عليه اصطلاحا "**الحدس**".[2]

---

[1] المرجع السابق، ص ص17–18

***الثورة الكوبرنيكية:** نسبة إلى نيكولاس كوبرنيكوس، وهو عالم في الرياضيات وفيلسوف وفلكي وطبيب. بولندي، اكتشف سنة **1520** أن الأرض كوكب يدور حول الشمس كالكواكب الأخرى، خلافا للفكرة القديمة عن أن الأرض مركز الكون، وهكذا أطلق **كانط** إسم الثورة الكوبرنيكوسية على فلسفته الجديدة، أقام **كانط** ثورة منهجية سماها ثورة كوبرنيكوس في مجال الفلسفة، إذ أراد أن يقيم الفلسفة والميتافيزيقيا على أساس علمي وذلك من خلال نقد العقل، (حنان علي عواضة: **الفلسفة النقدية لكانط، طبيعتها تطبيقاتها**، مجلة الأستاذ، كلية التربية، جامعة ابن رشد، بغداد، العراق، المجلد 1، العدد 203، 2012، ص 656)

[2] حسن مجيد العبيدي، مرجع سبق ذكره، ص ص19– 20

أبرز فلاسفة هذا الاتجاه **هنري برغسون**، فالحدس البرغسوني، هو حدس ذو رؤية وجدانية بخلاف حدس ديكارت الذي هو رؤية عقلية مباشرة، ويقصد برغسون من الحدس، هو أن ثمة تيارا متصلا أو أمواجا متدفقة قائمة دونما انقطاع في جميع الموجودات، حتى إن من يعرف نفسه معرفة وثيقة، يعرف في الآن ذاته كل شيء معرفة وثيقة أيضا، أما موقف **برغسون** من العقل، يرى أنه ليس بغريزة مصقولة مستكملة، فيوجه بذلك انتقادات للاتجاه العقلي في مصدر المعرفة:

- لا يستطيع العقل لمس الشيء موضوع المعرفة لمسا سطحيا يتناوله من الخارج فقط.
- المعرفة العقلية معرفة نسبية.
- المعرفة العقلية، معرفة مجردة، كمية للشيء.
- المعرفة العقلية، معرفة ميتة، ستاتيكية لا تستطيع أن تنقل إلينا إلاّ حالة واحدة للشيء وهي حالته الثابتة.
- المعرفة العقلية تلجأ إلى تحليل الشيء موضوع المعرفة إلى أجزاء، ثم تقوم بتركيبها فيما بعد، ومنه فإن تحديد الحدس عند **برغسون**، هو معرفة العقل للعقل وهو ما أشار إليه في كتابه" الفكر والواقع المتحرك ".[1]

- **الاتجاه البراغماتي:** يعتبر هو الآخر ثورة على الفلسفة الكلاسيكية في نظرية المعرفة، كما طرحها العقلانيون والتجريبيون معا في الفلسفة الحديثة، إذ يرى أصحاب هذا الاتجاه، أن الطريق الموصل للمعرفة ليس العقل، وإنما الفعل أو السلوك، وأبرز من يمثل هذا الاتجاه في المعرفة **تشارلز بيرس** في كتابه (**كيف نجعل أفكارنا واضحة ؟**)، و **وليم جيمس** في كتابه (**إرادة الاعتقاد**)، فقد ذهب هذا الأخير إلى القول: " إذا أردنا أن نحصل على فكرة واضحة لموضوع ما، فليس علينا إلاّ، أن ننظر إلى الآثار العملية التي يظن أنه قادر على أن يؤدي إليها والنتائج التي تنتظر منه، ورد الفعل الضار الذي قد ينجم عنه، وإذا كانت الصورة العقلية التي لدينا عن هذا الموضوع ليست حقا صورة جوفاء، فإنها ستنحل في نهاية الأمر إلى مجموعة من الآثار العملية التي تتوقعها منه"، إن هذا الموقف البراغماتي من مصدر المعرفة، إنما هو مهاجمة للموقف العقلي، إذ أن البراغماتية ترى أن الماهيات العقلية لا وجود لها، بل الموجود هو الآثار السلوكية التي تتحقق فيها الفكرة.

-**الاتجاه الوجودي:** هذا الاتجاه، هو الآخر ثورة في نظرية المعرفة على المفهوم العقلي الديكارتي، وأبرز شخصية فلسفية ممثلة لهذا الاتجاه " **كير كجورد** "، الذي رد على المفهوم الديكارتي " **انا أفكر إذن انا موجود** "، بقوله: " **كلما ازدت تفكيرا قل وجودي** "، أو " **أنا أفكر، فأنا لست موجودا** "، وبهذا يقلل من قيمة العقل مصدرا للمعرفة الوجودية ويعلي في الوقت نفسه من قدر التجربة الوجودية الحية، إذ أن الفلاسفة الوجوديون ينطلقون من

[1] المرجع السابق، ص ص20-22

الوجود الإنساني بأكمله باعتباره حقيقة واقعية كلية لا تتجزأ ويجعل الوجوديون محور تفكيرهم منصبا على وجود الإنسان في العالم والتحامه معه التحاما مباشرا، وفضلا عن الفيلسوف " **كير كجورد** "، هناك " **مارتن هيدغر وجان بول سارتر**" ، من الفلاسفة الذين ذهبوا إلى الرأي ذاته.[1]

-**الاتجاه المادي الجدلي:** يقوم هذا الاتجاه في نظرية المعرفة على المقدمات التالية:

- ✓ إن الفكر هو انعكاس لما يقع خارجه في العالم المادي الطبيعي والاجتماعي، وهذا نتيجة طبيعية لاعتقاده باستقلال المادة وأسبقيتها في الوجود على الفكر.
- ✓ إن الوعي أو الفكر، ليس إلاّ أحد النواتج العليا للمادة، أي أنه لا يصدر عن جوهر روحي في الإنسان، بل أنه يمثل تطورا كيفيا.
- ✓ يترتب على هذا الاتجاه الاعتقاد بوجود العالم وجودا موضوعيا واقعيا أمام الإنسان.
- ✓ إن نظرية المعرفة ليست ولا يمكن أن تكون منفصلة عن الوجود أو الأنطولوجيا، لأنها تمثل جزءا منها، وهذه نتيجة طبيعية لنظرتها للإنسان على أنه كائن منتشر في وسط، وأنه لا يمثل ذاتا واعية مقفلة على نفسها.
- ✓ المعرفة ليست مجرد تأمل، بل أداة ووسيلة للتغيير، تغيير وجه العالم والمجتمع.
- ✓ أبرز الفلاسفة القائلين بهذه الفلسفة هم: **كارل ماركس وفريدريك أنجلز، وفلاديمير لينين.**[2]

يقسم علماء التربية طرق الحصول على المعرفة إلى:

طرق قديمة وأخرى حديثة، ومن هؤلاء **(فان دالين)**، الذي يشترك مع **احمد بدر** في تحديد مصادر المعرفة وهي:

- **المصادفة والمحاولة والخطأ:** يتعلم كل فرد منا حقائق جديدة، وأفكارا جديدة عن طريق الصدفة، أو المحاولة والخطأ، وربما كانت معرفة الإنسان الأولى بالنار عن طريق الصدفة، والمحاولة والخطأ، ومن خلال هذه المرحلة الأولى، تم بناء جسد المعرفة المفيدة، عن العالم هذه المرحلة الأولى من التعلم هي " مرحلة المعرفة الحسية".

- **مصادر الثقة والتقاليد السائدة:** و تتمثل تلك المصادر في السلطة التي قد يلجأ إليها الإنسان طلبا للمعرفة، والتقاليد السائدة في ثقافة معينة وذلك فيما يتصل بأنماط الثياب والحديث والطعام والقيادة والسلوك، والخبراء الذين يلجأ إليهم الإنسان أحيانا طلبا لشهادتهم على أساس أنهم أكثر علما من عيرهم نظرا لما يتصفون به من ذكاء وتدريب وخبرة واستعدادات، وعلى الرغم من أهمية تلك المصادر، فإن الاعتماد عليها كلية أمر له محاذيره، ففي

[1] المرجع السابق، ص 23

[2] المرجع السابق، ص 24

العصور الوسطى وقفت السلطة حائلا دون تقدم العلوم الطبيعية وذلك على زعم ما أتى به **غاليلو** من أفكار وتصورات يتعارض مع المعرفة السائدة في ذلك الوقت ومع ما جاء في الكتاب المقدس، يضاف إلى ذلك أن الحضارة الغربية في ذلك الوقت كانت تعتمد بدرجة كبيرة على تعاليم **أفلاطون وأرسطو** وغيرهم، فقد كان هناك افتراض بأن السابقين قد توصلوا إلى اكتشاف الحقيقة كاملة. [1]

– **الخبرة الشخصية:** يبني الإنسان في مراحل حياته المختلفة تصوراته الخاصة والذاتية عن كثير من القضايا والأحداث والظواهر التي تواجهه في حياته، وبعض هذه التصورات يكون نتاج محاولاته التي يقوم بها والأخطاء التي يقع فيها في أثناء تلك المحاولات، ثم التوصل إلى حل صحيح، كما أن جزءا من هذه التصورات يتكون نتيجة استشارة أهل السلطة والخبراء.

– **التفكير الاستنباطي:** قد يستخدم الإنسان التفكير الاستنباطي كوسيلة للحصول على المعلومات، وفي الاستنباط يرى الإنسان أن ما يصدق على الكل يصدق أيضا على الجزء، لذا فهو يحاول أن يبرهن منطقيا على أن ذلك الجزء يقع منطقيا في إطار الكل، ويستخدم لهذا الغرض وسيلة تعرف بالقياس، وقد ظل التفكير الاستنباطي أهم طرق الحصول على المعرفة قرونا طويلة، ولا يزال حتى اليوم يفيد في حل الكثير من المشكلات التي تواجههم في حياتهم الشخصية، فالمنطق الاستنباطي إذن له حدوده ونقائصه، على الرغم من أنه وسيلة مفيدة للحصول على معلومات، ولا يمكن الاعتماد على المنطق الاستنباطي وحده في البحث عن الحقيقة، لأنه ليس وسيلة كافية لتحصيل معرفة يمكن الاعتماد عليها. [2]

– **التفكير الاستقرائي:** مادامت النتائج التي يصل إليها الإنسان عن طريق التفكير الاستنباطي لا تصدق إلاّ إذا اشتقت من مقدمات صادقة، فقد وجب عليه أن يجد وسيلة للتحقق من صدق القضايا الأساسية، ولذلك ابتكر التفكير الاستقرائي ليكمل عمل التفكير الاستنباطي في البحث عن المعرفة، وفي التفكير الاستقرائي يجمع الباحث الأدلة التي تساعده على إصدار تعميمات محتملة الصدق ويبدأ بحثه بملاحظة الجزئيات ووقائع محسوسة، ومن خلال هذا البحث يصدر نتيجة عامة عن طريق الاستقراء، فمن الممكن أن يستخدمها كقضية كبرى في استدلال استنباطي.

– **المنهج العلمي:** المنهج العلمي هو المنهج الذي يتوصل فيه الباحث إلى نتائج عامة في ضوء الوقائع التي قام بملاحظتها، وذلك من خلال مروره بعدد من الخطوات وقيامه ببعض العمليات العقلية، والمنهج العلمي يجمع

---

[1] حمدي أبو الفتوح عطيفة: **منهجية البحث العلمي وتطبيقاتها في الدراسات التربوية والنفسية**، دار النشر للجامعات، للقاهرة، ط1، 1996، ص ص15– 17

[2] المرجع السابق، ص ص17– 19

بين عمليات التفكير الاستنباطي والاستقرائي، ويمر الباحث الذي يستخدم منهج البحث العلمي بمراحل أساسية: الشعور بالمشكلة–حصر وتحديد المشكلة – اقتراح حلول للمشكلة – استنباط نتائج الحلول المقترحة – اختبار الفروض عمليا، وهذه الخطوات توضح كيف يعمل الاستقراء والاستنباط كسلاحين للعلم، يصل بهما إلى الحقيقة.[1]

بوجه عام يمكن القول، أن تطور وسائل الإنسان في البحث عن المعرفة، قد انعكست على طبيعتها ومستوياتها حتى وصلت إلى الدقة العلمية التي لا تأتي نتيجة اجتهاد ذاتي عفوي من الباحث، بل نتيجة سير العقل تنظيما مرتبطا بقواعد وأصول يلتزم بها في اتجاهه نحو المعرفة، ويلخص الباحثون تطور المعرفة من خلال مراحل التفكير الإنساني والتي حددوها في:

- التفكير البدائي.
- سلطة الخبرة الشخصية في الحكم على الأمور.
- التفكير الذي مصدره السلطة.
- التفكير القياسي.[2]

ومنه نستنتج، أن العلماء والمفكرين، قد اجتهدوا للوصول إلى معارف علمية، بغية الإجابة عن الكثير من الأسئلة وكذلك لإيجاد حلول للمشكلات التي تعيشها المجتمعات، فتعددت بذلك رؤاهم حول البحث عن أهم مصادر المعرفة العلمية، وأيهما يحقق نتائج دقيقة، وفعلا فتعددت المصادر كان له الأثر الإيجابي في تحصيل معارف علمية، لأن طريق المعرفة ليس واحدا، يختلف باختلاف نوع المعرفة محل البحث.

3- دراسات اهتمت بالمعرفة العلمية الجامعية:

لقد أظهر لنا البحث بالمكتبات الجامعية الوطنية، وكذلك المكتبات العربية لمصر والمغرب، بالإضافة إلى البحث الالكتروني في مواقع علمية مهمة، أنه لا يوجد دراسات ذات العلاقة بموضوع الأطروحة، لكننا حاولنا أن نوظف دراسات ذات العلاقة ولو جزئية بالموضوع، في محاولة للكشف عن تأثير الحوار على تطور المعرفة العلمية والبحث السوسيولوجي خاصة، أو تأثير التعصب على البحث العلمي، لقد تمكنا من الحصول على دراسات كانت فيه الاشارة فقط لموضوع الحوار وتأثيره على البحث العلمي، لكن بصورة ضمنية، حاولنا أن نستنتجها من خلال نتائج هذه الدراسات.

---

[1] المرجع السابق، صص20–22

[2] نهى سعدي أحمد مغازي: **أسس البحث العلمي**، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، مصر، ط1، 2013، ص 15

وهذا ما سنوضحه من خلال عرض بعضا من هذه الدراسات والتي شملت دراسات جزائرية وعربية وأجنبية، لمعرفة جوانب الاختلاف والاتفاق من الناحية المنهجية والأدوات المستخدمة في البحث وكذلك العينة التي وجه نحوها البحث، ومدى الاستفادة منها في دراستنا الحالية.

3-1.عادل مستوي، سمير كسيرة (2015)

عالجت الدراسة موضوع: **التعليم العالي وإشكالية تطوير وإنتاج المعرفة العلمية في الجزائر (رؤية تحليلية خلال الفترة 1990- 2013)**، تهدف هذه الدراسة إلى تشخيص بعض مؤشرات قطاع التعليم العالي والبحث العلمي في الجزائر خلال الفترة (1995-2013)، تحديد وإبراز دور الجامعة الجزائرية ومخابر البحث العلمي في إنجاز وخلق البحوث والمعرفة العلمية وتحديد أهم التحديات والمعوقات التي تواجه التعليم العالي في الجزائر في إجراء البحوث العلمية وإنتاج المعرفة العلمية، اعتمد الباحثان على المنهج الوصفي، الذي يستند إلى عرض البيانات وتبويبها ومن ثم تحليلها، حيث اعتمد الباحثان في هذه الدراسة على أدوات الإحصاء الوصفي وكذا برنامج معالج الجداول (**MS-EXEL**)، لتحليل المعطيات والبيانات الرقمية وقد اعتمدا على المذكرات، المجلات، والملتقيات العلمية والاطلاع على بعض المواقع على الأنترنت لجمع المعطيات والبيانات.

وقد أظهرت نتائج الدراسة والتي حددها الباحثان في خصائص ومميزات البحث العلمي:

- ليس لدينا سياسة إستراتيجية واضحة للبحث العلمي في الجزائر.
- ليس لدينا ما يسمى بصناعة المعلومات.
- ليس لدينا مراكز للتنسيق بين المؤسسات والمراكز البحثية.
- ليس لدينا صناديق متخصصة بتمويل الأبحاث والتطوير.

بالإضافة إلى تأخر عملية نقل المناهج العلمية والعملية والأنظمة العلمية والمعلوماتية التقنية من الدول المتقدمة إلى الجزائر، لضعف الاتصال بين الجامعات الجزائرية والغربية

ويرجع الباحثان هذه الخصائص المتدنية حول التعليم العالي في الجزائر، إلى فشل السياسات في هذا القطاع الحساس وعدم الاهتمام به وضعف التكوين الجامعي والقاعدي للطلبة من جهة والتحديات الداخلية والخارجية

والمشاكل الجمة التي يواجهها هذا القطاع من جهة أخرى.[1]

3-2. دراسة مشحوق ابتسام (2012)

الدراسة موسومة بـ: **العلاقة بين إنشاء مخابر البحث العلمي وتطوير الإنتاج العلمي في الجزائر(دراسة حالة جامعة فرحات عباس سطيف)**، هدفت الدراسة إلى التعرف على:

- واقع الانتاج العلمي بمخابر البحث لجامعة فرحات عباس.
- رصد العلاقة بين إنشاء المخابر البحثية بالجامعة وتطوير الإنتاج العلمي.
- محاولة دراسة الفروق في الإنتاج العلمي للأساتذة حسب الرتبة العلمية.

- استخدمت الباحثة المنهج الوصفي باعتباره المنهج الأنسب لهذه الدراسة، وكذلك اعتمدت على منهج تحليل المضمون، وقد تم الاستعانة بالاستمارة كأداة لجمع البيانات، بالإضافة إلى استبيان مكون من **34** بند للتعرف على تنظيم وسير المخابر ودورها في إثراء الانتاج العلمي، فوجهت الدراسة لأعضاء هيئة التدريس، وتتكون من **78** أستاذ باختلاف رتبهم العلمية (أستاذ- أستاذ محاضر أ- أستاذ محاضر ب- أستاذ مساعد أ – أستاذ مساعد ب)، من خلال نتائج الاستبيان وإجابات الأساتذة، تبين أن الميزات التي وفرتها المخابر ساهمت في اندماج أعداد كبيرة من الأساتذة الجامعيين والباحثين فيها، والذين عملوا على تطوير البحث، واستثمار قدراتهم وإمكاناتهم البحثية في بيئة مشجعة على البحث من خلال حرية المخابر في جدولة أبحاثها وفي تسييرها واقتراح الميزانيات الخاصة بها وما تتمتع به من فضاءات وما تحتويه من وسائل وتجهيزات مساعدة، وقد أكدت نتائج الدراسة:

- أثر إنشاء مخابر البحث العلمي بجامعة فرحات عباس بسطيف على تطوير وإثراء البحث العلمي، من خلال الإنتاج العلمي الذي ارتفعت مؤشراته.

ورغم النتائج الايجابية التي حققتها المخابر البحثية، تقر الباحثة بوجود معوقات تواجه الانتاج العلمي للمخابر، هي: تثمين نتائج الأبحاث العلمية المتوصل إليها ميدانيا والتي تعد مطلبا أساسيا لتفعيل نتائج الأبحاث وتحقيق أثرها على التنمية الاقتصادية والاجتماعية.[2]

---

[1] عادل مستوي، سمير كسيرة: **التعليم العالي وإشكالية تطوير وإنتاج المعرفة العلمية في الجزائر (رؤية تحليلية خلال الفترة بين 1990-2013)**، Cybrarians Journal، دورية علمية محكمة تعنى بمجال المكتبات والمعلومات، العدد 40، ديسمبر 2015، نقلا عن الموقع الالكتروني:

http://www.journal.cybrarians.info/index.php?option=com_content&view=article&id=709:madel&ca

[2] مشحوق ابتسام: **العلاقة بين إنشاء مخابر البحث العلمي وتطوير الانتاج العلمي في الجزائر (دراسة حالة جامعة فرحات عباس – سطيف -)**، أطروحة ماجستير، تخصص علوم التربية، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2012، ص، ص 10، 188

3-3. دراسة دناقة أحمد (2011)

دراسة موسومة بـ: **الأستاذ الباحث وواقع إنتاج المعرفة العلمية في الحقل السوسيولوجي (دراسة على عينة من أساتذة علم الاجتماع بجامعة: الأغواط، غرداية، ورقلة)**، هدفت الدراسة إلى:

– تحديد مفهوم سوسيولوجيا العلم وعلاقته بكل من الابستيمولوجيا وفلسفة العلم وتاريخ العلم.

– محاولة تناول الموضوع بطريقة سوسيولوجية تسمح بتحديد الأبعاد الابستيمولوجية والاجتماعية لإنتاج المعرفة العلمية في المجال السوسيولوجي.

استخدم الباحث الأسلوبين: الكمي عن طريق أساليب الإحصاء الوصفي باستخدام برنامج التحليل الإحصائي (spss)، وأسلوب التحليل الكيفي، من أجل التعرف على واقع إنتاج المعرفة العلمية من طرف الفاعلين السوسيولوجيين، واعتمد في جمع بيانات الدراسة على استمارة الاستبيان كأداة رئيسية، والمقابلة كأداة مدعمة للاستمارة، وقد شملت الدراسة على عينة قوامها **78** أستاذ موزعين على ثلاث جامعات: جامعة الأغواط، جامعة غرداية، ورقلة لقسم علم الاجتماع.

فمن خلال عرض ومناقشة نتائج الدراسة، وكنتيجة عامة خلص إليها:

- أن النشر العلمي من طرف الأساتذة الباحثين لا يرقى إلى المستوى المطلوب، وهو ما يبين أن أغلب الأساتذة الباحثين لا يميلون إلى توظيف وتعميق معلوماتهم التي اكتسبوها خلال مسارهم الدراسي والبحثي، من خلال تجسيدها في كتب ومنشورات ومقالات ومشاريع بحث.

- لا تستجيب الدراسات السوسيولوجية للمشكلات الاجتماعية، لعدم وضوح أهداف الممارسة السوسيولوجية كون السوسيولوجيا تعالت نوعا ما عن الفعل الاجتماعي واستمرت في استهلاك نظريات غريبة عن واقعنا الاجتماعي.

- مردود الممارسة السوسيولوجية في الغالب كمي فقط ويظهر ذلك من خلال البحوث المنجزة والمذكرات والرسائل.

- لا تستجيب الممارسة السوسيولوجية في أغلب الأحيان للمشكلات الاجتماعية التي يفرزها الواقع الاجتماعي الجزائري، وهذا يؤشر على أن الممارسة السوسيولوجية لا تتوفر على الشروط الابستمولوجية والاجتماعية من أجل أخذ على عاتقها مفرزات الواقع الاجتماعي الذي تسعى لتأويله.

- يميل الأساتذة الباحثون إلى انتقاء مصادرهم المعرفية ضمن تخصصهم الدقيق في علم الاجتماع، ما يجعلهم يتجهون من أجل الرسالة العلمية والدروس، لأنهم لا يستطيعون استيعاب الكم الهائل من المعارف الناتجة من اتساع وتنوع مصادر المعرفة من جهة وشساعة الحقل السوسيولوجي وتنوع ميادينه.

- أغلب الأساتذة الباحثون يطالعون باللغة العربية والفرنسية، لأن حقل البحث يتطلب أكثر من لغة من أجل

المطالعة، كون المجال العلمي السوسيولوجي نشأ في بيئة غير عربية، بالتالي فالخطاب السوسيولوجي التأصيلي نجده باللغات الأجنبية.

- أغلب الأساتذة تمثل الكتب أولى اهتماماتهم للمطالعة، ثم المجلات العلمية وفي المرتبة الثالثة البحوث الأمبريقية، تليها الملتقيات العلمية، ثم الأنترنت وتأتي النقاشات العلمية في المرتبة الأخيرة.

- ينتمي الأساتذة الباحثون إلى فرق بحث لا تنتج في الغالب مشاريع بحث، رغم أن بعضها ليس حديث النشأة، إلاّ أنها عانت من عدم التنظيم والفوضى.

يوجد في الحقل السوسيولوجي، إما استهلاك للمعرفة العلمية أو إعادة إنتاج لها، بدل إنتاج حقيقي للمعرفة، مما يدل على أن الحقل العلمي السوسيولوجي يعاني عدم الاندماج في قضايا المجتمع.[1]

3-4. دراسة يوسف حنطابلي (2008)

عالجت الدراسة: **إشكالية السؤال السوسيولوجي في الفكر العربي المعاصر الواقع العربي بين ماضي الأنا وحاضر الأخر –دراسة تحليلية نقدية**، تطرح إشكالية وضعية علم الاجتماع على اعتبار أن إشكالية علم الاجتماع هي إشكالية الفكر العربي المعاصر، وانطلقت الدراسة من تساؤل مفاده: لماذا لم يتحول فكر النهضة العربي إلى نظرية اجتماعية على غرار ما حدث في الغرب؟، ولماذا بقي الفكر العربي يراوح مكانه؟؛ يجتر نفسه ويستشكل إشكالاته من خلال العودة إلى أصل الإشكال أو حتى أصل الفكر أو العقل المنتج لذلك الإشكال؟

افترض الباحث أن أزمة علم الاجتماع وأزمة الفكر العربي المعاصر عبارة عن وجهين لأزمة واحدة، ألا وهي أزمة الوعي" الابستيمي "والتي بدورها تكون نتيجة عدم انخراط علم الاجتماع في الوطن العربي في إشكالات الفكر العربي المعاصر، بالإضافة إلى عدم تحول الفكر العربي المعاصر إلى قاعدة معرفية لنشأة النظرية السوسيولوجية.

لقد حاول الباحث اتخاذ منحى مغاير للتقاليد المعمول بها والإجراءات المنهجية المتبعة في الدراسات الأكاديمية معتبرا أنه نادرا ما يقوم الباحث بمتابعة مزاجه النظري وميوله الفكرية لاستنطاقها وإخراجها من اللاوعي الفكري لكي يكشف النظرية التي اعتمدها أو الزاوية التي ينظر من خلالها لمقاربة موضوعه، واعتبر أنه من غير المجدي التصريح بالنظرية ولا بالمنهج؛ وهذا ما جعل الدراسة تميل إلى التحليل النظري النقدي وتبتعد عن التناول الميداني الأمبريقي.

لقد حاول الباحث من خلال هذه الدراسة أن يبين العلاقة، بين أزمة علم الاجتماع في الوطن العربي بالفكر العربي المعاصر، ووجد أن إخفاق النهضة العربية هو إخفاق معرفي، لعدم إنتاجها فكرا سوسيولوجيا على غرار ما حدث في الغرب الذي استطاع إحداث ثورة انتهت بالإعلان عن نشأة الفكر السوسيولوجي، الذي

[1] دناقة أحمد، مرجع سبق ذكره، ص، ص 15، 182

أصبح بمثابة الدين الجديد، وأصبح العلم الذي يدرس الواقع هو الذي يتكلم باسم الشرعية المعرفية والأخلاقية والتشريعية وأصبح له الشرعية ليكون بديلا عن كل تفكير سواء كان فلسفيا أو دينيا، توصل الباحث إلى أن علم الاجتماع في الوطن العربي، كان قد يكتب له النشأة والتطور لو أنه استطاع أن يكون ترجمة معرفية للانشغال الفكري والمعرفي الذي عرفه عصر النهضة وبالتالي تحويل قضايا العصر من قضايا فكرية فلسفية إلى قضايا علمية سوسيولوجية [1].

3-5.دراسة أحمد موسى بدوي (2008)

عنوان الدراسة: **الأبعاد الاجتماعية لإنتاج واكتساب المعرفة حالة علم الاجتماع في الجامعات المصرية،** وقد هدفت الدراسة إلى:

- تحديد وتمييز سوسيولوجيا العلم عن الابستمولوجيا وفلسفة العلم وتاريخ العلم
- التعرف على الخصائص العامة للإنتاج العلمي

التحليل النقدي لخطاب إنتاج واكتساب المعرفة السوسيولوجية كما يظهر في الرسائل الجامعية المجازة في مجموعة من الجامعات المصرية

- الكشف عن تصورات الفاعلين في مجال السوسيولوجيا للأبعاد الاجتماعية والابستمولوجية المؤثرة في إنتاج واكتساب المعرفة السوسيولوجية.

فالسؤال الرئيسي الذي يطرحه الباحث من خلال الدراسة هو :ما **هي المعوقات التي تواجه إنتاج واكتساب المعرفة العلمية داخل الجامعة؟**

تعتبر الدراسة من البحوث التحليلية التفسيرية، استخدم الباحث المنهجين الكمي والكيفي في جمع البيانات، واستخدم الباحث منهجية التحليل النقدي للخطاب كأداة رئيسية لتحليل النص العلمي– رسالة جامعية، كتاب جامعي، وقام بإنشاء مقياسين أحدهما لتصنيف المراجع والأخر لطرق الاستشهاد، واستخدم المقابلة والاستبيان كأداتين مدعمتين تساهمان في اختبار نتائج التحليل البيبلوغرافي، النسبة لطريقة المعاينة استخدم الباحث مجموعة من العينات:

- عينة تحليل خطاب الرسائل: التابعة لخمس جامعات وقد بلغ حجم العينة ثلاثين رسالة ماجستير ودكتوراه بمعدل ست رسائل من كل جامعة من الجامعات الخمس، معتمدا في طريقة السحب على العينة غير الاحتمالية.

[1] يوسف حنطابلي: **إشكالية السؤال السوسيولوجي في الفكر العربي المعاصر" الواقع العربي بين ماضي الأنا وحاضر الآخر (دراسة تحليلية نقدية)**، أطروحة دكتوراه، تخصص علم اجتماع ثقافي، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة يوسف بن خدة الجزائر العاصمة، الجزائر، 2008، ص، ص 25، 428

- عينة تحليل خطاب المقررات الدراسية : من خلال تحليل مقررات مدخل علم الاجتماع والنظرية الاجتماعية، ومناهج البحث وذلك للتعرف إلى نوع المعرفة السوسيولوجية التي يتم اكتسابها من خلال التركيز على عينة قصدية مكونة من تسعة كتب، ثلاث كتب في كل ميدان، وتمثل المقرر على طلبة قسم علم الاجتماع في العام الدراسي **2006/2007**، عينة المقابلة: كانت عينة الخاضعين للمقابلة تنتمي إلى العينات غير الاحتمالية، على عينة من أعضاء هيئة التدريس من الجامعات الخمس، من خلال اختيار ثلاث مبحوثين من كل جامعة بإجمالي خمس عشر مبحوثا، بالإضافة إلى تطبيق المقابلة على عينة مقصودة من طلاب الليسانس بإجمالي ستين متطوعا من مجموع الطلاب، عينة الاستبيان: تم تطبيق الإستبيان على خمسمائة طالب تابعين لأقسام علم الاجتماع في الجامعات الخمس، بمعدل مئة طالب وطالبة من كل جامعة. ويضم الاستبيان سؤال وحيد وهو: إذا أتيحت لك الفرصة الآن للتحويل من قسم علم الاجتماع إلى أي قسم ترغب فيه فهل تقبل؟

ويخلص الباحث إلى نتيجة مفادها، أن عمليات اكتساب المعرفة السوسيولوجية بالجامعة المصرية، لا تؤدي إلى تشكيل الهابيتوس العلمي للطلاب تشكيلا يولد الممارسة العلمية الانعكاسية، حيث يتدهور الرأسمال العلمي الذي يتم تزويده للطلاب على مدار سنوات الدراسة، وذلك بتدهور مستوى المحاضرة والكتاب والتدريب الميداني، وهذا التدهور يرتبط بعوامل بنائية داخل المجال العلمي وعوامل أخرى خارج المجال، كما أنه يرتبط بعوامل ذاتية خاصة بالفاعلين داخل المجال العلمي، فهم يتحملون أكثر من غيرهم مسؤولية تدني مستوى المقررات الدراسية، تدهور المعرفة العلمية المقدمة للطالب خلال سنوات الدراسة، لأنهم لا يقومون بتجديد الخطاب العلمي الخاص به، وانفصال منتجاتهم عن الواقع الاجتماعي المعيش، غياب المنافسة العلمية، فغالبا ما يتجه التنافس داخل المجال العلمي نحو امتلاك الرأسمال العلمي الخالص، ولكنه يتجه في أغلب الأحوال نحو حيازة المكانة داخل المجال بزيادة الرأسمال العلمي السلطوي[1]

3-6. دراسة بشير معمرية (2007)

عنوان الدراسة: **معوقات البحث العلمي من وجهة نظر أساتذة الجامعة**، دراسة منشورة في كتاب بحوث ودراسات متخصصة في علم النفس **2007**، من بين أهداف الدراسة: التعرف على معوقات البحث العلمي المادية والاجتماعية، النفسية والعلمية – التعرف على أهم المعوقات وتقديم التوصيات للحد منها – إعداد أداة لتقدير معوقات البحث العلمي في الجامعة الجزائرية من وجهة نظر الأساتذة.

تكونت عينة الدراسة من **79** أستاذ موزعين على كليتي العلوم الإنسانية والعلوم التجريبية لجامعة باتنة، توصل الباحث من خلال دراسته إلى جملة النتائج والتي حوصل فيها أهم معوقات البحث العلمي من وجهة نظر الأساتذة:

[1] أحمد موسى بدوي، مرجع سبق ذكره، ص، ص 205، 377

-المعوقات المالية: وقد أكدت نتائج الدراسة على معوقات لها تأثيرا كبيرا وهي: غياب المراجع العلمية الحديثة، البيئة الجامعية غير المشجعة، عدم وجود علاقة بين الجامعة والمؤسسات الجامعية، قلة اللقاءات العلمية المتخصصة.

- المعوقات الشخصية: التردد قبل بدء البحث، انخفاض الدافع الشخصي لإجراء البحث، نقص الإيمان بأهمية البحث العلمي، الافتقار إلى الحزم في تنظيم الوقت، الإحباط بسبب ضعف استجابة المجتمع لنتائج البحوث، وتكمن أهمية هذه الدراسة في، أنها حددت أهم المعوقات من وجهة نظر الأساتذة والتي تؤدي إلى تأخر البحث العلمي، ومن ثم فإن معرفتها سيكون السبيل الأمثل لتذليل الصعاب والمعيقات التي تقف في طريق تطوير البحث العلمي في الجزائر.[1]

3-7. دراسة نفيسة حسن حسن دسوقي (2004)

الدراسة موسومة بـ: **أساليب التنشئة الأكاديمية للباحثين في علم الاجتماع في مصر، دراسة استطلاعية،** تمثل الهدف الرئيسي من الدراسة، إلى التعرف على آليات عملية التنشئة الأكاديمية داخل أقسام علم الاجتماع بالجامعات المصرية، وقد تم اختيار عينة الدراسة من أقسام علم الاجتماع بجامعات كل من (القاهرة، عين شمس، الاسكندرية، المنيا، الزقازيق)، تكونت عينة الدراسة من **62** مفردة، شملت أعضاء هيئة التدريس (أستاذ- أستاذ مساعد – مدرس)، وطلبة الماجستير والدكتوراه ، اعتمدت الباحثة على أداة المقابلة كأداة لجمع المادة الميدانية، انتهت الدراسة، إلى التأكيد على أن عملية التنشئة الأكاديمية بمختلف أقسام علم الاجتماع محل دراسة، تعاني من ضعف نتيجة ضعف البنية الهيكلية المكونة لتلك الأقسام، بمعنى ضعف مستوى أعضاء هيئة التدريس بتلك الأقسام، بالإضافة إلى ضعف المعيدين والمدرسين المساعدين، بالإضافة إلى عدم وجود أجندة بحثية لكل قسم من هذه الأقسام، إلى جانب ضعف النشاط العلمي بتلك الأقسام، من ملتقيات وندوات ومؤتمرات ورحلات علمية، أما ضعف التنشئة الأكاديمية بمرحلة الدراسات العليا، فقد ارتبطت بشكل أساسي بعدم وجود أجندة بحثية للقسم، بالإضافة إلى عدم وجود أجندة بحثية خاصة بكل أستاذ [2]

3-8. دراسة عبد الله ساقور (2002)

عالجت الدراسة: **فعالية النظام الجامعي الجزائري في إنتاج المعرفة العلمية واستهلاكها- طلبة قسم علم الاجتماع نموذجا** -، الدراسة تنتمي إلى البحوث القصيرة، تهدف إلى محاولة لتحديد فعالية النظام الجامعي الجزائري فيما يتعلق بإنتاج المعرفة واستهلاكها باعتبارها حاملة للتغيير، في محاولة لفحص بعض المشكلات وتحليلها بناءا على معطيات تم الحصول عليها من الطلبة الذين تخرجوا من قسم علم الاجتماع.

[1] مشحوق ابتسام، مرجع سبق ذكره، ص 11

[2] نفيسة حسن حسن دسوقي، مرجع سبق ذكره، ص ص611-614

وقد عالج الباحث الموضوع وفق مقاربة نقدية، تقويمية لفعالية النظام الجامعي الجزائري، فتوصل الباحث إلى نتيجة مهمة: أن النظام الجامعي الجزائري لم يوفق في إنتاج أجيال مسلحة بالمعارف الضرورية، فغموض الأهداف وتعطل آليات تشغيل النظام كان طلبة قسم علم الاجتماع مثلا واقعا له، وهو ما ينطبق على بقية الأقسام ومخابر البحث كواقع أيضا حسب رأي الباحث، أن هذا الخلل لا يدعو إلى فقدان الأمل بإصلاحه ووضعه في مساره الصحيح، وإنه من الضروري وجود علاقة وثيقة والتصورات المجتمعية عن واقع الجامعة الجزائرية، ويجب ألا تتخذ صفة المطابقة التامة باستثناء تلك التصورات التعليمية والإيديولوجية المرتبطة بفئات اجتماعية محددة كهيئة التدريس مثلا، وانه ينبغي أيضا أن ننظر في نوع التكوين الذي يتلقاه من يحملون هذه الأفكار والتصورات، وتلك هي الإشكالية المطروحة على النظام الجامعي.[1]

3-9. دراسة محمد حافظ دياب (1999)

عالجت الدراسة موضوع: **علم الاجتماع في الجزائر: الهوية والسؤال**، وهي محاولة لتحليل الخطاب السوسيولوجي بالجزائر، استنادا إلى شروطه التاريخية وتراثه الفكري ومنطقه، باستخدام منهج التحليل النقدي للخطاب الذي لا يقف عنده مجرد تحليل النص، بل يتعداه إلى كشف حركة الواقع حيال النص

ويذهب الباحث إلى أن الهدف من البحث في علم الاجتماع الجزائري، لا يقتصر على مجرد المرمى العلمي، بل يلحقه بفاعلية اجتماعية تطرح مهمة المساهمة في تنظيم خبرات الفاعلين بطريقة عقلانية، ويلعب دورا ملحوظا في تطوير وعيها، ويصنف الباحث الخطاب السوسيولوجي الجزائري إلى ثلاثة أنواع:

-سوسيولوجيا ماقبل كولونيالية. ـ سوسيولوجيا كولونيالية. ـ سوسوسيولوجيا مابعد كولونيالية، ثم تقدم الدراسة تحليلا لخطاب مابعد الاستقلال، حيث تبين أن الباحثين الجزائريين واجهوا ركاما من المعارف السوسيولوجية ذات التوجهات الأيديولوجية المشوهة، وانصب الجهد السوسيولوجي بعد الاستقلال على محاولة إزاحة هذا الركام، وإعادة النظر في المشروع السوسيولوجي، فأنتج خطابا ذو توجه ماركسي وآخر يتأسس على الأخلاق الإسلامية

ويذهب الباحث إلى أن الجامعة في هذا السياق التاريخي، تراجعت عن دورها في ملامسة الواقع، وتوجهت نحو تكريس علم الاجتماع كعلم كتبي يعنى بالتنظير، ويفتقر إلى الدراسات الميدانية الواقعية، ويكاد يقتصر على النقل دون التأصيل، وفي نهاية الدراسة، يقدم الباحث تشخيصا لخصائص الخطاب السوسيولوجي عبر المراحل التاريخية المختلفة، ويحدد مجمل المشكلات في الجزائر وتطورها.[2]

---

[1] عبد الله ساقور: **فعالية النظام الجامعي الجزائري في إنتاج المعرفة واستهلاكها (طلبة قسم علم الاجتماع نموذجا)**، مجلة العلوم الانسانية، جامعة قسنطينة1، الجزائر، العدد 17 جوان 2002، ص، ص 99، 111

[2] أحمد موسى بدوي، مرجع سبق ذكره، ص ص98-99

3-10. دراسة أحمد علي كنعان (1998)

هدفت الدراسة الموسومة بـ: **البحث العلمي في كليات التربية بالجامعات العربية ووسائل تطوره**، إلى التعرف على أهداف البحث العلمي ومعوقاته لدى أعضاء هيئة تدريس من كليات التربية بجامعات القطر العربي تكونت عينة الدراسة من **40** عضو هيئة تدريس من كليات التربية بجامعات سوريا، و**44** عمداء كليات التربية من **13** دولة عربية خلال مشاركتهم في مؤتمر عمداء كليات التربية في دمشق عام **1998**، بينت نتائج الدراسة بأن أهم أهداف البحث العلمي لدى أعضاء هيئة التدريس وعمداء كليات التربية العرب هي:

- زيادة التعمق في مجال التخصص.
- المشاركة في الندوات والمؤتمرات وزيادة التحصيل المعرفي في الإسهام في حل القضايا التي تواجه المجتمع ومن ثم خدمة المجتمع.
- أما المعوقات فتمثلت في:
- قلة التعاون بين الجامعات والجهات المستفيدة من البحث العلمي.
- نقص التمويل الكافي لدعم البحوث.
- قلة المراجع والمصادر الحديثة.
- قصور تطبيق خطة مركزية للبحث العلمي على مستوى الجامعات والكليات.
- كثرة الأعمال الخاصة خارج الجامعة.[1]

4- مناقشة الدراسات المتعلقة بالمعرفة العلمية الجامعية

نسعى من خلال الدراسة التي نحن بصدد إنجازها، التعرف على دور الحوار الفكري في تطوير المعرفة العلمية بالجامعات العربية والجزائرية، فاعتمدت الجامعة الجزائرية على مجموعة من الآليات لتفعيل الحوار الفكري من أجل ترقية المعرفة العلمية السوسيولوجية، على اعتبار أن البحث العلمي بالمؤسسة الأكاديمية، يتم في شكل تنظيم على غرار مخابر البحث، التي تعتبر إحدى الآليات الأساسية لتطوير البحث العلمي، كذلك التعرف على تأثير التعصب في إعاقة ممارسة الفعل الحواري الذي انعكس على تطور البحث العلمي، بالإضافة إلى الندوات والمؤتمرات، النشر بالمجلات العلمية وطنية أو دولية... الخ

حاولنا توظيف دراسات ذات العلاقة الجزئية، لكنها تتقاطع وتختلف في طريقة وأساليب المعالجة.

فمن حيث نقاط التشابه بين دراستنا والدراسات الموظفة:

- ✓ أنها اهتمت بالمؤسسة الجامعية كمؤسسة يتم من خلالها ممارسة الفعل البحثي الأكاديمي، من خلال دور الأستاذ الباحث وكذلك دور الطالب في الدراسات العليا، لأن الدول العربية وخاصة الجزائرية، قد أولت أهمية

[1] مشحوق ابتسام، مرجع سبق ذكره، ص 15

كبيرة لتطوير البحث العلمي من خلال المؤسسة الجامعية، فأخذت الوزارة الوصية وهي وزارة التعليم العالي على عاتقها تولي مهمة توفير الامكانات البشرية والمادية والمالية لإنعاش البحث العلمي، لأنه ولحد الآن يوجد نقص في وجود مؤسسات بحثية خاصة تتولى مهمة البحث العلمي الهادف الذي يخدم التنمية الاجتماعية والاقتصادية.

- ✓ تشترك في الأهداف الأساسية التي نسعى إلى تحقيقها، وهو التعرف على أسباب تدني مستوى البحوث العلمية بالجامعة الجزائرية.

- اعتمدنا في دراستنا المنهج النقدي والمنهج الإحصائي لتحليل وتفسير واقع تطور المعرفة العلمية بالجامعة الجزائرية، من خلال قراءة نقدية لأشكال النشاطات العلمية التي تقوم بها الجامعة، كالملتقيات والندوات، وكذلك التعرف على طريقة العمل البحثي على مستوى الجامعات الوطنية وإلى أي حد استطاعت الآليات التي وظفتها الجامعة الجزائرية التوصل إلى نتائج علمية جديدة خاصة في مجال البحث السوسيولوجي، وهل جسدت فكرة الحوار أم أن هناك عوائق تحول دون تحقيق ذلك؟

ومن بين هذه الدراسات: دراسة كل من يوسف حنطابلي حيث كانت دراسة تحليلية نقدية، دراسة عبد الله ساقور، هو الآخر اعتمد على مقاربة نقدية تقويمية، ودراسة محمد حافظ دياب.

- أما من حيث نقاط الاختلاف:

- ✓ من حيث المنهج، استخدم الباحثون المنهج الوصفي، على غرار دراسة كل من: عادل مستوي وسمير كسيرة، دراسة مشحوق ابتسام.
- ✓ وفيما يخص أدوات جمع البيانات، فكانت استمارة الاستبيان الأداة الرئيسية، ثم المقابلة والملاحظة كأدوات مساعدة
- ✓ المعالجة الإحصائية فقد تم استخدام برنامج التحليل الإحصائي **(spss)**. ومنهج تحليل المضمون الذي اعتمده كل من الباحث احمد موسى بدوي، والباحثة مشحوق ابتسام، التي وظفت كل من المنهج الوصفي ومنهج تحليل المضمون في نفس الدراسة.

الملاحظ على هذه الدراسات أنها جمعت بين المناهج الكيفية والكمية، وتنوعت كذلك في أساليب وأدوات جمع البيانات، بهدف الوصول إلى نتائج قريبة من الدقة والموضوعية.

وقد أرجع جل الباحثين تدني مستوى البحث السوسيولوجي بالجامعة الجزائرية وحتى العربية، إلى وجود معوقات: اقتصادية ـ اجتماعية ـ إدارية ـ سياسية وحتى معوقات ثقافية، لا أحد ينكر تأثير هذه العوامل على تطور البحث العلمي، لكن في دراستنا حاولنا التركيز على العنصر الفعال في عملية البحث العلمي وهو الأستاذ

الباحث، متسائلين كيف يؤثر الباحث أو كيف يعرقل الباحث تطور المعرفة العلمية؟، فمن خلال الإطلاع على الكثير من الدراسات، وجدنا أن هناك عامل مهم لم تتطرق إليه الأبحاث التي أجريت حول الموضوع، سواء على مستوى البحث بالجامعات الجزائرية أو على مستوى كل من مصر والمغرب، ويتمثل هذا العامل في التعصب الفكري لدى الباحث، والذي أرجعناه إلى غياب ثقافة الحوار في الوسط الجامعي ولنا جملة من الدلائل التي برهنا بها عن غياب هذا المبدأ على مستوى العلاقات الإنسانية المختلفة الذي كرسته الكتب السماوية بنصوص وقصص تثبت قيمة الحوار في الحياة الاجتماعية، والذي رسخ مؤخرا خاصة بعد أحداث **11 سبتمبر 2001**، من خلال مبادئ وقوانين لمؤسسات دولية وعربية لنبذ العنف والعنصرية والتعصب بين المجتمعات مهما اختلفت أو تباينت في ثقافاتها، مثل (المنتدى العالمي للوسطية، الأمم المتحدة..)، إذن هدفنا كان محددا ومركزا على هذا المتغير الذي كان ومازال حجر عثرة أمام تطور المعرفة العلمية.

ثانيا: أبعاد أزمة المعرفة العلمية السوسيولوجية

1- أزمة المعرفة السوسيولوجية في الفكر العربي

لم تتفق آراء الباحثين والمحللين والناقدين على شيء، أكثر من اتفاقها على أن واقع العرب الراهن واقع مأزوم بلغت أزمته حد الاستفحال منذ وقت غير قصير، تناولت دراسات كثيرة أزمة الواقع العربي من جوانبها المختلفة، وقامت بتحليل عناصرها ومكوناتها وآثارها، كما قدمت قراءات نقدية وفق رؤى ومناهج مختلفة تناولت واقعنا العربي من جوانبه الفكرية والثقافية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية، وبقطع النظر عن القيمة المعرفية والمنهجية لهذه الدراسات، إلاّ أنها تصلح أن تبنى عليها دراسات تحليلية يستخلص منها معالم مشروع حضاري بديل، يكون مخرج الأمة من أزمتها.[1]

فالواقع العربي لما هو عليه، هو انعكاس لأزمة فكرية تعيشها النخب العربية، أهمها أزمة البحث العلمي، وبما أن موضوعنا يتعلق بواقع المعرفة السوسيولوجية سنركز على أبعاد أزمة الفكر السوسيولوجي بالجامعات العربية، والجامعة الجزائرية بوجه الخصوص.

قبل الحديث عن السوسيولوجيا في الفكر العربي وأزماتها، نشير إلى مساهمة بيار بورديو **Pierre bourdieu**، في كتابه **(Questions de La Sociologie)**، الذي يطرح السؤال التالي: **هل العلوم الاجتماعية وعلم الاجتماع على وجه الخصوص، هي علم فعلا؟، لماذا تتبنون الحاجة لإدعاء علميته؟**

[1] طه جابر العلواني: **الأزمة الفكرية ومناهج التغيير**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص ص9-10

فيجيب قائلا: " علم الاجتماع يبدو لي، انه يملك خصوصيات العلم، لكن إلى أي درجة؟ ...، السؤال هنا بالتحديد، والإجابة التي يمكن أن نقدمها هي متنوعة حسب علماء الاجتماع..."، ومن وجهة نظره، يرى **بيار بورديو**، أن علم الاجتماع، تخصص مبعثر ومشتت، بالمعنى الإحصائي، وهذا لديه العديد من وجهات النظر المختلفة، وهذا بطبيعة الحال ما يفسر، أن علم الاجتماع هو تخصص منقسم وأكثر قربا من الفلسفة أكثر من تخصص آخر، لكن المشكل هنا يكمن في مدى علمية علم الاجتماع.[1]

لقد تعددت الطروحات الفكرية حول طبيعة الأزمة التي تعيشها السوسيولوجيا العربية، فكان هناك شبه اتفاق أن الأزمة في الأساس هي أزمة " هوية " أو أزمة تبعية ، وعلى هذا الأساس يرى الباحث **أحمد عماد الدين خواني**، أن هذه الإشكالية أدت إلى تأزم الفكر العربي في مجال البحث السوسيولوجي، كانت فترة بداية علم الاجتماع تتسم بتطبيق قوالب فكرية ونظرية نمطية من المجتمعات الغربية مبنية على التراث الغربي وواقعه، وقد أدى ذلك إلى فترة محاكاة وتقليد للدراسات الغربية دون ابتكار أو تجديد، فالأطر الاجتماعية السياسية والاقتصادية التي ولد فيها علم الاجتماع في الوطن العربي، قد لعبت دورا أساسيا في توجيهه، إن السوسيولوجيا في الوطن العربي ظهرت كمعرفة استعمارية جاهزة بأدواتها التنظيرية والمنهجية.[2]

لم تنشأ السوسيولوجيا العربية في علاقة مع المجتمع العربي كموضوع، ففي ظل الوضعية الاستعمارية المهيمنة للبلاد العربية ظهرت العلوم الاجتماعية الحديثة في العالم العربي تابعة للفكر الاجتماعي الغربي شكلا وموضوعا، وكنتيجة للحالة الاستعمارية التي عاشتها البلاد العربية لفترات زمنية طويلة، لم تكن الذات المفكرة العربية في حوار سوسيولوجي مع المجتمع العربي، ففي المغرب العربي ترعرع في قطيعة تامة مع الفكر الخلدوني، ومع كل التراث الما قبل استعماري على مستوى المناهج وأنماط التحليل، وقد أدت التبعية للفكر السوسيولوجي الغربي إلى خلق أزمة على مستوى الذات المفكرة، تطرح أزمة الذات المفكرة في المجال السوسيولوجيي كأحد أهم الأزمات التي يعاني منها علم الاجتماع سواء على المستوى العالمي أو العربي.

إذن السوسيولوجيا في الوطن العربي لازالت في لحظة شبه نرجسية، في لحظة بحث عن الذات وعن الطريق، فالذات السوسيولوجية العربية مستهلكة للمعرفة السوسيولوجية الغربية، فالذات السوسيولوجية العربية تعيش إشكالية مركبة من بعدين: البعد الاستعماري الغربي كما ذكرنا سابقا، وبعد الأزمة التاريخية الإيديولوجية للفكر العربي المعاصر بتمظهراته المختلفة وممارساته السياسية المتناقضة، والتي انعكست بشكل مباشر على

---

[1] Pierre Bourdieu : **Question de la Sociologie,** éditions, de minuit, Paris, 1984, p 19

[2] أحمد عماد الدين خواني: **إبستيمولوجيا النظرية السوسيولوجية**، أطروحة دكتوراه علوم، تخصص تنمية وتسيير الموارد البشرية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قسنطينة2، الجزائر، 2013، ص ص231-235

السوسيولوجيا العربية التي لا تشعر أصلا بوجود الأزمة، فهي تعيش حالة نرجسية تعاود إنتاج الأزمة باستمرار، ومنه فإن علم الاجتماع ما هو الآن، إلاّ أفكارا دون أن يصل إلى مشروع.[1]

ربطت الذات الباحثة العربية نفسها في معارك أهلية، إما بالأصالة عن أنفسهم أو نيابة عن أطراف سوسيولوجية متعاركة في مجتمعات أخرى، فأصيبوا بمرض البداوة السوسيولوجية، قسموا أنفسهم إلى قبائل اتخذت أسماء ومسميات مختلفة فهناك (النظريون والتطبيقيون، الماركسيون والوظيفيون، أتباع المدرسة الفرنسية وأتباع المدرسة الانجليزية والأمريكية أو السوفياتية...الخ)، وكل قبيلة جرى تقسيمها إلى عشائر مثلا وظيفيون ووظيفيون جدد، ماركسيون ومركسيون جدد، وتقسيم كل عشيرة إلى بطون وأفخاذ، وبالتالي أصبحت البداوة أفيون علماء الاجتماع العرب، فكان فائض الطاقة والتفكير والخيال السوسيولوجي الذي من المفروض أن ينصرف إلى دراسة الواقع العربي وفهمه، قد ضمر ضمورا ومن ثم كان نتاج المعرفة السوسيولوجية هزيلا للغاية، فنتج هذا التمركز حول الذات السوسيولوجية الغربية، سوسيولوجيا متأزمة إبستيميا ضائعة تاريخيا وفكريا.[2]

ومن نتائج أزمة الهوية التي تعيشها السوسيولوجيا العربية، أن التبعية الاستعمارية، قد جعلت السوسيولوجيا العربية بعيدة عن إدراك موضوعها أي المجتمع العربي بمكوناته التاريخية، الثقافية واللغوية المتميزة، فالمتتبع لتاريخ السوسيولوجيا في الوطن العربي، يلاحظ بدائل شتى إنه نما على هامش المجتمعات العربية، فالجانب الأكبر مما ينشر عن الظواهر الاجتماعية ليس من علم الاجتماع، وإنما هو في أحسن الحالات سوسيوغرافيا أو وصف اجتماعي، إن غياب الموضوع عن الذات السوسيولوجية العربية، يؤكد تأثير أزمة الفكر العربي على الذات السوسيولوجية، ففي كثير من الدول العربية على غرار السودان، (يمكن الإشارة إلى أن هناك من المنظمات والمراكز البحثية في الوطن العربي هيمن عليها التمويل والاستثمار من قبل هيئات أجنبية مشكوك في توجهاتها وخدماتها)، يتم تمويل الأبحاث فيها من طرف مراكز أجنبية، رغم الجهود المحلية التي تحاول إحداث القطيعة الفكرية والإيديولوجيا مع الغربي باكتشاف الموضوع المحلي، وهناك مبادرات لجامعات عربية على غرار جامعة عين شمس بمصر، التي تحاول أن تحدد موضوع البحث والذي يتصل بقضايا التنمية، إلاّ أن هذه الجهود تبقى محلية تفتقد لرؤية شاملة وإمكانيات حقيقية وصراعات إيديولوجية، فرغم أن موضوع المعرفة

[1] المرجع السابق، ص ص236-241

[2] المرجع السابق، ص ص142- 145

(المجتمع العربي)، في حركة دائمة وتغير مستمر، إلاّ أن الذات السوسيولوجية العربية لم تلاحظ ذلك التغير بسبب التعتيم الإيديولوجي والاحتواء المعرفي الغربي، باختصار فإن النتائج التي يتوصل إليها السوسيولوجيون في الغالب، صورية ومثالية، ولا تعكس الواقع الفعلي المعاش وحركته وديناميته.[1]

وفي زاوية مشتركة مع ما قدمه الباحث **أحمد عماد الدين خواني**، يرى **عبد الكبير الخطيبي**، أن: " المعرفة العلمية الراهنة هي بدون شك تشابك صراعي بين معرفتين إحداهما: غربية، تسيطر على المعرفة العربية، وتعيد تكوينها من الداخل، وتجعلها بطريقة ما غريبة عن ذاتها لأنها تقتلعها من أراضيها الفلسفية والميتافيزيقية، بحيث أصبح معها العالم العربي متبحرا في المعرفة الغربية لا يعرف من أي مكان يتكلم ومن أين تأتي المشكلات التي تقلقه، وأخرى عربية لها بعض الاستقلال الذاتي ... من حيث اللغة، ويصبح الباحث العربي مجرد مترجم ومعبر عن مجموع نظري ومنهجي للغة الآخر، حيث يشعر بالانسحاق تجاه الانتاج للآخر، منزويا بذلك في ظل المعرفة الغربية، بإقامة معرفة ثانوية مختنقة به وبالآخر ... ".[2]

ففي ظل التواجد الاستعماري بالدول العربية، عرف علم الاجتماع نموا مضطربا على غرار كل من مصر، العربية السعودية، السودان، والأردن، لقد اعتمد الباحثون المصريون ومنذ ظهور علم الاجتماع بمصر والذي بدأ في النمو منذ فترة الخمسينات، أين اعتمدوا على ترجمة أهم الكتب الغربية في علم الاجتماع، وهي ترجمات حرفية دون نقد أو تحليل يعكس خصوصية المجتمعات العربية، أما مع الجيل الثاني والثالث من الباحثين، الفترة التي تركز فيها علم الاجتماع بالمؤسسات الجامعية والعلمية بمصر، وبالاطلاع على رسائل الدكتوراه والماجستير، أن معظم تلك الرسائل، قد أخذت نفس منحى الرواد، حيث تناولت مواضيع وقضايا فلسفية عامة، أما مرحلة ما بعد الستينات ونتيجة للتحولات الهامة التي عرفها المجتمع المصري التي أعقبت نكسة **1967**، وما تركته من أثر على الأمة العربية من المحيط إلى الخليج فكان المشوار البحث عن الجذور وعن الذات وعن الهوية، وكذلك ما حدث بالمملكة العربية السعودية، فإن علم الاجتماع لم يخرج عن المسار الذي سار عليه علم الاجتماع في مصر، وتعتبر السودان من بين الدول العربية التي اهتمت بعلم الاجتماع منذ الغزو المصري البريطاني للسودان في عام **1898**، لكن النموذج السوداني اختلف عن المصري في عدة

[1] المرجع السابق، ص ص246-247

[2] عبد الكبير الخطيبي: **النقد المزدوج**، منشورات عكاظ، الرباط، المغرب، 2000، ص 167

جوانب، حيث شكلت الأنثروبولوجيا الاجتماعية ضربة البداية بالنسبة للعلوم الاجتماعية.[1]

كذلك عرف علم الاجتماع بالأردن إشكالات عديدة وفي مقدمتها، حالة الاغتراب التي يعيشها البحث السوسيولوجي والأنثروبولوجي معا، ويتعلق الأمر بطبيعة المواضيع التي يتم اختيارها من قبل الباحثين، حيث أن أغلبها يتصل بهوية الباحثين الذين ليسوا بأردنيين، بل غربيون أرسلتهم جامعاتهم للإقامة بالأردن، ويتخذ الاغتراب شكلا أكثر تعقيدا، ويتعلق الأمر بالمنهجيات التي يستخدمها الباحثون في دراستهم للمجتمع الأردني.[2]

ومنه يتضح من خلال هذا التحليل، أن علم الاجتماع بهذه الدول والتي انعكست وضعيته على كل الدول العربية، أي أن علم الاجتماع بالوطن العربي ومنذ نشأته، لم يوجد لنفسه نموذجا عربيا، فقد نشأ كطفل متبني دون أن تكون له هوية محددة واضحة، ونظرا لأهمية الدور الذي يجب أن يلعبه علم الاجتماع في معالجة القضايا والمشكلات الاجتماعية على المستوى العربي، يتبين أن علم الاجتماع في البلدان العربية لا يزال في بداياته الأولى ولا يزال يتخبط في قضية الهوية التي تعتبر من الأسباب الرئيسية التي تقف حائلا أمام تطور علم الاجتماع.[3]

وهذا الاعتراف جاء من طرف الباحثين الغربيين أنفسهم، لقد بين **آلان روسيون**، أن علم الاجتماع في المنطقة العربية، بدأ كونه جزءا من المشروع الاستعماري، فالجماعة العلمية العربية فقط منذ عام **1970**، اتصفت بكونها مبعثرة وضعيفة، حيث كانت تستوحي من براديغمات ومنهجيات العلوم الاجتماعية الفرنسية وإلى حد أقل من العلوم الاجتماعية الأمريكية، كانت تشارك في خدمة العملية السياسية وهي هندسة مجتمع جديد.[4]

في مقال للباحث **كمال عبد اللطيف**، تناول فيه تأصيل العلوم الإنسانية في الفكر العربي المعاصر، أن هذه العلوم لم تنشأ، بنفس الآليات والوسائل مثلما حصل في التاريخ الغربي بفعل عملية تاريخية ذاتية، موصولة

---

[1] خليل عبد الله المدني: **علم الاجتماع في الوطن العربي (الواقع والطموح)، دراسة في نشأة وتطور علم الاجتماع في كل من مصر، المملكة العربية السعودية، السودان، ودوره العلمي والمجتمعي**، ندوة علم الاجتماع من منظور إسلامي، مركز الدراسات المعرفية، قاعة رواق المعرفة، القاهرة، مصر، المنعقد أيام: 17-20 فيفري 2007، ص ص16-25

[2] عبد الحكيم خالد الحسبان: **الدراسات السوسيولوجية والأنثروبولوجية في الأردن (الإشكالات الابستيمولوجية والعلمية)، مستقبل العلوم الاجتماعية في الوطن العرب**، بحوث المؤتمر المنظم من طرف مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، بوهران، الجزائر، الجمعية العربية لعلم الاجتماع، تونس، المنعقد أيام 20-22 مارس 2002، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2014، ص 227

[3] خليل عبد الله المدني، مرجع سبق ذكره، ص 28

[4] ساري حنفي: **التطور المضطرب للعلوم الاجتماعية العربية ومحاولات إلغاء شرعيتها**، مجلة إضافات مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، العدد 25 شتاء 2014، ص 4

بصيرورة في النظر لهذه الظواهر ضمن سياق تطور الأفكار والعلوم وتطور المجتمعات، قدر ما نشأ في سياق عملية تقليد أفرزتها متغيرات خارجية وافدة، بمعنى نشأ في إطار عملية التغريب التي فرضتها رياح التأورب (التشبه **بالآخر الغربي)** القوية، التي اكتسحت العالم في نهاية القرن الماضي، وتمكنت من فرض سيطرتها بمختلف الوسائل، ففي إطار هذا المناخ التاريخي اللاّمتكافئ واقعيا وموضوعيا تعرف العرب على العلوم ومناهجها ونتائجها، التي انتقلت إليهم بفعل الاستعمار المباشر، في مختلف جوانب الفكر والثقافة والمعرفة.

رغم المأزق والاشكالات التي تعترض العلوم الانسانية والاجتماعية في الوطن العربي، فجدوى البحث للخروج بها من هذا المأزق ضروري وحتمي، انطلاقا من سؤال التأصيل، بما ينقله هذا الأخير من عتبة النقل المقلد، إلى عتبة التأسيس المؤصل والمبدع، أي عتبة ترسيخ: دروس هذا البحث، مفاهيمه ومناهجه وآليات عمله في فضاء الثقافة العربية المعاصرة ، باعتباره حاجة موضوعية لا تستدعيها فقط الرغبة في المعرفة، بل تتطلبها أولا وقبل كل شيء حاجتنا للوطن العربي لتجاوز تأخرنا التاريخي الشامل، والتأصيل حسب مقصود الباحث، لا علاقة له بالأصالة، إنه أولا وقبل كل شيء مسعى نظري يروم تأكيد كونية العلوم والمعارف، التي تتوخى تعيين قواعد للظواهر الإنسانية بالانطلاق من المبدأ التاريخاني العام الذي يقبل مبدأ التشابه النسبي والتاريخي للظواهر الإنسانية، ويقبل نتيجة إمكانية المثاقفة رغم صعوبة شروطها ومتطلباتها.[1]

ولتحقيق التأصيل المعرفي والمنهجي للعلوم الانسانية والاجتماعية، يطرح الباحث جملة من الشروط:

- استيعاب إيجابي ونقدي لمرجعيات العلوم الإنسانية: وتتمثل في الابتعاد عن المواقف الحدية ذات الطابع الإيديولوجي الخالص، إن القبول الأعمى للنظريات والمناهج والقوانين، لا يتيح إمكانية النظر إلى الأبحاث ونتائجها في سياق أطرها التاريخية والمعرفية، أما الرفض المطلق أو الرفض المتوحش، غالبا ما يشكل آلية قبلية سائدة في أذهان من يعتقدون أن الغرب المادي الاستعماري العدواني، لا يمكنه أن ينتج معرفيا ما يساعد البشرية على تشخيص عللها.

- توسيع مجال النظريات ومحتوى المفاهيم بإدخال معطيات الخصوصي والمحلي: عند الانتقال من مجال إلى مجال آخر، لكن نكون مطالبين باستخدام آلية الاحتراس المنهجي تمنحنا جدارة النقل الذي لا يكتفي بنسخ النماذج المعرفية دون مراعاة خلفياتها النظرية وشروطها التاريخية، بل النقل الواعي، إن هذا الوعي حسب الباحث يجنبنا عثرة السقوط في التقليد الذي يحرص على شكليات المعرفة العلمية.[2]

---

[1] كمال عبد اللطيف: **تأصيل العلوم الإنسانية في الفكر العربي المعاصر (الشروط المعرفية والتاريخية)**، مجلة فكر ونقد، مجلة ثقافية فكرية الكترونية، تصدر عن منبر محمد عابد الجابري، العدد 18، أفريل 1999، نقلا عن الموقع الالكتروني: http://www.aljabriabed.net

[2] المرجع السابق

وفي مقال للأستاذ **العياشي عنصر**، المعنون بـ: " **الابستيمولوجيا وخصوصية العلوم الإنسانية** "، تحدث عن العقبات التي تعترض التفكير العلمي العربي، وبالتالي تأثير ذلك على تطور المعرفة العلمية، يرى أن مشكلة التفكير العلمي بالعلوم الانسانية في العالم العربي، هي إشكالية ابستمولوجية بحتة، حيث ترتبت عن تطبيق أسس ومعايير ابستمولوجية تدعي العالمية، تم تطويرها في فترة تاريخية محددة، وظروف اجتماعية معينة على علوم إنسانية تتطور في ظروف محلية وخصوصية تضع قيودا عديدة، وتطرح أسئلة كثيرة حول مصداقية مقولاتها النظرية وأجهزتها المفهومية، فإن أهم ما يمكن الإشارة إليه هو التأثير الذي يمارسه المنشأ الغربي لهذه العلوم على مجتمعاتنا، سواء تعلق الأمر بالأطر المعرفية، والمقاربات النظرية، أو الأجهزة المفهومية والقواعد المنهجية المعتمدة في البحث، ويتضح ذلك أكثر مع فكرة الأنموذج التي تحدث عنها **توماس كون**، في كتابه

(بنية الثورات العلمية)، تتضمن بالإضافة إلى العناصر المعرفية التي تختص بتحديد شروط إنتاج المعرفة ومدى صدقها، هناك ظروف عامة محيطة بعملية إنتاجها، وتمثل هذه الظروف سندا قويا لا غنى عنه لعملية البحث العلمي، وهذا ما عبر عنه **ألتوسير** (قطيعات **ابستيمولوجية**):

- فشل الفلسفة، نظرا لخصوصية الثقافة العربية الإسلامية في تحقيق الاستقلالية من تأثير الفكر الديني الذي يمارس ضغوطا قوية في توجيه التفكير وصياغته.
- هشاشة مكانة الجامعة باعتبارها المؤسسة المختصة في إنتاج المعرفة ونشرها، وكذلك ضعف الدور الذي تقوم به في تعزيز البحث العلمي والتفكير النقدي، ومن ثم طرح القضايا الابستيمولوجية التي تستدعيها عمليات التراكم المعرفي من حيث الحوار والتواصل وتبادل الخبرات والتجارب داخل الأسرة العلمية محليا بينها وبين الأسر العلمية في المجتمعات العلمية الأخرى.
- اشكالية تكوين النخبة المثقفة التي يقع على عاتقها استيعاب وهضم الأفكار والعقائد المميزة لمراحل زمنية مختلفة من تطور الفكر العلمي والعلوم الإنسانية، والفرص الممكنة لتكييفها مع معطيات الواقع الاجتماعي وما يطرح من قضايا، لكن الأمر ليس بالسهولة التي يتصور نظرا لتأثير عوامل موضوعية وذاتية، منها ما يتعلق بمكانة المثقفين في المجتمع، ومنها ما يخص تعقيد المهمة ذاتها.[1]

[1] Layachi Anser**: Epstemologie and the Particularity Of Humanities : Preliminary Eliments for reflection**, Semat, Scientific Publishing Center, University Of Bahrain,N 3,September, 2014, pp 489-492

إشكالية ابستيمولوجية أخرى تخلق أزمة على مستوى البحث السوسيولوجي، والتي تتمثل في أن الممارسة السوسيولوجية كثيرا ما كانت محدودة جدا في مواقع معرفية معينة، لأن فاعليها تميزوا بتوقفهم عند الطرح الكلاسيكي القديم، إن كان ماركسي أو وظيفي بالخصوص، ليتحول الانتاج المعرفي، ودون الاقتراب من الواقع الحقيقي، إلى ما يسميه الباحث المغربي **عبد الصمد الديالمي** بالسوسيولوجيا السعيدة القادرة على حل المشكلات، وقد بينت دراسة أخرى محدودية البحث السوسيولوجي الذي كثيرا ما تعايش مع وهم الاستهلاك المعرفي دون أدنى وعي بخطورة الانتاج المعرفي الذي قد يتحول في كثير من الوضعيات وهو الواقع، إلى مجرد تأدية واجب للحصول على شهادة أرقى، ولتعكس تلك الأبحاث أزمة علم الاجتماع المعرفية وأزمة الإنتاج المعرفي والعجز عن تقديم بدائل نظرية أو حتى مقاربات.[1]

لم تتوقف جهود الباحثين عند تشخيص أزمة علم الاجتماع، فجاءت مبادرات مختلفة تبحث في جذور هذه الأزمة، فكان من بين الاقتراحات التأسيس لعلم اجتماع عربي، وينطلق أصحاب هذا الاتجاه من نقد المعرفة السوسيولوجية الغربية، وأبرز هؤلاء النقاد " **إيمانويل والرستاين** "، وقد ترجم هذا النقد في كتاب بعنوان **(علم الاجتماع الغربي، مساءلة ومحاكمة)**، تناول هذا الكتاب مقولات معرفية سادت علم الاجتماع الغربي، أخذت صفة اليقينيات والمسلمات، محاكما إياها من منظور نقدي سوسيولوجي، منتقدا البنى المعرفية لثلاث من رواد علم الاجتماع المعاصرين: **دوركايم، ماركس، فيبر**، الذين يمثلون مرجعيات علم الاجتماع التقليدي وكان له تأثير في علماء الاجتماع في الشرق والغرب، يدعو هذا العالم إلى صياغة جديدة للعلوم الاجتماعية والطبيعية والانسانية، تقوم على منهج معرفي توحيدي للعلوم والمعارف البشرية، عمل **والرستاين** حتى على مساءلة سوسيولوجيا الرواد الغربيين المؤسسين.[2]

وبذلك أكد الباحثون العرب، على ضرورة العودة إلى التراث العربي الإسلامي، من أجل صياغة نظرية اجتماعية عربية عن طريق عملية الوصل المنهجي بالنصوص التراثية، وعملية وصل الموضوع أي المجتمع العربي

[1] قنيفة نورة: **النظرية السوسيولوجية بين التمثل الفكري لأساتذة علم الاجتماع والممارسة الواقعية أو الوجه الآخر لديمومة أزمة علم الاجتماع في المجتمع الجزائري**، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة الوادي، الجزائر، العدد 20، 2016، ص 135

[2] سلمان بونعمان: **علم الاجتماع الغربي (مساءلة ومحاكمة كبير علماء الاجتماع يراجع فكر الرواد)**، مجلة إضافات، بيروت، لبنان، العدد 16، خريف 2011، ص ص175-185

والذات العربية بالتراث الاجتماعي، إلاّ أن هذا الاتجاه قد وجهت له انتقادات مختلفة، فظهر بذلك توجه آخر يدعو إلى أسلمة المعرفة، الذي يحمل نفس الموقف المعرفي من أزمة علم الاجتماع في العالم العربي.[1]

لقد بدأ التفكير في البحث عن وجهة نظر إسلامية حول العلوم الاجتماعية من قبل مفكرين أغلبهم ليسوا عرب، كالباكستاني " **أكبر أحمد** "، والإيرانيين " **علي شريعتي**"، الشيخ "**مرتضى مطهري** "، والبريطانية " **الولشمريل واين دايفيس** "، كلهم نشأوا فكريا في الغرب ماعدا مطهري، واعتبر **ساري حنفي** تأسيس جمعية العلماء الاجتماعيين المسلمين من قبل اتحاد الطلبة المسلمين بالولايات المتحدة الأمريكية وكندا في سنة **1972**، كحدث هام للتفكير في ربط العلوم الاجتماعية بالقيم الاسلامية، وقد بادرت هذه الجمعية إلى عقد مؤتمرات وملتقيات انتهت بإنشاء المعهد العالمي للفكر الإسلامي في واشنطن سنة **1981**.[2]

والمقصود بإسلامية المعرفة: " أن تواكب قدرة العقل والفكر والمنهج المسلم، حاجة الأمة والتحديات التي تواجهها، وأن تقدم لها الطاقة والزاد الفكري والرؤية والمناهج الفكرية الحضارية اللاّزمة لإنجاح مسيرة جهود بناء مرافقها وأنظمتها، فالأمة لا ينقصها الإخلاص ولا القيم ولا الإمكانيات البشرية أو المادية، ولكنها تحتاج إلى فكر سليم ومنهج متكامل قويم ورؤية واضحة تسير على هداها وتسعى إلى تحقيقها وتنشأ بناءها على مقتضاها.[3]

لقد تعرض هذا التوجه لنقد من قبل العديد من الباحثين، من أهم هذه الانتقادات ما وجهه **محمد سعيد رمضان البوطي** من خلال بحثه (**أزمة المعرفة وعلاجها في حياتنا الإسلامية المعاصرة**)، حيث رأى أن المنهجية العلمية الحقيقية تنتمي إلى العالم الموضوعي، وأنها ذات طبيعة ثابتة ومستقلة في وجودها وبنيتها عن الفكر الإنساني، فوظيفة العالم المعاصر تقتصر على أمرين: إعادة صياغة المنهجية العلمية بحيث تصبح أكثر استجابة لحاجاتنا الراهنة وتقديمها في قالب عصري يتناسب والخطاب العلمي الصحيح، كما يعترض **فضل عبد الرحمن** على مشروع إسلامية المعرفة في مقاله " **رد على إسلامية المعرفة** "، فيتمثل في تشديده على عدم إمكان تطوير منهجية علمية أو رسم خطة تفصيلية لتحقيق إسلامية المعرفة.[4]

---

[1] ماهورباشة عبد الحليم: **التأصيل الإسلامي لعلم الاجتماع (مقاربة في إسلامية المعرفة)**، أطروحة دكتوراه، تخصص علم الاجتماع، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة سطيف 2، الجزائر، 2014، ص ص164-167

[2] ساري حنفي: **أسلمة وتأصيل العلوم الاجتماعية (دراسة في بعض الإشكاليات)**، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، العدد 451، سبتمبر 2016، ص ص46-47

[3] المعهد العالمي للفكر الإسلامي: **إسلامية المعرفة (المبادئ العامة – خطة العمل – الإنجازات)**، سلسلة إسلامية المعرفة (1)، ط2، 1992، ص 169

[4] نعمان عباسي: **مقاربات علم الاجتماع بين التكامل والتعدد (دراسة تحليلية في طبيعة المعرفة السوسيولوجية بين وحدة العلم وخصوصيات الواقع)**، أطروحة دكتوراه، تخصص علم الاجتماع، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2011، ص 213

يقدم **ساري حنفي** قراءة نقدية، حول هذا الطرح من خلال دراسة لبعض الكتابات العلمية بهذا الخصوص أخذت شكل كتب، مقالات، أطروحات دكتوراه، فاختلفت ردود الأفعال بن المتفاعل إيجابيا وهم قلة من الباحثين، ومن المتفاعلين سلبيا من قبل الكثيرين من الباحثين من الجماعة العلمية السوسيولوجية، وفي دراسة نقدية لهذا الطرح الفكري الحديث حول أسلمة المعرفة السوسيولوجية، يقدم **ساري حنفي** قراءة وتحليل لمضمون أكثر من **52** مقالة و**17** كتابا وثلاث أطروحات ومقابلات مع بعض المنادين باتجاه الأسلمة أو التأصيل الإسلامي للمعرفة، توصل الباحث إلى نتيجة، أن هناك محاولات جديدة ولكنها نادرة لدراسة كل عناصر العلم الاجتماعي وتوطينه أو تبيئته محليا، ويقول: " أنا أفضل استخدام مفهومي التوطين والتبيئة، كونهما يشيران إلى منظومة قيمية أو ثقافية إسلامية، بالإضافة إلى عوامل حاسمة أخرى كالثقافة الوطنية والمحلية وطبيعة العمران في إدخال تلوينات على العلوم الاجتماعية، وهذا أقرب إلى تخصصات يمكن تسميتها علم الاجتماع في بلد عربي أو إسلامي، منه أن يكون علم الاجتماع إسلاميا ".[1]

وإجابة عن السؤال الذي تم طرحه في مقدمة هذا الفصل، فإن سبب ربط الباحثين بين أزمة علم الاجتماع وأزمة الفكر العربي، نجد أن كل المشتغلين بوضعية العلوم الاجتماعية وعند تحليلهم لأزمة هذا العلم، يفسرونها على أنها أزمة تبعية هذا العلم للأطر النظرية التي أنتجها العالم الغربي، وكذلك لأسباب تتعلق بتخلف العالم العربي عن إنتاج علم ينطلق من خصوصية الواقع الذي يدرسه، وهو نفس الطرح الذي يقدمه العلماء والباحثون أثناء تحليلهم لأزمة الفكر العربي المعاصر عبر الحركة النقدية التي جعلت مشروعها الفلسفي نقد للفكر العربي المعاصر، ومنه فإن مجمل القراءات التي تتناول وضعية علم الاجتماع، هو كونها مصبوغة بصبغة أيديولوجية- سياسية، مرتبطة بذلك النقاش الدائر في حقل الفكر العربي، بمعنى أنها تنطلق في معظم الأحيان من هم تغيير الواقع وتطويره على اعتبار أن أزمة هذا العلم هي أزمة المجتمع الذي أنتجه أو أزمة المشتغلين به وبالتالي أزمة الفكر المنتج لهذا العلم، لذلك قد تعالت الدعوات إلى تبني علم اجتماع ينطلق من الواقع العربي، وهذه الدعوات نتيجة مستوحاة من هم إيديولوجي وثقافي يدخل فيه منطق التاريخ الثقافي والفكري للعالم العربي، وبالتالي لا يمكن فهم هذه التصورات بمعزل عن التجربة الفكرية التي خاضها العالم العربي منذ عصر النهضة.[2]

من بين المعوقات الابستمولوجية التي يراها العلماء والباحثون سببا في خلق أزمة على مستوى هذا العلم، وهو السؤال القديم الجديد الذي يطرح حول: **مدى علمية العلوم الاجتماعية؟ وهل بإمكاننا الحصول على معرفة**

[1] ساري حنفي: **أسلمة وتأصيل العلوم الاجتماعية (دراسة في بعض الإشكالات)**، مرجع سبق ذكره، ص 51

[2] يوسف حنطابلي، مرجع سبق ذكره، ص 93

سوسيولوجية دقيقة باستخدام مناهج خاصة، بعيدا عن المنهج التجريبي الذي يعتبره أغلب الدارسين المقياس الصحيح والدقيق على مصداقية النتائج المتوصل إليها؟

شكل هذا الموضوع، إشكالية كبيرة على المستوى الابستيمولوجي، ليس بمقدورنا التفصيل كثيرا، لكن يمكن التطرق لبعض الآراء منهم، وحسب ما جاء في مقال الباحثة /**رندة ناصر**، أن هناك اتفاق عام بين معظم العلماء، بالرغم من اختلافاتهم الفكرية، أن العلم كطريقة للحصول على معرفة، ينتج المعرفة الأقرب إلى حقيقة الظواهر في واقعها الموضوعي، وأن المنهج العلمي الأفضل أو الأقدر على إنتاج هذه المعرفة، هو منهج التجربة المخبرية، وهذا المنهج غير قابل للتطبيق لدراسة معظم الظواهر الاجتماعية، كما أكد ذلك كل من **كانط وديثلي، وفيبر وبواس**، وقد شكل هذا معضلة شغلت اهتمام علماء الاجتماع، وانتشرت نقاشات حادة بينهم حول إمكان إنتاج معرفة موضوعية وعلمية عن الظواهر الاجتماعية وحتى بعض الظواهر الطبيعية منها، التي لا يمكنها أن تخضع للدراسة من خلال منهج التجربة المخبرية، فقام دارسوا هذا العلم بتكوين مناهج بديلة مثل: منهج المسح الكمي والمسح الكيفي، والإثنوغرافيا، وتحليل المضمون، وقاموا بتضمينها اعتباطا في حيز العلم، فهناك من يحاول إثبات أن المنهج الكيفي هو الأفضل يوازي منهج التجربة المخبرية بعلميته وبموضوعيته.

لكن يوجد فريق من الباحثين، يرى أن المنهج الكمي الإحصائي هو المنهج الأنسب والصحيح للدراسات الاجتماعية، وتستمر المحاولات التي تدعي أن المناهج الاجتماعية بالفعل مناهج علمية وتنتج معرفة موضوعية ومؤكدة عن حقيقة الظواهر. [1]

هناك من لا يتفق مع هذه الادعاءات مثل ما جاء عند **الدراجي وفوكو**، إذن هناك تناحر بين العلماء الاجتماع، كما يؤكد **غيرينغ**، وهذا التناحر بين العلماء، ما هو إلاّ انعكاس للصعوبة التي تواجه الأبحاث الاجتماعية في إنتاج معرفة أقرب إلى ما يمكن إلى حقيقة الظواهر، ويوضح **تشومسكي** هذه الصعوبة: " من المؤكد، أن الطبيعة الأم لا تقدم لنا إجابات على طبق من الفضة... ولكنها لا تضع في وجهنا عقبات، في الأمور الإنسانية توجد عدة عقبات في وجه عملية الحصول على فهم عمّا يحدث ".[2]

وعليه يطرح هذا الإشكال قضية الموضوعية، بمعنى أن المعرفة التي لا نتوصل إليها عن طريق التجربة، هي معرفة تخضع للذاتية بدرجة كبيرة، ومنه يعتبره الباحثون السوسيولوجيون من العوائق الابستمولوجية التي

---

[1] رندة ناصر: **العلوم الاجتماعية والموضوعية: من عقدة (المعطف الأبيض)، إلى (الرغبة في أن تضمنا خيمة العلم)**، مجلة إضافات، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، العددان 33-34 شتاء -ربيع، 2016، ص 232

[2] المرجع السابق، ص 234

تعترض تطور المعرفة السوسيولوجية، فمن الباحثين من يرى أن نسبة الموضوعية في البحوث الاجتماعية قليلة جدا، لأن الباحث يتأثر بالموضوع الذي يدرسه، لأنه يعتبر جزء منه، فيصعب عليه دراسته بشكل محايد وبنزاهة وموضوعية، قد يؤثر الباحث في العلوم الاجتماعية والانسانية في الظاهرة المدروسة، فيغير الباحث من طبيعتها ويفهمها فهما خاصا، مما يجعل النتائج تختلف من باحث لآخر، ويجعل إمكانية التعميم متعذرة، يتمركز الباحث في العلوم الاجتماعية وحتى الانسانية حول ذاته، أي أنه يقدم رؤيته للظاهرة الإنسانية المدروسة، انطلاقا مما يحمله في ذاته من مشاعر وأفكار ومعتقدات ترتبط بالتزامه بمواقف فلسفية، أو مذاهب إيديولوجية أو عقائدية.[1]

فالباحث في العلوم الانسانية والاجتماعية نتيجة غياب الكثير من الأدلة والبراهين القاطعة لحل مشكلة معينة، سواء كانت سياسية، اقتصادية، اجتماعية، تاريخية، أو نفسية، يجعل منه يتسرع في إصدار أحكام عشوائية ومرتجلة، وهذا ما يؤثر في نهاية المطاف على الموضوعية العلمية، والتي بدورها تؤثر على البحث العلمي ومصداقيته.[2]

تقترن أزمة علم الاجتماع بأزمة الفكر، على اعتبار أن الأولى هي نتيجة الثانية، ومنه فإن أزمة علم الاجتماع يدخل فيها العامل الفكري بطريقتين: أزمة علم الاجتماع في الغرب وتفسر على أنها أزمة الفكر الغربي في عدم مسايرته التطورات التي لحقت بواقعه، ومن جهة أخرى هناك أزمة الفكر العربي على عدم مواجهة واقعه، فأزمة علم الاجتماع، هي أزمة الافتقار إلى تصور علمي واضح تجمعه علاقة عضوية بالمحيط الطبيعي والتاريخي للمجتمع العربي، إنها أزمة الانسلاخ التام عن الواقع العربي المحلي والتعلق بالمنظومات الإيديولوجية الغربية التي لا تعرف أدنى شيء عن الخصوصيات القومية لهذا الواقع، والهوية المعرفية لعلم الاجتماع في الوطن العربي تجد مرتكزا لها في الثقافة العربية التي تتحدد أساسا في ما أنتجه العالم العربي منذ عصر النهضة إلى غاية اليوم، وما تطور منذ تلك المرحلة من إشكالات وطروحات كان أساسا استجابة لعلاقة الفكر العربي المعاصر، إذ تكمن خصوصية علم الاجتماع في الوطن العربي في انغراس هذا الأخير في محاولة الإجابة عن التساؤلات التي طرحها ومازال يطرحها الفكر العربي على نفسه.[3]

---

[1] عبد المؤمن بن صغير: **الصعوبات التي تعترض الباحث العلمي في مجال العلوم الانسانية والاجتماعية وحدود الموضوعية العلمية**، مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية، تصدر عن مركز جيل البحث العلمي، العدد 1، أكتوبر 2013، نقلا عن الموقع الالكتروني: http://jilrc-magazines.com/، ص 33

[2] المرجع السابق، ص 33

[3] يوسف حنطابلي، مرجع سبق ذكره، ص ص 102- 104

فأزمة العلوم الاجتماعية، تجد جذورا لها في فشل النهضة من خلال التفاعل مع الواقع الاجتماعي تفاعلا إيجابيا، الشيء الذي يسمح ببروز علوم اجتماعية تحاول صياغة إشكالية النهضة صياغة علمية وتكون لحظة الوعي الإيبستيمي بالواقع، وانطلاقا من هذه الأزمات التي يعيشها علم الاجتماع بالعالم العربي، الأمر الذي أدى بالباحثين إلى الانتقال من طرح مشكلة العلوم الاجتماعية من مستوى الطرح النظري، إلى مستوى التحليل الإيبستيمولوجي المعمق لأزمة هذا العلم.[1]

فالتحليل الايبستيمولوجي يدفع الباحث إلى تحليل العلم ونقده على ضوء الفكر الذي ينتجه ومنه فإن ضرورة نقد وضعية علم الاجتماع في الوطن العربي، مرتبط قبل كل شيء بدراسة وتحليل التجربة الفكرية للعالم العربي في عصر النهضة، وذلك بنقد ما أتت به من طروحات على اعتبار أن الفكر هو الخلفية المعرفية التي تعطي للعلم إمكانية وجوده كإطار لدراسة الواقع الاجتماعي في محاولة طرح المسألة الاجتماعية، بالإجابة عن الأسئلة التي تطرحها الثقافة على العلم عن طريق الفكر، فعن طريق علم الاجتماع استطاعت أوروبا أن تتخطى مرحلة الأنوار مؤسسة لفكر جديد بات أداة رئيسية لتحليل الأوضاع وتحديد طبيعة الإشكال الذي ميز أوروبا في القرن التاسع عشر، فأزمة علم الاجتماع مازالت سارية لحد الآن، وهي أكثر تجذرا في الواقع العربي، الأمر الذي ينبئ باستمرارها، والمجال الفكري للعالم العربي مازال يطرح على نفسه الإشكالية نفسها التي طرحها في عصر النهضة ومازال الخطاب حول المثقف يطرح باستمرار في كل مناسبة حول تحديد دوره التاريخي والاجتماعي.[2]

بصورة عامة، فالفكر العربي يعيش أزمة حقيقية، باتفاق الباحثين من مشرقهم إلى مغربهم، ويستدلون بذلك على واقع الأمة العربية المتدهور، اقتصاديا، ثقافيا، فكريا، سياسيا...الخ، رغم وجود مجهودات فكرية، حاولت تشخيص أسباب الأزمة في محاولة لإيجاد حلول لها، لكن السؤال الذي يطرح: **ما سبب عدم نجاح هذه المشاريع الفكرية في إخراج الأمة العربية من التخلف الذي تعيشه؟، هل تم الاعتماد على هذه المشاريع في حل الأزمة؟ أم أنها بقيت مجرد أفكار تحتضنها رفوف المكتبات؟ أم مجرد تحف فنية نحتفظ بها لنزين بها الموائد الفكرية، أثناء المؤتمرات والندوات، حتى نقنع أنفسنا بأننا أصحاب فكر ولدينا مفكرين؟، هل المجهودات الفردية هي السبب؟،** فالإجابة عن كل هذه الأسئلة، قد نختصرها في فكرة أساسية واحدة: هي أن النخب العربية أو المشتغلين في الحقل السوسيولوجي، قرروا العزف المنفرد، بدل العمل في مجموعات علمية، لأنه ما يطبع هذه الأعمال بأنها مجهودات

[1] المرجع السابق، ص ص104- 110

[2] المرجع السابق، ص ص110-114

فردية مشتتة، رغم تواجد أبرز المفكرين للشأن الفكري العربي فينفس الفترة الزمنية والذين عايشوا نفس الظروف، **وما** يؤكد هذه الرؤية، أنها لم تستطيع أن تحقق آمال وتطلعات المجتمعات العربية.[1]

2- واقع البحث السوسيولوجي في الوطن العربي

انطلاقا من المؤشرات والتقارير التي تصدرها المؤسسات الدولية والمحلية عن واقع العلوم الاجتماعية في العالم العربي، أن أزمة الفكر العربي المعاصر ترجع إلى فرضيتين:

- الأولى إلى أزمة ابستيمولوجية معرفية، التي تظهر في طبيعة المناهج والمفاهيم والنظريات التي تبلورت حول الإنسان والمجتمع الغربي، والتي تطرقنا لها في عنصر سابق.
- الفرضية الثانية، ترجع إلى المستوى الواقعي الأمبريقي، فسبب الأزمة برأيهم يعود إلى الجمود والتخلف والانحطاط الحضاري الذي يعاني منه المجتمع العربي، وأبرز مؤشراته الاستبداد السياسي الذي يخنق المعرفة الاجتماعية ويضيق على الباحثين عملهم.[2]

تأسيسا على هذه المعطيات، نحاول فيما يأتي أن نتعرف على واقع البحث السوسيولوجي من الناحية التطبيقية بالعالم العربي، **وإلى أي حد استطاع علم الاجتماع النظري بمناهجه وادواته ونظرياته الحالية، أن يحاكي الواقع العربي من خلال بعض المؤشرات الميدانية؟**

من خلال نتائج لدراسات وتقارير لمؤسسات دولية وعربية نشخص حالة علم الاجتماع بالدول العربية، بالتركيز أساسا على دور ومعوقات تكوين الجماعات العلمية باعتبارها أحد الآليات الرئيسية التي يتجسد من خلالها الحوار الفكري الجاد والهادف.

يعيش البحث العلمي في الوطن العربي حالة من التقهقر والتذبذب دون استثناء، رغم التباين في أوضاع العالم العربي من حيث المساحة والإمكانيات البشرية والمادية، إلاّ أن مشاكل البحث متشابهة ومتشابكة، ويمكن اعتبارها واحدة على كامل التراب العربي.

فحسب تقرير نشرته اليونسكو سنة **1999**، عن وضعية العلوم الاجتماعية في بلدان الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، يفيد التقرير بأن هناك عاملان بارزان أثرا في تشكيل مسار العلوم الاجتماعية هما: المال والسياسة، قدم التقرير عرضا سلبيا لواقع العلوم الاجتماعية في العالم العربي، ونفس النتائج أعيد التأكيد عليها في تقرير سنة

[1] ماهورباشة عبد الحليم: **أزمة العلوم الاجتماعية في العالم العربي**، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة حمة لخضر، الوادي، الجزائر، العدد4، جانفي2014، ص 39

[2] المرجع السابق، ص 40

2000، حيث تبدو وضعية العلوم الاجتماعية بالعالم العربي متأخرة، مقارنة بمحاولات التجديد البحثي في بعض من دول آسيا، وأشارت التقارير إلى مؤشرات توضح واقع الأزمة في العلوم الاجتماعية في العالم العربي:

- مؤشر الفجوة المتنامية بين التنامي الكمي للعلوم الاجتماعية والجودة النوعية للبحوث.[1]
- مؤشر الفجوة بين التعليم للعلوم الاجتماعية وتراكم الخبرة البحثية، وهذا يرجع إلى عاملين: رئيسيين: ضعف مستوى التراكم المعرفي والعملي، ضعف مستويات التوطين للعلوم الاجتماعية في العالم العربي.
- مؤشر الفجوة بين أجيال الباحثين ونتائجهم في العلوم الاجتماعية في العالم العربي.
- مؤشر الفجوة الرقمية في البحث في العلوم الاجتماعية.

وجاء في تقرير اليونسكو لسنة **2010**، الذي تناول وضع العلوم الاجتماعية، وحسب رأي **محمود الذوادي**، أن التقرير قد أشار إلى، أن هناك هوة معرفية واسعة في إنتاج المعرفة في العلوم الاجتماعية بين المجتمعات الغربية المتقدمة والدول النامية، إذ تهيمن الأولى على الإنتاج المعرفي، والثانية ومن بينها الدول العربية مستوردة لهذه المنتجات المعرفية، انطلاقا من المؤشرات والتقارير التي تصدرها المؤسسات الدولية أو المحلية عن واقع العلوم الاجتماعية في العالم العربي، والتي تؤكد في مجملها على الوضعية الكارثية لهذه العلوم.[2]

سعى التقرير إلى وضع اليد على إشكالية مهمة يعيشها الباحث العربي، وهي قضية التصنيف، التي تعتمد كمؤشر لتقييم الأعمال العلمية، ومن بين المؤشرات المعتمدة نذكر تصنيف "**الببليوميتري** " الذي يعتبر واحدا من المؤشرات التي اعتمدتها جامعة **شنغهاي** في الصين لتصنيف أكبر الجامعات، مركزين في ذلك على عدد المقالات العلمية المحكمة المنشورة في المجلات المعترف بها، لكن يعتبر هذا المؤشر كميا ولا يستحضر بقية الانتاجات العلمية التي ينتجها الباحثون، كالكتب والمؤلفات والأبحاث الميدانية، الأمر الذي جعل الكثير من الدول إلى انتهاج مقاربات خاصة بها، لكي تكون مستجيبة لبعض المؤشرات التي يتم التغاضي عنها في التقييم الدولي.[3]

---

[1] ماهورباشة عبد الحليم: **تأصيل العلوم الاجتماعية في الفكر العربي المعاصر**، مجلة الباحث الاجتماعي، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة قسنطينة2، الجزائر، العدد 11، 2015، ص ص26 – 27

[2] المرجع السابق، ص ص27 – 29

[3] رشيد جرموني: **التقرير العالمي حول العلوم الاجتماعية لسنة 2010 (تقاسم المعرفة)**، مجلة إضافات، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، العدد 16، خريف 2011، ص 149

الملاحظ أنه وحسب نتائج مختلف أنواع التصنيفات العالمية التي تعمل على ترتيب الجامعات، وخاصة التصنيف **البيبليوميتري**، يبين التصنيف أن الجامعات الجزائرية تحتل المراتب الأخيرة، ليس إجحافا في حقها، بل هي معايير دقيقة وموضوعية، لأن هناك مجموعة من المقاييس أو التصنيفات على مستوى العالم، قد يظلمك أحدهم، أو قد يخطأ آخر، لكن لو تتوصل أغلبها إلى نفس النتائج، هذا يعني أن جامعاتنا فعلا تعاني وتعيش حالة من الركود في البحث العلمي الجاد والفعال، يؤكد مؤشر التصنيف عن عدم جدية البحوث المنجزة على مستوى الجامعات العربية، وبالتالي عدم التوصل من خلال الأعمال سواء الفردية أو الجماعية إلى تحقيق الهدف من البحث العلمي والمتمثل في الوصول إلى معرفة علمية جديدة ومتطورة. [1]

وفي إشارة لقضية مهمة والتي تعتبر محور بحثنا حول دور مراكز البحوث في ترقية المعرفة العلمية، باعتبارها أحد المؤسسات التي يمارس فيها البحث العلمي المؤسسي والتي تمثل أحد أشكال الحوار الفكري والمعرفي، ونظرا لما حققته هذه الأخيرة بالدول الغربية من نتائج مهمة، أين أصبح العمل الجماعي أساس للبحث العلمي، فقد شكلت مراكز البحوث باعتبارها خلايا للتفكير وتخصيب الرؤى وإنتاج المعرفة، ونموذج جديد في تثوير العلوم الاجتماعية وإخراجها من سياقها الضيق، وهي الجامعات والمعاهد إلى مجال أرحب، وهو المجتمع والدولة والعالم، وتميزت هذه التجربة بإبداعاتها بكونها أغنت النقاشات العالمية وأثرت المعرفة واقتصادياتها، لكن حسب ماجاء في التقرير، أن هذه المراكز قد سجلت إنزلاقات وتحيزات سياسية، خلقت توجهات أيديولوجية تزاوج بين العلم والأيديولوجيا والمصالح السياسية.[2]

تعتبر الجماعة العلمية فضاء للبحث، حيث كل باحث سواء كان مؤرخا، عالما، أو قانوني، عليه أن ينظم في حقل أكاديمي معين أو بجماعة علمية، فالجماعة العلمية لا تخلق بقرار سياسي، بل هي نتيجة مسار علمي وفكري ومؤسساتي طويل المدى، لقد تمكنت الجامعات ببعض الدول العربية، خاصة في المغرب، مصر، لبنان وسوريا، من ترغيب الباحثين ببناء جماعات علمية[3]

تعبر الجماعة العلمية عن العمل العلمي التشاركي الذي من خلاله يتجسد الحوار الفكري بين العلماء والباحثين، لكن تؤكد التقارير والدراسات أن العالم العربي يفتقد إلى هذه النماذج التي نمت وتطورت بالغرب وأصبحت النموذج الأكثر انتشارا لممارسة البحث العلمي المنظم، إذن أزمة البحث العلمي وحسب رأينا ترجع

---

[1] المرجع السابق، ص 151

[2] المرجع السابق، ص 151

[3] Ali el-kenz : **les sciences sociales dans les pays arabes : cadre pour une recherche,** L'algérie 50 ans après etat des savoir en sciences sociales et humanes 1954- 2004, Actes de symposium, Oran, 20- 21- 22 septembre 2004, Ed.crasc, 2008, p 67

أساسا إلى افتقادنا للجماعات العلمية بمواصفات وأهداف الجماعات العلمية الناجحة، ولعل خير دليل ما يعيشه الغرب من تطور وازدهار نتيجة للعمل العلمي المؤسسي، وحتى إن وجدت هذه الجماعات فهي تتخبط في مشاكل لا حصر لها، ولكي نبين صحة هذا الرأي، نلجأ إلى أهل الاختصاص والباحثين، الذين اهتموا بهذا الموضوع، رغم أننا نسجل قلة الدراسات والأبحاث في مجال الجماعات العلمية في العالم العربي.

لقد وضع **فستنجر (Festinger)**، عددا من العوامل التي لها علاقة بقيام تلك المعايير، ومن هذه العوامل هو أنه لكي يكون هناك توحد بالجماعة من جانب أعضائها، فلا بد أن يكون هناك وحدة في اتجاهات وسلوك هؤلاء الأعضاء، يقترح **فستنجر** أيضا، أنه لكي تحصل الجماعة على أهدافها، فإن ذلك يعتمد على مدى تعاون أعضائها فيما بينهم للقيام بالنشاط الموكل لهم، ولكي تؤدي الجماعة العلمية دورها وتنجح في تحقيق أهدافها، يطرح عامل تماسك الجماعة كأحد العوامل الناجحة والناجعة لتحقيق الجماعة لأهدافها، حيث يرى **كرترايت وزاندر (Cartwright et Zander)**، ويمكن تقدير مدى تماسك الجماعة بدرجة انجذاب الأعضاء للجماعة، والأفراد ينجذبون للجماعة، إذا مثلت بالنسبة لهم مصدرا لإرضاء حاجاتهم، وطالما أن الجماعة ذات قيمة للفرد بالنسبة لهذه النواحي، فإنها تستطيع أن تؤثر في أفكاره وفي سلوكه، ويستدل الباحثون عن عوامل تماسك الجماعة من خلال بعض المؤشرات:[1]

- وقوف أعضاء الجماعة جنبا إلى جنب في الظروف العصيبة ومساعدتهم لبعضهم البعض.
- تحمل الفرد لمسؤوليته تجاه الجماعة قيام كل عضو من أعضاء الجماعة بدوره وعدم التصارع بين الأدوار، ومن الدراسات التي تكشف نتائجها عن تماسك الجماعة، تلك التي أجراها **ليبيت وهوايت**، لمعرفة العلاقة بين الأجواء الاجتماعية والقيادة، فكان من بين المؤشرات الدالة على تماسك الجماعة، مدى استخدامها للفظ (نحن)، بدل (أنا)، كذلك مقياس الصداقة أي تكوين صداقات بين الأفراد ومقارنتها من جماعة لأخرى، وفي هذا السياق يحدد الباحثون عوامل معينة تعمل على تماسك الجماعة العلمية منها:
- تعاون أفراد الجماعة مع بعضهم البعض.
- اشتراك أفراد الجماعة في الخصائص والحاجات والأهداف.
- سهولة اتصال أفراد الجماعة مع بعضهم البعض وهذا ما يزيد من تأثيرهم وتأثرهم فيما بينهم.
- عدم وجود صراع بين أفراد الجماعة.[2]

[1] محمود السيد أبو النيل: **علم النفس الاجتماعي (عربيا وعالميا)**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، 2009، ص ص457-470

[2] المرجع السابق، ص ص470-475

ومن المظاهر الدالة على تماسك الجماعة ظاهرة الفكر الجماعي، حيث تظهر الجماعة بمظهر الشخص الواحد، وتتميز المجموعة في هذه الحالة بالثقة بالنفس والاكتفاء الذاتي، وتؤدي إلى الانصياع إلى الرأي الجماعي، لكن قد يؤثر هذا إلى إحداث ضمور في التفكير الإبداعي للأعضاء، وقد حدد **جينس** سنة **1971**، مجموعة المؤشرات الدالة على حدوث ظاهرة الفكر الإبداعي:

ـ التبرير العقلي ـ افتراض المسؤولية الأخلاقية ـ الاتجاهات السلبية اتجاه الغير ـ الرقابة الذاتية ـ وهم الاجماع ـ حراسة الأفكار، ومنه فإن تماسك الجماعة وتفاخرها واعتزازها بنفسها، يؤدي بشكل مباشر إلى حدوث تلك الظاهرة، إلاّ أن لهذه الظاهرة أثار سلبية يمكن تفاديها أو تخطيها، من خلال تقسيم المجموعة إلى مجموعات فرعية، كما يحدث ذلك في مشاريع البحث المختلفة، حيث تقسم مجموعة البحث إلى فرق بحثية، تختص كل واحدة بالبحث في جانب معين يقترح من طرف مدير الفريق، ويتم الحوار بين تلك المجموعات الفرعية بهدف التوصل إلى القرار النهائي.[1]

إن أكثر ما يهدد تماسك الجماعة، نشوب الصراع بين أفراد الجماعة العلمية، ويمكن أن يحدث الصراع في الحالات الآتية:

- وجود مصالح متعارضة بين أهداف الفرد والأفراد الآخرين، أو الفرد والجماعة أو بين بعضها ببعض.
- التعاملات بين الأفراد التي تهدف إلى تحقيق انتصارات على حساب الآخرين، وفي مثل هذه الحالات فإن مكسب أي طرف يعتبر خسارة للطرف الثاني (المباراة الصفرية).
- الأفعال وردود الأفعال ذات الطابع المتناقض والصادرة من الأفراد داخل الجماعة.
- محاولات أعضاء الجماعة العلمية الترقي وتحقيق التقدم الوظيفي قبل الآخرين.
- الرغبة من البعض في فرض السيطرة والتأثير على الآخرين.[2]

وهناك فرق بين الصراع والمنافسة في مجال البحث العلمي، فالصراع يوجه نحو طرف أو أطراف أخرى بالتنظيم، نظرا لتعارض المصالح بينما المنافسة هي محاولة لتحقيق أهداف معينة دون أن يتعارض ذلك مع مصالح الآخرين، إلاّ أنه قد يتحول احتدام المنافسة بين الباحثين إلى صراع، خاصة عندما يترقى باحث دون باحث آخر، رغم امتلاكهما نفس المؤهلات.

وقد يكون للصراع جوانب إيجابية والتي قد تتمثل في:

---

[1] عادل محمد زايد: **تكوين الفرق والعمل الجماعي**، مشروع الطرق المؤدية إلى التعليم العالي، مركز تطوير الدراسات العليا والبحوث، كلية الهندسة، جامعة القاهرة، مصر، الطبعة الأولى مارس2007، ص ص40-42

[2] المرجع السابق، ص ص57- 59

- تطوير الأفكار.
- الاتجاه نحو البحث عن أفكار جديدة.
- إعطاء الفرد فرصة للتعبير عن رأيه.
- دفع عملية الإبداع والتطوير.[1]

تتميز الجماعة العلمية بروح المناقشة والتفكير الجماعي، لحل المشكلات الموضوعة للدراسة والبحث، ويتخذ هذا النوع من البحث صورة من صور الحوار العقلي الذي ينشأ وينمو بين أفراد الجماعة العلمية، ومنه فالمناقشة بهذا المعنى عملية فكرية جماعية يعالج فيها أعضاء الجماعة العلمية مشكلاتهم بطريقة تعاونية ناقدة مرنة، تيسر لكل فرد الاشتراك في تحديد موضوع المناقشة، وفي صياغة عناصرها، وتساعد على ظهور وجهات النظر الأساسية والنهائية والضرورية لمعالجة الموضوعات والمشكلات المختلفة، والحل الجماعي للمشكلة ليس مجرد صورة أخرى للحل الفردي وإنما هو ظاهرة متمايزة لها خصائصها وصفاتها.[2]

ويحدث هذا النوع من التفكير خلال عملية الاتصال العقلي التي تحدث بين أفراد الجماعة، أي أثناء عملية التفاعل، وما ينطوي على عملية التفاعل هذه من علاقات متبادلة بين الأفراد، ومعنى ذلك أنها عملية تفكير جديد، وليست مجرد مجموع المحاولات الفردية لمعالجة مشكلة علمية ما، ومن أساسيات المناقشة عامة والمناقشة العلمية خاصة، أنها تعتمد على:

- **مبدأ الديمقراطية:** تساعد المناقشات الجماعية على ممارسة الديمقراطية والتدرب على أسلوبها في الحوار الذي يؤكد أهمية الحرية في نجاح المناقشة، لأن جو المناقشة الجماعي يهيأ الفرصة المناسبة لكل فرد حتى يدلي برأيه ويشترك في المناقشة القائمة.
- **نقد المعرفة:** المناقشات الجماعية وسيلة فعالة في اصطراع الفكر والكشف عن المعرفة الأصيلة والدخيلة والصحيحة والزائفة.
- **تأكيد الذات:** تعد المناقشة الجماعية من أهم الوسائل التي يتبعها الفرد للتعبير عما يخالج نفسه من أفكار وانفعالات، فيؤكد بذلك شخصيته وينميها عن طريق العلاقات الاجتماعية التي تنشأ بينه وبين الأفراد الآخرين، فالمناقشة تشعر الفرد بالراحة عندما يسأل فيجاب عليه ويهتم به من يجيبه ويوليه عنايته، وبذلك تنمو ثقة الفرد بنفسه من خلال حواره، متحدثا أو مستمعا أو مجيبا.
- **تدعيم التعلم:** وتهدف المناقشة الجماعية في نواحيها التعليمية إلى تجسيد الأفكار المعنوية التي يصعب على

[1] المرجع السابق، ص60

[2] فؤاد البهى السيد، سعد عبد الرحمن: **علم النفس الاجتماعي رؤية معاصرة**، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 1999، ص84

الفرد إدراكها إدراكا مباشرا، لأن تلك المناقشة تعتمد في نموها وتطورها على مدى خصوبة الخبرات التي تؤكد بها كل فرد آراءه أثناء حواره ومناقشاته، وهكذا ندرك أهمية المناقشة الجماعية في العملية التعليمية المشتركة بين الأفراد، وذلك لأن التعلم في جوهره، تغير في السلوك المكتسب نتيجة الاتصال الاجتماعي الذي يحدث بين فرد وفرد آخر، أو بين فرد وإنتاج فرد آخر.[1]

يرى الباحث **محمد الإدريسي**، أن أزمة الإنتاج المعرفي في الميدان السوسيولوجي، تقترن بالشروط الموضوعية المحددة للحرف والمهن العملية داخل الجماعة العلمية، إن غياب جماعة علمية قادرة على التعيين الرمزي لطبقة السوسيولوجين المعاصرين، مقترن بغياب الهوية السوسيولوجية للباحث العربي، فبفعل الأزمات السياسية والاجتماعية التي عرفتها الدول العربية، أصبحت فكرة الاحترافية هشة وصعبة، بالإضافة إلى غياب الوحدة والانقسام الذي يطبع الباحثين العرب، نظرا لغياب جماعة علمية أكاديمية، ميز عالم الاجتماع الأمريكي " **ميشال بوراووي MichaelBurawoy** " بين أربعة أنواع من السوسيولوجيا:

سوسيولوجيا مهنية، سوسيولوجيا نقدية (منتجة وموجهة نحو المثقفين والأكاديميين)، سوسيولوجيا سياسية وسوسيولوجيا العموم (موجهتان نحو جمهور العموم)، وفي ارتباط الباحثين الاجتماعيين العرب ضمن هذا التصنيف، وجد **ساري حنفي** أن هناك غياب الحوار المتصل بهذه القضية بالمشرق العربي، عدم وجود توازن بين المقالات والكتب المهنية المنشورة والمقالات الصحفية والتقارير غير المنشورة، في التركيز على نوع واحد وغياب النقاش الناجم عن غياب الجماعة العلمية، وخلص إلى نتيجتين[2]:

- ضعف البحوث العامة في كل أنحاء الوطن العربي، وإن كان ذلك لا ينطبق على حالة المشرق العربي بشكل خاص، مقارنة بالدول المتقدمة ففي سنة **2001**، نجد الولايات المتحدة الأمريكية تحتل المرتبة الأولىبنشر **200870**ورقة عمل في العلوم الاجتماعية بأكبر الدوريات العالمية، تليها اليابان **57420** ورقة عمل، المملكة المتحدة **47660**، ألمانيا **43623**، فرنسا **31317**، الصين **20978**، في المقابل نجد الأمر يختلف تماما بالعالم العربي، فإذا أخذنا نموذج الجمعية التونسية لعلم الاجتماع، نجدها قد فقدت إستراتيجية عملها السوسيولوجية والأكاديمية في الماضي كانت بمثابة نموذج يحتدى به مغاربيا وعربيا وحتى دوليا، أما في السنوات الأخيرة، وأثناء اجتماع سنة **2013**، لم تستطيع أن تجمع سوى **35** مصوتا قانونيا لم يكن التقرير المالي ولا الأدبي المحفز للنشاط خلال السنوات الثلاثة الماضية جاهزا ، ليس للجمعية مقر ولا

[1] المرجع السابق، ص ص85-86

[2] محمد الإدريسي: **أزمة العلوم الاجتماعية في العالم العربي – مقاربة نقدية** –، مجلة نقد وتنوير، مركز نقد وتنوير للدراسات الإنسانية، الكويت، العدد03، ديسمبر/ فيفري 2015، نقلا عن الموقع الإلكتروني:tanwair.com ، ص ص204-206

ميزانية ثابتة ولا حتى موقع الكتروني أو نشرة إعلامية داخلية، ولولا العمل الجبار الذي تبذله الجمعية العربية لعلم الاجتماع ومجلة إضافات (المجلة العربية لعلم الاجتماع)، في التأسيس لمجتمع المعرفة العربي وللجماعة العربية السوسيولوجية بالوطن العربي، لأمكننا الحديث عن احتمال نهاية البحث الاجتماعي العربي في شقه الأكاديمي والملتزم والتنافسي.[1]

نفس الإشكال يطرح على مستوى الدراسات الانثروبولوجية والاجتماعية في الأردن والتي تتصل بعوامل ثقافية وتاريخية، ويتعلق الأمر بميل الباحثين إلى العمل البحثي بصورة منفردة، وعدم قدرة الباحثين على العمل ضمن فرق بحثية وضمن عمل بحثي جماعي، فمعظم الدراسات والأبحاث التي تجري في الأردن يقوم بها باحثون منفردون، وهو ما يضفي محدودية كبيرة في نتائج هذه الدراسات، نظرا إلى أن النشاط البحثي العلمي هو في جوهره نشاط متعدد المسارات، كما أن مواضيع البحث هي دائما ذات مكونات معرفية متعددة ولا تنتمي إلى مجال معرفي واحد متجانس، في حين يهيمن على النشاط البحثي في الجامعات المتقدمة، أي المنهجيات التي لا تنتمي إلى فرع معرفي واحد وإنما إلى عدة فروع معرفية، نظرا إلى تداخل المواضيع العلمية وعدم إمكان الفصل المطلق بينها، فإن معظم الباحثين الأردنيين يمارسون نشاطهم البحثي بشكل انفرادي ولا يتمكنون من العمل ضمن فرق بحثية جماعية، ويعود هذا الأمر إلى عوامل ثقافية ترتبط أساسا بشكل البناء الاجتماعي في الأردن الذي لا يتميز بالانقسامية والشفافية، وبالتالي لا يشجع على قيم التعاون والتكامل مع الآخرين، كما يستند إلى عوامل معرفية تتمثل بعدم إدراك كثير من الباحثين الطبيعة المعرفية التعددية للبحث.[2]

في حين يشكل الباحثون الاجتماعيون والانثروبولوجيون في كثير من المجتمعات الغربية ما يمكن تسميته بالجماعات العلمية، من حيث وجود كثير من عناصر الهوية المشتركة لدى الباحثين، ومن حيث وجود تدفق في المعلومات بين مكونات الجماعة، ومن حيث هيمنة تيارات فكرية ونظرية تخلق أشكالا من الاستقطاب داخل هذه الجماعات، فإن الباحثين الأردنيين في المجالات الاجتماعية والأنثروبولوجية، لا يشكلون أكثر من أفراد متناثرين ولا يملكون الحد الأدنى من التواصل في ما بينهم، إذا كان على مستوى شبكات المعلومات أو على مستوى الأنشطة العلمية كالمؤتمرات والورش التي تعمل على تعريف الباحثين ببعضهم البعض، وتعمل

[1] المرجع السابق، ص ص206-209

[2] عبد الحكيم خالد الحسبان، مرجع سبق ذكره، ص 240

على خلق إحساس بهوية مشتركة للباحثين، وبما يمكنهم من التحول إلى جهة مؤثرة في المشهد الوطني العام، سواء كان ذلك على صعيد البحث والدراسة أم على صعيد صنع السياسات الوطنية.[1]

وفي بحث **لـ/ سمير حماده** حول الإنتاج العلمي وأنماط نشره عند الباحثين في العلوم الاجتماعية بالشرق الأوسط، أن الاتصال العلمي مفقود بين الباحثين، وأضاف أن الأنشطة البحثية في الدول والمؤسسات المجاورة غير معروفة لديهم، كما أشار إلى ندرة ذلك **سمير خلف** في تناوله لقضية التعاون بين الباحثين العرب، فأرجع السبب إلى ضعف قنوات الاتصال العلمي فيما بينهم، ويوضح **عبد الله عواد زيادت** هذا الأمر عندما يذكر بأن العلماء العرب المقيمين في أمريكا الشمالية أكثر بروزا وتأثيرا من الناحية العلمية من إخوانهم في الدول العربية، هناك سلسلة من الدراسات التي حاولت وضع صور لقنوات الاتصال المباشر والغير مباشر والاختلافات في سلوك الاتصال بين الباحثين، ولعل أحدث هذه الدراسات، دراسة مسحية حول نظم الاتصال العلمي المباشر لمجموعة من الباحثين والعاملين في إطار خدمات الصحة النفسية في الريف الأمريكي، ووجد **سلاسن وسيدر (1985)**، اللذان قاما بتلك الدراسة، بأن هناك بعض الاختلافات في قنوات الاتصال العلمي المباشر لهذه المجموعات.[2]

يطرح كل من: **ساري حنفي** أستاذ علم الاجتماع بالجامعة الأمريكية في بيروت، والأستاذ/ **ريغاس أرفانيتس** باحث في المركز الفرنسي للبحث من أجل التطوير، إشكالية تكوين الجماعة العلمية، انطلاقا من السؤال التالي:

ما هي أسباب الاعتراف الضعيف بالجماعات العلمية في البلدان العربية، على الرغم من كونها غنية بالجامعات وبدرجة معينة بالإنتاج الفكري؟، إذن إلى ماذا يعود هذا التشرذم، فهل المشكلة تنبع من المؤسسات؟ أم أنها نتيجة لمعيقات سياسية واجتماعية عميقة أثرت في إنتاج المعرفة العلمية؟، يرى **ساري حنفي،** أن معظم الدول العربية بدت فاشلة في مأسسة البحث العلمي، ولم تستطيع تشكيل الجماعة العلمية، يبدو أن هناك أفواجا صغيرة متفرقة من الباحثين المدربين تدريبا عاليا، الذين يعملون في مراكز البحوث العامة، وقد يكون حسب رأي الباحثان، هو المسار الوحيد للبحث، حيث لم يكن هناك بناء جدي للجماعة العلمية، التي افتقدت الاعتراف بها اجتماعيا وسياسيا، وعندما تم إنشاء بعض الجماعات، كان ذلك غالبا متعلقا باختصاص أكاديمي مع ضعف التبادلات الاجتماعية الداخلية، كالمجلات والاجتماعات، بالإضافة إلى

[1] المرجع السابق، ص 241

[2] فهد مسفر الدوسري: **الاتصال العلمي عند الباحثين العرب في العلوم البحتة**، مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض السلسلة الأولى(5)، 1991. ص ص10-13

ضعف الممارسات البحثية داخل المؤسسات الجامعية، وكان تأثير كل هذه الظواهر مدمرا، لقد أصبحت معظم الدول العربية عمياء عما يحدث حولها.[1]

يضيف **ساري حنفي** في مقالة له، حول أزمة البحث في العلوم الاجتماعية، أن حالة الشرذمة والانقسام أو حالة التمزق التي تعيشها الأنشطة البحثية الأكاديمية، يرجع إلى أن الجامعات تنتج نخبا مجزأة داخل كل دولة فلا تتواصل مع بعضها، فهي نخب إما تنشر عالميا، فتتدثر بذلك محليا أو قد تنشر محليا لكنها ستختفي عالميا.[2]

يضيف **أنطوان زحلان** مستشار دولي في شؤون السياسة العلمية والدراسات المستقبلية وبناء المؤسسات، بأن الدول العربية لم تعمل على تأسيس منظمات علمية وطنية (الجماعات العلمية)، لتمكن باحثيها من الاندماج العضوي في النظام العالمي، ومع ذلك نجد العلماء العرب كأفراد يشاركون على نحو واسع في الأنشطة البحثية في البلدان الصناعية، بنفس وتيرة مشاركة الباحثين الصينيين، ويؤدي غياب الجمعيات العلمية الفعالة في البلدان العربية إلى ضعف إدماج القدرات العلمية العربية في الاقتصاديات الوطنية وفي الاقتصاد العربي الإقليمي.[3]

ورغم ما تؤكده الكثير من الدراسات التي توضح أن العمل الجماعي في أي ميدان، وخاصة الميدان العلمي الذي هو مقصودنا من الدراسة، أكثر إنتاجية من العمل الفردي، وقد قدم **تايلور** وزملاؤه المنهج الذي استخدمته دراسات عديدة تالية، وقد قالوا أنه لن يكون من العدل مقارنة أداء جماعة ما بأداء أي فرد، وبوسع الجماعة أن تستخدم طاقات كل أعضائها، في حين لا يستطيع الفرد إلاَ أن يستخدم إمكاناته هو فقط، لذلك قارن **تايلور** وزملاؤه أداء الجماعات الحقيقية بأداء الجماعات الإسمية (الجماعة الإسمية هي جماعة بالاسم فقط، ليس بها تفاعلات بين أعضاء الجماعة، وهي جماعات تعمل بشكل فردي ويتم تجميع أفكارهم فقط)، وقد استخدم **تايلور** وزملاؤه جماعات مكونة من أربعة أعضاء وتم مقارنة أداءها بأداء الجماعات الإسمية المشكلة من أربعة أعضاء، وفي سؤال طرح على عدد من الطلبة الأمريكيين: **هل العصف الذهني يتم بشكل أفضل في جماعة؟ أم كفرد؟** وقد اعتقد ما يقرب من **80%** من الطلبة أن الجماعة ستؤدي بشكل أفضل، وثمة

---

[1] ساري حنفي، ريغاس أرفانيتس: **البحث العربي ومجتمع المعرفة (رؤية نقدية جديدة)**، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، العدد 432، فيفري 2015، ص، ص 150، 162

[2] ساري حنفي: **الشرذمة إشكالية الأنشطة البحثية للأكاديميين في العلوم الاجتماعية في الوطن العربي**، مجلة إضافات، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، العدد 28، خريف 2014، ص 4

[3] أنطوان زحلان: **حال العلم والتقانة في البلدان العربية**، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، العدد 436، جوان 2015، ص 3

دراسات في ألمانيا واليابان أعطت نفس النتيجة، لكن **تايلور** وزملاؤه، وجدوا نتائج مخالفة، حيث اكتشفوا أن الجماعات الإسمية تفوقت على الجماعات التفاعلية وأنتجت ضعف إنتاجها وهذا ينطبق على عدد الأفكار الجيدة وعدد الأفكار الإنتاجية، وقد ذكر **ديل وستروب** في **22** تجربة قام بها سنة **1987**، أن أداء الجماعات الحقيقية والإسمية متشابها، ولم تجد أي دراسة أداء الجماعات الحقيقية هو الأفضل.[1]

وقد تباينت الدراسات فيما يخص أداء الجماعات الإسمية والجماعات الحقيقية، من خلال جلسات العصف الذهني التي تعد إحدى أساليب الحوار الفكري التي أثبتت فعاليتها في توليد وإنتاجية الأفكار الجديدة، على عكس ما يقدمه العمل الفردي من تذبذب وقلة في الإنتاج الفكري، وهذا ما يدعم فكرتنا حول الأداء الجماعي فيما يخص البحث العلمي، من خلال المؤسسات العلمية والبحثية باختلاف أشكالها وأنواعها، وفي دراسة جديدة عن إشكالية تكوين الجماعات باختلاف أنواعها وأهدافها، تطرح جملة من النتائج، التي تبين سبب عدم أداء لجماعة ما عملها بشكل جيد، وقد طرحت مشكلة تماسك الجماعة كأحد هذه المعوقات، لذلك حاولت الدراسة أن تبين أهمية عنصر التماسك في تكوين واستمرارية الجماعة فتماسك الجماعة، يعني شعور الأفراد بانتمائهم وولائهم لعضويتها، فتعمل الجماعة على تكوين رابطة قوية بين أعضائها، في سبيل هدف مشترك واستعدادهم لتحمل مسؤولية عمل الجماعة والدفاع عنها.[2]

ويتضمن تماسك الجماعة أيضا التقارب الشديد بين مكونات الجماعة والروح المعنوية والاتحاد والقوة والإنتاج والعمل الجماعي بروح الفريق الواحد في العمل والتكامل وجاذبية الجماعة، بالإضافة إلى ذلك، فإن من أهم المشاكل التي تواجه الجماعات العلمية وخصوصا العربية والإسلامية، هو انتشار حالة الإحباط والتوتر واللاأمن التي أثرت بشكل كبير على نتائج العمل العلمي والفكري، حيث أدى في بعض الأحيان إلى تغيير أهدافها ومناهجها، لذلك على الجماعة أن تدرك دوافع وحوافز أفرادها وكذلك الحاجات التي يحاولون إشباعها.[3]

وفي دراسة اهتمت بالعمل التشاركي ضمن مؤسسة اقتصادية، هذه الدراسة المعنونة بـ : " **المعارف الجماعية وأثرها على نشاط الإبداع في المؤسسة** "، للباحث/**محمد رشدي سلطاني**، جاء في نتائج هذه الدراسة، أن للمعارف الجماعية دور وأهمية في تعزيز نشاط الإبداع بالمؤسسة، وكيفية تأثير هذه المعارف باعتبارها موردا استراتيجيا في عملية الإبداع، وذلك أن المعارف الجماعية ليست فقط مجموع المعارف الفردية،

---

[1] نيجستاد برناردا: **الأداء الجماعي**، ترجمة/ عزة باشا شيماء، نصري شنودة إيمان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2015، ص ص148-149

[2] عبد الهادي نبيل: **سيكولوجية الجماعات – تشكلها، حركتها** –، الرضوان للنشر والتوزيع، الأردن، دار الأمين للنشر والتوزيع، فلسطين، ط1، 2013، ص ص38-39

[3] المرجع السابق، ص 40

وإنما هي محصلة التعاون والتشارك المعرفي بين الأفراد، الذي قد يؤدي إلى إنشاء معارف جديدة وبالتالي مستوى الإبداع، وخلصت نتائج الدراسة إلى أن الإبداع الذي يؤدي إلى تطور المؤسسة، يتوقف أساسا على حجم المعارف الجماعية المتواجدة بها، وأن المؤسسات التي تعتمد في نشاطها وتميزها على مشاركة معارفها الجماعية، أكثر من المؤسسات التي تعتمد على معارف فردية. [1]

وبما أن المؤسسات لا تستطيع إنشاء معارف لوحدها، بل يجب أن تعتمد على أفراد يملكون القدرة على إنشاء المعرفة، وهذا الإنشاء لا يكون، إلاّ بتوفر وسط ملائم يساعد على بلورة المعارف الفردية وتطويرها، وبتشارك الأفراد لمعارفهم الفردية مع بعضهم البعض أو مع فريق العمل تنتج المعارف الجماعية، وهذا التشارك المعرفي، يعرف على أنه تفاعل ثقافي يشمل تبادل العمال للمعرفة، المهارات، الخبرات داخل المؤسسة، ويكون هذا التفاعل وجها لوجه، أو عن طريق قنوات اتصال، يقوم العمال من خلال التشارك في المعرفة بتعديل أفكارهم وطرح اقتراحاتهم انطلاقا من خبراتهم ومهاراتهم، ويعتبر التشارك المعرفي ثقافة تفاعل اجتماعية تتضمن تبادل المعارف والخبرات والمهارات بين العاملين، ويمكن فهم عملية التشارك المعرفي على أنها العمليات التي من خلالها يتبادل الأفراد المعرفة، ويقدمون معا معارف جديدة.[2]

في هذا السياق أشارت الباحثة / **مارلين نصر**، في مداخلتها بالمؤتمر العربي حول " **مستقبل العلوم الاجتماعية في الوطن العربي** "، أن من بين المهام الصعبة التي تعترض تطور العلوم الاجتماعية على حد قول الباحثة: "هي عملية التواصل بين علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا والإنسانيات على المستوى العربي، وضعف إمكاناتهم وغياب قنوات التواصل العلمي بينهم، وتعثر إنتاجهم العلمي وتوزيعه... إذ نشاهد منذ أكثر من عقد نشوء جمعيات مهنية في العلوم الانسانية داخل كل بلد عربي(سوسيولوجيا، تاريخ، علم النفس)، إلاّ أن التنسيق بينها لا يزال في بداياته وأملنا كبير في أن تتسع شبكة العلاقات العلمية فيما بينها ".[3]

وفي هذا السياق أيضا، يطرح الباحث/**محسن بوعزيزي** جملة الأسئلة، لعل أهمها: **ما الذي جعل عالم الاجتماع مثل بيير بورديو بمفرده يفعل بواقعه الفرنسي، فيشرحه فهما وتفسيرا، مالم تستطيع الجماعة العلمية العربية مجتمعة أن تفعله؟ وهل هناك جماعة علمية في علم الاجتماع بالمعنى العميق للكلمة؟**

---

[1] محمد رشدي سلطاني: **المعارف الجماعية وأثرها على نشاط الإبداع في المؤسسة**، أطروحة دكتوراه، تخصص علوم تسيير، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، 2014، ص 168

[2] المرجع السابق، ص 168

[3] مارلين نصر: **مستقبل العلوم الاجتماعية في الوطن العربي**، بحوث المؤتمر الذي نظمه مركز دراسات الوحدة العربية، مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية بوهران، الجمعية العربية لعلم الاجتماع بتونس، المنعقد بتاريخ:20-22 مارس 2012، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، مركز البحث في الانثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران، الجزائر، ط1، 2014، ص 20

أو ليس من الضروري اليوم أن تكف مراكزنا البحثية العربية الكبرى التي جعلت من المعرفة رهانا لها عن الاشتغال بالإيديولوجيا وبما يتبعها من مقولات كبرى لا جدوى منها، لتحث أهل العلم على إنتاج معرفة مبتكرة تنطلق من الواقع قبل التأمل؟ [1]

رغم أهمية المؤسسات البحثية ودورها الكبير في تنشيط وتفعيل البحث العلمي، إلاّ أن البحث المؤسسي في الجزائر مازال ضعيفا، فالجامعة لوحدها تتحمل أعباء البحث العلمي بواسطة نشاطات المخابر أو بعض المشاريع المعتمدة من طرف وزارة التعليم العالي، وهنا تطرح أسئلة عديدة، أهمها: **ما الذي يعيق تكوين الجماعة العلمية بالجزائر؟**، هذا ما ستحدده إجابات بعض الباحثين:

- لا توجد روح المسؤولية عند الباحث
- معوقات اقتصادية، سياسية، معرفية، نفسية، مالية
- صعوبة التنسيق بين الباحثين لغياب قنوات التواصل
- احتكار المعرفة، الاختلاف في الأفكار
- غياب التفكير العلمي وعدم الاهتمام بالأمر من قبل الأشخاص المعنيين
- اختلاف الخلفيات والمرجعيات والآفاق والاهتمام العلمي، بالإضافة إلى المعوق البيئي والشخصيةالانتهازية. واللاّمبالاة، والانفراد بالتوصيات
- الخروج عن الأطر العلمية في التعامل.
- احتكار السلطة والتعصب للآراء الانقياد للضغوطات.
- الظروف الخاصة لكل باحث عندما تطغى عليه الأنانية.
- عدم إعطاء الاهتمام للمواقف وللآراء العلمية وغيرها مما ينعكس سلبا على الجميع
- حالة اجتماعية فكرية من المجتمع الجزائري لم يتجاوزها بعد.
- غياب شراكة فاعلة بين خريجي الجامعة وغياب الاهتمام بالبحوث العلمية.
- معوقات إدارية، اختلاف أعضاء الجماعة العلمية على تسيير المشاريع.
- عدم قبول بعض الباحثين بمشاركة الآخرين بما يمتلكونه من معرفة ومن مصادر ومن مادة للبحث.
- تحقيق أهداف ذاتية على حساب مجهودات الآخرين.

[1] محسن بوعزيزي: **مستقبل العلوم الاجتماعية في الوطن العربي**، بحوث المؤتمر الذي نظمه مركز دراسات الوحدة العربية، مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية بوهران، الجمعية العربية لعلم الاجتماع بتونس، المنعقد بتاريخ: أيام 20-22 مارس 2012، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، مركز البحث في الانثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران، الجزائر، ط1،2014، ص 23

- عدم وجود معايير علمية مشتركة في نشر الأعمال البحثية.
- عدم الجدية والانضباط في العمل البحثي.
- إضفاء الطابع النظري وعدم وجود الجانب الميداني في معظم الأبحاث.
- تنظيم القاءات والنشاطات العلمية وطنية ودولية محدودا جدا
- عدم توفر معلومات عن نشاطات باحثين آخرين على المستوى الوطني والدولي.
- المصلحية، الافتقار إلى حب العمل الجماعي والتعالي.
- ضعف الروح العلمية والأخلاق المهنية.
- وجود اعتبارات خارجة عن نطاق العلم داخل الجماعة.
- التعسف في السلطة والتعصب في الفكر، كلما تمكنوا من ذلك مثلا: رئيس المشروع يفرض رأيه على أعضاء الفريق
- نقص الارادة، نقص التخصصات الملائمة، الرغبة في العمل الفردي ونقص التواصل فيما بين الباحثين.
- الصراعات بين الأشخاص، عدم احترام المعارف والهوية العلمية للأفراد، عدم الاستماع للآخر وعدم التركيز على الكفاءة العلمية.
- الافتقاد إلى الأهداف العلمية، عدم احترام البرنامج المسطر لكل لقاء علمي.
- غياب الحوار الفعال والهادف من أجل التبادل المعرفي.

وأمام كل هذه المعوقات، فإن الباحثين لا يرفضون الانضمام لجماعة علمية تتوفر فيها شروط موضوعية على حسب ما ذكروا، وهذه الشروط تتمثل في:

- التخصص المناسب، التحقق من الأهداف الحقيقية للجماعة ومدى جديتها.
- أن تكون لها علاقة بمجال الاهتمام وذات أرضية جادة وطموحة.
- أن تقدم بعض التحفيزات المادية والمعنوية.
- الكفاءة والمهارة في البحث والخبرة.
- الاتفاق المسبق مع الجماعة حول شروط العمل.
- توفر الروح العلمية والترفع عن الأمور التافهة وسيادة التفكير العلمي.
- التواضع بين الأعضاء، الديمقراطية والعمل الجدي.
- الصرامة في العمل مع ترك مجال للحرية في البحث وتذليل الصعاب أمام عملية البحث.

- التشاور، الثقة والاحترام المتبادلين، عدم احتكار السلطة والعدل في توزيع المهام العلمية.
- العمل الجدي والمواظبة والاستمرارية في العمل – التجانس بين الفريق.
- الانفتاح وتقبل الرأي الآخر.
- أن يكون موضوع البحث مهما بالنسبة إلى عضو الفريق، وأن يتوافق وتخصص العمل، حتى يكون أكثر فعالية في البحث ويقدم إضافة لهذا العمل العلمي.
- الجدية والأخلاق المهنية لدى الجماعة العلمية المعنية.
- الانضباط والموضوعية في البحث.
- الحوار الهادف وإعطاء الفرصة للجميع لتبادل الأفكار بدون السيطرة على الكلام.
- الأمانة العلمية، عدم التعصب أو التوجيه مع الالتزام بالوقت.

وفي هذا الإطار أيضا يؤكد بعض الأساتذة على عدم وجود جماعة علمية، بل جماعة سياسية واديولوجية أجل، لكن علمية بمعنى الكلمة، حيث أن كل التجارب لخلق جماعة علمية فشلت ولم تنجح وتحولت الى جماعات سياسية، يتفق معظم الباحثين على أهمية تكوين الجماعة العلمية، ولكن بشروط ذكروها، لكن الملاحظ، أنها لم تكن شروط مادية، أكثر ما ركزوا عليه هي الشروط الأخلاقية التي يجب أن تتوفر في الباحثين، وفعلا هناك أموال تنفق، دون تحقيق نتائج إيجابية، لكن يبقى العمل الجماعي المؤسسي، أكثر فعالية وأكثر نجاعة في تحقيق أهداف البحث العلمي، لأنه يحقق ويجسد فكرة ثقافة الحوار، بعيدا عن التعصب، وعن الانفراد بالعمل العلمي، حتى ولو انه قد يحقق نتائج إيجابية، لكن لن يتفوق على البحث العلمي الجماعي التشاركي، إذا توفرت لديه بيئة العمل المناسبة.

تعتمد المؤسسات بمختلف نشاطاتها في وجودها وبقائها على مدى اكتسابها للمعرفة، ولن تتمكن من اكتساب المعرفة، إلاّ عن طريق العمل الجماعي التشاركي الذي يولد معارف جديدة انطلاقا من المعارف الفردية لحل المشكلات التي تعترض المؤسسة التي تعيش في وسط تنافسي كبير لا يرحم.

في مقال للباحث **علي الحوات**، يحدد مجموعة من التحديات التي تحول دون تحقيق التكامل والتبادل المعرفي، بين الباحثين في العالم العربي، لعل أهم ما تطرق إليه:

-انقسام العلماء العرب وتوجهاتهم الفكرية والعلمية، والباحث في هذا الوضع يلاحظ بسهولة انقسام العقل العربي فمنهم من في اليسار ومنهم من هو في اليمين، ومنهم من يعيش في الماضي، ومنهم من يعيش بجسمه في الوطن العربي ولكن عقله موجود بالغرب... إلخ، وإزاء هذه الانقسامات، تنقسم سياسات البحث العلمي وتوليد المعرفة ونشرها، وتتأثر المعرفة حتى ولو أنتجت محليا بهذه النزاعات والانقسامات، ومن هنا يقل

التواصل المعرفي إما لخوف العرب من بعضهم البعض أو لقناعتهم بعدم جدوى الإنتاج المعرفي وغياب شروطه.[1]

-تحديات ثقافية وفكرية تتمثل في، أن الوطن العربي يعيش في تناقض ثقافي وفكري، بل في صراع ثقافي عميق، إنه التناقض بين حب الماضي، بل سجنه والخوف من الحاضر وعدم وضوح رؤية المستقبل، والمهم أن هذا الوضع الثقافي المتذبذب ينعكس على العلماء والباحثين في المعرفة، فيؤدي بهم هذا الحال إلى غياب المعايير الثقافية والرؤية الفكرية الواضحة التي على أساسها يبحثون ويدرسون ويفسرون نتائج بحوثهم خاصة في مجال توليد المعرفة في الثقافة والفكر والحضارة والإنسانيات.[2]

بالإضافة إلى معوقات أخرى، كالقيود السياسية التي يعاني منها البحث العلمي بالدول العربية، وهذا ما جاء به التقرير العالمي الخاص بالعلوم الاجتماعية الصادر عن المنظمة الدولية للتربية والثقافة والعلوم **UNESCO، سنة 2010** حول تقاسم المعرفة، فإن البحث بالطرق الكلاسيكية الروتينية، لم يعد مجديا في مساعدة الأفراد والجماعات على فهم حجم التحولات وسرعتها التي طالت مختلف دول العالم المعاصر، لذلك لا بد من التفكير في بدائل جديدة تجعل مقاربات البحث أكثر تناسبا واتساقا مع التغير المتجدد الذي لا يعرف توقفا ولا انقطاعا، ولا يعرف استقرارا ولا ثباتا، لذلك وجب البحث عن الأسباب الكامنة وراء حالة الانفصام والبعد الذين يحيلون عن ترسيخ حقيقي وناجع للعلوم الاجتماعية في الحياة العامة تمكنها من تفكيك الوقائع، وحسن تحليله، بحيث ينجم عنها فهم صحيح وتفسير واضح ونافع يستفاد منه في مختلف المجالات الحيوية، ففي حالة العالم العربي.

حسب ما جاء في هذا التقرير، فإن القيود السياسية تسهم بشكل كبير في عرقلة حرية البحث الأكاديمي، إذ عد ذلك من أهم المثبطات التي تحاصر عملية التقدم والتعمق في إنجاز الدراسات النوعية، فالتهميش وعدم الدعم من قبل الحكومات الوطنية جعل العلوم الاجتماعية في مكانة دونية، باتت تعاني معها من نقص حاد في مخرجاتها التعليمية وفي مواجهة الإشكالات المجتمعية المتزايدة والمتكاثرة هذا فضلا عن إحداث تغييرات اجتماعية ذات أهمية، وفي هذا السياق، فقد فاجأت الانتفاضات العربية الراهنة الجميع، وسجلت عجزا في

[1] على الحوات: **التكامل والتبادل المعرفي في الوطن العربي، التعليم العالي والبحث العلمي في مجتمع المعرفة**"، وقائع المؤتمر التاسع للوزراء المسؤولين عن التعليم العالي والبحث العلمي في الوطن العربي، دمشق 15-18 ديسمبر 2003، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم إدارة التربية، تونس، 2006، ص ص14-25

[2] المرجع السابق، ص ص26-34

الاستشراف والتنبؤ لدى الكثير من الباحثين العرب، ما يدل على حالة التسطيح والركود التي تعرفها هذه المعارف داخل وطننا العربي.[1]

وحسب التقرير الأول الصادر سنة **2015** من طرف المرصد العربي للعلوم الاجتماعية، وهو مرصد متخصص في إجراء مسوح لمشهد العلوم الاجتماعية في البلدان العربية، يهدف هذا التقرير إلى رصد حضور العلوم الاجتماعية في مختلف الميادين العلمية والعامة في العالم العربي، بما فيها الجامعات ومراكز البحث والدوريات العلمية والثقافية والمجتمع المدني والإعلام، ركز التقرير على التخصصات التقليدية للعلوم الاجتماعية، بما يشمل العلوم السياسية والأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع والاقتصاد والتاريخ وعلم النفس، تعد مقاربة المؤسسات البحثية الجامعية مؤشر أساسي على الأهمية البالغة التي تعلقها الجامعات العربية على العلوم الاجتماعية، وفي حال افتراض، أن حضور مراكز البحث في الجامعات يعكس اتجاها لتعزيز العلاقة بين العلوم الاجتماعية بشكلها البحثي والبرنامج التعليمي، تحتل الجزائر الصدارة في العالم العربي في تبني هذا الاتجاه.[2]

وبشكل عام ورغم الحضور المقبول كميا للعلوم الاجتماعية في الجامعات العربية، لكنها لازالت تعاني من ضعف الصلات الداخلية بينها على الصعيد العربي وتشرذم الجهد البحثي، وهذه العوامل مجتمعة لا تعطي هذه العلوم ثقة بالنفس، بل تجعلها عرضة للعمل ضمن الحدود التي تفرضها مواقف وأوضاع سياسية سواء بشكل مباشر أو غير مباشر، غير أن هذا الواقع لا يعني تلاشي الأمل بظهور جماعات علمية عربية، ولعل خير شاهد على ذلك، أن حقبة تاريخية قريبة شهدت فعلا نشوء جماعات علمية ذات أهمية، خصوصا تلك التي تمحورت حول شخصية رائدة من أمثال **محمد الجوهري** في مصر أو **علي الوردي** في العراق، كما أن هناك بعض التجارب الواعدة تثبت أن العلم البحثي العربي قادر على تجاوز عقبات عدة، عندما يلتزم ببعض المعايير، كالكتابة العلمية الرشيدة التي تحدد بوضوح أسئلة البحث الرئيسية وابستمولوجيته، والممارسة المنهجية الإبداعية التي توظف منهجيات عدة، والعمل الجماعي الذي يسمح لفريق من المساعدين باكتساب خبرة ميدانية وتحليلية ضمن إشراف علمي منضبط.[3]

---

[1] مختار مروفل: **نحو رؤية جديدة لدور العلوم الاجتماعية ووظيفتها في ضوء كتاب ميشيل ويفوركا**، مجلة نقد وتنوير، تصدر عن مركز نقد وتنوير للدراسات الإنسانية، العدد 02، خريف 2015، ص ص170-171

[2] محمد بامية: **العلوم الاجتماعية في العالم العربي، أشكال الحضور**، المرصد العربي للعلوم الاجتماعية، االصادر عن المجلس العربي للعلوم الاجتماعية التقرير الأول، 2015، ص، ص 5، 14

[3] المرجع السابق، ص 20

وفي دراسة استطلاعية قام طاقم البحث بتوزيع استمارة استبيان وزعت على عينة هادفة تتكون من **561** عالما عربيا، من أجل تكوين ملاحظات أولية تتعلق بخلفيتهم العلمية والثقافية ونشاطهم البحثي وأطر عملهم، ومن أصل **561**استجاب للعملية **87** من أفراد العينة، أي ما يعادل **17%**، ونتيجة لهذا المعدل المنخفض في الاستجابة، انحصرت تحليلات معدي الدراسة على شكل إحصاءات وصفية، سنحاول أن نأخذ من نتائج الدراسة فقط ما يخدم توجه بحثنا، اسفر الاستبيان عن أن الذين استجابوا للاستبيان هم من الباحثين صغار السن نسبيا، يرون أنه قد يكون لذلك علاقة بحداثة ولادة الجامعات والمؤسسات البحثية، أو ربما بانفتاح أكبر من جانب الباحثين الأصغر سنا للإجابة عن الأسئلة والتواصل مع طاقم العمل، توصل الاستبيان بالاعتماد على العديد من المؤشرات التي من خلالها يتم الكشف عن وضعية البحث في ميدان العلوم الاجتماعية بالوطن العربي إلى:

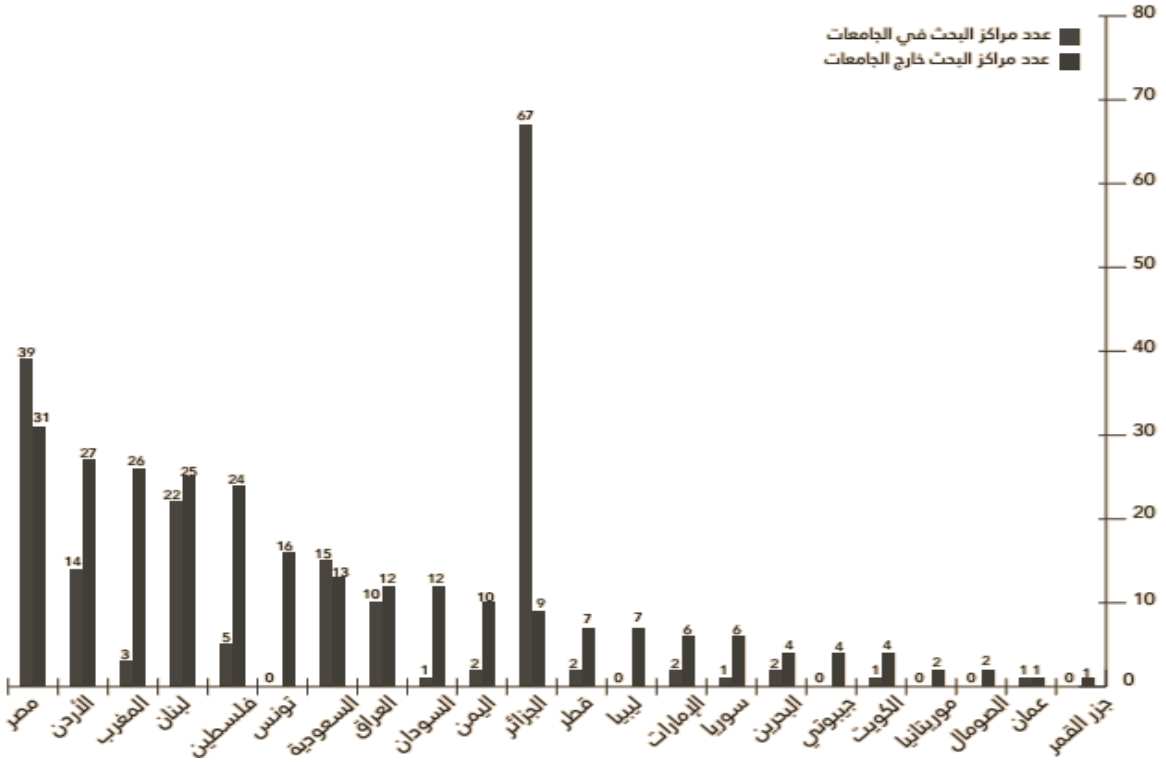

الشكل رقم1: يمثل عدد مراكز البحث في العلوم الاجتماعية ضمن الجامعات وخارجها (حسب البلد)

إلى جانب البحوث التي تنجز على مستوى الجامعات، هناك مراكز بحث، هذه المؤسسات تشهد نموا كبيرا في السنوات الماضية، والجدير بالملاحظة أن هذا النمو يبدو متزامنا مع نمو الاهتمام بدور المجتمع المدني والبحث عن أطر جديدة ذات طبيعة بحثية دينامية مستقلة، وبروز جيل جديد من علماء الاجتماع العرب، لم تكن للجامعات القدرة على استيعابهم، أو كانوا هم أنفسهم أكثر اهتماما بالعمل خارج إطار

الجامعة، بشكل عام يوجد **436** مركز بحث يعمل حاليا في العالم العربي، فيما لم يتم التأكد من وجود أكثر من **43** مركزا قبل بداية الثمانينات من القرن الماضي، وهذا يعني أن عدد مراكز البحث قد ازداد **10** أضعاف خلال **35** سنة.[1]

من الواضح أن مؤسسات البحث، أصبحت جزءا مهما من سوق عمل لعلماء العلوم الاجتماعية العرب، تسجل مراكز البحث العربية حضورا في التصنيفات العالمية، وإن كان ضعيفا، وحسب التقرير الدولي الأخير(**McGann2015**)، لتصنيف المؤسسات البحثية في العالم، يدخل ضمن هذا التصنيف مركزين في العالم العربي ضمن أهم **100** مركز في العالم، وهما: مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية في القاهرة، ومركز كارنيغي للشرق الأوسط في بيروت (وهو منظمة أمريكية يعمل فيها طاقم بحثي عربي في الغالب).

أما عدد مراكز البحث حسب التخصصات، الذي يبينه الرسم التالي

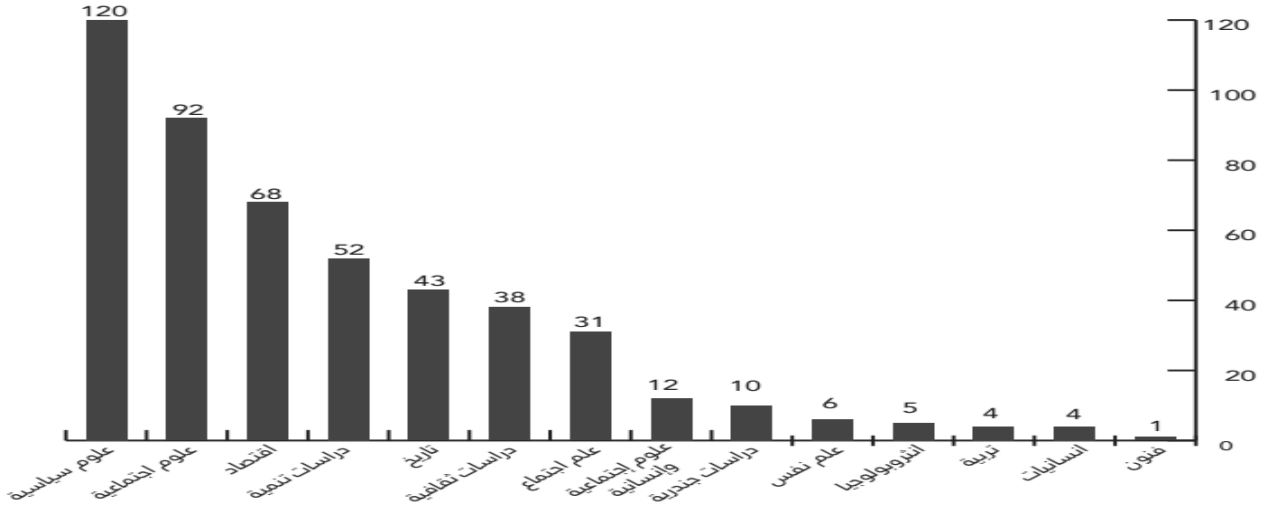

الشكل رقم 2: يبين عدد مراكز البحث في الوطن العربي حسب التخصصات

حيث يبين وفي ظل عدم التطابق بين حضور التخصصات في الجامعات وحضورها في مؤسسات البحث، الجامعة مازالت تشكل الحاضن الأكبر لمراكز البحث بنسب أعلى على غرار الجزائر، حيث تمارس **88%** من مراكز البحوث عملها من خلال الجامعات، ومما سبق يظهر لنا أن هناك حقيقة تتمثل في الأهمية الكبيرة التي

[1] المرجع السابق، ص،ص 21، 26

تحتلها مراكز البحث غير الجامعية، فهي تسجل أكبر نسبة في الإنتاج العلمي، خاصة على مستوى الدوريات العلمية، حيث أن **55%** من هذه الدوريات تصدرها حاليا هذه المراكز.[1]

من القضايا الأساسية التي ركز عليها التقرير، والتي تعتبر نقطة التلاقي مع محور دراستنا، لقد قدم التقرير فكرة عن الإمكانيات الكبيرة للعلوم الاجتماعية في الوطن العربي، ولكنها غير مستغلة بسبب ظواهر عدة، أهمها ظاهرة التشرذم المؤسساتي وعدم تشجيع العمل البحثي، وضعف الجماعة العلمية العربية والجمود البيروقراطي للجامعات.[2]

جاء في دراسة الباحث/ **امحمد صبور** الموسومة بـ **(المعرفة والسلطة في المجتمع العربي، الأكاديميون العرب والسلطة)**، وفي أسئلة وجهها الباحث لبعض الأكاديميين، من بينها: **ما هي الأهمية التي يعطيها الباحث الأكاديمي للإنتاج الفكري والثقافي؟**

وفي إجابة أحد الباحثين، يقول: " أنا اتردد في القول، بأن ما نطلق عليه إنتاجا فكريا وثقافيا، خال من أي فائدة، فإن نحن قيمنا الإنتاج العلمي من منظور كمي وجدنا أن قائمة الإنتاج طويلة، لكن إن نحن حللنا ما فيه ونظرنا في محتواه، وجدنا أن قائمة الجيد قصيرة، وأن الباقي مجرد إعادة إنتاج وترديد الأفكار نفسها... وكل ذلك من أجل إظهار ذلك الإنتاج على أنه إنتاج أصيل وجديد...، من البديهي أن نتجنب التعميم، فهناك باحثون يمتلكون قدرات هائلة وإبداعا خصبا، لكن عدد هؤلاء المنتجين والمبدعين الحقيقيين قليل...، والتناقض الحاصل هنا هو، أن تصنيف الباحثين يتم عادة عبر كم من المنشورات ".

وفي سؤال آخر: **إذا كان من بين الوظائف التي يقوم بها الأكاديمي هي نقل المعرفة ونشرها، فهل من المفروض، أن نطالب الباحث بتوخي الإبداع والأصالة في كل ما ينشر؟**

يجيب أحد الباحثين: " هناك طرق متعددة للنشر ... أو للإنتاج الثقافي التي منها الإبداع والتعليق والمقارنة والتحليل، والسؤال هنا ليس حول ما هو ملك أو ما هو لغيرك، والسؤال هو: **أين أنت من أعمالك؟ واين أنت من أعمال الآخرين وأين تقف بينهما؟** ...، هناك أعمال كثيرة توصف بالإبداع والأصالة، ولكن الإبداع غائب عنها وسطحيتها واضحة والإلهام العلمي غير موجود فيها... من جهة أخرى هناك أعمال تكون مثمرة وذات بعد نظر...، مثلا مراجعة الكتب والنقد والنقاش، التي تحمل في طياتها أفكارا وتحليلات مثيرة تفتح للقارئ منظورات وأبعادا جديدة في الموضوعات التي تناقشها... وهناك شواهد تاريخية، مثل تعليقات **ابن رشد على أريسطو** ... "، هناك مقولة يعبر بها الأكاديميون عن ضرورة النشر العلمي وهي: " **أنشر وإلاّ تعرضت للزوال** "، لكن من

[1] المرجع السابق، ص 32

[2] المرجع السابق، ص 11

الباحثين من يرى أنه مهما نشرت فإنك ستتعرض للزوال حتما، ومنها فإن النشر لا يصونك عن الكتابة الرديئة، إن أنت نشرت الهراء الزائل أو نشرت أيا كان، وإن فعلت فاحذر الزوال.[1]

اتفق أغلب الباحثين في أزمة السوسيولوجيا العربية، على أن هناك تضخم في عدد المؤسسات والطلبة في علم الاجتماع، رغم ذلك فإن الإنتاج المعرفي هزيلا، وهذا لا يعني انتقاصا من قدر بعض من علماء الاجتماع، الذين اجتهدوا للتعرف على الواقع العربي، رغم العراقيل التي تتميز بها البيئة الاجتماعية العربية، ولكن وفي العشر سنوات الأخيرة، عرفت البيئة العربية تغيرات، مما يوحي أنه باستطاعة السوسيولوجيا أن تنهض من جديد، لذلك يقدم بعض المشتغلين بالبحث السوسيولوجي، خطة بما ينبغي دراسته في الواقع العربي المعاصر، وهي عبارة عن مقترحات لخبرة جماعية: " ننوه ونثمن بهذه المبادرات للعمل الجماعي، والمجهود السوسيولوجي ينظر إليه كجزء لا يتجزأ من مجهود شامل لكل العلماء الاجتماع العرب، حيث يتم التراكم والتكامل المعرفي عن الواقع العربي بكل جوانبه ومستوياته، كما تعتبر هذه المحاولة ذات توجه مستقبلي، تسعى إلى فهم الواقع المعاصر بكل خلفياته التاريخية، ولكنها تتجاوزه إلى استشراف بدائل المستقبل الممكنة، كذلك يجب الأخذ بعين الاعتبار السياق الإقليمي والعالمي في الحسبان".[2]

يطرح **Mustapha Haddab** أستاذ بجامعة الجزائر، مجموعة من العوائق التي تعترض تطور البحث العلمي بالجزائر انطلاقا من السؤال التالي: **هل العلوم الاجتماعية في الجزائر في تقدم؟**، ومن بين المعوقات التي تطرق لها، ضعف الترغيبات الفكرية للباحثين، والمقصود بهذه الترغيبات؛ ليست التي تنبثق من المجلات وكتب الاختصاص فحسب، بل كذلك من المحيط الثقافي في معناه الواسع، بما فيه مختلف المكونات الأدبية والفنية[3]

واستنادا إلى هذا الوضع، يتعين على البلدان العربية أن تسعى إلى الاهتمام بالبحث والباحثين على كافة المستويات، لكي نكون جزءا حيويا وفعالا من هذا العالم، ولا يقتصر تواجدنا في هذا العالم على المجال الجغرافي والاقتصادي والسياسي، بل المشاركة في آرائه وفلسفته وحكمته، ونعطي كما نأخذ ونشارك العالم المتقدم في حمل العبء الإنساني.

---

[1] امحمد صبور: **المعرفة والسلطة في المجتمع العربي (الأكاديميون العرب والسلطة)**، سلسلة أطروحات الدكتوراه(18)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط2، 2001، ص ص217-219

[2] سعد الدين إبراهيم: **تأمل الآفاق المستقبلية لعلم الاجتماع في الوطن العربي: من الإثبات إلى تحقيق الوعود**، نحو علم اجتماع عربي (علم الاجتماع والمشكلات العربية الراهنة)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط2، 1989، ص ص348-356

[3] Mustapha Haddab **: Les sciences sociales en Algérie , sont- elles en progrés ?,** L'algérie 50 ans après etat des savoir en sciences sociales et humanes 1954- 2004, Actes de symposium, Oran, 20- 21- 22 septembre 1272004, Ed.crasc, 2008, p 127

3- مسار تطور البحث العلمي بالجامعة الجزائرية

تميز العصر الحديث بميزة المعرفة، حيث تحولت المعلومات من سلعة استراتيجية ومصدرا مهما للقيمة الفكرية والميزة العلمية التي ترسم من خلالها المجتمعات والدول قوتها وتقدمها في شتى المجالات، وقد فرضت المتغيرات المعرفية العديد من الآثار والتحديات على أهداف ووظائف وبرامج ومؤسسات التعليم العالي.[1]

ونتيجة للتحديات التي تفرضها المتغيرات العالمية الحديثة، أصبح من الضروري على مؤسسات التعليم العالي أن تكسب الرهان، وهو امتلاك المعرفة العلمية، وذلك بتطوير آليات وأساليب العمل البحثي المنتج، ولذلك سنحاول التعرف على مسار تطور البحث العلمي بالجامعة الجزائرية.

لقد اقترن تطور البحث العلمي بالجزائر بمختلف التحولات البنيوية التي عرفتها الجامعة الجزائرية، فالإصلاحات التي كانت تحدث في كل مرحلة على النظام الجامعي كان للبحث العلمي نصيب وافر منها، ومنه يمكن تتبع حركية وتطور البحث العلمي في الجزائر، وفق المراحل التالية:

- **المرحلة الأولى:** في هذه المرحلة لم يكن للجزائر بعد الاستقلال سوى بعض المعاهد والمراكز التي كانت تحت الهيمنة الفرنسية، وقد تطلب خلال المرحلة الانتقالية بعد الاستقلال إنشاء هيئة التعاون العلمي، حيث تطرقت المعاهدات والاتفاقيات الجزائرية الفرنسية إلى مسألة البحث العلمي، وتم الاتفاق على أنشطة المعاهد ومراكز البحث تخضع دوريا وتسير وفق تعليمات وتوجيهات عامة من طرف المجلس العلى للبحث العلمي وفق المرسوم **62- 515**، المؤرخ بتاريخ **1962/09/07**، حيث أنشئ هذا المجلس سنة **1962**، بمساعدات مالية فرنسية لمدة **4** سنوات، نظرا للأوضاع الصعبة التي كانت تمر بها الجزائر لم تتمكن من الاهتمام المنفرد بالبحث.[2]
- **المرحلة الثانية:** لم تؤسس وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، إلاّ سنة **1970**، بهدف الجمع بين التعليم العالي والبحث العلمي، ومنه شرعت الوزارة في سلسلة من الإصلاحات الجذرية في مجال التعليم العالي، أما فيما يخص إصلاح البحث العلمي فقد أنشأت سنة **1972**، المجلس المؤقت للبحث العلمي في كونه هيئة تجمع بين الباحثين والجامعيين في كل الاختصاصات، وقد دعم هذا الجهاز بالمنظمة الوطنية للبحث التي كانت بمثابة جهاز تنفيذي له، والتي انشئت إثر المرسوم الوزاري المؤرخ في **01/ 02/ 1974**، لكي تعوض منظمة التعاون العلمي – الجزائري – الفرنسي المنحلة، والتي كان من مهامها:

---

[1] سعيد بن حمد الربيعي: **التعليم العالي في عصر المعرفة**، دار الشروق، عمان، الأردن، ط1، 2004، ص 107

[2] مشحوق ابتسام، مرجع سبق ذكره، ص 104

- مساعدة انطلاق البرامج البحثية.
- المساعدة في التكوين العالي في مجالات التخصص.
- العمل على مساعدة الباحثين في الإسهام في الندوات العلمية.
- العمل على تمويل المشروعات العلمية.[1]

في سنة **1973**، عرف البحث العلمي نشأة الديوان الوطني للبحث العلمي(**ONRS**)، وفي سنة **1974**تم إنشاء المركز الجامعي للأبحاث والإنجازات (**CURER**)، في قسنطينة، وفي نفس السنة من شهر نوفمبر تم إنشاء مركز البحث في الاقتصاد التطبيقي، والذي كان هدفه هو دمج الجامعة في النشاطات التنموية في الميدان، كما تم إنشاء مركز الأبحاث الأنثروبولوجية وما قبل التاريخية، إلى غاية **1978**كان عدد موضوعات البحث في العلوم الاجتماعية المسجلة في المراكز التابعة لها **55** موضوعا، فكان نصيب علم الاجتماع فيها سوى **06** بحوث، أما عدد الباحثين هو **644** أستاذ باحث في التعليم العالي.

- **المرحلة الثالثة:** وهي مرحلة الثمانينات، أين عرفت الجزائر عدة تغيرات على مختلف الأصعدة، أما في مجال البحث العلمي، فقد تبنت الجزائر سياسة جديدة لتنمية قطاع البحث العلمي الحساس، وتعاقب إنشاء مؤسسات أخرى بديلة، ففي سنتي **1982- 1983**، أنشأت " **محافظة الطاقات المتجددة** "، المتخصصة بالطاقة النووية ومركز البحث والطاقات المتجددة التابعان للمنظمة الوطنية للبحث العلمي، ثم " **المجلس الأعلى للبحث العلمي والتقني** "، في سنة **1983**، تم حل الديوان الوطني للبحث العلمي وأنشئت محافظة البحث العلمي والتقني، وتم في نفس السنة حل المنظمة الوطنية وتحويل ممتلكاتها ونشاطاتها إلى جهات أخرى.[2]

- **المرحلة الرابعة:** تعزز البحث العلمي في هذه المرحلة بإنشاء هيكل جديد، طبقا للمرسوم رقم **84-159**، المؤرخ في **7 جويلية 1984**، تم إنشاء " **محافظة البحث العلمي والتقني** "، والتي حاولت ترتيب البرامج الوطنية ذات الأولوية، حيث تمثلت مهمتها العامة، المساهمة في السياسة الوطنية للبحث العلمي والتقني ودعم الاستقلال التكنولوجي.

- **المرحلة الخامسة:** يؤرخ لهذه المرحلة من سنة **1986**، على ضوء المعطيات الاجتماعية والاقتصادية الجديدة والارتفاع المتواصل في عدد الباحثين، سواء من خريجي الجامعات الجزائرية أو العائدين من الخارج بعد تكوينهم، تم إنشاء هيئة تحت وصاية رئاسة الجمهورية وهي " **المحافظة السامية للبحث (HCR)** "،

[1] المرجع السابق، ص 104

[2] المرجع السابق، ص 107

حيث جمعت هذه المحافظة بين مهام كل من محافظة الطاقات الجديدة، ومحافظة البحث العلمي والتقني المحلة، فقد تبنت خلال الفترة **بين 1986- 1989** ، **460** مشروع بحث بلغ فيها معدل الباحثين **2700** باحث، كما تم إنشاء وحدات البحث الملحقة بالجامعات، كما توصلت المحافظة السامية إلى وضع المعالم المتعلقة بتنشيط البحث.[1]

- **المرحلة السادسة:** بعد **أربع** سنوات من إنشاءها، أي في سنة 1990، لم يعد بمقدور المحافظة السامية للبحث أن تستمر كملحقة وذلك للأهمية التي اكتسبتها الجامعة والتعليم العالي والبحث، وخاصة الدور الذي كان على الجامعة أن تقوم به في عالم متجدد، وبذلك تحولت المحافظة السامية إلى وزارة منتدبة للبحث والتكنولوجيا والبيئة، والتي دامت مدة سنتين ثم أسندت مهام هذه الوزارة سنة **1992** إلى وزارة التعليم العالي في شكل كتابة الدولة للبحث، حيث اتخذ قرارين كان لهما عميق الأثر على البحث العلمي حاليا:

- إنشاء مجلس وطني للبحث العلمي والتقني.
- إنشاء لجان بين القطاعات مهمتها ترقية وبرمجة وتقييم البحث العلمي، ولقد بقيت هذه الكتابة أقل من عام لتحل سنة **1993**.[2]

- **المرحلة السابعة:** تميزت هذه المرحلة بحل كتابة الدولة للبحث سنة **1993**، حيث تكفلت وزارة التعليم العالي مباشرة بالبحث العلمي لتصبح وزارة العالي والبحث العلمي لمدة **6** سنوات، خلال الفترة الممتدة بين **1990-1996**، وصل عدد الرسائل ومشاريع البحث في ميدان العلوم الاجتماعية إلى **1429** مشروع، وقد اعتبر هذا الرقم تطورا ملحوظا مقارنة بالسنوات السابقة، وقد تميزت هذه المرحلة بسياسة واستراتيجية جديدتين تشكلان إطارا للعديد من الإجراءات والتي تطورت والتي تمثلت في:

- على المستوى القانوني:
  - ✓ إصدار قانون نووي.
  - ✓ إنشاء جهاز تنظيمي وطني في مجال الأمن النووي.
  - ✓ إصلاح قانون الأساتذة الباحثين.
  - ✓ تطبيق قانون استقلالية المخبر الجامعي.
- على المستوى المؤسساتي: تمثل هذا الإجراء في تدعيم قطاع البحث العلمي بآليات المتابعة والتقويم والتثمين لتفعيل دور الوكالات التالية:

[1] المرجع السابق، ص ص108-109

[2] المرجع السابق، ص 109

- ✓ الوكالة الوطنية لتنمية البحث الجامعي **ANDRU.**
- ✓ الوكالة الوطنية لتنمية البحث في ميدان الصحة **ANDRS.**

وهي الهياكل المسئولة عن نشاط البحث كما تدعم قطاع البحث العلمي بإجرائين هما:

- ✓ تنصيب اللجان بين القطاعات.
- ✓ إنشاء مركز وطني للبحث في التكنولوجيا الحيوية.
- ✓ إنشاء استشارية للتنسيق والتشاور بين المجالس العلمية ومراكز البحوث.[1]

- على مستوى الموارد البشرية:

- ✓ السعي لتطوير الموارد البشرية وإعداد الباحثين وتعزيز السياسة المتبعة في مجال الدراسات العليا
- ✓ ترقية الحركة الجمعوية في مجال العلوم والتكنولوجيا، وتسهيل شبكات البحث بالتعاون مع المكتبات الأجنبية ووحدات البحث الدولية، والملتقيات والمخابر المشتركة، بهدف الاستفادة من الكفاءات الجزائرية بالخارج

- على مستوى تثمين نتائج البحث:

وفي سبيل تثمين نتائج البحث وتحقيق أهدافه، تم إنشاء:

- ✓ إنشاء الوكالة الوطنية لتثمين نتائج البحث والتطوير **ANDRE.VET.**
- ✓ تنصيب خلايا تتكفل بالتثمين على مستوى مؤسسات التعليم العالي والبحث العلمي

وفي سنة **1999**، أنشئت الوزارة المنتدبة للبحث العلمي لدى وزارة التعليم العالي، لتتولى تسيير البحث العلمي، ويوضح الجدول التالي تطور مؤسسات البحث العلمي في الجزائر منذ الاستقلال إلى حد الآن:

الهيئة	تاريخ الإنشاء	الجهة الوصية	تاريخ الحل
مجلس البحث	1963	جزائرية –فرنسية	1968
هيئة التعاون العلمي	1968	جزائرية – فرنسية	1971
المجلس المؤقت للبحث العلمي	1971	جزائرية	1973

[1] المرجع السابق، ص ص109-111

الديوان الوطني للبحث العلمي	1973	وزارة التعليم العالي	1983
محافظة الطاقات المتجددة	1982	رئاسة الجمهورية	1986
محافظة البحث العلمي والتقني	1984	الوزارة الأولى	1986
المحافظة السامية للبحث	1986	رئاسة الجمهورية	1990
الوزارة المنتدبة للبحث والتكنولوجيا	1990	الوزارة الأولى	1991
الوزارة المنتدبة للبحث والتكنولوجيا والبيئة	1991	الوزارة الأولى	1991
كتابة الدولة للبحث	1991	وزارة الجامعات	1992
كتابة الدولة للتعليم العالي والبحث	1992	وزارة التربية	1993
كتابة الدولة للجامعات والبحث	1993	وزارة التربية	1994
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي	1994	وزارة التعليم العالي	1994
وزارة منتدبة للبحث العلمي	1999	وزارة التعليم العالي	إلى اليوم

الجدول رقم2: تطور مؤسسات البحث العلمي في الجزائر منذ سنة 1962 [1]

4- معوقات إنتاج المعرفة السوسيولوجية بالجامعة الجزائرية:

قبل التطرق لمعوقات البحث السوسيولوجي بالجامعة الجزائرية، نحاول أن نشير بإيجاز لمعوقات البحث العلمي، وحسب ما جاء في مقال للباحث/**كبَّار عبد الله** (الجامعة الجزائرية ومسيرة البحث العلمي)، الذي يحصر معوقات البحث العلمي فيما يلي:

- رغم وجود عدد لا بأس به من مخابر البحث، فإن نتائج البحوث تبقى غير مشجعة، كما انها لا تجد طريقا لإعلام الآخرين بنتائجها.

[1] المرجع السابق، ص ص 111-112

- رغم توسع شبكة مراكز البحوث وازدياد عدد الباحثين، إلاّ أن براءات الاختراع تبقى مخيبة للآمال المنشودة.
- كما يلاحظ عدم وجود استراتيجية وطنية واضحة المعالم للبحث والتطوير للقيام بنهضة صناعية وتكنولوجية على غرار تجربة كوريا الجنوبية.
- لحد الساعة لم تكتسب الجزائر معهدا للبحث والتطوير ذي سمعة عالمية.
- هجرة أكثر من **10000** من أساتذة وطلبة للخارج سنة **2006/ 2007**، بسبب غياب المحفزات المادية والمعنوية، وكذلك غياب بيئة مناسبة تشجع على البحث العلمي.[1]

وفي بحث ذي صلة، حول معوقات البحث العلمي بالجزائر، والتي كانت سببا في عدم انتاج معارف علمية جديدة، يضيف الباحث/**كاملي بلحاج، أن** المتأمل في واقع البحث العلمي في الجامعة الجزائرية، هذا الأخير يشهد اضطرابا وقلقا ولا استقرارا، بل يعيش تناقضا وتضاربا، وأحيانا اللاّجدوى من البحوث المقدمة، فمنظومتنا البحثية في حالة من الركود والتباطؤ، إن لم نقل انقطاعا صريحا عن البحث في العالم التكنولوجي المتقدم.

البحث عندنا وبفعل عوامل كثيرة، أصبح يبتعد عن الأكاديمية والتعليمية والروح العلمية والأدبية شيئا فشيئا، وأضحت بحوثنا لا تقدم إضافة ولا تحل مشكلة ولا تبعث الرغبة في جيل المتعلمين وباحثي المستقبل، فهي الاستهلاك اليومي الآني، ومما لا شك فيه أن عملية البحث الجاد ليست سهلة، بل هي عملية معقدة تندرج ضمنها عمليات مختلفة مرتبطة بمنهج البحث غاياته، وهو ما لا تتوافر عليه العديد من بحوثنا، والبحث معرفة وخبرة واسعة في مجال التخصص، وهو باختصار إضافة نوعية من شأنها تغيير اتجاهاتنا وأفكارنا، بل وسلوكنا نحو الأفضل والأحسن من أجل ذلك كان العلم دوما أساس التقدم والازدهار، ولعل أهم ما ذكره الباحث من معوقات البحث العلمي:

- الاعتماد على البحث الفردي، إذ مازال البحث عندنا يجري على مستوى الأفراد على الرغم من وجود مخابر عامة ومشتركة، وعلى الرغم من انتساب هؤلاء الباحثين إلى هيئات علمية عامة، فالأعمال الفردية لا يمكن أن تقدم ما تقدمه المجموعات المنتظمة من الباحثين.[2]

---

[1] كبّار عبد الله: **الجامعة الجزائرية ومسيرة البحث العلمي (تحديات وآفاق)**، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، العدد 16، سبتمبر 2014، ص 304

[2] كاملي بلحاج: **الدور البيداغوجي في السير الحسن لمشاريع ومخابر البحث، الملتقى الوطني: آفاق الدراسات العليا والبحث العلمي في الجامعة الجزائرية**، المنظم من طرف جامعة الجزائر 1، المنعقد أيام: 23-24-25-26 / أفريل 2012، ص، ص 267، 272

والمعرفة السوسيولوجية، هي كغيرها من التخصصات العلمية، تعاني تقريبا من نفس المعوقات التي يعاني منها البحث العلمي بالجزائر، مع بعض الخصوصية التي يتميز بها هذا النوع المعرفي، كثرت الأبحاث في هذا المجال من دراسات للدكتوراه والماجستير، وكذلك ندوات وملتقيات، والتي عالجت هذا الموضوع محاولة الوقوف على واقع البحث لسوسيولوجي بالجامعة الجزائرية، ومنه سنحاول التعرف على ما قدمته هذه الأبحاث حول هذا الموضوع.

حسب الباحث/**جيلالي حسان،** فإن تطور علم الاجتماع مرتبط بالمثقف التقدمي، وهو ذلك المثقف صاحب المرجعية المستقلة والفكر الحر، المسئول الذي يحمل هموم الأمة، ومشاكل المجتمع، الذي يحاول التأسيس لفكر مبدع نير مستقل عن كل التيارات والإيديولوجيات، إلاّ أن هذا المثقف معزول ثقافيا، فهو بين خيارين أحلاهما مر، فإما الانسلاخ عن الإيديولوجيا السائدة والقيام بدور معرفي، وإما الاندماج غير الواعي في الشبكة الأيديولوجية السائدة، فلا ينتج غير الأمراض الثقافية والأوهام، فيصبح بوقا للسلطة ناطقا غير رسمي باسمها، فالمثقف النقدي، إما محبطا أو يائسا أو مهاجرا، وإما يضيع نفسه في العموميات، فلا يتكلم على شيء بعينه، بحيث يضيع الخاص والعام، ويضيف الباحث، أن المثقف يعاني العزلة والمنفى، **فكيف لعلم الاجتماع أن يتطور، وهو لا يمارس إلا داخل أسوار الجامعة؟،** فحاضرنا لا يعرف مدارس فكرية، ولا تفاعلات بين المثقفين الباحثين، إن الحوار بين الباحثين مبتور والخلافات متعددة، ولكنها ليست خلافات في الفكر أو الثقافة أو العلم وكل واحد منا يريد نفي الآخر، بل ومحوه من الوجود.[1]

وفي سياق ذي صلة، تقريبا يتفق جل الباحثين على نفس المؤشرات التي يعتبرونها معوقات أساسية تحول دون تطور المعرفة السوسيولوجية بالجامعات الجزائرية، ولا بأس أن نعرض لما جاء في مقال للباحثة/**سهى حمزاوي** والتي تحدد المؤشرات في:

-**موقع تخصص علم الاجتماع بين بقية التخصصات:** يصنف تخصص علم الاجتماع في المؤسسات الجامعية الجزائرية في أواخر قوائم التخصصات العلمية.

-**الطلبة:** الملاحظ عزوف الطلبة عن التوجه إلى تخصص علم الاجتماع، غير أن هذا التردد الطلابي الواضح في الالتحاق بهذا التخصص، يحدث في الوقت الذي يواجه فيه المجتمع العربي العديد من القضايا الشائكة،

[1] حسان الجيلالي: **علم الاجتماع تجربة شخصية**، مجلة دفاتر، منشورات مخبر: المسألة التربوية في الجزائر في ظل التحديات الراهنة، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، العدد 04، مارس 2015، ص ص6 -7

كالحروب والبطالة والإرهاب، ناهيك عن نظرة الاستخفاف المجتمعية بالمعرفة العلمية في مجال الدراسات الاجتماعية مقرونة بنظرة الشك في جدواها العلمية والعملية.[1]

لابد من الإشارة أن نظرة الازدراء هذه لعلم الاجتماع، تأتي من أساتذة وباحثين في تخصصات ذات العلاقة الوثيقة جدا من علم الاجتماع، وهنا تحضرني جلسة مناقشة مع أستاذة تدرس علم النفس، تقول بالحرف الواحد، علم الاجتماع ليس علم النفس، فعلم الاجتماع تخصص بسيط ولا يتطلب قدرات فكرية عالية، فهو في آخر سلم التخصصات الخاص بالعلوم الاجتماعية، ونظرا لاحترامي لتلك الأستاذة لم أجب عليها، ولكني وجدت فضاء أوسع لأجيب عليها، فقلت لها: عفوا أستاذتي، فأنت لست **أوغست كونت** لا في مستواه العلمي والفكري، الذي بدأ دراسته مهندسا، وانتهى به المطاف إلى علم الاجتماع الذي وضعه في أعلى درجات المعرفة العلمية، عندما يأتي النقد من باحث مجاله قريب جدا من مجال علم الاجتماع ويقلل من شأنه وقيمته، يعنى أننا لا نلوم أطرفا اخرى بعيدة كل البعد عن التخصص لا تعرف عنه سوى التسمية.

-**تردي الإنتاج المعرفي:** تعد مسألة الإنتاج المعرفي السوسيولوجي من المسائل التي تحتاج إلى اهتمام خاص، فهو يعتبر مؤشرا لقياس فعالية وكفاءة المنظومة الجامعية في هذا المجال، فضلا عن ذلك فإن علم الاجتماع وحضوره على المستوى الأكاديمي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي مرتبط بنوعية المعرفة المنتجة ومدى قدرتها على تقديم إضافة حقيقية لفهم الواقع الاجتماعي بتجلياته وتحولاته المختلفة، تشخص الباحثة/ **سهى حمزاوي** الوضع المتردي للإنتاج المعرفي السوسيولوجي، من خلال ثلاث أبعاد رئيسية هي:

-مواضيع البحث ـ التناول المنهجي، مدى استجابة الإنتاج السوسيولوجي للواقع الاجتماعي.[2]

وحسب الباحث/**أحمد زايد**، أن الجامعة أنشئت لتجسد نمطا من التفكير يختلف عن النمط الكنسي أو الديني الذي يعتمد على التلقين من ناحية وعلى الجمود الفكري من ناحية أخرى، لذلك حاربت الكنيسة النمط الجديد من التفكير، غير أن الجامعة كانت ومازالت في البلدان العربية، تمارس على الباحث سلطة التفكير وأيضا تفرض قيودا على البحث العلمي، وهو أيضا نفس المظهر الذي تعاني منه الجامعة الجزائرية، أين يمارس أساتذتها نوع من التسلط الفكري على الطلبة بدفعهم إلى تبني الموقف الفكري للأستاذ حتى ولو لم يقتنع

[1] سهى حمزاوي: **مكانة العلوم الاجتماعية بين الواقع التطبيقي والإشكالات المعرفية**، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة سطيف 2، الجزائر، العدد21، ديسمبر 2015، ص ص85-86

[2] المرجع السابق، ص 86

به، أو استخدام نفس الأطر التحليلية وتظهر هذه المشكلة أكثر بالعلوم الاجتماعية التي يظهر فيها الخلاف في المناحي المنهجية والأطر النظرية.[1]

يكمن جوهر المشكلة حسب بعض الدارسين، في الحصار الذي يضربه بعض الأساتذة على الطلبة من خلال تقييد أفكارهم ووضعهم في أطر جامدة لا يحيدون عنها، هذا الحصار يؤدي إلى تصلب شرايين المعرفة وعدم التجديد الدائم لدماء العلم وإلى شل حركته، وهنا نتساءل: **لماذا يلجأ بعض الأساتذة إلى هذا النوع من السلوك؟**، أظن انه ليس من السهل الإجابة على هذا السؤال، حيث لابد من دراسات معمقة لتقديم حجج وأدلة توضح هذه الأسباب، لكن إن أغلب الظن أن هذا السلوك يحقق للأستاذ فوائد شخصية واجتماعية ونفسية، فهو يؤكد سلطة الأستاذ وتفوقه ويؤكد في نفس الوقت القدرة على الضبط والتحكم، فالنتيجة إذن التي تترتب على هذا السلوك هي تكوين طلبة أضعف في مستواهم العلمي وفي طموحهم الأكاديمي من الأستاذ وهي نتيجة تدعم مكانته وتجعل سيطرته من خلال تملك المعرفة الأفضل، إذن سلطة الفكر التي يمارسها الأستاذ على الطلبة تؤدي إلى الجمود الفكري وبالتالي غياب التجديد في المعرفة العلمية، وهذا مرده إلى غياب الحوار بين الأستاذ والطالب الذي يعطي مساحة أكبر لنقل المعارف من جيل إلى جيل.[2]

يتبين لكل باحث عند اطلاعه على قائمة البحوث المنجزة الخاصة بقسم علم الاجتماع على العدد الهائل من أطروحات الدكتوراه والماجستير والليسانس، الإشكال الذي لازال يطرح: **ما مدى مساهمة ما يقدم في تنمية المجتمع من خلال الاقتراب الواقعي، ونوعية المعارف المعتمدة التي تتضمنها مختلف الأبحاث، وهل فعلا مضامينها أسست لفعل بحثي حقيقي؟**، لتظل الصورة السائدة في الأذهان لدى الكثيرين هي صورة البحث السوسيولوجي الهش البعيد عن الواقع الغير مستوعب والغير قادر نهائيا على تحقيق مشروع تنموي واقعي، وفي نفس السياق، أكد/**جمال معتوق** أن السوسيولوجيا في الجزائر بقيت بعيدة عن واقع البيئة الاجتماعية ولم يكن هناك تجاوب مع المشكلات التي كانت تعيشها البلاد كالبطالة والفقر، ومشكل التنمية ومشكل الحريات، ومن بين أهم أسباب نقص الاهتمام بميدان علم الاجتماع في الجزائر:

- اتهام السوسيولوجيين بعدم قدرتهم على الاشتغال على مشكلات المجتمع.
- محاكاة حلول المشكلات الغربية بالرغم من اختلاف البيئات الاجتماعية.
- الجهل بواقع المجتمعات من قبل المشتغلين بالسوسيولوجيا.

---

[1] أحمد زايد: **المعرفة والسلطة، نحو نموذج أخلاقي للتنشئة العلمية**، مؤتمر أخلاقيات البحث العلمي الاجتماعي، الجزء الأول، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، المنعقد بتاريخ 17-18 أكتوبر 1995، مصر، ص ص236-237

[2] المرجع السابق، ص238

- الاغتراب عن هذه المجتمعات.

- تكريس اللاّمساواة بين العلوم، إهمال الخصوصية الثقافية للمجتمعات العربية.[1]

يضيف الباحث/**عبد الرزاق أمقران**، أن الباحث السوسيولوجي الجزائري لا يكتب، لأنه لا يرى نفسه رجل قطيعة، بل امتداد لتوقعات مجتمعه أنكر عليه طموحه للسمو إلى صورة غير الصورة التي يحددها له المجتمع، وإذ يفعل ذلك فإنما يحدث القطيعة مع الفرع المعرفي الذي من المفروض أن يكون سفيرا له، المجتمع بطبيعته يدرب الأفراد على تقبل الأحداث والظواهر والقضايا المحورية على أنها مسطحة مرئية ومفهومة وغير قابلة للمساءلة، وهذا الأمر يتلقفه أستاذ علم الاجتماع في الجامعة الجزائرية بوعي غائب وبتبعية صارخة وفكر مسلوب، أما عن حياده فهو مصطنع ومغلط، يعلن حياده اتجاه الفرع المعرفي وقضايا الوطن والعالم ولا يتحرج من ذلك على الإطلاق، فيكتفي بتعريف نفسه على أنه أستاذ علم الاجتماع ولا يتخطى هذا التعريف الاداري، فلا يتوقع منه أكثر من أن يعلن ذوبانه فيه أي الذوبان في السطحية وما هو شائع ومقبول.[2]

الملاحظ من تحليلات الأساتذة والباحثين في مجال البحث السوسيولوجي، وما أمكننا الاطلاع عليه، أنهم ركزوا أكثر على المعوقات المادية والمالية والتسييرية، أكثر من تركيزهم على المعوقات الذاتية أي التي تخص الباحث، خاصة فيما يتعلق بقضية التعصب الفكري الذي أهمل تماما من تحليلات الأساتذة والباحثين، ونحن تعمدنا أن نتطرق إلى معوقات تطور المعرفة العلمية بصورة عامة، والبحث السوسيولوجي بصورة خاصة، حتى نبين أن هناك معوقات قد أهملت ولم يتم التطرق لها، وحسب اطلاعنا على الكثير من الأعمال التي أنجزت في هذا الشأن، اتضح فعلا أن ظاهرة التعصب والتي تبدو واضحة وبارزة للكل خاصة الباحثين وفي المناسبات واللقاءات العلمية تبدو أكثر وضوحا، لكن السؤال المطروح: **لماذا لم ينتبه الأساتذة لها واعتبارها كأحد المعوقات الأساسية أمام تطور المعرفة السوسيولوجية؟**

[1] قنيفة نورة، مرجع سبق ذكره، ص 139

[2] المرجع السابق، ص 139

الفصل الرابع: معوقات تطور المعرفة السوسيولوجية

- التعصب الفكري نموذجا-

أولا:ماهية التعصب الفكري

1-التعصب: عوامل نشأته-أشكاله ومظاهره

2-خصائص وسمات الفرد المتعصب فكريا

3-طرق مواجهة التعصب الفكري

4-دراسات اهتمت بموضوع التعصب الفكري

5-مناقشة الدراسات المتعلقة بالتعصب الفكري

6-عوامل انتشار ظاهرة التعصب في الوطن العربي

ثانيا: النظريات العلمية المفسرة لظاهرة التعصب الفكري

1-النظريات الدينامية النفسية

2-نظريات الصراع بين الجماعات

3-النظريات المعرفية

4-نظريات التعلم

5-النظريات البيئية

6-النظرية الحضارية

الفصل الرابع: التعصب الفكري ومعوقات تطور المعرفة السوسيولوجية

عرفت المجتمعات العربية وعلى مدار قرون أشكال مختلفة من التعصب، التي شكلت خطرا كبيرا على تطورها ونموها الحضاري، قدم الباحثون سواء على المستوى العالمي أو العربي دراسات مهمة حاولوا من خلالها إعطاء تفسيرات حول أسباب تفشي هذه الظاهرة، التي أخذت في العصر الحديث أشكال مختلفة وأبعاد أخطر، رغم ما توصل إليه الإنسان من تطور في مجالات الحياة المختلفة التي كان من المفروض أن تحد من انتشار الظاهرة، خاصة في مجال القانون، حيث تأسست العديد من المنظمات الدولية التي تندد بضرورة التصدي للتعصب والتمييز العنصري الذي تتعرض له الإنسانية، حيث لا يخلو أي بلد حتى لو كان متطورا من وجود وتغلغل هذا المرض داخل مجتمعاتها.

نحاول من خلال هذا الفصل، الذي يمثل العنصر الأساسي والمحوري لهذه الدراسة، البحث عن جذور التعصب وعوامل انتشاره في العالم العربي، فالهدف من دراسة أي ظاهرة سلبية بالمجتمع، إما القضاء عليها، أو الحد من انتشارها، وقد قدم العلماء تصوراتهم حول كيفية معالجة التعصب السلبي والتقليل من انتشاره وخطورته، وقد جاءت هذه التصورات بناء على نظريات فسرت التعصب من زوايا مختلفة، وصولا إلى تحديد توجه نظري وفقا لمعطيات الدراسة وأهدافها، والتي نبحث فيها بشكل خاص عن التعصب الفكري لدى النخبة وتأثيره على تطور المعرفة العلمية، رغم تفطن الباحثون لخطورة التعصب، ورغم سعيهم لفهم أبعاد الظاهرة للتحكم فيها، إلاّ أن وجود التعصب على الساحة العربية، قد اخذ أبعادا خطيرة أكثر مما سبق، خاصة في بعض البلدان العربية كالتعصب الديني، والطائفي والسياسي... الخ، وعليه نتساءل: **هل أسباب انتشار التعصب وهذا ما تؤكده الوقائع، يعود إلى أن الدراسات المنجزة لم توفق في تحديد أسباب الظاهرة ؟ أم أن التغيرات السريعة التي طرأت على المجتمعات العربية، لم تستطيع الدراسات والأبحاث المنجزة من مواكبتها؟**

أولا: ماهية التعصب الفكري

1-التعصب: عوامل نشأته، أشكاله ومظاهره

1- 1. عوامل نشأة التعصب:

تباينت الدراسات التي اهتمت بتحديد العوامل المؤدية للتعصب، فعلى سبيل المثال: يرى علماء النفس أن أسباب التعصب، تعود إلى عوامل نفسية خالصة، كثيراً ما تكمن تلك العوامل في العقل الباطن أو اللاشعور ويمثل ذلك الاتجاه مدرسة التحليل النفسي، بينما يرجع التربويون التعصب، إلى ظروف وعوامل التنشئة الاجتماعية

وخاصة الأساليب الخاطئة في التنشئة والتربية، والتي لا تعتمد على التوجيه السليم من قبل الوالدين والأسرة، وذلك لأسباب وظروف الحياة المحيطة بالأسرة، أما علماء الاجتماع يرجعون الأمر إلى المجتمع وظروفه وتقاليده وقيمه الاجتماعية وعاداته الجامدة، التي لا تتلاءم مع متطلبات العصر وحاجات الإنسان المعاصر، بينما يرى علماء الاقتصاد أن أسباب التعصب تكمن في الظروف المادية والاقتصادية، ومنه يتضح لنا، أن أسباب التعصب متشابكة ومتداخلة وتعمل كل هذه الأسباب بدرجات متفاوتة مخلفة آثارا مختلفة قد يزداد أثرها على شخص ويقل أثرها على شخص آخر، وهذه العوامل هي كالأتي:

-عوامل نفسية -اجتماعية واقتصادية:

من بين العوامل التي تتعلق بالفرد والتي تعتبر من المحددات النفسية التي تؤثر أو تساعد على تكوين الاتجاهات التعصبية لدى الفرد:

- ✓ **نسق قيم الفرد:** ويقصد به ترتيب القيم المقبولة لدى الشخص ومن أهم القيم المحددة للتعصب: الغيرية والمساواة والحرية.
- ✓ **الشخصية التسلطية:** ترتبط الشخصية التسلطية، بالشخصية شديدة التعصب ارتباطا وثيقا، ومن أهم سمات الشخصية التسلطية، الخضوع المبالغ فيه للسلطة، التمسك الصارم بالقيم والتقاليد السائدة، تأكيد القوة، الغلظة والعداوة العامة.
- ✓ **عدم تحمل الغموض:** يشير إلى الابتعاد والتهرب من مواجهة المشكلات القابلة لتفسيرات عديدة والشعور بالضيق حينما يواجه الفرد بمجموعات اجتماعية معقدة تتسم فيها المبادئ المتعارضة بالتداخل.
- ✓ **القلق النفسي وعدم الشعور بالأمان:** فقد اعتبر كل من **Bettel ham et janowitz 1964**، من أن القلق النفسي محددا هاما من محددات الشخصية الممهدة لنشأة الاتجاهات التعصبية.
- ✓ **المجاراة:** وتعني انصياع الفرد لضغوط الجماعة، واقعية كانت هذه الضغوط أم وهمية.
- ✓ **تقدير الذات:** توجد علاقة عكسية بين تقدير الفرد لذاته وزيادة اتجاهاته التعصبية، ذلك أن الشخص الذي لا يتقبل نفسه لا يتقبل الآخرين.
- ✓ **الرضا عن العمل:** وجد أن معظم المتعصبين يواجهون مشكلات مختلفة في أعمالهم تجعلهم غير راضين عنها.[1]

في أغلب الدراسات التي حاولت الكشف عن العوامل النفسية والاجتماعية والاقتصادية المحددة للتعصب، ركز العلماء على دور بعض العوامل التي قد يكون لها ارتباط قوي وفعال والمتمثلة في:

[1] عبد الله صافي ، مرجع سبق ذكره، ص ص 50-51

– الإحباط الناجم عن العوامل الاقتصادية والاجتماعية وكذلك النفسية.

– الصراع الاجتماعي القائم بين الجماعات الاجتماعية من جانب وبين الفرد والمجتمع من جانب آخر.

– العوامل الخارجية التي يتعرض لها الفرد كالضغوط وعوامل الصراع والإحباط، وأيضا الظروف الاجتماعية كالحرمان والتغير الاجتماعي والإحباط، تلعب دوراً في اللجوء إلى التعصب، ومن ثم فإن التعصب ينجم عن التفاعل بين الدوافع اللاَّشعورية للفرد وبين الظروف الاجتماعية المحيطة به، ومن هنا فإن الصراع الاجتماعي الذي يعيشه إنسان القرن الواحد والعشرون، ناجم عن عدم استقرار النظم الحضارية، وتزاحم الحضارات الغربية والشرقية لا يترك للفرد فرصة للتوحد مع المجتمع ككل، وإنما يجعل الفرد ينسحب للتوحد بالطائفة.[1]

– قد يؤدي الحرمان، إلى الخصومة بين الجماعات خاصة عندما يرى الفرد، أن موضوع الحرمان الذي يعاني منه تمتلكه بعض الجماعات الأخرى، وأن هناك ظروفاً تحول دون تحقيقهم لأهدافهم، وأن الخوف الذي قد يوجد لدى بعض الجماعات والتي تشعر من خلاله بأن حياتها مهددة ومستهدفة من قبل بعض الجماعات الأخرى، هو ما يدفع أفراد هذه الجماعات للاهتمام بمصيرهم العام على حساب الجماعات الأخرى، في ميادين العمل والخوف من الفشل الذي يصاحب المنافسات، يغلب دوره أيضا في ميدان التعصب، ومن بين الأمثلة على ذلك: الشركات والمؤسسات الكبيرة وحتى الصغيرة، تخوض غمار المنافسة للوصول إلى مكانة متفوقة من حيث الإنتاج والسمعة والشهرة، وقد يؤدي ذلك إلى استخدام طرق غير شريفة للقضاء على الجهة المنافسة و منها: تشويه سمعة الشركة المنافسة وتقديم أسعار، أو إعلانات معينة تستطيع فيها كسب المشتري وصرفه عن الشركات الأخرى، بالإضافة إلى أن الموظف الانتهازي، يسلك هذا المسلك فإنه يقوم بتشويه صورة زملائه في العمل ويتعصب ضدهم لأجل مصالحه الخاصة والوصول إلى أعلى المراكز، وهذا مما يجعل الآخرين يتعصبون ضده ويشعرون بأنه إنسان مستغل أناني يريد الارتقاء إلى الأعلى على حساب غيره، الذين قد يكونوا في أغلب الأحيان أفضل منه، فقد تتعصب جماعة ضد جماعة أخرى وتصفها بصفات تبرر لها استغلال هذه الجماعة، وقد يكون الاستغلال اقتصاديا أو سياسيا أو اجتماعيا.[2]

وأيضا من بين العوامل الاجتماعية التي تساعد على ظهور التعصب:

– اختلاف أو تباين الجماعات المكونة للمجتمع، فكلما زاد هذا الاختلاف بين الثقافات الفرعية والأديان، زادت ظروف نشأة ونمو الاتجاهات التعصبية.

---

[1] جميل حامد عطية: **تأثير التعصب على تماسك البناء الاجتماعي، دراسة ميدانية للحالة العراقية**، دراسة مقدمة إلى معهد البحوث والدراسات العربية جامعة الدول العربية للحصول على دكتوراه في العلوم الاجتماعية، القاهرة ، 2010،ص ص76– 78

[2] المرجع السابق، ص ص78–81

– التغير الاجتماعي السريع الذي يصاحبه نوع من عدم التوازن والقلق عند الأفراد الذين يلجئون إلى التعصب كوسيلة لتغطية هذا القلق.

– الجهل وعدم وجود فرص للاتصال بين الجماعات المختلفة في المجتمع الواحد، فقد أثبتت الدراسات أنه كلما زادت معرفة الفرد بالحقائق والمعلومات عن الجماعات التي يتعصب ضدها قل تعصبه ضدها.

– المنافسة والخوف من الفشل في موقف التنافس، تجعل الفرد الذي يخشى المنافسة يضطهد من ينافسه حتى يحس بالأمان.[1]

وبشكل عام تشير العديد من الأبحاث، إلى عدد من الفروق الفردية النفسية والاجتماعية التي تؤثر في احتمالات أن يكون الفرد متعصبا مقارنة مع غيره من الأفراد:

- ✓ **الإحباط:** عند مناقشة الأسس النفسية للتعصب، تبين أن الإحباط وما يولده من عدوان يزاح إلى كبش فداء، يمكن أن يكون سببا عاما للتعصب، واعتبر آخرون أن الإحباط منطلقا عاما قادرا على تفسير التعصب كسمة شائعة في الحياة الاجتماعية الإنسانية، وإلى جانب ذلك يمكن أن يقدم الإحباط إسهاما بشأن الفروق الفردية في التعصب على اعتبار أن الفرد الأكثر تعرضا للإحباط من الأرجح أن يكون أكثر تعصبا.
- ✓ **التوافق النفسي:** يعتبر التوافق النفسي والمؤشرات الدالة عليه مثل: **انخفاض اعتبار الذات، الأمن النفسي، القلق والأعراض العصابية الأخرى والذهانية**، عوامل يمكن أن تحدد أي الأفراد أكثر قابلية للتعصب، فالتراث السيكولوجي يزخر بالعديد من الافتراضات والدراسات التي تقترح، أن الأشخاص الذين ينخفض اعتبارهم لذواتهم يبدون تقبلا أقل للآخرين، فالشخص الذي ينخفض اعتباره لذاته بسبب تدني ترتيبه في الهرم الاجتماعي مثلا، قد يلجأ إلى احتقار والتقليل من شأن جماعات أخرى بما يمنحه نوعا من الشعور بالتفوق، وفي كل الأحوال السابقة يمكن النظر إلى الاتجاهات التعصبية كمحاولة من قبل الفرد للإبقاء على اعتباره لذاته.

أما عن انخفاض الأمن النفسي وعلاقته بالتعصب، فإن الفرد الذي لا يشعر بالأمن والذي يستشعر الخطر دوما قد ينظر إلى الجماعة الخارجية بوصفها مصدرا مهددا هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن رؤيته للجماعة الخارجية كمهدد تزيد من التصاقه بجماعته كمحاولة لتحقيق الشعور بالأمن، وهو ما قد يؤدي بدوره إلى تعزيز العداء للجماعة الخارجية.

وفيما يتعلق بعلاقة القلق بالتعصب، يفترض العديد من الباحثين، أن التعصب ربما يحمي إحساسنا بذواتنا ضد القلق الناشئ عن الصراع الداخلي، أو كما يرى **زيور** سنة **1986**، يمكن النظر للتعصب كآلية للتعامل مع الصراع

[1] عبد الله صافي، مرجع سبق ذكره، ص 51

الداخلي الذي يشكل البنية الأساسية للعصابية عامة، وهو إذ يضطلع هذه الوظيفة النفسية يحقق كسبا لصاحبه، وإن كان على حد تأكيد **زيور** كسبا وهميا ناقصا يفوّت على صاحبه فرصة حل إشكالاته الداخلية حلا رشيدا واقعيا مجديا.[1]

– التوجه الديني: وفي دراسة أخرى حول معرفة الارتباط بين التدين والتعصب، تبين أنه قد لا يكون هناك ارتباطا أو علاقة على الإطلاق، فربما الناس الأقل تعليما أكثر تدينا وأكثر تعصبا، وربما يكون التعصب هو الأصل في المعتقدات الدينية التي يعتنقها البعض.

إن معظم الدراسات التي أشارت إلى ارتباط التدين بالتعصب، اتخذت من التعليم الديني أو الذهاب إلى عضوية الكنيسة أو ممارسة الشعائر والطقوس الدينية أو الانتساب إلى المؤسسات الدينية، محكات رئيسية للتدين وهذه المحكات قد لا يمكن اعتبارها مؤشرات على التدين الحقيقي.

من هنا تأتي أهمية التمييز الذي أقامه **جوردن وألبورت** وطوراه في أبحاث تالية بين التوجه الديني الظاهري والتوجه الديني الجوهري عند دراسة علاقة الدين بالتعصب:

–التوجه الديني الجوهري: يميز حياة الشخص المتعمق في عقيدته الدينية دون أي تحفظ والشخص الذي له هذه الطبيعة يعمل على خدمة الدين بدلا من أن يسخِّر الدين لخدمته.

–أما التوجه الديني الظاهري: فهو تلك النظرة إلى الدين، باعتباره نمطا أو شكلا لخدمة الذات وحمايتها والمنفعة الشخصية.

✓ **الشخصية التسلطية:** إذا كان لخصائص الشخصية، أن تعين استعداد الفرد للتعصب، فنظرية الشخصية التسلطية في إطار علم النفس الاجتماعي، هي الممثل الرئيسي لهذا التصور، والفرض المركزي في هذه النظرية هو أن الشخص يتبنى الإيديولوجيا الأكثر تناغما مع بنية شخصيته.

في هذا الإطار توصل الباحثان (**أدرنو و فرانكل برونشفيك Adorno et Frankel Brunswik**)، من خلال دراستهما إلى تحديد خصائص الشخصية التسلطية :

- يتصف المتسلطون بالإذعان المبالغ فيه للسلطة.
- الانصياع الصارم للمعايير التقليدية للسلوك.
- يميلون إلى العدوانية وعقاب المنحرفين أو المختلفين (أعضاء جماعات الأقلية).

[1] هاني الجزار، **أسباب التعصب نحو رؤية تكاملية**، مرجع سبق ذكره، ص ص86–90

- يهتمون بشكل كبير بالقوة والمكانة، كما أن التصلب وعدم تحمل الغموض أهم ملامح النمط المعرفي للمتسلط، وعلاوة على ذلك فإذا كان المتسلط يميل للخضوع للأكثر قوة، فإنه ينزع إلى العدوانية واستخدام العقاب ضد من هم أضعف أو أدنى منه، وأخيرا فهو يميل إلى الشك ويؤمن بالخرافات.[1]

وكانت النتيجة العامة، هي أن العلاقة المتبادلة متفاعلة بطبيعتها، وحينما تكون العوامل الاجتماعية هامة، تكون العوامل النفسية أقل أهمية والعكس. حينما تكون العوامل الاجتماعية أقل أهمية، تصبح العوامل النفسية أكثر أهمية بالتبعية[2]

– **العوامل المعرفية:** توصلت بعض الدراسات، إلى تأثير الفروق الفردية في القدرات المعرفية والأنماط المعرفية، في القابلية العامة للتعصب، يفترض الباحثون بناء معرفيا أكثر اتساعا وموضع اهتمام كبير وهو الثراء المعرفي، وهو مزيج من الذكاء و الخبرة الاجتماعية، بالإضافة إلى الأنماط المعرفية الخاصة مثل التصلب، وعدم تحمل الغموض والتعقيد المعرفي والدجماطيقية– التعليم– المكانة ومتغيرات اجتماعية أخرى: يبدو أن انخفاض المستوى التعليمي، يمكن أن يجعل الفرد أكثر قابلية للتعصب، ودراسات عديدة أيدت هذه الفرضية منها على سبيل المثال:

(Raven et Rubin.1983- wilson. 1986- Jane.1996) ، ويمكن تفسير ذلك بأن التعليم قد يجعل الفرد أكثر قدرة على التفكير الناق، ومن ثم أقل ميلا إلى التعميمات المفرطة التي غالبا ما تقود الى التعصب.

كما أن أثر التعليم لا يقتصر فقط على مجرد تقديم المعلومات أو المعارف، ولكنه يتيح أيضا للفرد فرصا للتفاعل مع أفراد من جماعات مختلفة أو ذوي خلفيات متنوعة، ومن خلال هذه المعلومات والخبرات، فإن الفرد قد يعيد تقييم اتجاهاته ومعتقداته، ومن هنا يؤكد المهتمون على ضرورة تهيئة فرص التعليم للجميع.

أما المكانة الاجتماعية، فتتحدد بالمستوى الاجتماعي والاقتصادي الذي يشتمل على المهنة، الدخل، المستوى التعليمي، حيث يدعو بعض الباحثين إلى طرح مفهوم الطبقة الاجتماعية الاقتصادية جانبا، والاكتفاء بدراسة عناصر محددة من مكوناتها نظرا للجدل القائم حول هذا المفهوم، إلا أن بعض الدراسات التي أجريت في مجال الاتجاهات التعصبية لم تحدد المكانة وفقا للمؤشرات الثلاثة السابقة، ويفترض الباحثون علاقة عكسية بين المكانة والتعصب ومن الدراسات التي أيدت هذه النتيجة: دراسة(**أمينة الجندي 1987**)، حيث وجدت علاقة عكسية بين المستويات الطبقية والتطرف الديني، كذلك دراسة (**طارق عبد الوهاب 1992**)، والدراسات بشكل عام، لا تمكن من استخلاص

[1] المرجع السابق، ص ص92–95

[2] جون دكت: **علم النفس الاجتماعي والتعصب**، ترجمة/ عبد الحميد صفوت، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 2000، ص 217

استنتاج محدد إذا تأكدت علاقة المكانة المنخفضة بالتعصب فيبدو ذلك، لأن منخفضي المكانة قد يكونون أكثر إحباطا أو حرمانا أو أنهم أقل اعتبارا لذواتهم على ضوء ما يجرونه من مقاربات اجتماعية ليست غالبا في صالحهم.

أما علاقة السن بالتعصب، فتشير الدراسات في أكثرها إلى علاقة عكسية بين السن والاتجاهات التعصبية على سبيل المثال دراسات (**Kimberly. 1994- Anne et Frances.1995- Jane.1996- Dasja et Fay.1996**)، ويفترض البعض أيضا علاقة عكسية بين الحضرية والتعصب، من الدراسات التي أوضحت أن الحضريين أقل تعصبا مقارنة بالريفيين، حسب دراسة: **أمينة الجندي 1987، طارق عبد الوهاب 1992**، في حين أشارت دراسة: **جلال سليمان واحمد زايد**، إلى عدم وجود فروق فردية دالة بين الريفيين والحضريين في التعصب، أما دراسة **السيد إسماعيل**، أوضحت أن الفرق يعتمد على أي شكل من التعصب، حيث تبين عدم وجود فروق فردية بين عينة الريف وعينة الحضر في التعصب العائلي، بينما وجدت فروق دالة بينهما في التعصب الديني لصالح عينة الريف.

على ضوء هذه الدراسات لا يمكن التأكيد على أن أبناء الريف أكثر قابلية للتعصب بالمقارنة بأبناء الحضر

تشير بعض الدراسات أيضا إلى علاقة عكسية بين الحراك الجغرافي والتعصب، حيث الأكثر تنقلا أقل تعصبا، بسبب قلة جمودهم الذهني أو بسبب اهتمامهم الأكبر بالخبرات المستجدة.[1]

ولعل مساهمة **علي الوردي** في تفسير التعصب، من أهم المساهمات، حيث حلل منطق المتعصبين في العصر الحالي، انطلاقا من تأثير البيئة الاجتماعية الثقافية والمعرفية التي ينشأ بها الفرد، وخاصة عند مختلف الطوائف الدينية، وهذه المساهمة جاءت في كتابه (**مهزلة العقل البشري**)، فهو يقدم انتقادا لطريقة تفكير إنسان الحاضر بمنطق الماضي، ويؤكد على تأثير البنية المعرفية للبيئة الاجتماعية على تكوين الأفكار والمعتقدات التي تربى ونشأ عليها الفرد العربي، فأصبح يملك فكرا تعصبيا لهذه الموروثات ويدافع عنها باعتماده حسب قناعاته، على المنطق والحجة والبرهان، لكنه يفند هذا ويرى أن هذه الجماعات تدعي امتلاكها للحقيقة دون غيرها، وعليه يشير إلى التعصب من خلال قراءته لكتب أصدرها رجال الدين، فيقول: " ينتابني شعور خاص حين أقرأ الكتب التي يكتبها رجال الطوائف الإسلامية المختلفة، إذ يرد بعضهم على بعض... فالكاتب يقدم في صفحاته الأولى مقدمة فخمة، يقول فيها عن نفسه أنه محايد، وأنه قد تجرد من عواطفه المذهبية وعقائده الموروثة، ويريد أن يدرس التاريخ على ضوء العقل والمنطق ... لكني لا أكاد أوالي القراءة ...، حتى أجد صاحبه يجمع البراهين والأدلة العقلية والنقلية، لكي يبرهن بها على صحة عقائده المذهبية جميعا... يبدأ كتابه بتمجيد العقل وبوجوب الاسترشاد به في تصحيح كل رأي أو عقيدة ... في ثنايا الكتاب لا يخرج قليلا أو كثيرا عن عقائده الموروثة ... "[2]

---

[1] المرجع السابق، ص ص98-104

[2] علي الوردي: **مهزلة العقل البشري**، دار كوفان، لندن، بريطانيا،ط2، 1994، ص ص39-42

يضيف **علي الوردي**، أنه لا تكاد تمر فترة قصيرة من صدور كتاب لرجل دين، حتى يصدر ضده كتاب آخر بقلم مؤلف آخر من رجال الطائفة الثانية، وهكذا يبقى رجال الدين مشغولين بتأييد عقائدهم عن طريق العقل والمنطق، فلا يقنع أحدهم بما يقول الآخر، وكل واحد منهم يصف الآخر بالمكابرة والمغالطة والعناد، لا لوم على رجال الدين كما يرى **علي الوردي**، حين يؤيدون عقائدهم المذهبية بشتى الوسائل، فهم مكلفون اتجاه ضمائرهم بأن يبشروا بعقائدهم بكل وسيلة، لكنه يعترض على أسلوبهم في استخدام المنطق العتيق البالي فيشبه هؤلاء ، كالذي يدخل معركة حربية حديثة يلوح بسيف يماني، فهو يؤذي نفسه ويؤذي قومه، وقد يمتنع المحاربون من إطلاق النار عليه، إذ يفضلون أن يضحكوا عليه بدلا من أن يقتلوه.

ويستشهد **علي الوردي**، بأن التجارب قد دلت على أن الجدل المنطقي الذي يستخدمه رجال الدين، لا جدوى فيه، إذ أن هذا الجدل قد يسكت الإنسان، وقد يفحمه أحيانا، ولكنه لا يقنعه، وأما إذا غير رأيه، في هذه الحالة لابد من البحث عن العوامل النفسية والاجتماعية التي دفعته إلى ذلك.

لم يبتكر العقل البشري مكيدة أبشع من مكيدة الحق والحقيقة، يقول علي الوردي: " ... لست أجد إنسانا في هذه الدنيا لا يدعي حب الحق والحقيقة، حتى أولئك الظلمة الذين ملئوا صفحات التاريخ بمظالمهم التي تقشعر منها الأبدان ..."

يقال أن أحد السلاطين المؤمنين بالله، أنه ذبح ذات يوم مائة ألف مما كانوا على عقيدة غير العقيدة التي نشأ هو عليها، ثم جعل من جماجم هؤلاء القتلى منارة عالية وصعد عليها مؤذن يصيح بأعلى صوته " **لا إله إلاّ الله** "، والأمثلة كثيرة تعبر عن التعصب الديني، ويستطرد المفكر **علي الوردي**، بإعطاء أمثلة، تحدث عن مرحلة في العهد العثماني، حينما جهز والي الموصل حملة عسكرية ضد اليزيديين الساكنين شمال العراق، ذهبت تلك الحملة إلى القرى اليزيدية ، قتلت أطفالها واستباحت نساءها، وجاءت بالأحياء من رجالها إلى الموصل ليخيروا بين حد السيف أو شهادة أن " **لا إله إلاّ الله**"، والسبب في هذا، أن الوالي قد غضب على اليزيديين لكونهم يعبدون الشيطان من دون الله، وهذا تعبيرا عن التعصب، لأن الوالي قد نسي أنه لو تربى على أيدي والدين يزيديين وبيئة تعبد الشيطان لكان مثلهم، إذن من الظلم أن نعاقب الناس على عقائدهم التي لقنوا بها في نشأتهم الاجتماعية، فالعقل البشري مغلف بغلاف سميك لا تنفذ إليه الأدلة والبراهين، إلا من خلال نطاق محدود، وهذا النطاق الذي تنفذ إليه الأدلة العقلية مؤلف من تقاليد البيئة التي ينشأ فيها الإنسان في الغالب. [1]

فأصحاب العقول المغلقة، لا يمكن أن تتقبل رأيك حتى لو أتيت له بالدليل لكي تقنعه برأي يخالف تقاليده ومألوفاته السابقة، فأنت تصاب بالاندهاش حين ترى خصمك لا يقتنع بالبرهان القوي الذي اقتنعت به، فكلاهما يؤمن بما عنده،

[1] المرجع السابق، ص ص 42- 44

وكل حزب بما لديهم فرحون، لقد كان القدامى يصفون الدليل القوي الواضح، بأنه الشمس في رابعة النهار، غير أن الشمس نفسها على شدة وضوحها لا تصلح أن تكون دليلا كافيا لدى الإنسان الأعمى، أو إذا كانت الشمس محجوبة عنه بغلاف سميك، كان المفكرون القدماء يتراشقون بالتهم والشتائم عندما ينشب الجدل بينهم، وكل فريق يتهم خصمه بأنه يغمض عينيه عن رؤية الحق عمدا، وكل منهم يدعي أنه صاحب الحق الأوحد دون الناس جميعا.[1]

فالعلماء اليوم يعتبرون التفكير كالإحساس محدود، فالفرد لا يستطيع أن يعقل الأشياء، إلاّ إذا كان ذلك الشيء داخل نطاق المفاهيم والمقاييس الفكرية التي تعود عليها في محيطه الاجتماعي، والإنسان بهذا الاعتبار، كالحصان الذي يجر العربات، وقد وضع على عينيه إطار فهو لا يرى من الأشياء، إلاّ تلك التي تقع في مجال إطاره، قد ينزعج البعض من المفكرين من هذا التشبيه، حيث يشعر كل واحد منهم أنه حر في تفكيره، يتجول به في جميع الأنحاء.

لكن يرى **على الوردي**، أن هذا الأمر مجرد وهم لا أساس له من الحقيقة، حيث يصف هؤلاء بالمغفلين، لأنهم ليسوا أحرارا في تفكيرهم والسبب، أن الإطار الفكري قيد لا شعوري موضوع على عقولهم من حيث لا يحسون به، فهو كالضغط الجوي الذي نتحمل ثقله الهائل على أجسامنا دون أن نحس به، وقد نحس به لو تحولنا إلى مكان آخر يتغير فيه مقدار الضغط، عندها نشعر بأننا كنا واهمين، هكذا شبه **علي الوردي** العقل البشري، فهو لا يحس بوطأة الإطار الموضوع عليه، إلاّ إذا انتقل إلى مجتمع جديد، فوجد أفكارا ومفاهيم مغايرة لما ألفه، فيشعر بأنه عندئذ، أنه كان مثقلا بالقيود الفكرية وأن فكره بدأ يتفتح، حيث يرى **علي الوردي**: " أن الإنسان كلما ازداد تجوالا في الآفاق واطلاعا على مختلف الآراء والمذاهب، انفرج عنه إطاره الفكري الذي نشأ فيه واستطاع أن يحرر تفكيره من القيود قليلا أو كثيرا ... وكلما كان الإنسان أكثر انعزالا، كان أكثر تعصبا وأضيق ذهنا"، فالإنسان الذي لا يفارق بيئته التي نشأ فيها، ولا يقرأ غير الكتب التي تدعم معتقداته، لا يمكن أن يكون محايدا في حكمه على الأمور، فمعتقداته تلون تفكيره وتبعده حتما عن جادة الصواب و يخلص **علي الوردي**، أن الفرق المتنازعة خاصة الفرق الدينية في المجتمعات العربية، كلاهما محق ومبطل في نفس الوقت، لأنهما ينظران للأمر من زوايا مختلفة، وهذا التنازع والتشبث بالرأي يؤدي إلى التطرف وعدم الاعتدال في الرأي نتيجة لتعصب كلا منهما لرأيه ولفكره.[2]

- العوامل الأسرية:

الأسرة مؤسسة من مؤسسات التنشئة الاجتماعية، بل هي أهم وكالة اجتماعية أوكل لها مهمة تنشئة الأطفال وبناء الأجيال، فهي أول صورة للحياة، وأول خلية اجتماعية يرتبط بها الإنسان منذ طفولته، وهي ضرورية لبقائه، فهي التي تتولى رعايته جسميا وعاطفيا وفكريا واجتماعيا، حيث تعتبر الهيئة الأساسية التي تقوم بعملية التطبيع

[1] المرجع السابق، ص 45

[2] المرجع السابق، ص ص45-49

الاجتماعي، وتيسر للطفل التكيف والاندماج الاجتماعي وإعداده للحياة في ضوء المعايير والعادات والمعتقدات والقيم والثقافة، التي تمثل فلسفة المجتمع ودعائمه وأسس قوامه واستمراره، فهي إحدى المؤسسات الاجتماعية التي يقع عليها مسؤولية التنشئة الاجتماعية لأفرادها منذ مرحلة الطفولة، وحتى مرحلة الشباب والمراهقة، وما ميز الأسرة أنها الحضن الأول للاستثمار البشري باعتبار أن الإنسان هو أهم عامل من عوامل الاستثمار الناجح، وأن الاستثمار في الطفل مؤشر حضاري لتفوق الأمم وتطورها، ومن هنا غدت الأسرة أهم مؤسسة لتنشئة الأطفال وتربيتهم ورعايتهم.[1]

لازالت الأسرة تحتفظ بدورها الحيوي في عملية التعليم والتعلم رغم التغيرات المتلاحقة التي طرأت عليها والتي لم تقلل من شأنها ودورها الفعال في وظيفتها، وللأسرة وظيفة اجتماعية هامة في حياة أبنائها تنعكس آثارها في حياتهم المستقبلية والحاضرة، وهى النافذة التي من خلالها يرى الطفل العالم الخارجي وينطلق منها إليه، وعليه فإن التعصب تحدده المعايير والقيم الاجتماعية التي يتعلمها الأطفال من والديهم ومعلميهم وسائر مؤسسات وعوامل التنشئة الاجتماعية، ويفسر رواد نظريات التعلم الاجتماعي نشأة التعصب، على أنه سلوك مكتسب من خلال عملية التنشئة الاجتماعية، وأن الطفل من خلال الأسرة يكتسب مثل ذلك التعصب ويستجيب طبقا له حتى يشعر بأنه مقبول من الآخرين، يقوم الوالدان بدور كبير في تعليم الأطفال الاتجاهات التعصبية، حيث أشارت نتائج العديد من الدراسات إلى وجود ارتباط بين اتجاهات الآباء العنصرية والعرقية وبين اتجاهات الأبناء، وأن الأبوين ينقلان تلك الاتجاهات إلى الأبناء بشكل غير مباشر من خلال المحاكاة أو التقليد، وأن الأبناء أنفسهم وبدون وعي يقومون بمجاراة الاتجاهات السائدة في محيط الثقافة السائدة حولهم، فالتعصب عند الطفل ليس موروثاً ولكنه مرتبط بشكل كبير بالأسرة التي يعيش فيها، وأن الإنسان لم يخلق متعصباً ولم يخلق متحاملاً، ولكنه أكتسب ذلك السلوك من خلال عملية التطبيع الاجتماعي والتنشئة الاجتماعية في البيئة التي يعيش فيها[2].

تبدأ التنشئة الاجتماعية بوصفها عملية تعليم الفرد كيف يصبح عضوا في أسرته وفي مجتمعه المحلي، منذ الطفولة المبكرة وتتقدم مع تقدم النمو والتعلم إلى الدرجة التي يسلك بها الفرد ويفكر ويشعر ويقيم الأمور بطرق تشبه

[1] عزي الحسين: **الأسرة ودورها في تنمية القيم الاجتماعية لدى الطفل في مرحلة الطفولة المتأخرة (دراسة ميدانية لعينة من تلاميذ السنة الخامسة ابتدائي بمدينة بوسعادة)**، أطروحة ماجستير، تخصص علم النفس الاجتماعي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة مولود معمري تيزي وزو، الجزائر، 2014، ص 39

[2] سعد عبد الرحمن: **مشكلة التعصب والتحامل**، عالم الفكر، عدد1، مجلد 1، الكويت، 1970، ص ص111-112.

ما يفعله كل فرد آخر في المجتمع، ومنه فهي تعمل على توجيهه نحو السير على نهج حياة أسرته والجماعات الاجتماعية الأخرى التي ينتسب إليها، ويسلك في غمارها بصورة تتلاءم مع معاييرها ومعتقداتها وقيمها.[1]

من أسلم الطرق وأفضلها في تعزيز شخصية الطفل هي احترامه والامتناع عن تحقيره وأهانته، وقد أشار علماء النفس إلى أهمية هذين الأمرين:(احترام الطفل وعدم تحقيره)، ومن هنا ينبغي على الوالدين احترام الطفل في الأسرة والاهتمام بشخصيته، وكلما التزم الأبوان باحترام طفلهما توجه هو إلى الآخرين بالحب والاحترام كذلك، وإلَّا قد تنمو لديه نزعة الاحتقار لنفسه وللآخرين، ومن الأمور الهامة التي لا بد من مراعاتها عند تربية الأطفال تربية سوية هي: التوازن والمساواة بينهم، ينبغي على الآباء أن ينظروا إلى جميع أبنائهم بعين واحدة دون تمييز بينهم(بنين وبنات)، ويعاملوهم بعدالة ومساواة ليزرعوا حب العدالة والمساواة في أنفسهم. وهؤلاء الذين لا يراعون المساواة ويرجحون واحدًا على آخر أو الولد على البنت في العطف والحنان، إنما هم يحبطون أطفالهم ويحطمون شخصياتهم مما يؤدي إلى احتقار أنفسهم، فالأطفال الذين يشاهدون أحد إخوتهم يحظى بحب وحنان الوالدين أكثر مما يحظون به، سيتألمون كثيرًا ويشعرون بالضعف والحقارة في نفوسهم وتكرار ذلك يؤجج الإحساس بالذل في صدورهم، مما ينعكس على سلوكهم وتصرفاتهم في المستقبل يوما بعد يوم طيلة حياتهم، فقد تشمل هذه المظاهر عدم الثقة بالنفس والإحساس بالفشل وعدم الجدارة وفقدان الإرادة والحسد وحب الانتقام، ولكن الشعور بالعدالة والمساواة والعطف والحنان يشيع الأمن والأمان في نفوس الأطفال ويزيدهم ثقة على ثقة بالنفس، فالطفل الذي يتربى على الاستبداد والقهر والعنف في المعاملة يعيش خاملًا، مهلهل الشخصية، عديم الثقة بنفسه، لا هدف له ولا قصد مما ينعكس على أسرته والمجتمع ككل.[2]

ينبغي على الآباء أيضًا فتح قنوات التواصل والحوار والإقناع مع الأبناء في جميع المجالات بما فيها الأمور التي لم يتعود الآباء التواصل فيها من قبل، ويجب أن يكون الحوار بسيطًا يبتعد عن أسلوب المحاضرات والإملاءات وأن يكون حوارًا متساويًا لكلا الطرفين بمعنى أن يكون لهما نفس الحق والوقت ويحترم استقلالية الأبناء، ويجب أن يسمح الآباء لأبنائهم التحدث في أي موضوع يشعرون بأهميته له، وعند الحوار مع الأبناء يجب ألا يرتفع الصوت من كلا الطرفين حتى يكون الحوار مفهوما وكأنه يجري بين أصدقاء أو زملاء، وإذا افتقدت التربية أساليب الإقناع والحوار، فسينتج عنها حتما أشخاصا فاقدي الثقة بالنفس لا يملكون زمام المبادرة ويميلون إلى حب

[1] وليم و.لامبرت، وولاس إ.لامبرت: **علم النفس الاجتماعي**، ترجمة/ سلوى الملا، دار الشروق، القاهرة، ط 2، 1993، ص27.

[2] سعادة خليل: **تنشئة الأطفال على التسامح واحترام الآخرين**، نشر بتاريخ: 14/10/2015 نقلا عن الموقع الالكتروني:
http://www.nashiri.net/content/view/2054/

الذات، وبالتالي يستسهلون الكذب والنفاق والتذلل وعدم إدراك قيمة العمل لأن الذي لا ثقة له بنفسه يلجأ إلى تحقيق مآربه وأهدافه بوسائل غير مشروعة والتي تقوم في الغالب على النفاق والخداع.[1]

ولهذا يجب على الآباء أن يعدلوا عن أساليب القمع في تربيتهم، وأن يسمحوا لأولادهم بالتعبير عن أنفسهم بالطريقة التي يريدون وعن آرائهم مهما كانت تظهر سطحيتها وبساطتها وأن يسمح لهم بأخذ المبادرة وإبداء آرائهم دون الاستهانة أو الاستهزاء بهم، ومن العوامل التي تساعد على تنشئة الطفل التنشئة الحقة، الحوافز النفسية والتشجيع والثناء، إن التشجيع المادي والمعنوي عند قيام الطفل بعمل إيجابي، يعزز ثقته بنفسه وبقدراته وتحمل المسؤولية،إن تقديم التشجيع والثناء والحوافز الأخرى للطفل مقابل قيامه بعمل ما يعد أسلوبا نافعا لكي يدرك الطفل بأن كل عمل يؤديه له مردود مادي أو معنوي، ولكن على الآباء والمربين، ألاّ يجعلوا هذه الحوافز عملا دائما يركن إليه الطفل فيصبح اتكاليًّا متكاسلًا في عمله.[2]

فأسلوب التسلط في معاملة الأبناء يؤدى إلى التمرد والعدوانية والتطرف وعدم الاتزان الانفعالي، كما أن عملية التنشئة الاجتماعية بجميع مقوماتها، قد تكون مسئولة إلى حد كبير في خلق وتكوين الحواجز فعن طريقها يكتسب الطفل اتجاهات من نوع خاص ومن درجة خاصة تجاه طفل آخر، ومهما يكن فإن شخصية الآباء والأساليب القسرية التي يتعرض لها الأبناء في التنشئة الاجتماعية والتأثيرات الطبقية والعرقية، كلها عوامل قد تدفع إلى تكوين الشخصية المتسلطة التي تجعلها عرضة دائمة للانجذاب الشديد نحو الجماعات التي تعمل على توفير الحماية لها واختزال حاجاتها التسلطية، وهكذا يتضح أن معظم أوجه التعصب مكتسبة، إلاّ أن الأمر يحتاج إلى المزيد من الدراسات للتأكد من ذلك، كما يتطلب الأمر إجراء المزيد من الدراسات للتحقق من تأثير العوامل الوراثية على التعصب.[3]

- العوامل المدرسية

تعتبر المدرسة المؤسسة الثانية من حيث التأثير والأهمية في تربية النشئ، فالطفل في المراحل الدراسية المختلفة، يتأثر في الغالب بالجو الاجتماعي الذي يعيشه في المدرسة، لذا فإنها تعد عاملًا مؤثرا في تكوين شخصية الفرد، التكوين العلمي والتربوي السليم وفي تقرير اتجاهاته في حياته المستقبلية وعلاقته بالمجتمع، فالمدرسة هي نسيج معقد من العلاقات بين الطلاب، ففيها تتوسع الدائرة الاجتماعية للطالب بطلاب جدد وجماعات جديدة، فيتعلم الطالب في جوها الحقوق والواجبات وضبط الانفعالات والتوفيق بين حاجاته وحاجات الآخرين إضافة

[1] جميل حامد عطية، مرجع سبق ذكره، ص 69

[2] المرجع السابق، ص 69

[3] المرجع السابق، ص 69

إلى تعلم التعاون والانضباط السلوكي، يتعلم الطفل كل ذلك من خلال ما يتلقاه من علوم معرفية، وما يكتسبه من احتكاكه بزملائه في المدرسة، كما أنه ومن خلال المدرسة يمكن الكشف عن عوارض الانحراف مبكرًا لدى الأطفال، مما يهيأ الفرصة المبكرة لعلاجها قبل استفحالها، وبهذا فإن المدرسة بمثابة حقل تجريبي للطفل يمارس فيه سلوكه بعيدًا عن رقابة أسرته وأقربائه، ومن هنا تتكشف مختلف السلوكات التي تعلمها من الأسرة والمدرسة، خاصة فيما يتعلق بالتعصب، حيث يظهر دور الأسرة في غرس التعصب في أطفالهم وكذلك المدرسة، وباعتبار المعلم هو القدوة بالنسبة للطفل فهو يتعلم منه وبالتالي فما ظهر في سلوك الطفل في هذه المرحلة، من تعصب وتمييز وعدوان، فهو يرجع بالأساس للأسرة والمدرسة، ويؤدي بذلك التعصب إلى بروز سلوكات منحرفة كالإدمان والتطرف[1].

وفي سياق متصل حول ما يحدث بالمدارس الجزائرية، قد أثبتت الإحصائيات أن ظاهرة العنف في المدارس في ارتفاع مستمر، فالمنظومة التربوية في خطر، وعلى سبيل المثال لكي نوضح مدى استفحال ظاهرة العنف بمدارسنا، نشرت جريدة **La dépêche kabilie**، الصادرة يوم **13/ 04/ 2005**، التي تتحدث عن مأساة بثانوية **(دبح الشريف بولاية بجاية)**، أين أقدم أحد التلاميذ على قتل زميله، كما ذكرت جريدة النهار الصادرة يوم يوم الإثنين من شهر فيفري **2010**، أين تلقى تلميذ طعنة على مستوى الظهر بمتقنة **(سي طارف بولاية غليزان)**، من شخص مجهول أودت بحياته، ونشرت الجريدة نفسها خبر آخر بعنوان " أستاذ يتسبب في فقدان عين احد تلامذته.[2]

الأمثلة كثيرة حول العنف بالمؤسسات التربوية، آخر ما حدث تعرض أستاذة بمؤسسة تربوية بتلمسان للضرب المبرح من طرف تلميذ وشقيقته، إذن العنف تعدد وأخذ أشكال مختلفة، التلاميذ فيما بينهم أو عنف الأستاذ ضد التلميذ، أو عنف التلميذ ضد أستاذه، فالمدرسة والنظام التعليمي يساهمان بشكل فاعل في صياغة اتجاهات الفرد، وعلى ذلك فهما يقومان بدور هام في تعليم التعصب، قد يكون ذلك بأشكال مختلفة، مثل المناهج الدراسية التي تشوه الحقائق والتي تنطوي على اتجاهات صريحة نحو الجماعات المختلفة، يمكن أن تساعد في خلق التعصب، وكذلك (ارتفاع كثافة الفصول، وعدم توافر القدوة من المدرسين...الخ).

قد يجعل التعليم من الفرد أكثر قدرة على التفكير الناقد، ومن ثم أقل ميلا إلى التعميمات المفرطة، التي غالبا ما تقود إلى التعصب، وإذا كانت القوالب النمطية تقوم في الغالب على اعتقادات خاطئة، فإن هذه القوالب النمطية،

---

[1] حامد عبد السلام زهران: **علم النفس الاجتماعي**، عالم الكتب، القاهرة، مصر، 1977، ص179.

[2] عبدي سميرة: **الضغط المدرسي وعلاقته بسلوكات العنف والتحصيل الدراسي لدى المراهق المتمدرس (15-17)، (دراسة ميدانية على عينة من تلاميذ السنة الأولى ثانوي ولاية بجاية نموذجا)**، أطروحة ماجستير، تخصص علم النفس المدرسي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، 2011، ص 29

يمكن أن تقل إذا ما توافرت للفرد معلومات دقيقة، والتعليم من المفترض أن يقدم هذه المعلومات، كما أن أثر التعليم لا يقتصر فقط على مجرد تقديم المعلومات أو المعارف، ولكنه يتيح أيضا للفرد فرصا للتفاعل مع أفراد جماعات مختلفة أو ذوي خلفيات متنوعة، إن تغير الاتجاهات المحافظة للطلاب الجدد إلى اتجاهات تحررية بنهاية المرحلة الجامعية، وهو ما قد يفسر على أساس ما قدمته الجامعة من معلومات وإتاحته من خبرات للتفاعل مع الجماعات المختلفة، ومن خلال هذه المعلومات والخبرات، فإن الفرد قد يعيد تقييم اتجاهاته ومعتقداته، من هنا يأتي تأكيد المهتمين، على ضرورة تهيئة فرص التعليم للجميع على اعتبار أنه عامل هام في خفض التعصب، وأيضا تأكيدهم على البرامج التربوية كاستراتيجية تدخلية قد تقلل من التعصب، هناك جملة من الوظائف يمكن أن تقوم بها المدرسة والنظام التعليمي بشكل عام، كإجراءات وقائية وعلاجية فاعلة لظاهرة التعصب هي كالآتي:

- مساعدة الطفل في تنمية مفهوم ذات ايجابي، يقوم على فهمه لتفرده وقيمته الذاتية.
- أن ينمي في الطفل قبول وتقدير الاختلافات في الأفراد والثقافات.
- تعليم الطفل ضرورة أن تقوم أحكامه بشأن الأفراد والجماعات على المعلومات الدقيقة وليس وفقا لمجموعة من القوالب النمطية.
- مضاعفة فرص التعلم لكل الطلاب، بعبارة أخرى ضمان تعليم عال المستوى للجميع.
- مساعدة الطفل في تنمية الفهم والاتجاهات بما يسمح له أن يتعايش بشكل جيد في عالم متعدد العرقيات والثقافات
- من المقبول أيضا أن وسائل الإعلام كقناة هامة من قنوات التنشئة تلعب دورا هاما في نقل التعصب.[1]

كما أن المتتبع للأحداث، يلاحظ أن الواقع قد أثبت التدهور الثقافي الذي تعانيه المجتمعات العربية انعكس سلبياً على قدرات المعلم في القيام بالمهام التربوية المطلوبة منه تجاه طلابه، وقد انعكس ذلك على الطلاب وتمخض عن جيل من الشباب لا يعي الأسس السليمة للفكر والثقافة، ولا يعي المسئولية والانتماء لمجتمعة أو أهله أو وطنه.[2]

- العوامل الثقافية

تؤثر العوامل الثقافية هي الأخرى على نشأة التعصب، حيث أن الكثير من الإيدلوجيات التي تتخذ شكلا عنصريا، لا تستند إلى أسس علمية، فالإيديولوجيات التي تكرس التعصب تضفي عليها مبررات وجيهة شأنها شأن التصورات النمطية التي تقدم اختزالاً مخلاً للواقع التاريخي المعاش وتنزع للانتقائية في قراءة التاريخ وتحليل الواقع،

[1] جميل حامد عطية، مرجع سبق ذكره، ص ص70-71

[2] المرجع السابق، ص 73

وقد بدأت هذه الظاهرة في الانتشار مع زيادة الفقر الروحي وافتقاد الأمن الثقافي وطغيان المادة والتقدم العلمي وزيادة في حجم تدفق المعلومات، وأمام كل هذا، وجد الشباب أنفسهم محاصرين بعالم أفقدهم كثيراً من القيم الإنسانية ودفع بهم إلى عالم العنف بمختلف أشكاله وصوره، وتمثل أحد أسباب التعصب فيما يواجهه الأبناء والشباب من صعوبات واضطرابات أثناء عملية التفاعل مع المتغيرات السائدة في العالم الخارجي والمجتمع المحلي، في مرحلة النمو والنضج وهم أحوج في تلك المرحلة إلى النصح والإرشاد والتوجيه والتثقيف لحداثة وقلة خبرتهم بالأحداث الفكرية والثقافية المحيطة بهم[1].

وقد ينغمس الأبناء أو الشباب في براثن التطرف والتعصب أو الانحراف عندما يحاولون مسايرة تلك المتغيرات الثقافية والاجتماعية، وهو ما يسمى بالتعصب والتطرف الفكري أو الثقافي، وهناك الكثير من مقومات البيئة الخارجية تساعد وتسهم في استمرار التحامل والتعصب ومن هذه المقومات وسائل الاتصال والتواصل المنتشرة والمتداولة كوسائل الإعلام المرئية والمسموعة والأمثال الشعبية المتداولة والفكاهات وغيرها، وتتمثل تلك العوامل في الأيدلوجيات والثقافات التي تسود المجتمعات التي يظهر فيها التعصب، وينمو ذلك الاتجاه من خلال القيم الاجتماعية التي تسود في هذه المجتمعات، وتظهر فيها حيث تنمو هذه القيم، ثم تتحول رويداً إلى اتجاه يأخذ صفة الثبات والاستقرار، ثم تتحول في النهاية إلى جزء من الأيدلوجية الثقافية والاجتماعية لذلك المجتمع وفى الغالب تقوم تلك القيم والثقافات والاتجاهات بتزكية وتنمية سلوك التعصب ضد بعض الجماعات الموجودة في المجتمع. ونظراً لأن تلك الأيدلوجيات والقيم والاتجاهات تتوارثها وتتناقلها الأجيال المتعاقبة ومن ثم يصبح أمر تغييرها وتعديلها عملية صعبة يتطلب نوع من الثورة الاجتماعية.[2]

- **العوامل العرقية**

العرق **(Race)**، مصطلح بيولوجي، وهو عبارة عن جماعة من البشر تقوم بينهم روابط أخرى غير الروابط أو العوامل الوراثية، يطلق هذا المصطلح لنعت شعب من الشعوب، مثل العرق الانكليزي أو العرق اليهودي أو العرق الفرنسي وهكذا...، إذ يشير إلى اللغة المشتركة والدين والإقامة بين بعضهم البعض ويكرسون الاختلافات عن الشعوب الأخرى، بهدف تأسيس عرق منفصل وذلك عندما تفصل الحواجز التي استمرت لآلاف من السنين

[1] حمدى حسن محمد حسانين: **الشخصية المتطرفة في ضوء الاضطرابات السلوكية ومفهوم الذات**، مجلة كلية التربية جامعة أسيوط، مصر، عدد 6، مجلد 1، جانفي، 1990، ص297.

[2] جميل حامد عطية، مرجع سبق ذكره، ص 73

إحدى الجماعات عن الجماعات الأخرى، وقد سيطرت دراسات العرق لفترة طويلة على الانثروبولوجيين، إلاّ أن كثير منهم توقفوا عن تصنيف الشعوب على أساس عرقي.[1]

- العوامل القومية

يرجع أغلب الباحثين في الشؤون السياسية والاجتماعية جذور الفكر القومي إلى أوربا، في فترات المد القومي في أوربا وظهور الدولة القومية ومحاولة توحيد بعض أجزاء أوربا في عهد **بسمارك** وغيره، إلا أن ما يتصل بالإثنية القومية حسب ما افترضه **(جيري مولر jerry Mueller)**، باعتبارها هي المؤهلة لقيادة السياسة العالمية خلال الأجيال القادمة، متطرقا في بداية دراسته المنشورة في مجلة الشؤون الخارجية تحت عنوان **(القوة الباقية للقومية الإثنية)** إلى ما اسماه **(رؤية الأمريكيين السطحية لدور القومية الإثنية)**، وإلى أن يقلل الأمريكان من دورها، باعتبار مجتمعهم شهد اندماجا وتعايشا قوميا أو ثقافيا يتجاوز كل الفروق الإثنية والعرقية، متصورين أن كل العالم يعيش هكذا، وهو تصور في نظر **(مولر)** ضعيف الأفق حيث يعتبر الأمريكان مفهوم الإثنية القومية مضاد للأخلاق والفكر، وهم يسعون إلى إدماج كل الأعراف والثقافات في بوتقة واحدة ضمن هوية واحدة، إلا أن المد القومي في أوربا استمر حتى بعد الحرب العالمية الأولى وعاد إلى الظهور بعد الحرب الباردة على شكل إثني ويرجع **مولر** الاستقرار الأوربي خلال الحرب الباردة، إلى نجاح المشروع القومي الإثني متوقعا تكرار النموذج الإثني القومي الأوربي في مناطق أخرى من العالم.[2]

وانتقل الفكر القومي إلى المنطقة العربية لتظهر دعوة القومية في الوطن العربي في نهاية القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، حيث تنامى الوعي القومي العربي على التضاد من الحكم التركي، مطالبا بالاستقلال وبالوحدة العربية، وبعد الحرب العالمية الأولى قاد هذا الفكر حركات التحرر الوطني ضد الاستعمار البريطاني والفرنسي والصهيوني والإيطالي، وفي منتصف القرن العشرين تطور الفكر القومي على شكل مشروعات سياسية، مثل الناصرية في مصر، والبعثية في سوريا والعراق، أما في الوقت الحاضر، يقول الأستاذ/**يوسف الشويري**، أن الفكر القومي يدخل مرحلة أخرى يسميها الغروبة الجديدة، والتي تتبنى الديمقراطية وحقوق الإنسان والدعوة إلى مجتمع عربي مدني، ودائماحسب الباحث/**يوسف الشويري**، ورغم مضي أكثر من قرن على بروز القومية العربية، لازالت هناك الكثير من الأسئلة تطرح حول هذا الموضوع: **هل القومية تعبير عن الهوية الثقافية؟ أم أنها مجرد**

[1] صخر الحاج حسين: **نظرة إلى مفهوم العرق عرق أم أثنية**، مجلة تحولات، لبنان، العدد 15، 2006، ص 21

[2] جميل حامد عطية، مرجع سبق ذكره، ص 81

تداعيات لحلم الوحدة العربية؟ أم هي مشروع سياسي توظفه النخب والأنظمة الحاكمة لمصالحها الضيقة والحزبية؟ [1]

والآن أصبحنا نتكلم عن القومية الإثنية داخل الدولة الواحدة، كل منها تطالب بحقوقها، والأمثلة عديدة في الوطن العربي، مثل الأكراد بالعراق، أظن أن الجزائر تعيش هي الأخرى أزمة قومية أو أزمة هوية ثقافية، توجد فئات بالجزائر تطالب بحقوقها وهناك من يقول أنها تفكر في الانعزال عن الدولة الجزائرية، **لست أدري إلى أي حد يمكن أن يصدق هذا القول؟**، لكن هناك مؤشرات كثيرة ممكن أنها تبين مدى صدق هذا الكلام، مثل الحركة الاحتجاجية التي عرفتها منطقة تيزي وزو والجزائر العاصمة سنة **1980**، والتي عرفت بما يسمى بالربيع الأمازيغي، والتي عبر فيها المحتجون عن غضبهم من السلطة آنذاك، بأنها تعمل على تهميش لغتهم وعدم الاهتمام بموروثهم الثقافي، وفي ظل هذه الظروف والاختلاف في الهوية الثقافية، يغذى التعصب ويزداد خطورة على وحدة الدولة، حيث كل طرف أو فئة من مكونات هذه الأمة، تحاول أن تفرض ثقافتها بالسيطرة على كل مؤسسات الدولة، اعتبارا منها أنها الثقافة الأصيلة والراقية والحضارية لهذا المجتمع، وهذا يعبر فقط عن مدى تعصب جهة أو مجموعة اتجاه فئة أخرى.

تشير الكثير من الدراسات حول التعصب بأشكاله المختلفة، أنه ينمو في ظل ظروف اجتماعية ونفسية معينة يعيشها أفراده وتعمل على انتشاره في بعض المجتمعات دون أخرى، وخاصة الدراسات التي أجريت حول التعصب العنصري، بأنه يزداد حدة إن واجه المجتمع ظروفا معينة:

- ينشأ التعصب ويزداد كلما كان هناك اختلاف أو تباين بين الجماعات التي تكون المجتمع، فوجود جماعات تنتمي إلى أعراق مختلفة أو أديان أو ثقافات مختلفة، يعد أرضا خصبة لنمو التعصب.
- يتولد التعصب نتيجة خشية من فرد انتقل من طبقة أدنى إلى طبقة أعلى، والذي سيصبح منافسا لأصحاب الطبقات العليا، خشية من اللحاق بهم أو من احتلال مكانتهم.
- الجهل وعدم وجود فرص للاتصال بين الجماعات المختلفة من المجتمع الواحد، أحد العوامل التي تؤدي إلى ازدياد التعصب، فقد أثبتت بعض الدراسات أنه، كلما ازدادت معرفة الفرد بالحقائق والمعلومات عن الجماعات التي يتعصب ضدها قل تعصبه.
- حجم الأقلية موضع التعصب، عامل آخر يؤثر في شدة الاتجاه، يرى **وليامز**، أن التعصب يزداد كلما ازداد حجم الأقلية موضع الاتجاه، وكلما زاد معدل نموها زاد من حدة الصراع بين الأغلبية والأقليات.

---

[1] موسوعة الجزيرة: **تاريخ القومية العربي، تقديم خالد الحروب**، نقلا عن الموقع الالكتروني:
http://www.aljazeera.net/nr/exeres/7971eff6-7498-4b48-86fa-b471295b6f56.htm

- يعد الاستغلال عاملا آخرا يؤدي إلى التعصب، فقد تتعصب جماعة ضد جماعة أخرى وتصفها بصفات تبرر لها استغلال هذه الجماعة ويرى بعضهم، أنه لخوف الأمريكيين من المنافسة ورغبتهم في استغلال الآخرين دور مهم في تعصبهم ضد الشعوب الأخرى، وقد يكون الاستغلال اقتصاديا أو سياسيا أو اجتماعيا.
- كذلك يرى بعضهم أن أفراد الأغلبية، يلجئون إلى التعصب واضطهاد أفراد الأقليات بقصد توحيد العلاقات بين أفراد الأغلبية وتقويتها، خاصة ما إذا كانت هناك أخطار تهددهم.
- المنافسة في ميادين العمل والخوف من الفشل الذي يصاحب تلك المنافسات دورها في زيادة التعصب.
- الأفكار النمطية الجامدة، التي تظهر بصفتها عاملا من العوامل المؤدية إلى التعصب أيضا، ويؤكد **شيرمان** إلى أن الأفكار النمطية الجامدة تفتقر إلى الحقيقة وأنها غالبا ما تؤدي إلى التعصب.[1]

لقد تعددت الطروحات الفكرية لعلماء وباحثين حول عوامل نشأة وتطور الاتجاهات التعصبية، وتنوعت هذه التصورات التفسيرية ما بين اجتماعية واقتصادية وسيكولوجية وثقافية، ومعرفية... الخ، وهي تصورات لها وجاهتها وبعضها تأيّد تجريبيا إلى حد كبير، إلاّ أنه لم تكن هناك محاولات للربط بين هذه التصورات في إطار تكاملي يمكننا من فهم الظاهرة فهما منطقيا، ومن الباحثين الذين تنبهوا لهذه المسألة " **جون دكت** "، ويلخص ما انتهت إليه التصورات المختلفة في أربع عمليات أساسية تفسر كيفية نشأة الاتجاهات التعصبية وكيفية تطورها:

– فثمة عمليات سيكولوجية أساسية يبدو أنها تشكل الاستعداد الإنساني الكامن للتعصب

غير أن هذه العمليات لا تنشط ويتولد عنها التعصب، إلاّ في ظل عوامل معينة في البيئة الاجتماعية، فيما يشير إلى (الديناميات الاجتماعية للتعصب)، أو إلى التعصب كمعيار اجتماعي يتحدد بالمتغيرات بين الجماعية من قبيل صراع المصالح أو علاقات القوة والمكانة

– أما وقد اكتسب التعصب داخل الجماعة خاصية المعيار الجماعي، بفعل الديناميات الاجتماعية، فإن الجماعة تنقل التعصب، بما هو معيار إلى أفرادها من خلال وسائط معينة وآليات معينة، وهنا يبرز دور التنشئة الاجتماعية بميكانزماتها المختلفة ودور المجارات كعمليتين قادرتين على تفسير كيف ينتقل التعصب إلى الأفراد.

– ومع ذلك التعصب لا ينتقل آليا، وبنفس الدرجة إلى كل أفراد الجماعة، فالعوامل الفردية تحدد أي الأفراد أكثر قابلية لتمثل تعصب الجماعة واكتسابه، وهنا تبدو أهمية الفروق الفردية كمحددات لمدى التهيؤ لاكتساب الاتجاهات التعصبية. [2]

---

[1] نادر طالب شوامرة: **علم النفس الاجتماعي**، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2014، ص ص455-456

[2] هاني الجزار: **أزمة الهوية والتعصب (دراسة في سيكولوجية الشباب)**، دار هلا للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2011، ص 11

1- 2. أشكال ومظاهر التعصب:

لعل أخطر معضلة ثقافية تواجه المجتمعات الإسلامية المعاصرة هي ظاهرة التعصب، بشكليه التعصب السلبي ضد الآخرين، والتعصب الإيجابي تحيزا للنفس وللجماعة الاجتماعية التي ننتسب إليها، هناك من يرى التعصب كله هو نوع من النرجسية وعشق الذات فنتحيز تلقائيا لكل ما ينتسب إلينا ونعادي كل من يخالفنا، وهناك تعصب الأغلبية ضد الأقليات، ولكن هناك أيضا تعصب الأقلية ضد الأغلبية كما حدث في جنوب إفريقيا، وكما يفعل اليهود في منطقة الشرق الأوسط منذ عام **1948**وحتى اليوم، كذلك يمكن تمييز صور متعددة من التعصب على أساس نوعي سواء في التاريخ البشري أو في الواقع المعاصر، هناك التعصب العنصري والقومي، وهناك التعصب الجنسي ضد الإناث، والتعصب الديني والطائفي وهو الأخطر في العالم الإسلامي، وهناك من يميز بين التعصب العرقي والتعصب القومي، فالتعصب ضد الزنوج والأسيويين والهسبانك في أمريكا هو تعصب عنصري، بينما من أبرز نماذج التعصب القومي في التاريخ الحديث هو النازية والصهيونية، والملاحظ أن التعصب العنصري أكثر انتشارا في المجتمعات الأوروبية والأمريكية المتقدمة، هذا النوع من التعصب من أخطر الأمراض التي تصيب تلك المجتمعات، إنه مرض الكراهية الجماعية الذي يجسد نمطا سلوكيا للعداوة في العلاقات الاجتماعية، وقد تبين من تحليل التعصب، أن الشخص المتعصب يسقط على الآخرين ما في نفسه من رغبات ومشاعر سلبية، وهذا يتيح له أن يقتل ويغتصب بحجة أن الآخرين هم البادئون وهو يسعى فقط لحماية نفسه ورد العدوان.[1]

إن كلمة " تعصب " كما سبق وأن عرفناها، تعني اختلال فكري يتبعه اختلال وجداني يتحمس للاختلال الأول ليتبعه اختلال سلوكي تراه العين المجردة، وتقيس مضاره المرئية الإنسانية جمعاء على صاحبه وعلى دوائره.

وللتوضيح أكثر، سنتطرق لأهم أشكال التعصب، قد تكون هناك أشكال أخرى من التعصب، تطرق لها باحثون آخرون، لكن المتفق عليه أن هذه هي أهم أشكال التعصب، وهي كالآتي:

- **التعصب العرقي أو القومي:** التعصب العرقي كان ومازال ذا أثر في حياة الإنسان، وقد يكون تأثيره في أحيان كثيرة أخطر من التعصب الفكري أو الحزبي أو الرياضي، لأن كثيرا من الناس لا يهتمون بالمبادئ الفكرية، ولا ينتمون إلى أحزاب أو نقابات أو أندية رياضية، في حين أن لكل البشر لديهم دوائر عرقية من أسر وعائلات وقبائل وشعوب وقوميات وأجناس وكثير من مفاهيم هذه الدوائر فيها تعصب عرقي.[2]

يوجد التعصب العرقي في دول متقدمة تكنولوجيا، وفي دول نامية وفي مجتمعات إسلامية، وفي مجتمعات علمانية ويتم تجسيده في مفاهيم، وشعارات، وأقوال، وأعمال، وقوانين وأعراف وأهداف معلنة أو سرية، ولعل أخطر

[1] جميل حامد عطية، مرجع سبق ذكره، ص 83

[2] عيد الدويهيس: **لا للتعصب العرقي**، نقلا عن الموقع الالكتروني: https://www.alkutubcafe.com/book/VwHNLN.htm، ص 3

ما في التعصب العرقي، أنه عدو مجهول، أي لم يدرك الكثيرون لحد الآن خطورته وآثاره المدمرة، فالكثيرون جزء من الانتماء الوطني أو القومي، ولهذا هم يتمسكون به، ويجهلون أنهم يدافعون عن الباطل، والتخلف والجهل.[1]

لقد اهتم **ابن خلدون** بالعصبية العرقية، فهو يعتقد بأن دوام الملك (نظام الحكم) بدوام العصبية كشوكة ونعرة دم، فقال: "ولا يصدق دفاعهم، إلا إذا كانوا أهل عصبية وأهل نسب واحد، لأنهم بذلك تشتد شوكتهم ويخشى جانبهم"، والملك يحصل برأيه (ابن خلدون) بالتغلب، والتغلب يكون بالعصبية.[2]

وما ينطبق على القومية ينطبق على الوطنية، أي على العرق الشعبي، جاء في **لسان العرب وتاج العروس** هذا التعريف: "القوم الجماعة من الرجال والنساء، وقوم كل رجل شيعته وعشيرته، وقيل الجماعة من أب واحد "، وقال الدكتور/**محمد أحمد خلف الله:** "موطن القوم هو الأرض التي يقيمون فيها ويمارسون حياتهم عليها، ويقولون عنها أنها موطنهم أو وطنهم"، وقال: "القومية إذن مجموعة من الروابط الثقافية الناجمة عن تعايش مجموعة بشرية في مكان واحد، ولها تاريخ واحد، ومصالح مشتركة "، لا شك أن البشر يختلفون في أشكالهم وألوانهم ولغاتهم وتاريخهم وأرضهم ومصالحهم، ولكن من الخطأ أن يؤدي ذلك إلى التعصب العرقي سواء على مستوى عائلة، أو قبيلة، أو شعب، أو أمة فالبشر كلهم بنو آدم وحواء، والانتماء الصحيح هو للمبادئ الصحيحة أي للعقيدة والعدل والخير والعلم والعمل والأخلاق.[3]

ومن جرائم التعصب العرقي، أنه جعل الفرد المتعصب يبالغ في مدح شعبه وأمته، فأتت أحداث، وكشفت عن هذا الزيف فكفَّر بعضنا البعض، فالتعصب العرقي زور حقائق تاريخية وحديثة، فجعل إيجابياتنا أكثر من سلبياتنا، فلا نرى واقعنا كما هو، فتصيبنا الكوارث العسكرية، والسياسية والاجتماعية، أصبح التعصب العرقي وسيلة للتساهل مع المجرمين من أبناء القبيلة نفسها، فتزداد الانحرافات، كذلك جعلنا ننظر، إلاّ لسلبيات الآخرين، والآخرون ينظرون لنا النظرة نفسها، فتصبح كل الملفات سوداء على مستوى الشعب أو الأمة، وإذا كان هناك اعتراف بإيجابيات وحسنات الآخرين فهو قليل، فأصبحت شعوبنا، إما ملائكة أو شياطين، وفقدنا العدل والموضوعية، يحطم التعصب العرقي الكفاءات والمؤهلات في العمل والإبداع والعلم فلا أهمية، إلا للانتماء العرقي في التوظيف والترقية والمناصب.

---

[1] بليل عبد الكريم: **التعصب**، مقال نشر بتاريخ: 02/02/ 2012،تاريخ التصفح: 19/ 07/2017، نقلا عن الموقع الالكتروني لشبكة الألوكة الثقافي:www.alukah.net/authors/view/home/2888/page/3

[2] عبد العزيز قباني: **العصبية بنية المجتمع العربي**، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط1، 1997، ص 55

[3] عيد الدويهيس، مرجع سبق ذكره، ص ص7-10

وفي هذا الشأن يقول الأستاذ/**عبد العزيز قباني:** "فإن مجتمع العصبية مبدد للطاقة الإنسانية الخلاقة، هادر لها بنزاعاته وخلافاته الداخلية، ومشاحناته وعداواته الفئوية التي دافعها الانتقام والثأر والنكاية والحسد والغيرة، ومن سلبياته أيضا، أنه يقف حاجزاً كبيراً أمام النقد البناء، فإذا انتقدت مسئولا أو حكومة أو شعباً لخطأ أو انحراف ستتهم بأنك تعادي "العرق" الذي ينتمي إليه المسئول أو الشعب وهب أصحاب العرق ينتصرون لصاحبهم". لقد جعل التعصب العرقي شعوباً تضطهد شعوباً أخرى، مما فتح المجال لثورة المضطهدين، وتعاونهم مع أعداء الأمة، وأصبحنا نواجه اليوم عقبات قوية من الحواجز السياسية والنفسية بين الشعوب، ومن سلبيات التعصب أنه مهما حاولت أن تكون عادلاً وترضي عرقاً ما بمناصب وأموال فإنه سيتهمك بأنك لست بعادل مهما فعلت، ويجعل أصحابه يهتمون فقط بدوائرهم العرقية على مستوى الأسرة أو القبيلة أو الوطن، فيتجاهلون آلام الآخرين ومصائبهم، يقول الأستاذ/**عبد العزيز قباني:** " إن العصبية لا تتنكر للكرامة ولا للحرية ولا للحق، بشرط أن تكون الكرامة كرامتي، والحرية حريتي، والحق حقي أنا، لا كرامة ولا حرية ولا حق للآخر، لأن التفكير بالغير غير وارد في العصبية"، وقد نجح الأسد في حكاية الثيران الثلاثة في الاستفادة من هذا المبدأ العرقي وافترسهم جميعا.[1]

يمثل التعصب العرقي أو القومي، وباءا قاتلا للمؤمن وللمحيطين به، حيث يرتفع هوى القومية بالشعب إلى مواقع غير حقيقية تجر العالم إلى الظلم والتفكك، فها هو **هتلر** ماثل أمام التاريخ كنموذج مثالي للتعصب القومي، حيث أخذ بيده بلاده إلى الهاوية مع كل ما كانت تملكه ألمانيا من قوة ومميزات حضارية، وكذلك كثيرة من غارات الدول على بعضها البعض عبر التاريخ كان أحد مسبباتها الأساسية للجور والظلم هو "**العصبية القومية** " المدمرة لكل عدل على الأرض.[2]

إن الانتماء القومي لأي جماعة، يعد حقا طبيعيا لا يجوز إغفاله أو تهميشه والحد من تطلعاته المشروعة، وبقدر ما هو حق ذاتي محتوم، لا يمكن في الوقت نفسه أن يكون مصدرا للتمايز والتعالي.[3]

– **التعصب الطبقي:** وهو الذي يقوم بين الأغنياء والفقراء والرؤساء والمرؤوسين، وأصحاب العمل والعمال، ولقد أشارت بعض الدراسات في الولايات المتحدة الأمريكية، إلى وجود بعض القوالب النمطية والتحيزات بين سكان

---

[1] المرجع السابق، ص ص10–14

[2] نسيبة عبد العزيز العلي المطوع: **التعصب مدمر الحضارات**، أبحاث المؤتمر" الوسطية منهج حياة البوابة الإسلامية " نقلا عن الموقع الالكتروني:http://islam.gov.kw/Pages/ar/BooksItems.aspx?catId=9، ص 5

[3] موح عراك عليوي: **الازدواجية الشخصية بين عصبية الانتماء والولاء الوطني (دراسة اجتماعية تحليلية)**، جامعة بابل، العراق، نشر بتاريخ: 28/ 07/ 2011، نقلا عن الموقع الالكتروني:uobabylon.edu.iq، ص ص15–16

المناطق الشمالية والمناطق الجنوبية أو بين المناطق الريفية والأخرى الحضرية، وأشارت دراسات أخرى إلى وجود تعصب شديد بين الطوائف التي تمثل طبقات عديدة يتكون منها المجتمع الهندي على وجه الخصوص.[1]

أما في المجتمع الجزائري، فإن التعصب الطبقي يتجسد في مظاهر معينة، مثل المصاهرة، فالطبقة البرجوازية تفضل أن تصاهر من نفس طبقتها، وكذلك نلاحظ أحياء بأكملها يطلق عليها أحياء الطبقة البرجوازية، وقد انعكس هذا على مؤسسات التعليم، حيث يفضل أن أبناؤهم يدرسون في مدارس خاصة أو مدارس تقع في أحياء راقية معروفة كفاءة أساتذتها، إذن يتمظهر التعصب الطبقي في مظاهر وسلوكات مختلفة، رغم أننا ننتمي إلى أمة تعتنق الإسلام الذي من بين أهم مبادئه المساواة بين افراد المجتمع ولا فرق بين غني وفقير، إلاّ بالتقوى والأخلاق الحسنة.

– **التعصب القبلي أو العنصري:** هناك من الباحثين من يعتبر التعصب القبلي هو نفسه التعصب العنصري، وهناك من يفرق بينهما، وسنتحدث عن كلاهما على أنهما نوعا واحدا حسب ما قدمه الباحث/**عبد الرحمان بن حسن النصار الدوسري** في أطروحته **(التعصب الطائفي وأثاره الأمنية " دراسة تأصيلية ")**، إذن التعصب القبلي هو خصلة من خصال الجاهلية، وظاهرة تهدد وحدة المجتمعات، خاصة المجتمعات الإسلامية، لقد حارب الإسلام التعصب القبلي أو العنصري وحذر منه لما فيه من الضرر والخطر الجسيم الذي قد يلحق بالمجتمعات.[2]

إنه هوى القبيلة الأهوج الذي وصفه **الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه:** " نتن لأنه يدمر الحيادية الفكرية ويدمر القدرة على العدل في القضاء على الفكر، بل يسيطر على القرار العقلي ليتبع أهواء القبيلة ومصالحها الخاصة دون الأخذ بعين الاعتبار الإنسان الآخر وعلاقتنا البشرية معه ومسؤوليتنا اتجاه بعضنا البعض كأناس متجاورين فوق الأرض".[3]

إن المجتمع الذي يسوده التعصب القبلي، معرض لتبديد طاقات أفراده وإهدارها بنزاعاته وعداواته وخلافاته الداخلية التي دافعها الانتقام والثأر والحسد، فهو يشكل خطرا على روح التعايش والمواطنة داخل المجتمع، يؤدي التعصب القبلي إلى ظهور الشحناء والبغضاء بين أفراد المجتمع، مما يؤدي إلى تفكيك الترابط وقطع أواصر المحبة وتزايد الاحتقان والكراهية بين أبناء الوطن الواحد، ومن ثم تدمير وتمزيق المجتمع بأسره، ومن الآثار الخطيرة للتعصب القبلي، طغيان الولاء للقبيلة أو تصاعد الشعور بالانتماء القبلي على حساب الانتماء إلى الدولة، فالولاء

[1] عبد الرحمان بن حسن النصار الدوسري: **التعصب الطائفي وأثاره الأمنية (دراسة تأصيلية)**، أطروحة ماجستير، تخصص عدالة جنائية، جامعة نايف للعلوم الأمنية، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2013، ص 22

[2] المرجع السابق، ص 22

[3] نسيبة عبد العزيز العلي المطوع، مرجع سبق ذكره، ص 4

للقبيلة يصبح في معظم الأحيان أقوى من الولاء للدولة، وهو ما يؤدي إلى تعرض الدولة إلى التفكك نتيجة الصراع القبلي.[1]

يشيع التعصب العنصري عادة بين المضطربين نفسيا، لكن ليس معنى ذلك أن كل شخص مضطرب نفسيا له اتجاهات تعصبية، ولا يعني كذلك أن كل الأشخاص ذوي الاتجاهات التعصبية متطرفين نفسيا، هذا معناه أن الأشخاص المضطربين يستطيعون في بعض الأحيان تكوين اتجاهات تعصبية كنوع من التبرير لسلوكهم المنحرف، ففي كل المجتمعات يوجد أشخاص ممتلئون بمشاعر كراهية مرضية، تميل لأن تنتشر فتعم أبعاد الشخصية بأكملها وتلون السلوك بطابع معين، وتعبر دفعات الكراهية هذه عن نفسها في السلوك العدواني اتجاه الآخرين، وخلال التنشئة الاجتماعية يتعلم هؤلاء الأفراد أن يوجهوا دفعات العدوان الكامنة فيهم نحو جماعات معينة في المجتمع، قد يولد الإحباط المستمر لرغبة معينة عدوانا موجها أساسا لإزالة هذا الإحباط، و يتوضح ذلك من خلال الدراسة التي قام بها **كامبل**، الذي حاول فيها إيجاد العلاقة بين الاتجاه التعصبي و بين الإشباع الشخصي في مجال الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وقد اتضح من خلال هذه الدراسة العلاقة المنتظمة بين المتغيرين، إذ اتضح أنه كلما كان الإحباط في مجال حياة الفرد من الناحية الاقتصادية والاجتماعية كبيرا زاد اتجاهه التعصبي بشدة، توضح الدراسات الإكلينيكية، أن كثيرا من الناس لديهم رغبات قوية كالشراسة والجنس والعدوان، وبالتالي فإن الفرد يحاول قمعها خوفا من السلطة الاجتماعية، وعندما يحاول حل الصراع الناجم عن هذه الرغبات قد يلجأ إلى التبرير حيث نجد الرغبة الاجتماعية تنمو بطريقة معينة تبعدها عن مقت المجتمع، وهنا من الممكن أن يكون التعصب العنصري عونا للفرد، حيث يحقق هذه الرغبات ويتمتع في نفس الوقت باحترام المجتمع، إن الرغبات المستهجنة اجتماعيا، تجد في التعصب العنصري منفذا لها للتعبير عن نفسها.[2]

يدفع التعصب العنصري إلى أنماط سلوكية عدائية غير منطقية مثل:

- عدم السماح بالمخالطة الاجتماعية في النوادي والمطاعم والفنادق.
- عدم الامتزاج الدموي، رغم وحدة العقيدة.
- عدم المصاهرة.

---

[1] Yasser M. A. Hashkel **:Personal traits of a tribal fanatic. descriptive study on university *students*, *RAJournal of Applied Research Volume 1 Issue 2 March 2015,Citant la source électronique :*** www.rajournals.in/ *p p91-92*

[2] محمود الزيادي: **محاضرات في علم النفس الاجتماعي**، مكتب سعيد رأفت للآلة الكاتبة وخدمة طلبة الجامعات، مصر، 1971، ص ص112-113

– نشر فكاهات وإشاعات وقصص تهدف إلى نشر العيوب، ينتشر مثلا في المجتمعات الأمريكية ، أن الزنجي مثلا كسول وغبي وفاشل وينقصه النضوج، وكذلك تنتشر في الأوساط الغربية والشرقية ضد العرب والمسلمين فكاهات وإشاعات، تعبر عن التعصب نحو العرب والمسلمين والذي نلمسه في التجمعات الدولية، تتعصب ضد كل حق عربي مسلم مهما كان إنسانيا معترفا به.[1]

ومنه فإن التعصب العنصري هو اتجاه عدائي نحو الأقليات العنصرية (**inorities Racial**)، قد برز كمثال واضح في أمريكا في معاملتها للزنوج، ومعاملة الدول الاستعمارية للسود في جنوب وغرب أفريقيا، وكمثال للتعصب العنصري للصهيونية ضد العرب، حيث أن الفكر الصهيوني يقسم البشر إلى يهود (ساميين) و(أغيار: غير اليهود من البشر أو الساميين وعلاقة اليهود بالأغيار أو " غير الساميين " لا تتسم بالمودة أو التعاون، إذ أن الأغيار من وجهة نظرهم " ذئاب" وقتلة يتربصون دائما باليهود ويحاولون الفتك بهم والعرب الفلسطينيون والمصريون والسعوديون هم كلهم من الأغيار الذين يتسمون بهذه السمات).[2]

وعلى ذكر اليهود وما يمارسونه من تعصب عنصري ضد الفلسطينيين، ألف باحث إسرائيلي يدعى (**أولك نيستر**)، عالم في علم النفس وخبير في العلوم السلوكية، كتاب بعنوان " **فيروس التعصب، حل الشفرة السياسية الإسرائيلية** "، يحلل الباحث السلوك السياسي الإسرائيلي ويشرحه من خلال نهج إكلينيكي، يشخص الداء ويقترح الدواء، استخدم الباحث مصطلح فيروس التعصب، ليشير إلى أن هذا الأخير أصبح مرضا اجتماعيا فتاكا، متأثرا في ذلك بالمتخصصين في بحوث الفيروسات الذين يدرسون الأمراض للبحث عن وسائل علاجية وقائية وعن أدوية مضادة لانتشار الفيروس، ويعبر الباحث عن هذا بقوله: " يجب علينا أن نشرع في التصدي للتعصب والعنصرية وانعدام الإنسانية، وسفك الدماء والحماقات والجهالة، والشلل الفكري، وهي أمور تتشكل في أنماط تفكير سياسية وإيديولوجية، دينية وغير دينية ... ، كما يشرع إنسان مثقف عالم في عصرنا الحالي في التفكير للتصدي لمرض الإيدز أو السرطان"، وكخاتمة لهذا البحث يقدم مجموعة نصائح ويطرح تساؤلا مهما: **ماذا تفعل الكارثة النازية؟**، حيث يقول: " لست أرى خطرا أكبر على مستقبل دولة إسرائيل من حقيقة أن الكارثة قد غرست بمنهجية وبقوة في وعي كل الجمهور الإسرائيلي وحتى في وعي القسم الكبير الذي لم يمر بالكارثة النازية... إنها دعوة للكراهية

[1] عبدالحميد محمد الهاشمي: **المرشد في علم النفس الاجتماعي**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، 1983، ص 260

[2] حسني الجبالي: علم **النفس الاجتماعي بين النظرية والتطبيق**، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 2003، ص ص 471-473

المستمرة والعمياء، فهي عقدة نفسية يتم توريثها للأطفال، فالشخصية القومية الجماعية تنمي عقدة النازية بدلا من العمل على التغلب عليها، وفي هذا كل الخطر على مستقبل إسرائيل".[1]

إن الطريق الذي يؤدي إلى انتشار فيروس التعصب واللاإنسانية، حسب ما يصفه الباحث بأنه: " طريق جهنم سياسي دكتاتوري استبدادي "، فالجميع يعانون من يَقْتلون ومن يُقْتلون بسبب فيروس التعصب، ولا يعرفون كيف يواجهون المرض وكيف يقاومونه، حيث يشكل التعصب العنصري حسب ما أقرته المواثيق الدولية، تعدي على الإنسان وكرامته، لأنها تعمل على بث الفرقة في صفوف الأسرة الإنسانية وتؤجج مظاهر العداوة والتعصب داخل المجتمع الواحد وبين مختلف المجتمعات، وقد اثبت التاريخ أكثر من مرة، أن مظاهر التمييز والعنصرية والتعصب، متى أتيح لها أن تتجذر، تحطم أسس المجتمعات ذاتها وتتسبب في هلاكها لعدة أجيال متتالية، وللقضاء على هذا الفيروس، انعقدت العديد من المؤتمرات والتي توجت بالعديد من القرارات والمواثيق التي تجرم هذا الفعل الشنيع، وعلى سبيل المثال:

- المؤتمر العالمي لحقوق الإنسان بفيينا في جوان **1993** الذي يدعو بشكل سريع وشامل على جميع أشكال التعصب والتمييز العنصري.
- المؤتمرين العالميين اللذين عقدا في جنيف في عامي**1983 و1987**، لمكافحة العنصرية والتمييز العنصري.
- إعلان الأمم المتحدة لمنح الاستقلال للبلدان والشعوب المستعمرة لعام **1960**.
- **2001** السنة الدولية للتعبئة ضد العنصرية والتمييز العنصري وكراهية الأجانب وما يتصل بذلك من تعصب.
- اعتبرت الأمم المتحدة في جمعيتها العامة سنة**2001**، سنة للحوار بين الحضارات، الذي يبرز التسامح واحترام التنوع.
- كذلك إعلان الأمم المتحدة الفترة من 2001 إلى 2010 عقدا لثقافة السلام واللاعنف.[2]

[1] أولك نيستر: **فيروس التعصب حل الشفرة السياسية الإسرائيلية**، ترجمة/ عبد الوهاب محمود وهب الله، مركز الدراسات الشرقية جامعة القاهرة، مصر، العدد 23، 2003، ص ص5-7

[2] الأمم المتحدة وحقوق الإنسان: **متحدون للقضاء على العنصرية والتمييز العنصري وكراهية الأجانب وما يتصل بذلك من تعصب**، إعلان وبرنامج عمل ديربان 2009، الوثيقة الختامية، الذكرى السنوية العاشرة لإعلان وبرنامج عمل ديربان2011، ص ص3-4

رغم هذه الجهود الدولية التي تندد وتحارب هذا الفعل الشنيع، إلا أن التعصب العنصري مازال يفتك بالشعوب، وما نعيشه خاصة خلال القرن 21 من عمليات إجرامية في أغلب البلدان الأوروبية والعربية ضد الأقليات بسبب التعصب العنصري، لدليل على أن الظاهرة تزداد تفشيا وتنمو يوما بعد يوم وتأخذ أبعادا خطيرة.

إذن الطريق لازال طويلا أمام الدول والمنظمات الدولية غير الحكومية، للقضاء على هذه الآفة، وهذا باعتراف المجتمع الدولي، أنه ليس بمقدور أي بلد أن يزعم خلوه من العنصرية وما أشبه اليوم بالبارجة، يجب أن نضع أمام أعيننا تلك المجازر التي تحدث كل يوم في فلسطين، اليمن، سوريا، العراق، بورما... والقائمة طويلة.

- **التعصب الديني والمذهبي:** يعرف التعصب الديني على أنه حالة من التزمت والغلو والحماس والتمسك الضيق الأفق بعقيدة أو بفكرة دينية ما، مما يؤدي إلى الاستخفاف بآراء ومعتقدات الآخرين، ومحاربتها والصراع ضدها وضد الذين يحملونها وهي حالة مرضية على المستوى الفردي والجماعي تدفع إلى سلوكيات تتصف بالرعونة والتطرف والبعد عن العقل، والاستهانة بالآخرين ومعتقداتهم وكثيرا ما يؤدي التعصب الديني إلى شق وحدة الأمة وإنكار الحقوق الاجتماعية والسياسية للفئات الأخرى، وهدم البنى الاجتماعية.[1]

ظهرت فكرة الآخر المختلف عنا دينيا والذي نتعصب ضده في التاريخ الإسلامي مع ظهور الفتنة الكبرى وما نتج عنها من بروز الفرق الإسلامية، كل هذه الفرق تعتبر نفسها أنها تمثل أهل السنة والجماعة، كما أنها استخدمت كل الوسائل لتبرهن عن صدق تصوراتها أو إيديولوجياتها، قصد التضليل على التوجهات الأخرى، تحاول الجماعات الإسلامية استقطاب كل شرائح المجتمع خاصة المثقفين والمتفوقين والطموحين، وحتى يشعر هذا الفرد بالاستعلاء والامتياز حين يتبنى أفكار هذه الجماعة أو تلك ونجد فكرة الاستعلاء في القرآن الكريم "**وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** " سورة آل عمران، الآية**139**.[2]

ومثل هذه الفكرة عن الذات، تنبع من الإحساس بامتلاك الحقيقة المطلقة والنهائية، في هذه الحالة من الصعب أن يناقش أو يحاور ويتراجع أو يعدل أفكاره لأنها غير قابلة لذلك بسبب مصدرها الإلهي، لكن انعكاس هذه العقيدة أو الفكرة على الذات تقود إلى التعصب المباشر، وهذه الفكرة، إذا ترسخت في أذهان قاصري العقول ستكون خطيرة على الانسجام داخل المجتمع وتؤدي إلى التمييز بين الأب وابنه والأخ وأخته، وتكون بذلك مدعاة للفتنة والحقد والبغض وتؤدي إلى أكثر من التعصب، بل إلى العنف عندما تنعدم قيم إنسانية وإسلامية أخرى كالتسامح والحوار والاختلاف المشروع والملاحظ اليوم، أن التعصب أصبح سمة تطبع التوجهات الإسلامية في

[1] حسني الجبالي: مرجع سبق ذكره، ص ص471-473

[2] بن شاعة بيران: **الهوية الدينية من الاختلاف إلى التعصب**، مجلة العلوم الاجتماعية، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الأغواط، الجزائر، العدد 15، نوفمبر 2015، ص 98

نظر مخالفيهم فهي تنعت بالأصولية والظلامية وبأنها تصنع الإرهاب، حتى أصبح العالم بأسره حذرا من المد الإسلامي يعمل على مواجهته، لأنه حسب تصورهم يسعى إلى استئصال الآخر ثقافيا وفي الحالة القصوى استئصاله جسديا دفاعا عن معتقد ديني، ومن أهم مظاهر التعصب، إتباع مذهب معين ضد أتباع مذهب آخر.[1]

ومنه فإن التعصب المذهبي يمثل حالة من التمسك الضيق الأفق لفكرة دينية، مما يؤدي إلى الاستخفاف بأراء الآخرين، والذي تعود أسبابه إلى: إتباع الهوى – التقليد – الجهل–بدعوى أن لكل مجتهد نصيب.[2]

أما التعصب المذهبي، فتعود بداياته في التاريخ الإسلامي إلى الخلافات السياسية والفكرية الأصولية والفقهية، التي حدثت بين المسلمين خلال القرون الهجرية الثلاثة الأولى، مما أدى إلى ظهور فرق وطوائف وجماعات تمذهبت بأفكار وأصول كانت تحملها، ثم تعصبت لها وسعت جاهدة إلى نشرها والانتصار لها على أرض الواقع، وكان لانتشار التعصب المذهبي بين المسلمين آثار وخيمة كثيرة جدا مست مختلف جوانب الحياة فعلى المستوى الاجتماعي، أحدث تفكك في البناء الداخلي للمجتمع ودخول طوائف في نزاعات وصراعات مذهبية عنيفة، حدوث فتن دامية كثيرة، ومن آثارها أيضا كثرة الغلو والتعصب المذهبيين وانتشارهما في مختلف الأمصار الإسلامية، ويمكن إرجاع أسباب التعصب المذهبي بالدول الإسلامية إلى أسباب أساسية وأخرى ثانوية، فالأساسية يمكن إرجاعها إلى:

- عدم الالتزام الصحيح والكامل بالدين الإسلامي على مستوى المشاعر والأفكار والسلوكات.
- طبيعة العقائد والمقالات المكونة للمذاهب الفكرية الطائفية.
- ردود أفعال الأتباع المتمذهبين في تفاعلهم مع مذاهبهم المعتدلة منها والمتطرفة.

أما الأسباب الثانوية، فهي بمثابة عوامل سياسية تولدت عن الأسباب الرئيسية، وبعضها الآخر أفرزته تفاعلات الظواهر الاجتماعية فيما بينها، بالإضافة إلى الموقف السلبي لكثير من الخلفاء والملوك في التعامل مع ظاهرة التعصب المذهبي، كذلك الأعمال السلبية التي قام بها الوعاظ المتعصبون لأنهم استغلوا وظيفتهم لنشر التعصب المذهبي والتشجيع على الفتن والمصادمات بين مختلف الطوائف الإسلامية.[3]

---

[1] المرجع السابق، ص 100

[2] مجلي بن عبد الرحمان بن عبد العزيز المجلي: **التدابير الواقية من التعصب المذهبي وأثرها على أمن المجتمع**، أطروحة ماجستير، تخصص التشريع الجنائي الإسلامي، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، المملكة العربية السعودية، 2008، ص 12

[3] خالد كبير علال: **التعصب المذهبي في التاريخ الإسلامي – خلال العصر الإسلامي–، مظاهره آثاره، أسبابه، علاجه**، كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009،ص، ص 12–165

ومن أبرز مظاهر التعصب المذهبي في التاريخ الإسلامي، والتي ظهرت في الدور التشريعي الخامس، أي بعد سقوط بغداد في أيدي التتار وما تلاه إلى يومنا هذا، والذي يسميه بعض العلماء بعصر التقليد والجمود والركود، حيث ظهر تعصب طلاب العلم لآثار أساتذتهم من الأئمة المجتهدين الذين أناروا الدنيا بعلمهم وكشفوا ظلمات المسائل بنور عقولهم الساطع، وتتمثل مظاهر التعصب المذهبي خلال الفترة المذكورة في:

- **الانتصار للمذهب:** ولو كان مخالفا لدليل من الكتاب والسنة، حيث كان طلبة العلم المتعصبين للمذاهب الفقهية مقصودا لذاته، ولم يكن الهدف منه كشف الحق وإجلاء الحقيقة، كما فعل الأئمة المجتهدون.
- **التباغض والتفرق:** وصل الخلاف بين الحنفية والشافعية إلى أشده، حيث كان لا يصلي أحدهم خلف من يخالفه في المذهب، وكان الحنفي لا يتزوج بشافعية والعكس، وقد طالب بعض المتعصبين في نهاية القرن الثالث عشر الهجري إلى تقسيم المساجد بين الحنفية والشافعية.
- **ظهور الفتاوى المنكرة:** حيث كان كل فريق من المتعصبين لمذهبهم يصدر فتاوى منكرة ضد المذاهب الأخرى، ما أنزل الله بها من سلطان، وليس لها أصل في الدين.
- **المناظرات المذهبية:** كثرت المناظرات المذهبية والجدل المذهبي كمظهر من مظاهر التعصب المذهبي، التي لم يكن هدفها الوصول إلى الحق وكشف الحقيقة، إنما هدفها هدم ما عند الغير من حجج وبراهين وكانت الأهواء العصبية وإظهار الغلبة وراء ذلك الجدل، وانعكس ذلك على الكتب التي ألفت، فكثرت الخلافات بين المذاهب.[1]

ومنه فإن للتعصب المذهبي والديني آثارا مدمرة خاصة على الدعوة الإسلامية، والتي تتمثل في:

- يحدث التعصب المذهبي والديني، التفرقة في الدين والخصومة والبغضاء.
- يحدث فوضى في الفتوى والمرجعيات الفقهية.
- الاستخفاف بمكانة العلماء ودورهم في المجتمع.
- قتل روح الإبداع والبحث العلمي في الأمة.
- تشويه صورة الإسلام بالتعصب والتطرف.
- استنزاف ثروات الأمة وطاقاتها. [2]

ومن هنا، تبدو معضلة الآخر في الوعي الديني أكثر تعقيدا، لأنه ليس وعيا بوجود آخر يشاركني الوجود فقط، بل الوعي بآخر يشاركني الحقيقة، هذا يجعل من الجماعة الدينية تتخذ موقفا إقصائنا، وبهذا يكون الإيمان فعل إقصاء

[1] حسن الجوجو: **التعصب المذهبي والتطرف الديني وأثرهم على الدعوة الإسلامية**، مؤتمر الدعوة الإسلامية ومتغيرات العصر، كلية أصول الدين الجامعة الإسلامية بغزة، فلسطين، المنعقد بتاريخ: 16-17 أفريل 2005،ص ص1045-1046

[2] المرجع السابق، ص ص 1052-1054

وإلغاء لتجربة العالم الروحية التي لم ولن تعرف التوحد، فالخطاب الديني لم يكن ترجمانا نقيا وآمنا لروح الإيمان، بقدر ما كان خطاب تعبئة في ساحة الخوف على البقاء، فالمشكلة هنا تكمن في الخطاب الديني وليست في الدين.[1]

لذلك لابد أن تكون لغة الحوار والتفاهم بين المسلمين، هي اللغة المعتمدة، بدلا من لغة القتل والاقتتال، وإهلاك الحرث والنسل، فديننا يجمع ولا يفرق، يبني ولا يهدم، يؤلف ولا ينفر، ولهذا فالمسؤولية تقع على عاتق العلماء للتصدي للتعصب الديني والمذهبي، بحكم وعيهم بمضامين الوحي الإلهي وفهمهم لأحكام الشريعة ومقاصدها واطلاعهم على نصوص الكتاب والسنة، وقدرتهم على حل معضلات الحياة العصرية.[2]

– **التعصب الجيلي:** يشير **ريلي وجونسون وفونر** سنة **1972**، إلى أن هذه الاتجاهات هي نوع من أنواع التفرقة العنصرية، فالتعصب ضد العمر الزمني كما هو موجود ضد مرحلة الشيخوخة، موجود أيضا لدى المسنين ومن هم في وسط العمر، ضد الشباب والصغار وهو ما نطلق عليه جيلي أو التمركز الجيلي من جيل اتجاه جيل آخر، ظاهرة موجودة يتم التعبير عنها من أفراد جماعة عمرية، اتجاه جماعة عمرية أخرى، فكثيرا ما يظهر المسنون أنفسهم اتجاهات عدوانية ضد أفراد المراحل العمرية الأخرى، والتي غالبا ما تفسر على أنها تعبير عن الغضب لأنهم لم يظلوا لفترة أطول شبابا.[3]

- **التعصب الجنسي:** هو السائد بين الذكور والإناث، ويعد التعصب لجنس دون آخر من أشكال التعصب المهمة في الوقت الحاضر، وقد وجد الباحثون أن ثمة ما يشبه الإجماع على الخصال التي تبدو مميزة من القوالب النمطية التي تنطوي على مختلف أشكال التحيز ضد المرأة ، فالرجال يتسمون بالكفاءة والاستغلال بينما تتسم النساء بالتعاطف والتعبيرية، حيث لازال ينظر للمرأة نظرة أقل قيمة من نظرتهم للرجال ويضعونها في مرتبة أقل على الرغم من تقلدها العديد من المناصب المهمة سواء في الوزارات أو الجامعات، ولقد ظهرت حاليا جمعيات لتحرير المرأة، غايتها تخليص المرأة من ظلم المجتمع التكنولوجي وعلى الوجه الآخر بدأت تتكاثر جمعيات تحرير الرجال في أمريكا وأوروبا وغايتها تخليص الرجل من أنياب المرأة وطغيانها.[4]

- **التعصب السياسي:** مثل موقف اليهود من العرب والمسلمين وآخرها الحاخامات الإسرائيليين " **موقاديا يوسف** "، يبارك مهاجمة خان يونس بالجرارات والدبابات والصواريخ والمروحيات، وتشريد أكثر من **500** فلسطيني وتجريف

---

[1] بن شاعة بيران، مرجع سبق ذكره، ص 102

[2] حسن الجوجو، مرجع سبق ذكره، ص 1054

[3] فرج وافي محمد الخنفري: **الاتجاهات التعصبية وعلاقتها بالسلوك العدواني لدى العاملين بالقطاع الصحي بالرياض**، أطروحة ماجستير، تخصص رعاية وصحة نفسية، كلية العلوم الاجتماعية والإدارية، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2014، ص 18

[4] حسني الجبالي: مرجع سبق ذكره، ص 471

أراضي فلسطين في ليلة الأربعاء **2001/04/11**، وكذلك موقف الشيوعية من الرأسمالية والعكس وموقفهم جميعا من المسلمين ويدور مضمون التعصب فيه حول تبني فكر سياسي معين والسعي إلى الانضمام إلى الحزب السياسي الذي يتبنى هذا الفكر السياسي وصعوبة تقبل الأفكار الأخرى المغايرة له[1]

بمعنى تمسك الفرد بالرأي السياسي لحزبه دون مراجعة لذلك الرأي، وغالبا ما ينتشر التعصب السياسي بشكل كبير في الدول الغير ديمقراطية أو الدول غير المتحضرة المتخلفة ثقافيا، كالدول العربية والإفريقية، التي تحكمها أنظمة دكتاتورية، على عكس ما توصلت إليه الدول المتقدمة والتي قطعت أشواطا في الممارسة السياسية الحرة، حيث الانتخابات الحرة النزيهة، فاختيار ممثلي الشعب يكون منطقي وعقلاني بعيدا عن الانحياز لشخص أو لحزب بعينه، بل الاختيار وفق ما يقدمه المترشح من برنامج للمجتمع، لذلك نجد أن التنمية السياسية التي توصلت إليها البلدان المتقدمة، قد انعكست على تنمية المجتمع في مختلف المجالات.

إذن للتنمية السياسية مؤشرات يمكن تلخيصها في العناصر التالية:

- تحقيق المساواة بين جميع مواطني المجتمع بغض النظر عن اختلاف الأصول أو الانتماءات أو الثقافة الفرعية.
- مشاركة الجماهير في صنع القرارات من خلال النظم والمؤسسات الثانوية
- عدم تركيز السلطة في هيئة واحدة، وتحقيق الفصل بين السلطات.
- قيام السلطة على أسس عقلانية رشيدة، بحيث يكون تقلد المواقع مكفولا للجميع، استنادا إلى معايير محددة.
- نمو قدرات الجماهير على إدراك مشكلاتها الحقيقية والتعامل معها تعاملا رشيدا.
- تحقيق الوحدة والتكامل السياسي بين أجزاء المجتمع من خلال كفاءة نظم التنشئة السياسية، والاتفاق على الحد الأدنى من القيم السياسية، مع وجود ولاء سياسي للسلطة المركزية.[2]

أما التنمية السياسية في الجزائر، فقد عرفت عقبات وعراقيل منذ بدايتها، أي منذ بداية الممارسة السياسية أثناء تواجد الجزائر تحت وطأة الاستعمار الفرنسي، والمتتبع لتاريخ الحركة السياسية من بدايتها لحد الآن، يتضح له أنها مازالت في مهدها، وأن ممارسيها مازالوا أطفالا، لا يتقنون الممارسة السياسية المتمرسة، والسبب يرجع إلى التعصب السياسي الذي تعيشه الطبقة السياسية والتي تنقل هذا التعصب للمواطنين، لحد الآن لازال الشعب يؤمن بأن مرحلة الحزب الواحد أحسن من التعددية ويؤمن أن هذا الحزب، لازال قادرا على حل مشاكل التي تتخبط فيها الدولة الجزائرية، من فقر وبطالة، أزمات مختلفة لا يمكن عدها لكثرتها، فالسياسة في الجزائر فرقتنا ولم تجمعنا حتى

---

[1] المرجع السابق، ص ص472-473

[2] حسام نافذ أبو دلال: **النقابات ودورها في التنمية السياسية في فلسطين** (دراسة ميدانية على القوى العاملة، نموذج الخدمات الصحية) أطروحة ماجستير، تخصص دراسات الشرق الأوسط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأزهر غزة، 2010، فلسطين، ص 55

داخل الأسرة الواحدة، حتى أنه أصبح من يتبع التيار الديني يصف الآخر من التيار العلماني بالكافر، والأمثلة عديدة ، لقد عشنا خلال فترة التسعينات خطر حقيقي وهو التعصب السياسي الذي كاد أن يؤدي البلاد إلى حرب أهلية.

- **التعصب الرياضي:**

يعرف الأستاذ/**علاوي**، التعصب في المجال الرياضي بأنه:" مرض الكراهية العمياء للمنافس وفي نفس الوقت هو مرض الحب الأعمى لفريق المتعصب، فهو في حالة يتغلب فيها الانفعال على العقل، فيعمي البصيرة حتى أن الحقائق الدامغة تعجز عن زلزلة ما يتمسك به المتعصب فردا أو جماعة.[1]

فالتعصب في المجال الرياضي، هو أساس العنف بين الجماهير والذي ينتج عنه الكثير من الإصابات والحوادث، وهذا ما لاحظناه في التنافس بين المنتخب الجزائري والمصري في التصفيات المؤهلة إلى كأس العالم سنة **2010**، وما نتج عنه من عداوة بين أفراد المجتمعين، ومن هنا كان من المفروض أن تكون الرياضة فرصة للتنفيس الانفعالي بصورة مقبولة وفرصة للتعارف بين الأفراد، لكن الآن أصبح الميدان حلبة مصارعة يتبارى فيها فريقين، من أجل الفوز وينتج عنها العديد من الكوارث والتي تصل إلى حد الوفاة بين المشجعين.

ويرجع بعض الباحثين التعصب الرياضي إلى أسباب مباشرة، والتي يرجعونها إلى سلوكات المشجعين بالدرجة الأولى التي تعمل على إثارة التعصب، وكذلك إلى تصريحات الإداريين واللاّعبين والتصرف في حالة الهزيمة أو في حالة الانتصار، كذلك قد يكون بسبب القرارات الخاطئة التي يصدرها الحكام تعمل بدورها على إثارة التعصب لدى المشجعين، بالإضافة إلى وسائل الإعلام، حيث ساهمت بعض وسائل الإعلام في زيادة مشكلة التعصب الرياضي، وهذا بكتابتها كلاما جارحا عن بعض الأندية وهذا ما يولد لدى البعض كره الأندية الأخرى، أما الأسباب غير المباشرة، فيرجعونها إلى قلة الوعي الرياضي وعدم الإلمام الكافي بالمعارف الحقيقية للتنافس الرياضي الشريف، حب الذات والتي لا تقبل استقبال النقد أو الاستماع لوجهات الآخرين، بالإضافة إلى أمر مهم وهو الحب الجنوني للرياضة، ومساهمة مؤسسات التنشئة الاجتماعية بشكل كبير في تغذية التعصب الرياضي.[2]

ومنه أصبحت ظاهرة التعصب الرياضي، من الظواهر الخطرة على أمن المجتمعات، لما تحدثه من نزاعات ومشكلات على مستوى الأفراد والمجتمعات، وفي سياق تحديد صفات الشخص المتعصب رياضيا، يوضح أحد

---

[1] احميدة نصيرة: **ظاهرة التعصب الرياضي لدى الجماهير الجزائرية (أسبابها–أعراضها – مقترحات)**، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر العدد11، جوان 2013، ص ص144

[2] المرجع السابق، ص 146

الباحثين أن الشخص المتعصب رياضيا، يملك ثقافة هشة ولذلك لا يمكن التحاور معه، لأن فاقد الشيء لا يعطيه، ولا يملك روحا رياضية تمكنه من تقبل النتائج مهما كانت حصيلتها.[1]

– **التعصب بالحب:** يتمثل التعصب في الحب خاصة، في حب الوطن والغيرة عليه، والعمل لصالحه قبل المصلحة الشخصية، والشعور بالانتماء له والتضحية من أجله والسعي إلى العيش والعمل في مودة وسعادة وحب مع سائر المواطنين مهما اختلفت معهم، والالتزام بروح الإيحاء والمساواة، عدم التمييز في التعامل بين أبناء الوطن الواحد، حيث يسعى المتعصب إلى منع أعضاء الجماعات المتعصب ضدها من الحصول على التسهيلات والامتيازات التي يتمتع بها الآخرون، سواء في العمل أو التعليم أو السكن، أي منع كل أعضاء الجماعات موضوع الكراهية، من الحصول على بعض الوظائف أو الإقامة في أماكن[2]

– **التعصب الفكري أو العلمي:** المقصود بهذا التعصب، هو ظهور بعض التيارات الفكرية في مختلف الاختصاصات العلمية التي تتعارض مع روح العلم ومنهجياته، وقد يرجع ظهور هذه الحركات الفكرية إلى عدم نضوج كثير من العلوم نظريا وفكريا مما أفقد المختصين فيها التوازن المطلوب في طرح وجهات نظرهم فكانت النتيجة انجرافهم مع التعصب والتطرف غير الموضوعي، إن مجال التعصب والانحياز الفكري والانفعالي واسع نسبيا في العلوم الإنسانية والاجتماعية مقارنة مع العلوم الطبيعية والصرفة، ويعود ذلك بشكل واضح إلى دور القيم والمعايير والأعراف والولاءات المختلفة وهو دور يشتد في العلوم الإنسانية على وجه الدقة، لكن هذا لا يعني انعدام التعصب في العلوم الطبيعية وربما يمكن الإشارة إلى تشويهات علمية كثيرة في ألمانيا النازية التي حدثت لإرضاء التوجه الرسمي للدولة، ومن أخطر الافتراضات التي طرحت الترتيب العمودي للبشر في صيغة مراتب رسمية فبموجبها وضعت الأجناس غير الأوربية في أدنى المراتب.

والتعصب الفكري كما يعتقد **(فارلي)**، هو ذلك الشكل من التعصب الذي يشير إلى ما يعتقد الناس بأنه صحيح، وقد يتجلى أحيانا بقوة في المجال السياسي كتبني فكر سياسي واحد والاستماتة في الدفاع عنه بشتى الطرق الممكنة والإيمان بأنه صحيح وهادف، والسعي إلى الانضمام إلى أحد الأحزاب السياسية التي تنادي بالفكر السياسي الذي يعتنقه الشخص والإحساس بحماس في إثناء الحديث عن هذه الأفكار السياسية، كما يبرز هذا التعصب في صعوبة تقبل أفكار الآخرين التي تتباين مع ما يؤمن به الشخص من فكر سياسي، والغيض الشديد

[1] ناظم كاضم جواد: **إيجاد مستويات معيارية للتعصب الرياضي لمشجعي كرة القدم**، مجلة الفتح، جامعة ديالي، العراق، العدد 59، سبتمبر، 2014، ص5

[2] جميل حامد عطية، مرجع سبق ذكره، ص 109

من الانتقادات التي تثار ضد فكره، وعدم الارتياح للأشخاص الذين تتباين اعتقاداتهم وأراءهم السياسية عما يوجد لدى الشخص.[1]

ويعرف على أنه: " البخل وعدم السماح للآخرين بزيارة عقولنا، مما قد يؤدي إلى عدم احترام الرأي الآخر، وهي الانحراف وإلغاء العقل، سواء كان ذلك بإرادتنا أو بغير إرادتنا، ويعني أيضا الرفض لأي اتجاه فكري آخر، حتى لو كان يحمل الحقيقة بين طياته.[2]

التعصب الفكري، هو تغلب فكرة ما على عقل إنسان، يجعلها تسيطر على تفكيره، فتدرأ مناقضاتها وتمنع مضادَّاتها، والبعض يصل به الحال إلى أن تسيطر عليه وتجتاز الإدراك إلى الأعصاب، فيثور كلما عرض غيرها، ويغلق عليه كلما روجع فيها، فلا يقبل حتى النظر فيما دونها، لا يقبل النظر في دليلها ولا يقبل نظرا في دليل لغيرها، ولا يتمعن في رأي مخالف، وتأخذه روح عدائية إلى درجة الانفجار على خصمه ومنشأ هذا التعصب ودافعه تهيج في الأعصاب.[3]

يشكل التعصب الفكري الذي نحن بصدد التركيز عليه في دراستنا، إحدى المعوقات الرئيسية في ترقية المعرفة العلمية، فالتعصب الفكري يعني البخل الفكري وعدم السماح لزيارة الآخرين لعقولنا، مما قد يؤدي عند الكثيرين إلى فرض الإرهاب الاتصالي في الحوار، ضف إلى ذلك عدم احترام الرأي الآخر، ويتميز المتعصب فكريا، بأنه فرد ضيق الأفق وهوى ذهني يجعل منه لا يرى إلا فكره يلغي أي فكر آخر على الوجود.[4]

و من جهة فإن المتعصب لا يفكر فيما يتعصب له، بل يقبله على ما هو عليه فحسب، ومن هنا تظهر خطورة التعصب من حيث هو عقبة في وجه التفكير العلمي، فالتعصب يلغي التفكير الحر والقدرة على التساؤل والنقد، ويشجع قيم الخضوع والطاعة والاندماج، وأعظم الأخطار التي يجلبها التعصب على العلم هو أنه يجعل الحقيقة ذاتية، ومتعددة ومتناقضة، وهو ما يتعارض كلية مع الحقيقة العلمية، فكل متعصب يؤمن بحقيقته هو، ويؤكد بلا مناقشة خطأ الآخرين، إذن هو عقبة مركبة تعترض طريق التفكير العلمي، و من هنا كانت المعركة التي ينبغي أن يشنها عليه هذا التفكير حاسمة، إذ أن العقل البشري لا يستطيع أن يجد حلا وسطا بين الاثنين، فإما

---

[1] المرجع السابق، ص109

[2] عمر عبد الله شلح: **أساليب التربية الحزبية وعلاقتها بالاتجاهات التعصبية لدى طلاب الجامعات في محافظات غزة**، اطروحة ماجستير، تخصص علم النفس، كلية التربية في جامعة الأزهر بغزة، فلسطين، 2010، ص 39

[3] بليل عبد الكريم، مرجع سبق ذكره

[4] نسيبة عبد العزيز العلي المطوع، مرجع سبق ذكره ص 5

العلم و إما التعصب ولا بد من القضاء على إحداهما لكي يبقى الآخر.[1]

ومنه فإن التعصب الفكري، معناه رفض الفرد لفكر الآخر ورأيه طالما لا يتفق معه، والتشدد والنقد على أسس واهية.[2]

محور دراستنا هو التعصب الفكري، الذي نعتبره أساس لكل أشكال التعصب الأخرى، خاصة تعصب النخب وهم الباحثون في مجال العلم والمعرفة، الأمر الذي يدعو إلى طرح العديد من أسئلة الاستفهام؟، كما سبق وأن تعرضنا لمفهوم التعصب بشكل عام، بالاعتماد على ما طرحة علماء النفس الاجتماعي والفلسفة وعلم النفس وعلماء الاجتماع، فقد أجمع أغلبهم بأن التعصب مكتسب إذا اتفقنا حول هذه الفكرة، **ألا يستطيع الباحث في مجال العلوم الاجتماعية من التخلي عن التعصب والتحرر من قيوده؟** لأسباب عدة أهمها: مستواه الفكري الذي يؤهله لأن يكون متقبلا للحوار، يعلم أكثر من غيره بأهمية الحوار وأدبياته ودوره في تفعيل الحركة العلمية... الخ، ففي العالم العربي يلاحظ أن التعصب يمثل السمة الغالبة على النشاطات الفكرية المختلفة وأمثلتنا على ذلك الملتقيات، الندوات، المؤتمرات التي يتم تنظيمها على مستوى الجامعات، بهدف إعطاء حركية ودفع جديد للبحث العلمي.

تميزت النخب العربية بالتعصب الفكري الذي أخذ مظاهر مختلفة، تعبر عن أزمة حقيقية على مستوى الفكر العربي، ومن بين هذه المظاهر والتي نلخصها في بعض القضايا الأساسية التي أخذت حيزا كبيرا من اهتمام الكثير من المفكرين العرب، التي اعتبروها من أهم معوقات تطور الفكر العربي، وقد حددها الباحثون في معوقات خاصة بالباحث، وأخرى خاصة ببيئة البحث أو المناخ الفكري العام الذي ينشط فيه الباحث العربي:

- **انحصار الفكر العربي بين ثنائيتين، إما التراث أو إما الحداثة:** يعتبر موضوع التراث والحداثة من المواضيع الشائكة التي استدعت الكثير من البحث والدراسة من طرف الباحثين والمفكرين، وتعرضنا لهذا الموضوع نظرا لما يشكله من أزمة على مستوى فكر وعقل المفكر والباحث العربي، فهو يعتبر إحدى مشكلات الفكر العربي الراهنة، نظرا لارتباط المفكر العربي ارتباطا كبيرا بتراثه، والذي يؤثر على توجهاته وقراراته، خاصة في مجال الدراسات العلمية الإنسانية والاجتماعية.[3]

طرحت العديد من الرؤى والمواقف حول هذا العامل، منهم الرافض للعودة للتراث كمصدر للمعرفة والتشكيك في مصداقيته وأهميته، ومنهم من يرى أنه لا غنى عنه، فهو يمثل مخزون فكري وثقافي ويمثل تاريخ

---

[1] فؤاد زكريا: **التفكير العلمي**، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية مصر، 2004، ص ص 80-82

[2] إيمان سعد فايز الشتري: **تأثير التفكير الناقد والتعصب على العنف لدى عينة من الشباب مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي (دراسة شبه تجريبية)**، أطروحة ماجستير، تخصص علم النفس، جامعة عين شمس، مصر، 2015، ص24

[3] حامد خليل: **أزمة العقل العربي**، دار كنعان للدراسات والنشر، دمشق، سوريا، ط1، 1992، ص 39

وحضارة بأكملها، ومنهم من يطرح فرضية أو رؤية توفيقية، بغربلة التراث والأخذ بما يناسب الفترة الراهنة، فترة التغيرات العالمية التي جاءت مع موجة ما يسمى بالعولمة.

وحسب رأينا أن الموقف الثالث، يبدو الأقرب إلى الواقعية، يرى أصحاب هذا التوجه أنه لابد من تحديد مشكلة الفكر العربي في علاقته بتراثه، استجابة للواقع، لأن هذا الفكر تحرك في حقل إيديولوجي يتحدد بالبنية الاجتماعية القائمة، فلابد إذن قبل كل شيء، تحديد الشروط التاريخية الاجتماعية التي تكوَّن فيها ذلك الفكر، وأدت إلى أن يكون الماضي حاضرا فيه على نحو ليس في صالح ما نهدف إليه من تقدم، إذ بغير هذه الطريقة يصعب تحديد المشكلة، وبالتالي فإن الحديث عن حل لها، يصبح لغوا فارغا وضربا من الوهم، وتصبح قراءة التراث مجرد نقل لهذا القول أو ذاك، أو تعقيب على تفسير أو تعقيب على تعقيب.[1]

من أبرز المفكرين العرب خلال القرن العشرين الذين بحثوا في هذا الموضوع، **محمد عابد الجابري، محمد آركون، حسن حنفي، جورج طرابيشي، برهان غليون.**

- **شيوع الفكر الإيديولوجي بين أوساط النخب العربية:** لقد أجريت العديد من الدراسات السوسيولوجية حول الإيديولوجيات، من طرف العديد من الكتاب العرب والغرب، أمثال: **عبد الله العروي، ماركس، كارل مانهايم،** واحتلت قضية الإيديولوجيا أهمية كبيرة في دراسات العلوم السياسية والسيكولوجية، يعرفها البعض بأنها: " جانب من النسق الفكري الذي يستند إلى قيم ومعتقدات وتفضيلات منحازة إلى مصالح فئوية معينة تمجدها، وتقدمها هي وظروفها التاريخية، مستندة في ذلك على مجموعة من المعطيات القيمية والمعرفية التي تمثل قاعدة لها، قد تأخذ هذه المعطيات المعرفية أشكال مختلفة تتمثل في: شكل عقيدة دينية، خرافات اجتماعية أو بعض الفرضيات والنظريات العلمية الزائفة مثل العنصرية والصهيونية، كما قد تكون معتمدة على تحليل علمي مثل بعض النظريات الشائعة اليوم".[2]

لم يسلم علم الاجتماع، من تأثير الإيديولوجيا التي طبعت مسار تطوره، ودون الخوض في عمق هذه القضية، سنكتفي بالتطرق لتأثير الفكر الإيديولوجي على البحث السوسيولوجي بالجامعة الجزائرية، وحسب البحث الذي قدمته الأستاذة/ يعيش **حرم خزار وسيلة،** التي أكدت عبر نتائج الدراسة، أن الممارسة السوسيولوجية في الجزائر قد خضعت لتيارات إيديولوجية بارزة: وهي: التيار الراديكالي، المحافظ والإسلامي،

[1] المرجع السابق، ص 39

[2] العياشي عنصر: **علم الظواهر الاجتماعية**، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، سوريا، ط1، 1990، ص ص10-25

بحيث جاءت هيمنة هذه التيارات مرتبطة إلى حد كبير بطبيعة الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي مرت بها الجزائر.[1]

يطرح الباحث **Omar Lardjane**، سؤالا حول التشكيلة الإيديولوجية السائدة لدى النخب العربية، وخاصة عند الباحثين في العلوم الاجتماعية والإنسانية: **كيف نميز أو نصنف إذن المحيط الثقافي ؟، أين توجد العلوم الاجتماعية والإنسانية التي تحاول إيجاد طريق لوضعها؟** ، وهذا السؤال يقول الباحث، يؤدي بنا إلى سؤال آخر: **إذا كانت هذه التشكيلة مشخصة، فما هي تأثيراتها الإيجابية أو السلبية على العلوم الاجتماعية والإنسانية وتطورها؟**، ويضيف قائلا، فجوابنا المباشر، هو أن مصر والجزائر، وكذلك معظم البلدان العربية، عاشت طوال القرن العشرين، خاصة منذ أواخر الحرب العالمية الثانية تحت احتكار وسيطرة عقدة إيديولوجية مكونة من وحدة تنافسية بين السلفية الدينية والتكنووقراطية الشبه العلمية، إن هذا الحقل الفكري المنبثق من هذه الإيديولوجية، كانت مركبا من طرف هذه الوحدة التنافسية التي أعطت فضاءات مزدوجة الشكل: تقنية/ ثقاف، إدارة الأشياء/ تسيير الأفراد، العلم/ الدين ، العصرنة / التقاليد، الحداثة/ الأصالة، اقتصاد/ تربية، فرنكفونية/ عربية، إلى غير ذلك في هذا الميدان المعرفي أو الإدراكي، كان على العلوم الاجتماعية أن تبرهن عن خبراتها التقنية الإيجابية لخدمة المجتمع.[2]

إذن من أهم مظاهر التعصب الفكري الذي يميز النخب العربية، هو تبني إيديولوجيا معينة والتمسك بها والدفاع عنها بكل الطرق المشروعة وغير المشروعة، مما انعكس ذلك سلبا على تطور المعرفة العلمية السوسيولوجية، لأن أصحاب الفكر الإيديولوجي يتميزون بعدم القدرة على الحوار الفكري، فهم ينحازون لفكر معين، أو اتجاه، ليس لأنه الأفضل، بل لأنه يخدم مصالح وأهداف فئات بعينها.

- **غياب الروح النقدية لدى النخب العربية:** يعتبر النقد أداة تحكيم عقلانية، هدفها فهم العالم وتطوير عقل نقدي يرسخ ثقافة التساؤل والإبداع، لأن تطور العلوم باختلاف أنواعها مرتبط أساسا بقوة النقد البناء الذي يرتبط بعاملين أساسيين وهما: الحرية، والعقلانية، ويعتبر الشك أولى خطوات العمل النقدي، شرط أن يكون النقد داخليا وعقلانيا ويهتم بالموضوع لا بالشكل، إذن النقد هو الجدل الدائم والحتمي بين ما هو موجود وبين ما يصبو الباحث

[1] يعيش حرم خزار وسيلة، **تدريس علم الاجتماع بين العلوم والإيديولوجيا**، أطروحة ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2001، ص 423

[2] de**Omar Lardjane : Réflexions sur un état des lieux des sciences humaines et sociales humaines et sociales en Algérie aujourd'hui, cadre pour une recherche,** L'algérie 50 ans après etat des savoir en sciences sociales et humanes 1954- 2004, Actes symposium, Oran, 20- 21- 22 septembre 2004, Ed.crasc, 2008, **pp 112- 114**

الناقد الوصول إليه، وقد ظهر النقد كنظرية للبحث في الميدان السوسيولوجي، كرد فعل لأزمة علم الاجتماع، حيث تمتد النظرية النقدية في أصولها الفكرية إلى عصر التنوير والفلسفة الألمانية المثالية وإلى **إيمانويل كانط وهيغل**، الذين يعتبرون المنطلقات الفكرية للمدرسة النقدية، التي تمثلها بشكل أساسي مدرسة فرانكفورت.[1]

واستعراضا لإحدى النماذج العربية فيما يخص إشكالية النقد في الفكر العربي، يضعنا/**سعد البازغي** أمام أحد أكبر المفكرين العرب، بتقديمه نقدا للمفكر **محمد عابد الجابري**، الذي يعد قامة علمية ذاع سيطها عربيا وعالميا، لقد أثار الباحث قضية سماها: **أهي عقدة الفلسفة أم عقدة النقد؟**، يبين من خلال هذه الفكرة، أن محمد **عابد الجابري** شخصية لا تقبل النقد، ويستدل على الأمر بموقف حدث له عندما التقى **الجابري**، فيقول الكاتب: " جاء اللقاء بناء على دعوة كريمة من صحيفة اقتصادية، رئيس تحريرها زميل/ **عبد الوهاب الفايز**، إلى استضافة بعض كتاب المجلة وإتاحة الفرصة لبعض المعنيين بالشأن الثقافي في المملكة بأن يلتقوا بأسماء مهمة وفاعلة في حياتنا الفكرية.

طرحت على **الجابري** أسئلة كثيرة، منها سؤالين مهمين، الأول رأيه في المساهمة العربية المعاصرة في مجال الفلسفة، والثاني حول علاقته بالباحث السوري **جورج طرابيشي**، الذي عرف بتوجيهه نقدا صارما لمشروع **الجابري** في نقد العقل العربي، يستطرد الباحث في الحديث فيقول: " فما استوقفني في إجابة **الجابري** على كلا السؤالين أنهما جاءا على غير المتوقع، الأول يتناول مسألة خلافية على المستوى الفكري وإجابة **الجابري** كانت قابلة للأخذ والرد.[2]

" أما إجابته على السؤال الثاني، والذي يعتبر أكثر حساسية: فقد بدت إجابة غريبة لم أكن أتوقعها منه، كانت إجابته التقليل من شأن الفلسفة في العصر الحديث، حيث أشار إلى حلول النقد أو الفكر النقدي بداية من الفكر الفلسفي التقليدي، لكن على عكس ما ظهر النقد بمعنى آخر ، حين سئل عن المفكر والناقد السوري **جرج طرابيشي** الذي سبق وأن وجه **للجابري** نقدا صارما في ما أسماه **(نقد نقد العقل العربي)**، والمقصود به نقد مشروع **الجابري** "، الأمر المحير كما يقول الباحث، أن سرعان ما قام **الجابري** بتحوير السؤال نحو شخص **الطرابيشي** وذكَّره لمسائل أبعد ما تكون عن موضوع السؤال، بل هي فوق ذلك مسائل شخصية تعبر عن شحنة نفسية سلبية اتجاه الباحث السوري.[3]

حيث جاء الحديث عن **طرابيشي** بعد إشارة **الجابري** في سياق مختلف إلى استيائه ممن يرتكبون أخطاء علمية في الحوار وأنه لا يتردد في ذلك في تقزيمهم، وهذا ما حدث عندما سئل عن **طرابيشي**، قائلا: "... انطلق في سعي واضح لتقزيم الرجل بشكل أدهشني وأحزنني وأنا أرى هذه القامة الفكرية الكبيرة تهبط إلى مسائل شخصية

---

[1] شادية علي قناوى: **سوسيولوجيا المشكلات الاجتماعية وأزمة علم الاجتماع**، دار قباء للطباعة للنشر، مصر، 2000، ص100

[2] سعد البازعي: **قلق المعرفة – إشكالات فكرية وثقافية** –، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2010، ص83

[3] المرجع السابق، ص 84

يتضح موقفه منها بالكراهية، وتبريره في ذلك، أن **طرابيشي** قصده ليكون وسيطه **لمحمد آركون** لكي يقبله طالبا للدكتوراه، وأن **الجابري** فعل ذلك، فاتضح أن **طرابيشي** يسعى للدكتوراه بكتبه المنشورة فقط، أي ليس من خلال أطروحة جامعية ".

يرى الباحث بغض النظر عن صدق هذه القصة من عدمها، فإن **الجابري** أراد إحلالها محل تقييمه الشخصي لنقد **طرابيشي** لمشروعه الفكري في نقد العقل العربي، بخصوص هذا النقد يتساءل الباحث: **هل كان في ذلك النقد ما يدل على إدراك الجابري، بأن الطرابيشي لمس مواقع حساسة لدى الأستاذ المغربي وبأدلة يصعب نقضها؟**

يقول الباحث: " لا أستطيع أن أقدم إجابة قطعية أو مفصلة على السؤال لأنه يقتضي الدخول في تفاصيل الجدل الذي تتقابل فيه أعمال ضخمة، لكنه يضيف ، لقد استطعت متابعة بعض أعمال **الجابري**، فعرفت أن الباحث السوري لمس بالفعل نقاطا بالغة الأهمية في أعمال **الجابري** منها: خلل في مراجع الجابري، عدم إشارته إلى من اتكأ على منهجياتهم في نقد العقل العربي... ولكي أتوقف عند الموقف الأخلاقي اتجاه ذلك النقد، إن من حق **الجابري** ألا يرد على أحد من نقاده، مع أن الرد إذا كان في معرض الحوار الفكري مطلوب، بل هو مسؤولية ينبغي للباحث أو المفكر عدم التساهل بشأنها، كما ليس من الحق فعله هو ما أسماه **الجابري**، بـ " تقزيم الأشخاص " بسبب توجيههم نقدا ما "، فالانحراف في الحوار من المسار الفكري المعمق والجاد إلى التعرض للمسائل الشخصية، فهذه تقريبا سمة المثقفين العرب حتى عند أكبر الأسماء الفكرية في العالم العربي، وهي تعتبر من المشكلات المتأصلة في الثقافة العربية، فحاول أن توجه نقدا إلى أحد الأشخاص وستجد الكلام ينحرف بسرعة نحو أمور لا علاقة لها بموضوع الحوار وإنما هي مسائل شخصية بحتة وفي منحى سلبي، ويواصل **سعد البازعي** استغرابه من موقف **الجابري** المتناقض، حينما سئل عن موقفه من المختلفين معه بشكل عام ، تحدث عن ترحيبه بالنقد الموجه إليه وأنه يشجع تلامذته بل يطالبهم بالاختلاف معه، لكن هذا الترحيب لم يتسع ليدخل **الطرابيشي** في رحابه.[1]

نحن نعلم قيمة النقد العلمي البناء ومساهمته في تطور المعرفة العلمية السوسيولوجية، خاصة مع ظهور مدرسة فرانكفورت التي تبنت الفكر النقدي منهجا للبحث، وبالتالي حققت بفضله نتائج علمية تعتبر قفزة غير مسبوقة في ميدان البحث السوسيولوجي، فالنقد عملية حوار فكري مستمر لا يتوقف، لا يؤمن بالحقائق المطلقة، فالنقد المبني على الشك العلمي بعيدا عن التجريح وتصفية الحسابات، هو من يجب أن يتعلمه الباحث في مجال العلم، ولكن على مستوى النخب العربية فالتعصب للرأي وعدم تقبل النقد العلمي هو السمة البارزة لأشكال الحوار على مستوى الفعاليات العلمية التي يشارك فيها الباحث.

[1] المرجع السابق، ص ص84-86

- **تقلص مساحة الحرية الفكرية في بيئة العمل العربية:** ننطلق في تفسير هذا العنصر من السؤال التالي: **إلى أي حد يمارس الباحث الأكاديمي بالجامعات العربية حرية البحث؟**

ليس من العسير لأي من الفاعلين في مجال البحث العلمي، أن يجيب على هذا السؤال، فتقلص مساحة الحرية الفكرية مظهر من المظاهر العامة للبيئة العربية، ليس في البيئة الأكاديمية فقط، بل على مستوى جميع المؤسسات: سياسية كانت، أو ثقافية، دينية، اجتماعية... الخ، فهي تشكل خطورة كبيرة على تطور الفكر العربي، وهي تعتبر مظهر من مظاهر التعصب الفكري الذي يميز بيئة العمل العربية، التي تفرض قيودا على الفكر العربي لمنعه من ممارسة نشاطه العلمي والفكري بكل حرية، ولعل أهم جهة تفرض سلطتها على المفكرين والعلماء، هي السلطة السياسية، فالبيئة العربية تعتبر منطقة خصبة لخلق القيود الفكرية على الباحثين، فلديها أساليب وطرق ظاهرة وخفية للحد من حرية المفكرين لحماية مصالح الأقلية. [1]

يرى **زكي نجيب محمود**، أن الحرية الفكرية مرهونة بعوامل كثيرة، أولها: "عدم خضوع العقل لأي سلطة، سواء كانت سلطة القدماء التي قد تصل إلى درجة التقديس، أو سلطة الثقافة السائدة بما تحمله من خرافات وأفكار مغلوطة، أو سلطة سياسية "، لذلك ربط بين الحرية والفكر الحر البناء، والقيود التي يراها **زكي نجيب محمود**، هي القيود التي تفرض على العقل والتفكير من خارجه، ويؤكد ذلك بأنه مهما بلغ أحد من سلطان وسطوة، فلا يجوز له أن يفرض على عقل الباحث فكرة بذاتها، دون أن تكون تلك الفكرة هي التي وضعها عقل الباحث نفسه، **وإلاّ كيف يتحقق الإبداع إذا؟**، وهو في ذلك يقول: " إننا إذا حرمنا إنسانا من أن يتقدم بأفكاره وما يترتب عليها، حرمناه من آدميته، إذ نكون قد سلبناه حرية عقله.[2]

بما أن الجامعة هي جزء من المجتمع وما ينطبق عليها ينطبق عليه، فغياب الحريات في المجتمع من الأسرة والمدارس العامة والمحيط ككل سينعكس على الجامعة، حيث تمارس قيود على الطلبة فيما يخص حرية التعبير وطرح الأفكار والسلوك، حيث يشعر الطالب بأنه مقيد وخوفا من سخط أستاذ المادة، يضطر لأن يختار بحثه في موضوع يروق للأستاذ، كثيرا ما يحصر الأستاذ نفسه في نظرية معينة ويقدسها ويفرضها على طلابه، ليشعر الطالب أنه مشلول ومسلوب الإرادة والحق في الاختيار، وهو من المفترض أن يطرح الأفكار الجديدة ويعيد التفكير في الأفكار القديمة ويمحصها ويطرحها من جديد، وبالتالي تكون مخرجات هذه الجامعات من الطلاب الذين تربوا على التبعية وملئت عقولهم بالمعلومات قصرا ومن دون اختيار، وبدلا من أن يكون الطلبة مشاركين في حراك مجتمعهم وخلاقين في شتى أنواع المعرفة، يصبحون مجرد نسخ مكررة.

---

[1] نجية طلبة المسلمي: **انتكاسة عقل**، دار العين للنشر، الإسكندرية، مصر، 2010، ص ص99-106

[2] المرجع السابق، ص ص106-109

أما بالنسبة للأساتذة، فيبدو أنهم تمارس عليهم الضغوط ومن ثم يمارسونها على طلابهم، إذ يعاني الأساتذة في الجامعات من غياب الحرية في طرح الآراء، يتعرضون للتدخل في عملهم من طرف الإدارة في الجامعة، إذا كان أستاذ الجامعة يطير بجانحين أحدهما جناح التدريس، فإن الجناح الآخر الذي هو البحث ليس أفضل حالا، فغياب الحريات في البحث يفقد الأستاذ الجامعي الدافعية والشغف لملاحقة القضايا العلمية، والبحث عن إجابات لها مما يدفع الأساتذة إلى طرح واجترار مواضيع مكررة لا لشيء، إلاّ لتلبية متطلبات الترقية وفي النهاية تغيب أو تُغَيَّبْ مشكلات الواقع الحقيقية عن الطالب والأستاذ والجامعة.[1]

حظي موضوع الحرية الفكرية على المستوى الأكاديمي، باهتمام العديد من الباحثين العرب، الذين أكدوا على أن الحرية الأكاديمية نسبية بالجامعات العربية على غرار دراسة كل من **هالة كمال**، والتي تحدثت فيها عن الحرية الفكرية بالجامعات المصرية، وفي سياق متصل حول وضعية الحرية الأكاديمية بالجامعات المصرية، يتحدث **أحمد عبد السلام**، عن انتهاكات عديدة للحرية الأكاديمية بالجامعات المصرية.

ومنه يعتبر الباحثون أن عامل الحرية من العوائق التي تحد من تطور الفكر الإنساني، وبالتالي إلى الحد من تطور المعرفة العلمية، ولتجاوز هذه الأزمة، لابد من إشاعة مناخ الحرية الفكرية والنقاش والبحث والحوار دون كوابح أو شروط مسبقة ودون أهداف بعينها داخل الفضاءات الجامعية، لابد للباحث أن يسعى للوصول إليها، لذلك يجب أن تكف السلطات عن فرض الوصاية على الطلاب والجماهير وعلى العقول المفكرة والأذهان المبدعة، ودعوا كل الزهور تتفتح، إن النور لا يضر العيون السليمة، بل يصيب ضعاف البصر والبصيرة بالعمى الكلي هؤلاء أعداء النور والحرية والأوصياء على العقول والأبدان.[2]

- **غياب روح الابداع بالوسط الأكاديمي:** من المظاهر الدالة على التعصب الفكري بالأوساط الأكاديمية، غياب الإبداع العلمي، حيث تؤكد كل المؤشرات عن ضعف مستوى الإنتاج العلمي لدى النخب العربية، التي تتميز بهشاشتها واستهلاكها للمنتوج العلمي الغربي، الذي انعكس سلبا على تنمية هذه المجتمعات، لم يكن للعلم أن ينشأ أو يتطور دون الإجابة عن التساؤل الذي يبحث عن مصدر يقينية المعرفة العلمية نفسها، وهو التساؤل الذي قاد إلى تطور العلم، فقد نشأ العلم في الغرب كنظام للمعرفة المقبولة اجتماعيا عندما بدأ الباحثون يشككون في صحة المعارف اليقينية، وعندما الغوا مفهوم المعرفة اليقينية المطلقة، واستبدلوه بمفهوم المعرفة الموضوعية، أي التي تأخذ في الاعتبار مجموع الشروط المكونة للفعل المعرفي، مع السعي إلى استبعاد البعد الذاتي والفردي أكثر

[1] فيروز مامي زرارقة: **الحرية الأكاديمية وأزمة البحث الاجتماعي في العالم العربي، رؤية استشرافية لمستقبل البحث الاجتماعي**، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة حمة لخضر، الوادي، الجزائر، العدد 13-14، ديسمبر 2015، ص ص248-249

[2] نصر حامد أبو زيد: **التفكير في زمن التكفير، ضد الجهل والزيف والخرافة**، مكتبة مدبولي، مصر، ط2، 1995، ص ص26 -30

مما يمكن، وما كان للعلم الحديث أن يتطور، لو استمر الغربيون في إسناد معلوماتهم إلى نظم معرفية كانوا قد ورثوها عمن سبقهم.[1]

في مناظرة بين المفكرين/ **محمد عمارة وفؤاد زكريا**، والتي دارت حول البحث عن أسباب أزمة الفكر العربي فكان من بين أزمة الفكر العربي: غياب روح الإبداع، يعترف **فؤاد زكريا:**" بالفعل نحن نعاني من أزمة إبداع في كافة التيارات السائدة في مجتمعنا، ولكي يعود الإبداع إلى الازدهار من جديد، لابد أن يتوافر لدينا القدرة على أن نسمع بعضنا البعض، وهذا يؤدي إلى تصحيح الكثير من أخطائنا، أو على الأقل التفاهم يصبح أوضح وأسهل، وكل تفاهم بين فئات المجتمع المختلفة يساعد على نهوض هذا المجتمع ".[2]

إذن هي دعوة للحوار من طرف المفكر **فؤاد زكريا**، من أجل تحقيق الإبداع الذي يعتبر أحد أزمات الفكر العربي المعاصر، وهذا ما ينم عن الدور الإيجابي للحوار الفكري بين فئات النخبة، وعلى أن يتسم هذا النوع من الحوار بما يعرف بأخلاقيات الحوار.

أما **محمد عمارة** وفي حديثه عن أسباب الأزمة، فيرجعها للتخلف والجمود والتقليد وكذلك الهيمنة الغربية والوافد الضار والاستلاب الحضاري، وبينهما هذه العلاقة هما أسباب أزمة العقل العربي الإسلامي.[3]

والسؤال الذي يطرح نفسه على الساحة الفكرية: **ماهي وسائل الخلاص من هذه المعوقات التي تحول دون تطور الفكر الإنساني؟**، فكان هناك إجماع حول ضرورة إطلاق العنان للأفكار المبدعة، أو حتى المخالفة لما نعهده، إن ذلك ليس بشعا ولا يؤدي إلى إثارة المخاوف والآلام، إلاَ لمن لا يريد لتلك الحرية أن تنطلق، إن الذين يرون أنهم على حق، ومع افتراض أنهم صادقون في رؤيتهم اتجاه ضمائرهم، فإن الآخرين يرون في أنفسهم الشأن نفسه، لكن الأمر الصالح يرسخ نفسه وإن لم يؤازره أحد، ويجب أن يعي الإنسان أن وراء كل عملية بناء لها وقودها وتترك وراءها مخلفاتها التي سوف يكنسها التاريخ ويلقي بها في إحدى مزابل النسيان، لذلك فلا داعي إلى النزاع للقضاء على أصحاب الرأي المخالف، حتى وإن كان على خطأ، فالحياة كفيلة به وهي في عملية غربلتها لما ينفعها وما يضرها من أمور، لذلك لا يمكن أن يأتي خلاص البشر مما هم فيه من إعاقة، إلاَّ من نبع الفكر الحر، وبالتالي

---

[1] برهان غليون: **إغتيال العقل، محنة الثقافة العربية بين السلفية والتبعية**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط4، 2006، ص ص187-188

[2] سعد الرميحي: **أزمة العقل العربي (مناظرة بين الأستاذ/ محمد عمارة والأستاذ فؤاد زكريا)**، المكتبة المفتوحة، نقلا عن الموقع الالكتروني: https://pdf2arab.blogspot.com/2017/01/blog-post_16.html، ص ص17-22

[3] المرجع السابق، ص 29

يتحقق الإبداع.[1]

حاول الكاتب/**طارق حجي** من خلال كتابه **(نقد العقل العربي)**، أن يوضح جملة من عيوب تفكيرنا العربي، التي يعتبرها بمثابة أزمة فكرية يعاني منها الفكر العربي المعاصر، والتي أشار فيها إلى التعصب الفكري كأحد أهم المعوقات الفكرية التي أصابت العقل العربي، ومن أهم مظاهر هذا التعصب حسب الباحث:

– **تقلص السماحة في تفكيرنا المعاصر**: الملاحظ في السنوات الأخيرة أن درجة تسامحنا مع بعضنا أو مع الآخر، أخذ في التقلص، والضمور، وعليه علينا أن نبدأ في عملية التصحيح الثقافي لهذا العيب الخطير والذي أصبح يشوب تفكيرنا بالوقوف على حقيقة المشكلة، فنحن اليوم أكثر تعصبا وأقل تسامحا، ومن المؤكد أن تقلص التسامح هو ليس عيبا يشوب تفكيرنا فقط في تعاملاتنا مع الغير، بل عيب يؤثر في مواقفنا الداخلية، بمعنى أنها تؤثر في حواراتنا الداخلية، بل أن الآراء المختلفة داخل كل جبهة أصبحت تتناحر بروح لا تعبر عن شيء مثل تعبيرها عن تقلص التسامح.

–**المغالاة في مدح الذات:** وهذا أيضا اعتبره الكاتب عيب من عيوب العقل العربي، والذي شاع في مناهج تفكير معظمنا، فبنظرة متأنية لما يذاع من مواد إعلامية مكتوبة أو مقروءة، تظهر بوضوح أن وسائل الإعلام العربية المختلفة، أصبحت لا تخلو بصفة يومية من مدح الذات وإطراء إنجازاتنا ومزايانا، وعلى المستوى الفردي، فإننا نمارس نفس الشيء، إن التخلي عن هذا العيب، هو الاعتراف بأن واقعنا الاقتصادي والاجتماعي والفكري، متدهور مقارنة بما يعيشه العالم اليوم من تقدم بارز، فهذا يعتبر نقطة البداية الفعلية لتقدم حقيقي على كافة المستويات.[2]

فالجامعة مؤسسة فكرية بحثية، تتيح للطلاب والأساتذة مجالا من الحرية الفكرية، بصياغة فكر حر ينهض بالفرد والمجتمع ككل، وهو ما يتوافق مع مفهوم دور المثقف كما صاغه **إدوارد سعيد:** " المثقف الحقيقي هو من يمارس العلم والثقافة بروح الهاوي لا المحترف، والذي يسعى دوما إلى قول كلمة الحق في وجه السلطة ".[3]

ومن مظاهر التعصب أيضا لدى الأستاذ الأكاديمي، ما يحدث أثناء مناقشة رسائل التخرج من ليسانس، وماستر، ماجستير، دكتوراه، فهي جلسة تصفية حسابات للبعض، فالمناقش لا يناقش الأفكار الأساسية للبحث، بل يحاول أن يتطرق إلى صغائر الأمور ويركز على النقاط الثانوية للبحث، ومنهم من لا يعطي قيمة للعمل أصلا

[1] الإبراهيم طيبة أحمد: **المعوقات الفكرية للشخصية السوية**، مؤسسة دار التعاون للطبع والنشر، القاهرة ،2001، ص ص212–215

[2] طارق حجي: **نقد العقل العربي، من عيوب تفكيرنا المعاصر**، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، 1999، ص ص17–35

[3] هالة كمال: **الحرية الفكرية رغم حصار الجامعة**، نقلا عن موقع الالكتروني:*cairo.academia.edu/HalaKamal* ، ص 9

فيوم المناقشة، هو اليوم الذي يتصفح فيه العمل خاصة في مرحلة الليسانس والماستر، فإطلالته سريعة خاطفة، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على عدم الاهتمام وعدم إعطاء قيمة للبحث العلمي.

كذلك وفي دراسة للباحث / **امحمد صبور**، فإنه يبرز أهم ملامح مظاهر التعصب في المؤسسات الأكاديمية لقد بينت نتائج دراسته الموسومة **(المعرفة والسلطة في المجتمع العربي " الأكاديميون العرب والسلطة "**، أن الجامعة تعيش حالة صراع وتنافس بين الباحثين الأكاديميين، وهذا الصراع السائد في المجال الأكاديمي شبيه بالصراع الذي وصفه **(بلوBLAU)**، بكونه: " سلاسل من الألعاب المختلطة والمتشابكة، تكون لكل مجموعة أعضاء، نصيب فيها ولهم فيها مصالح متضاربة "، ومنه فإن الصراعات السائدة في المجال الأكاديمي، تتعلق أساسا بالعناصر التالية:

- **الامتياز العلمي:** يسعى الأكاديمي، لأن يجعل من تخصصه، فرعا مهما وأصيلا في المعرفة، يمنحه سمة التميز عن الفروع الأخرى، ومن هنا فهو يحارب التعميم، ويحافظ على تميزه، خاصة من القادمين الجدد الذين تنقصهم الخبرة، والذين قد يشكلون تهديدا لمجال سلطتهم بما لهم من معرفة، ومن هنا يتولد الصراع بين الأكاديميين القدامى وبين القادمين الجدد الذين يتطلعون إلى وضع موطئ القدم في الحقل المعرفي.[1]

وفي تحليل أحد الباحثين لأسباب الصراع هذه بين الجيلين، يجد أن سببها:

- **عقدة الاستعلاء:** التي تكونت لدى الأكاديميين القدامى نحو زملائهم الأصغر منهم سنا، ينظر بعض الأكاديميين بسبب شهرتهم واستعلائهم إلى زملائهم نظرة لا مبالاة، تنم عن نوع من الازدراء، فهو يرى أن موقفهم هذا غير بناء من وجهة نظر التفاعل العلمي، غير أنه يوجد عدد كبير من الأكاديميين من يعتبرون أنهم مؤهلون علميا، ولكن عددا منهم لا يستحق هذه التسمية، ويتضمن هذا الموقف عنصرا اصطلح عليه **فيبر**، بـ: " **الاستعلاء الخفي أو غير الظاهر** " وهذا النوع من الأكاديميين، يعتبر نفسه، بطريقة أو بأخرى تجسيدا لتلك المعرفة أو ذلك العلم الذي ينتمي إليه، فهو ينظر إلى علمه على أنه حقيقة أصيلة دقيقة تعطيه حظوظا كثيرة للرفع من مكانته الاجتماعية، كذلك الملاحظ على الأساتذة الذين يسيرون المجالس العلمية، لا يقبلون بسهولة اندماج القادمين الجدد في المجال الأكاديمي، فهم يضعون لهم العراقيل لكي لا يتقاسمون السلطة معهم، وعندما يصل بعض الأكاديميين إلى مواقع يمتلكون فيها سلطة معرفية مدعمة بالمشروعية المؤسسية الإدارية، فإنهم من مواقعهم تلك يمثلون دور " حراس الأبواب "أو " البوابين "، إذ يسمح لهم هذا الدور بتقويم معرفة الآخرين والتصديق عليها، إما بتأكيد كفاءتهم العلمية أو برفضها، ويمتلكون أيضا سلطة قبول القادمين الجدد أو رفضهم، أي لهم الحق في محاكمتهم وفرض تقويماتهم عليهم من موقع " **خبراء المعرفة** "[2]

بعض من الأكاديميين الأوائل أو القدامى، يتسمون بجمود فكري ونظرة ضيقة لا تسمح لهم بتقبل أفكار جديدة

---

[1] امحمد صبور، مرجع سبق ذكره، ص ص155-157

[2] المرجع السابق ، ص ص157-158

أو تصورات أخرى، إلى جانب هذه الصراعات هناك صراعات أخرى بين الأكاديميين القدامى والجدد، وهو صراع شخصي، إذ يتخذ العنف الرمزي طابعا شديد الحدة بين هؤلاء في تعارضهم وتنافسهم من أجل اكتساب الامتيازات لديهم، إلاّ استعملوها، وإلى هذا أشار أحد المشاركين وسماه " **أكل لحوم البشر بين المثقفين** "، ويدخل فيه المؤامرات وتشويه السمعة واستعراض القوة الرمزية وتعزيز كل ذلك بالتحالفات " العشائرية الأكاديمية وهناك إستراتيجية أخرى وهي التحكم غير المباشر، وكل هذا يعطي طابعا بوجود صراع عنيف تضيع فيه الحمائم في مواجهة الصقور التي تمتلك المؤهلات والشهادات والشهرة، وتستعملها كلها في هذا الصراع، وصراع المواقع هذا بين الأكاديميين حتى بين الأشخاص من كليات مختلفة، وفي صراع من أجل المصداقية، يحاول الأكاديميون الاستفادة من كل رؤوس الأموال الموضوعة رهن إشارتهم، ذلك أن قوة موقع الأكاديمي تقاس وتحدد بما له من رساميل، سواء أكانت رمزية أم اقتصادية، فالرأسمال الاجتماعي، يسهل على الفرد التحكم في الآخرين وتسييرهم وفق رغباته، والرأسمال الاقتصادي يسمح له بالانسحاب التكتيكي، والرأسمال الرمزي يمكن توظيفه للحصول على مساعدة الآخرين وتعاطفهم معه.[1]

- **التماهي الثقافي:** ويضاف سبب آخر للصراع بين الأكاديميين، الاختلاف في الثقافة، قد يكون هذا الصراع موجودا في كل المجالات الأكاديمية، في كل البلدان، لكنه يأخذ طابعا خاصا في البلدان العربية، حيث لازالت المؤسسات الأكاديمية المقامة على النمط الغربي فتية، و مازال بعض من الأكاديميين في المؤسسات العربية يتصور وظيفته ونشاطه في نمط قريب من أنماط السلوك الضاربة بجذورها في تقاليد الثقافة العربية الإسلامية، في وقت يوجد فيه مجموعات من الأكاديميين ممن تثقفوا في معاهد غربية، ويعلِّمون لحد الآن بلغات أجنبية، فهم مرتبطون بالمدارس الفكرية الغربية التي تشكل مدارسها ومناهجها ونظرياتها في التحليل والمقاربة بالنسبة إليهم مصدرا للتميز الفكري والثقافي، وهذا ما يتسبب في بعض الأحيان في صراع حول الأصالة الثقافية تتجاذبه الخصوصية العربية الإسلامية، وملائمة وعدم ملائمة الثقافة العربية والعلوم الغربية، كما يتسبب أيضا فيما يعرف بالاغتراب الثقافي أو الاستلاب الثقافي.[2]
- **الضرورة الاجتماعية والبراغماتية العلمية:** يضاف هذا الصراع إلى صراعات أخرى، يرجع في أساسه إلى التخصصات المعرفية، خاصة بين التخصصات الإنسانية من جهة، وأصحاب التخصصات العلمية والتقنية من جهة أخرى، وقد وصف (**سنو** SNOW)، وصفا لتمثلات كل فريق منها للآخر: " المثقفون الأدباء في قطب، والعلماء وأكثر تمثيلاتهم لهم المختصون في العلوم الطبيعية، في قطب آخر، وبين الفريقين هوة من انعدام التفاهم

[1] المرجع السابق، ص ص159- 162

[2] المرجع السابق، ص ص162- 164

المتبادل، ويصحب انعدام التفاهم هذا... بعداء وكراهية، بل وأكثر من ذلك يصحب بنقص في فهم الآخر، فكل منهما له صورة مشوهة عن الآخر، بحيث لا يستطيعان أن يجدا أرضية مشتركة يقفان عليها ".[1]

يتجسد هذا الصراع بين العلميين والإنسانيين في تبادل التهم، حيث يصف فيه أصحاب العلوم الإنسانية التقنيين بأن " **رؤوسهم ناشفة** "، وعقليتهم روتينية، وأن المجتمع بالنسبة إليهم مجموعة أرقام ومعطيات إحصائية، ويصفونهم بالطوباوية والتلاعب بالألفاظ وانعدام العلمية والتأثر بالتصورات المثالية للواقع، والملاحظ أن تشويه السمعة المتبادل هذا لا يشكل سوى جانب واحد من الصراع، أما الجانب الأكثر إثارة، فهو المتعلق بالمكانة في المجتمع والأهمية التي تعطى لكل فريق في المؤسسات، وهذا الموقف نابع من إيديولوجية التيار التقني، السائد اليوم، بأن مكانة التقنيين ووجاهتها، هما في أوجهما وعزهما، على العكس من مكانة أصحاب العلوم الإنسانية، والسبب هو النظرة البراغماتية النفعية التي تسود صانعي القرارات تعطي فيها الأفضلية للتحديث التقني وإهمال العلوم الإنسانية والحط من مكانتها، والأكاديميون الذين يمارسون هذه العلوم هم أقل وجاهة وقيمة من الآخرين، من أولئك الذين يعملون في الحقول التقنية.

ومنه فإن سيطرة التوجه التقني الذي يشيد بفريق على حساب فريق آخر، يعطي قيمة لنوع خاص من الرأسمال المعرفي ويحابي أصحابه، وبالتالي فإن هذا الوضع يظهر أنه يجرح كبرياء العاملين في العلوم الإنسانية.[2]

وقد تمظهرت هذه الصراعات في مظهرين مختلفين هما: مظهر واضح يعبر علانية بالرفض والاحتجاج والخصام وفي النقاش العمومي، ويتم بطريقة مباشرة أو عبر الآخرين أو عبر الكتابة، أما المظهر الثاني، فيتمثل في صراع خفي يعبر عنه بموقف عزل الذات واللامبالاة، وعدم الاستجابة للأعراف السائدة بين الأقران في الحقل الواحد أو في الحقول الأخرى.[3]

ومنه نستنتج، أن مظاهر الصراع في الوسط الأكاديمي، الدالة على التعصب: التعصب للتخصص، التعصب للغة، التعصب للثقافة، والتي انعكست بشكل واضح على تطور البحث العلمي، فلا أحد يستطيع أن ينكر الأزمة التي يعيشها البحث العلمي في الوطن العربي وخاصة في مجال العلوم الاجتماعية، نتيجة للصراعات حول أمور أقل ما يقال عنها أنها تافهة تقلل من الاحترام الذي يجب أن يحظى به الباحث الأكاديمي، صراع المصالح يستخدم فيه كل الأسلحة المشروعة وغير المشروعة والضرب تحت الحزام كما يقول المثل الشعبي.

وفي سؤال وجه لباحث من جامعة **الخوارزمي** من إيران حول: **ما هي أسباب تعصب النخب العربية والإسلامية؟**

---

[1] المرجع السابق، ص 165

[2] المرجع السابق، ص ص166-170

[3] المرجع السابق، ص 177

يجيب الباحث بقوله: "إن التعصب عند المجتمعات الشرقية، ناجم عن قلة الفرص نحو الارتقاء، انخفاض مستوى التنمية، قلة الامتيازات المادية والمعنوية، تؤدي إلى التنافس بين أفراد الأمة الواحدة من جهة وبين أفراد النخبة من جهة أخرى، وهو تنافس غير مشروع، حيث يحاول كل طرف بكل الطرق والوسائل، أن يزيح الطرف الآخر من المنافسة، وأبرز وجه للتعصب هو التعصب للرأي أو للفكر".

أما في نقاشنا مع أساتذة من جامعة " **الشهيد بهشتي** " دائما بإيران، يشخص لنا بعض من أساتذة بكلية العلوم التربوية، أن من بين مظاهر التعصب، أن الأساتذة القدامى يتميزون بالتعصب، حيث لا يسمحون للشباب بالتدريس في القسم والكلية، ولما أحيلوا على التقاعد واجهوا مشكلة في ضمان المكانة، حيث في الكثير من الأحيان إذا كان هناك أستاذ متمكن، بدل أن ننظر إليه كعامل قوة نلجأ إلى وسائل قهرية للتقليل من شأنه، نتيجة الضعف الكامن فينا، وهذا مرده إلى شح الفرص.

قسمت بعض الدراسات التعصب إلى شكلين أساسيين:

– **التعصب الإيجابي:** يصفه الباحثون على أنه شيء محبب، لأنه يحمل مشاعر المودة والحب والتسامح، وعلى القوالب النمطية الإيجابية المتمثلة في الأفكار التي ترفع من شأن من توجه إليهم هذه القوالب النمطية، وبالتالي السلوك المتسامح الذي يدعم العلاقات الاجتماعية، وأشكال التفاعل الاجتماعي المرغوبة بين مختلف الجماعات التي تعيش في المجتمع الواحد أو في أكثر من مجتمع، مما يجعل المجتمع في حالة من التماسك ويدفع به قدما نحو النمو والرقي الحضاري والإنساني.

– **التعصب السلبي:** حيث يتميز أصحاب التعصب السلبي بمشاعر الكراهية والبغض والنفور، وهذه المشاعر تقلل من قيمة الأشخاص الآخرين وتحط من قدر كل من له علاقة بهم وتخفض من قيمتهم في المجتمع وتجعلهم في مستوى أقل من مستوى البشر، وذلك طبقا لموضوع التعصب سواء كان عنصريا أم دينيا أم اجتماعيا أم سياسيا... الخ، ويترتب على ذلك كل أشكال التمييز والفصل العنصري في صورته المتطرفة التي نجدها في العديد من المجتمعات، ونظرا لخطورته على المجتمع وعلى الفرد، ونظرا لما يسببه من عنف وقهر، حيث يؤثر على مختلف مناحي الحياة الاجتماعية والسياسية، والاقتصادية، لذلك لابد من مقاومته والتخفيض من حدته والتخلص منه ببعض البرامج واستراتيجيات تغيير الاتجاهات.[1]

[1] نادر طالب شوامرة، مرجع سبق ذكره، ص 450

وقد قسم كل من: **فالانتين ودونالد (2004)**، التعصب إلى خمسة أنواع:

- **التعصب العدواني:** وهو عداء واضح وعام ويكون عادة مصاحبا للتهديد بالعنف الموجه للجماعة الخارجية.
- **التعصب البسيط:** وهو قلة في الاتجاهات الإيجابية تجاه جماعات الأقلية دون عنف، والتي من الممكن أن تكون عالمية وقد تمر ولكن لا ننتبه إليها، حيث تكون ضمنية.
- **التعصب الحسن:** وهو تعبير عن وجهات النظر فيما يخص الأقليات التي ليست في العادة توجه لها اتجاهات إيجابية، مما يؤدي إلى نتائج سلبية.
- **التعصب المطهر:** ويعني ظهور رؤى تكون أقل إيجابية في نظرتها للأقليات، لذلك ليست مقبولة لكنها بررت لتكون مقبولة.
- **التعصب غير المتعمد:** وهو سلوك يعبر بدون قصد عن التجاهل أو قلة التفهم للتنوع ومشكلات الحقوق.

وقد قسم التعصب أيضا إلى تعصب صريح وتعصب ضمني، فالتعصب التقليدي واضح، مثل التعصب العرقي، الذي يتضمن اتجاها سلبيا واضحا يشير إلى تهديد، أما حديثا فقد ظهر التعصب عندما ظهرت دعوات التسامح ومنعت التعصبات التقليدية، فاتخذ التعصب صورا مخفية، ويتم التواصل فيها بشكل غير مباشر للتعبير عن القوالب النمطية في سلوك أكثر تهذيبا، وقد تناولت بعض الدراسات التعصب الحديث مثل دراسة **كوري إرن**، التي هدفت إلى عنونة التصرفات تجاه العرق والنوع والدور والدافع للاستجابة بدون تعصب، والتفاعل بين تلك العوامل على عينة من الرجال والنساء في الولايات المتحدة الأمريكية، وأظهرت النتائج أن التعصب اللاّواعي للجنس والعرق لازال موجودا رغم اختفائه الظاهري، وأن المصادر المعرفية ضرورية للتأثير على العمليات اللاّشعورية، وكان كثير من الأفراد الذين تم وضع دافع لهم للتصرف بدون تعصب، قد سجلوا بعض مظاهر التعصب.[1]

ورغم ما عرفته المجتمعات من تطور وتقدم في شتى المجالات، خاصة الجانب القانوني، إلاّ أن البشرية لازالت تعاني من مرض التعصب، حيث عرف العصر بأنه أكثر دموية من ذي قبل، بسبب التعصب بشتى أشكاله، ورغم ما أقرته معظم الدول في دساتيرها بشأن تجريم التعصب، غير أن ثمة فجوة واسعة بين ما يعلن وبين ما يمارس في الواقع الفعلي، ولعل القرن العشرون شهد حوادث متعددة من التعصب، إن المعطيات الراهنة لا تزال تؤكد استمرار حوادث التعصب، ففي الولايات المتحدة الأمريكية، دولة الحقوق والحريات كما يزعمون، لا يزال التعصب العنصري قويا ضد الزنوج، إن التمسك بالتعصب العنصري والتحيز المخفي بمهارة ضد السود، ربما يفسر السبب في استمرار التحيز، على الرغم من أن الاتجاهات العرقية للأمريكيين البيض أصبحت أكثر تسامحا على

[1] إيمان سعد فايز الشتري، مرجع سبق ذكره، ص 24

نحو متزايد، وعلى الرغم من رفض الأمريكيين للعنصرية فإنهم يتصرفون بتحيز مستتر، وإذا سئل الناس: **لماذا تتصرفون هكذا ؟**، قالوا إنهم ليسوا متعصبين، لكن مواقف مبهمة من التحيز لازالت تحكم تصرفاتهم، على الرغم مما يقدمونه من تفسيرات عقلانية.[1]

كذلك ما جاء في ميثاق الحقوق الأساسية للاتحاد الأوروبي: " القيم الشاملة للكرامة الإنسانية والحرية والمساواة والتضامن وتجريم التمييز على أساس، الجنس، أو العرق، أو اللون، أو الأصل الإثني، أو سمات وراثية، أو لغة أو دين أو معتقد أو أي رأي آخر، والأقلية القومية، أو الإعاقة والعمر والميول الجنسية " ، واعتبرت سنة **1997**سنة لمكافحة التعصب والعنصرية بالاتحاد الأوروبي، كما نصت المادة الثانية من معاهدة الاتحاد الأوروبي، على: " أن التعصب يشكل تهديدا على التماسك الاجتماعي للمجتمع "، رغم ذلك فإن حقوق الإنسان القوية بأوروبا المتنوعة والمتسامحة، ليست كذلك فهي ضرورية فقط لحماية الأقليات، وخير مثال على التمييز ما يمارس ضد المهاجرين المسلمين منهم والذين يشكلون جزءا لا بأس به من المجتمع الأوروبي، لذلك على الدول الأوروبية أن تضع حدا للتمييز والتعصب وحماية الأقليات حتى تحافظ على استقرارها وتماسكها وأمنها، فمسألة الاندماج حاسمة بالنسبة لبلدان أوروبا، وحماية هوية الجماعات وتمكينهم من المشاركة في حياة المجتمع هما أمران أساسيان.[2]

فالصراعات العرقية والدينية والسياسية لازالت متواصلة، وقد أكد كبار المفكرين أنه، لا يمكن أن نحلم بمجتمع خالي من التعصب مهما بلغنا من درجة في التحضر والتقدم والإبداع فخلق القوانين الصارمة والرادعة للحد من التمييز العنصري والتحيز والتطرف، بل المستقبل وحسب التجارب، فإنه يحمل في طياته شرورا جديدة، كالديكتاتوريات القائمة على التعصب، وعمليات الإبادة الدموية الجماعية، أو ابتذال الحياة بسبب غلبة الروح الاستهلاكية على المجتمع الحديث، وأن في انتظارنا كوارث لم نعهدها من قبل، طبيعية كانت أو سياسية، عسكرية، وحتى علمية .[3]

2- خصائص وسمات الفرد المتعصب فكريا

تتلخص مميزات وخصائص الفرد المتعصب فكريا حسب ما جاء في أدبيات علم النفس الاجتماعي في:

---

[1] دانييل جولمان: **الذكاء العاطفي**، ترجمة/ ليلى الجبالي، عالم المعرفة، العدد 262، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت،2000، ص 226

[2] Andreas Zick, BeateKüpper, Andreas Hövermann**: intolerance, prejudice, and discrimination a european,** Nora Langenbacher Friedrich-Ebert-Stiftung Forum Berlin, german, p ,p 9,158

[3] فرانسيس فوكوياما: **نهاية التاريخ وخاتم البشر**، ترجمة /حسين احمد أمين، مركز الأهرام للترجمة والنشر، مصر، ط1، 1993، ص 21

- إن الشخصية المتعصبة فكريا، شخصية غير متسامحة تميل إلى المحافظة والتسلط وتفضل استخدام العنف والعقاب.
- يتميز المتعصب فكريا بصلابة الرأي والعناد وجمود الفكر وعدم الانفتاح وعدم المرونة.
- يهتم بالمكانة الاجتماعية والقوة.
- يميل إلى العدوان والقلق ويسقط كل ذلك ضد الجماعات أو الأشياء أو الأفكار التي يتعصب ضدها.
- كما يتميز الأفراد المتعصبون فكريا، أنهم أناس محافظون وأنهم من النوع الذي يعمد إلى كبت دوافعه وضبط نفسه.
- يشددون على النظافة الزائدة واحترام الوالدين وعدم الانغماس في الشهوات، لذلك فإنهم يجدون في أحقادهم على الآخرين تنفيسا مبررا عن دوافعهم ورغباتهم المكبوتة.[1]

لقد وجد في عدد من الدراسات والبحوث بأن التعصب الفكري، يعتبر إحدى سمات الشخصية، حيث يوضح الشكل أدناه الذي يمثل التعصب و الشخصية، أن الشخص المتعصب فكريا، يقع في الربع الشمالي الشرقي، بينما يقع الشخص المتسامح في الربع الجنوبي الغربي، وقد وجد أن الشخص المتعصب فكريا يميل إلى صلابة الرأي والتسلطية، ويتصف بجمود الفكر وجمود الاتجاهات وعدم المرونة، ويهتم بالمكانة الاجتماعية والقوة ويتأثر بسهولة بأصحاب مرتكز السلطة ويميل إلى العدوان والقلق، إلاّ أنه قد يكبته ويظهر مؤدبا هادئا ويسقط عدوانه وقلقه على الجماعات التي يتعصب ضدها.

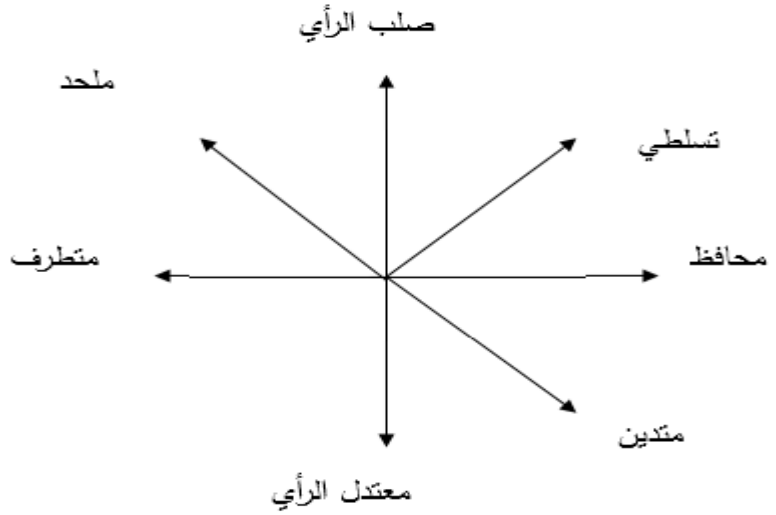

شكل رقم3: التعصب والشخصية [2]

[1] جودت بني جابر: **علم النفس الاجتماعي**، دار الثقافة، عمان، الأردن، 2004، ص 297

[2] حامد عبد السلام زهران، مرجع سبق ذكره، ص179

أما حسني الجبالي فيلخص جملة من الخصائص والسمات التي يتميز بها الفرد المتعصب فكريا:

- الانتماء الشديد لأفكار وآراء جماعة معينة دينية كانت أم حزبية أو إيديولوجية، ويتجلى ذلك في عدم التنازل عنها.
- الإحساس بالتفرد والسيادة، والنظر إلى الجماعات الأخرى بنظرة تكبر واستعلاء، والذي ينعكس على طبيعة العلاقة بين هذه الجماعات.
- عدم القدرة على إدارة الحوار مع الأفراد المخالفين له في الفكر، ولا يتطلع على كتبهم أو جرائدهم، وأفكارهم...الخ
- اعتناق الفرد لأفكار ومعتقدات بصرف النظر عن مضمون هذه الأفكار والمعتقدات، ونظرة تسلطية في الحياة مع معارضة المعتقدات التي تخالف معتقداته.
- التبرير الدائم للأحداث والأمور، سواء كانت له أو ضده، فدائما ما يحاول الظهور بمظهر المتفوق حتى وإن كان عكس ذلك تماما.

ويؤكد العالمان **(كريش وكرتشفيلد krech et crutchfiled)1948** ، أن التعصب لا يوجد في الغالب إلاّ بين الشخصيات التي تعاني من **السادية**. ومشاعر العدوان والإحباط، كما أظهرت أبحاث **فيرنون(vernon) 1963**، بأن الأفراد الذين يتصفون بالتفكير النمطي الجامد يميلون أيضا إلى أن يتصفوا بالتعصب والتسلط وعدم التسامح مع السلالات والأجناس والجماعات الأخرى، ويؤكد **فرنون** أن ذلك يرجع إلى عدم الأمن **insececurity**، الذي يضفي على تكوين الشخصية لديهم.[1]

تشير بعض الدراسات أن هناك علاقة بين خصائص شخصية الفرد والمتعصب فكريا، وتتضح هذه العلاقة بين هذين المتغيرين، على أن هناك علاقة بين التعصب والجمود الفكري **(dogmatism)**، والذي عرفه **روكيتش** بأنه: " النظرة المتشددة للحياة وعدم التسامح مع ذوي الاعتقادات المعارضة، بغض النظر عن موقعهم الاجتماعي أو اتجاهاتهم السياسية "، أما **هيرلوك** سنة **1973**، فقد عرفه، بأنه: " الخاصية للنسق الكلي للمعتقدات تعوق صاحبها عن إحداث التغيير، حيث أنه يمتاز باعتناق والتمسك والدفاع عن بعض الأنساق العامة أو الأنساق الفرعية من المعتقدات (في الدين أو السياسة أو العلم)، ويقاوم تغييرها".[2]

---

[1] حسني الجبالي، مرجع سبق ذكره، ص470

[2] لبنى عبد الرسول الصراف: **التدين وعلاقته بالجمود الفكري (الدوغمائية) لدى طلبة جامعة الكوفة**، مجلة مركز دراسات الكوفة، جامعة الكوفة، العراق، العدد 21، 2011، ص 97

من خلال التعريفين، يتضح، أن هناك فرق بين **(التعصب والجمود الفكري)**، رغم التداخل الذي يحدث بينهما، وأنهما يشتركان معا في خاصية هامة تتمثل في مقاومة التغيير، رغم إمكانية التخفيف من التعصب والجمود الفكري، وذلك من خلال البرامج العلاجية التي أشارت إليها العديد من الدراسات.[1]

وكذلك تكشف الدراسة، على أن ثمة علاقة بين التعصب و التصلب، حيث كلما كانت هناك زيادة في التعصب ترافقها زيادة في تصلب السلوك، إذ كلما أبدى الفرد تعصبا اتجاه الآخر يتوقع منه أن يكون أكثر تصلبا في الأنماط السلوكية الصادرة عنه ومن الطبيعي أن يرتبط هذان المتغيران معا، بسبب أن كلاهما يؤشران إلى أن الشخص الذي يتصف بهما، يكون في العادة عاجز عن تغيير معتقداته وسلوكه إزاء الآخر، لقد وجد أن الشخص المتعصب فكريا ينفر كثيرا من الغموض ولا يحتمله، فالمتعصب فكريا غير راغب بالمرة بمواجهة التفسيرات المتعددة للمشكلات التي يتعرض لها وطبقا لذلك يشعر بالضيق، وعدم الارتياح عندما تعرض أمامه الشواهد التي تبين أن الآخر على خلاف ما كان يظن به، ويهدف إلى إزالة الغموض، فهو يتجنب أن يتعرض إلى مثل هذه المنبهات التي قد تستثير لديه إحساسا بالنفور، كلما كان التعصب ينطوي على كراهية الآخر،فإن العدائية تصبح واحدة من الخصائص التي يتميز بها الشخص المتعصب فكريا، وبذلك فإن مشاعر العدائية اتجاه الآخر ومحاولة تدميره، تعدو خصائص شخصية دالة على الشخص المتعصب فكريا.[2]

وعن سمات المتعصب فكريا كذلك، يرى أن الناس لا يمكن الثقة بهم وأن الآخرين سوف يستغلونه ويغررون به، مع الشك الذي يدعوه لأن يكون شخص كاره للبشر ومثير للشجار، مع محاولته التقليل من شأن الآخرين والعدوانية التي تبدو في رغبته التحطيم والهدم، مع الشكوى والتذمر وعدم الترقي عن الرمز الاجتماعي، والاستياء والقلق المستمر، وجمود الفكر مع نقص شديد في التأكد من الذات والمخاوف والتشاؤم وضعف الثقة بالنفس، إضافة إلى التسلطية والأفكار النمطية والسيكوباتية والاضطرابات النفسية وأنواع من السلوك ذات الطابع الانفعالي اللاعقلاني.

وقد أضافت دراسة **محمد الدسوقي**، التي أشار فيها إلى أن المتعصب فكريا، يتميز بسمات المظهرية الاجتماعية، والتفاخر والغرور والغيرة والشعور بالاغتراب مع تضخم الأنا والشعور بالقلق والتوتر، وقد أوجز **عبد**

---

[1] أحمد محمد شافعي أحمد: **التعصب وعلاقته ببعض المتغيرات النفسية والاجتماعية دراسة مقارنة على عينة من طلاب التعليم العام والأزهري**، أطروحة دكتوراه، تخصص الدراسات النفسية والاجتماعية، جامعة عين شمس، مصر، 2000، ص 15

[2] محمود شمال حسن: **سيكولوجية الفرد في المجتمع**، دار الآفاق العربية، مصر، ط1، 2001، ص 268

الحميد صفوت سمات شخصية التعصب فكريا سالفة الذكر، في أنه منظومة تجمع بين سمات انفعالية كالتسلط، ومعرفية كالتصلب والتطرف والجمود والدوجماطية.[1]

فقد ارتبطت كل هذه السمات بنواح غير سوية في الشخصية، كالتوتر والقلق والعصبية والاندفاعية و**(السادية – المازوخية)**[*]، ويشترك التطرف مع العصاب في مشاعر العجز والخوف والنظرة التشاؤمية.[2]

والدوجماطيقية (الدوغمائية)، سمة التفكير الجامد أحيانا أخرى، بينما التعصب سمة للتفكير والتصرف معا وهنا تكمن الخطورة، وفي كثير من الأحيان يتم استخدام الكلمتين ليدلان على نفس المعنى، وهذا أمر يحدده السياق، وهي ليست تيارا فلسفيا أو دينيا، وإنما هي سمة تتسم بها كل فرقة أو مذهب أو فلسفة تزعم امتلاك الحقيقة المطلقة بشكل شامل، ولا تقر بأنها قد تحتمل شيئا من الخطأ أو النقص، وتقطع بأن ما تحوزه من معارف ومعتقدات لا يقبل النقاش ولا التغيير، حتى وإن تغيرت الظروف التاريخية، فهي مقدسة ومنزهة عن أي نقد، غير أن هذه المعتقدات والآراء غير مبرهن عليها ببراهين قاطعة من العقل أو الواقع، ورغم عدم التمهيد لهذه المعتقدات بفحص نقدي تحليلي للأسس التي تقوم عليها، ودون بحث في حدود وقدرات العقل المعرفية، فضلا عن عدم تمحيص الطرق التي توصل إلى المعرفة الصحيحة.[3]

وفي سؤال وجه لبعض الباحثين، عن أهم خصائص ومميزات التي يتميز بها الشخص المتعصب فكريا، كانت الإجابات كالتالي:

- الشخص المتعصب فكريا، هو شخص منفرد غير فعال، أناني.
- عدم الاستعداد لسماع الرأي الآخر، تدني المستوى الفكري وليس الدرجة العلمية، قلة الاحتكاك بالآخر والفردانية.

---

[1] زينب محمود شقير: **الباثولوجيا الاجتماعية والمشكلات الاجتماعية المعاصرة**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ط1، 2001، ص280.

[*] **السادية – المازوخية:** يشير هذا المصطلح، إلى دوافع الفرد التي يبدو فيها مزيج من النزاعات السادية وتلك المازوخية، نادرا ما تكون هناك سادية صرفة أو مازوخية صرفة، إذ أنهما ينشآن من أصل واحد، هو دافع العدوان، ويشبعانه، ولهذا إذا كانت السادية واضحة في الفرد فلا بد أنها تخفي قدرا من المازوخية، فالفرد الذي يعتدي على الآخرين كأنه يطلب من الآخر أن يعتدي عليه، فالسادية تعني اشتقاق اللذة عن طريق القيام بتعذيب الآخرين سواء بتوجيه عدوان مادي أو معنوي، **أما المازوخية:** فتعني اشتقاق الفرد اللذة من قيام الآخرين بتعذيبه، وغالبا ما تمتزج المازوخية بالنشاط الجنسي للشخص ذي الطابع المازوخي، فلا يجد لذته الجنسية، إلاّ عندما يعذبه محبوبه ويوقع عليه الأذى والضرر ماديا أو معنويا، سواء قبل الفعل الجنسي أو أثناءه(فرج عبد القادر طه وآخرون: **معجم علم النفس والتحليل النفسي**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، ص، ص 223، 390)

[2] زينب محمود شقير، مرجع سبق ذكره، ص 281

[3] محمد عثمان الخشت: **العقلانية والتعصب**، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2007، ص ص67-68

- شخص دوغمائي منغلق، إنسان متغطرس ومتكبر، النقد الساذج لكل الظواهر، التظاهر بالتمدن والديمقراطية.
- غياب الأبحاث والدراسات الجديدة، قتل روح العمل في الفريق.
- العدوانية الرمزية، رفض فكر الآخر، حب الظهور والجدل العقيم.
- الذي لا يطور معارفه باستمرار، التزمت، احتكار المعلومة.
- يتميز بالعصبية التي لا يمكن معرفتها إلاّ بالتعامل معه بصفة مباشرة لمعرفة ما بجعبته، شخص متناقض مع نفسه ومع الواقع والآخر في التعامل معه.
- شخص يفرض آراءه، لا يتحل بقيم التسامح والتعايش، متصلب في أفكاره.
- لا يصغي للغير ولا يحترم الآخر، لا يغير رأيه مهما كان ولا يقبل النقد البناء.
- لا قبل النقاشات والحوارات العلمية.
- الأنانية واحتقار الغير في العمل، الإنقاص من قيمة الباحث حتى ولو قدم عملا علميا جيدا.
- وضع حد بين المسؤول عن البحث والباحث، مثلا رئيس قسم يعرقل عمل باحث معه في القسم من دون سبب واضح ولا يعترف بعمله على الرغم من أن عمله جيد وفي المستوى.
- العنف والعدوانية، عدم الاعتراف بالآخر وبمعارفه وبتخصصه، الهيمنة على الآخر واللجوء إلى السلطة.
- لا يستمع وينظم إلى تكتلات بهدف الانتصار على الآخر.
- لا يقبل بالأساس الدعوة إلى الحوار، وإن قام به فلا يخرج بشيء إيجابي، فرض الآراء والقناعات وعدم مناقشتها.

3- طرق مواجهة التعصب الفكري

يشكل التعصب بشكل عام، خطورة كبيرة على مستوى الفرد والمجتمع، ويمكن تمثيلها في:

- تصبح فئة من أبناء المجتمع ضمن هذا الاتجاه التعصبي عناصر معقدة، تنمو في نفوسهم نوازع الحقد والشر، وتتجه طاقاتهم نحو الهدم والتخريب، وكلما اتسعت رقعة التعصب خسر المجتمع المزيد من أبنائه، الذين يتحولون إلى عناصر سلبية إيجابية هدامة، بدلا من أن يكونوا بناة المستقبل.
- يفقد المجتمع وحدته واستقراره، ومن الطبيعي أن يصبح لكل اتجاه تعصبي ضد فئة من المجتمع صدى ورد فعل عند الفئة التي هي موضع التعصب، ويشكل حالة مضادة للدفاع عن الذات وحماية المصالح، فيتحول المجتمع إلى ساحة صراع بين فئات متمايزة عرقيا ودينيا، وبالتالي تنهار وحدة المجتمع أمنه واستقراره.

- تشوه الاتجاهات التعصبية الجهة التي ينتمي إليها من عرق ودين ومجتمع وتضطرب علاقاتها في الجهات الأخرى، وقد يتورط المجتمع بأكمله في صراع ونزاع مع مجتمعات أخرى لوجود اتجاه تعصبي في أوساطه.[1]

كما سبق وأن بينا أن التعصب شكلين هما: التعصب الإيجابي والتعصب السلبي، ولا شك أن التعصب السلبي، هو الذي يتطلب توجيه الجهود إلى مقاومة ومحاولة التخفيف من حدته والتخلص منه بأساليب أو برامج معينة لما يسببه من صور القهر والعنف والعدوان ومن أشكال التأثير السلبي في بناء المجتمع.

وبوجه عام تهدف برامج مكافحة التعصب وخاصة التعصب الفكري، ومحاولة تغييره أو الوقاية منه، لتحقيق أمن المجتمع واستقراره ومن جهة أخرى ترقية المعرفة العلمية وترسيخ روح الحوار الفكري بين الباحثين والمفكرين، وقد وضع معتز سيد عبد الله بعض الأسس للتخلص من التعصب من منظور سيكولوجي، حيث يرى أنه لوضع استراتيجية عامة لمواجهة التعصب، لابد من الأخذ بعين الاعتبار ما يلي:

- **بعض المتغيرات التي ينبغي الاهتمام بها عند وضع أو إعداد البرامج:**

ولتحقيق الأهداف، فنحن في حاجة إلى الاهتمام، بجوانب ثلاثة هامة:

- **أنماط الأهداف:** التي تسعى مختلف الجماعات إلى تحقيقها: إن الأشخاص الذين يرغبون في تقليل وتخفيض التعصب والتمييز، لا يتفقون جميعهم على كون الأهداف مباشرة أو طويلة المدى، فالبعض يعتقد أن الوجود المشترك الآمن أكثر أهمية، والبعض يرغب قبول العمل في ظل المساواة والتكامل السياسي والاقتصادي، إلاّ أنهم يعارضون المساواة الاجتماعية، وآخرون يعملون من أجل التكامل التام.
- **أنماط الأشخاص:** أعلن الباحثون، أن أهم طرائق تقليل وخفض التعصب، هي التعليم أو القانون أو الاتصال المباشر بين الأشخاص، ويعلن البعض الآخر من الباحثين، لا يمكن خفضه أو تقليله، لأن الشخص المتعصب فكريا يتمزق بالقلق الراسخ في ذاته، فحسب معتز سيد عبد الله، أن كلا من المجموعتين، قد وقع في الخطأ لفشله في التمييز بين أنماط عديدة مختلفة من الأشخاص الذين يظهرون عداوة بين الجماعات، فإنقاص التعصب الفكري والتمييز أو خفضهما يتطلب القيام بتحديد أنماط الشخصية التي نضع لها استراتيجية بعينها، تختلف عن استراتيجية أخرى نضعها لنمط مختلف.
- **أنماط المواقف:** حينما ننتهي على حد قول الباحث، من تحديد أنماط الأهداف الخاصة بالجماعات موضوع الاهتمام، وأنماط الأشخاص أعضاء هذه الجماعات، يبقى أن نحصل على المعلومات الكافية عن الموقف الذي

[1] سالم جمعة عبد الصاحب: **الاتجاهات التعصبية وعلاقتها ببعض المتغيرات لدى طلبة الجامعة**، أطروحة دكتوراه، تخصص فلسفة علم الاجتماع، جامعة سانت كلمنتس العالمية، بغداد، العراق، 2011، ص 25

يوجد فيه التعصب والتمييز، كما توجد عوامل أخرى يجب أخذها بالاعتبار، إذا ما أردنا للاستراتيجية المقدمة أن تحقق نتائج فعالة منها: **ما هو الشكل القانوني السائد؟ هل يؤيد التمييز أم يدينه؟ هل يدين القانون التعصب من الناحية الإيديولوجية، لكنه يفشل في إيجاد أساليب تنفيذية تحد من حدوثه؟**[1]

وبعد تحديد هذه العوامل بشكل جيد، والإحاطة الشاملة بجزئياتها، تبقى الخطوة الثانية للإطار العام لاستراتيجية مواجهة الفكر التعصبي، وهي التخطيط لوضع البرامج بصرف النظر عن مضمون أي منها، أي ما ينبغي القيام به بالفعل بصرف النظر عن طبيعة البرنامج أو الاستراتيجية النوعية المستخدمة.

- **التخطيط لوضع برامج مواجهة الفكر التعصبي:** تتحدد الأسس المثالية لوضع وتقويم نتائج برامج مواجهة التعصب في ثلاث عناصر جوهرية:

✓ يجب أن يوجد برنامج محدد يختاره الباحث، مثل (النصح، الإرشاد، أو الاتصال بين الجماعات).

✓ أن تتوفر بعض المؤشرات القياسية لتحديد مقدار التغير المحتمل حدوثه نتيجة تعرض الأشخاص للبرنامج.

✓ استخدام مجموعات ضابطة، فحينما يقدم المتغير المستقل، يصبح من الضروري البرهنة على أن التغير الذي حدث في المتغير التابع يرجع فعلا لهذه الحقيقة، وهي تأثير المتغير المستقل، ومنه يمكن التعرف على بعض البرامج التي يمكن استخدامها لمواجهة الاتجاهات التعصبية:

- البرامج القائمة على تغيير الموقف الذي يسود فيه التعصب.
- البرامج القائمة على تغيير اتجاهات الأشخاص المتعصبين.[2]

كذلك يضع بعض الباحثين، تصورات نظرية وعملية لمكافحة التعصب انطلاقا من دراسات وأبحاث معمقة التي أسفرت عن النتائج التالية:

- إقناع جماعات الأغلبية بقبول جماعات الأقلية والتسليم باختلاف الرأي والفروق في وجهة النظر فيما بينهم قدر الإمكان والتسامح معهم والعيش معا في ظل ما يطلق عليه اسم التعددية الحضارية أو الثقافية أو الفكرية أو الاجتماعية ...الخ
- محاولة التخلص من القوالب النمطية والمعتقدات الخاطئة التي كونتها كل جماعة عن الأخرى، وذلك بتصحيحها في ضوء الوقائع والمعلومات الحقيقية.
- العمل على تخفيف حدة مشاعر الكراهية والعداوة التي تكنها مختلف الجماعات نحو بعضها البعض.

---

[1] معتز سيد عبد الله: **الاتجاهات التعصبية**، عالم المعرفة، العدد (137)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1989، ص ص126-127

[2] المرجع السابق، ص ص128-130

-تغيير مقاصد السلوك أو نوايا السلوك، التي يمكن أن توجد لدى بعض الأشخاص ممن لم يسلكوا بصورة تمييزية بعد، وذلك حتى لا يصلوا إلى مرحلة التمييز (أو التفرقة) في صورته الصريحة.

-تغيير أساليب الاستجابات التمييزية التي تسلك بعض الجماعات في ضوئها ضد الجماعات الأخرى في شتى النواحي الاقتصادية والاجتماعية والدينية.

ورغم تعدد الاستراتيجيات والبرامج التي تستخدم في مواجهة التعصب الفكري، فإنه يمكن تصنيفها في فئتين أساسيتين:

-**برامج تستهدف تغيير الموقف الذي يسوده التعصب الفكري:** وترتكز هذه البرامج على بعض جوانب الموقف الاجتماعي، أو السياق الاجتماعي الذي يقر التعصب أو يؤكده أو يحبذه أو يسمع بالتمييز ويشجعه ولا تعتمد هذه البرامج على جهود علماء النفس بقدر اعتمادها على القائمين على السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية في المجتمعات التي يسودها التعصب، ولذلك يطلق عليها اسم العلاج التشريعي فمقدار مواجهة التعصب والعمل على خفضه وتغييره يتمثل وفق هذه البرامج، في اقتناع المسئولين بجدوى نشر العلاقات الطيبة بين الجماعات عن طريق سن القوانين ومن ثم تلتزم المؤسسات والمنظمات بهذه القوانين، فلا تمييز بين أبنائها على أساس دينهم، أو مبادئهم السياسية أو طبقتهم الاجتماعية.[1]

الفكرة الأساسية التي تقوم عليها هذه البرامج، أن التعصب الفكري ينشأ بسبب مجاراة الأفراد كل في جماعته للمعايير الاجتماعية السائدة، فإن الاتجاهات التعصبية التي نشأت بسببها أو في كنفها سوف تتغير بالضرورة.

مع ذلك يتبين في بعض الحالات أن القوانين، يصعب أن تغير عادات وتقاليد ومعايير المجتمع الذي يعيش فيه الأشخاص المتعصبون فكريا، لأن ضغوط مجاراة هذه المعايير الاجتماعية، قد تمثل نقلا أقوى من ضغوط تنفيذ القوانين، وبالتالي يسلك الأفراد في إطار المعايير الاجتماعية ويعتبرونها هي وليس القوانين والتشريعات الرسمية، المحك الأساسي لتقويم سلوكهم.

- **البرامج التي تستهدف تغيير اتجاهات الأفراد المتعصبين:** تتعدد البرامج القائمة على تغيير اتجاهات الأفراد المتعصبين وإن اشتركت جميعا في أنها تهدف، إلى إحداث تغييرات من الأشخاص المتعصبين أنفسهم، تسمح بأن تتحول اتجاهاتهم التعصبية السلبية إلى الوجهة المقابلة أو على الأقل خفض درجة حدتها ومن هذه البرامج ما يلي:

– **الدعوة لمكافحة التعصب من خلال وسائل الإعلام:** يمكن من خلال أساليب التوعية والدعاية ومحاولات الإقناع أو الاستمالة التي تتم عن طريق الوسائط الإعلامية كالتلفزيون والراديو والصحف ...الخ، تقليل أو خفض التعصب

[1] زين العابدين درويش: **علم النفس الاجتماعي**، أسسه وتطبيقاته، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 1999، ص ص295-296

الفكري، والعداوة وما يرتبط بهما من أشكال التمييز المختلفة بين الجماعات أو بين الأفراد، وقد بدت البحوث التي أجريت في مجال التخاطب الجماهيري، وتغيير الاتجاهات بوجه عام واتجاهات التعصبية بوجه خاص، بعد فترة قصيرة من الحرب العالمية الثانية[1]

وتتحدد عناصر نموذج الإقناع أو الاستمالة الذي تعتمد عليه هذه البحوث في الشكل التالي:

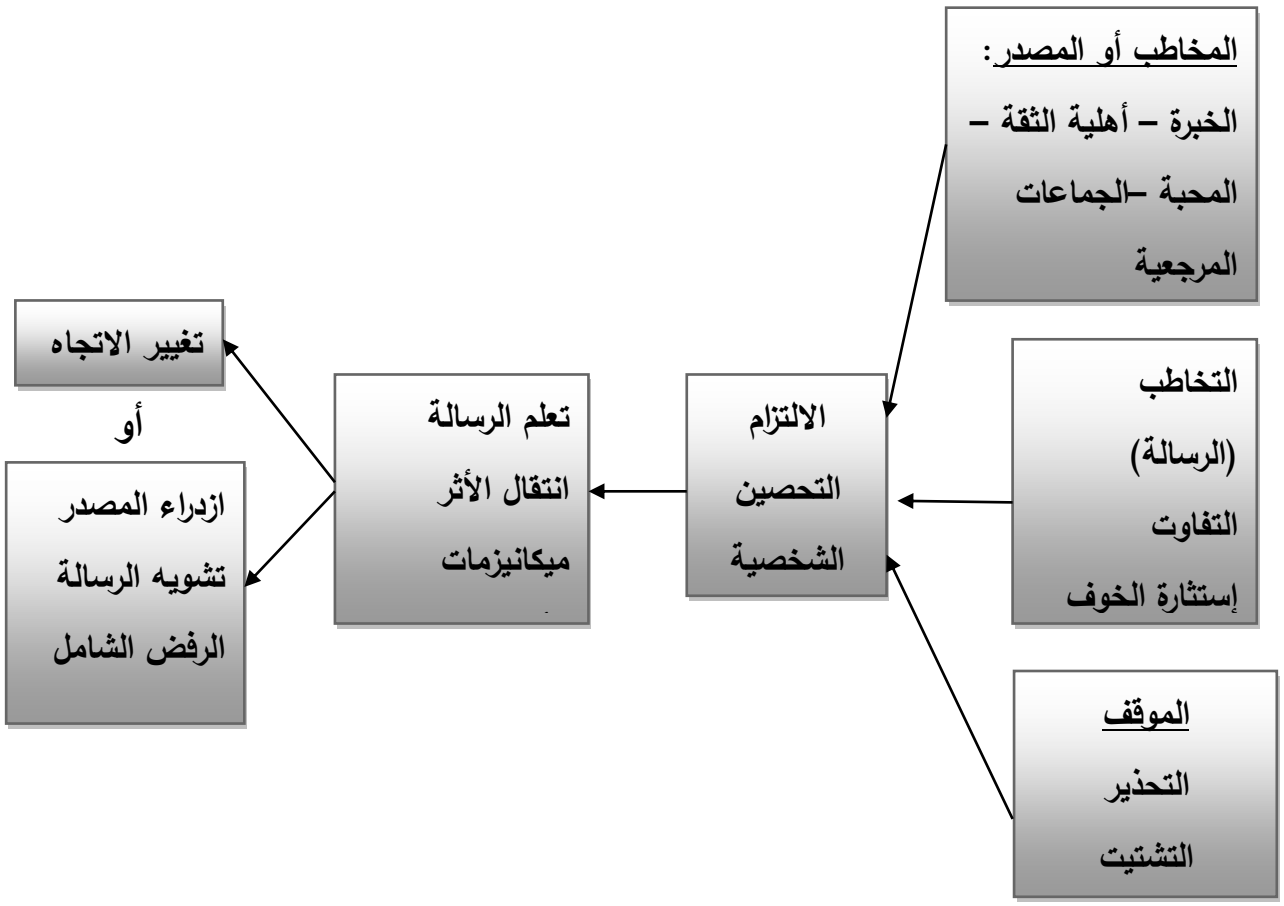

شكل رقم4: يوضح نموذج موقف الإقناع أو الاستمالة.[2]

ويمكن تلخيص عملية الإقناع أو الاستمالة التي يصورها الشكل السابق في أربع عناصر أساسية هي:

- **المنبهات الخارجية:** وهي المتغيرات التي يستهدف بها التأثير في الشخص المراد إقناعه وتغيير اتجاهاته التعصبية، وتشمل هذه المنبهات الخارجية: المخاطب (المصدر)–المضمون (الرسالة) – الموقف.

[1] المرجع السابق، ص ص296–298

[2] معتز سيد عبد الله، **الاتجاهات التعصبية**، مرجع سبق ذكره، ص 134

- **الهدف (المتلقي):** هناك خصال كثيرة للهدف (الفرد أو الأفراد)، المراد تغيير اتجاهاتهم تلعب دورا رئيسيا في عملية الإقناع أهمها مدى التزامه أو تمسكه بالاتجاه المراد تغييره، ومدى تحفظه ضد عملية التغيير هذه.
- **العمليات الوسيطية:** وهي العمليات التي تقيس إمكان حدوث تغيير في الاتجاهات التعصبية.
- **النتائج:** هناك بديلين من الاستجابة التي يمكن أن يصدرها الشخص كرد فعل لعملية الإقناع، فإما أن يحدث تغيير في اتجاه الشخص طبقا لمضمون الرسالة الاقناعية، وإما أن يقاوم الشخص التغيير وتأخذ هذه المقاومة عدة صور منها الازدراء أو الاحتقار لمصدر التخاطب، أو تشويه الرسالة ذاتها والتشكيك فيها.

هذه هي العناصر الأساسية لنموذج الإقناع أو الاستمالة الذي تعتمد عليه وسائل الإعلام في مكافحة التعصب الفكري أو محاولة تغيير الاتجاهات التعصبية.[1]

- **تيسير سبل الاتصال المباشر بين الجماعات:** يمثل الانتقال المباشر بين الجماعات المختلفة أحد الأساليب الهامة لمواجهة الاتجاهات التعصبية ومحاولة التخفيف من حدتها أو الوقاية منها، ويقوم الغرض الأساسي هنا في ضوء الاعتقاد، بأن الاتصال المباشر بين الجماعات يسهم في تخفيف حدة القوالب النمطية والاعتقادات الخاطئة والعمل على تغييرها، وأن التقارب والتفاعل يزيدان من المودة والمحبة كما يحدث عادة في ظروف الحياة الطبيعية.

وتؤكد دراسات عديدة أن الاتصال المباشر في حد ذاته ليس مفيدا دائما، بل لابد أن يحاط بظروف معينة، حتى يمكن أن تؤدي إلى تفعيل أو تغيير الاتجاهات التعصبية ومن هذه الظروف ما يلي:

- أن يكون الاتصال بين أشخاص ذوي مكانة اجتماعية متكافئة.
- زيادة المعرفة الشخصية، وتعني بالضرورة أن يتواصل الأفراد بهدف معرفة بعضهم البعض كأفراد في ذاتهم، وليس كأفراد ينتمون إلى جماعات محددة.
- التعامل مع أشخاص يخالفون القالب النمطي المتصور عن جماعتهم.
- الدعم الاجتماعي للجماعات موضع الاتصال، فيؤدي الاتصال بين الجماعات المختلفة إلى تقليل التعصب.
- الأداء التعاوني، فيكون موقف الاتصال ذو أثر فعال في تقليل التعصب، إذا تضمن هذا الموقف نشاطا ما يسمح لأفراد المجموعات المختلفة بالعمل معا كفريق يهدف إلى تحقيق رغبة مشتركة.[2]

---

[1] زين العابدين درويش، مرجع سبق ذكره، ص ص298-300

[2] المرجع السابق، ص 301

ومنه وحسب المقولة المشهورة، أنه إذا كانت الوقاية خير من العلاج بالنسبة لأي مرض، فنحن أحوج ما نكون إلى تبني هذه المقولة نفسها في مواجهة ظاهرة التعصب الفكري، لقد اهتم الكثير من الباحثين، في دراساتهم وأبحاثهم حول كيفية التخفيف من التعصب بأشكاله المختلفة وخاصة التعصب الفكري ومقاومته، وما ساعد على التصدي لهذه الآفة، تكوين جمعيات ومؤسسات تدعو لمقاومة التعصب والتخفيف منه وزيادة التفاهم بين الجماعات المختلفة، فمن منظورهم توجد عدة طرق أخرى للتخفيف من التعصب ومقاومته أهمها:

- نشر المعلومات الوافرة الصحيحة وإعطاء البيانات الموضوعية عن الأفراد والجماعات العنصرية خاصة في مجال علم الاجتماع وعلم الإنسان.
- نشر المبادئ الديمقراطية الصحيحة والقيم الإنسانية ومبادئ التسامح الاجتماعي.
- بث روح التعاطف بين أفراد المجتمع عن طريق التربية والتنشئة الاجتماعية السليمة منذ الطفولة المبكرة.
- إصلاح الجماعات التي يصدر عنها التوتر.
- تشجيع الاختلاط والاتصال الفعلي بين الجماعات وإتاحة الفرصة أمام الناس من عناصر وأجناس مختلفة للتفاعل والعيش معا.
- القضاء على أسباب نمو التعصب.
- إظهار عيوب التعصب ومضاره النفسية بالنسبة للمتعصبين أنفسهم.[1]

وبناءا على النظريات التي تناولت مفهوم التعصب، أسبابه، كذلك تناولت واقترحت بعض الأساليب للحد من الاتجاهات التعصبية، ومن بين هذه الاقتراحات:

- **الشخصية التسلطية:** ثمة دليل يوحي بأن الشخصية التسلطية تدين ذاتها، ذلك لأن الوالدين التسلطيين ينزعان إلى تنشئة أطفال تسلطيين، كما يرتبط مستوى التعليم بالتسلطية، مما يدعو إلى الافتراض بأن توفير التعليم وفتح أبواب الحصول عليه يساعد في الحد من التعصب.
- **الإحباط – العدوان – الحرمان النسبي:** طبقا لهذه النظرية، فإن تجنب الناس الإحباط وفقدان الأمل، وإتاحة المجال لهم. للتعبير عن إحباطاتهم بوسائل غير العداء للجماعات الأخرى يؤدي إلى الحد من التعصب والتمييز، غير أن هناك صعوبة في تغيير الظروف الاجتماعية الراهنة تغييرا جوهريا، نظرا لما تنطوي عليه هذه المحاولات من صعوبات عملية هائلة

[1] حامد عبد السلام زهران، مرجع سبق ذكره، ص ص183-184

- **مناحي الصراع:** ترى المناحي التي ترد التعصب والتمييز إلى الصراع بين الجماعات أن إزالة أسباب التنافس، وإحلال الأهداف المشتركة العليا التي تتطلب التعاون محل التنافس تعمل على إزالة العداء أو الحد منه.

- **مناحي التصنيف الاجتماعي والهوية الاجتماعية:** يقتضي الحد من التعصب وفقا لهذه النظريات، التغلب على الصور النمطية السلبية التي تحملها الجماعات عن بعضها البعض والتغلب على تلقائيتها في العمل بإخضاعها للعقل الواعي.

- **التنشئة الاجتماعية والحد من التعصب:** إن إحدى نظريات التعصب وهي نظرية التعلم الاجتماعي ترى، بأن الأطفال يكتسبون الاتجاهات السلبية إزاء مختلف الجماعات نتيجة سماعهم لوجهة نظر سلبية حول هذه الجماعات من قبل الأشخاص المهمين في حياتهم أو نتيجة لمكافأة هؤلاء الأشخاص للأطفال عند التصريح بمثل وجهات النظر هذه، فقد **وجد أشمور وديل يوكا**، أن اتجاهات الأطفال العنصرية تكون قريبة من اتجاهات والديهم، وأن الأطفال يتعلمون التعصبات التي يلاحظونها لدى والديهم.

فإذا صح القول، بأن اتجاهات الأطفال تتشكل نتيجة لملاحظاتهم للآخرين ذوي الشأن في حياتهم، فإننا نفترض عندئذ أن ثني الوالدين عن التصريح بوجهات النظر المتعصبة وعن سلوك التفرقة والتمييز، لابد أن يحول دون تطور التعصب والتمييز لدى الأبناء وهناك دليل يوحي بأن الاتجاهات التعصبية، ترتبط بتدني تقدير الفرد لذاته، وبأن خلق جو منزلي يعتمد فيه إنجاز الفرد على الجهد الجماعي يقلل من التعصب.[1]

– **التعصب والكتب المدرسية:** يقدم **بروكتر Procter**،العديد من الأمثلة التي تدعم وجهة النظر القائلة بأن الكثير من الكتب المدرسية، لاسيما كتب التاريخ، تنطوي على الاتجاهات التعصبية والعنصرية في بعض الأحيان على الأقل، سواء من حيث القصد الذي تنطلق منه أو من حيث التأثير الذي تتركه، ومما جاء به**بروكتر Procter**، من أمثلة على ذلك بيع الهنود الحمر جزيرة مانهاتن للأمريكيين مقابل دولارات معدودة فقط، حيث تؤخذ هذه الصفقة في ضوء القيمة الحالية للجزيرة كدليل على غباء الهنود الحمر، ويوضح **بروكتر Procter**،خلفية هذه الصفقة فيقول :" إن الهنود ينظرون إلى فكرة امتلاك أي شخص لأرض على أنها فكرة سيئة، لأن الأرض لا يمكن أن تكون ملكا لأحد، فلماذا يحاول أي شخص امتلاكها؟، ومن هنا كان بيع جزيرة مانهاتن نكتة في نظر الهنود، وقد أعطاهم أحد الناس **04** دولارات لشراء مالا يمكن استملاكه، فكانت فكرة بيع الأرض بالنسبة لهم كفكرة بيع (الشرف)بالنسبة للأوروبيين.

[1] روبرت مكلفين، ريتشارد غروس: **مدخل الى علم النفس الاجتماعي**، ترجمة / ياسين حداد، موفق الحمداني، فارس علمي، دار وائل للنشر، عمان، الأردن، ط1، 2002، ص ص273–275

ويورد **أوسوبمباه Owusu-bempah وهويت Howitt**، أمثلة حديثة حول هذا الموضوع، فيشيران إلى أن بعض الكتب الدراسية البارزة في علم النفس، تصف الأمم السوداء بعبارات إزدرائية مهينة مثل:" **بدائيين ومتخلفين، بربارريين** "، أن على جميع علماء النفس أن يظلوا في شك من مدى سعة أفقهم فلا جدوى من شجب التعصب لدى الآخرين، وإهمال ما يجري من تعصب داخل بيت علم النفس ذاته.[1]

ومن بين الدراسات الناجحة التي عالجت كيفية تغيير الاتجاهات التعصبية، ما قام به الباحث **روس**، سنة **1947** في مسح الدراسات التي أجريت عن تخفيف حدة التعصب، قائمة بعشرين بحثا أوضحت أثر برامج المدرسة والدعاية المنظمة والاتصال الشخصي في تغيير الاتجاه، ومن بين تلك الدراسات الناجحة التي يستشهد بها، تلك التي قام بها كل من **مافيوس سميث وريموز**.

ويخلص كل من **ليفين وجراب** في دراستهما، التي قاما بها سنة **1945**، أن تغيير الاتجاهات التعصبية يعتمد بشكل أساسي على المعالجة الفعالة لبيئة الفرد ويلخص ذلك في العبارة التالية: "أننا من الممكن أن نفعل الكثير في عملية تغيير أو تعديل الاتجاهات التعصبية، عن طريق عملية إعادة التربية وأثرها الفعال في تغيير أو تعديل المجال السيكولوجي للفرد".[2]

والواقع أن التعصب، بوصفه ظاهرة بشرية خالصة، تنتمي إلى مجال العلاقة بين إنسان وإنسان، يمكن أن تعالج بطرق وأساليب مختلفة، ومن زوايا متعددة، ففي استطاعة علم النفس، وعلم الاجتماع والتاريخ، والعلوم البيولوجية، بإمكانها أن تلقي الضوء على ظاهرة التعصب، وأن تساعد الإنسان من إزالة الغشاوة التي أعمت بصيرة البشرية ردحا من الزمن، كذلك الفلسفة بإمكانها أن تساهم في الكشف عن جوانب خفية وأساسية منها، وأن تزيح النقاب عن تلك البناءات الكامنة التي قد لا ينتبه إليها أي علم من العلوم السابقة، حيث يرى متخصصي الفلسفة الذين اهتموا بدراسة التعصب كقضية فلسفية جدلية، أن هناك أبعاد لمشكلة التعصب أعمق من تلك التي تناولتها العلوم الخاصة، هذه الأبعاد العميقة التي تكمن من وراء معالجة علمية خاصة لمشكلة التعصب، تتكشف للتفكير الفلسفي وحده.[3]

---

[1] المرجع السابق، ص ص275-278

[2] فهمي مصطفى، علي القطان محمد: **علم النفس الاجتماعي، دراسات نظرية وتطبيقات عملية**، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1977، ص183

[3] فؤاد زكريا: **آراء نقدية في مشكلات الفكر والثقافة**، دار وفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، مصر، ط1، 2004، ص ص51-52

وبالنظر لنتائج بعض الدراسات التي اهتمت بالتعصب، اقترح الباحثون بعض الطرق لمواجهته والتي نوجزها في: حسب ما جاء في دراسة **ليوسف زكريا الداعور**، حول **(الدور التربوي للجامعات الفلسطينية في مواجهة التعصب الحزبي لدى طلبتها، من وجهة نظر أعضاء الهيئة التدريسية)**، فتوصل إلى اقتراح بعض الحلول لمواجهة التعصب، حيث يحدد بعض العوامل التي يجب أن توضع في الحسبان من أجل الاتصال بين الجماعات والتي تقلل من حدة التعصب وهذه العوامل:

- المساواة في المكانة لتخفيف التعصب
- الإيمان بالأهداف العامة المشتركة.
- النجاح يساهم في تخفيف التعصب.
- المشاركة في صنع القرار.[1]

وأسفرت الدراسة عن نتائج تتمثل في الدور التربوي للجامعات في مواجهة التعصب:

- لابد من الاهتمام بالهيئة التدريسية من حيث تطوير أدائهم في مشاركة الطلبة في الأنشطة المختلفة.
- مساعدة الهيئة التدريسية على التصرف بلغة الحوار مع الطلبة وبروح المحبة.
- ضرورة العمل على أن تشمل المناهج الجامعية على مقررات تنبذ العنف والتعصب بأشكاله.
- على الجامعة أن توفر المساحة الكافية لموظفيها وطلبتها فرصة الحوار والاستماع للفكر والفكر الآخر.
- تضمين المناهج والمقررات الدراسية المزيد من المواد والمساقات الغنية بمضامين ثقافة وقيم التسامح.
- على عضو هيئة التدريس، توجيه الطلبة نحو فهم أبعاد الشخصية الإنسانية من خلال التحاور وسماع الرأي الآخر.
- أن يلتزم عضو هيئة التدريس بتنمية مهارات الاتصال لدى طلبتهم، وأن يكونوا قدوة ونموذج يحتذى به.
- إشاعة مناخ تسامحي داخل الجامعة، وذلك بانتهاج نمط إداري تسامحي، وترسيخ احترام كرامة الطلبة، وتفعيل أجواء التواصل والحوار الحضاري داخل الجامعة وفي محيطها الاجتماعي.[2]

وفي دراسة أخرى، بينت أنه لمكافحة التعصب، يجب أخذ التدابير اللاّزمة والتي تتمثل في:

- على مؤسسات التنشئة الاجتماعية، توفير بيئة مناسبة للطفل بعيدة عن التعصب والتحيز لمجموعة معينة دون أخرى، وبث روح التعاطف بين أفراد المجتمع عن طريق هذه المؤسسات منذ الطفولة المبكرة.

---

[1] يوسف زكريا ابراهيم الداعور: **الدور التربوي للجامعات الفلسطينية في مواجهة التعصب الحزبي لدى طلبتها**، من وجهة نظر أعضاء الهيئة التدريسية، أطروحة ماجستير، تخصص أصول تربية، كلية التربية، جامعة الأزهر، غزة، فلسطين، 2012، ص 60

[2] المرجع السابق، ص 112

- توجيه القسم المعني بمناهج التعليم في وزارة التربية بضرورة وضع مناهج تشجع على إشاعة روح التسامح والمرونة في التفكير.[1]
- في دراسة أخرى تؤكد على ضرورة مواجهة التعصب، وذلك من خلال:
- إصدار نشرات توعية تبين مخاطر التعصب على العملية التعليمية بشكل خاص، وعلى المجتمع بشكل عام.
- عقد ندوات في حرم الجامعة تدعوا إلى التسامح وتقبل الرأي الآخر، يقوم بها أساتذة وطلبة ومشاركة الجهات ذات الاهتمام في الموضوع.
- إجراء دراسة تجريبية متخصصة تهدف إلى تصميم برامج إرشادية تقلل من درجة التعصب وإحلال ثقافة الحوار والتسامح بدلا منها.
- تجنب سياسات الإثارة والترويج الباطل لظواهر الجريمة والتطرف والإرهاب.
- عقد ورش، مؤتمرات، لقاءات شبابية وطلابية لحث الطلاب على ثقافة الحوار والديمقراطية ونبذ ثقافة التطرف والتعصب بكل أشكاله وأنواعه.
- تفعيل دور الأطر السلمية الطلابية لنشر قيم التسامح والحوار بدلا من المناكفات ودعوات التأزم والانتقام.[2]

ولعل أهم المبادئ والقواعد التي تسهم بشكل كبير في نبذ التعصب الفكري، هي الحوار والنقاش كأسلوب حضاري فعال في حل المشاكل المعقدة بين الأفراد باختلاف مكاناتهم ومستوياتهم، وهي النتيجة التي سعينا لإثباتها من خلال هذه الدراسة، حيث تتفق مع رؤيتنا لحل مشكلة التعصب.

فأهمية النقاش تنطلق من الاعتماد على البراهين والحجج، وأن يحرص المتحاورون على مراعاة الأسلوب الحسن، مع تحكيم العقل، لأن الفكر المقلد وأن الجدال، هو أمر استثنائي والحوار هو الأصل، حيث لا يمكن للنقاش أن يصل إلى الحقيقة والإقناع، إذا كان كل واحد من المتحاورين، يدعي أنه على صواب وأن الآخر هو المخطئ، وهذا ما أكد عليه **الشافعي** من خلال مقولته المشهورة: " **رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب** "

---

[1] عدنان محمود عباس، زهرة موسى جعفر: **التعصب لدى المراهقين (دراسة مقارنة)**، مجلة ديالي، العدد الثامن والخمسون، جامعة ديالي، بغداد، العراق، 2013، ص 261

[2] حسني عوض، محمد عبد العزيز: **درجة التعصب لدى طلبة الجامعات الفلسطينية والسودانية (دراسة عبر ثقافية مقارنة)**، مجلة علوم إنسانية، العدد 46، السنة الثامنة 2010، نقلا عن الموقع الالكتروني:
http://www.qou.edu/arabic/researchProgram/researchersPages/hussniAwad/intoleranceAmongStudents، ص 39

إذا وضعت هذه العبارة كقاعدة ومنارا للنقاشات والحوارات والمناظرات، لتم تحقيق تقدم ملحوظ في مجال مكافحة التعصب الفكري، وهناك جوانب لابد من مراعاتها لكي نخفف من حدة النقاش بين المتحاورين، والتي يقسمها الباحث إلى جوانب شخصية، ثقافية، وجوانب عامة وهي:

- **الجوانب الشخصية:** إشعار الطرف الآخر، بأن الفكرة ناتجة من بعض أفكاره وأنها تنتمي إليه بشكل أو بآخر.
- المرونة في استخدام بعض العبارات.
- إجادة إقفال النقاش الذي قد يزيد من حدة الخلاف.
- عدم سلوك طريقة الحوار ذات الحجج الواهية.
- التهيئة النفسية لقبول الرأي الصواب مهما كانت نتائجه.

الجوانب الثقافية:

- القدرة على تلخيص الموضوع لتحقيق هدف واضح محدد في نهاية النقاش.
- استخدام صيغة نحن، وتجنب استخدام كلمة أنا.
- التقيد بآداب النقاش من احترام وإنصات.
- أهمية التركيز على الرأي والفكرة وليس على الشخص المناقش.

الجوانب العامة:

- أهمية ترتيب الأفكار وتسلسلها ووضوحها.
- عدم إصدار أحكام مسبقة، أو أحكام مبكرة على أفكار الطرف الآخر.
- تحديد آليات معينة للنقاش في حالات وجود مجموعة من الأفراد وعبر الوسائل الإعلامية.
- تحديد هدف واضح لموضوع النقاش.
- أهمية التعرف إلى الطرف الآخر، مثلا مستواه العلمي، والعمر ونحوها من الصفات التي قد تساعد في تحديد طريقة النقاش
- استخدام أسلوب المجاملة لاكتشاف بعض عناصر القوة والضعف في الطرف الآخر.
- إظهار التقدير والاحترام للطرف الآخر بعد نهاية النقاش.[1]

[1] محمد بن علي العتيق: **التعصب الرياضي (أسبابه – آثاره – وسبل معالجته بالحوار)**، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، المملكة العربية السعودية، ط1، 2013، ص ص60-61

4- الدراسات المتعلقة بالتعصب الفكري:

استقطب موضوع التعصب اهتمام العديد من الباحثين في مجال علم النفس وعلم الاجتماع وعلم النفس الاجتماعي، أصبح يشكل معضلة تستدعي توافر الجهود العلمية والسياسية والامنية لإيجاد حلول لها، وفعلا فالدول العربية تحصد الآن نتائج ما خلفه التعصب بمختلف أنواعه، وهي الإرهاب والتطرف خاصة التطرف الديني والسياسي والفكري، فكان علينا الاطلاع على الدراسات السابقة التي عالجت ظاهرة التعصب في الوطن العربي وبعض الدراسات في بعض الدول الغربية، أولا، كخطوة أساسية في البحث العلمي، وثانيا لمعرفة نتائج هذه الدراسات ومدى اتفاقها واختلافها مع الدراسة الحالية.

- دراسات أجنبية

4 – 1 . دراسة كرس توكر (2010).

دراسة بعنوان: **لماذا يجب على منفتحي العقول، أن يصدقوا الدجماطية**، وهي دراسة مقدمة لمنتدى المنظورات الفلسفية بالمجلة الشخصية وعلم النفس الاجتماعي بجامعة أوكلاند، من خلال تطرقه إلى الدوجماطية في علم النفس المعرفي كعلم يختص بكل ما له علاقة بالعمليات المعرفية، من حيث كيفية تمثيل الإنسان للمعلومات الواردة عبر أجهزة الحس، وأن الدوجماطية عملية عقلية معرفية تتميز بالتشدد والتعصب، وأن الأفراد الدوجماطيون يتسمون بالتشدد مع أصحاب المعتقدات المناهضة دون أية محاولة للتعرف على تلك الأفكار والمعتقدات المناهضة والآراء المخالفة والتفكير فيها، ومقابل ذلك يتسمون بالتسامح مع أصحاب المعتقدات المتشابهة، وأن الناس المنفتحون يجب أن يصدقوا الدوجماطية بسبب توضيحاتها وتبريراتها القوية، ويضيف الباحث، أن الدجماطية اتجاه نحو التمسك العنيد بالمعتقدات والمذاهب، ورؤية للتبرير غير المنطقي وغير الاستنتاجي، فالدوجماطي يرى أن التجارب تكفي لأول وهلة للتبرير.[1]

4-2. دراسة Kim et Ju(2008).

هدفت الدراسة إلى التعرف على تصورات أعضاء هيئة التدريس حول تشارك المعرفة وتقاسمها، والعوامل الأكثر تأثيرا على هذه العملية، ولتحقيق ذلك تم تطبيق استبانة على عينة من أعضاء هيئة التدريس في إحدى الجامعات الخاصة بكوريا الجنوبية بلغت **70** فردا، وقد أسفرت النتائج عن أن من أبرز العوامل المؤثرة في عملية التشارك المعرفي ما يرتبط باتجاهات أعضاء هيئة التدريس ومدى قناعتهم بهذه العملية واستعدادهم لها.

[1] وفاء مصطفى محمد عليان، مرجع سبق ذكره، ص ص104-105

3-3. دراسة Jain et AL(2007)

هدفت الدراسة إلى التعرف عن أهمية تبادل المعرفة وتشاركها بين أعضاء هيئة التدريس، ومعوقات ذلك، والآليات اللازمة لتشجيع تقاسم المعرفة وتشاركها، طبق الباحث استبانة على عينة من أعضاء هيئة التدريس بكليات إدارة الأعمال في ماليزيا بلغت **225** فردا، وقد أسفرت النتائج عن موافقة أغلب أفراد العينة على أهمية التشارك المعرفي في البيئة الأكاديمية، وأن في مقدمة معوقات التشارك المعرفي ما يتمثل في قلة المكافئات والتقدير وضيق الوقت ونقص الأنشطة الرسمية وغير الرسمية لغرس ثقافة تشارك المعرفة.[1]

4 – 4 . دراسة روجر وايت (2006)

الدراسة بعنوان: **مشكلات الدوجماطية**، حيث ناقش الباحث، أن مثل هذا التفكير الدجماطي يعمل على عزل الشخص عن الخبرات الاجتماعية والعلاقات مع الآخرين والعقلية المتطورة، فالمرتفعون في الجمود تنخفض حاجاتهم إلى التغير والفكر الإبداعي المتطور، وتقل قدرتهم على تنظيم أفكار جديدة تتكامل فيها معتقداتهم، وهم أقل قدرة على التخلي عن أفكارهم التي يؤمنون بها، ويجادلون من أجلها، توصل **روجر وايت**، إلى أن الاعتماد على التبرير غير المنطقي للمعتقدات والفروض غير المتوافقة مع المشكلات، وإنكار وجود بدائل شكاكة نحو بعض المعتقدات تجعل هذه المشكلات لا زالت تظهر، وخلص إلى مفهوم الدوجماطية، أصبح من المواضيع الهامة والجديرة بالدراسة، خصوصا إذا ما أخذنا في الاعتبار طبيعتها كمتغير معرفي من متغيرات الشخصية والاجتماعية والآثار السلبية التي تتمخض عن السلوك الدوجماطي للفرد والأسرة والمجتمع.[2]

4 – 5. دراسة للانسي هيكي (2004)

دراسة بعنوان: **نقد الدوجماطاية**، تطرقت هذه الدراسة إلى المشكلات المعاصرة في نظرية المعرفة، وصف الدوجماطي، بأنه يدعي امتلاك الحقيقة، ولا يستخدم القدرة النقدية، ولا يقدم أسباب منطقية مقنعة، فهي بذلك مفتاح هام لفهم الشخصية أحادية الفكر، واصفا إياها بأنها ناتج عن عمليات معرفية متعددة تؤدي بالإنسان إلى الانغلاق على فكرة أو أفكار معينة، ولا يقبل المناقشة أو إعادة النظر في الأفكار، ولا يتقبل الرأي الآخر المخالف له، ويعتبر أفكاره من الثوابت المطلقة، وإنكار الآخر ورفضه باعتباره على باطل مطلق، ويترتب على ذلك سمات شخصية

---

[1] ثروت عبد الحميد عبد الحافظ، ياسر فتحي الهنداوي المهدي: **واقع ممارسة التشارك المعرفي لدى أعضاء هيئة التدريس، دراسة تطبيقية على كليات التربية في بعض الجامعات العربية**، مجلة العلوم التربوية والنفسية، جامعة البحرين، المجلد 16، العدد 4 ديسمبر 2015، ص ص495-496

[2] وفاء مصطفى محمد عليان، مرجع سبق ذكره، ص 106

مضطربة، لمقاومة التغير للأفكار والمعتقدات والمعلومات المخالفة لنسق معتقدات الفرد، وكلما ازدادت هذه المقاومة اتجه نسق المعتقدات إلى الانغلاق.

4 –6 . دراسة جيمس بريور (2000)

دراسة بعنوان: **الشكاك والدوجماطي**، دراسة مقارنة بين معرفة ومعلومات وتبريرات الشكاك والدوجماطي، دراسة مسحية مقارنة على عينة من طلبة جامعة هارفارد بالولايات المتحدة الأمريكية، ومن نتائج الدراسة، أن الشكاك لن يعطي أي معرفة ومعلومة حاسمة أو أكيدة حول متغيرات البيئة المحيطة، إلاَ عند تقديمه تبرير مدرك ومناسب ومعقول دائما، ولا يقدم هذه المعلومات بشكل غيبي حدسي، وإنما يقدمها من خلال كل التجارب التي خاضها سواء كانت تجارب خاطئة أو صائبة ويصر على الكفاح لدحض أي معتقد غير متأكد منه، أما الدوجماطي، فليس لديه معرفة حقيقية، ولا يمكنه إعطاء أي معرفة على مستوى الاعتقاد الإدراكي في البيئة المحيطة، ويناقض الحقائق الواضحة دفاعا عن المتعارف عليه والمألوف، فليس لديه تبرير منطقي وعقلاني عند تعرضه لإحدى المشكلات، كما لا يجد لديه بدائل متنوعة للأفكار التي تعتمد على الفرضيات، فهو يحتاج إلى الشك كي يقوم بتقديم البدائل ذات التبرير المدرك، وخلص إلى أن الدوجماطية قد تبدو جذابة للفرد لأنها تقدم تبرير ملائم لما يتوافق مع معتقداته ومبادئه.[1]

4–7. دراسة سوبCobb (1970)

هدفت إلي البحث عن: **العلاقة بين القلق والتعصب، وعلاقة التعصب بالدوجماطية**، وذلك على عينة قوامها(**277**)من طلاب المدارس الثانوية المتوسطة والعليا الأمريكية، حيث طلب منهم وصف الكنديين والزنوج واليهود والفرنسيين، وقد أشارت النتائج إلى أن أكثر الشعوب قبولاً لدى العينة تمثلت فى الكنديين والزنوج والفرنسيين ثم اليهود، كما أشارت الدراسة إلى أن الطلاب الذين لديهم رفض للذات كانوا أكثر رفضاً للآخرين، كما أشارت أيضا إلى وجود ارتباطات دالة بين رفض الذات والقلق والدوجماطية، وأشارت الدراسة إلى عدم وجود علاقة بين التعصب نحو الأقليات والدوجماطية والقلق.[2]

– دراسات عربية

4–8. دراسة ثروت عبد الحميد عبد الحافظ، ياسر فتحي الهنداوي المهدي (2013)

حاول الباحثان من خلال هذه الدراسة الموسومة: **واقع ممارسة التشارك المعرفي لدى أعضاء هيئة التدريس**

[1] المرجع السابق، ص ص107–109

[2] أحمد محمد شافعي أحمد، مرجع سبق ذكره، ص 25

(دراسة تطبيقية على كليات التربية في بعض الجامعات العربية)، التعرف على واقع ممارسة التشارك المعرفي والعوامل المؤثرة فيه لدى أعضاء هيئة التدريس بكليات التربية في بعض الجامعات العربية، وصولا إلى آليات اقتراح لتعزيز ممارسة التشارك المعرفي والتغلب على معوقاته بين أعضاء هيئة التدريس، وقد اعتمدا في المعالجة المنهجية على المنهج الوصفي، بالاستعانة بأسلوب التحليل العاملي الاستكشافي، لتحديد هوية العوامل المؤثرة في ممارسة التشارك المعرفي والعوامل المؤثرة فيه، تم تطبيقها على عينة من **144** عضو من أعضاء هيئة التدريس في كليات التربية بجامعات (الأزهر – عين شمس – السلطان قابوس – الملك خالد)، وقد أسفر البحث عن مجموعة من النتائج أهمها:

– أن النسبة الإجمالية لممارسة التشارك المعرفي لدى أعضاء هيئة التدريس في كليات التربية بالجامعات الأربعة، تقع في المدى المتوسط وتؤكد الحاجة لتنمية التشارك المعرفي لدى أعضاء هيئة التدريس، كما أسفر التحليل العاملي عن عاملين رئيسيين هما: العامل التنظيمي والعامل الشخصي، كعوامل مؤثرة في ممارسة التشارك المعرفي، وأن تأثير العاملين التنظيمي والشخصي يتراوح بين مدى التأثير المرتفع والمتوسط في بعض الجامعات، كما أكدت النتائج على دور العامل التنظيمي في تحديد ممارسة التشارك المعرفي في جميع الجامعات.[1]

4-9. دراسة يوسف زكريا إبراهيم الداعور(2012)

عالج الباحث التعصب من خلال : **الدور التربوي للجامعات الفلسطينية في مواجهة التعصب الحزبي لدى طلبتها، من وجهة نظر أعضاء الهيئة التدريسية**، حيث حاول الباحث من خلال هذه الدراسة، إلى التعرف على أهم الأدوار التربوية للجامعة في مواجهة التعصب الحزبي لدى الطلبة من وجهة نظر أعضاء الهيئة التدريسية، وذلك من خلال استخدام المنهج الوصفي التحليلي، وقد تم تطبيق الدراسة على عينة من أعضاء الهيئة التدريسية من جامعتي الأزهر والقدس المفتوحة بغزة ، بلغ قوامها **205** عضو من الهيئة التدريسية، تمثلت في بيان آراء أعضاء الهيئة التدريسية لمعرفة دور الجامعيين في مواجهة التعصب الحزبي لدى الطلبة من إعداد الباحث عبر استخدام الأساليب الإحصائية (المتوسطات والانحراف المعياري والأوزان النسبية، معامل الارتباط بيرسون، **إختبار(ت)،تحليل التباين الأحادي والثنائي ومعاملات (α) لكرونباخ، جيتمان وسبيرمان بروان** لتحليل البيانات و التي جاء أبرز نتائجها : أن الوزن النسبي لممارسة الجامعة لدورها التربوي بمستوى مرتفع بلغ **26،34%**، بينما بمستوى منخفض بلغ **10،73%**،في حين بلغ في المستوى المتوسط **62،93%** ، وهذا وبينت عدم وجود فروق دالة إحصائيا عند مستوى **(α)**أصغر أو تساوي **0،05** في متوسط درجات أعضاء الهيئة التدريسية لجامعة القدس

[1] ثروت عبد الحميد عبد الحافظ، ياسر فتحي الهنداوي المهدي، مرجع سبق ذكره، ص 480

المفتوحة، إضافة إلى ذلك فقد أظهرت الدراسة أيضا عدم وجود فروق في استجابات العينة على الاستبيان تعزى لسنوات خبرة العينة، وأخيرا أظهرت الدراسة عدم وجود أثر دال إحصائيا للتفاعل بين المتغيرات التصنيفية للعينة المستهدفة من أعضاء الهيئة التدريسية : الجنس – الجامعة – سنوات الخبرة – الدرجة العلمية على الدور التربوي للجامعة في مواجهة التعصب الحزبي كدرجة كلية وكدرجة كلية للأبعاد (رؤية وفلسفة الجامعة، الأنشطة التربوية للاتصال والتواصل المجتمعي)،مما أعطى صورة واضحة على أن النتائج التي خرجت بها هذه الدراسة قد أجمع عليها كافة أعضاء الهيئة التدريسية بمختلف جامعاتهم وجنسهم ودرجاتهم العلمية وخبراتهم التربوية.[1]

– 4–10. دراسة أماني الدوسري (2011)

عالجت الباحثة موضوع التعصب من خلال الكشف عن: **العلاقة بين الجمود الفكري والمسؤولية الشخصية الاجتماعية لدى عينة من عضوات هيئة التدريس بجامعة أم القرى في ضوء بعض المتغيرات الديمغرافية**، وهدفت إلى معرفة درجة كل من الجمود الفكري والمسؤولية الشخصية الاجتماعية ببعديها الشخصي والاجتماعي لدى عضوات هيئة التدريس بجامعة أم القرى، وذلك على عينة عشوائية بلغت **(202)**، عضوة من عضوات هيئة التدريس بجامعة أم القرى وطبق عليهم مقياس الجمود الفكري من إعداد الباحث، توصلت الباحثة إلى النتائج التالية:

- انخفاض مستوى الجمود الفكري لدى عينة الدراسة
- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في كلا من الجمود الفكري والمسؤولية الشخصية الاجتماعية

وبعديها الشخصي والاجتماعي لدى عينة الدراسة، تعزى إلى اختلاف كلا من التخصص (علمي – أدبي)، والحالة الاجتماعية (متزوجة – غير متزوجة)، والجنسية (سعودية – غير سعودية).

- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في كلا، من الجمود الفكري والمسؤولية الشخصية الاجتماعية

وبعديها الشخصي والاجتماعي لدى عينة الدراسة، تعزى إلى اختلاف الدرجة العلمية (دكتوراهـ ماجستير ـ بكالوريوس)، أما بالنسبة لبعد المسؤولية الاجتماعية، والدرجة الكلية للمسؤولية الشخصية الاجتماعية، فلقد تبين وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين فئة (الدكتوراه)، وفئة (البكالوريوس) لصالح فئة (الدكتوراه).

– لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في كل من الجمود الفكري والمسؤولية الشخصية الاجتماعية وبعديها الشخصي الاجتماعي لدى عينة الدراسة، تعزى إلى اختلاف كل من التخصصي والدرجة العلمية، والحالة الاجتماعية والجنسية لدى عينة الدراسة.

[1] يوسف زكريا إبراهيم الداعور، مرجع سبق ذكره، ص، ص (ر، ز)

4-11 . دراسة هاشم أغا (2010)

الدراسة بعنوان: **رؤية تربوية للخروج من أزمة التطرف الفكري في المجتمع الفلسطيني بمحافظات غزة،** هدفت الدراسة إلى التعرف على ظاهرة التطرف في المجتمع الفلسطيني لمحافظات غزة، ومعرفة الأسباب الأكثر شيوعا والتي دفعت باتجاه تسريح السلوك المتطرف، ومن ثم وضع رؤية تربوية لمواجهة التطرف والخروج من هذا المأزق وذلك على عينة مقدارها **(158)**، من التربويين، واستخدم الباحث استمارة بحث تتكون من **(104)** من الفقرات.

توصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

- توفر التطرف الفكري في المجتمع الفلسطيني بمحافظات غزة، حيث حصلت درجة واقع التطرف على وزن نسبي قدره **(56,69)**، وقد كانت أكثر العوامل شيوعا في تأجيج التطرف، العوامل الاجتماعية والتي احتلت المرتبة الأولى بوزن نسبي قدره **(80,99)**، ومن ثم وضع رؤية تربوية للخروج من أزمة التطرف.[1]

4-12. دراسة حسني عوض، ومحمد عبد العزيز(2009)

الدراسة بعنوان: التعصب **لدى طلبة الجامعات الفلسطينية والسودانية، دراسة عبر ثقافية مقارنة،** هدفت إلى معرفة مستوى التعصب لدى طلبة الجامعات الفلسطينية والسودانية، التعرف على الفروق في درجة التعصب لدى طلبة الجامعات الفلسطينية والسودانية، استخدم الباحثان المنهج الوصفي التحليلي، وقد اختارا عينة عشوائية طبقية بلغ قوامها **800** طالب وطالبة موزعين على عدد من جامعات فلسطينية وسودانية، ولتحقيق أغراض الدراسة استخدم الباحثان أداتين: الأولى استمارة البيانات الأولية والتي تضمنت المعلومات المرتبطة بالمتغيرات الديمغرافية للمبحوثين وتمثلت الثانية في مقياس التعصب لدى طلبة الجامعات الفلسطينية والسودانية، حيث توصل الباحث الى النتائج التالية:

- يوجد فروق في درجة التعصب بين الطلبة الفلسطينيين والسودانيين، وقد كانت الفروق لصالح الطلبة الفلسطينيين
- عدم وجود فروق في درجة التعصب لدى طلبة الجامعات الفلسطينية والسودانية تبعا لمتغير التحصيل الدراسي
- وجود فروق في درجة التعصب لدى طلبة الجامعات الفلسطينية والسودانية تبعا لمتغير مكان السكن، وقد كانت الفروق بين الطلبة من سكان المدينة وسكان القرية لصالح الطلبة من سكان المدينة

وعلى ضوء النتائج المتوصل إليها، خلص الباحثان إلى صياغة مجموعة من التوصيات، أهمها:

[1] وفاء مصطفى محمد عليان، مرجع سبق ذكره، ص ص103-104

- إصدار نشرات توعية تبين مخاطر التعصب على العملية التعليمية بشكل خاص، وعلى المجتمع بشكل عام
- عقد ندوات في حرم الجامعة تدعو إلى التسامح وتقبل الرأي الآخر يقوم بها الأساتذة والطلبة ومشاركة الجهات ذات الاهتمام في الموضوع.[1]

4-13. دراسة سمية امبارك (2009)

تناولت الباحثة في هذه الدراسة أحد المتغيرات ذات العلاقة بالتعصب، وتمثلت في: **الفروق في الجمود الفكري**، حيث هدفت، إلى التعرف على مدى انتشار الجمود الفكري في الوسط الطلابي الجامعي، وإمكانية وجود علاقة بين الجمود الفكري وكل من التخصص والجنس، تكونت عينة الدراسة من **(150)**، طالب وطالبة، واستخدمت مقياس الجمود الفكري من إعداد **جون راي** بترجمة من الباحثة، وقد انتهت الدراسة إلى أن، مستوى الجمود الفكري لدى الطلبة أعلى من الدرجة الوسيطية، كما أنه لم تظهر فروق دالة إحصائيا بين الجنسين في الجمود الفكري، غير أنه بالنسبة للتخصصات وجدت الباحثة أن طلبة العلوم السياسية أكثر جمودا فكريا من طلبة العلوم البيولوجية والعلوم الإسلامية.[2]

4-14 . دراسة السيد سلامة إبراهيم الخميسي(1991)

دراسة حول: **تربية التسامح الفكري** أو نحو صيغة تربوية مقترحة لمواجهة التطرف، تبين هذه الدراسة أن التعصب، يشكل إحدى أخطر المشكلات التي تواجه الشباب العربي، وهذه المشكلة تحتاج إلى جهود تربوية حضارية بعيدة المدى تربط الجهود الإنمائية العامة للمجتمع، وينطلق الباحث من ملاحظاته الخاصة بانتشار التعصب الفكري والديني في المجتمع العربي ولاسيما عند فئة الشباب وعبر التحليل، يبين أن مشكلة التعصب والتطرف في مجتمعاتنا العربية الإسلامية عامة، إنما تكشف عن قصور وعجز الأنظمة التربوية والتعليمية قبل غيرها من الأنظمة المجتمعية الأخرى، وعدد الباحث عدة نقاط وعوامل أساسية تدخل في تكوين ظاهرة التعصب في مصر وهي:

- الحجر على تفكير الآخرين وفرض الوصايا عليهم باسم الدين وفرض العقوبة عليهم.
- انتشار ظاهرة العنف الديني وتكفير الآخرين.
- شيوع أنماط سلوكية تتسم بالعنف في مجال الأسرة والمدرسة.
- التطرف مظهر من مظاهر التعصب للرأي وفي النهاية يقترح الباحث مشروعا تربويا يؤكد فيه على التسامح ويرفض التعصب والتطرف.[3]

---

[1] حسني عوض، محمد عبد العزيز، مرجع سبق ذكره، ص ص 1-2

[2] أماني بنت محمد بن سعد الدوسري، مرجع سبق ذكره، ص، ص 64، 68

[3] علي أسعد وطفة، عبد الرحمن الأحمد: **التعصب ماهية وانتشارا في الوطن العربي**، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، المجلد 30، العدد 03 مارس 2002، ص ص 94-95

4-15.دراسة المرسي(1989)

استهدفت الدراسة معالجة: **العلاقة بين حجم الجماعة ودرجة التعصب لدى طلاب الجامعة**، أجري البحث بكلية التربية دمياط بمصر، ومن ضمن أهدافها، التعرف على الفروق بين الجنسين من الذكور والإناث في التعصب والفروق بين طلاب الشعب المختلفة في التعصب، تكونت عينة الدراسة من **259** طالبا وطالبة، وقد استخدم الباحث مقياس التعصب، فكان من أهم النتائج التي توصلت إليها: هي وجود فروق بين الطلاب في المجموعات الكبيرة والصغيرة في درجة التعصب لصالح الجماعات الصغيرة، كما أوضحت الدراسة إلى وجود فروق بين الطلاب والطالبات في التعصب لصالح الإناث، كما أشارت إلى عدم وجود فروق بين الطلاب في الشعب الدراسية المختلفة.[1]

5-مناقشة الدراسات التي اهتمت بدراسة التعصب

تناولت هذه الدراسات قضايا بحثية مختلفة ومتنوعة، ناقشت موضوع التعصب من منظور علم الاجتماع، علم النفس، وعلم النفس الاجتماعي، رغم أننا تبنينا مقاربة سوسيولوجية، إلاّ أننا وظفنا دراسات عالجت موضوع التعصب من منضور علم النفس، علم النفس الاجتماعي، والسبب قلة الدراسات الاجتماعية من جهة، ومن جهة أخرى لأهميتها ونظرا لتكامل العلوم فيما بينها، فتعددت أهدافها تبعا لمجال التخصص، وكذلك تبعا لنوع التعصب.
تتفق هذه الدراسات مع الدراسة الحالية، من حيث الأهداف، فهي تسعى إلى:

- التعرف على العوامل الدافعة للتعصب.
- الكشف عن خطورة التعصب الفكري.
- محاولة الباحثون إعطاء حلول ومقترحات لمعالجة الظاهرة ودور الجامعة في مواجهته.

غير أن الدراسة الحالية ركزت على التعصب الفكري، الذي لم تتطرق له الدراسات التي وظفناها، ما عدى بعض الدراسات والتي أخذت مفاهيم ذات العلاقة مع مفهوم التعصب مثل (الدوجماطية أو الدوغمائية أو ما يعرف بالجمود الفكري، التشارك المعرفي)، على غرار دراسة كل من (سيد سلامة إبراهيم، أماني الدوسري، سمية امبارك، هاشم آغا، كرس توكر، روجر وايت، للانسي هيكي، جيمس برويز).

أما الدراسات التي استطعنا الحصول عليها والتي تجمع بين التعصب والحوار ولكن بصيغة ضمنية:

[1] سالم جمعة عبد الصاحب، مرجع سبق ذكره، ص 78

- **دراسة / ثروت عبد الحميد عبد الحافظ وياسر فتحي الهنداوي** حول: واقع التشارك المعرفي لدى أعضاء هيئة التدريس والعوامل المؤثرة فيه لدى أعضاء هيئة التدريس بكليات التربية في بعض الجامعات العربية، حيث سعت الدراسة إلى تعزيز آليات التشارك المعرفي والتغلب على معوقاته، وتؤكد الحاجة لتنمية التشارك المعرفي لدى أعضاء هيئة التدريس، كما أسفر التحليل عن عاملين رئيسيين كعوامل مؤثرة في ممارسة التشارك هما: العامل التنظيمي والعامل الشخصي، (من العوامل الشخصية، قد يتسم الباحث بفكر تعصبي)، غير أن الباحث لم يذكرها مباشرة، فحسب الدراسة الحالية، فقد ركزنا على الحوار كآلية لتعزيز العمل المعرفي التشاركي، وكأحد عوامل المثبطة لتطور التعصب، استخدم الباحثان المنهج الوصفي.
- **دراسة Kim et Ju(2008):** التي سعى من خلالها الباحثان، إلى البحث عن تصورات أعضاء هيئة التدريس حول تشارك المعرفة وتقاسمها، وعن العوامل التي تؤثر على هذه العملية، وقد أسفرت النتائج على: أن من أبرز العوامل المؤثرة في عملية التشارك المعرفي ما يرتبط باتجاهات أعضاء هيئة التدريس ومدى قناعتهم بهذه العملية واستعدادهم لها، لكن الملاحظ على هذه الدراسة أن الباحث لم يحدد: ما هي الاتجاهات التي قد تكون عائقا لتحقيق التشارك المعرفي، من بين الاتجاهات التي قد تؤثر على التشارك المعرفي لدى أعضاء هيئة التدريس، التعصب الفكري.
- **دراسة Jain et AL (2007)**، حاولت الدراسة التركيز على أهمية التشارك المعرفي في البيئة الأكاديمية، ونظرا لما لها من انعكاس إيجابي على البحث العلمي.

ومنه نستنتج القواسم المشتركة بين هذه الدراسات والدراسة الحالية، التي نعتبرها الأقرب من بين الدراسات الموظفة، أنها وجهت للوسط الجامعي وهو الباحث في مجال العلم والمعرفة، لأن التعصب الفكري يخص فئة النخبة لأنها هي الفئة القادرة على التفكير العلمي وصياغة معرفة جديدة متطورة بناء على ما توفره له الجامعة من إمكانات مادية ومعنوية للممارسة البحثية (ملتقيات– ندوات–مؤتمرات– مخابر بحث).

لكن الاختلاف يكمن في طريقة معالجة الدراسة، حيث اعتمدت الدراسات الموظفة على المنهج الوصفي والاستبانة كأداة لجمع البيانات، أما الدراسة الحالية اعتمدت على التحليل والنقد لمؤشرات معينة حددناها في بعض النماذج لمؤسسات بحث دولية وعربية ووطنية (المؤتمرات والملتقيات – مدرسة شيكاغو – مدرسة فرانكفورت–مركز دراسات الوحدة العربية–المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية بوهران وكذلك قراءة لنتائج البحوث لأفضل 10 جامعات وطنية،)، بالإضافة إلى المنهج الإحصائي كمنهج مساعد، وكذلك الإشارة إلى مخابر البحث بالجامعات وما تساهم به هذه الأخيرة في تطوير البحث العلمي، باعتبارهم مؤسسات أو تنظيمات تجسد فكرة الحوار الفكري من اجل تطوير المعرفة العلمية، وفعلا نجحت كل من مدرسة شيكاغو ومدرسة

فرانكفورت من تحقيق الهدف من وجودها، والدليل ما قدمته من معارف جديدة للبحث العلمي على المستوى العالمي، أما على المستوى الوطني وبالتحديد على مستوى الجامعة، فارتأينا أحسن ما يمثل عملية التشارك المعرفي هم المخابر البحثية الجامعية، بالاعتماد على منجزاتها العلمية، حيث كان لنا اتصال بأساتذة من المخابر الوطنية وفي حوار جانبي طرحنا انشغالنا حول الموضوع، فكان السؤال المطروح هو: إلى **أي حد يؤثر التعصب الفكري في تطور المعرفة العلمية** ؟ فهل يكون التأثير: كبير، متوسط، ضعيف، فأغلب الإجابات كانت تؤكد على أن التعصب الفكري يؤثر بشكل كبير على تطور المعرفة العلمية.

6- عوامل انتشار ظاهرة التعصب في الوطن العربي:

تعود ظاهرة التعصب في الوطن العربي إلى العصر الجاهلي، حيث كانت وحدة القبيلة وسمعتها، موضع اهتمام وافتخار كل فرد من أفرادها، ولاسيما شعرائها وهم اعلاميوها ولسان حالها، فكان مفهومها في هذه الحقبة من الزمن: " أنصر أخاك ظالما أو مظلوما "، فهو مفهوم عصبي يتم على الشوكة والاستقواء، لأنه يحمل في طياته معنى فئوية الدم، ومعنى قيم العصبية الملزمة، لقد شهد هذا العصر حروبا ومعارك دامية، سبَّبَ الحروب متعددة: سياسية، اقتصادية، أو اجتماعية، أو نفسية، فبعض القبائل كانت ترى في هذا الغزو أمرا طبيعيا لتسود وتسيطر وتستأثر بالرئاسة والسؤدد، كالحرب التي قامت في يثرب بين الأوس والخزرج، بسبب عوامل الثأر والمطالبة به، أو الحرب التي قامت بين ربيعة واليمن للتحرر من طاعة اليمن أي التخلص من حكم أجنبي، وقد يكون الهدف اقتصاديا، لأن صعوبة الحياة في الجزيرة العربية أوجد حركة مستمرة نحو الماء والمرعى والتسابق على موارد المياه ومنابت العشب التي كانت سببا في قيام الحرب بين المتسابقين، بحيث أصبح الثأر الحاصل في تلك الأيام متأصلا حتى أنه أصبح من أقوى الأنظمة الدينية والاجتماعية في حياة البدو، لقد شكلت العصبية التي كانت تكسو شخصية المتحاربين عنوانا لهذه الوقائع.[1]

لقد شكلت العصبية في الوطن العربي ومنذ القديم نظام قيم، لأنها كانت ملزمة لجميع أفرادها وجماعتها، فالعصبية مبددة للطاقة الإنسانية الخلاقة، بسبب انتشار الخلافات والنزاعات الداخلية والعداوات الفئوية التي دافعها الانتقام والثأر والحسد، لقد أثبت دراسات نفسية حول موضوع التعصب، أن للتعصب نتائج خطيرة على المجتمع الذي تسوده، من خلال تفسيره لظاهرة التعصب وتجلياتها والصفات التي تميز الشخص المتعصب، والدوافع والميول

[1] عبد العزيز قباني، مرجع سبق ذكره، ص ص46-47

المؤدية لاحتضان فكرة التعصب.[1]

فالعصبية تولد في المجتمعات التي تنمو فيها تناقضات اجتماعية كبيرة ولاسيما مستوى تعدد الطبقات الاجتماعية وتعدد الأديان والمذاهب، حيث تلعب الأفكار والآراء التعصبية دورا بارزا، ويدعم ذلك كله وجود عوامل مؤثرة كالفقر والتمييز، وبعض من أمراض النفس المتفشية في هذا العصر خاصة، كالغرور، الثقة الزائدة بالنفس، الكبر... الخ

لازالت مشكلات التعصب بأشكاله المختلفة، تشهد نموا كبيرا على المستوى الإنساني، فهناك ملايين الأفراد الذين يجدون مصرعهم تحت تأثير الغارات والإبادة الجماعية والحروب الطائفية والمجازر السياسية، ويمكن لنا في هذا السياق أن نشير إلى وضعية الحروب الأهلية والطائفية والعرقية والحزبية في كثير من بلدان العالم مثل كوسوفو – الزائير والشيشان – الكونغو– السودان والجزائر وفي الصومال، فالحروب التي تأخذ من حيث المظهر أشكالا دينية طائفية وعرقية فتنتشر في بقاع واسعة من العالم، وتشكل تهديدا متواصلا للحياة البشرية، ويضاف إلى ذلك كله موجة التعصب العرقي التي تجد لها مكانا في البلدان الغربية اليوم والتي تهدد الملايين من البشر والأطفال في العالم.

وفي هذا المسار يمكننا استعراض مجموعة من المحاور التي تجسد الإشكالية المسببة للتعصب في الوطن العربي:

– **بنية الأسرة العربية:** بالرغم من حدوث الكثير من التغيرات الاقتصادية في الوطن العربي، إلاّ أن هذه التغيرات لم تؤثر بشكل فعال في بنية الأسرة العربية، فأصبحت الأسرة العربية تحتوي على عناصر ثقافية مضادة للتغيير ومناهضة له.[2]

من المعروف في البحوث الاجتماعية والإنسانية، أن العلاقات الأسرية تشكل البذرة الأولى للجوانب السلوكية الإيجابية كالانتماء والمشاركة وتقبل الآخر، وأيضا من الثابت أن العلاقات الأسرية أساسها حيوي وأنها علاقات إجبارية فلا يختار الابن والديه كما لا يختار الوالدين أبناءهم، كما أنها علاقة ممتدة زمنيا ووظيفيا، فالأسرة هي الرحم والحضن الذي يشكل فيه الوجود الاجتماعي للطفل، وفي هذا الوسط الأسري يكتشف الطفل قواعد التواصل مع الآخر ويتعرف على حريته وحدوده ويميز بين الحقوق والواجبات، وبين الممكنات والممنوعات ويدرك المناقشة والتضامن وطبيعة القيم الخاصة بفئته الاجتماعية، إن الممارسة التربوية كسلوك، تصدر عن الوالدين اتجاه

[1] محمود ابو حديد توفيق عزات فريد: **التعصب القبلي في السلوك السياسي الفصائلي الفلسطيني وأثره على التنمية السياسية**، أطروحة ماجستير، تخصص التخطيط والتنمية السياسية، كلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2010، ص ص38–39

[2] علي أسعد وطفة ، عبد الرحمان الأحمد، مرجع سبق ذكره، ص 85

الطفل، تتأثر بالمحيط الاجتماعي الذي يوجدان فيه، فدورها أساسي، لأنها تشكل الوسط القاعدي للعلاقات والتجارب الأولى.

لعل أهم ما يتعلمه الطفل من أسرته التعصب وازدراء الآخرين، وأولى هذه التعصبات تكون اتجاه الآخر المغاير له في النوع، فيكون اتجاه الأنثى (الأخت)، لقد دأبت الأسرة على التمييز بين الذكور حاملي إسم العائلة وبين الأنثى التي يمكن أن تسيء للعائلة بارتكابها خطأ ما، وقد أكدت الدراسات العربية والغربية، أن سلوك التعصب أو التطرف قد انتقل من الأسرة (المحيط العائلي)، إلى الأبناء بواسطة آليات نفسية محددة هي (التعلم بالنموذج)، ويتم ذلك من خلال دعوة الآباء للتعصب: الديني–الرياضي – السياسي – الأدبي والفني.

لذا فإن التعامل مع المراهقين والمراهقات يحتاج إلى حكمة وصبر، ولعل الحكمة التي تتناقلها الأجيال وتؤكدها الدراسات العلمية والسيكولوجية والاجتماعية (**من شب على شيء شاب عليه**)، أي أن اعتياد سلوك معين في المراحل الأولى يسري في مرحلة الشباب وقد يستمر سريانه إلى مراحل العمر الأخرى، يكتسب الطفل من الأسرة لغة التخاطب ويبدأ في محاكاتها لتكون وسيلته العظمى في التواصل والتعبير عن حاجاته وانفعالاته ومشاعره، ففي المحيط الأسري قد يكتسب الفرد لغة السخرية من الآخرين وتحقيرهم والإقلال من شأنهم، كأن تسخر من الجيران من ناحية الملبس والمسكن أو من خلقتهم الطبيعية... الخ، كما أنهم يكتسبون احترام الآخرين وتقديرهم من المحيط الاجتماعي الأسري الذي يحيا به وفيه، يرتبط الحوار فكرا ومنهجا بالمستوى الثقافي للأسرة أيا كان مستواها الاقتصادي والاجتماعي.[1]

في مقالة له حول المنظومة الأخلاقية من منظور الدين، يرى **عبد العزيز كامل**، أن التربية في الأسرة العربية تغذي قيم التعصب العرقي والطائفي والمذهبي والديني، وهي قيم تغرس جذورها في أجواء الأسرة والمجتمع ويتنفسها الطفل مع نسمات الحياة اليومية وعواصفه، ويشير الباحث إلى قضية مهمة، وهي أن القيم التي تغرسها الأسرة العربية هي قيم تسلطية تتنافى مع مقومات الوجود الإنساني، فماذا بقي للحرية والفعل الديمقراطي الحر مع قيم الطائفية والعشائرية، أليست هي قيم الدمار والموت، أليست قيم تخرج الإنسان من إنسانيته.

فالأسرة التي تعمل على تعزيز قيم الطائفية والقبلية والعرقية والتمييز بمختلف أشكاله، تدعو إلى الموت والعبودية، وبهذا المعنى فالتربية في الأسرة لا تقتل في الطفل مقومات إنسانيته ووجوده الإنساني فحسب، بل تجعل منه جلادا لا يرحم، ما عرفته الجزائر من مجازر في فترة التسعينات، لبرهان قاطع على ذلك، حيث يرجع

[1] رضا محمد عريضة، رضا محمد عريضة: **الأخر كما يدركه المراهق**، (دراسة استطلاعية)، أطروحة الدكتوراه، تخصص فلسفة الدراسات النفسية والاجتماعية، معهد الدراسات العليا للطفولة، قسم الدراسات النفسية والاجتماعية، جامعة عين شمس، مصر، 2005، ، ص ص216–225

المختصون للشأن الأمني أو الدارسين إلى ما أنتجته تربية العبودية التي لا ترحم، فقتلت في جزائري اليوم طفولة الأمس، فحولتهم إلى وحوش لا تعرف إلاَ القتل وسفك الدماء.[1]

دون أن ننسى أطفال ضحايا العشرية السوداء، الذين عاشوا الويلات، كبروا ونشئوا على صوت الرصاص والدم والاغتصاب، أظن أن هؤلاء اليوم يعانون اضطرابات في الشخصية، وما الجرائم التي تحدث يوميا نسمع عنها في الجرائد وقنوات التليفزيون، أب يقتل ابنه، والعكس، أم تقتل أبنائها، أو العكس، إذن التعصب قد استفحل بالمجتمع العربي عامة وكذلك المجتمع الجزائري بمختلف فئاته وطبقاته.

وبما أن الأسرة المؤسسة الأولى والبنية الأساسية في عملية التربية والتنشئة الاجتماعية، ونتيجة لأهمية الدور الذي تلعبه هذه الأخيرة في تلقين النشئ المبادئ الإنسانية، كاحترام حقوق الإنسان واحترام حقوق الطفل، احترام الأقليات والإيمان بالعدالة الاجتماعية، وهذا يعني على حد تعبير **الحطاب** : التأكيد على مبدأ التربية الأخلاقية وقيم التسامح بالدرجة الأولى، لكن الملاحظ أن العائلة العربية، تفتقد إلى أسلوب الحوار و إلى آليات التربية الإسلامية الصحيحة، حيث تفتقر إلى تعزيز قيم التسامح والحب والحنان والتساند والدعم النفسي، والتعزيز و المساندة، وعلى خلاف ذلك يسود التنافر العاطفي والتعصب وهيمنة أساليب التسلط والعنف، وفي هذا المناخ التسلطي، يفرض الآباء على الأبناء أنماط سلوكية معينة، ولا يسمح لهم بإبداء الرأي أو الاعتراض.

ومنه فإن أساليب التنشئة الاجتماعية بالمجتمعات العربية تشكل خطورة كبيرة على مستوى بناء الجدار القيمي لحقوق الإنسان والسلام، وهذا لن يتحقق إلا عن طريق الحوار والحوار لا غير.[2]

- **البنية الدينية:** بقيت المؤسسات الدينية، لأن بقاءها كان ضروريا لممارسة المهام والوظائف في العبادات والتعليم والفتوى والقضاء والإرشاد وقد انفتحت نتيجة الضغوط الشديدة التي صاحبت التغيرات العالمية الجديدة، وكنتيجة لضعف المؤسسة الدينية، أدى إلى ظهور جماعات متطرفة وعنيفة باسمه وعلة ذلك، الاختلالات في سياسات الدين من جانب الجهات الدولية والإعلام العالمي، والدول العربية والإسلامية، المؤسسة التي يعول عليها في تسكين الدين والتأثير في نشر الاعتدال وتأمين المجتمعات القلقة، والتفكير في طرائق الاستجابة العاقلة لغضب الشباب، والحيلولة دون تنامي أجيال جديدة من معتنقي أفكار التطرف والعنف والتعصب وممارستها، فالمؤسسة الدينية أمام مسؤوليتين: الأخلاقية والدينية [3]

---

[1] علي أسعد وطفة ، عبد الرحمن الأحمد، مرجع سبق ذكره، ص87

[2] المرجع السابق، ص85

[3] رضوان بن نايف السيد: **ضعف المؤسسات الدعوية والعلائق بالتطرف والإرهاب**، المؤتمر الإسلامي العالمي حول مكافحة الإرهاب، تنظيم رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، المنظم بتاريخ: 22-25 فيفري 2015، ص، ص 7، 15

إن ما يجري من أحداث بين أفراد المجتمع الواحد لسبب ما، ليس بالضرورة حرب دينية، وإن كان هناك من يستغل اسم الدين لإثارة العصبيات الطائفية والمذهبية، لذلك يتوجب علينا نحن أصحاب الدين الإسلامي الذي من أهم مبادئه التعايش مع أصحاب الأديان الأخرى، أن يدعو إلى التسامح وتقبل الآخر مهما كانت ملته، مادام هذا الآخر يلتزم ويقدر ويحترم المختلف عنه، لذلك يتوجب علينا أن نوضح للعالم الجوهر الحقيقي للدين الإلهي الواحد وأن الدين الإسلامي بريء من كل مما يحاك ضده من ادعاءات بأنه دين دموي، دين يدعو للعصبية، دين لا يحترم فيه الأقليات غير المسلمة... الخ[1]

فهو أسمى من أن نلطخه بأوحال السياسة والطائفية والمصالح المادية التي تهدف إليها بعض الجماعات الطامعة في الوصول إلى السلطة، فهو منهج وأخلاق وممارسة إنسانية رفيعة في حالة الفهم الواعي بمتطلبات هذه الممارسة.

تأثرت المؤسسة الدينية هي الأخرى بالتحولات الخارجية، ففي الجزائر عرفت المؤسسة الدينية انحرافات خطيرة، حيث أصبح الخطاب الديني يتميز بالتطرف والتعصب، وبالفتاوى التي تحث على الجهاد، بالإضافة إلى مواضيع مختلفة تحرض على التعصب وتغذيه باسم الدين، حيث كرس البعض من رجال الدين وقتهم وجهدهم في غرس بعض القيم الطائفية والتمييز الطائفي في نفوس المؤمنين والمسلمين، سواء كان هذا عن قصد أو عن حسن نية، ويظهر ذلك جليا عبر وسائل الإعلام، كثرة القنوات الدينية التي أغلبها تغذي الفكر التعصبي الذي يؤدي إلى التطرف، والتطرف بدوره يترجم إلى عنف وإرهاب، ونحن نلمس ذلك بكل ألم في الكثير من الدول العربية وحتى الأجنبية، حيث نلاحظ انتشار للحركات الجهادية متعددة الأسماء والأهداف، يرجع الكثير من الباحثين السبب إلى الفتاوى المتطرفة، حيث كل من هب ودب يجلس على المنبر وينصب نفسه شيخا وإماما وعالما في الدين، ويخول لنفسه نشر السموم في نفوس الشباب الذي هو في مرحلة التكوين النفسي والعاطفي والقيمي، مما يسهل عملية التأثير عليه بسهولة.

- **البنية السياسية :** بالرغم من حدوث تغيرات في البنية السياسية العربية، حيث أدخلت كثيرا من الدول العربية دساتير حديثة، إلاّ أن جوهر السلطة السياسية لا يزال تقليديا، فالأبوية والعائلية تمثل سمة أساسية في بنيتنا السياسية العربية، فالسلطة في مجتمعاتنا العربية لم توفق في خلق الاندماج الاجتماعي بين فئات المجتمع، بل كانت تساعد أحيانا فيخلق العزلة والتباعد بين الجماعات، والمأزق يتجسد في عدم قدرة السلطة على خلق نموذج

[1] عقون مليكة: **دور الحوار في تصحيح صورة الإسلام لدى الغرب (الإمكانية والموانع)**، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، تصدر عن مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية، جامعة معسكر، الجزائر، العددان 5 -6، جوان 2014، ص 56

وطني يوحد بين الجماعات الفرعية، فأعضاء الجماعة الفرعية تمتاز بقوة روابطها وبدرجة عالية من الانغلاق، بحيث تقود إلى درجة عالية من النرجسية.[1]

حيث شهدت العديد من الدول العربية في الآونة الأخيرة اضطرابات أمنية خطيرة، نتيجة للتعصب السياسي الذي مارسته السلطة على الشعب، بحيث انعدمت قنوات الحوار بين الطرفين، الديمقراطية المقنعة أو المزيفة، فالسلطة في الدول العربية مارست كل أشكال القمع على شعوبها، الأمر الذي أدى إلى ظهور اضطرابات أطلق عليها ثورات الربيع العربي، وخير مثال نستدل به ما حدث بالجزائر أثناء فترة التسعينات، حيث يرصد لنا الخبراء أن مصادر العنف السياسي لجزائر الأزمة ترجع إلى ثلاث مصادر:

- ✓ **المصدر الأول:** خصائص النخبة الحاكمة التي تحتكر السلطة منذ نشأة النظام وترفض مبدأ التداول على السلطة.
- ✓ **المصدر الثاني:** يتمثل في كونه تعبيرا عن رغبة الشعب الجزائري في إحداث القطيعة مع ممارسات النظام التسلطي، بحيث أن عملية الانفتاح التي برمجتها السلطة وكانت تأمل في أن تتحكم في مسارها، انفلتت من يد مخططيها وتحولت إلى بداية ثورة شعبية تطالب بالحرية والمساواة.
- ✓ **المصدر الثالث:** هو ضعف الوعي السياسي والتخلف الديني لدى الجماعات الإسلامية التي لا تتوفر على المرونة اللازمة لإدارة العلاقات والنزاعات والتمسك بالأحكام المطلقة دون فقه للواقع.

يرجع المحللون أن المحاور الأساسية للتعصب والتي أدت في الأخير إلى العنف والإرهاب، إلى بعض القضايا الثقافية والإيديولوجية، فالجدل بين مشروع الدولة الإسلامية من جهة والنظام الجمهوري من جهة أخرى، يكاد يكون السبب الرئيسي في الصراع الدامي الذي عرفته الجزائر، جدل آخر تمحور حول الصراع في الجزائر، قام بين دعاة منظومة التعريب والمنظومة الفرانكفونية، كما أن تسييس المسألة الأمازيغية وتوظيفها في إدارة الصراع، شكلت جدلا زاد من معاناة الجزائريين ودار بين بعض أصحاب المصالح النافذين في السلطة ونظرائهم، كما أن جهود الجماعات المسلحة في عولمة الجهاد وإشعال نار الحرب في كل مكان باسم الإسلام السياسي، وقد انعكس كل ذلك سلبا على الاستقرار والسلم الاجتماعي، وكل هذا نتيجة للفكر التعصبي.[2]

- **البنية الاقتصادية:** لم تعجز السياسات الاقتصادية العربية عن حماية اقتصادياتها التقليدية وحسب، بل عملت

[1] علي أسعد وطفة ، عبد الرحمان الأحمد، مرجع سبق ذكره، ص 85

[2] محمد بوضياف: **مستقبل النظام السياسي في الجزائر**، أطروحة دكتوراه، بقسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية، كلية العلوم السياسية والإعلام، جامعة الجزائر، 2008، ص ص148-153

على تحطيمها، ويضاف إلى ذلك سوء توزيع الدخل بين فئات المجتمع، ما أدى إلى ترسيخ وتثبيت البنية التقليدية للمجتمع العربي [1]

فالدولة بممارساتها المبنية على التوازنات والولاءات لا على الكفاءات، تعيد وبشكل ضمني تأكيد ممارسات التعصب عبر ما يسمى توزيع الوظائف الحساسة أو الوظائف السياسية، وليس من الضروري أن يكون تعصبا معلنا أو تفرقة معلنة، وإنما لاحظنا أن كل الجماعات والأقليات، تلاحظ أدق التفاصيل عندما يشكل مثلا مجلس وزراء، أو حينما يعيّن أفراد في مناصب معينة حساسة، مثل الأمن، الدفاع، الإعلام...الخ ، فهي تستشعرها إذا كان في هذا التعيين تكافؤ الفرص أو تجاوز، أو تحيز وهذه المسألة لا يتحدث عنها الناس علانية أو على صفحات الجرائد. ونتيجة لهذه التجاوزات تعيش الدول العربية رغم غناها واحتوائها على أهم مصادر التنمية، ورغم موقعها الجغرافي وكذلك تميزها بمناخ معتدل، خاصة بما يناسب تطوير الزراعة والثروة الحيوانية، إلاّ أنها تعتبر من أفقر بلدان العالم، نتيجة التوزيع غير العادل للثروة، وسوء تسيير للموارد، لأنه يتم ببساطة تعيين الأشخاص غير المناسبين للمراكز الحساسة، بالإضافة إلى انتشار ظاهرة الفساد والرشوة، بمعنى استغلال المال العام في أمور شخصية وعائلية.[2]

- **المؤسسات التعليمية:** من المعروف أن عملية التعليم تتم في إطار مؤسسات اجتماعية، بدءا بالمدرسة إلى غاية الجامعة والمؤسسات البحثية، حيث يجتمع الكل في صعيد واحد، يجتمع الغني والفقير، الذكي والأقل ذكاء، وبالتالي تمكن هذه المؤسسات من مساعدة طلاب العلم من فهم وتكوين وجهة نظر اجتماعية واتخاذ نمط للحياة يساهم فيه الغير بنصيب وافر، وربما كان هذا هو السبب الذي بدونه لا يمكن للمؤسسات التعليمية، أن تصبح وسيلة فعالة لخدمة المجتمع الإنساني.

فالمؤسسات التعليمية بإجماع خبراء علم النفس والاجتماع، هي أعظم قوة خلقية في المجتمع تزود الأفراد بالتراث العقلي الذي فيه تتكون ثقافتنا ويتوقف السلوك الخلقي على فهم الفرد لنواحي الحياة الاجتماعية، فأي جماعة بشرية تؤثر في اتجاه أفرادها الخلقي، لأن الجماعة محك لاختيار السلوك والمثل العليا لدى جميع أفرادها، حيث تتميز بأكثر من هذا، لكونها تنفرد بميزات أخرى لما لها من منهاج يهدف إلى تزويد أفرادها بالتراث الثقافي والمصادر العقلية التي تساعد الفرد على المساهمة المستنيرة في الحياة الاجتماعية، بالإضافة إلى ما تقدمه هذه الأخيرة في بناء الحياة وتعميق الوعي في مختلف نواحيه بما يتناسب والمراحل العمرية لطلابها.[3]

---

[1] علي أسعد وطفة ، عبد الرحمن الأحمد، مرجع سبق ذكره، ص 85

[2] المرجع السابق، ص 86

[3] رضا محمد عريضة، مرجع سبق ذكره، ص 237

بالرغم من عدم وجود دلائل علمية موثقة بدراسات تشير إلى أن المؤسسة التربوية في عدد من الدول العربية، وقد التقطت جرثومة التعصب، الفكري، الديني، الطائفي، العرقي، الحزبي ، الرياضي، أو الجنسي... إلى آخر ذلك من أنواع التعصب، وهذا معناه بداية النفاق والشقاق في المجتمع لعدة أجيال قادمة من خلال آلية إعادة الإنتاج الثقافي، الاجتماعي، النفسي، والمشكلة هي أن المؤسسة التربوية، بدلا من أن تساعد المجتمع العربي على مواجهة الفكر التعصبي وتحدياته، فإنها تضيف مشكلات وتحديات جديدة، أي أنها أصبحت بحد ذاتها مشكلة جديدة، من يتأمل بعمق في المناهج الدراسية في بعض البلدان العربية، يجد أنها متشبعة بقيم العنف والدم والغدر، فالتاريخ العباسي والأموي الذي يدرس في مرحلة الإعدادية في بعض البلدان العربية، يبرز الجانب الدموي في هذا التاريخ، فواضعو البرامج الدراسية لم يجدوا في التاريخ العباسي غير القضايا الدرامية الدموية التي كانت تقع بين الحكام وإخوانهم وأبنائهم في صراع دموي من أجل الوصول إلى الحكم والسلطة، وهكذا يتم غرس قيم الغدر والدم والعنف في نفوس الطلاب والأطفال في وقت مبكر من تاريخ نموهم النفسي والتربوي، كما تحوي بعض الكتب والروايات التي تظهر بمظهر منتوج أدبي راق، إلاَ أنها تبث في الأصل بعض السموم القائمة على تعزيز مفاهيم وقيم الإحساس الطائفي بين الطوائف الإسلامية.

وفي هذا الصدد يقول **سعد الدين إبراهيم** في وصفه للوضعية التربوية التي تعزز مفاهيم التمييز العنصري والإباحية الدموية في الخليج العربي:" إن جيلا كاملا في بعض دول منطقتنا الآن عاش فترة تكوينه النفسي والعقلي في ظل مفاهيم تبيح القتل والتدمير ولا ترى السلام طريقة عيش ومنهج حياة "، في مجال التأكيد على وضعية التشبع بالعنف والتعصب يؤكد **قاسم الصراف** على هذه الحقيقة بقوله: " إن مناهجنا التربوية مشبعة بمفاهيم الحرب والدمار والعداوة والبغضاء والعنف والظلم والكراهية.[1]

وحسب ما جاء في مقالة للباحث الجزائري **الجيلالي المستاري** باحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية حول الخطاب الديني في المدرسة الجزائرية، بعض الملاحظات النقدية على كتب التربية الإسلامية في الثانوي، يصل الباحث إلى بعض النتائج منها:

– مضمون الخطاب الديني الذي تتضمنه الكتب المدرسية للعلوم الإسلامية في مختلف مستويات التعليم الثانوي، لا تخلو من عناصر تعبوية تقوم على منطق تبجيلي انتقائي ومرتبك أحيانا، مما يؤدي إلى كثير من الضبابية في دلالات ومضامين الهوية الدينية التي تستهدف المدرسة العمومية تنشئة الأجيال عليها، وذلك أن أساس هذا الخطاب مثلما يبدو من عناوين ومضامين، جل الموضوعات المتناولة هو:" الدفاع عن القيم الدينية ضد عدو

[1] علي أسعد وطفة ، عبد الرحمن الأحمد، مرجع سبق ذكره، ، ص 86

مفترض بالإضافة إلى ما يطرحه من مشكلات بيداغوجية وتربوية انطلاقا مما يتضمنه من عنصر التقديس في تناوله للمعارف الدينية، وتعامله مع المعارف الحديثة، بالإضافة إلى قضايا ابستمولوجية أهمها علاقة التعليم الديني والتناول العلمي لموضوعات ذات علاقة بالهوية الدينية، منها قضية الإيمان والمعرفة مسألة الحدود بين ما هو عالمي وبين ماهو خصوصي في الدين والفرق بين الأسطورة، الذاكرة والتاريخ ، والفرق بين الأخلاق والمعرفة.

كما أن الطريقة التبجيلية المميزة لطبيعة الخطاب الديني الذي تنشره المدرسة الجزائرية، والذي قد يؤدي إلى توسيع الهوة بين مادة العلوم الإسلامية وباقي المواد، باعتبار أن هذه الطريقة تؤدي إلى ترسيخ منطق عدم وجود تشاركية وتكامل بين العلوم الدينية والمدنية، كما أنه خطاب يضع تمييزا بين معرفة الحاضر ومعرفة الماضي مصدرا كافيا ونهائيا لمعرفة الحاضر، وهذا ما يعمق الهوة بين الدين والخطاب الأيديولوجي للدين، مما يؤدي بالمتعلم بعدم التمييز بين الدين والأيديولوجية الدينية.[1]

– **العوامل الثقافية:** في تحليله للثقافة العربية، يقول **أسعد وطفة:** " إن غالبية سكان العالم العربي مسلمون، لكن الواقع الاجتماعي الراهن، أحالهم إلى طوائف فتوزعوا إلى سنة وشيعة، علويين وزيديين ودروز، كذلك إلى طرق كالمهدية والختمية والوهابية والسنوسية، ومذاهب ومدارس، بما يتعارض مع كل من الولاء الديني العام والولاء القومي، ويوجد إضافة إلى ذلك أقليات لغوية أو دينية أو عرقية، كالأكراد في العراق وسوريا والآشوريين والتركمان والشركس والأرمن، وقبائل إثنية جنوب السودان، وقبائل البربر في المغرب العربي، والمسيحيين الموزعين إلى طوائف عدة والمنتشرين في مختلف أقطار العالم العربي"، ومن هذا المنطلق يشير **عبد الله الدايم** إلى، الضياع الأخلاقي والقيمي الذي يعانيه المجتمع العربي، ويرجع الأزمة الثقافية والقيمية في العالم العربي إلى عوامل تتمثل في سلطان الماضي والعصبية والتعصب:

التعصب للرأي والقبيلة والعائلة والطائفة الدينية وسيطرة الغريزة على العقل والانفعال على الفكر، والأخطر والأدهى في هذا المستوى أن كثيرا من المفكرين العرب، يسقطون في إطار المنظور الطائفي أو المذهبي الضيق متأثرين بالجو العام، بدلا من أن يخرجوا منه ويوسعوا الإشكالية ويفتحوا للمسلمين خطا جديدا.

هذه الولاءات الطائفية التقليدية، تمارس الآن دورها المعوق في عملية الاندماج الاجتماعي، ولكن ليس بسبب التنشئة الاجتماعية التي خلفتها العصور الوسطى، وإنما بسبب تجدد الظروف التي كانت في أصل وجودها، منها التخلف والرؤية الغيبية والسلطوية السياسية والتباين الطبقي للأفراد والجماعات الطائفية والقبلية والعشائرية والإثنية، حيث يتمتع بعضها على حساب بعضها الآخر بالغنى والنفوذ والجاه، وبسبب ذلك فإن العصبوية التقليدية القائمة

[1] الجيلالي المستاري: **الخطاب الديني في المدرسة الجزائرية، بعض الملاحظات النقدية على كتب التربية الإسلامية في الثانوي**، مجلة إنسانيات، تصدر عن المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران، الجزائر، العدد 47-48، 2010، ص 30

هي، إما ردة فعل، وإما أداة للمحافظة على امتيازات بعض الجماعات أو للحصول على الحقوق التي حرمت منها أو لانتزاع امتيازات أو مكاسب جديدة، فالتعددية الثقافية واقعة أساسية في العالم العربي لا يمكن تجاهلها ولا القفز فوقها، بل يمكن توظيفها بمنتهى الوعي في إغناء الثقافة العربية الإسلامية وتطويرها وتوسيع مجالاتها.[1]

تأخذ العوامل الثقافية أهمية كبيرة في تغذية التعصب، فبعض الإيديولوجيات الصريحة أو الضمنية تعمل على بناء التعصب ضد بعض الجماعات الإنسانية، فكثير من الإيديولوجيات العنصرية تستند إلى ادعاءات علمية (مثل الكتب المقدسة، مقولة الشعب الله مختار)، أو تاريخه (التشكيك في الدور السياسي لجماعة معينة، أو إلقاء المسؤولية عليها من نكبات أو هزائم سابقة).[2]

فالعالم العربي لا يزال يعاني من التعصب بمختلف أشكاله، فلم يزل مجتمعا أبويا تقليديا تحكمه علاقات الهيمنة الأبوية وما ينبثق عنها من القبلية والعشائرية والعصبيات الطائفية والعائلية وازدراء المرأة، هذه التعصبات يعدها الدارسون أهم التحديات التي تواجه النظم العربية على عمومها، ففي دراستهما للخصائص الرئيسية للنظم العربية، يؤكد **علي الدين هلال، ونيفين مسعد،** أنها لا تزال مهمومة بتحديات الحركات الدينية المتطرفة والاتحاديات الإثنية واستمرار حدة العنف السياسي وصور أخرى مختلفة من التعصب، وكما جسد المشكلة الفيلسوف الراحل/ زكي نجيب محمود، فالصراعات بين المختلفين في مجتمعنا العربي تجاوزت حدود الاختلاف والتعددية المشروعة إلى ما يشبه الحرب الأهلية بين ما يمكن تسميته " الميليشيات العقائدية والفكرية " [3]

وبما أن الدراسة الحالية، قد اهتمت بأحد الأنساق الاجتماعية المهمة، وهي الجامعة، أردنا التعرف من خلال حوار مع بعض أساتذة ذوي خبرة في ميدان البحث العلمي، على أهم العوامل المؤدية للتعصب سواء كانت نفسية أو اجتماعية، فأغلب الإجابات تحددت في:

- عندما لا يملك الأستاذ الباحث ثقافة الحوار.
- عندما يحمل في ذهنيته الأحقاد والغل والمكر.
- عندما يكون الجو الاجتماعي العام غير المشجع على البحث.
- تأثير النزعة القبلية الموقدة بالتقاليد والعادات، أما التعصب الفكري فعوامله هي المدرسة إن كانت منتجة للتطرف والرؤية المركزية الواحدة، وكذلك نظام التعليم العالي وتأثر الباحثين فيه بالإيديولوجيات المختلفة السائدة في

---

[1] علي أسعد وطفة: **التربية إزاء تحديات التعصب والعنف في الوطن العربي**، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2002، ص ص98-99

[2] علي أسعد وطفة، عبد الرحمن الأحمد، مرجع سبق ذكره، ص11

[3] هاني الجزار، **أزمة الهوية والتعصب(دراسة التعصب في سيكولوجية الشباب)**، مرجع سبق ذكره، ص 12

المجتمع.

- الانغلاق على الذات، قلة التجارب، طبيعة التكوين.
- قلة الثقة بالنفس وعمق المعرفة العلمية.
- في مجملها عوائق ذاتية وأخرى خارجية (موضوعية).
- قلة الاطلاع على الآراء الأخرى، عدم وجود جو تحفيزي للعمل.
- فرض الذات، عدم الاعتراف بالآخر ووصفه بأوصاف تتجاوز الموضوعية والعلم في حد ذاته.
- الشخص الأناني، البخيل علميا، المنافق... تؤدي هذه الصفات إلى التعصب.

ثانيا: النظريات العلمية المفسرة لظاهرة التعصب الفكري

يذهب العالم **جورج هومانز** وهو عالم اجتماع شهير إلى القول، أن لكل علم مهمتين رئيسيتين: أولهما الاكتشاف، وثانيهما التفسير، فمن خلال المهمة الأولى، يمكن تقرير ما إذا كان هذا العلم علما حقيقيا أم ليس كذلك، ومن خلال المهمة الثانية يمكن الاستدلال ما إذا كان هذا العلم ناجحا أم غير ناجح، ومهمة النظرية بصفة عامة هي احتواء هذا المنطق التفسيري، فالنظرية بهذا المعنى تشكل إحدى الدعامتين الرئيسيتين لكل علم، من العلوم وشرط أساسي لنجاحه في تفسير ظواهر موضوع دراسته.[1]

نظرا لتعدد وتفاعل العوامل التي تسهم في تكوين وظهور التعصب الفكري، فقد تعددت النظريات التي حاولت تحديد وتفسير الأسس النفسية والاجتماعية والثقافية المسئولة عن نشوء الفكر التعصبي، لذلك وظفت الباحثة النظريات الأساسية التي حاولت تفسير التعصب الفكري والتي لخصتها في:

1- النظريات الدينامية النفسية (التحليلية النفسية):

وهي النظريات التي تنسب إلى نظرية التحليل النفسي **لفرويد**، التي يبرز فيها أهمية اللاّشعور في فهم مختلف جوانب الشخصية، بما فيها التعصب الذي يمكن تفسير نموه وارتقاءه في ضوء بعض الميكانيزمات مثل(الإسقاط) والإزاحة والتبرير وغيرها.[2]

يرى علماء التحليل النفسي، أن التعصب يؤدي وظيفة نفسية خاصة، تتلخص في التنفيس عما يتفاعل في النفس من توتر وكراهية وإحباط مكبوت في ضوء بعض الميكانيزمات مثل **الإسقاط، الإزاحة Displacement** و**الإبدال Substitution**، والتبرير دفاعا عن الذات وعمن تحب، واعتقد **فرويد**، أن التعصب دال على الميول البشرية، للإسقاط ويقصد به: الميل الموجود لدينا جميعا إلى أن نسقط اندفاعاتنا غير المرغوب فيها على الآخرين، حيث يساعدنا ذلك على أن نرى الآخرين يفعلون الأشياء التي يخاف أن ننسبها إلى أنفسنا، وهذا الميكانيزم " **الإسقاط** " ، يسمح في رأي **فرويد** للشخص أن يقاتل ويفسق أو يفعل أفعالا مشينة، لاعتقاده أن الأشخاص الآخرين هم الذين بدءوا بذلك.

---

[1] هيوا حاجي ديلوي: **الاتجاهات التعصبية بين الجماعات العرقية (دراسة اجتماعية ميدانية في إقليم كوردستان العراق)**، مؤسسة موكرياني، للبحوث والنشر، أربيل، العراق، 2008، ص 109

[2] معتز سيد عبد الله: **التعصب دراسة نفسية اجتماعية**، دار غريب للنشر والطباعة والتوزيع، القاهرة، مصر، ط2، 1997، ص ص148-149

وتختلف دوافع التعصب وأسبابه من جماعة إلى جماعة ومن بيئة إلى بيئة أخرى، قد يكون التعصب ناتجا من إسقاط نقائص الفرد ومشاعر الذنب لديه على الآخرين الذين يعتبرون كبش فداء أو ضحايا بمثابة هدف بديل يوجه إليه الأشخاص سلوكهم العدواني دون توقع أي شكل من أشكال العقاب من الكبار، ومن ثم يعتبر نمطا من أنماط الحيل الدفاعية اللاّشعورية.

1-1 . نظرية الإحباط / العدوان (كبش الفداء):

يرى **دولارد** وزملائه، أن **الإحباط** يؤدي دائما إلى العدوان، وأن العدوان يظهر نتيجة للإحباط في كل الحالات، يعرف **الإحباط** بأنه : " حالة نفسية تنشأ عن إعاقة الفرد من الوصول إلى هدف مرغوب "، وقد افترض **دولارد** أننا عندما لا نتمكن من الاعتداء على مصدر **الإحباط،** فإننا نوجه عدواتنا إلى هدف بديل أو كبش فداء، واختيار كبش الفداء لا يكون عشوائيا في العادة، وقد يتخذ التعصب القائم على الإحباط مظهر العدوان المادي أو العداء الكلامي المتمثل في الإشاعة والسخرية والتهكم على مصدر الإحباط، ويرى بعض الباحثين في التعصب نمطا من النرجسية أو حب الذات والتسلطية.

وقد يكون التعصب ناتج عن إسقاط نقائص الفرد ومشاعر الذنب لديه على الآخرين، الذين يعتبرون " **كبش فداء** "، أو ضحايا بمثابة هدف بديل يوجه إليه الأشخاص سلوكهم العدواني دون توقع تلقي أي شيء من أشكال العقاب من الكبار، ومن ثم يعتبر نمط من أنماط الحيل الدفاعية اللاّشعورية.

والضحية " **كبش الفداء** "، يتم انتهاكها لفظيا وجسديا، علاوة على ذلك القدرة على الرد بالمثل غالبا محدودة، وعليه فإن التمييز وعدم التسامح يقعان على أشخاص غير قادرين على الرد بالمثل، ويرجع **دولارد،** أن مصدر العدوان القيود الثقافية في الطفولة وحدود الحياة اليومية عند البلوغ، والتي تسبب الإحباط، وتنشأ العداوة كاستجابة لهذا الإحباط وطالما أن الشخص لا يستطيع أن يوجهه نحو مصدر الإحباط الأصلي.

ومنه إذا كان" **الإحباط**"، يسبب العدوانية، فإن السلوك العدواني الناتج سوف يحفظ التعصب استمراره وثباته، وتفسير ذلك أن السبب الأساسي في الإحباط، إن لم يتمكن الفرد من إزالته فإن الكراهية والتحامي سوف يعيشان دائما من خلال بحث الفرد الدائم عن كبش الفداء، تربط هذه النظرية بين الإحباط والتعصب، فالإحباط والشعور بخيبة الأمل وعجز الشخص المحبط عن الرد أو التنفيس نحو المصدر الحقيقي، يؤدي بالفرد إلى العدوان والتعصب والرغبة في التنفيس عن الإحباط بإزاحة التعصب والعدوان على فرد آخر أو جماعة أخرى.[1]

[1] رندة عبد العزيز أبو سويرح، مرجع سبق ذكره، ص ص 26-27

2-1 . نظرية الشخصية التسلطية:

ترتبط هذه النظرية ببحوث قام بها **أدورنو Adornoo** وزملاؤه، ينظر هؤلاء الباحثون إلى التعصب على أنه اضطراب في الشخصية يماثل تمام مختلف المخاوف المرضية أو الحاجات العصابية للموافقة (الاستحسان)، ويقوم ذلك على فرض مؤداه أن، مختلف الاعتقادات الخاصة بأحد الأشخاص حول الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية، تشكل غالبا نمطا متماسكا وعريضا، ويبدو أن هناك أساسا يجمع بين أجزائه هذه، وهذا النمط له جذور عميقة في الشخصية تحدد ملامح الشخصية التسلطية وهذه الشخصية التسلطية عبارة عن جملة معقدة من السمات التي تميز الأشخاص مرتفعي التعصب، وبالتحديد فإن الاتجاهات التعصبية تنشأ وتنمو من مجموعة من السمات الشخصية التسلطية التي تتحدد على النحو الآتي:

- التمسك الصارم بالقيم المتفقة مع التقاليد الاجتماعية السائدة والسلوك النمطي والعقاب القاسي للمنحرفين عنه.
- الحاجة المبالغ فيها للخضوع للسلطة القومية والتوحد معها.
- تقييد الحرية الانفعالية، القوة والغلظة، العداوة العامة.
- الإسقاط، الإيمان بالروحانيات والخرافات، الميل إلى التهكم والتدمير.
- الاهتمام المفرط بالجنس.

وتنشأ الشخصية التسلطية في هذه السمات وتنمو من خلال تعرض الأطفال لأساليب التربية المبكرة للآباء المستبدين والأمهات القاسيات، وحينما يصبح الفرد راشدا فإنه يميل إلى تكرار هذه الخبرات[1]

2- نظريات الصراع بين الجماعات

تركز هذه الفئة من النظريات اهتمامها على معرفة متى وكيف تنشأ الاتجاهات التعصبية في مجتمع معين أو ثقافة معينة، أو جماعة معينة نتيجة أشكال الصراع المختلفة التي تنتج من تفاعل الجماعات ككل، وينصب اهتمام هذه النظريات على الجماعات ككل وليس على الأفراد، وتؤكد أهمية عوامل البيئة الثقافية كمحدد هام في تنشئة الاتجاهات التعصبية.[2]

وتعرف أحيانا بنظرية مجاراة الجماعة، فما يتعلمه الطفل يتم دعمه من خلال المعايير التي تعتنقها أسرته أو جماعة أو أقرانه أو جيرانه، وأطر نظرية فرعية عديدة قدمت تفسيرات متباينة لنشأة التعصب تدور جميعها حول أهمية الصراع بين الجماعات بشكل أو بآخر وأهم هذه الأطر هي:

---

[1] سالم جمعة عبد الصاحب، مرجع سبق ذكره، ص ص73-74

[2] زين العابدين درويش، مرجع سبق ذكره، ص 292

2-1 . نظرية الصراع الواقعي بين الجماعات: تركز هذه النظرية، على أن الصراع والتنافس بين جماعتين من الجماعات نتيجة لأي عوامل خارجية، فإن هاتين الجماعتين تهدد كل منهما الأخرى، إلى أن تتكون مشاعر عدائية بينهما، وهو ما يؤدي إلى حدوث تقويمات سلبية متبادلة، وبناء على ذلك يمكن القول أن التعصب يحدث نتيجة الصراع الواقعي بين الجماعات، ودعمت بحوث(بروير **Brewer1979**)، **وكير** (**Curr1968**)، **ولين (Lane 1976)**، أن المنافسة الشديدة على المصادر النادرة، تؤدي إلى عداوة شديدة بين الجماعات العرقية المختلفة، فالتعصب القائم بين الجماعات، لا يمكن التخلص منه، لكن ممكن تحجيمه، لأنه ناتج عن حقائق يتعذر تجنبه.

2- 2 نظرية الصراع بين الريف والحضر: تفسر هذه النظرية الصراع، حيث تقول إن انتقال الأشخاص من الحياة الريفية إلى الحياة الحضرية بالمدن يصحبه أنواع كثيرة من الخوف والقلق، فحياة الحضر أكثر تعقيدا من حياة الريف بما تحتويه من ضرورة التكيف للمخترعات والأنماط السلوكية الكثيرة والمعقدة، وبما تتطلبه من جهود مختلفة ومنافسة للوصول إلى مستوى مناسب من الحياة، وفيها خوف من أن لا يستطيع الأشخاص الوصول إلى هذا المستوى الذي تتطلبه الحياة الحضرية أو من الفشل في الوصول إليه.

فالتشكيك والتهديد والحذر أهم مميزات الحياة الحضرية على وجه التحديد، ولذلك فهي من الأسباب التي تؤدي إلى نشأة التعصب في فترات زمنية معينة، فظهور بعض الجماعات في الحياة العامة، وتميزها يعد سببا من أسباب وقوعها ضحية للوم بصورة لا تتناسب مع ما يقع على الجماعات الأخرى.[1]

2-3 . نظرية الحرمان النسبي: تفترض نظرية الحرمان النسبي أن اختلاف توقعاتنا، بشأن ما نشعر بأننا نستحقه عن انجازاتنا الواقعية يولد إحباطا وفي الحالات التي تقل فيها إنجازاتنا عن توقعاتنا، فكثير من الأحيان يكون الحرمان النسبي على أشده، ويؤدي إلى حالة من الضيق الجمعي، ومن الأمثلة المناسبة على الحرمان النسبي الحاد: ما جرى من شغب في لوس أنجلس **(1992)**، وكذا السبب المباشر لتلك الاضطرابات هو قرار لبراءة اتخذته هيئة المحلفين بحق رجال الشرطة الذين جرى اتهامهم بضرب سائق سيارة أسود ضربا مبرحا، وكانت هيئة المحلفين جميعها من الأمريكيين البيض، وفي ظل البطالة المتزايدة وسوء الوضع الاقتصادي نظر السود إلى ذلك القرار كرمز معبر عن مكانتهم الوضيعة في عيون الغالبية البيضاء.

وتمثل اضطرابات لوس أنجلس ما يسميه **رانسيمان Runciman**، الحرمان النسبي الأخوي، والذي ينشأ عن المقارنة بالآخرين غير المشابهين للفرد أو المقارنة بجماعات أخرى غير جماعته، وبالمقابل هناك ما يسمى

[1] رندة عبد العزيز أبو سويرح، مرجع سبق ذكره، ص 35

بالحرمان النسبي الأناني، ينشأ عن المقارنة بالآخرين المماثلين للفرد مثال ذلك وجد **فانمان وبتغرو Vanneman and Pittigrew**، أن البيض عبروا عن اتجاهات عداء للسود كانوا أولائك الذين يشعرون شعورا حادا، بأن البيض كجماعة أسوأ حالا من السود، ومن حيث أن البيض هم في الواقع أفضل حالا من السود، فإن ذلك يكشف الطبيعة الذاتية للحرمان النسبي، ويشير **فيفيان وبراون Vivian and Brown**، إلى أن أكثر السود ولاء للعسكر يتمتعون بمستويات اقتصادية – اجتماعية وتعليمية أعلى من غيرهم من بقية السود، وقد يحمل هؤلاء توقعات عالية بشأن أنفسهم وبشأن جماعتهم مقارنة بغير العسكريين وعليه فإنهم قد يشعرون بالحرمان النسبي بدرجة أقوى من غيرهم من السود.[1]

ومنه يستخلص مما سبق، أن التمييز العنصري الناجم عن التعصب يخلق ظروفا اجتماعية وخصائص فردية تدعم اتجاهات التعصب وتعززها، وأن التعصب يحدث نتيجة الصراع القائم بين الجماعات سواء لأسباب سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية، ونتيجة ما ينشأ عن هذا الصراع من الشعور بالتهديد الذي يمثل أقوى سبب نفسي لنشأة التعصب لدى أفراد الجماعات المختلفة، وتزداد حدة التعصب كلما كان هناك اختلاف أو تباين بين الجماعات النوعية التي يتكون منها المجتمع ويعتبر الاستغلال والمنافسة عاملان هامان لنشأة وزيادة التعصب، حيث كلما ازدادت معرفة الفرد بالحقائق والمعلومات عن الجماعات التي يتعصب ضدها قل تعصبه.[2]

2-4 . نظرية الاستغلال أو (تبادل المنافع): تستند هذه النظرية إلى مجموعة من الافتراضات، التي تقول بوجود علاقة بين تفاعل الأشخاص وبين مستوى الاستنتاجات المتوقعة حصيلة هذا التفاعل، وتحدد عواقب هذه النتاجات وأثرها في صيانة التفاعل أو تغييره، وهذه النظرية تفسر الكثير من أنواع التعصب الطبقي والعنصري ولتوضيح ذلك يفترض ما يلي:

هناك جماعتان معنيتان، تعتقد كل جماعة منها أن مصلحتها ترتبط ارتباطا عكسيا بمصلحة الجماعة الأخرى وتقتصر عليها دون غيرها، ففي هذه الحال سيعمد أفراد كل من الجماعتين إلى حماية مصالحهم وضمانها وزيادة فرص تحقيقها ضد مصلحة ومكاسب الفئة الأخرى، وبعبارة أخرى ستعمد كل فئة إلى التقليل من فرص الفئة الثانية، لتحقيق أية مكاسب على حساب الأخرى.

يشكل هذا أساسا قويا للتعصب الحاد الذي ينشأ عند كل فئة ضد الفئة الأخرى، وستحاول الفئة أو الجماعة الأخرى أن تستغل قوتها لتحقيق مصالحها على حساب الجماعة الأخرى، ما لم يكن هناك أعراف أو قوانين أو معايير تحول بينها على مستوى المقارنة عند الجماعتين ويقل التعصب بينهما، إذا كان الفارق بينهما كبيرا ولعل

[1] روبرت مكلفين، ريتشارد غروس، مرجع سبق ذكره، ص 158

[2] حسني الجبالي، مرجع سبق ذكره، ص 180

هذا ما يفسر سبب ضعف قوة التعصب بين الأمريكيين البيض والسود، عندما كانت مطالب السود مستوى المقارنة متدنية وكانت مطالب البيض عالية جدا وكان الفارق كبيرا والهوة واسعة ولما أخذ مستوى المقارنة يزيد عند السود أدى ذلك إلى زيادة حدة التعصب.[1]

2– 5. نظرية التهديد الجماعي مقابل الاهتمام الفردي: ترى هذه الصيغة لنظريات الصراع بين الجماعات، أن الميكانيزم الأساسي الذي يمثل مفتاح التفسير هو اعتقاد أعضاء إحدى الجماعات أن حياتها مهددة أو مستهدفة من قبل جماعات أخرى، وهذا ما يعكس الاهتمام الجماعي للأفراد بمصيرهم العام ومستقبلهم وليس الاهتمام الذاتي المتمثل في اهتمامات الأفراد كل حسب رغباته وأمانيه الخاصة، فقد وجد، **كيندر وسبيرزKinder et D.sears's،** تأثيرا ضئيلا للتهديدات العنصرية الشخصية ذات الاهتمام الذاتي في التفضيلات السياسية للبيض بين المرشحين السود والبيض على حين تبين وجود تأثير قوي للخصومة الجماعية أو التهديد الجماعي ضد السود.

وأشارت بحوث أخرى إلى أن مصدر الخوف الذي يوجد لدى بعض الجماعات، هو الإحساس الجماعي للأشخاص بأن الجماعة التي ينتمون إليها معرضة للإصابة بأذى، **دون اعتبار لما إذا كان الشخص عضو هذه الجماعة سيصاب هو شخصيا بأذى من جراء ذلك أم لا ؟،** فالتهديد يوجه للجماعة ككل وليس للفرد الواحد.

يتمثل التعصب بشكل رئيسي، في مجموعة من الاتجاهات الجماعية الخاصة بالكيفية التي تحكم أسلوب التفاعل بين الجماعات في المجتمع، وليس الكيفية التي تسير بها حياة الشخص ومشاعره الخاصة.[2]

3–النظريات المعرفية: وهي النظريات التي تعطي وزنا أساسيا للعمليات المعرفية التي تحدث لدى الأفراد في نشأة الاتجاهات التعصبية ونموها، وإن اختلفت طبيعة هذه العمليات وديناميا‌تها من نظرية إلى أخرى.[3]

ومن النماذج الممثلة لهذه الفئة من النظريات:

3–1 . نظريات السلوك بين الجماعات : تؤكد هذه النظريات، على أهمية الدور الذي تؤديه العمليات المعرفية في تحديد أفكار الأفراد عن الجماعات الداخلية (أي الجماعة التي ينتمون إليها) والجماعات الخارجية في المجتمع، وتستعين هذه النظرية بمفاهيم معرفية مثل التصنيف إلى الفئات والإدراك الاجتماعي في دراسة وتفسير القوالب النمطية التي يكونها أفراد الجماعات المختلفة عن بعضهم البعض، وأشكال التحيزات التي توجد بين هذه الجماعات وما يترتب على ذلك من تمييز، فهي تهتم بدور التصورات العقلية الموجودة لدى الفرد، وأثرها في تحديد

[1] المرجع السابق، ص 482

[2] معتز سيد عبد الله، **الاتجاهات التعصبية**، مرجع سبق ذكره، ص ص95–96

[3] توفيق (عزات فريد) محمود أبو حديد، مرجع سبق ذكره، ص 24

كيفية معالجته وتفسيره للمعلومات عن الأشخاص والأحداث الاجتماعية، وما قد يطرأ عليها من تشويهات إدراكية، تؤدي إلى تحيزات معرفية منظمة تكمن وراء ما نلاحظه من تعصب، أو تكوِّن القوالب النمطية.[1]

فعلى سبيل المثال: تمثل المرأة منبها سائدا بدرجة مرتفعة، لذلك تتعرض للعديد من القوالب النمطية، فإذا حدث وتعطلت عن العمل بسبب المرض، فسنجد أن الآخرين سيقولون عليها إنها متمارضة أو مهملة أو أنها تتهرب من أداء الواجب، بينما إذا تعطل الرجل للسبب نفسه عز الآخرون ذلك إلى المرض الشديد، بل ربما يتعاطف البعض معه إلى تحمل القيام بأعباء عمله.[2]

2-3 . نظرية أنساق المعتقدات: قدم هذه النظرية **روكيش Rokeach**، ودعمها هو وزملائه بالعديد من الدراسات التجريبية، تقوم على أساس مفهوم الجمود في علاقته بمفهومي تفتح الذهن وانغلاقه وهو ما يمثل لب أنساق المعتقدات، وتمتد أنساق المعتقدات هذه عبر متصل ثنائي القطب يقع الأشخاص (منغلقوا الذهن) في أحد قطبيه والأشخاص (منفتحوا الذهن) في القطب الأخير، وبين هاتين الفئتين المتطرفتين يقع مختلف الأشخاص في هذا المتصل الذي يمكن قياسه بدقة.

وهذه المفاهيم التي تستخدم في وصف أنساق المعتقدات، لا ترتبط بأي نسق معتقدات نوعية، لكنها تنطبق بصورة متعادلة على أنساق المعتقدات، ومعنى ذلك أن التركيز الجامد (منغلق الذهن)، لا يستطيع أن يتقبل أفكار غيره أو يتفهمها، بينما الشخص المتفتح الذهن يمكنه أن يفعل ذلك دون أي صعوبات، وذلك على الرغم من اختلال مضمونها معه.[3]

3-3. نظرية الهوية الاجتماعية: ظهرت نظرية الهوية الاجتماعية في جامعة **بريستول** في انكلترا في السبعينات وكان (**هنري تاجفل Henri Tajfel**) **أبرز** علماء النفس الذين ارتبطوا بها.[4]

يعرف **هنري تاجفل**، الهوية الاجتماعية بأنها: " جزء من مفهوم الفرد عن ذاته، الذي يتغذى من إدراكه كونه عضوا في جماعة اجتماعية، أو جماعات وما تمنحه تلك العضوية من اعتبارات قيمية ووجدانية منسوبة لها ".

ترى نظرية الهوية الاجتماعية، أن تكوين الصورة النمطية، يعود إلى أن التحيز للجماعة هو سمة عامة في علاقات الجماعة المتبادلة، وأن الهوية الاجتماعية تستمد من العضوية في هذه الجماعات بحسب الجنس والعرق والطائفة الدينية... الخ، ولأن للأفراد حاجة نفسية للتقدير الذاتي والإيجابي، ولأن الذات تعرف في إطار عضوية

[1] زين العابدين درويش، مرجع سبق ذكره، ص 293

[2] حسني الجبالي، مرجع سبق ذكره، ص 481

[3] سالم جمعة عبد الصاحب، مرجع سبق ذكره، ص 68

[4] جميل حامد عطية، مرجع سبق ذكره، ص 128

الجماعة، فإن الأفراد بحاجة إلى المحافظة على هوية اجتماعية إيجابية، وعليه فإنه كلما زاد الوعي بما هو خارج الجماعة، كلما زاد التحيز لما هو داخل الجماعة، وأدى إلى ظهور الصور النمطية، فالهوية الاجتماعية تعطي الشكل للصورة النمطية، وكما هو متعلق بالجنس، والعرق، والدين، والمهنة، بينما يساعد تمثل القيم الاجتماعية والمعايير السائدة على إعطائها المضمون.[1]

4- نظريات التعلم: وهي التي عالجت التعصب على أساس، أنه اتجاه يتم تعلمه واكتسابه بنفس الطريقة التي تكتسب بها سائر الاتجاهات والقيم النفسية والاجتماعية.[2]

وقبل التفصيل في مضمون النظرية، نعرف عملية التعلم، لقد اختلف علماء النفس في تحديد مفهوم التعلم، إلاّ أنهم اتفقوا على مفهوم رئيسي، والذي يتمثل في أن التعلم هو " تغيير في السلوك، فإذا كان مجال علم النفس، هو دراسة السلوك، فإن مجال التعلم، العلم الذي يركز على التغير في هذا السلوك "، ويعني بالتغيرات، التغيرات التي تنتج عن ممارسة الخبرة، حيث لا يقصد بها التغيرات المؤقتة، بل التغيرات التي تتميز بدرجة عالية من الثبات والدوام، ومنه يصبح تعريف التعلم: تغيرا في السلوك ناتجا عن الممارسة والخبرة.[3]

تعالج نظريات التعلم موضوع التعصب، باعتباره اتجاها يتم تعلمه واكتسابه بالطريقة نفسها التي تكتسب بها سائر الاتجاهات والقيم الاجتماعية والنفسية، وينتقل بين الأشخاص كجزء من المعايير الثقافية السائدة.[4]

ومن النماذج الممثلة لهذه الفئة من النظريات:

4-1. نظرية التعلم الاجتماعي: وهو المنحى الذي يذهب إليه باحثون مثل " **باندورا**"و " **ولترز** " **A.bandura et Waltrers**وغيرها، ممن يؤكدون أن التعلم يحدث من خلال نموذج اجتماعي ومن خلال المحاكاة، أو التعلم من خلال العبرة، وهو يتم من خلال دعم ذاتي بدلا من الدعم الخارجي.

ويقوم الوالدان بالدور الأكبر في تعليم الأطفال الاتجاهات التعصبية، حيث يوجد ارتباط متسق بين اتجاهات الآباء العنصرية والعرقية ومثيلتها التي توجد لدى الأطفال، فالوالدان ينقلان هذه الاتجاهات دون توجيه مباشر، ويقومان هما نفسهما دون وعي بعملية مجاراة الاتجاهات السائدة في الثقافة التي يعيشان فيها، ويلاحظ الأطفال

---

[1] بشرى عناد مبارك: **التعصب وعلاقته بالهوية الاجتماعية والمكانة الاجتماعية لدى العاطلين عن العمل**، مجلة الفتح، كلية التربية الأساسية، جامعة ديالي، بغداد العراق، العدد 53،2013، ص ص76-81

[2] معتز سيد عبد الله: **الاتجاهات التعصبية**، مرجع سبق ذكره ص 107

[3] فارس راتب الأشقر: **فلسفة التفكير ونظريات في التعلم والتعليم**، مكتبة طريق العلم، الأردن، ط1، 2010، ص ص126

[4] جميل حامد عطية، مرجع سبق ذكره، ص 133

بالتالي اتجاهات والديهما وسلوكهما في المواقف المختلفة ويلتقطون العديد من الهاديات غير اللفظية في استجاباتهم للأشخاص الذين ينتمون إلى جماعات عنصرية أخرى.

فالوالدان أوضح النماذج التي يحاكي الأطفال سلوكها ويتوحدون معهما منذ فترات العمر المبكرة، هذا على الرغم من حرص الوالدان على عدم التعبير الصريح عن اتجاهاتهما التعصبية في كثير من الأحيان، كذلك يعتبر المدرسون بمثابة نماذج اجتماعية تمارس تأثيرا لا يمكن إنكاره في تشكيل اتجاهات الأطفال عموما بما فيها الاتجاهات التعصبية، ويمثل الأطفال دون تدعيم خارجي إلى اكتساب أشكال التعصب السائدة حولهم في بيئتهم الاجتماعية من خلال النماذج ذات التأثير الفعال.[1]

4-2. نظرية التشريط الكلاسيكي والتشريط الفعال: إن كلتا النظريتين لهما دور مهم في اكتساب الاتجاهات من خلال عمليات الترابط والتدعيم المختلفة، وهو دور يتكامل مع دور التعلم الاجتماعي بشكل يصعب معه الفصل بينهما في أحيان كثيرة، إلاّ في مواقف الدراسة العملية، وهناك أدلة عديدة على أن إجراءات التشريط الكلاسيكي تمكننا مهما تكن الظروف من تكوين اتجاهات مودة وتسامح أو اتجاهات كراهية ونفور حيال جماعات معينة كانت الاتجاهات تحسبها محايدة من قبل، وإجراءات التشريط الفعال تؤدي هي الأخرى إلى تكوين اتجاهات بالتأييد أو المعارضة نحو جماعات معينة، أو لتعبيره عن اتجاه آخر نحو عضو في جماعة أو جماعات معينة، وهكذا يشجع على أن يكرر أو يعاقب على سلوكية معينة.

فتوقع الشخص للمكافئة، إذا ما صدر سلوكا يعكس اتجاها تؤيده الجماعة التي ينتمي إليها نحو جماعة أخرى، يؤدي إلى تكرار إصداره، ولاسيما أنه يلقى قبول الجماعة كما أن توقعه للعقاب، إذا ما أصدر سلوكا يتنافى مع ما تعتنقه جماعته من قيم ومعايير، يؤدي به إلى تجنب إصدار هذا السلوك وبتكرار هذه العمليات، يتعلم جيدا كيف يستجيب الاستجابة التي تحقق له المكافئة، وتبعده عن العقاب، ويحصل من خلال ذلك على قبول الجامعة التي ينتمي إليها.

وهذه العملية تبدأ مبكرة في الطفولة، وتنمو مع العمر، ويؤدي الوالدان الدور الرئيسي فيها، لأنهما يمثلان الإطار الثقافي المصغر الذي يعيش فيه الطفل، مما ينطوي عليه من قيم ومعايير ينبغي تمثلها والاستجابة وفقا لها.[2]

5- النظرية البيئية: أحد أبرز ممثلي هذه النظرية هما: **كرتش وكرتشفيلد**، يرى ممثلوا هذه النظرية، بأن التمييز العنصري الناتج عن التعصب، يخلق ظروفا اجتماعية تدعم الاتجاه، ويكتسب تعصب جماعة ضد أخرى صفة

[1] معتز سيد عبد الله: **الاتجاهات التعصبية**، مرجع سبق ذكره، ص 109

[2] سالم جمعة عبد الصاحب، مرجع سبقه ذكره، ص ص59-60

معيارية في المجتمع من أمثلة التعصب الذي تفسره هذه النظرية، ما هو سائد في الولايات المتحدة الأمريكية، خاصة في المناطق الجنوبية منها، حيث يسود التمييز العنصري بين السود والبيض، ويمنع السود من الاختلاط، ومع هذا العزل للسود عزز مشاعر التعصب عند الطرفين، لو طبق هذا المبدأ على واقع الشعب العربي الفلسطيني، لوجدنا أن ما يعانيه هذا الشعب من نتائج للتعصب العنصري الصهيوني الأعمى، سيؤدي إلى تعزيز التطرف عند الجانب العربي الفلسطيني ضد التطرف العنصري الصهيوني.[1]

6- النظرية الحضارية: تقوم هذه النظرية على أساس افتراض، أن أشكال التعصب المختلفة تنشأ عن الخوف التقليدي والعداوة المتبادلة بين قاطني الريف والحضر بناء على ما لدى كل منهما من توقعات عن الآخر، وبما يمكن أن يسببه ذلك من أضرار لكل منهما، وتنادي بأن انتقال الناس من الحياة الريفية إلى المدينة تصاحبه أنواع كثيرة من الخوف والقلق، فحياة الحضر أكثر تعقيدا من الريف لما تتطلبه من جهود ومنافسة للوصول إلى مستوى مناسب من الحياة، وفيها خوف من أن لا يستطيع البعض من الوصول إلى هذا المستوى التي تتطلبه الحياة الحضرية، وما يخشى منه أن يفشل الفرد من الانتقال والوصول إلى هذا المستوى، ونكره كل من فشل لأنه يذكرنا بدورنا، وقد فشل فيه لأن نجاحنا يتطلب منافسات ومشاحنات، وجهدا نفسيا وجسديا شاقا، ولهذا نحن نكره هذا المستوى ونكره من وصل إليه.[2]

وفقا للنظريات المطروحة، فإن أغلب الباحثين في مجال النظرية الاجتماعية، يجمعون على التعقيدات التي تعاني منها هذه الأخيرة في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية، وانعكست هذه التعقيدات على النظريات التي عالجت التعصب، وفي رأي الكثير من الباحثين أمثال **معتز سيد عبد الله** وآخرون، أن هذه النظريات تفتقر إلى الإطار التفسيري الشامل القادر على تفسير التعصب من زاوياه المختلفة، حيث كل نظرية اهتمت بتفسير نوع واحد من التعصب ، كأن تهتم بتفسير التعصب الديني، أو التعصب العنصري، الطائفي... وهكذا، ومن جهة أخرى هناك أنواع من التعصب لا تظهر إلاّ في مجتمعات معينة نتيجة للخصوصية الثقافية، الاجتماعية، الدينية، الحضارية، وتلك الأشكال قد لا تظهر في مجتمعات أخرى، وهذا يعني أن النظرية لم تتصف بصفة العمومية والشمول، وهذا ما أكد عليه **معتز سيد عبد الله**، بقوله: " كل فئة من الفئات النظرية السابقة الذكر، تمثل إطارا تفسيريا ينظر إلى التعصب من زاوية واحدة، ينسب إليها نشأة وارتقاء واستمرار، بل وتغير مختلف الاتجاهات التعصبية، ومما لا شك فيه، أن كلا من هذه المناحي يتسم ببعض الصدق في تفسيره، إلاّ أنه في الوقت نفسه تنقصه العمومية، ويتسم ببعض جوانب القصور، ويعترف الباحث أيضا، أنه من الصعب التمييز بين محددات

[1] عبد الحافظ سلامة، مرجع سبق ذكره، ص84

[2] نادر طالب شوامرة، مرجع سبق ذكره، ص ص461-462

نفسية وأخرى اجتماعية بهذا الشكل التعسفي الذي قدمته مناحي التعصب، كل من وجهة نظرها، لأن ذلك يفقد الظاهرة خصوبتها وإمكانية فهمها فهما متعمقا.[1]

وهذا ما يؤكده الكاتب **أيان كريب** في كتابه (**النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس**)، أنه استحالة وجود نظرية شاملة تستطيع أن تفسر جميع مناحي الحياة الاجتماعية، وخصوصا تفسير مكونين أساسيين من مكوناته وهما: البنية والفعل، إذ أن النظرية التي تستطيع تفسير الظواهر المتعلقة بالبنية لا يكون بمقدورها تفسير الفعل البشري، إذ لابد أن يكون لكل من هذين القطبين، وهما قطبان يشكلان الحياة الاجتماعية، نظرية خاصة به وأن أي قصور، الذي تواجهه النظريات الاجتماعية، إنما يقع حينما تتجاوز هذه النظريات اختصاصها، وتحاول أن تفسر مجالا من مجالات الحياة الاجتماعية، هي غير أهل لها، وهذا ما يقود إلى التأكيد على وجوب التعددية النظرية، والدعوة إلى الانتقال من نظرية إلى أخرى حسبما تقتضيه ضرورات البحث.[2]

[1] معتز سيد عبد الله، **الاتجاهات التعصبية**، مرجع سبق ذكره، ص 118

[2] أيان كريب: **النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرمارس**، ترجمة/ محمد حسين غلوم، عالم المعرفة، عدد (244)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1999، ص14

الفصل الخامس: الحوار الفكري الأكاديمي كمدخل لترقية المعرفة السوسيولوجية

أولا: **نماذج: أجنبية وعربية في تفعيل الحوار الفكري**

1- فعالية المؤتمرات والملتقيات بالجامعات العربية (مقاربة نقدية)

2-مساهمة مدرسة شيكاغو في ترسيخ مبادئ الحوار الفكري

3-مدرسة فرانكفورت، نموذج للحوار الفكري الأكاديمي الناجح

4-- مركز دراسات الوحدة العربية، تجربة لتأسيس البحث العلمي المؤسسي

ثانيا:طبيعة الحوار الفكري بالفضاءات العلمية والبيداغوجية الوطنية

1- المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية بالجزائر

2- الناتج العلمي لبعض مؤسسات التعليم العالي (قراءة في بعض المؤشرات)

3- تقييم آداء مخابر البحث العلمي في ضوء الدراسات الميدانية

الفصل الخامس: الحوار الفكري الأكاديمي كمدخل لترقية المعرفة السوسيولوجية

ازدادت أهمية الحوار مع التطور الحضاري الذي عرفته المجتمعات المعاصرة، والذي كان له الدور البارز في هذا التطور في كل المجالات وخاصة العلمية منها، وبما أن الحوار أصبح مطلبا حضاريا وإنسانيا، فهو يكون أكثر أهمية في الأوساط العلمية، لما يمكن أن يساهم به في تفعيل حركة البحث العلمي الأكاديمي، وخاصة دوره في ترقية المعرفة السوسيولوجية داخل فضاءات علمية مختلفة، وقد حددناها في النماذج التالية: المؤتمرات والملتقيات، مدرسة شيكاغو، مدرسة فرانكفورت، مركز دراسات الوحدة العربية، ولمعرفة طبيعة الحوار الفكري داخل الفضاءات العلمية والبيداغوجية الوطنية، اتخذنا من المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية بالجزائر وبعض من مؤسسات التعليم العالي كنموذج للبحث العلمي الأكاديمي في قراءة لبعض المؤشرات التي بإمكانها أن توضح لنا شكل وطبيعة الحوار الفكري بين الباحثين داخل هذه المؤسسات البحثية، ولكن أمام تراجع مستوى البحث العلمي بالجزائر، وهذا وفقا للعديد من الدراسات والتقارير الدولية والعربية، يطرح أمام الباحثين العديد من التساؤلات، أهمها: **لماذا هذا التراجع؟**، بغض النظر عن المعوقات المادية والمالية والبشرية التي يتخذها الباحثون كذريعة لهذا التأخر، لكن نحن نطرح السؤال التالي: **هل تعاني مؤسساتنا البحثية من غياب ثقافة الحوار الفكري؟ وما هي المؤشرات الدالة عن غياب ثقافة الحوار الفكري؟**

أولا: نماذج: أجنبية، عربية، وطنية ودورها في تفعيل الحوار الفكري

للكشف عن أهمية ودور الحوار في ترقية المعرفة العلمية بصورة عامة والمعرفة السوسيولوجية بصورة خاصة، سنحاول التركيز على نماذج معينة أثبتت فعاليتها ونجاعتها في البحث السوسيولوجي وأخذنا نماذج (الملتقيات والمؤتمرات وكذا الندوات، مدرسة شيكاغو، مدرسة فرانكفورت، مركز دراسات الوحدة العربية، المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية)، من خلال منتوجها الفكري وإلى أي حد جسدت هذه التنظيمات فكرة الحوار أو العمل العلمي التشاركي بين الأعضاء الفاعلين انطلاقا من بعض المؤشرات، للإشارة وكما تم الحديث عن الحوار وأنواعه ضمن الفصل الثاني، اتضح أن الحوار أخذ أشكال وأنواع مختلفة، تعددت بتعدد أهدافه وموضوعاته، (حوار الأدباء، حوار تعليمي تثقيفي حوار إيجابي وسلبي...)، ولكن بما أننا ركزنا على الحوار الفكري، الذي هو الآخر، يأخذ صيغ مختلفة، يمكن حصرها في نوعين رئيسيين، هما: الحوار الفكري المباشر، واعتمدنا في هذا النوع من الحوار على الملتقيات والمؤتمرات، والحوار غير المباشر، يأخذ أشكال مختلفة أيضا مثل النقد الفكري ، المساهمة في إعداد مؤلف جماعي، الكتابة بلغة الآخر، الاستشهاد أو الإحالات دليل على أن هناك تقبل لأفكار الآخر بعيدا عن التعصب، لأننا في هذا الفصل نحاول أن نكشف عن التعصب الفكري من خلال قدرة المفكرين والباحثين على ممارسة

الحوار الفكري بمختلف أنواعه، لأننا نعترف بصعوبة الأمر، لأنه ليس من السهل الكشف عن التعصب الفكري لدى النخب العربية، إلاّ من خلال بعض المؤشرات، أهم هذه المؤشرات طبيعة وشكل الحوار بين النخب، وهو الحوار الفكري غير المباشر، يجب أن ننوه أن الحوار الفكري المباشر لا يوضح بشكل كبير أو يكشف عن امتلاك الباحث العربي والجزائري لفكر تعصبي، لذلك حاولنا أن نبحث عن دلائل لغياب الحوار الفكري بالمؤسسات البحثية الجامعية خاصة، لأن الجامعة الجزائرية تعتبر الحاضن الأول والأكبر للبحث العلمي المؤسسي.

1- فعالية المؤتمرات والملتقيات بالجامعات العربية (مقاربة نقدية)

سننطلق في تحليل دور الملتقيات والمؤتمرات في ترقية المعرفة العلمية، من السؤال الذي تم اقتباسه من مقال للأستاذ/ **صالح هويدي** بمجلة نقد وتنوير بعنوان " **من ثقافة النقد إلى ثقافة التنوير** "، السؤال هو: **ما هي أهمية المؤتمرات والندوات، إذا كانت تدور ضمن دائرة إعادة إنتاج ما نتلقفه من الآخر بآلية مكررة، من دون أن ننجح في الخروج عما ألفته العقول ولاكته الألسن؟، ما الفائدة من وجود الأكاديميات والمؤسسات العلمية إن لم تكن فضاء حقيقيا لفعالية العقل الذي يمارس فيه نشاطه الحر؟ ويعبر فيه عما يعتقده من آراء ومعتقدات؟**[1]

تعتبر الجامعات فضاء يمارس فيه الباحثون مختلف الأنشطة العلمية والفكرية، لتحقيق غاية البحث العلمي في نشر وترقية المعرفة العلمية، تعتمد الجامعة على هذه الآليات (المؤتمرات، الملتقيات، الندوات، أيام دراسية...إلخ)، لتفعيل البحث العلمي، باعتبارها أحد أهم وسائل الاتصال العلمي الفعال والمجدي بين الباحثين.

ونظرا لأهميتها في تفعيل الحركة العلمية، فإن للمؤتمرات ثلاث وظائف أساسية:

- مساعدة الباحثين في تحسين بحوثهم من خلال التغذية الراجعة من جانب باحثين آخرين في نفس التخصص.
- وسيلة للنقاش وتبادل الآراء والخبرات بين الباحثين حول القضايا الجديدة وتوليد أفكار جديدة.
- أنها أداة لتبادل المعلومات.
- تعد المؤتمرات والملتقيات وسيلة لخلق نوع من العلاقات الاجتماعية فيما بين المتخصصين الذين ينتمون إلى مؤسسات أكاديمية وبحثية مختلفة ويجمعهم مجال موضوعي واحد، وتعد المؤتمرات العمود الفقري للاتصال والحوار العلمي المثمر، تساهم كغيرها من مصادر إنتاج المعرفة في المساهمة في تطوير البحث العلمي، قد أثبتت إحدى الدراسات بكلية الحاسب الآلي بجامعة " **ويسكنسون** "، أن المشاركة في المؤتمرات العلمية وورش العمل، تعد أحد

[1] صالح هويدي: **من ثقافة النقد إلى ثقافة التنوير، مجلة نقد وتنوير**، مركز نقد وتنوير للدراسات الإنسانية، الكويت، العدد الرابع، الفصل الأول، السنة الثانية، مارس 2016، ص 12

أكثر الوسائل استخداما للاتصال العلمي بين العلماء في مجال الحاسب الآلي، كما ذكرت الدراسة أن أعمال المؤتمرات لها قيمة علمية في مجال تفوق النشر في دوريات علمية، وعلى الرغم من أهميتها والزيادة في عدد المؤتمرات الدولية التي تعقد سنويا كما يتبين من الشكل التالي :

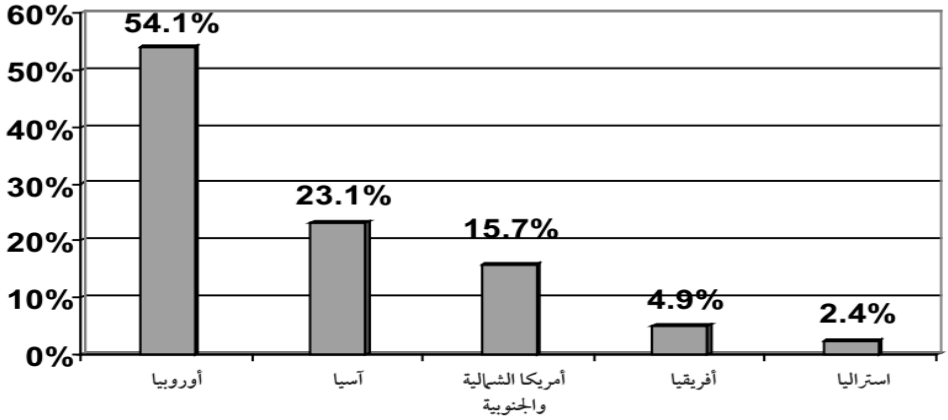

الشكل رقم5: المؤتمرات الدولية التي عقدت عام 2009 موزعة على قارات العالم

وفقا لما ورد بتقرير الاتحاد الدولي للجمعيات العلمية UIA4، فإن أعمال هذا الكم الهائل من المؤتمرات تواجهه مشكلتين رئيسيتين هما:

- **تتبع أعمال المؤتمرات–تحكيم بحوث المؤتمرات.**[1]

حسب رأي الباحثون المؤيدون لعقد المؤتمرات، والتي يرون فيها ضرورة لأنها تحقق جملة من الأهداف:

- المؤتمرات والملتقيات تقدم إضافة علمية.
- تساهم في زيادة المعارف والخبرات.
- وسيلة لتطوير المسار الوظيفي للباحثين.
- الحصول على المعلومات بصورة أسرع من المجلات والدوريات البحثية.

[1] أماني محمد السيد: **نظم إدارة المؤتمرات العلمية ودورها في تحكيم ونشر بحوث المؤتمرات**، نقلا عن الموقع الالكتروني:
http://www.academia.edu/5350524/%D9%86%D8%B8%D9%85_%D8%A5%D8%AF%D8%A7%D8%B
ص ص 338–342

بالرغم من وجود الكثير من المؤيدين لأهمية المؤتمرات في نشر وترقية المعرفة العلمية، إلاَ هناك من يعارض هذا التوجه، بالقول أن المؤتمرات مكلفة وهي مضيعة للوقت والموارد، حيث تفشل نسبة كبيرة في تحقيق أهدافها.[1]

نحن من المؤيدين لتنظيم هذه الفعاليات العلمية، نظرا لما تتسم به من أهمية بالغة في نشر وتطوير المعرفة العلمية، إذا ما تم التخطيط لها بحكمة، لأنها عبارة عن تنظيم تلتقي فيه الكثير من العقول الفكرية من مختلف المؤسسات البحثية ومن مختلف الدول، وهذا اللقاء العلمي بالمناقشة والحوار بين الباحثين في معالجتهم لقضية أو لموضوع المؤتمر من مختلف جوانبه، أكيد سيسفر عن نضج الأفكار واتضاحها، لأن العمل الجماعي يكون أكثر فاعلية من الأعمال الفردية التي لا تنظر للموضوع إلاَ من زاوية واحدة، فالاحتكاك والحوار الفعال المبني على قواعد ومبادئ تم التطرق لها سابقا، فمن يملك الحجة والبرهان يمكن أن يقنع الحاضرين بفكره ورؤيته وطرحه بعيدا عن الإكراه والتعصب للرأي، فالكثير من الباحثين يحضر هذه المؤتمرات والملتقيات وهو حامل لفكرة أو قناعة أو توجه، في نهاية المؤتمر قد يغير من هذه القناعات.

هذا طبعا ما يجب أن تكون عليه هذه المؤتمرات من الناحية النظرية وحتى من الناحية العملية، وخير دليل المؤتمرات التي يعقدها الغرب والمخطط البياني السابق يبين مدى اهتمام الدول الأوروبية بعقد المؤتمرات وهي المعروفة بالعقلانية والحكامة في ترشيد الأموال، ولولا أهميتها وقيمتها في تقديم الإضافة المعرفية للبحث العلمي لما كانت من أولوياتها.

إذن فإن نجاح واستمرار المؤتمرات ممكن أن يتحقق بتوفر العناصر التالية:

– وضوح الهدف، فأهم شروط نجاح المؤتمرات، هو تعيين الهدف بشكل واضح لا يشوبه الغموض أو الاستفهام والتحديد بالضبط: **ما هو المطلوب من المؤتمر المزمع عقده؟ وما هي مهمته وحدوده؟**

– جمع الكل وإسهام الآخرين في فعاليات المؤتمر الذي يعتبر مشروعا يعالج قضية جوهرية، يشارك فيها الجميع دون إقصاء للاستفادة من الطاقات الفكرية المختلفة.

[1] صلاح عبد السميع عبد الرازق: **تنظيم المؤتمرات العلمية**، مدونة الدكتور صلاح عبد السميع عبد الرازق، السبت 12 جانفي، 2012، نقلا عن الموقع الالكتروني: drsalah2011.blogspot.com/2012/01/blog-post_21.html

– الإيمان بأن نجاح المؤتمرات أمر نسبي، فإن المطلق والحدية الجامدة في العمل أمر يقود غالبا إلى الفشل، إذ لابد من أن نضع في الحسبان اختلاف الآراء والمصالح ومستوى القناعات ودرجات التفاعل والانسجام، فليس من الصحيح أن نقسم الآخرين إلى فئتين: فئة تؤمن كليا وفئة ترفض كليا، وبالتالي نحكم عليهم إما معنا أو ليسوا معنا، فربما تكون هناك فئات أخرى ربما تكون أقرب إلى الواقعية والاعتدال في تحقيق الهدف وأن أفكارها هي الصحيحة.[1]

– بما أننا غير معصومين، ينبغي أن ندرك أن الخطأ أو الغفلة أو الذنب سواء عن عمد أو من غير عمد وارد، لذلك يجب أن لا نتوقع أن لا يخطأ الغير في حقنا، أو نتوقع أن يتعاملوا معنا بالطريقة التي نحب، لذلك من الأنسب أن نضع بعض الأصول الأساسية أمامنا ونحن نتعامل مع الآخرين لنعود إليها عند توتر الأجواء واختلاف الآراء وربما المواقف، ولعل أهم هذه القواعد والأصول التي يجب أن نعرفها:

– أصالة التفاهم والحوار في قبول الاختلاف والتنازع.

– أصالة التعاون والتنسيق في قبول التفرقة.

– أصالة التسامح والعفو في قبول التفرقة والفردية.

ومنه فإن نجاح المؤتمرات واستمرارها، أمر وارد ويمكن تحقيقه، إذا ما توافرت عناصره الأساسية والتي تتلخص في أمرين مهمين، أحدهما من داخل الإنسان نفسه، حيث أن قدرة الإنسان وقوة إبداعه وسر عظمته وانتصاره يعود إلى إرادته وتصميمه، كما أن سر فشله وتراجعه يعود إليه أيضا أولا، لذلك لابد من التركيز على النفوس وتهذيبها وتعليمها وتوعيتها بعناصر القوة والمتانة وترويضها بخصال السمو الروحي وعلو الهمة وسلوك سبل النجاح وتجنب نقاط النقص والفشل، أما العناصر الخارجية، وهو يعني القائمين بالمشروع قبل غيرهم وبالتالي ينبغي على المؤسسة أن تعمل عليه.

أما الخطوات أو الآليات التي يجب أن تتوفر حتى تحقق المؤتمرات نجاحها وتهيئ لنا الفرص الكبيرة لاستثمارها:

آلية الوجود – آلية النجاح – آلية الدوام والاستمرار.

حيث يجب أن تنجز المشاريع البحثية ضمن إطار مؤسسي، حيث أنه من الحكمة وضرورة العمل وضمان ديمومته وتكامله، تفرض علينا الإيمان بالعمل الجماعي وتجاوز الفردية في الأمور، إذ ينبغي أن تكون آلياتنا أيضا

[1] فاضل الصفار: **المؤتمرات الولادة وآليات النجاح**، مجلة النبأ، مؤسسة المستقبل للثقافة والإعلام، العراق، العددان 25–26 (سبتمبر–أكتوبر)، 1998، نقلا عن الموقع الالكتروني: http://annabaa.org/nbahome/index.htm

جماعية ومؤسساتية لذلك، يقترح الباحث أن تكون الآليات عبارة عن لجان تقوم بالمهمات الثلاثة ولكل مهمة لجنة تهتم بأمورها وتتكفل بمسائلها.[1]

يكشف لنا **مرتضى معاش**، أهمية المؤتمرات بصورة عامة، عن طريق عرضه للتجربة الهندية، خاصة الحركة السياسية التي قادها **غاندي** في سعيه لتحرير الهند من الاستعمار البريطاني الذي استمر قرونا من الاستعباد والاستغلال والإذلال، وهو ما كان أشبه بالمعجزة التي لا يمكن أن تتحقق، والإنسان بإمكانه تحقيق المعجزات لو استثمر في الأسباب الصحيحة التي تعطيه تلك النتائج الكبيرة، ويحدد الباحث، أن نجاح أي مشروع مرهون بعنصري الفكرة والإدارة (أسلوب الإدارة)، **فغاندي** استثمر في هذين العنصرين وصوبهما نحو الهدف.

– **عنصر الفكرة:** وهو اللاعنف، وهي فكرة تؤصل الروح الإنسانية وتجمع الشتات، وتؤسس للتعايش السلمي، إن المشكلة الإنسانية التي تؤجج النزاع بين الأفراد والعقائد والتجمعات هي العنف، فكرة العنف تفرض نفسها بالقوة وما يأتي بالقوة يذهب بالقوة، لذلك فإن فكرة العنف لا تعش طويلا.

– **عنصر المؤتمر:** جمع **غاندي** كافة الأحزاب والتجمعات في حركة واحدة قوية، وقفت أمام الاستعمار.

فالمؤتمر هو تجميع المتفرق والمشتت من الخبرات والطاقات والجماعات في عمل تنسيقي مشترك لتحقيق هدف مشترك، فمهما امتلك الفرد أو الجماعة من القوة والإمكانية، فإنه لا يمكن أن يحقق غاياته الكبرى دون أن يستوعب ويتآلف وينسق مع الجماعات والتجمعات التي تجتمع معه في الفكرة، ومنه فإن عنصري الفكرة والإدارة يتكاملان ويتفاعلان مع بعضهما في إنجاح التحرك والمسيرة.[2]

يضيف/**فاضل الصفار**، لإنجاح المؤتمرات وكسب نتائج إيجابية، ينبغي أن نقضي على أسباب فشلها وكما يسميها هو " **الموانع**"، لأنه يرى أن الأعمال الكبيرة ومن بينها المؤتمرات تعترضها عقبات تحد من عملها أو من تحقيقها لنتائج إيجابية، ويحدد هذه الموانع في مانعين أساسيين:

– **الفشل:** تعرض المؤتمرات إلى الفشل قد يرجع إلى عدم توفر المقتضيات بالشكل الكافي.

– **الإفشال:** يعود الإفشال دائما، إلى الموانع وليس المقتضيات، إذ قد تعمل الهيئة المعدة للمؤتمر على توفير كل عناصر الوجود، إلا أن عدم إشراك البعض أو عدم استشارتهم أو التنسيق معهم قد يقود البعض إلى اتخاذ مواقف مضادة، فيعمدون إلى وضع عراقيل أمام المؤتمر من أجل إفشاله، وقد يقود البعض إلى عدم التفاعل أو الاهتمام به

---

[1] المرجع السابق

[2] مرتضى معاش: **المؤتمرات ضرورة حضارية**، مجلة النبأ، مؤسسة المستقبل للثقافة والإعلام، العراق، العددين 17–18 (أكتوبر – نوفمبر)، 1997، نقلا عن الموقع الالكتروني: http://annabaa.org/nbahome/index.htm

بالقدر الكافي، الذي يوفر أسباب النجاح، وهذه مسألة عويصة يتعرض لها المشرفون على تنظيم المؤتمرات، لذلك ينبغي أن تدرس بشكل جيد الموانع والمعوقات لكي نضمن لمؤتمراتنا النجاح.[1]

إذن تؤدي المؤتمرات دورا مهما في جمع الأفراد حول هدف واحد، وقد تختلف هذه المؤتمرات من علمية إلى سياسية، المهم ما يهمنا في الأمر أنها تعقد لأجل مناقشة فكرة أو موضوع أو مشروع ....، لأجل المجتمع، لهذا يجب الاعتماد على المؤتمرات كأحد أهم التنظيمات العلمية التي تفعل حركية البحث العلمي، لذلك لابد من الاعتناء أكثر بها وتشجيعها لكي تكون مصدر أساسي لنشر وترقية المعرفة العلمية، فمثال الذي طرحه الباحث حول فكرة لدى **غندي** لمحاربة العنف والتطرف والتعصب وتجسيدها في مؤتمر، لدليل على رعاية المؤتمرات للأفكار وحمايتها، فهي درس حقيقي للعمل الجماعي، بالرغم من الاختلاف في العقائد والأفكار والأهداف، إلاَ أنه استطاع أن يعطينا نموذجا للحوار الوطني الذي جمع بين أفراد المجتمع تحت مضلة المؤتمر، ويمكن أن نستفيد من هذه التجربة الناجحة، في تسيير المؤتمرات وتوفير العوامل المادية والبشرية لإنجاحها.

ونعود للفكرة السابقة عندما تكلمنا عن رأي بعض الباحثين عن سلبيات المؤتمرات، خاصة في العالم العربي، ولمعرفة ذلك انطلقنا من التساؤل التالي: **لماذا تفشل المؤتمرات في العالم العربي من تحقيق أهدافها؟ ولماذا تتصف المناقشات أثناء المؤتمرات بالعصبية والاختلاف الحاد في الرأي، حتى تصل الأمور للشجار والكلام البذيء؟**

يحدد /**خليل علي حيدر** بعض السلبيات للمؤتمرات والندوات التي تؤثر على طبيعة الحوار المثمر الذي من المفروض أن يكون السمة الأساسية التي ينبغي أن تميز المؤتمرات:

- **عدم الدقة في اختيار المشاركين:** فمن النادر أن يكون لدى المؤسسات الثقافية والأكاديمية قاعدة بيانات أو كشفا تفصيليا بأسماء وتخصصات وعناوين الشخصيات الثقافية والأكاديمية والأدبية في مختلف المؤسسات والجامعات العربية.[2]

فكثيرا ما يدعى لهذه اللقاءات العلمية شخصيات غير مناسبة، ضعيفة الأداء ليس لديها الكثير مما تقوله للآخرين وحول موضوع الندوة، فاختيار المشاركين يتم بناءً على ميول رئيس اللجنة العلمية أو التنظيمية للمؤتمر، غالبا ما تكون هذه الاختيارات مبنية على العلاقات الشخصية وكذلك على التوافق في الأفكار، يعمد الكثير من المعدِّين للمؤتمرات، على تفادي وإقصاء ذوي الأفكار النقدية والحوار البناء، فاللجنة تعتمد في اختياراتها على الأسماء الكبيرة

[1] فاضل الصفار: **إدارة المؤتمرات، الملامح والمقومات**، مجلة النبأ، مؤسسة المستقبل للثقافة والإعلام، العراق، العدد 27، السنة الرابعة، نوفمبر،1998، نقلا عن الموقع الالكتروني: http://annabaa.org/nbahome/index.htm

[2] خليل علي حيدر: **في ندوات العرب ومؤتمراتهم**، مجلة حوار العرب، تصدر عن مؤسسة الفكر العربي، بيروت، لبنان، العدد 16، مارس 2006

والمعروفة حتى ولو أنها لن تتمكن من تقديم ما هو جديد، وكأن حضورها شرفي يرفع من قيمة الملتقى دون إفادة الحضور وتزويدهم بخبراتهم وتجاربهم، وبالتالي هذا يؤثر على سير الحوار والنقاش، لأن الخبراء الذين قدمت لهم الدعوة عبارة عن ديكور لتزيين قاعة المؤتمرات.

- **تكرار المواضيع**[1]: حيث يلجأ الكثير من المشاركين إلى المخزون الموجود لديهم من أعمال سابقة ويقدمونها في الكثير من الملتقيات وغالبا ما تكون المداخلات مملة، حتى أن طبيعة الحوار الذي يدور ويناقش هذه المواضيع، لا يجدي نفعا، لأن النقاش يدور حول معطيات نظرية لمفكرين كبار، لسنا مؤهلين لأن نناقشهم.
- **القراءة المملة لورقة العمل:** حيث نجد المحاضر يقرأ ورقته العلمية بطريقة رتيبة قاتلة لاهتمام الحضور والعديد من المحاضرين، لا يدرك الفرق الكبير بين القراءة ومخاطبة الجمهور، وبالتالي عدم استيعاب الحاضرين لما قدم، فلن يستطيع أن يفهم ما قدمه المحاضر، وبالتالي يتعذر على المستمع أن يدخل في النقاش والحوار حول ما قدم، لذلك يجب على المحاضرين أن يحسنوا من أدائهم.

– **محدودية التفاعل:** لا يتحدث الكثير من المحاضرين بهدف إقناع الحاضرين عبر دراسة عميقة للموضوع واستيعاب حقيقي مستفيض للآراء المضادة والانتقادات، بل كل ما يهمه أن يبقى مصرا على ما قال قبل سنوات، وأن يستمر أمينا للدراسة نفسها وللخط العقائدي نفسه، وأن يثبت التزامه بخط سياسي معين، وسرعان ما يتحول النقاش الفكري السياسي العميق إلى خطابة والخطابة إلى تبادل اتهامات وردود حادة، وبشكل عام لا يحدث بين المشاركين تفاعل خلاق ولا تتولد من اللقاءات قناعات جديدة ولا يسعى المتحاورون إلى تخليص البيئة الثقافية والفكرية من بعض سلبياتها وميولها الموروثة.

- **غياب أصحاب القرار عن حضور فعاليات الندوات والمؤتمرات** [2] :حيث تناقش المؤتمرات قضايا فكرية ذات طابع سياسي أو قانوني أو ثقافي...، فيخلص الحاضرون بعد العرض والمناقشة إلى توصيات مهمة بما جادت بها قريحة الموجودين، نحن نتساءل: **لماذا لا يحضر المعنيون بالأمر الذين يملكون صلاحيات اتخاذ القرار لتفعيل نتائج المؤتمرات؟، لماذا لا يتصفح أصحاب القرار نتائج المؤتمرات؟ لماذا لا يحرص قادة الأمن، أو رجال الأعمال، أو الاقتصاديين، من حضور الندوات والمؤتمرات التي يتحدث فيها الأساتذة عن موضوعات تهمهم؟**

[1] المرجع السابق

[2] المرجع السابق

لا نجد حضور لهؤلاء المعنيين بالأمر، كأن هذه الندوات والمؤتمرات، تعقد لأغراض شكلية، تصرف أموال طائلة دون الاستفادة منها ومن نتائج أعمالها على أرض الواقع، تبقى مجرد أعمال يذهب بها إلى الأرشيف، فحضورهم يقتصر على حفل الافتتاح.

في الكثير من الأحيان لا يناقش الباحثون النقاط الأساسية لموضوع المؤتمر، وبالتالي لا يتوصلون من خلال نقاش بعض الجزئيات إلى نتائج مهمة ومفيدة تكون واضحة ومفهومة، بل يعبرون عن مشاعرهم وينفسون عما في خواطرهم، فهؤلاء الحاضرون كلهم تقريبا قمم في الفكر والعلم، كل واحد باستطاعته حل مشكلة أو معالجة قضية ما، فيكفي أن يتناقشوا ويتحاوروا ويتبادلوا الرؤى والأفكار، ومن إيجابيات هذه الندوات خاصة الجادة منها، أنها تتيح فرصا نادرة للاحتكاك الإنساني والتعارف الفكري بين الشخصيات الثقافية والإعلامية ولولاها لما عرفنا أهم القامات الفكرية سواء على المستوى العربي أو العالمي.

وكثيرا ما تكتسب الحوارات الجانبية، بعيدا عن جلسات النقاش الرسمية، أهمية كبيرة يتجاوز فيها الباحثين ما يقال رسميا في قاعة المؤتمرات، خاصة إذا تعلق الأمر بقضايا حساسة كأن يكون انتقاد لنظام سياسي معين لدولة ما، فالباحثون يلجئون إلى الكتمان وعدم البوح باتجاهاتهم السياسية، فالأحاديث والنقاشات الجانبية، تجعل الباحث أكثر حرية في طرح أفكاره ويعبر بكل حرية عن وجهة نظره.

وتتيح هذه الندوات الفرصة للاحتكاك بين الباحثين من مختلف أنحاء العالم، فهذا اللقاء يتجاوز أهميته الفكرية والمعرفية، إلى التعرف إلى شخصيات الذين يعبرون عن ثقافاتهم وتقاليدهم فيتكون لديك نظرة ولو بسيطة حول مجتمع معين، فتكتشف بذلك الكاتب أو المفكر أو الأكاديمي عن حقيقته الإنسانية، ونحن نناقش أهم القضايا على الساحة الفكرية وهي الحوار بين النخب وقيمة هذا الحوار في تحقيق التوافق وتقريب الرؤى خاصة في القضايا محل الخلاف، كتجربة شخصية، كانت لي الفرصة لإجراء تربص بجمهورية إيران الإسلامية سنة **2014**، فمن حسن حظي أن وجودي تزامن وانعقاد المؤتمر **21** للوحدة الإسلامية، فقد جمع المؤتمر **69** دولة من العالم، وقد شكل المؤتمر بالفعل موزاييكا متنوعا من الأديان المختلفة وبين العديد من الطوائف والمرجعيات الدينية، فهدف المؤتمر كان تحقيق التقارب بين العلماء والمفكرين باختلاف توجهاتهم الفكرية والعقائدية، كل النقاشات دارت حول أهمية الحوار والتعايش مع الآخر المختلف عنا لغويا ودينيا وثقافيا...، فالمبادرة التي لفتت انتباهي هي ما قام به بعض الأئمة من السنة وأئمة من الشيعة حول تجميع الأحاديث النبوية المشتركة بين الطائفتين كمحاولة للتقارب والتفاهم.

فالندوات والمؤتمرات في الوطن العربي وحسب دراسة التي قام بها الباحث/**سبتي** سنة **2014** من الجزائر، أن المؤسسات الجامعية العربية نادرا ما تفضي إلى نتائج علمية حقيقية أو التوصل إلى إعطاء إضافات حقيقية في الحقل العلمي نفسه، وتوصلت الدراسة: أن من المعوقات في إدارة المعرفة في الجامعات الجزائرية كان من أولوياتها

إعطاء الأهمية لظاهرة النشاط المعرفي وليس لجوهره، إذ غالبا ما يتم تنظيم الملتقيات العلمية من أجل ظاهرها فقط، وينتهي النشاط العلمي الذي له علاقة بالملتقى بعد الجلسة الختامية مباشرة، ونادرا ما تطبع أعمالها، الأمر الذي يجعلها عديمة الفائدة.[1]

وعن طبيعة الحوار الذي يسود جلسات هذه الفعاليات العلمية، حدث ولا حرج، تدني مستوى النقاش إلى دون قيمة الباحثين العلمية، الأمر الذي يمكن معه القول: أن لهذه التظاهرات العلمية بمختلف أشكالها (ندوات، ملتقيات، مؤتمرات، أيام دراسية...)، أهمية بالغة من جوانب عدة، أهمها الجانب المعرفي، فالمعرفة العلمية من أهم عوامل نضوجها خاصة في مجال العلوم الاجتماعية، هو خاصية الحوار الفكري البناء البعيد كل البعد عن التعصب للرأي.

نحن لا نطرح نظرة تشاؤمية حول مؤتمراتنا وندواتنا، لكن حاولنا أن نكشف وبكل موضوعية عن مواقع الخلل في تنظيم هذه الفعاليات العلمية، ونعمل بجد من أجل تحسين أدائها، حتى نحقق الجدوى من تنظيمها، وبأمانة هناك فعاليات علمية ناجحة بتفوق، ولكن هناك الكثير من الجهد لازال مطلوبا لكي تحقق الفعاليات العلمية المستوى المطلوب منها، حتى لا تذهب الأموال والجهود المبذولة سدى.

وفي سؤال طرح على البروفيسور/ **لعربي فرحاتي**، عن طبيعة النقاشات بين النخب العلمية: **لماذا لا نشهد نقاشات علمية جادة على الساحة الأكاديمية في المنطقة؟ وإلى أي حد تساهم النخبة في استمرار هذا الوضع؟**

يجيب الباحث: " في الحقيقة توجد نقاشات بين النخب العلمية وتوجد مقاربات عدة متنوعة للمشكلة ولكن واقعها **(جعجعة بلا طحين)** كما يقال، وإن بدت في بعضها جادة وذكية، لسبب جوهري كما أرى يتعلق بغياب المشروع العلمي للجامعة تبعا لغياب مشروع المجتمع المتوافق عليه، وإنهاء أزمات في الهوية الوطنية والعربية وهيمنة المنطق البيروقراطي، فهذه الوضعية جعلت منا ذوات ومؤسسات وسياسات مغلقة متماسفة (مسافات) ولو تجاورت وتقاربت، وكاد النخبوي أن يصبح مجرد كائن للاستعمال والتوظيف البوليتيكي، خاليا من الذهنية الحوارية، كما نرشح غياب الدهشة والاندهاش المعرفي، أو ما يسمى بالقلق المعرفي الإيجابي الضروري لأي تأسيس وانبعاث جامعي عربي خارج الباراديغم العلمي الغربي، من حيث هو باراديغم في غير تناغم ولا تساوق مع هويتنا المعرفية السيكولوجية، من حيث هي تلك ما يطلق عليها في التفكير المؤسسي بـ "**الثنائية الحرجة**" وتقتضي إعادة قراءة التجربة الغربية العلمية المستعارة في الإنسانيات خاصة في نطاق تجربتنا التاريخية السوسيولوجية والسيكولوجية، سيما وأن الإقرار بأزمة هذه العلوم، تأكد في أكثر من دراسة عربية، وتبقى عوامل القدرات الذاتية كالذكاء والإرادة في مواجهة المشكلة وبيروقراطية

[1] فوزية البكر: **البحث العلمي وإنتاج المعرفة في الجامعات السعودية، شبكة ضياء**، نقلا عن الموقع الالكتروني:
http://diae.net/author/diae

البحث و صنمية التقنيات المنهجية، عوامل معيقة مضافة مثقلة لكل وثبة، لا تساعد على إنتاج البراديغم العلمي، وقد يعود سبب هذا الغياب للتوتر المعرفي إلى عوامل تاريخية وسياسية بما فيها غياب الحرية الفكرية والأكاديمية الناقدة وتقدير الذات الأكاديمية، وبعضها إلى ضعف التكوين العلمي للنخب العربية، تبعا لغياب هدف إنتاج المفكر في منظومة الجامعات العربية وترك ذلك للطفرات والصدف، فغابت بالتالي الجرأة اللازمة لمواجهة الصعوبة واقتحام العقبة عن كل ما يمكن أن نصنفه ضمن النخبة ".[1]

2- مساهمة مدرسة شيكاغو في ترسيخ مبادئ الحوار الفكري:

هناك عدة أسباب دفعتنا لاختيار مدرسة شيكاغو كنموذج ناجح من العمل الفكري، نذكر منها على سبيل المثال، أنها تميزت باختيارها لمواضيع البحث و نوعية المناهج المستخدمة و كذلك اعتمادها على أدوات بحث متعددة، والأهم من ذلك كله النتائج الإيجابية التي توصلت إليها هذه المدرسة بفضل العمل الجماعي، فقد طورت المدرسة نفسها بنفسها من خلال عملية النقد الذاتي، حتى أصبحت حقا نموذجا للعمل العلمي المؤسسي الناجح، فتربعت على عرش البحوث الميدانية، ولذلك سنعمل على معرفة نشأتها، وأهم المواضيع البحثية المنجزة، طبيعة المناهج والأدوات المستخدمة.

تأسست مدرسة شيكاغو سنة **1890**، وشرعت في استقبال طلابها منذ بداية **1892**، استخدمت عبارة "**مدرسة شيكاغو**"، لأول مرة سنة **1930**، تتميز سوسيولوجيا مدرسة شيكاغو باتجاهها الذي ينحو إلى البحث التجريبي، وهي تشكل منعطفا في التأثير الذي يمارسه البحث السوسيولوجي على المجتمع، تشير مدرسة شيكاغو إلى جملة البحوث التي قام بها مدرسون وطلبة من جامعة شيكاغو **(جسدوا فكرة العمل الجماعي)**،تمثل مدرسة شيكاغو علم اجتماع مديني، حيث شرعت في إجراء سلسلة من الدراسات حول المشاكل التي كانت مدينة شيكاغو تعاني منها، كرست عددا من أعمالها وبحوثها لمشكلة سياسية واجتماعية هامة، والتي كانت أحد أهم الإسهامات الرئيسية لعلماء اجتماع مدرسة شيكاغو: دراسات عن الهجرة والعلاقات العرقية- دراسات عن الجريمة والانحراف.[2]

لإبراز أهمية ما قدمته مدرسة شيكاغو للبحث العلمي السوسيولوجي، سنحاول أن نتطرق لأهم مسارات البحث للمدرسة بنوع من الاختصار، لأن ما قدمته المدرسة من أبحاث منذ تأسيسها إلى الآن لا يمكن أن يختصر في صفحات، لكن خدمة لأهداف بحثنا، سنحاول إبراز قيمة البحث العلمي المؤسسي ودور الحوار الفكري في ترقية

[1] لعربي فرحاتي: **نقاش حول واقع البحث العلمي في الجامعات الجزائرية**، دعت إليه مدونة " عن كثب "، تاريخ النشر: الثلاثاء 22 ديسمبر 2015، نقلا عن الموقع الالكتروني: https://badislounis.blogspot.com/2015/12/

[2] آلان كولون: **مدرسة شيكاغو**، ترجمة/ مروان بطش، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 2012، ص ص5-6

المعرفة العلمية من خلال هذا النموذج، قبل الحديث عن المنتوج الفكري للمدرسة، لابد من التعرف على المنطلقات التأسيسية التي كانت الأساس في تكوينها وتطورها فيما بعد:

-تأسيس قسم السوسيولوجيا والأنثروبولوجيا في جامعة شيكاغو، ومنذ مطلع العقد الثاني من القرن العشرين أصبح المركز الرئيسي للتعليم والبحث السوسيولوجي في الولايات المتحدة الأمريكية، وقد ظل هذا القسم أكثر الأقسام شهرة وسمعة متميزة خلال أكثر من عقدين من الزمن.[1]

- تولى **آلبيون سمول** إدارة قسم الأنثربولوجيا والسوسيولوجيا الجديدة، الذي كان له الدور الكبير في تأسيس علم الاجتماع، ليس في شيكاغو فقط، بل بكامل الولايات المتحدة الأمريكية، الذي ألف كتابا قرأه كل طلبة علم الاجتماع على مدار **20** سنة.

- انتقال الجيل الأول من علماء الاجتماع إلى الجيل الثاني، انتقلت بذلك المدرسة من مشروع المعرفة العلمية للمجتمع إلى البناء العلمي للنظرية التي ستتيح دراسة هذا المجتمع، كانت إحدى فصائل **سمول** الفكرية، الإلحاح على الموضوعية الضرورية التي ينبغي أن تتجه إليها الأبحاث السوسيولوجية، لقد اعتقد **سمول** أن السوسيولوجيا كانت علما يجب تأسيسه لا على الخطاب، بل على الأبحاث التجريبية، أما**شارلز هندرسون** كان يرى، أن العلوم الاجتماعية هي هبة من الله إلى الإنسان لكي يتمكن هذا الأخير من حل مشاكله الاجتماعية المؤلمة.

- أسس سمول مجلة السوسيولوجيا الأمريكية سنة **1895**، أول مجلة تعنى بعلم الاجتماع في العالم، ولقد أسهم **آلبيون سمول** أيضا في تأسيس الجمعية السوسيولوجية الأمريكية سنة **1905**، والتي ستصبح إتحاد السوسيولوجيين الأمريكيين سنة **1935**، إن هذه العلاقة التي أقامها **سمول** بين اتحاد السوسيولوجيين الوطني الذي نشر معظم أعماله ومناقشاته ومجلة قسم السوسيولوجيا في جامعة شيكاغو سيكون لها تأثير كبير على علم الاجتماع الأمريكي، ودور هام في تزعم مدرسة شيكاغو لفترة طويلة.[2]

- سنة **1915**، ترسخت زعامة مدرسة شيكاغو في علم الاجتماع الأمريكي برغم من وجود مراكز جامعية هامة تعمل على تطوير علم الاجتماع.

ونظرا لبروز المدرسة وسيطرتها على علم الاجتماع الأمريكي، تعرضت سنة **1935**، إلى تمرد من بعض المعارضين، أدى إلى الإطاحة بزعماء هذا النهج الذين كانوا يوجهونه منذ بداياته، كما تقرر آنذاك ألاّ لا تكون المجلة الأمريكية لعلم الاجتماع الوحيدة للجمعية، بل لا بد من تأسيس مجلة أخرى موازية تصدرها الجمعية مباشرة وهي المجلة السوسيولوجية الأمريكية.

---

[1] المرجع السابق، ص 12

[2] المرجع السابق، ص ص15-17

من بين المواضيع الهامة التي أولتها المدرسة اهتماما كبيرا بالبحث:

– **الهجرة والعلاقات العرقية:** تعد مسالة دمج المهاجرين في الولايات المتحدة الأمريكية من القضايا المهمة بالنسبة لبلد تشكل تدريجيا على عدة رواسب هجرية خلال القرن التاسع عشر وفي أثناء الحقبتين الأولى والثانية من القرن العشرين، جرى خلالهما جدل سياسي كثيف حول مسألة أمركة المهاجرين القدماء من جهة وإمكانية مواصلة السماح بتدفق أمواج كبرى من المهاجرين من جهة أخرى ، وعلى حد قول **ستوي بيرسونز** : " إن علماء الاجتماع من جامعة شيكاغو قد تماهوا مع هذا الجناح من الحركة التقدمية التي كانت تؤمن بقدرة المجتمع الأمريكي على تمثل واستيعاب أقلياته العرقية.

وكان لهذه الدراسات التي قامت بها مدرسة شيكاغو، الدور البارز في ظهور مفاهيم خاصة بها، أهمها:

(ـ اختلال النظام الاجتماعي ـ التمثل (التكيف) ـ مفهوم ـ الهجرة اليابانية ومراحل بوغاردوس السبع مثاقفة وتمثل ـ البعد الثقافي ـ الهامشي)*

حاولت مدرسة شيكاغو من خلال دراساتها عن الهجرة تطوير بعض المفاهيم، التي فسرت من خلالها إشكالية الهجرة بالولايات المتحدة الأمريكية، بهدف إيجاد آليات لدمج هؤلاء المهاجرين إدماجا كليا ضمن المجتمع الأمريكي، وفعلا حققت الأبحاث في موضوع الهجرة نتائج إيجابية ، والتي استفاد منها المجتمع الأمريكي الذي هو عبارة عن موزاييكا من الثقافات والديانات واللغات، ويمكن أن نعترف أن الولايات المتحدة الأمريكية من الدول الرائدة التي استطاعت أن تحقق ذلك التآلف والانسجام بين مختلف العديد من الثقافات، وتقضي بنسبة كبيرة على التعصب بمختلف أشكاله، خاصة التعصب العرقي والديني، فالذين يعيشون على التراب الأمريكي يتمتعون بكامل الحقوق وبالمقابل هم مطالبون بالولاء للوطن الأمريكي.

من بين المواضيع التي تميزت بها مدرسة شيكاغو، دراساتها عن الجريمة، وتتمثل هذه الدراسات في جهود وأبحاث تميزت بالعمل التسلسلي لجهود أجيال من الباحثين، ولعل هذه أهم ميزة العمل الجماعي:

- **دراسات مدرسة شيكاغو عن الجُرْمية*:** اشتهر علم الاجتماع الذي ازدهر في جامعة شيكاغو ، ببحوثه حول الجرمية (أو نسبة الإجرام) والانحراف والجنوح بين الشبان، إن تاريخ الجريمة في شيكاغو موسوم بأمواج المهاجرين المتوالية التي اجتاحت المدينة واستقرت فيها بدءا من هجرة الألمان والإيرلانديين في مطلع القرن

*للمزيد من الاطلاع على هذه المواضيع، انظر المرجع (**آلان** كولون: **مدرسة شيكاغو**، ترجمة/مروان بطش، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2012، **ص ص 34–76**)

*للمزيد من الاطلاع على هذه الدراسات، أنظر **المرجع السابق**

العشرين، ثم هجرة البولونيين والإيطاليين في السنوات العشرين من ذلك القرن، إلى أن أصبحت هذه الهجرة إسبانية أمريكية وزنجية بعد ثلاثين عاما من ذلك، وبالتالي توالت الأبحاث حول الجريمة بمدينة شيكاغو .[1]

أما طريقتها في إنجاز هذه الدراسات، اعتمدت المدرسة على أدوات و مناهج مختلفة، تباينت من مرحلة إلى أخرى، إن البحوث التي جرى تطويرها والتوسع فيها في جامعة شيكاغو قد تميزت بخطها الذي ينحو إلى المعرفة العملية المباشرة، استخدمت تقنيات خاصة في البحث الميداني، تمثلت في: الوثائق الشخصية، السير الذاتية، الرسائل الخاصة، والصحف والروايات التي أدلى بها أولئك الأفراد الذين هم موضوع البحث، كما أجرت مدرسة شيكاغو دراسات ميدانية، يسميها باحثوا شيكاغو " **دراسات لحالات أو لقضايا معينة** " ، تستند لعدة تقانات مثل الملاحظة والمقابلة وجمع الشهادات أو ما سميت سابقا الملاحظة المشاركة، في أغلب البحوث التي اتسمت بها مدرسة شيكاغو، استخدام المصادر الوثائقية مثل: الأرشيف التاريخي، الصحف اليومية، أرشيف المحاكم، وكالات العمل الاجتماعي... الخ[2]

على سبيل المثال بين سنة 1930 إلى 1940، اهتمت المدرسة بالبحث الكمي والذي تم تطويره فيما بعد، بعدما كان هامشيا في بدايته، إلاّ أنه كان يُظْهِر مسبقا سماته الغالبة التي عدت سمات علم الاجتماع الأمريكي ابتداء من الحرب العالمية الثانية، لذلك لم تكن مدرسة شيكاغو مملكة النموذج النوعي فحسب، بل إنها شكلت بالتالي إحدى بوتقات النموذج الكمي، إحدى الصفات الرئيسية لعلم اجتماع مدرسة شيكاغو

(هو البحث التجريبي والعمل الواقعي الميداني)، وأن هذا الاتجاه هو الذي جلب لهذا العلم شهرته وتأثيره على علم الاجتماع العالمي، لهذا التجديد المنهجي الذي أوجده كل من **توماس وزانيكي**، نتائج هامة على تطور علم الاجتماع الأمريكي في المستقبل، إذ سيتبنى هذه المبادئ التي تكملها أدوات منهجية أخرى، مثل الملاحظة أو مختلف أشكال الحوار، علماء الاجتماع الذين ينتمون إلى تيارات أخرى في علم الاجتماع النوعي، لقد استطاعت مدرسة شيكاغو الأولى كحركة فكرية ونظرية، أن تحدث تأثيرات كبيرة على علم الاجتماع الأمريكي، يرفع لواءه عدد كبير من علماء الاجتماع المعاصر، وهذه التأثيرات، هي: قدمت مواضيع عديدة، قدمت طرائق منهجية فريدة من نوعها، فتحت الطريق أمام بعض التيارات النظرية التي وإن لم تنبثق عنها بشكل مباشر دائما، ومنه فقد امتد علم الاجتماع لمدرسة شيكاغو إلى ما سمي فيما بعد بمدرسة شيكاغو الثانية، التي تميزت ببحوث تقوم على الفاعلية المتبادلة ونظريات الانحراف الجديدة.[3]

---

[1] المرجع السابق، ص ص81-84

[2] المرجع السابق، ص، ص 109-160

[3] المرجع السابق، ص ص166-170

يرى الباحث المغربي/ **عبد الرحمن المالكي**، وحسب ما جاء في كتابه حول **(مدرسة شيكاغو)**، أن أهم ما ميز تقليد مدرسة شيكاغو، هو البحث الأمبريقي إلى جانب التخصص النظري، ويؤكد أنه وبالرغم من كون رواد هذه المدرسة هم أول من اهتم واستعمل المناهج الكيفية في السوسيولوجيا، فإنهم مع ذلك لم يهملوا المناهج الكمية، ومنه فهو يميز بين مرحلتين في تاريخ مدرسة شيكاغو:

- **المرحلة الأولى:** تم التركيز فيها على المناهج الكيفية
- **المرحلة الثانية:** تمت العودة فيها للدراسات الكمية

إن اهتمام المدرسة بإشكاليتين أساسيتين هما: التحضر والهجرة وما نجم عنهما من مشكلات عديدة، كالعنف والانحراف والجريمة، لا ينف مساهمتها في مواضيع اجتماعية أخرى، لذلك فالكاتب يدعو إلى المزيد من الاطلاع على إرث المدرسة في باقي فروع علم الاجتماع.[1]

تميزت مدرسة شيكاغو، بالاستمرارية في العمل، فموضوع الهجرة مثلا تناوله الكثير من الباحثين وعلى مدار سنوات عديدة ولأجيال متعاقبة، ما يوضح بشكل كبير فلسفة البحث التي انتهجتها المدرسة منذ تأسيسها، هذا التماسك والتكامل، يعبر عن حوار فكري حقيقي بين الباحثين، فالمفاهيم التي كانت منطلق بحث المدرسة، تم تطويرها فيما بعد من طرف تلامذة مؤسسي المدرسة، هكذا هو العمل الجماعي الموحد للجهود، فعلا استطاعت المدرسة أن تشكل بحق جماعة علمية نموذجية بسطت نفوذها في ميدان البحث العلمي وأعطت نتائج علمية مثمرة في حقل البحث السوسيولوجي، وهذا بفضل العمل بروح الفريق الذي اعتمد على الحوار الفكري كقاعدة أساسية أو كقوة دافعة للباحثين.

3-مدرسة فرانكفورت نموذج للحوار الفكري الأكاديمي الناجح

تميز نشاط مدرسة فرانكفورت بالعمل الجماعي والمشترك منذ تأسيسها، حيث سنحاول أن نتعرف على بعض الأعمال الفكرية للمدرسة، والتي تعكس مدى قدرتها على تجسيد فكرة العمل الجماعي هذا من جهة، والتي ظهرت في عدة أعمال مشتركة، من جهة ثانية جسدت فكرة أهمية مشاركة كل التخصصات في دراسة الظواهر الاجتماعية، كذلك جسدت فكرة العمل التواصلي بين الباحثين وبين الأجيال، وأهم ميزة تميزت بها مؤسسي المدرسة هو النقد

[1] عبد الرحمن المالكي: **مدرسة شيكاغو ونشأة سوسيولوجيا التحضر والهجرة**، أفريقيا الشرق الدار البيضاء، المغرب، 2015، ص ص151-152

الذاتي، أي أن المؤسسين أنفسهم ينتقدون بعضهم البعض إيمانا منهم بأن النقد الوسيلة الأساسية لترقية البحث العلمي، وهي الفكرة الأساسية التي نشأت من أجلها المدرسة والمبدأ الرئيسي لعملية البحث العلمي الجاد والهادف.

تعتبر هذه أهم الأسباب التي دفعت بنا للاطلاع على أهم محطات العمل الفكري للمدرسة، وللبرهنة على قيمة العمل الفكري الذي أفادت به المعرفة العلمية، وانطلاقا من هذه المعطيات نحاول أن نتعرض لأهم المحطات الفكرية للمدرسة.

- يعترف **آلن هو**، بأنه: " تأثر بافتراضات التقليد الفكري لأنجلو الأمريكي، الذي ينظر للوقائع الأمبريقية على أنها الكيان الأميز والأهم على الدوام... ووجدت نفسي عرضة لانحياز النظرية النقدية إلى مناهضة الإمبريقية ... فتعلمت ما يعتبر الآن من كليشهات علم الاجتماع، هو أن الوقائع لا تتكلم من تلقاء ذاتها، وأن ما ينتج الدلالة الشارحة أو التفسيرية، التي تختلف تماما عن الدلالة الإحصائية، إنما هي شبكة العلاقات التي تكتنف الوقائع".[1]

يدل هذا الاعتراف، على أن النظرية النقدية استطاعت أن تنفرد وتفرض منطقها البحثي على ما كان سائدا خاصة في أمريكا، أين كان البحث الأمبريقي سيد البحوث، ومن هذا المنطلق، فإن البدايات الأولى لمدرسة فرانكفورت، بدأت منذ تأسيس معهد البحث الاجتماعي بإدارة بروفيسور نمساوي في الاقتصاد السياسي، الماركسي/**كارل غرونبرغ(** تأسس المعهد في ظروف تاريخية مضطربة، لا يتسع المقام لذكرها)، فالمدرسة ومنذ بداياتها تعرضت لانتقادات، كالانتقادات التي وجهها كل من/**أندرسون، وسيلتر، وبوتومور**، بأنها أخفقت في تقديم نظرية توحد مصالح الطبقة العاملة الصناعية وتدفعها إلى الأمام، وحسب الكاتب أن النظرية النقدية صار لديها قناعة راسخة، أن الشروط قد تغيرت تغيرا كبيرا باتت فيه الطبقة العاملة مدمجة داخل النظام ومستوعبة فيه.[2]

ما يهمنا في هذا البحث هو التعرف على أعمال المدرسة منذ تأسيسها والسياقات التاريخية التي أنتجت ذلك الكم الهائل من الأبحاث وطبيعة العمل السائد بين أعضائه، والسؤال الذي نطرحه: **إلى أي حد استطاعت مدرسة فرانكفورت أن تحافظ وتثبت وجودها كمؤسسة بحثية متميزة بفكرها ومنهجها، ودورها البارز في تقديم إضافة علمية في الحقل السوسيولوجي خاصة ؟:**

- لم يبلور المعهد برنامج بحث أصيل إلاّ بعدما تولى **ماكس هوركهايمر** إدارة المعهد سنة **1931** حيث لم يعد الاهتمام منصبا على نقد الاقتصاد السياسي كأداة تحليل للمجتمع الرأسمالي، كما كانت ترى الماركسية، بل اعتمد

[1] آلن هاو: **النظرية النقدية (مدرسة فرانكفورت)**، ترجمة/ ثائر ديب، دار العين للنشر، القاهرة، المركز القومي للترجمة، ، مصر، ط1، 2010، ص 19

[2] المرجع السابق ص 34

على مقاربات تركيبية تقوم على ربط الفلسفة بالعلوم الاجتماعية والإنسانية، وهي بمثابة الانطلاقةالحقيقية التي أفرزت لاحقا ما عرف باسم النظرية النقدية.[1]

– أرست المدرسة منظورا جديدا يقوم على فلسفة اجتماعية ترى ذاتها كنظرية نقدية، فعوض أن تنخرط بالانتماء إلى المجتمع وتسلم بنظمه، لم تتردد عن نقده والبقاء خارجه، لتقوم بنقده كاشفة عن مصادر العطب الذي يمس المجتمع، وتتوجه موضوعيا نحو تغييره، ويؤكد منظروها على ضرورة إنتاج فكري تحرري غير أسطوري، يرتبط بشكل وثيق بالعلوم الإنسانية التي تحاول إصلاح المجتمع على ضوء الغايات العقلانية المرتبطة بالفعل التاريخي، على أن يتم ذلك وفق تعاون بين الفلسفة والعلوم التجريبية، فعلى المستوى الفكري، فإن النظرية النقدية تزاوج بين مهامها كفلسفة للمعرفة ووظيفتها الاجتماعية المقرونة بالتفكير في شرطها التاريخي والاجتماعي.

– حدد موضوع المدرسة النقدية في المقال الذي طبع سنة **1937** الذي عرف بـ: " **النظرية التقليدية والنظرية النقدية** "، إن موضوع النظرية النقدية يتوجه للإنسان كمنتج لأشكاله الحياتية التي تتمظهر تاريخيا، بمعنى أنها كمعرفة لا تتوخى إضافة معرفة كمية بدورها، بل تسعى إلى تحرير الإنسان من الاستعباد الذي عاشه ومازال والذي أثقل كاهله وأتعبه وأذله.[2]

ورغم أن توجهات مؤسسي المدرسة لم تكن دائما متجانسة ومنتاسقة بالشكل الكافي، إلاّ أنه كان هناك عمل جمعي واضح وتجلى في العديد من المؤلفات الثنائية والتي كان لها شهرة واسعة بين الأكاديميين وتأثيرا واضحا على الفكر الاجتماعي، لم تعتمد المدرسة على منطلقات فكرية صارمة أو أفكارا دوغمائية، فهي مفتوحة ومتجددة بتجدد المواضيع التي تطرق بابها، لذلك يدور الحديث اليوم عن مشروع مدرسة ثالثة، تزاوج بين إرث الرواد والإضافات التي راكمها **هابرماس** وجهها البارز.[3]

ورغم هذا الجدال، فإن المدرسة النقدية، قد أرست برنامج وتوجه نظري خاص بها، لكنه يمتلك قواسم مشتركة مع النظريات الكبرى كالماركسية والوضعية، ولهذا يمكن أن نتطرق إلى مشروع النظرية النقدية وما هي منطلقاتها الفكرية، والأهم من ذلك مراحل تطور النظرية النقدية عند مدرسة فرانكفورت، لنبرر سبب اختيارنا هكذا نموذج، ولنوضح من خلاله أهمية الحوار الفكري المؤسسي، فالبحث العلمي الجاد والمثمر لن يجدي ما لم يتم وفق عمل

---

[1] حسن مصدق: **يورغن هابرماس ومدرسة فرانكفورت، (النظرية النقدية التواصلية)**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005، ص 28

[2] المرجع السابق، ص 29

[3] المرجع السابق، ص ص29–30

جماعي أو وفق تآلف وتعاون بين باحثين متمرسين يؤمنون بالعمل الجماعي متجاوزين بذلك الكثير من الاختلافات والخلافات الفكرية والإيديولوجية، والنظرة الأحادية أو فكرة أنا أو لا أحد.

– حاول **كارل غرونبرغ** المدير الأول للمعهد، الخروج من جلابيب المادية التاريخية إلى أفق أكثر رحابة يقوم على نظرية مادية تركيبية متعددة المشارب والاختصاص، عمادها الفلسفة والعلوم الإنسانية التجريبية، غير أن هذا الربط المزدوج بين الفلسفة والعلوم الإنسانية والاجتماعية بطريقة محكمة، صادفته عراقيل على المستوى النظري والتقلبات المفاجئة التي اعترضت باحثي المعهد وجهت مجرى الأمور في اتجاه لم يكن متوقعا، فحسب الباحث أن السياق التاريخي لولادة الأبحاث الأولى كان في غاية الصعوبة.

– النظرية التقليدية والنظرية النقدية: شكل هذا المؤلف منعطفا في تاريخ المدرسة والذي يحدد خصائص النظرية النقدية، تعتمد النظرية التقليدية على أدوات منهجية أطلق عليها **لوكش** بعلوم البرجوازية (علم النفس، علم الاجتماع ...)

– وجه الرعيل الأول انتقادات حادة إلى النزعة العلمية المفرطة وأنساقها التي تحولت إلى إيديولوجيات تستند إلى يقين معرفي ومعتقدات إيمانية، فكلها في نظرهم قد غدت أنظمة معرفية مغلقة، تعتمد أشكالا تنظيمية جد مقننة للحياة الاجتماعية

– ومن بين أولى المهام النظرية كانت محاولة الكشف عن المصلحة في كل نظرية علمية والمصلحة الاجتماعية التي ولدتها

– عارض رواد المدرسة الوقوف جنبا إلى جنب الوضعية التجريبية، النزعة التقنو علموية، الجامحة في حدود عواقبها وآثارهما الاجتماعية والثقافية.

– تكمن الغاية الأساسية التي تدور حولها النظرية النقدية في عدم وقوع الإنسان في براثن أفكار جاهزة وسلوكات تفرضها أو تقترحها عليه مؤسسات، والنقد عند **هوركهايمر** يعني: " المجهود الفكري والعملي المقدم لعدم تقبل الأفكار المهيمنة وصيغ السلوك الجاهزة والعلاقات الاجتماعية بمقتضى العادة ودون تفكير، بحيث أن الجهد يجب أن ينصب على ربط مختلف مظاهر الحياة الاجتماعية بالأفكار العامة، واستنباط تكويناتها وتحليل أسس الأشياء، أي معرفتها بعمق "، فمهنة المنظر النقدي عند أعلامها لها مهمة القيام بمعركة واسعة، يعد الفكر أحد تجلياتها وليس نشاطا مستقلا ومنعزلا عنها.

– يشير **هوركهايمر** إلى أن النظرية النقدية يجب أن تتخلى عن حلم عصر الأنوار الذي اعتبر تقدم العقل قدرا طبيعيا وحتميا للتاريخ.[1]

– توجه المدرسة نقدا للماركسية الكلاسيكية والدوغمائية الستالينية، التي تتأسس على مستويات ثلاثة، (المستوى الاقتصادي، المستوى السياسي–القانوني، المستوى الرمزي)، إلى جانب نقدها للماركسية الكلاسيكية والدوغمائية، تقطع النظرية النقدية في مشروعها الأول مع ما سبقها من محاولات فلسفية التي حاولت تفسير الظواهر بناء على مفاهيم عامة لا تخضع لفحص العلوم التجريبية، وخالفت أيضا الدراسات الاجتماعية الوليدة **(دوركايم و فيبر)**، التي كانت تتناقض مع الدور الذي أنيط بالفلسفة الاجتماعية وتوخت بناء نسق نظري موحد انطلاقا من أبحاث تجريبية، يعتمد على تقديم الوقائع كما هي، وهو ما ينطبق أيضا على المدارس الفرويدية أو مدرسة الحوليات التاريخية.[2]

– يعود أول مشروع يجمع بين الفلسفة الاجتماعية والعلوم الإنسانية إلى الكتاب الوثيقة" **دراسات حول التسلط والعائلة)**"، وهو مؤلف جماعي سنة **1936**، يقارب هذا المجلد الألف صفحة ثمرة بحث استمر خمس سنوات، وتلي هذا الجهد، بحث عن الشخصية التسلطية الذي أنجز تحت إشراف **أدورنو** وهو بحث شارك فيه العديد من البحاثة الأجانب، وحسب رأي الباحث، أن أعمالها قد انحرفت نوعا ما عن المنهج الأصلي للمدرسة التي اعتمدته أثناء تأسيسها، حيث طغى علم النفس الاجتماعي على دراساتها، الأمر الذي عرضها للنقد[3]

تميزت مرحلة الخمسينات والستينات في حياة مفكري المدرسة بتأليف كتاب : **(جدلية التنوير)*** ، يلاحظ **هوركهايمر** و **أدورنو**ظ، أن أسس النقد قد اهتزت ولم يعد مقبولا البقاء عند حد العلوم التقليدية، كعلم الاجتماع وعلم النفس والابستيمولوجيا، بعد أن سيطر العقل الأداتي على العقل وريث عصر الأنوار، واختلط العقل بصورته الغائية مع السلطة لتحتويه هذه الأخيرة، ومنه قد بدا على **أدورنو و هوركهايمر** أنهما مقتنعان أشد الاقتناع، بأن العلم الحديث تخلى عن المطلب العام للمعرفة النظرية لصالح المنفعة التقنية، فسلطة العلم كمعنى شلت وسيطر العقل الأداتي كليا

[1] المرجع السابق، ص ص42–44.

[2] المرجع السابق، ص ص47–49.

[3] المرجع السابق، ص ص50–54.

*للمزيد من الاطلاع على مضمون هذا المؤلف الرجوع للمرجع (ماكس هوكايمر، تيودور ف، أدورنو: **جدل التنوير، شذرات فلسفية**، ترجمة/ جورج كتورة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2006)

على العقل، بمعنى أن العقل تم طرده من الأخلاق والحق، لقد شل العقل من حق الرفض وتم احتواؤه من طرف السلطة، ليس لصالح المصداقية وإنما لصالح الفعالية بما يكفل ديمومة السلطة واستمرارها.[1]

- يؤرخ الكتاب لمرحلة نقد العقل الذي توالى مع صدور **(أفول العقل سنة 1947)** و**(ذرة الأخلاق1947)**، في ظل ظهور رأسمالية جديدة وانتهاء الحرب العالمية الثانية، فجدلية التنوير اختارت أن تحارب على أرض الخصم، ونقدها حاول إخراج العقل من التشيؤ التام الذي أجهز عليه، إلاّ أن الربط بين المدرسة الأولى والثانية، يكمن في اشتراكهما معا في نقد العقل الأداتي وما يفصل بينهما هو أن، العطب الذي أصاب العقل ليس مرده الرؤية البرجوازية للعلم ولكنه يكمن في العقل ذاته.

- أحدث **هوركهايمر** قطيعة مع البرنامج الذي سطره في خطابه سنة**1931**، بإصداره نص معنون **(الدولة الاستبدادية سنة1941)**، لتبدأ بذلك المرحلة الثانية **1942-1950**، التي شهدت انبعاثا جديدا بإشراف **هوركهايمر** مع **صمويل فلورمان** على سلسلة تتكون من خمس مجلدات ما بين1949-**1950**.

- مرت المدرسة بفترة عصيبة، أدت إلى نشوب خلافات بين الأعضاء خاصة حول حرب الفيتنام، والخلاف كان بين أبرز أقطابه بين **ماركيوزوهوركهايمر** من ناحية، وبين **هوركهايمر وهابرماس** من ناحية أخرى، عرفت المدرسة ما بين **1955- 1959**، جهود مكثفة تمثلت في إعادة هيكلة المعهد، إذ فتح المعهد أبوابه لأعضاء جدد، لتطوير فلسفة تتغذى بالأبحاث الاجتماعية، حيث لعب المعهد دورا بالغا في مأسسة العلوم الاجتماعية في ألمانيا الاتحادية، حيث عرفت إنتاجا غزيرا في مجال علم الاجتماع، بحيث تمكن المعهد من إصدار سلسلة من المؤلفات القيمة بلغت **25** كتابا ما بين **1955- 1971**، حملت اسم **(مساهمات فرانكفورتية)** في علم الاجتماع، اهتمت كلها بالبحث الميداني وشملت ماضي ألمانيا الفاشي والإقلاع الاقتصادي الألماني الباهر، ومع ظهور كتاب**(ذرة الأخلاق) لأدورنو** سنة 1951، لم يعد الهدف تأسيس فلسفة اجتماعية شاملة تتوخى إدماج مختلف العلوم الاجتماعية في صلبها، بل انصرفت عن نقد الكلية الاجتماعية إلى نقد أجزائها الصغيرة والاهتمام بالأشياء الخاصة، حاول **أدورنو** النفاذ إلى بواطن الأمور، وأن يمر من الجزء إلى الكل، ومن الخاص إلى العام، وهذا الانتقال حسب الكاتب لا يجب أن يفهم كتناقض بين المعرفة الكلية والمعرفة الجزئية، حيث يبرر **أدورنو** بقوله:

" **فالتفكير في أصغر الخلايا على نفس أهمية التفكير في الكون** "، لأن تقويض النسق ينطلق من حباته وخلاياه الصغيرة، حدث نقاش حاد بين **أدورنو وكارل بوبر** إثر مؤتمر **1961** لعلماء الاجتماع الألمان، لقد كانت فرصة **لأدورنو**لتبيان نوع البحث الاجتماعي النقدي الذي يمارسه والمرتبط بالفلسفة والعلوم الاجتماعية، لقد عارض **أدورنو**

[1] حسن مصدق، مرجع سبق ذكره، ص ص56-58

بشدة توجه **كارل بوبر**، الذي حاول إخضاع العلوم الاجتماعية لنموذج منهجي شبيه بعلوم الطبيعة بدعوى الموضوعية ودافع عن الاختلاف بين النظرية التقليدية والنظرية النقدية من زاوية منهجية تتطابق مع فكرة سوسيولوجيا نقدية للمجتمع، نشر هذا النقاش في سنة **1969**، تميز فيه **يورغن هابرماس** بدفاعه القوي عن **أدورنو** ضد **بوبر** وتلميذه البارز **هانس ألبرت**، في هذا يرى الباحث، بأنها إشارة إلى تسليم المشعل **لهابرماس** داخل مدرسة فرانكفورت.[1]

تميزت الهيئة البحثية للمدرسة بالتنوع الفكري والفلسفي من علم الاجتماع، علم النفس، الفلسفة، الاقتصاد والقانون والعلوم السياسية، كان سببا في الإنتاج الغزير والمتنوع للمدرسة، لم تتوقف المدرسة عن النشاط الفكري، فظهر الجيل الثاني بإبداعات وأفكار جديدة، تجسدت أساسا في شخص **يورغن هابرماس**، حيث لم يخطئ مؤرخوا الفلسفة حينما اعتبروا **هابرماس**، ممثلا للجيل الثاني لمدرسة فرانكفورت النقدية، حيث شكل هذا الفيلسوف مدرسة فلسفية مستقلة بذاتها، لقد استطاع أن يطور النظرية النقدية إلى جانب زميله **كارل آبل**، وذلك ما عرف (**بالمنعطف اللغوي**)، توصف أعمال **هابرماس**، بأنها ذات طابع مناسباتي، فهي كتابات حوارية مع فلاسفة ومدارس فلسفية الهدف منها إعادة بناء النظريات، لإغناء النظرية التواصلية، وفي التقليد الألماني، أن الباحث غالبا ما يعمل على جمع المقالات في كتاب معين، وكانت أعمال **هابرماس** لا تخرج عن هذا التقليد، استطاع **يورغن هابرماس** من تقديم إضافة حقيقية لمدرسة فرانكفورت، تمثلت في تطوير النظرية النقدية، من بين الأعمال الأساسية **لهابرماس** والتي رسمت طريق مدرسة فرانكفورت: [2]

(ـ مقال: هابرماس مع هيدغر ضد هيدغر ـ كتاب سجال الوضعية ـ نقد هابرماس للحركة الطلابية كحركة يسارية ـ هابرماس وإعادة بناء المادية التاريخية لماركس ـ حوار هابرماس غادمير ـ نظرية **الفعل التواصلي**ـ **سوسيولوجيا يورغن هابرماس ...الخ).***

لم يكتف **هابرماس** بالجانب النظري، بل قام ببحث ميداني عندما كان في المعهد، حول الوعي السياسي لدى الطالب **(الطالب والسياسة)**، وبخصوص أعماله فتأثير السوسيولوجيا **على هابرماس** لا يحتاج إلى مجهود نقدي للكشف عنه، حيث نجد حضور قوي للمنهج السوسيولوجي في النظرية النقدية **لهابرماس** كنظرية في المجتمع، هذا الحضور الذي سيتطور في الكتابات اللاّحقة التي تعتبر المنطلقات السوسيولوجية للنظرية التواصلية، ومنها:

---

[1] المرجع السابق، ص ص61-65

[2] الأشهب محمد عبد السلام: **الفلسفة والسياسة عند هابرماس جدل الحداثة والمشروعية والتواصل في فضاء الديمقراطية**، منشورات دفاتر سياسية، المغرب، ط1، 2005، ص ص149-161

*للمزيد من الاطلاع على هذه الدراسات، أنظر المرجع السابق.

ـ **(منطق العلوم الاجتماعية)** و **(نظرية الفعل التواصلي)**، إن الارتباط القوي **لهابرماس** بعلم الاجتماع، نابع من اقتناعه العلمي بأن علم الاجتماع هو علم الأزمة، فهو العلم القادر على تشخيص أزمة المجتمع الحديث ورصد مختلف الأمراض التي أفرزتها الحداثة.

- **من الفلسفة الأخلاقية إلى أخلاقيات المناقشةـ وظيفة الفلسفة عند هابرماس ـ نظرية الحقيقة كإجماع ـ نظرية العدالة بين هابرماس وراولز ـ حداثة ما بعد حداثة. ***

- **الديمقراطية التشاورية في الفضاء العمومي:** بعد انتهائه من تطوير أسس النظرية التواصلية في حقل السوسيولوجيا، انتقل إلى الاستثمار في هذه الأسس في نظريته حول الأخلاق، التي طبق عليها أخلاقيات المناقشة، وبين كتابه **(الأخلاق والتواصل 1983)**، **و (أخلاقيات المناقشة 1991)**، صدر له كتاب **(الخطاب الفلسفي للحداثة 1985)**، الذي طور فيه الأسس النظرية التواصلية.[1]

فالشرعية والديمقراطية، كلاهما يتأسسان على أخلاقيات الحوار والمناقشة في ظل فضاء عمومي تفعل فيه ذوات مستقلة، **فهابرماس** يريد تأسيس ديمقراطية على أساس جماعة ميثالية للتواصل خالية من أية هيمنة أو سيطرة ما عدا غلبة أفضل حجة، كما أن مفهوم التشاور يعد مفهوما مركزيا في نظريته للديمقراطية المؤسسة، لأنه في التشاور يعطي للآخرين الحق في الكلام والنقد ورفع ادعاءات الصلاحية وتقديم اقتراحات جديدة بخصوص القضايا المطروحة للنقاش في الفضاء العمومي، وفي ظل هذه الصيرورة الخطابية المؤسسة على المناقشة، يتشكل الرأي العام والإرادة السياسية للمواطنين في المجتمع الديمقراطي، لأن الهدف الأساسي للديمقراطية التشاورية، ليس هو الدفاع عن المصالح الشخصية لأعضاء الجماعة، وإنما هو الدفاع عن المصالح العامة.[2]

رغم ما تميز به **هابرماس** من فكر نقدي، وهو الذي وضع أسس أخلاقيات المناقشة بالفضاء العمومي، إلاّ أنه يحسب عليه موقف يظهر فيه **هابرماس** بأنه يملك فكر تعصبي، حيث اظهر **هابرماس** إيديولوجية متطرفة في حواره مع **بورادوري** عندما سأله: **كيف تعرف الإرهاب؟** ، يجيب **هابرماس:** "يظل الإرهاب الفلسطيني إرهابا من الطراز القديم بأحد المعاني، فهو يتمحور حول القتل وإبادة الأعداء بدون تمييز نساء وأطفالا، حياة مقابل حياة أخرى، وهذا هو ما يجعله مختلفا عن الإرهاب الذي يظهر على صيغة شبه عسكرية في معارك الغوار التي ميزت العديد من حركات التحرر الوطني في النصف الثاني من القرن العشرين " ، يرى **هابرماس** في العمليات الفلسطينية حالة من حالات الإرهاب الأعمى بقصد الثأر والتدمير، ولكنه لا يدين إسرائيل بكلمة واحدة حول إرهاب الدولة الذي تمارسه بحق

*للمزيد من الاطلاع على هذه الدراسات، أنظر المرجع السابق

[1] المرجع السابق، ص 192

[2] مخنان طارق، مرجع سبق ذكره، ص 113

الشعب الفلسطيني الأعزل، فالإرهاب لديه ثلاث أنواع : فلسطيني، وشبه عسكري، وعالمي ، بينما الإسرائيليون مجرد شعب وديع ابتلي بلعنة الإرهاب أين كان.[1]

يظهر من خلال هذه الإجابة، تعصب **هابرماس** لانتمائه لبني جلدته وهم اليهود، حيث يدين الفلسطينيون ويصفهم بالإرهاب، في حين ينظر لليهود بالأراضي الفلسطينية أو لليهود المتواجدون بمناطق مختلفة من العالم، خاصة ما حدث لهم مع النازية الألمانية، بأنهم شعب مضطهد ومقهور.

تميزت مدرسة فرانكفورت بالتعددية مع الوحدة، إذ كان كل عضو في حلقتها الداخلية مختلفا عن الآخر، فكانت لكل واحد منهم اهتماماته الخاصة ونقاط قوته وضعفه الفكرية المميزة، إلاّ أنهم يشتركون في التزامهم تجاه المجموعة نفسها من الموضوعات والاهتمامات، قد سعوا جميعا لمعالجة مشكلات جديدة من خلال تقديم فئات جديدة، وكانت النظرية النقدية تتميز بجرأة فكرية وبطابع تجريبي، وقد كانت النظرية بالنسبة إليهم مسألة منهج، وقد عبر **هوركهايمر** عن ذلك بأسلوب جيد، حين كتب يقول: " إن النظرية النقدية في شكلها المفاهيمي وفي كل مراحل تطورها، ركزت عن وعي منها على التنظيم العقلاني للنشاط البشري الذي يتولى مهمة التنوير وإضفاء الشرعية، فهذه النظرية ليست معنية فقط بالأهداف التي تفرضها طرق الحياة الحالية علينا بالفعل، بل كذلك بالبشر وكل إمكاناتهم ".[2]

وكان الهدف الأصلي من النظرية النقدية، أن تكون مشروعا متعدد التخصصات قد يسهم فيه كل شخص بمهارته وخبرته التخصصية الفريدة، قد ألقى ممثلوها الضوء على العلاقة بين الفلسفة والسياسة، والمجتمع وعلم النفس، والثقافة والتحرر.[3]

إن المتتبع لمراحل تطور العمل الفكري لدى مدرسة فرانكفورت، يلاحظ أنه يأخذ أحيانا منحنى تصاعدي، وأحيانا منحى متوقف، وأحيانا منحى تنازلي... الخ، هي محطات مهمة عبرت عن ديناميكية فكر مؤسسي المدرسة، يتفقون ويختلفون، ويتعاونون، وينتقدون بعضهم، لقد شكلت المدرسة بالفعل الأنموذج الأمثل للحوار الفكري الناجح، لأنها اعتمدت على العمل الجماعي، الذي يجمع بين مختلف التخصصات الفكرية والعلمية، من أهم مبادئها أنها اعتمدت على النقد الذاتي. لم تقف ولم تنظر المدرسة لفكر الرواد على أنه حقائق يجب التسليم بها، على عكس ما تقوم به النخب العربية التي تفتقد لهذا المبدأ، فهي ليست لها الجرأة أن تنتقد أو تعارض، وحتى إن وجدت هناك انتقادات فهي سطحية، لأن من مبادئ النقد الموضوعي والفعال تقديم البديل، وهذا ما عجزت عنه النخب العربية على العكس،

---

[1] المرجع السابق، ص 114

[2] ستيفن إريك برونر: **النظرية النقدية (مقدمة قصيرة جدا)**، ترجمة /سارة عادل، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2016، ص 25

[3] المرجع السابق، ص 111

فهي تتعامل مع ما أنتجه الغرب على أنه مسلمات وحقائق علمية لا يمكن التشكيك فيها أو مناقشتها، الأمر الذي انعكس على المنتوج الفكري العربي الذي بقي يراوح مكانه، يفتقد للتجديد والإبداع. وبالتالي عدم قدرة هذه الأعمال البحثية على حل مشاكل المجتمعات العربية التي تعيش حالة من التأخر والتخلف وعدم قدرتها على تحقيق تنمية اجتماعية واقتصادية شاملة ومستدامة.

4 –مركز دراسات الوحدة العربية، تجربة لتأسيس البحث العلمي المؤسسي

مركز دراسات الوحدة العربية، من النماذج المؤسساتية العربية البارزة في مجال البحث العلمي، فهو يعتبر من بين الخمس مراكز العالمية التي تعنى بالدراسات المستقبلية، فهو يصنف على أنه منظمة دولية لا يتبع أية جهة حكومية، أو أي تنظيم سياسي أو حزبي، فهو مركز مستقل يعنى بالدراسات ذات العلاقة المباشرة بقضايا الوحدة العربية [1]

يعتبر المركز من المؤسسات البحثية التي استحدثت من أجل تدعيم العمل الجماعي والتأسيس للحوار الفكري التشاركي، يضم باحثين من كل الدول العربية وحتى الأجنبية، لذلك ارتأينا أن نطرح تجربة المركز للعمل الفكري، محاولين تسليط الضوء على بعض من نشاطاته العلمية والفكرية، وفقا لأهداف البحث سنحاول التعرف على نشاطات المركز والتي جسدت الحوار الفكري بمختلف أنواعه، من تأليف جماعي، مراجعة لمؤلفات لأبرز المفكرين، جلسات نقاش، ملتقيات وندوات علمية، أصبح المركز ومنذ بداياته الأولى إلى الآن، بمثابة نموذج للعمل البحثي الجماعي، حيث حقق الكثير من أهدافه، والتي سنتعرف عليها من خلال التقارير التي يصدرها المركز سنويا، ونركز على ما استطعنا الحصول عليه، وهي تقارير لسنوات **(2003، 2004، 2005، 2006، 2007، 2009)**.

قبل التطرق إلى نشاطات المركز نعطي لمحة بسيطة عن المراحل الأولى من تأسيسه:

الخطوة الأولى في تأسيس المركز، بدأت بتقديم طلب رسمي للحكومة اللبنانية لتأسيس جمعية باسم " **مركز دراسات الوحدة العربية** " مقرها بيروت **في 18 مارس 1975**، غايتها: البحث العلمي حول مختلف نواحي المجتمع العربي والوحدة العربية بعيدا عن كل نشاط سياسي أو ارتباط حكومي أو انتماء حزبي.

وعلى إثر ذلك تألفت لجنة تنفيذية مؤقتة من بين الموقعين على البيان، أخذت بعد ذلك في عملية اتصال مع مختلف الأقطار العربية لجمع تبرعات للمركز الجديد وتهيئ للاجتماع التأسيسي الأول، وقد وجهت الدعوة لجميع أولئك الأشخاص لحضور الاجتماع الذي عقد في الكويت يومي **1 و11 جانفي 1976**، الذي تم فيه تأسيس المركز

[1] ويكيبيديا الموسوعة الحرة، نقلا عن الموقع الالكتروني:
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%B1%D9%83%D8%B2_%D8%AF%D8%B1%D8%A7

بصورة فعلية، حيث أقر النظام الأساسي والنظام الداخلي، وقد حدد النظام الأساسي غاية المركز ووسائل تحقيقها، وقد جاء في المادة الثانية منه:

" تتوخى المؤسسة تحقيق غايتها بالوسائل التالية ":

- جمع الوثائق والنشرات والمؤلفات والمخطوطات والمطبوعات المتعلقة بالوحدة العربية والمجتمع العربي.
- إعداد الدراسات على أساس علمي ونشرها.
- القيام بأي نشاط علمي أخر ضمن حدود الغاية الأساسية المنصوص عليها في المادة الثانية من هذا النظام

يتكون المركز من ثلاث هيئات هي: مجلس الأمناء–اللجنة التنفيذية – الجهاز الإداري.

يعقد المركز اجتماعا واحدا كل سنة على الأقل، ويتخذ قراراته، وبالموافقة على النظام الداخلي بشكله النهائي أصبح المؤسسون البالغ عددهم **32** الذين وقعوا البيان، بعدها ناقش المجلس برنامج العمل الثقافي للمركز، وبعد المناقشات والاستشارات، اقترح أعضاء المركز مواضيع للبحث التي حددوها في النواحي التالية:

– النواحي السياسية – النواحي الاقتصادية–النواحي الثقافية والفكرية – العوامل الاجتماعية والنفسية – سلاسل متنوعة.[1]

جسد المركز فكرة الحوار الفكري بمختلف أشكاله، وهذا ما جاء في التقارير التي استطعنا الاطلاع عليها من خلال موقع المركز وهي تقارير لسنوات (2003، 2004، 2005، 2006، 2007، 2009)، تمثلت هذه الأعمال الفكرية في : ندوات كبيرة وصغيرة، وحلقات نقاشية، وهذه من بين الآليات الفعالة التي تجسد الحوار الفكري، وعلى سبيل المثال عن هذه الندوات التي نظمت خلال سنة 2003(**من أجل إصلاح جامعة الدول العربية)**، بالإضافة إلى الاعتماد على البحوث الجماعية التي يشارك فيها أكثر من باحث، هذه الأخيرة بمثابة حوار فكري يكتسي أهمية ودورا كبيرين في ترقية المعرفة العلمية، من أهم الأعمال سلسلة دراسات حول (**كيفية صنع القرار في دول معينة فيما يتعلق بعلاقاتها وسياساتها العربية**)، بالإضافة إلى الترجمة التي هي الأخرى عبارة عن حوار فكري، فالباحث أو المترجم، يحاول أن ينقل صورة الآخر أو إنجازات الآخر للتعرف أكثر على الإنتاج الفكري للغرب باعتباره قوة علمية وثقافية وفكرية، يجب الاستفادة منها، بالإضافة إلى أهمية الترجمة في التعرف على الآخر، فإنها تفيدنا في عملية النقد والنقد الذاتي، إذن فهي حوار غير مباشر مع الآخر المختلف عنا فكريا ودينيا وثقافيا وحتى سياسيا واقتصاديا، ومن بين هذه الأعمال، ترجمة الكتاب الصادر بالإسبانية عن اليونيسكو حول (**الجاليات العربية في أمريكا اللاتينية**)، لم يتوقف عمل الباحثين داخل حدود المركز، لقد عمل المركز على توسيع دائرة الحوار الفكري

[1] مركز دراسات الوحدة العربية: **نشأة المركز**، نقلا عن الموقع الالكتروني: http://www.caus.org.lb/

والعمل التشاركي، مع مؤسسات أجنبية وعربية، ومن بينها تعاون المركز مع (المركز العربي لبحوث التنمية والمستقبل، معهد البحوث والدراسات العربية بالقاهرة).[1]

تواصلت نشاطات المركز وبنفس الأساليب والآليات التي تجسد فكرة الحوار الفكري، فالمطلع على تقارير(**2004، 2005، 2006، 2007، 2009**)، يتضح له أن المركز يحرص كل الحرص على تثبيت قواعد الحوار الفكري الفعال، من ندوات كبيرة وصغيرة، حلقات نقاشية، أعمال جماعية ، مؤتمرات، دراسات باللغة الغربية وباللغات الأجنبية وهي كلها أعمال يتم إنجازها بمشاركة مجموعة من الباحثين، بالإضافة إلى عقد اتفاقيات التعاون مع مؤسسات علمية عربية وأجنبية، والملاحظ أيضا أن الأعمال والنشاطات في زيادة مستمرة من سنة إلى أخرى، فعلى سبيل المثال، أخذت المؤلفات الجماعية الحيز الأكبر من النشاطات العلمية للباحثين بالمركز، ففي سنة 2004، نشر المركز ما يقارب 36 دراسة ، وقد تمثلت البحوث والدراسات الجديدة ذات العمل المشترك لأكثر من مؤلف والتي تم نشرها، **في: (الديمقراطية والتنمية الديمقراطية في الوطن العربي، الفكر الاجتماعي الخلدوني: المنهج والمفاهيم والأزمة المعرفية ، احتلال العراق : الأهداف- النتائج، المستقبل،الاسلام والحداثة والاجتماع السياسي، المجتمع والاقتصاد أمام العولمة، العرب والإعلام الفضائي، منظمة التحرير الفلسطينية والانتفاضة : الحصيلة والمستقبل، الموسيقا العربية: اسئلة الأصالة والتجديد، العولمة والنظام الدولي الجديد)**[2]

قدم لنا كذلك تقرير الخاص بنشاطات المركز لسنوات (2005، **2006، 2007، 2009)** *، مجمل النشاطات العلمية التي أثرى بها الساحة العربية، الملاحظ أن هناك نشاط مستمر ومتنوع طبع أعمال المركز، تمثلت في زيادة في عدد الندوات والمؤتمرات، والمؤلفات الجماعية ، تعتبر هذه النشاطات وسيلة لطرح قضايا الأمة العربية، خاصة وان المنطقة العربية تعرف تصدعا وحراكا خاصة على المستوى السياسي الأمر الذي يدعو إلى توسيع دائرة الحوار حول مواضيع بعينها.

ومن أشكال الحوار الفكري المهمة: مراجعة الكتب، حيث يقوم بعض الباحثين على إعادة قراءة ما ألفه غيرهم، تأخذ القراءة الثانية صفة النقد لذلك العمل، وهي بالتالي حوار غير مباشر بين المؤلف الأصلي والقارئ، بهدف الكشف عن الجوانب الإيجابية والسلبية للكتاب، لأن مراجعة الكتب والنقد والنقاش تحمل في طياتها أفكارا وتحليلات مثيرة، تفتح للقارئ منظورات وأبعاد جديدة في الموضوعات التي يناقشها.

---

[1] مركز دراسات الوحدة العربية: **التقارير السنوية عن نشاط المركز**، تقرير لسنة 2003، نقلا عن الموقع الالكتروني: http://www.caus.org.lb/، ص ص146-157

[2] مركز دراسات الوحدة العربية، تقرير **سنة2004**، مرجع سبق ذكره، ص ص143-161

*للمزيد من الاطلاع على هذه التقارير زيارة الموقع الالكتروني لمركز دراسات الوحدة العربية:/http://www.caus.org.lb

من بين الكتب التي تمت مراجعتها والتي صدرت عن مركز الدراسات للوحدة العربية: كتاب للباحثين الفلسطينيين/**فضل مصطفى النقيب، مفيد أحمد قسوم،** عنوان المؤلف "الاقتصاد السياسي لصناعة التقنية العالية في إسرائيل "، الذي قام بمراجعته الباحث/**ماهر الشريف،** كتاب للباحث / **مصطفى عمر التير** بعنوان " صراع الخيمة والقصر رؤية نقدية للمشروع الحداثي الليبي "، تولى عملية مراجعة هذا الكتاب/ الأستاذ **أحمد بعلبكي،** كتاب آخر بعنوان " الجاليات العربية في أستراليا "، للمؤلف/**بول طبر**، قام بمراجعة المؤلف الباحث اللبناني / **ساري حنفي،** كتاب للمؤلف / **انزو ترايفرسو،** بعنوان " نهاية الحداثة اليهودية "، قام بمراجعته الباحث/ **فيصل دراج** وهو ناقد أدبي، ألف الباحث/**خالد حسين عبد الله** كتاب بعنوان " النهضة في الفكر العربي المعاصر (دراسة مقارنة في فكر حسن حنفي ومحمد عابد الجابري) "، تمت مراجعة هذا الكتاب من قبل الباحث/**محمد حمود،** كتاب/**لبيار ف. زيما** بعنوان " **النص والمجتمع** ": آفاق علم اجتماع النقد "، مراجعة الكتاب كانت للباحث/ **فيصل دراج...** الخ[1]

القائمة لازالت طويلة، لقد اخترنا بعضا منها لنبين تعدد أساليب الحوار الفكري بمركز دراسات الوحدة العربية، وفعلا اثبت المركز وجوده منذ تأسيسه لحد الآن وما حجم النشاطات العلمية والفكرية التي أنتجها المركز لدليل على فعالية المركز ونشاطه، والتي تطرقنا لجزء منها فقط، تنوعت من أعمال فردية وجماعية وهذه الأخيرة شكلت محور اهتمامنا، فلاحظنا تعدد أساليب العمل الجماعي، من ندوات وملتقيات، محاضرات، مؤلفات جماعية، مراجعة للكتب، ما يبرهن على أهمية العمل الجماعي ودوره في ترقية المعرفة العلمية.

فالمطلع على أعمال المركز وإنتاجاته الفكرية والعلمية، يتضح له أن هناك مجهودات تبذل من أجل الارتقاء بالحث العلمي المؤسسي، فهي تعبر عن وجود إرادة تتكون من قوة فكرية فاعلة وفعالة تعكس اجتهاد أعضائها المستمر والمتواصل، والدليل أنه استطاع أن يكسب ثقة القراء، من جهة، ومن جهة ثانية، بالعودة للتقارير التي يصدرها المركز سنويا يتبين حجم مبيعات سواء للكتب أو المجلات، لأهميتها العلمية، خاصة وأنها تركز كثيرا على القضايا العربية الأساسية.

ملاحظة بسيطة استوقفتني، قد تكون صحيحة وقد تكون خاطئة، والسبب يمكن لعدم اطلاعي الكبير على منجزات المركز، لكن وفي مقالة لأحد الباحثين ينتقد فيها عمل المركز، بما أن المركز كان من ضمن الأهداف الأساسية لتأسيسه هو تقديم دراسات مستقبلية واستشرافية للوضع العربي، حتى تتمكن الحكومات ويتمكن أصحاب القرار من وضع خطط استراتيجية تفاديا لما هو أسوأ، لكن ما حدث للعالم العربي في السنوات الأخيرة بما يعرف بالربيع العربي.

[1] مركز دراسات الوحدة العربية: **مراجعة كتب،** نقلا عن الموقع الالكتروني: http://www.caus.org.lb/

الكثير من النقاد يرون أن الباحث للشأن العربي، ومن بينها مراكز الدراسات المتواجدة عبر كامل التراب العربي، لم تتنبأ بهذا الحراك الشعبي الذي تحول لسبب أو لآخر إلى نقمة على الشعوب العربية، فبعض الدول تعيش الآن حروب مدمرة ضحيتها الشعب الأعزل، والتي من بين أسبابها التعصب بأشكاله المختلفة، غياب الحوار الاجتماعي حول إشكاليات التنمية بالوطن العربي.

ثانيا: طبيعة الحوار الفكري بالفضاءات العلمية والبيداغوجية الوطنية

من المظاهر التي أنتجها النظام العالمي الجديد، ظهور المؤسسات البحثية كضرورة لتطوير البحث العلمي والإنتاج المعرفي، أصبحت هذه الأخيرة تلعب دورا رياديا في قيادة العالم إلى ناصية التطور والتقدم، فقد شهد العالم المتقدم قفزات علمية امتلك من خلالها زمام المبادرة، تشير العديد من الدراسات، أن المؤثر الأول في عملية النهضة على المستوى العالمي هو: مراكز البحوث والدراسات، وقد جاء توسعها وفق نمطين : أفقي وعمودي، فعلى مستوى التوسع العمودي، دخلت بحوث هذه المراكز مرحلة من التقدم الذي شاركت في صنع لبناته الأولى، فأصبحت بعض الدراسات أسس للنظريات في الاقتصاد والمجتمع والسياسة وغيرها من المجالات الحيوية.

أما التوسع الأفقي فجاءت آثاره بعد الانتشار الحضاري والعالمي ومنه التقدم التكنولوجي وتطوير الوسائل البحثية والتعليم وذلك في العقود الأولى من القرن العشرين الميلادي، ولم يتعد هذا التوسع بادئ الأمر سوى الدول القريبة من أوروبا والولايات المتحدة لعدة أسباب ومنها عدم موائمة بعض تطبيقات هذه البحوث والدراسات على بعض المجتمعات.[1]

أثبت البحث العلمي في صورته الحديثة تطوره عندما بدأ الاهتمام بالمؤسسات البحثية بمختلف أشكالها سواء الحكومية أو الخاصة، ومثالنا في هذه الدراسة (مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، مؤسسات التعليم العالي)، باعتبارهما أهم الآليات التي اعتمدتها الجزائر لتطوير البحث العلمي، بالإضافة أنهما يعتبران الآلية المثلى للحوار الفكري البناء والهادف.

1- المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية بالجزائر

مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، مؤسسة وطنية للبحث، أنشأت طبقا للمرسوم رقم: **92-215**، المتمم والمعدل في **23** ماي **1992**، وقد انتقل المركز إلى النظام الوطني للبحث بعد أن كان مركز بحث وتطوير،

[1] عبد الله موسى: **مراكز الدراسات، ترف فكري أم ضرورة عصرية**، مجلة النبأ، مؤسسة المستقبل للثقافة والإعلام، العدد 38، أكتوبر 1999، نقلا عن الموقع الالكتروني: http://annabaa.org/nbahome/index.htm

ليتحول بعد ذلك إلى مؤسسة عمومية ذات طابع علمي وتقني، ووفقا لهذا المرسوم، فقد حددت مهام المركز في النقاط التالية:

- تطوير البحث الأساسي والتطبيقي المتعلق باحتياجات التنمية الوطنية في مجال الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية
- القيام بكل البحوث التي تساهم في تقدم العلوم الاجتماعية والإنسانية في الجزائر وتثمين نتائجها
- ضمان التكوين، التحسين وتأهيل الباحثين وموظفي دعم البحث
- تنظيم وترقية اللقاءات العلمية التي تتم بين الباحثين لتعزيز التبادلات والتحكم في المعلومة العلمية
- إصدار مجلة علمية ذات قيمة علمية من أجل نشر نتائج البحث وإبقاء الباحثين على تواصل دائم بينهم

ويضم المركز أربع وحدات بحث:

- وحدة البحث للثقافة، للاتصال، اللغات والفنون
- وحدة البحث حول الترجمة والمصطلحات مقرها وهران
- وحدة البحث في أنظمة التسميات في الجزائر ومقرها البليدة
- وحدة البحث حول الأقاليم النامية والمجتمعات ومقرها قسنطينة [1]

يضم المركز، ثلاث هيئات إدارية وهي: مديرية المركز – المجلس العلمي – مجلس الإدارة، وهي هيئات اتخذت من التقييم وسيلة لتسيير نشاط البحث من خلال إنتاج المعارف والموارد البشرية.

تنوعت نشاطات المركز من مشاريع بحث، ملتقيات ندوات، محاضرات، وهي تعكس مدى سعي المركز إلى ترسيخ وتعزيز ثقافة الحوار الفكري من خلال الأعمال والنشاطات الفكرية للمركز المختلفة، والتي سنستشهد ببعض من هذه النشاطات للدلالة على جدية المركز ومسيريه في التركيز على العمل البحثي الجماعي والذي أثمر في تحقيق الكثير من النتائج في ميدان البحث السوسيولوجي والأنثروبولوجي، بمجموعة باحثين ذوي تخصصات مختلفة، وهذه النشاطات هي:

- **مشاريع البحث:** فمن خلال اطلاعنا على التقارير السنوية للمركز، والتي يحدد فيها مجمل مشاريع البحث المنجزة خلال سنة كاملة، تبين أن المركز قد أنجز العديد من المشاريع البحثية ذات العمل المشترك ضمن فرق البحث للسنوات الخمس الأخيرة، واقتصرنا على السنوات الخمس الأخيرة، نظرا للكم الهائل من الأعمال والمشاريع سواء المنجزة أو في طريق الإنجاز منذ تأسيس المركز، لكن هدفنا ليس الاطلاع على منجزات المركز، بقدر ما نهدف إلى

[1] Centre de Recherche en Anthropologie Sociale et Culturelle **: Performance de la recherche et de l'innovation au crasc 2015**, Oran,Algérie, 2017, p 5

إعطاء صورة أو نموذج للعمل البحثي المؤسسي، ولنوضح طبيعة الحوار الفكري للمركز من خلال نشاطاته العلمية المتعددة والمتنوعة:

- **تقارير سنوية حول نشاطات المركز:** تتضمن هذه التقارير نتائج البحوث المنجزة للفرق البحثية، والتي تجسد أهداف التي أنشأ من أجلها المركز، وهو العمل العلمي التشاركي الذي يتم وفق وحدات وفرق بحثية، لقد حرص المركز على تزويد الباحثين بنشاطات المركز، فحسب آخر التقارير، التي سنتخذها كنموذج حتى نوضح من خلاله بعض من نشاطات المركز للتعريف بقيمة العمل البحثي المؤسسي، الأمر الذي يطرح العديد من الأسئلة: **كم هو عدد مراكز البحث المتخصصة بالبحث في العلوم الاجتماعية والإنسانية خارج الجامعة؟ وحتى داخل الجامعة، هل يتفاعل ويتحمس الباحث الجامعي للعمل الجماعي ويفضله على العمل الفردي؟**

يحاول المركز أن يزود الباحثين بكل التفاصيل عن المشاريع البحثية التي أنجزت والتي هي في طور الإنجاز، وتدعيما لأهداف دراستنا هو التعرف على الحوار الفكري السائد داخل المركز وذلك من خلال استعراض للأعمال ذات النشاط المشترك بين الباحثين، وسنركز على سنة (2017)، أما السنوات السابقة، ومن يريد أن يتعرف أكثر على مختلف التظاهرات والنشاطات العلمية المختلفة للمركز، ما عليه إلاّ زيارة الموقع الالكتروني للمركز.

عمل المركز خلال هذه السنة على تنظيم تظاهرات علمية مختلفة من: ملتقيات، ندوات، محضرات، ورش عمل، أيام دراسية، لقد نظم المركز ملتقى دولي حول: البحوث الناشئة في العلوم الاجتماعية والإنسانية بالبلدان المغاربية، مؤسسات وفاعلون تكريما للراحل محمد ابراهيم صالحي، والذي عقد أيام: **3 و4** ديسمبر **2017**، وملتقى وطني حول: الوالدية والتكفل النفسي بالطفل والمراهق، ملتقى من تنظيم المركز بالشراكة مع جامعة وهران، والذي انعقد أيام **26 – 27 ماي 2017.**[1]

وفي نشاط آخر مكثف، تم القاء محاضرات بالمركز والتي تنوعت في مواضيعها، أما فيما يخص الندوات، فقد نظم المركز ندوتين الأولى حول: حالة المعارف في العلوم الاجتماعية بمركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية بعد **25** سنة، والندوة الثانية حول: **المؤرخون الجزائريون في الفترة العثمانية، رجال ومناهج، أما الأيام الدراسية فكانت ثرية عالجت قضايا مهمة وتمثلت في : الخطاب الإعلامي : النظريات، الرهانات والتحولات – اللغات بين ضفتي المتوسط ، اتصال/ اتصالات، حركية/ حركيات وتناقل/ تناقلات– دور وأهمية الجمعيات في انتشار الوعي والتمدن في الجزائر – الكتابات الهوياتية التاريخية والذاكيراتية بين المقاومة وإعادة الكتابة– الكتابات الجامعية الجزائرية الراهنة في التاريخ الحديث والمعاصر.**

[1] مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، نقلا عن الموقع الالكتروني للمركز. http://www.crasc.dz/

بالإضافة إلى ورشات العمل المكثفة التي سعى المركز إلى اعتمادها كأحد أهم الفعاليات العلمية التي يسعى من خلالها المركز إلى تفعيل حركة الحوار الفكري المنتج والهادف، وقد تطرقت الورش البحثية إلى مواضيع مهمة وهي: آفاق بحث حول فاعلي التربية الوطنية في الجزائر: عناصر للتحليل – العودة إلى المصادر، المقابلات والمحفوظات في التاريخ– ورشة إعادة كتابة مقال علمي في العلوم الاجتماعية – فضائية المعطيات الديموغرافية والأنثروبولوجية والسياسية والاجتماعية –اللاّرسمي في الجزائر: الفاعلون، الاستراتيجيات والحدود –تمثلات العمل، السياسات العمومية للتشغيل والإدماج المهني للشباب في البلدان المغاربية – ورشة دكتورالية استكمال رسالة الدكتوراه (الدورة الثالثة) – تأسيس وتحرير مقال علمي– مدخل إلى تحليل المخطوطات.[1]

لقد استطاع (**CRASC**) خلال بعض السنوات أن يطور خبرة واسعة المجال في ميدان البحث، وبالتالي سهلت تقدم المعرفة في مختلف الميادين، ومنها التحسين الأمثل للباحثين، ولكي يواصل تطوره وتوسعه في البحوث المجددة والخلاقة، سطر برنامج عمل للسنوات **2016/ 2020**، إن تحرير هذا البرنامج العلمي قد تم آخذا بعين الاعتبار التحولات الثقافية والسوسيو/ اقتصادية للمجتمع الجزائري، وهذا حتى نتعرف على مختلف الإشكالات التي تواجهها أقسام ووحدات البحث من أجل حلها.

يركز هذا المخطط على المحاور الأكثر اهتماما بالنسبة للأقسام ووحدات البحث المختلفة، وبما أن (**CRASC**)، يهدف إلى الامتياز في مهامه فعليه وضع محاور إستراتيجية التي ترتب وتبني سياسته العلمية التي تكون قاعدة منظمة لمختلف أعماله، وتتمثل هذه المحاور في:

- المحور الأول: ترجع الأولوية للبحث المدمج والمكيف مع احتياجات المجتمع والسياسات العمومية، لكي يؤكد على القيم الاجتماعية للبحث والابتكار، وكذلك ليربط بين العلم والمجتمع، يعتبر هذا المحور وسيلة قوية قادرة على تكييف قدرات الباحثين مع مصالحهم ومع انشغالات القطاعات السوسيو/اقتصادية والسوسيو/ثقافية، وزيادة عن دوره في إنتاج المعرفة ونشرها واستغلالها في نشاطات التكوين، لهذا المحور دور آخر يكمن في تحويل المعرفة إلى قيمة مضافة تستجيب إلى الرهانات الاجتماعية للبلد.

- المحور الثاني: وضع الباحثين في قلب النظام وتخطيط البحث، وليس اعتبارهم مجرد منفذين بسطاء يقومون فقط باحترام عقود البحث، يؤكد المحور على تكوين الباحثين الشباب على البحث، ويهدف إلى إدماج حقيقي للباحثين وتعبئتهم المتواصلة والخاصة بأهداف المركز، الذي يعتبر اليوم كجهاز عضوي بمعنى الكلمة، بفضل هذه أوجه التآزر بين الباحثين والمدعمين، يبقى هذا الجهاز حي ومتطور

[1] المرجع السابق

- المحور الثالث: وضع وإعطاء فرصة للشركاء الاستراتيجيين لكي يرتفع التأثير على نشاط البحث بالمركز، وبالتالي هؤلاء الشركاء الإستراتيجيون سوى كان تبادلهم ثنائي ومتعدد الأطراف، سوى كانت المؤسسات وطنية أو عالمية، ومنه فإن برنامج البحث يبنى بطريقة متوازية بين مركز البحوث الأنثروبولوجية الاجتماعية والثقافية ومن طرف شركائه، كل هذا يؤدي إلى تنفيذ مشاريع مخططة تنجز من طرف فرق البحث.

- المحور الرابع: على المركز أن يحقق انسجام بقراءة نتائج البحث (تحسين النشر وترقية نتائج البحث)، إن النتائج المتحصل عليها من طرف (**CRASC**) لمسار المعرفة في البحث الخاص بالأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وكذلك بالعلوم الاجتماعية والإنسانية، لابد من أن يهتم أو يأخذ بعين الاعتبار ترابط وقراءة هذه النتائج

إن نشاط نشر وترقية المنتوج العلمي (الذي يكون واحد من مهام المركز)، يكون في ارتباط قوي بين البحث والمجتمع، وبالتالي الرهان هو تحسين قنوات النشر، كما أن المحاور الاستراتيجية للتطور تترجم إلى محاور ذات أولوية للبحث ضابطة الأهداف العملية، التي تتحقق في البحث وكذلك تتحقق في تبادلات ودراسات لخبرات النشر والتقييم.[1]

2- الناتج العلمي لبعض مؤسسات التعليم العالي (قراءة في بعض المؤشرات)

نتيجة للتحديات التي فرضتها المتغيرات العالمية الحديثة، أصبح من الضروري على مؤسسات التعليم العالي أن تكسب الرهان، وهو امتلاك المعرفة العلمية، وذلك بتطوير آليات وأساليب العمل البحثي المنتج.

لقد اقترن تطور البحث العلمي بالجزائر بمختلف التحولات البنيوية التي عرفتها الجامعة الجزائرية، فالإصلاحات التي كانت تحدث في كل مرحلة على النظام الجامعي كان للبحث العلمي نصيب وافر منها، من أهم الآليات التي سعت من خلالها مؤسسات التعليم العالي لتطوير المعرفة العلمية، الملتقيات والندوات، المؤتمرات، أيام دراسية، المؤلفات الجماعية، مخابر بحث، إنشاء مجلات علمية...الخ، هذا فيما يخص مجال البحث التشاركي، بالإضافة إلى العمل الفردي، حيث يجتهد الباحث في تطوير مستواه العلمي والمعرفي، بالمشاركة والانخراط في مختلف الفعاليات العلمية سواء على مستوى الجامعات الجزائرية وحتى المستوى العربي والدولي، من أجل الترقية العلمية والمهنية.

وبما أن هذه النشاطات العلمية تدخل ضمن الحوار الفكري بالفضاء الجامعي، نود التعرف على طبيعة هذا

[1]Centre de Recherche en AnthropologieSociale et Culturelle : **Plan stratégique de développoment au crasc à l'horizon 2020**, Oran, 2017, pp32- 33

الحوار انطلاقا من تحليل بعض مؤشرات البحث بمؤسسات التعليم العالي، من بين أهم المؤشرات الدالة على طبيعة الحوار الفكري بالفضاء الجامعي " المنتوج العلمي لمؤسسات التعليم العالي "، حيث عملت المديرية العامة للبحث العلمي والتطوير التكنولوجي على القيام بدراسة (**scientométrique**)، وهو علم قياس وتحليل العلوم، حيث يعمل على تحليل المنشورات وكذلك التمويل والموارد البشرية، وبراءات الاختراع)، في تقييمها لنوعية الإنتاج العلمي

لمؤسسات التعليم العالي على مجموعة من المؤشرات، واعتمدت في مصدرها لتوليد مؤشرات الإنتاج العلمي على (**SCOPUS**)، وهو " قاعدة بيانات دولية تنتجها **elsevier**، وهي تعتمد على التسجيل المنهجي لمحتويات مجموعة لمجلات علمية التي تعتبر ذات المستوى الجيد "، وتتصل المؤشرات العلمية المحسوبة بـ:

- ترتيب أفضل **10** جامعات وطنية يتعامل معها الباحث الجامعي في مجال النشر المشترك
- ترتيب أفضل **10** أنواع من المنشورات العلمية[1]
- ترتيب أفضل **10** دول أجنبية يتعامل معها الباحث الجامعي في مجال النشر المشترك ويقاس تحليل النشر بـــ:
- عدد المنشورات وتطورها.
- تأثير المنشورات: وتقاس بعدد الاقتباسات التي تنقلها منشوراتها ومؤشر (**le h. index**)، الذي يضم كل من كمية وأثر الإنتاج العلمي للمنشأة على (الباحث، المختبر، المؤسسة، أو البلد)، وقد حددت مواضيع البحث بـ: 27 مجالا وفقا للتسمية التي حددها (SCOPUS)

تنوعت المنشورات والتي حددها (**SCOPUS**) في: مقال (article)، مؤتمرات (conference paper)، مراجعة (**review**)، مقال في الصحافة (**article in press**)استطلاع قصير للرأي (short survey)، كتاب (**Book**) ، فصل من كتاب (book chapter)، بالإضافة إلى مؤشرات أخرى تعتبر مدخلات البحث العلمي بالنسبة لكل مؤسسة من مؤسسات التعليم العالي، وهي: عدد الأساتذة الباحثين – عدد الأساتذة الباحثين من رتبة ماجستير – عدد المسجلين في مرحلة ما بعد التدرج – عدد مخابر البحث، تم الحصول على هذه المعلومات من دليل وزارة التعليم العالي والبحث العلمي للعام الدراسي **2013– 2014** والملف الوطني لمختبرات البحوث

وانطلاقا من هذه المؤشرات، تم تصنيف أفضل **10** مؤسسات وطنية من حيث الإنتاج العلمي، سنتطرق لبعض المؤشرات التي توضح لنا طبيعة الحوار الفكري داخل الفضاء الجامعي في قراءة لبعض أنواع المنشورات، ومن خلال الشكل الموالي، الذي تم إنشاءه من طرف الباحثة، بناء على معطيات التقرير، والذي تحصلنا عليه من

[1]Direction Générale de la Recherche Scientifique et du Développement Technologique :
Etude scientométrique de la production scientifique des établissements d'enseignement supérieu,
nseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique, Algerie, juillet 2015, p1 Ministère de l'E

طرف المديرية العامة للبحث العلمي والتطوير التكنولوجي، وهو تقرير يمثل جرد للمنتوج العلمي لمؤسسات التعليم العالي

ووفقا لأهداف البحث، تم التركيز على بعض المؤشرات التي تجسد الحوار الفكري:

المؤشرات العلمية / المؤسسات العلمية	الاستشهادات والاحالات	فصل من كتاب	مراجعة	أوراق مؤتمر	أفضل 10 مؤسسات للنشر المشترك
جامعة هواري بومدين للعلوم والتكنولوجيا	31121	08	57	647	En enp +بومرداس+ تيزي وزو+ البليدة U u +crapc+cdta+ cder+ crna + cerist+crtse
جامعة قسنطينة (1، 2، 3)	18184	35	36	1168	أم البواقي+ جيجل+سطيف+باتنة+ بسكرة+سكيكدة+ عنابة+ بجاية+ تبسة+مسيلة
جامعة باجي مختار، عنابة	12040	05	27	628	تبسة+قالمة+قسنطينة+سكيكدة+سوق أهراس +أم البواقي+ بجاية+ جيجل+ بسكرة+ الطارف
جامعة سطيف 1- 2	12469	13	34	453	قسنطينة+مسيلة+معسكر +بجاية +سكيكدة+بلعباس+crna+باتنة+ usthb+عنابة
جامعة جيلالي اليابس(سيدي بلعباس)	13108	03	44	347	معسكر +usto+ سعيدة+ بشار +تيارت +تلمسان+سطيف+مستغانم+وهران + enp وهران
جامعة أبو بكر بلقايد (تلمسان)	9533	05	41	430	سيدي بلعباس+ بشار + وهران +معسكر +Usto+cder+usthb+ سعيدة+سطيف+Chu تلمسان

جامعة العلوم والتكنولوجيا محمد بوضياف وهران (usto)	8010	01	27	463	سيدي بلعباس+وهران+مستغانم +بشار +Enpوهران +معسكر +تيارت+تلمسان+Asal+ الشلف
جامعة وهران (1، 2)	8991	04	22	341	معسكر + sthb+تلمسان+مستغانم +سيدي بلعباس+Enp+وهران+ تيارت+ بشار +الشلف+enp
جامعة الحاج لخضر باتنة	5619	08	17	536	قسنطينة+بسكرة+سطيف+مسيلة +أم البواقي +ورقلة+enp+cder +تبسة+بجاية
جامعة عبد الرحمن ميرة بجاية	6751	04	24	308	سطيف+قسنطينة+enp+usthb +عنابة+تيزي وزو+ جيجل + باتنة+مسيلة+cerist

الجدول رقم3: يمثل العمل المشترك بين 10 جامعات وطنية

المصدر: Direction Générale de la RechercheScientifique et du DéveloppementTechnologique :

Etude scientométrique de la production scientifique des établissementsd'enseignementsupérieu,

يوضح الجدول، بعض المؤشرات الدالة على الحوار الفكري، والتي توضحه الأعمال العلمية التالية: الاستشهادات والإحالات، بمعنى إلى أي حد يعتمد الباحث الجامعي في أعماله على الاستشهاد بأعمال الآخرين، وهذا مؤشر على الحوار فكري غير مباشر حيث تراوح معدل الإحالات للجامعات المذكورة أعلاه في كل مقال بـ: 4,98%، الواضح من الجدول، أن الأعمال العلمية أخذت الشكل الفردي أكثر من العمل الجماعي، وهذا ما تبينه المساهمة القليلة جدا في مراجعة الكتب، والتي أخذت القيم من **(17 إلى57)**، أو المشاركة في تأليف كتاب والتي تراوحت قيم هذا العمل العلمي ما بين **(1 و35)**، والسؤال الذي يطرح : **لماذا هذا الاهتمام القليل أو المساهمة البسيطة**

من طرف الباحثين بالجامعات المذكورة التي أخذت المراتب العشرة الأولى، بالعمل في هكذا نشاطات التي تأخذ الطابع الحوار الفكري؟، لقد بينت الكثير من الدراسات والتي ذكرناها سابقا، أهمية الأعمال الجماعية ودورها في توليد معارف جديدة.

ومن جانب آخر، لاحظنا أن هناك تحيز في الأعمال؛ بمعنى إذا كان الباحثون من الشرق ينحازون لجامعات الشرق للعمل المشترك، وإذا كانوا من الغرب ينحازون لجامعات الغرب، هنا أيضا نطرح السؤال التالي: لماذا هذا الانحياز؟ هل للتعصب سبب في ذلك؟، لقد وظفنا هذا المؤشر، لأننا لاحظنا أن الأعمال المشتركة خارج الجامعة الأم، وجدنا أن هناك تحيز واضح للباحثين في التعامل مع جامعات بعينها دون غيرها.

لا ينحصر نشاط الباحث الأكاديمي داخل الجامعات الوطنية، لأن الباحث الذي يتمتع ويملك من الأدوات والأساليب العلمية، وخاصة اللغة، لابد عليه أن يكون في حوار فكري دائم مع باحثين من جامعات عالمية مختلفة، فالعمل المشترك مع ثقافات وتخصصات وبلغات مختلفة، هذا الأسلوب يمكن الباحث من تطوير مهاراته وقدراته الفكرية وبالتالي يتمكن الباحث من امتلاك المعرفة العلمية الحديثة، لا يمكن أن ننكر مدى تقدم العلم عند الغرب، وخاصة في مجال العلوم الاجتماعية والإنسانية، ونظرا لأهمية العمل المشترك مع باحثين أجانب، يسعى الكثير من الباحثين للشراكة أو الانضمام لمراكز بحث عربية ودولية، لأنه بالفعل أثبت هذا الأسلوب جدواه في تطوير المعرفة العلمية، ومن خلال الجدول الموالي، نبين تعامل الباحثين لأفضل الجامعات الوطنية مع الدول العربية والأجنبية، وذلك بتحديد نسبة التعامل مع هذه الدول، لنكشف مدى امتلاك الباحث بهذه الجامعات للغات العلمية من جهة، وكذلك نبين من جهة أخرى أهم الدول التي يمارس معها الباحث الذي ينتمي لأفضل **10** جامعات وطنية الحوار الفكري من خلال النشر المشترك.

بناء على معطيات التقرير الذي أصدرته المديرية العامة للبحث العلمي والتطوير التكنولوجي، قمنا بإعداد هذا الجدول:

الدول المتعامل معها	نسبة التعامل	الدول المتعامل معها	نسبة التعامل
فرنسا	%100	بريطانيا	%70
أمريكا	%100	المغرب	%40
اسبانيا	%90	تونس	%30
المملكة العربية السعودية	%90	تركيا	%20

كندا	%80	ماليزيا	%20
إيطاليا	%80	اليونان	%20
ألمانيا	%80	جمهورية التشيك	%10
بلجيكا	%70	اليابان	%10
سويسرا	%10	رومانيا	%10
الهند	%10	لبنان	%10
الصين	%10		

الجدول رقم4: يمثل الدول التي يتعامل معها الباحث المنتمي لأفضل 10 جامعات وطنية في مجال النشر المشترك

المصدر: : Direction Générale de la RechercheScientifique et du DéveloppementTechnologique
Etude scientométrique de la production scientifique des établissements d'enseignement supérieu, Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique, Algerie , juillet 2015

أما فيما يخص المنتوج العلمي بميدان العلوم الاجتماعية بالجامعات الوطنية، ودائما حسب الدراسة التي قامت بها المديرية العامة للبحث العلمي، فإن الإنتاج العلمي السوسيولوجي أدنى بكثير من تخصصات علمية أخرى، فعلى سبيل المثال، ما حققته العلوم الاجتماعية من نشر علمي بجامعة قسنطينة (**1، 2، 3**)، (علما أن جامعة قسنطينة تحتل المرتبة الثانية وطنيا من حيث حجم المنشورات العلمية بمختلف أنواعها)، كما يوضحه الشكل التالي:

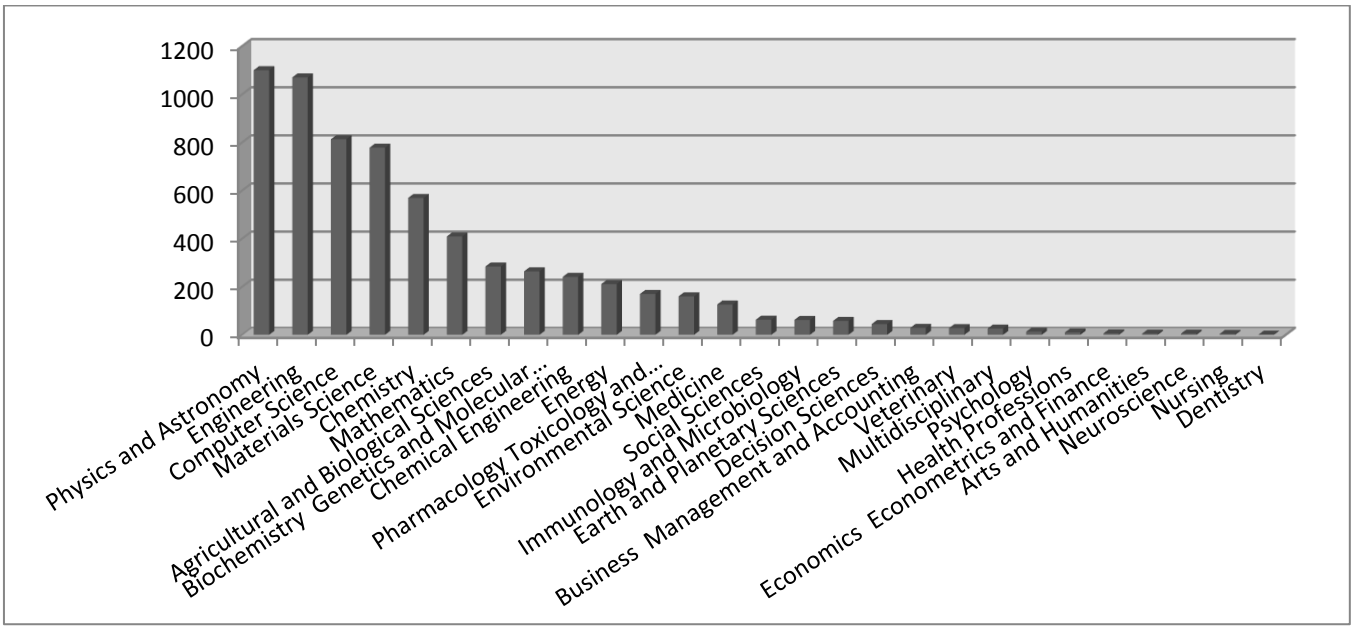

الشكل رقم 6: يمثل ترتيب مجالات النشر حسب التخصصات العلمية بجامعة قسنطينة (1، 2، 3)

يوضح الشكل السابق، تموقع العلوم الاجتماعية، والذي يبين الحجم الضئيل جدا لمستوى النشر في هذا الميدان، مقارنة بتخصصات علمية أخرى ، لقد استندنا إلى هذا الرسم، لتوضيح مستوى النشر في حقل العلوم الاجتماعية وهو مثال عن جامعة قسنطينة (1، 2، 3)، وقس على ذلك الجامعات الأخرى التي رتبت كأفضل 10 جامعات وطنية

المؤسسات الجامعية	مستوى النشر في العلوم الاجتماعية
جامعة هواري بومدين للعلوم والتكنولوجيا (usthb)	65
جامعة قسنطينة (1، 2، 3)	63
جامعة باجي مختار عنابة	81
جامعة سطيف (1، 2)	30
جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس	27
جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان	23

جامعة محمد بوضياف للعلوم والتكنولوجيا وهران(usto)	12
جامعة وهران (1، 2)	54
جامعة الحاج لخضر باتنة	24
جامعة عبد الرحمن ميرة بجاية	24

الجدول رقم 5: يمثل مستوى النشر العلمي بميدان العلوم الاجتماعية

يبين الجدول، أنه من بين **22** إلى**27** تخصص (حسب الجامعات)، فإن العلوم الاجتماعية تحتل الرتبة ما بين **(14** إلى **16)**، مقارنة بتخصصات أخرى، فإن هذا العدد من المنشورات يعتبر قليل جدا، وهذا لدليل تدني مستوى النشاط البحثي بميدان العلوم الاجتماعية، مقارنة بتخصصات أخرى.

يمكن حصر أهم الملاحظات التي استطعنا ان نستنتجها من خلال التعرض لمختلف نماذج البحث العلمي المؤسسي والتي نقسمها على أساس أهميتها ودورها في إنتاج وترقية المعرفة العلمية، منها من حققت التفوق العلمي الذي يدل على أن هناك حوار علمي وفكري ناجح وهو ما جسدته مدرسة فرانكفورت، ومدرسة شيكاغو.

وبشكل أقل أهمية ما يقدمه مركز دراسات الوحدة العربية، يقدم ساري حنفي رئيس مجلة إضافات، قراءة فيما يخص الكتابة السوسيولوجية العربية، تحليل لبعض المتغيرات في مقالات مجلة إضافات، وهي مجلة محكمة تصدر عن الجمعية العربية لعلم الاجتماع بالتعاون مع مركز دراسات الوحدة العربية، أراد من خلال هذه الافتتاحية أن يقدم تحليلا إحصائيا وصفيا لمواد المجلة، لأنه يرى أن هذا التحليل ضروري جدا لهيئة تحرير مجلة إضافات، وذلك من وجهين: للنظر في كيفية تحسين المنتج السوسيولوجي العربي، ودفع عملية إيجاد توازن بين استخدام المراجع المختلفة.

وأهم ما جاء في هذه الافتتاحية والذي يشكل نقطة التقاء مع موضوع الدراسة الحالية، ما يتعلق بـ: مشاركة الباحثين في كتابة المقالات، وتوزيع البحوث حسب نوعها، ومن خلال الجدولين الموالين يتضح لنا اعتماد الباحثين السوسيولوجيين على الكتابات الفردية أكثر من العمل التشاركي

عدد المؤلفين المشاركين في المقالة الواحدة	عدد المقالات	النسبة المئوية%
1	**133**	**94,3**
2	**5**	**3,5**
3	**2**	**1,4**
4	**1**	**0,7**
المجموع	**141**	**100**

الجدول رقم 6: يمثل مشاركة الباحثين في كتابة المقالات بمجلة إضافات

نوع النشاط	العدد	النسبة المئوية %
مقالة	**142**	**57,3**
مراجعة	**87**	**35,1**
تقرير لمؤتمر	**9**	**3,6**
مقدمة	**9**	**3,6**
أخرى	**1**	**0,4**
مجموع	**248**	**100**

جدول 7 رقم: يمثل توزيع المواد المنشورة بحسب نوعها [1]

[1] ساري حنفي: **الكتابة السوسيولوجية العربية (تحليل بعض المتغيرات في مقالات مجلة إضافات)**، مجلة إضافات، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، العدد 19، صيف 2012، ص ص7- 8

من خلال هذين الجدولين يطرح الباحث ساري حنفي بوضوح إشكالية الحوار الفكري بين الباحثين العرب، وهذا ما يجسده العمل الفردي الذي طغى على كل أنواع نشاطات البحث العلمي المشتركة، وقد يرجع هذا لأسباب معينة، قد يكون للتعصب الفكري دور في عزوف الباحثين عن العمل الفكري التشاركي.

أما فيما يخص البحث العلمي الأكاديمي الوطني على مستوى مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية و مخابر البحث الجامعي، فيتضح أن هذين النموذجين لازالا يعيشان مشكلات وعوائق متعددة لعل أبرزها مشكلة تتعلق بتأسيس الجماعة العلمية الحقيقية.

استطاع (**CRASC**)، أن يكون من أهم المراكز الوطنية التي اهتمت بالبحث في قضايا المجتمع الجزائري ومشاكله، أما إذا أردنا أن نقيم طبيعة المعرفة المنتجة، فهذا لا يتطلب منا رؤية سطحية لما أنتجه المركز، فمن حيث الكم فالإنتاج غزير، فالمركز استطاع أن يكون النموذج الوطني الأمثل في مجال البحث السوسيولوجي والأنثروبولوجي الذي يجسد الحوار الفكري المبني على التعاون والتشارك المعرفي، أما من حيث النوعية، فإنه لا يمكن الحكم على مدى قدرة الباحثين بالمركز على تطوير البحث العلمي وتجويده، فالأمر يحتاج دراسة معمقة لمحتوى البحث العلمي الذي اشتغل علية باحثوا المركز، ولكن لو حاولنا أن نقيم بصورة عامة البحث العلمي بمؤسسات البحث بالجزائر، ودائما نرجع في عملية التقييم إلى الجهات المختصة من مؤسسات علمية دولية ووفقا لمقاييس معينة.

يمكن القول أن طبيعة المعرفة العلمية التي حققها المركز مثلها مثل غيرها من المعارف المتوصل إليها في الجامعات الوطنية، لم توفق كثيرا في منافسة المعرفة العلمية على صعيد المؤسسات البحثية العالمية، ومن المعروف، أن النتائج المتوصل إليها تترجم إلى واقع، حتى تعكس الصورة الفعلية لجودة النتائج العلمية المتوصل إليها، وأنها فعلا يمكن أن تحقق تنمية المجتمع في مختلف المجالات، وما تعيشه الأمة العربية والجزائر من تخلف وتراجع على المستوى الاقتصادي، السياسي، الثقافي، هناك من يرجع تأخر النهضة العربية، إما إلى عدم ترجمة نتائج البحوث المتوصل إليها على أرض الواقع، أو إلى عدم وجود منتوج علمي حقيقي يمكن أن يوظف في حل مشكلات المجتمع، وهذا سبب في عدم ثقة المؤسسات الاقتصادية في تمويل البحوث العلمية التي تنتجها الجامعات، ونحن أيضا نرى من تحليلنا لمؤشرات البحث العلمي، أن المشكل ليس له علاقة بترجمة البحوث، بل عدم التوصل إلى معارف علمية جديدة، لأن كل الأعمال المنجزة عبارة عن عملية استهلاك لما هو موجود من معارف.

كان لنا حوار مع بعض الباحثين بالمركز حول بعض المشاكل في علاقتهم مع زملائهم، خاصة أثناء العمل، تحدثوا لنا عن بعضها كنا قد تحدثنا عنها في مواقع أخرى من البحث، من أهمها تعصب مسؤولي ورؤساء الفرق

البحثية، واعتبروها من أهم المعوقات أمام تطور المعرفة العلمية، ويرجعون السبب لعدم امتلاك الباحث الجزائري لثقافة الحوار، رغم ما يجمعهم هو عمل ضمن فرق بحثية والتي تستدعي هذه الطريقة امتلاك لأخلاقيات الحوار، لكنهم يصفون العمل معهم وفق قاعدة الأوامر وهي تأخذ شكل عمودي، ويعاملون من طرف رؤساء المشاريع بنوع من الاستعلاء والتكبر.

3- تقييم أداء مخابر البحث العلمي في ضوء الدراسات الميدانية:

اعتمدت مؤسسات التعليم العالي، خاصة المؤسسة الجامعية، على مخابر البحث العلمي كآلية للحوار الفكري الأكاديمي، الذي يعتبر من أهم الطرق والأساليب الناجحة والناجعة في تطوير المعرفة العلمية، والتي بدأت العمل به منذ سنة **2000**، تم اعتماد وإنشاء مخابر البحث العلمي بمختلف المؤسسات الجامعية عبر الوطن والتي غطت مختلف التخصصات والميادين العلمية، وبهذا أصبحت هذه المخابر بمثابة الوحدة القاعدية للبحث العلمي الجامعي، والتي قربت محيط البحث من الأساتذة الجامعيين ما شجع على انضمام أعداد متزايدة من الأساتذة الجامعيين في مجال البحث ضمن هذا التنظيم.

لقد سجل تطور كبير في عدد المخابر على مستوى الجامعات الوطنية، حيث بلغ عددهم **1440** إلى غاية جانفي**2018**، أما عدد مخابر البحث الخاصة بعلم الاجتماع وهذا حسب الوثيقة التي تحصلنا عليها من المديرية العامة للبحث العلمي والتي بلغ عدد المخابر بهذا الميدان **91** مخبر.

وفقا للجدول التالي، نوضح عدد مخابر البحث العلمي على مستوى أفضل عشر جامعات وطنية، وهذا دائما بالرجوع إلى نتائج تقرير المديرية العامة للبحث العلمي، الصادر في جويلية**2015** :

المؤسسات الجامعية	عدد مخابر البحث
جامعة هواري بومدين للعلوم والتكنولوجيا (usthb)	69
جامعة قسنطينة (1، 2، 3)	110
جامعة باجي مختار عنابة	95
جامعة سطيف (1، 2)	48

جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس	50
جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان	74
جامعة محمد بوضياف للعلوم والتكنولوجيا وهران(usto)	35
جامعة وهران (1، 2)	107
جامعة الحاج لخضر باتنة	62
جامعة عبد الرحمن ميرة بجاية	29

الجدول رقم 8: يمثل عدد مخابر البحث لأفضل 10 جامعات وطنية

تعتبر مخابر البحث من القنوات الأساسية التي يعتمد عليها الباحثون في ممارسة الفعل البحثي المؤسسي بمختلف أنواعه، وهي رغم حداثة تشكلها والتي جاءت كأحد الحلول مع الإصلاحات الجديدة التي عرفتها الجامعة الجزائرية، تعيش مشكلات عديدة وهي نفسها مشكلات البحث العلمي الذي تم التطرق لها سابقا، ولتوضيح ذلك نستشهد ببعض الدراسات التي حاولت تسليط الضوء على واقع مخابر البحث العلمي بالجامعة الجزائرية، وننطلق في من خلال السؤال التالي: **هل تمكنت مخابر البحث كآلية لتفعيل البحث العلمي من تحسين مستوى المنتوج العلمي النوعي وليس الكمي على مستوى الجامعة؟**

تشير الباحثة/**فرشان دليلة** في مقالها الموسوم بـ :"**دور مخابر البحث في تكوين طلبة الدراسات العليا، مقارنة بين الجامعة الجزائرية والجامعة الفرنسية** "، تقدم الباحثة بعض العوامل التي أدت إلى تدهور عمل المخابر بجامعة الجزائر، فهي ترى أنه بالرغم من الزيادة المطردة لعدد المخابر خلال هذه العشرية، إلاّ انه لم يرتبط بهذه الزيادة أداء كيفي متميز، فبحوث ودراسات مخابر البحث ما هي إلاّ مجرد تجميع شكلي لعدة مشاريع، ولجهود منفصلة عن بعضها البعض، مع أن مواطن البحث والمعرفة الجديدة والاكتشاف يقع معظمه في نقاط تشابك بين مختلف التخصصات، كذلك عدم وجود استراتيجية أو تخطيط يحدد الاحتياجات الأولية للمجتمع، تبنى على أساسه المشاريع العلمية هذا ما جعل النشاط العلمي لمخابر البحث تبدو مجرد جهود مشتتة ومجزأة وفي اتجاهات مختلفة، دون أي تراكم علمي واضح، نظرا لعدم وضوح الأهداف التي أنشأت على أساسها مخابر البحث جعل هذه الأخيرة، تفتقر لرؤية مستقبلية واضحة، وإلى جعل فعلها مجرد نشاط خال من القصدية، هذا ما يفسر سطحية البحوث وعدم استثمارها لترقية أداء الباحث في الجامعة الجزائرية، عدم وجود إدارة فعالة تتكفل بتسيير مخابر البحث، فأي مسيرة تغيير لا

يمكنها أن تنطلق بداية واستمرارا، إلاّ بالمشاركة اللاّزمة من كل الأطراف الفاعلة فيها، عدم تماشي اللوائح التنظيمية المتضمنة لكيفيات إنشاء وتسيير وتطوير مخابر البحث عن هدفها في استحداث الحراك التنموي المحلي والأخذ على عاتقها مهمة التكوين، عدم وجود قاعدة معلومات وبيانات تنشر فيها بحوث ودراسات مخابر البحث، فالبحث لا ينتهي بالإجابة عن الإشكال فحسب، وإنما منتهاه أن يستثمر في إنتاج معرفة أو تغيير واقع، وحتى تكون هذه المعرفة منتجة، فإن الإنتاج المكتوب يساهم وبشكل كبير في تأسيس المعرفة وصناعتها كونه المرجعية التي يعتمد عليها في الحكم على نوعية التراكم المعرفي وتدعيما للرؤية المكونة حول دور مخابر البحث بالجزائر، تقدم الباحثة في هذا الإطار التجربة الفرنسية كنموذج فعال ورائد في البحث العلمي التشاركي:

بعد عملية التقييم الذاتي، أدركت الجامعة الفرنسية، أنه من متطلبات تطور وتنمية البحث العلمي، لا بد من بناء استراتيجية فعالة تتكفل بتوجيه وقيادة وتنسيق وتخطيط الإنتاج العلمي لمخابر البحث، ليس فقط لتدعيمه وتطويره، بل من أجل خلق وابتكار معرفة جديدة، ولتحقيق دورا متميزا وريياديا، تم إنشاء مصلحة النشاطات التجارية والعلمية المسمات (SAIC)، وذلك بالتعاون بين وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ووزارة الاقتصاد ووزارة المالية.

تقوم استراتيجية مصلحة SAIC في تسييرها لمخابر البحث على تحويل الفاعلين في الحقل العلمي باحثين وطلبة من وضعية التهميش والتشتت إلى وضعية جديدة تعاونية ليصبح فيها الباحث عنصرا فعالا في الحقلين العلمي والاقتصادي، ودون الخوض في تفاصيل أكثر حول هذه المصلحة، نحاول التطرق لما يخدم طبيعة البحث.

– تعتمد المصلحة على إجراءات إلزامية تستوجب على كل مخبر، لم يحسن أو لم يقم بتقديم إعانات للدولة، وهذا حرصا على تشجيع التميز والجدية والفعالية في مستوى البحوث المقدمة.

– تعمل المصلحة على توفير قنوات للتواصل بين مختلف مخابر البحث على مستوى الجامعات المحلية وبينها وبين مخابر البحث على مستوى الأوروبي، ولقد استطاعت هذه المصلحة بفضل تسييرها الفعال إلى عقد مجموعة من الاتفاقيات داخلية وخارجية مع الاتحاد الأوروبي.

– أولت المصلحة اهتماما جادا بتدعيم قنوات نشر المعرفة معتمدة في ذلك على توفير وسائل تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، بغية تقليص الفجوة بين عملية إنتاج المعلومة وتحريرها ونشرها، فالباحث اليوم أصبح هو نفسه منتج للمعلومة ومحررها وناشرها.[1]

[1] فرشان دليلة: **دور مخابر البحث في تكوين طلبة الدراسات العليا، مقارنة بين الجامعة الجزائرية والجامعة الفرنسية**، الملتقى الوطني آفاق الدراسات العليا والبحث العلمي في الجامعة الجزائرية، المنعقد جامعة الجزائر 1، أيام:23-24-25-26 أفريل2012، ص114-119

وفي دراسة أخرى للباحث/**صالح بلعيد**، المعنونة بـ: **دور مخابر البحث العلمي في تطوير البحث العلمي والتنشيط الثقافي والبيداغوجي**، والتي قدمت بمناسبة فعاليات الملتقى الوطني **(آفاق الدراسات العليا والبحث العلمي في الجامعة الجزائرية**، وعلى لسان الباحث: "، يؤسفنا بأن البحث العلمي في جامعتنا لم ينل الدرجة المطلوبة، لذلك لم يرق في صعوده، فيعيش القهقري، ولابد من علاج الأمر باستحداث نمط جديد يأخذ في الحسبان وضع الهيكل التنظيمي للبحوث الجامعية، وربط بنية البحث العلمي بمراكز البحث ومؤسسات الإنتاج، وانفتاح الجامعة على المحيط وتغليب الجانب العلمي على الجانب الإداري ... وكان يفترض أن المختبرات في الجامعة عبارة عن مكتب دراسات تتنافس في الجودة، وفي إنتاج الأفكار ... وأن لب إقامة المخابر عند الأمم الراقية، هي المتابعة العلمية والدائمة لعمل الأعضاء، بل تكون المتابعة أسبوعية ... وهو عبارة عن مكان علمي تجتمع فيه الفرق لتبادل الأفكار، أو أعضاء الفرقة الواحدة لعرض آخر الملاحظات، إضافة إلى التقويم العلمي للمنتوج أو للفكرة الطارئة، ... عادة تلتقي النخبة التي تعمل على الإنتاج وعلى الإبداع، وفيها يتم تلاقح الأفكار... وتقديم آخر الأخبار عن البحث العلمي، وعن مختلف اللقاءات المستجدة، فالمخابر هي التي تعمل على إيجاد النظريات، وهي التي تعجّن الفعل العلمي ليستقيم ويتطور... "، باعتبار المخبر منتجا للأفكار، كان عليه أن يتجاوز حرم الجامعة، حيث يشارك في الفعاليات الوطنية التي تخصُّه، يسهم مع المؤسسات الوطنية أو الأجنبية في تقديم مشاريع في اختصاصه، المساهمة في الملتقيات والندوات الوطنية أو الدولية، هذا العمل أكسب المختبر صفة الحضور الدولي بشكل خاص. وفي الأخير، يؤكد الباحث على ضرورة إتباع سياسة التقويم والمراجعة، فهي البوصلة التي توجهنا إلى الأمام وإلى الصواب، والمتابعة المستمرة لمنتوج المختبر، فالعبرة فيما تقدمه هذه المختبرات من قيمة نوعية إضافية، وليس في العدد الإجمالي للمخابر.[1]

في مقال للباحث/ **عبد الباسط هويدي، والباحثة/ فتيحة زايدي**، الموسوم بـ: **المؤسسة الجامعية فضاء لإنتاج المعرفة الجامعية**، استعرض فيه الباحثان بعض الآراء لباحثين حول دور مخابر البحث العلمي بالجامعة الجزائرية في إنتاج معرفة علمية حقيقية، فكانت هذه الآراء كالآتي:

يرى الباحث/ **سعيد بوطاجين**، وهو ناقد جزائري: " أن مخابر البحث في الجامعات الجزائرية، وجدت لتقوم بوظائف لا علاقة لها بالبحث، الحديث عن المخابر، مهما كانت، يتضمن بالضرورة، الإشارة إلى البحث العلمي بمفهومه المتعارف عليه دوليا، من المفترض منطقيا وموضوعيا، أن تكون مثل هذه الهيئات مؤطرة ولها خطة ومقاصد

[1] صالح بلعيد: **دور مخابر البحث العلمي في تطوير البحث العلمي والتنشيط الثقافي والبيداغوجي**، الملتقى الوطني: آفاق الدراسات العليا والبحث العلمي في الجامعة الجزائرية، المنعقد بجامعة ال جزائر1، أيام 23-24-25-26-أفريل 2012، ص ص162-167

ووسائل وكفاءات، فاعلة تضمن استمراريتها، وقبل هذا جودتها، والواقع أن كثيرا من مخابر البحث في الجامعة الجزائرية، لا تحمل هذه المواصفات من حيث أنها وجدت لتقوم بوظائف ترقيعية لا علاقة لها بالبحث " [1]

ومن جهة أخرى، يرى الباحث/ **محمد الأمين بحري**، أن المخابر: " وظيفتها، توقفت على طبع المجلات وإقامة ملتقيات، تنتهي بتوزيع شهادات مشاركة، فإن حركة هذه المخابر، قد تجمدت بين طبع المجلات والدوريات المحلية، وإقامة ملتقيات وندوات تنتهي بتوزيع شهادات مشاركة، وبين تربصات ومنح للتنقل في مهمات علمية وحلية ودولية، وخارج هذه الدوائر الثلاث، لا يمكن أن نجد لهذه المخابر من جدوى في المجال الحيوي المنتظر منها، كان يتفاعل إنتاجها ويؤثر على الحياة الاجتماعية والاقتصادية "

أما **سامية بن عكوش** في تقديرها وتقييمها لأداء مخابر البحث بالجامعة الجزائرية: " ... مع أن عدد المخابر مقبول، إلاّ أن وتيرة الانتاج المعرفي وجودته، تبقى ما دون المستوى، مقارنة بدول العالم، ولعل أن السبب الرئيسي في ذلك هو سوء التخطيط والتسيير للمخابر "

وفي نفس السياق، يرى الباحث/ **بلكبير بومدين**: " ... وفي السنوات القليلة الماضية تزايد عدد مخابر البحث، غير انها لم تساهم في تحسين مستوى ونوعية البحث العلمي، بقدر ما رسخت لثقافة البحث عن الامتيازات وتقاسم المنافع والريع، ... أغلب مخابر البحث العلمي عندنا تسير بهياكل جامدة ومتصلبة عفا عليها الزمن، وقد تجلى هذا التدهور في تبوأ الجزائر المراتب الأخيرة في تقرير التنافسية العالمي، وبالضبط في مؤشر الابتكار... "

يؤكد الباحث/ **ربوح البشير** في حديثه عن المخابر: " السياسة العامة للبحث العلمي، تحتكم إلى منطق الكم استنادا إلى مقولة عالم الاجتماع الألماني ماكس فيبر (أن الدولة المركزية تتباهى بالكم، وتطمس الكيف، لأن الكيف يزعجها) ... في فهم مسألة خطيرة تتعلق رأسا بموضوع المخابر العلمية في الجامعات الجزائرية، لأن السياسة العامة للبحث العلمي ما زالت تحتكم إلى منطق الكم الذي ينبغي دوما الرفع من عدد المخابر، دون الاكتراث بالجانب الكيفي، ونعني به مستوى وقيمة البحوث العلمية التي هي سبب وجود هذه المخابر... "

لم يبتعد الباحث/ **عبد الرزاق بلعقروز**، عن الآراء السابقة، فيقول: " مخابرنا تستمد قيمتها من عددها وليس من نوع إنتاجها، في الواقع مخابر البحث العلمي في الجامعة الجزائرية، ليس لها مقدرة علمية لها، ولم تسجل إنجازات علمية أو إبداعات أو إسهامات في ترقية المعرفة العلمية النوعية، فهي تستمد قيمتها من عددها وليس من إنتاجاتها...

[1] عبد الباسط هويدي، فتيحة زايدي: **المؤسسة الجامعية فضاء لإنتاج المعرفة العلمية (وضعية مخابر البحث العلمي والكفاءات البحثية بالجامعة الجزائرية)**، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة حمة لخضر، الوادي، الجزائر، العدد 27 ديسمبر 2016، ص ص 484-485

وفي نفس السياق، يؤكد الباحث/ **نبيل دحماني:** " تزايد عدد مخابر البحث العلمي في الجامعة الجزائرية، دون أن يتجلى ذلك في كثافة ونوعية إنتاجها، تزايد ملفت دون ان يتجلى ذلك في كثافة ما كان متوقع إنتاجه...) [1]

لقد اتفقت مجمل الآراء على أن البحث العلمي الجامعي الذي يتجسد في صورة مخابر البحث، يعاني من معوقات إدارية، مالية، إجرائية... الخ، حيث أن هذه الأخيرة لازالت لم تقدم معارف علمية ذات صبغة عالمية، وفقا لمؤشرات عالمية وعربية، والدليل على ذلك عدم تبوأ الجامعات الوطنية مراتب مقبولة في التصنيفات العالمية للجامعات، رغم ما تبذله الهيئة الوصية المتمثلة في وزارة التعليم العالي من جهود لتطوير البحث العلمي، إلاّ أن النتائج التي تسعى إلى تحقيقها من خلال عملية الإصلاح لم تتحقق بعد، لذلك لابد من تطوير مستوى آداء مخابر البحث، بالاعتماد على إعادة النظر في طريقة عمل فرق البحث العلمي للمخابر، تشجيع الباحثين على العمل الجماعي و التشاركي، باعتباره أهم آليات تطوير البحث العلمي ووسيلة من وسائل ترقية المعرفة العلمية.

كان لنا حوار مع بعض الأساتذة من جامعات الوطن، وبالتحديد أساتذة بقسم علم الاجتماع، نظرا لما يتمتع به هؤلاء الأساتذة من خبرة في مجال البحث هذا من جهة، ومن جهة ثانية اخترنا بعض الباحثين الذين ينتمون لمخابر بحث مجال تخصصها أو تبحث في مواضيع الحوار بصورة عامة، وجهنا لهم السؤال التالي:

هل ساهم المخبر في تحصيل معارف جديدة في مجال البحث السوسيولوجي؟، حيث كان الهدف من هذا السؤال: **هل كان لنشاطات المخبر المختلفة من ملتقيات ومؤتمرات وندوات ، وبحوث ميدانية سواء تعلق الأمر بالأعمال الفردية للباحثين المنتمين للمخبر من إشراف على رسائل الدكتوراه والماجستير، أو بواسطة الأعمال البحثية الجماعية للمخبر، إضافة فعلية للمعرفة السوسيولوجية؟**، فكانت الإجابات طبعا نعم، هناك مساهمات في ملتقيات وندوات ومؤتمرات... الخ، لكن المطلع على هذه الأعمال وبشهادة الخبراء، فهي مجرد عملية نقل واجترار ما تم التوصل إليه الآخر (الغرب) من معارف حول السوسيولوجيا، وما أنتجه من مناهج وأساليب وأدوات لجمع البيانات وكذلك من نظريات، وما نحن إلاّ مستهلكين للمعرفة الغربية.

وفي حديثنا مع أحد المختصين في البحث العلمي، عن المشاكل التي تعيشها مخابر البحث العلمي في الجزائر، كان قد حددها في نوعين من المشاكل:

- مشاكل بين المخبر والإدارة في الجامعة: يشتكي رؤساء المخابر من عدم إبلاغهم بالمراسلات والقوانين الخاصة بالبحث العلمي أن هناك تصفية حسابات بينهم خاصة وأن المسؤولين هم أساتذة مثلهم.

ـ مشاكل بين أعضاء المخابر: إما بين رئيس المخبر ورؤساء الفرق خاصة في تسيير ميزانية المخبر أو في عدم المشاركة في اتخاذ القرارات فيما يخص برنامج عمل المخبر، وكذلك ما يخص طلبة الدكتوراه، أو بين رؤساء الفرق

[1] المرجع السابق، ص ص485- 486

وطلاب الدكتوراه أنفسهم، نجد أن رؤساء المخابر يستولون على المخبر ويصبح وكأنه ملكية شخصية وتصل الى عدم السماح باستعمال الأجهزة الموجودة في المخبر، ومحاولة إبعاد بعض الأساتذة عن المخبر بسبب سوء التفاهم الحاصل بينهم، وهذه الوضعية تبين بشكل واضح غياب ثقافة الحوار بين الباحثين لحل النزاعات التي أقل ما يقاف عنها أنها تافهة، بإمكان الجلوس إلى طاولة الحوار لمناقشة كل المشاكل وبشكل سريع، لأن ما يتطلبه تطور البحث العلمي هو وجود مناخ علمي صحي، حتى يستطيع الباحثون أداء أعمالهم بكل أريحية، فعصر السرعة الذي نعيشه، يفرض علينا مواكبة التطورات، لأنه في كل لحظة بمنطقة ما من العالم اليوم يوجد اختراع وابتكار جديد.

ونحن نطرح سؤال آخر: **هل استطاعت السوسيولوجيا الغربية بمناهجها ونظرياتها التي نوظفها في دراساتنا اليوم، من أن تساهم في تطوير السوسيولوجيا في العالم العربي؟**

لأنه وبصراحة الباحث في مكتبات الجامعة الجزائرية في ميدان علم الاجتماع بتخصصاته المختلفة، ورغم البداية المتأخرة لعلم الاجتماع في الوطن العربي، فإن المكتبات مكتظة برسائل ومقالات، كذلك الملتقيات والندوات والمؤتمرات، لكن نحن نطرح تساؤل آخر: **هل يمكن أن نعتبر هذا الكم الهائل من الرسائل والمقالات إنتاج حقيقي للمعرفة السوسيولوجية؟**

من خلال الاطلاع على العديد من الدراسات، من رسائل دكتوراه وماجستير، ومقالات وكذا كتب، وعلى التقارير العربية والدولية حول مستوى البحث العلمي بالعالم العربي والجزائر بشكل خاص، بالاعتماد على مؤشرات مختلفة، منها: عدد مراكز البحوث، النشر العلمي في المجلات الدولية عدد المجلات المحكمة... الخ من المؤشرات، تبين لنا أن مستوى البحث العلمي في الوطن العربي، يعيش حالة من التأخر مقارنة لما وصل إليه البحث في الدول الغربية، والدليل ما حققه الغرب من تطور في جميع المجالات، لأن هذا التطور يعكس مدى تقدم الأبحاث العلمية التي ترجمت إلى واقع ملموس انعكس إيجابا على التنمية الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

أما على مستوى البحث السوسيولوجي، فإنه يتطلب تطوير فعلي لمناهج ونظريات وأدوات علم الاجتماع، حتى يستطيع أن يساير التغيرات الاجتماعية السريعة والمتجددة التي تفرض على الباحثين تقديم قراءات صحيحة للواقع العربي، وعلى سبيل المثال، ما عرف بالربيع الربيعي، حيث لم يتنبأ السوسيولوجيون العرب بهذا الحراك الاجتماعي الذي عرفته العديد من الدول العربية، وهذا طبعا تعبيرا واضحا عن العجز والأزمة التي تعرفها السوسيولوجيا العربية.

اعتمدت الجزائر على المؤسسة الجامعية، اعتمادا شبه كلي لتطوير البحث العلمي، باستحداثها لآليات مختلفة تم ذكرها من قبل، غير أن **الباحث عيد الدويهيس** يرى، أنه من الأخطاء الشائعة في الدول النامية، أنها تعلق آمال كبيرة على دور الجامعات في قيادة المجتمع علميا وفي تأثير الجامعات ودراساتها وأبحاثها وأساتذتها في التنمية، لأن أساتذة الجامعات ذو خبرة نظرية في مختلف المجالات، بعيدين عن الجانب الواقعي للظواهر المدروسة، ويستدل

الباحث/ **عيد الدويهيس**، على رؤيته هذه بإحصائيات حول ما ينشر سنويا من بحوث في البلدان العربية (الإحصائيات التي استدل بها تم التطرق لها في عناصر سابقة)، فالجامعات لم تنجح في أبحاثها، إلاّ بصورة محدودة جدا خلال الثلاثين سنة الماضية، قد يقول قائل المشكلة ليست في مكان البحث العلمي: **هل هو في الأقسام العلمية؟ أم في الجامعة؟ أم في معاهد علمية مستقلة متخصصة؟**

فالباحث يرى، أن المعاهد العلمية المتخصصة، أهم مؤسسة يمكن الاعتماد عليها في تطوير البحث العلمي وبالتالي المساهمة بشكل إيجابي في التنمية الاجتماعية، لأنها لديها مزايا كبيرة ومرونة عالية تؤهلها لقيادة البحث العلمي وتطويره، لأن الجامعة بحكم تبعيتها لأجهزة مختلفة فهي تابعة للكلية ثم للجامعة ثم لوزير البحث العلمي، فهذا يضعف كثيرا دورها ومكانتها في الهيكل التنظيمي، ويشير الباحث، أن مشاركة أساتذة الجامعات في العمل في المعاهد العلمية، لا يقلل من دور الجامعة البحثي، لأن الأبحاث التي يشاركون فيها ستكتب باسم الجامعة والمعهد العلمي، كما أن وجود كادر كبير متفرغ في المعاهد العلمية سيساعد أساتذة الجامعات على مضاعفة إنتاجهم كما ونوعا، وهذا ينطبق على طلبة الماجستير والدكتوراه، وهذا ما يطرح قضية مهمة وهو العمل الجماعي التشاركي الذي يجسد فكرة الحوار الفكري، وكم هو ضروري هذا العمل، وهذا من الصعب أن يتحقق، إذا كانت كل جامعة تفكر وحدها أو تهتم بشأنها فقط، فكل أستاذ جامعي يفكر وحده، وينفذ وحده أو ضمن فريق صغير، ولهذا تبقى الإنجازات متواضعة. [1]

ومن العوامل التي تعيق البحث العلمي بالجامعات، الجهد التدريسي للأستاذ الجامعي الذي يأخذ **80%** من وقتهم، وهذا يعني أن المتاح نظريا للبحث العلمي هو **20%** ، فالأبحاث هي ناتج ثانوي ، وهي ناتج ضعيف في أغلب الجامعات العربية ، من المعروف، أن التفرغ يعطي الأبحاث قوة كبيرة كميا ونوعيا، وها لن يتحقق، إلاّ في المعاهد البحثية المستقلة، بالإضافة أن البحث الجامعي مرتبط بالترقية والرغبة الشخصية وكثير من الأساتذة تقل أبحاثهم بعد وصولهم إلى درجة أستاذ، وكل هذا يضعف الناتج البحثي، وهو أمر أثبتته إحصائيات الواقع، لذلك يخطئ من يظن ان العلم يعيش بالجامعات، فنسبة **80%** من الباحثين في الولايات المتحدة الأمريكية يعيشون خارج الجامعات، ونسبة **80%** من الباحثين في مصر يعيشون في الجامعات، وشتان بين نتائج البحث العلمي بأمريكا ومصر. [2]

---

[1] **عيد الدويهيس: لا لأبحاث الجامعات، ط1، 2011، نقلا عن الموقع الالكتروني:**
https://www.alkutubcafe.com/book/VwHNLN.htm،ص ص 14- 18

[2] مرجع سبق ذكره، ص ص18- 25

من بين المؤشرات التي اعتمدها الباحث للإشارة إلى أنه لا جدوى من البحث العلمي بالجامعات، وجود الفساد بالجامعة، يقول أحد الأساتذة بالجامعات العربية: " ... اجعل علاقتك حسنة مع أربعة أساتذة...، لأنهم يستطيعون نفعك وضرك"، وكم في جامعاتنا من فاسدين ومتعصبين لأحزابهم وجماعاتهم وأعراقهم، بالإضافة إلى علم الأساتذة الجامعيين، ويستدل الباحث بقول أحد الرجال ذو خبرة بالحكومة الذي يؤكد على: " ... فأساتذة الجامعات، ليسوا مؤهلين لتولي المناصب الحكومية أو غيرها والجامعات أيضا، ليست مؤهلة لتولي القيادة العلمية ... والسبب، أن الحصول على شهادة دكتوراه يعني بداية الطريق العلمي، فكيف إذا توقف الرصيد العلمي منذ البداية، فلا يتم عمل أبحاث ولا توجد برامج علمية لتطوير الأساتذة ... والكثير ليست لهم ثقافة العمل الجماعي ". [1]

[1] عيد الدويهيس: **السلطة العلمية، أين ؟**، نقلا عن الموقع الالكتروني:https://www.alkutubcafe.com/book/VwHNLN.htm، ص ص 57- 58

مناقشة عامة

- مناقشة عامة

انطلاقا من معطيات الخلفية النظرية، والمنهجية، تمكنا من الوصول إلى جملة من الاستنتاجات، بمثابة إجابات عن الاشكالية المطروحة والتي صيغت في سؤال رئيسي وأسئلة فرعية، لتفسير ظاهرة التعصب الفكري لدى الباحث السوسيولوجي بالجامعة الجزائرية، حيث كشفت لنا المؤشرات الأساسية، أن الجامعة الجزائرية تعيش حالة أزمة على كل المستويات، ولعل الدلائل والاحصائيات التي تطرقنا لها من خلال مراحل البحث، لدليل مؤكد على عمق الأزمة التي تتخبط فيها الجامعة، فتركيزنا على المعرفة العلمية السوسيولوجية، له مبررات منطقية:

– أولا على المستوى المعرفي، فالعلوم الاجتماعية بكل تخصصاتها، وخاصة السوسيولوجيا تعاني من أزمة ابستمولوجية كما يراها العديد من العلماء والباحثين، سواء في مدى علمية هذا التخصص، او مشكلة المناهج والأدوات البحثية وكذلك أزمة على مستوى النظرية الاجتماعية.

– مشكلات تتعلق بالباحث السوسيولوجي نفسه، وهي متعددة ومتشابكة منها ما يتعلق بالجانب النفسي ومنها ما هو اجتماعي

اعتمدنا في تحليل وتفسير ظاهرة التعصب الفكري لدى الباحث السوسيولوجي، على العديد من المؤشرات، والتي تتمثل في المنتوج الفكري للباحث داخل الجامعة وخارجها، بتقديم قراءة نقدية للنشاطات التي تعتمدها الجامعية كآلية لتطوير البحث العلمي، باعتبار أن هذه النشاطات عبارة عن حوار فكري مستمر، وما يشكله الحوار الفكري من أهمية ودور كبيرين في ترقية المعرفة السوسيولوجية، وقد حصرنا دراستنا في النشاطات العلمية التالية: ندوات وملتقيات – مراكز دولية وعربية ووطنية، بالإضافة لمخابر البحث الجامعية، وكان لنا حوار مع أساتذة لهم باع طويل في البحث العلمي فمن خلالهم حاولنا أن نفهم طبيعة الحوار الفكري الذي يدور بين الباحثين ومدى تأثير ذلك على ترقية وتطور المعرفة العلمية السوسيولوجية، بتوجيه مجموعة من الأسئلة، **حتى نتمكن من معرفة فيما إذا إذا كان للتعصب دور في زيادة أزمة السوسيولوجيا؟**

بالعودة إلى النظريات التي حاولت تفسير التعصب الفكري لدى الباحث في مجال العلم والمعرفة، ونظرا لاعتمادنا على مقاربة سوسيولوجية، فإن أهم النظريات التي لاحظنا أن بإمكانها تفسير الظاهرة محل الدراسة:

- نظريات الصراع بين الجماعات.
- النظريات المعرفية.
- نظريات التعلم.

فالحوار كسلوك عملية تتم بين فردين أو أكثر، وبما أن الحوار الفكري في المجال البحثي متعدد الأشكال، منها ما هو مباشر كما يحدث في الملتقيات والندوات والمحاضرات، ومنها ما هو غير مباشر، كإعادة قراءة لبعض

المنتوجات الفكرية لباحثين، لأن القراءة الثانية قد تقدم رؤية مخالفة للطرح الأول، ويعتبر من أهم السجالات الفكرية المتداولة في الفضاءات الفكرية، لما يقدمه من طرح جديد للأفكار وهذا ما تميز به مفكرين عالميين حينما تيقنوا أن العلم لا حدود له ولا يوجد معرفة علمية ثابتة، بإمكان النقد أن يكشف عن خبايا لم يتمكن الباحث من رؤيتها، وهذا بالفعل ما ساعد على تطور المعرفة العلمية بمختلف أشكالها.

ومنه فالجماعة العلمية في تكوينها تهدف إلى إحداث نوع من العمل الجماعي بدلا من العمل الفردي، فالبحث العلمي في صورته الحديثة، اعتمد على العمل الفكري الجماعي، نظرا لما حققته هذه الأخيرة من نتائج إيجابية وما توصل إليه العلم الحديث من إنجازات واختراعات لدليل على نجاعة وفعالية هذه المؤسسات، التي تبنت ثقافة الحوار كفلسفة ومنهج لتطوير البحث العلمي، بعيدا عن التعصب للرأي.

بينت نتائج الدراسات التي اهتمت بموضوع الحوار، أهمية هذا المبدأ الذي يكاد أن يكون مغيبا داخل الفضاءات العلمية، فالملاحظ لحلقات النقاش داخل الجامعة أو نقاشات على مستوى وسائل الإعلام المرئي أو المكتوب، بينت بشكل واضح افتقادنا لثقافة الحوار، وحل محله التعصب الذي تعددت أسبابه ومظاهره، لقد حاولت النظريات التي تبنت المقاربة السوسيولوجية تفسير التعصب بين الجماعات والجماعات العلمية على وجه الخصوص ومنها:

- نظريات الصراع بين الجماعات، التي تفترض بأن المجتمعات تتكون من انتماءات دينية متباينة ومن خلفيات إيديولوجية تتحكم كلها في توجيه سلوك الفرد واتجاهاته، وبذلك تعتبر أرضية خصبة لحدوث صراعات بين تلك الجماعات، فقلة الاتصال والحوار بين الجماعات، يؤدي إلى عدم تعرف الجماعات عن بعضها البعض، وبالتالي تتكون الأحقاد وينشأ التعصب ويتطور، فالحوار بين الجماعات: علمية كانت، أو سياسية، أو دينية، أو ثقافية، يشكل عملية مهمة توفر فرص أكبر للتعرف على الآخر، فتزول بذلك الكثير من المعوقات والتصورات النمطية التي يكونها الأفراد أو الجماعات عن بعضهم البعض، فقد بينت العديد من الدراسات خاصة ما قدمه ساري حنفي حول الاتصال الأكاديمي، أن من أهم مشكلات البحث العلمي في الوطن العربي، نقص الاتصال العلمي بين الأكاديميين، وهذا الانفصال وعدم الاعتماد على الأعمال المشتركة، (مع العلم أن مشاكل الوطن العربي تقريبا متشابهة مع بعض الخصوصية)، شتت جهود العلماء، لأنه وحتى الآن لم ننتج نظرية باستطاعتها تفسير الوضع المتأزم للأمة العربية، وهذا إن دل إنما يدل على قلة الحوارات الفكرية الجادة بين الباحثين العرب، حتى أننا وفي استعراضنا لمظاهر الحوار الفكري لدى النخب العربية، استشهدنا ببعض القامات الفكرية العربية، والتي كانت تعزف منفردة، فبدل من توفير الجهود والأفكار لتشخيص الوضع العربي المتأزم، بل زادوا على ذلك مشكلات أخرى، أمثال: محمد عابد الجابري، محمد أركون، طه عبد الرحمن، حسن حنفي، فلاحظنا هشاشة الاتصال بين المفكرين، أدى الى خلق أزمة على مستوى الفكر العربي، رغم وجود دراسات وأبحاث حول تحديد مشكلة الفكر العربي، إلاّ أنها بقت عاجزة عن محاكاة الوضع الاجتماعي الكارثي للمجتمعات العربية وتقديم حلول لأزماتنا.

- أما نظرية الصراع الواقعي بين الجماعات، وهذه من أقدم التصورات التي قدمت لتفسير التعصب، ترى هذه النظرية، أن لكل جماعة مصالحها وأوضاعها التي قد تتناقض مع مصالح أو أوضاع فئات وجماعات أخرى، بحيث أن سعي جماعة ما إلى تحقيق أهدافها يمكن أن يشكل تهديدا مباشرا لمساعي جماعة أخرى نحو تحقيق هذه الأهداف، وهذا ما ينطبق على الجماعات العلمية بالمؤسسة الجامعية، حيث يحاول كل طرف داخل الجماعة الواحدة، أو بين الجماعات أن يحافظ على مصالح ومكتسبات الجماعة التي ينتمي إليها بكل الطرق، خوفا من منافسة الجماعات الأخرى، ولنا في هذا مثال، حول نظام (ل م د) بالجامعة الجزائرية، الذي كان يهدف حسب المسئولين عن القطاع، تحسين وتجويد التعليم من جهة، و مواكبة التغيرات العالمية من جهة أخرى، لأنه أصبح نظام التدريس المعمول به بالجامعات العالمية، لكن قوبل هذا النظام بالرفض من طرف الطلبة والأساتذة، لأسباب عدة منها ما هو واقعي ومنها ما هو مفتعل، خاصة على مستوى الأساتذة، لقد حاول الكثير من الأساتذة عرقلة هذا النظام من أجل إفشاله، ولما سار النظام قدما وبعد سنوات وصل طلبة (ل م د) لمناقشة الدكتوراه، طرحت مشكلة التسمية، والرتبة والتصنيف، أين نصنف دكتوراه (ل م د)؟، هل نساويها بدكتوراه علوم؟ أم نضعها في رتبة أدنى منها؟ ، وهو نفس الإشكال الذي طرح سابقا اين خلق الأساتذة الأوائل حواجز بين طلبتهم وأعطوا تسمية جديدة بدل من دكتوراه دولة، خلقوا دكتوراه جديدة سموها دكتوراه علوم، رغم تذمر الجيل الثاني من هذه التفرقة، إلاّ أنهم قاموا بنفس الفعل وهو رفضهم لأن يتساوى طلبتهم معهم في نفس الشهادة وفي مدة قصيرة، هي مظاهر نلاحظها ونحسها، والسبب أكيد هو صراع جماعات المصالح، رغم أن الأساتذة من نفس الجيل ومن نفس حتى التخصص ومن نفس النظام الدراسي الكلاسيكي الذي يجمعهم، يشتمون ويقللون من احترام بعضهم البعض.

فكل واحد يتباها بما يملكه من قوة في مقياس معين ويحاول أن يحرج زميلا له قد يكون له ضعف في ذلك المقياس، وعلى سبيل المثال، هناك بعض الأساتذة وهم قلة قليلة، تتقن اللغة الفرنسية وعلى الرغم من أن لهم نقائص في مقاييس أخرى مهمة جدا كفهمهم للنظريات الاجتماعية التي تعد القاعدة الأساسية في تكوينهم خاصة في تخصص علم الاجتماع وعلم النفس، يكاد تنعدم معارفهم وحتى فهمهم لأهم النظريات السوسيولوجية، ورغم ذلك فإنهم لا يفوتون فرصة للسخرية بغيرهم، إلاّ أنهم يحاولون كجماعة تجمعهم مصالح مشتركة بأن يتكتلوا ويتضامنوا نفاقا لحماية مصالحهم المشتركة والسبب لهذا التصالح والتفاهم، أنهم ينتمون لنفس النظام، فهذا ما يجعلهم يتعصبون لنظامهم الدراسي، ويحاولون بوسائلهم الخاصة وضع الفوارق بينهم وبين طلبتهم، وعلى لسان بعض الأساتذة، أنه : " كيف لنا ان نتساوى مع طلبتنا في الشهادة ؟"

نحن نرى أن الشهادة ليست تعبيرا عن المستوى، قد يتساوى الأستاذ والطالب في الشهادة، ولكن لا يمكن أن يتساويا في المعرفة، لأن المعرفة تتكون مع مرور السنين والخبرة في التدريس والبحث، وبما أن الأستاذ أقدم من الطالب في هذا المجال، من الطبيعي أن يكون متفوقا على طلبته، وبما أن المصالح والحسابات الضيقة تتحكم في

تكوين هكذا مواقف، جعلت الأساتذة يتعصبون ويتوحدون في كتلة واحدة، لأن لهم مصالح مشتركة، بالرغم من أنهم لا يحترمون بعضهم ولا يفوتون فرصة للكلام الهامشي عن بعضهم البعض بالسوء مع الطلبة، الأمر الذي يثير حقا الاستغراب، في كل دول العالم يوجد شهادة واحدة اسمها دكتوراه وفقط، فالبحث العلمي له شروط مهما اختلف النظام التدريسي من جيل إلى جيل ومعايير المناقشة نفسها كذلك، هي وحدها من تقرر هل هذه دكتوراه أم لا؟ وليس الخبرة والأقدمية التي تعطي تفوق جيل على جيل، لأنه يوجد فرق بين المعرفة والشهادة.

- يمكن الاعتماد أيضا على نظرية الاستغلال أو بما تعرف بنظرية القوة أو المكانة في تفسير التعصب، نظرا لما تقدمه من إضافات مكملة لنظرية الصراع الواقعي، فالعلاقة الصراعية بين الجماعات غالبا ما تنتهي بسيطرة إحداهما على الأخرى، عندما تسعى الجماعة المنتصرة إلى ترسيخ سيطرتها وبسط نفوذها الاقتصادي والاجتماعي، فالتعصب إذن مظهر من مظاهر استغلال الإنسان للإنسان، أو بعبارة أخرى: إيديولوجيا تضفي نوع من المشروعية على الظلم الذي تمارسه على الجماعات الأخرى، فتسلب بذلك منها حقوقها وتستغل طاقاتها لصالح الجماعات المسيطرة، وكل ما تتحصل عليه الجماعة المسيطرة، يعتبر حق مكتسب لا ينبغي لهم التنازل عنه، وبأن الآخرين عليهم أن يعملوا لخدمة مصالحهم.

فاعتمادنا على هذه النظرية لتفسير التعصب الفكري لدى الباحث، له علاقة وطيدة بظاهرة الاستغلال على مستوى الجامعة، وتتجلى مظاهر الاستغلال داخل الفضاء الجامعي في عدة مظاهر، كأن يستغل الأستاذ الطالب، أو استغلال الأستاذ للأستاذ، ويتضح الاستغلال بالوسط الجامعي أكثر على مستوى مخابر البحث، أن يسيطر على هذا التنظيم أقلية قد يكون رئيس المخبر وبعض من الأساتذة الباحثين ذوي اقدمية أو ذوي نفوذ أو قوة يستفيدون من مكتسبات المخبر، أما البقية من الأساتذة الباحثين المبتدئين أو طلبة الدكتوراه، ليس بإمكانهم الاستفادة من المخبر بأي شكل من الأشكال، وبما أنه يوجد غياب شبه تام للحوار بين الباحثين، هذا الحوار الذي بإمكانه حل النزاعات بينهم وتقديم شرح لقوانين البحث العلمي التي تحكم المخابر، حتى يكون الكل على بينة تامة من القوانين التي تسير المخابر.

وقد يرجع سبب الصراعات إلى ما قد يصل إليه أحد الباحثين داخل الجماعة العلمية أو ما تصل إليه جماعة وتتفوق على جماعة أخرى، إلى مراتب عليا (درجات علمية أكبر)، أو يتحصلون على امتيازات إدارية، أو يحقق أحدهم تفوق علمي، يولد هذا التفاوت حسب تفسير نظرية الحرمان النسبي (التعصب)، فعندما يقارن أعضاء جماعة معينة أوضاعهم مع ماهي عليه أوضاع الجماعات الأخرى، يشعرون بحرمان نسبي، فيعبرون عن هذا الاستياء في شكل خصومة، عندما يشعر الأشخاص بحافز إلى تحقيق موضوع معين لا يتوافر لديهم، وذلك بمقارنة

أنفسهم ببعض الجماعات الأخرى التي تمتلك هذا الموضوع، ويشعرون أن في مقدورهم تحقيقه، إلاّ أن الظروف غير مساعدة لهم، تنشأ الخصومة بينهم.

رغم ما تتوفر عليه جماعة معينة من مؤهلات وإمكانيات، تؤهلهم لامتلاك ما قد تحصلت عليه جماعات أخرى، إلاّ أن انعدام العدالة الاجتماعية التي لا تنصف، والتي تحرم البعض من الحصول على ما يستحقونه، إذن هناك أثر عكسي للعدالة الاجتماعية على الحرمان النسبي، فكلما ترسخت مبادئ العدالة الاجتماعية، أنخفض مستوى الإحساس بالحرمان وبالتالي انخفض مستوى التعصب اتجاه الجماعات الأخرى، وهذا ما ينطبق على الجماعات العلمية، حيث يتذمر البعض من الباحثين مثلا على مستوى مراكز البحث العلمي، كالمخابر من وجود صراع نتيجة لاستغلال رئيس المخبر أو الفرقة لمجهودات الباحثين وانسابها إليه، فيترقى بفضل أعمال غيره، فهذا الاستغلال يولد التعصب الذي يؤدي إلى صراع ظاهر للمطالبة بالعدالة الاجتماعية في الحصول على امتيازات سواء مادية أو ترقيات في السلم المهني، فالترقيات غالبا ما تفتقد لمعايير علمية يتم من خلالها إنصاف البعض، فالتعيينات في المناصب الإدارية مثلا، تأتي بقرار فوقي من تزكية أحد الأشخاص، على عكس بعض البلدان كتجربة المملكة المغربية، أين يتم تعيين رئيس الجامعة أو الكلية أو القسم، بناءا على ملف يضم الإنجازات العلمية للمترشح لمنصب إداري بالمؤسسة الجامعية، ومنه فإن هذه العملية تحفز على المنافسة العلمية الجادة للحصول على ترقيات وامتيازات بعيدا عن المحسوبية والوساطة...الخ.

رغم أن الباحثين في المجتمعات العربية لم يقدموا الشيء الكثير للبحث العلمي، ولم تكن لمساهماتهم العلمية رغم قلتها الأثر الكبير في تطوير المعرفة العلمية، إلاّ أنه وبفضل المناصب التي يحتلونها كأعضاء في اللجنة العلمية، أو كإداريين بإمكانهم أن يقدموا لك خدمات، فهم يتمتعون بشهرة ومكانة مرموقة داخل الجامعة وخارجها بفضل مناصبهم التي يستغلونها في تكوين علاقات مع جهات رسمية واخرى غير رسمية.

- أما النظريات المعرفية، فقد اعتمدت على العمليات المعرفية كأساس لتفسير التعصب الفكري، ومن بين أهم النظريات المعرفية التي قد اعتمدنا عليها في تفسير التعصب الفكري، مقاربة أنساق المعتقدات، التي تقوم على أساس مفهوم الجمود الفكري في علاقته بمفهومي تفتح الذهن وانغلاقه، فالشخص ذو التفكير الجامد لا يستطيع أن يتقبل أفكار الغير أو يتفهمها، فالجمود الفكري مفهوم قريب جدا من مفهوم التعصب، فالشخص الذي لا يتقبل النقاش والحوار، يظن نفسه أنه الوحيد من يملك المعرفة الحقيقية، وهذا ما يتميز به الباحثون العرب، الفكر الجامد والمغلق الذي انعكس على البحث العلمي بصورة سلبية، فانتشر الغرور، تضخم الذات بين الباحثين، فاغلقوا بذلك على أنفسهم أبواب الحوار، حتى وإن كان هناك فرص للحوار، تلاحظ وكأنك في معركة، لأن الحوار يأخذ منحى

آخر غير المنحى الذي خطط له، نتيجة للفكر التعصبي المغلق، حيث يحاول كل طرف أن يثبت آراءه بكل الطرق، لا يحتكم فيها للعقل والحجة والبرهان.

وهذا النمط من التفكير يلتقي مع قانون الوسط الثالث المرفوع، الذي يؤكد على أن المعرفة محل النقاش، إما صحيحة أو خاطئة، لا وجود لقاعدة ثالثة، وبالتالي تمنع العقل من التفكير مجددا في القضايا التي في نظر البعض صحيحة لا نقاش فيها، وخاطئة في نظر البعض كذلك لا نقاش فيها، فالمنغلق الذهن وصل إلى درجة أصبح فيها غير مستعد للدخول في أي نقاش جاد، لأنه يعتقد أنه يمتلك الحقيقة، ومنه يصبح تعصبه تعصبا للحقيقة المطلقة.
ومنه نستنتج خطورة أن يتميز الباحث بجمود فكري الذي يقطع الطريق أمامه لاكتشاف حقائق جديدة، قد تكون عند الآخر، ويمنع نفسه من الحصول على معارف جديدة خلفا لما كان يدركه من معارف على أنها مسلمات لا نقاش فيها، ونحن نستغرب لماذا لا يتخلى الباحث في مجال العلم والمعرفة عن الفكر التعصبي؟، باعتباره نموذجا للعقل المنفتح؟

- ووفقا لنظريات التعلم التي تعتبر من أبرز النظريات التي فسرت التعصب وفقا لتأثير العوامل الاجتماعية والثقافية للبيئة التي احتضنت الفرد المتعصب، تؤكد هذه النظريات على الدور الذي تلعبه التنشئة الاجتماعية في تكوين الاتجاهات التعصبية، ويتم ذلك عن طريق: الأسرة، المدرسة، وجماعة الأصدقاء، بالإضافة إلى وسائل الإعلام والاتصال، حيث ترى أن معظم السلوك الإنساني، بأنه عملية مكتسبة من البيئة الاجتماعية والثقافية التي يعيش بها الفرد.

وكخلاصة لما قدمه علماء الاجتماع من نظريات لتفسير التعصب بصورة عامة والتعصب الفكري على وجه الخصوص، أن التعصب يتحدد بالمعايير والقيم الاجتماعية التي يكتسبها الأطفال وينشؤون عليها عن طريق بيئتهم ومجتمعهم، من خلال وسائل الإعلام والاتصال ومختلف عوامل التنشئة الاجتماعية، يولد التعصب في المجتمعات التي تنمو فيها تناقضات اجتماعية كبيرة ولاسيما في مستوى تعدد الطبقات الاجتماعية وتعدد الأديان والمذاهب، والطفل يتعلم التعصب من خلال التفاعل مع أفراد مجتمعه، حيث يقوم بامتصاص أفكارهم وآرائهم التعصبية عبر عمليات التنشئة الاجتماعية المعقدة.

وتأسيسا على معطيات النظرية الاجتماعية يمكن القول، بأن المعاناة الاجتماعية وظروف الفقر والتمييز تؤدي إلى ولادة مظاهر التعصب في المجتمع، ومن اهم مبادئ النظرية الاجتماعية للتعصب ما يلي:

- التعصب متعلم ومكتسب من خلال التنشئة الاجتماعية ومؤسساتها، عن قصد أو عن غير قصد.
- ينمو التعصب مع نمو الفرد في الحضارة التي ينتشر فيها التعصب.

- يقوى التعصب عند الأفراد الملتزمين بمعايير الجماعة والتقاليد.[1]

ولكي نحصن المجتمع وخاصة الأطفال من التعصب الذي تولد عنه أشكال مختلفة من العنف والعدوان، لا بديل عن الحوار كمدخل أساسي لحل مشكلة التعصب، التي تزداد تفشيا في المؤسسات التعليمية خاصة الجامعية، المرحلة التي تشكل منعرجا حاسما في حياة الطالب الجامعي، وبما أن المجتمعات لا يمكن أن تحقق التنمية، إلاّ ما تقدمه الجامعة من مخرجات من كفاءات وإطارات يمكن الاعتماد عليها في بناء الدولة، وكذلك ما تقدمه من نتائج ملموسة في البحث العلمي، باعتبار البحث العلمي النشاط الأساسي والمميز للجامعة، لقد أكدت كل الدراسات والأبحاث، على أهمية الدور الذي يجب أن تقوم به الجامعة للتخفيف من حدة الصراع الذي يعود سببه إلى التعصب، لا أن تكون هي من ينتج التعصب.

لابد أن يكون للجامعة دورا في مواجهة التعصب من خلال الأنشطة الثقافية والعلمية والرياضية في محاولة إلى تعزيز وتوطيد العلاقة بين الجامعة والطالب، وبين الأستاذ والطالب؛ أي فتح مجال الحوار للتعريف برسالة الجامعة وأهدافها وأهمية الحفاظ عليها كمكتسب علمي ومعرفي، بعيدا عن التعصب الذي أصبح مظهر من المظاهر المشينة التي تسيء للجامعة.

بناء على تفسير النظريات السابقة لظاهرة التعصب الفكري وكذلك ما توصلت إليه نتائج الدراسات الميدانية، ومن خلال النقد والتحليل الذي مارسناه منذ بداية البحث إلى آخره، للكشف عن تأثير التعصب الفكري في تطور المعرفة السوسيولوجية، واتخذنا المعرفة السوسيولوجية كوحدة للنقد والتحليل لمعرفة طبيعة الحوار الفكري السوسيولوجي من خلال المنتوج الفكري لبعض المؤسسات العلمية، توصلنا إلى النتائج التالية:

- تعاني المجتمعات العربية من تدني مستوى الحوار على كل المستويات بدءا من الأسرة إلى باقي مؤسسات التنشئة الاجتماعية الأخرى.
- كشفت بعض الدراسات وكذلك النماذج الحوارية التي استشهدنا بها عن ضعف الحوار الفكري بين النخب العربية، خاصة على مستوى المؤسسة الجامعية. لازالت السوسيولوجيا العربية تعيش أزمة، بل أزمات والدليل على ذلك، أولا: الوضع السيء للمجتمعات العربية على المستوى الاقتصادي، الثقافي والسياسي، ثانيا التقارير الدولية التي تصنف كل سنة الجامعات العربية ومنها الجزائر في أدنى الترتيب.

[1] علي أسعد وطفة، مرجع سبق ذكره، ص ص48 -49

- بينت لنا القراءة لبعض المؤشرات الخاصة بالمنتوج العلمي على مستوى الجامعات، سيادة الأعمال الفردية على الأعمال المشتركة، كالمقالات التي تعتبر من بين المؤشرات الدالة شيوع هذا النوع من الأعمال، كذلك المشاركة بالملتقيات من بين النشاطات التي يفضلها الباحثون، رغم ان الملتقيات والندوات والمؤتمرات من بين الأنشطة التي تجسد فكرة الحوار، لكن الملاحظ على هذا النوع من النشاط أنه يفتقد إلى هذا المبدأ، عادة ما تكون عبارة عن لقاءات من أجل الأكل والترفيه والقاء المداخلات، بعيدا عن النقاش والحوار الفكري الفعال

أما باقي النشاطات العلمية، التي قد تعكس الحوار الفكري فيما يتعلق بمراجعة الباحث لمؤلفات زملائه أو مؤلفات لباحثين عرب أو أجنبيين من خلال: عملية النقد، الايحالات، المؤلفات الجماعية، كل هذه النشاطات تعكس الحوار الفكري، ولكن وحسب تقرير الذي تحصلنا عليه من المديرية العامة للبحث العلمي والتطوير التكنولوجي، بينت أن هذا النوع من النشاطات لا يستقطب اهتمام الكثير من الباحثين، ما يفسر عدم ادراك الباحث لأهمية الحوار الفكري في ترقية المعرفة العلمية، والحوار الفعال لا يكون إلاّ بانخراط الباحث في عمل جماعي نظرا لأهميته في ترقية المعرفة العلمية وتطويرها هذا من جهة، ومن جهة ثانية فبالحوار نقطع الطريق امام الفكر التعصبي، الذي اثبتت الدراسات أنه مرض تعاني منه النخب العربية، فقد وصل بالباحث العربي المصاب بفكر تعصبي، أنه لا يقرأ لزميل يختلف عنه في التوجهات الفكرية والايديولوجية، ولا يستشهد بمنتوجه الفكري في أعماله العلمية.

من خلال هذا التحليل توصلنا إلى نتيجة مفادها، أن التعصب ظاهرة إنسانية قديمة قدم وجود الإنسان، وبالتالي لا يمكن أن نحلم بمجتمع خالي من التعصب، لأن هناك ظروف اجتماعية، اقتصادية، ثقافية، سياسية، تتحكم في وجود هذه الظاهرة، لكن يمكن التقليل من حدتها، بخلق آليات للحوار الفعال على مستوى مؤسسات التنشئة الاجتماعية، لابد من ترسيخ ثقافة الحوار خاصة على مستوى الفئات الصغرى، حتى يصبح سلوكا ثابتا في شخصية الطفل، لأنه وبواسطته يمكن أن ننقل ونورث هذه القيمة الإنسانية والحضارية عبر الأجيال، حتى لا نصطدم بجيل متعصب لا يقبل الحوار أسلوبا للتعامل، يملك فكرا منغلقا، لا يرى الأمور بموضوعية، لقد انتشر الفكر التعصبي بالدول العربية حتى على مستوى النخب العلمية التي تشتغل بالبحث العلمي، رغم ما تحصل عليه هؤلاء أثناء مسارهم العلمي والبحثي من تكوين على اساسيات العلم وقواعده ومناهجه وهم الأعرف من غيرهم كيف أثبت العلم قدرته على حل العديد من مشاكل الإنسانية، مشاكل الصحة، الاقتصاد، التعليم، ... الخ ، إلاّ أن هذا الأمر لم يغير في الكثير من الباحثين، لقد اصطدمت الجامعة بوجود هكذا أساتذة وباحثين، لا يتقنون أسلوب الحوار، سواء على مستوى قاعات التدريس، أو في علاقتهم مع زملائهم، وانتقل هذا السلوك لينعكس سلبا على البحث العلمي، في جميع التخصصات ، وكانت التخصصات العلوم الاجتماعية والإنسانية المتضرر الأكبر، كان

من المفروض هكذا مواضيع (التعصب، الحوار البحث العلمي)، من تخصص هذه العلوم، هي من تبحث في ابعاد الظاهرة وتعمل على الكشف عن العوامل المسببة لها، وبالتالي كان من المفروض اننا أزحنا خطر الفكر التعصبي عن الجامعة، إذا كانت المؤسسة الجامعية تسعى بكل الطرق لتطوير البحث العلمي، بخلقها مختلف الآليات، لم تستطيع أن تحل مشاكل داخل البيت الجامعي؟ فكيف يمكنها أن تحل المشكلات الاجتماعية المتراكمة؟ وكيف سيساهم البحث العلمي في التنمية بخطوات عرجاء؟

نحن نؤيد ما قدمه/ الباحث عيد الدويهيس في كتاب عنونه ب: لا لأبحاث الجامعات، بما ان الجامات ملكية حكومية، التعيينات في المناصب العليا تخضع لسلطة إدارية غير نزيهة، تدخل المسؤولين في البحث العلمي، ميزانية البحث العلمي ضعيفة، الفساد بكل انواعه، فمخابر البحث باعتبارها الممثل الرئيسي للبحث العلمي، الذي استحدث لتفعيل البحث العلمي، فقد كشفت لنا نتائج العديد من الدراسات أن هذه الأخيرة لم تقدم نتائج أبحاثها بما يمكن أن نعتمده لحل مشكلاتنا، فالنتائج ضعيفة وحتى ما هو موجود، لا يرق ولا ينافس البحث العلمي العالمي، لأن البحث العلمي الذي لا تترجم نتائجه لتحسين وتطوير التنمية الاجتماعية الاقتصادية، لا يمكن ان نقول اننا نملك مؤسسات بحثية.

وللقضاء على التعصب:

- أن يتفرغ الأستاذ للبحث العلمي، لأن الملاحظ على مستوى الجامعات أن التدريس يأخذ كثيرا من وقت الباحث، فالتفرغ التام للبحث العلمي سيكون له إيجابيات أكبر
- تحفيز الباحثين بأساليب مختلفة ومتنوعة، خاصة البعثات العلمية والوجهة تكون نحو البلدان المتطورة وليس المتخلفة، لأننا نريد الاستفادة من التجارب الناجحة، لقد اثبتت التجارب أن من يتنقل ويسافر لبلدان مختلفة يتعرف على ثقافة المجتمعات ومجالات تطورها، وهذا يقلل من تعصبه.
- اتاحة الفرص للترقية على اساس الانتاج العلمي، فشح المناصب المعروضة للترقية، يجعل من الباحث متعصبا ضد زميله.
- قطع الطريق امام تنامي ظاهرة الفكر التعصبي، وذلك بالعمل على إيجاد الآليات الفعالة لتطوير ثقافة الحوار الفكري داخل المؤسسات العلمية، إذا ما أردنا للبحث العلمي أن يتطور وأن يكون مصدرا لتنمية مجتمعاتنا العربية.
- تشجيع الباحثين على العمل بروح الفريق، فالعمل بهكذا أسلوب معناه، إحداث نوع من التعارف والانسجام والألفة، فنسهل بذلك الأمر لتقبل الآخر بآرائه وأفكاره وتوجهاته، ونقضي على الأحكام المسبقة.

- تشجيع الباحثين على البحث في هذا الموضوع، لأننا لمسنا عن قرب نقص الدراسات، وقد يرجع السبب، إلى أنه يمس أهم فئة في المجتمع التي توصف نفسها بأنها منتجة للعلم، والعلم لا يمكن التشكيك فيه، وانطلاقا من هذا الانتساب لجهة لا يمكن لأحد أن يشكك بها، أعطاها الامتياز بأنها هي الأخرى لا يمكن أن يشكك في نزاهتها وأخلاقها ومعارفها، لذلك لم يتم التطرق بشكل مباشر لهذا النوع من الدراسات.

قائمة المصادر والمراجع

I. قائمة المصادر والمراجع باللغة العربية

- القرآن الكريم

المعاجم، القواميس والموسوعات

1. أبى الحسين أحمد بن فارس بن زكريا: **مقاييس اللغة، الجزء الثاني**، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1979.
2. ابن منظور محمد بن مكرم الأفريقي: **لسان العرب**، دار المعارف، الجزء 33،1981، القاهرة مصر، ص2966.
3. أحمد مختار عمر: **معجم اللغة العربية المعاصرة**، المجلد الأول، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 2008
4. أندريه لالاند: **موسوعة لالاند الفلسفية المجلد الأولG –A**، ترجمة/ خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط2، 2001.
5. حسن شحاتة، زينب النجار: **معجم المصطلحات التربوية والنفسية**، عربي–إنجليزي، إنجليزي–عربي، الدار المصرية اللبنانية، مصر، ط 1، 2003.
6. علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني: **معجم التعريفات**، تحقيق ودراسة محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة مصر.
7. علي بن هادية وآخرون: **القاموس الجديد للطلاب معجم عربي مدرسي الفبائي**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط7، 1991.
8. فاروق عبده فليه، أحمد عبد الفتاح الزكي: **معجم مصطلحات التربية لفظا واصطلاحا**، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، مصر، 2004.
9. فرج عبد القادر طه وآخرون: **معجم علم النفس والتحليل النفسي**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1
10. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي: **القاموس المحيط**، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط8، 2005.
11. **مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط**، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط4، 2004.
12. مجمع اللغة العربية: **المعجم الوسيط**، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط1، 2004.
13. مراد وهبه: **المعجم الفلسفي**، **دار** قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2007.
14. مصطفى حسيبة: **المعجم الفلسفي**، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2009.

الكتـــب

15. ابراهيم بن محمد الحمد المزيني: **التعامل مع الآخر (شواهد تاريخية من الحضارة الإسلامية)**، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 2005.
16. الإبراهيم طيبة أحمد: **المعوقات الفكرية للشخصية السوية**، مؤسسة دار التعاون للطبع والنشر، القاهرة مصر، 200
17. أبو النور حمدي أبو النور حسن: **يورجين هابرماس(الأخلاق والتواصل)**، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت، لبنان، 2012
18. أحمد بدر: **أصول البحث العلمي ومناهجه**، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، مصر، ط9، 1996.
19. أحمد بن عبد الرحمن الصويان: **الحوار أصوله المنهجية وآدابه السلوكية**، دار الوطن للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1992.

20. أحمد سليم سعيدان: **مقدمة لتاريخ الفكر العلمي في الإسلام**، عالم المعرفة، العدد (131)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1988.

21. أحمد علي حبيب: **علم النفس الاجتماعي**، مؤسسة وطنية للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2007.

22. الأشهب محمد عبد السلام: **الفلسفة والسياسة عند هابرماس جدل الحداثة والمشروعية والتواصل في فضاء الديمقراطية**، منشورات دفاتر سياسية، المغرب، ط1، 2005.

23. آلان كولون: **مدرسة شيكاغو**، ترجمة/ مروان بطش، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2012.

24. آلن هاو: **النظرية النقدية (مدرسة فرانكفورت)** ، ترجمة /ثائر ديب، دار العين للنشر، القاهرة، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، ط1، 2010.

25. الأمم المتحدة وحقوق الإنسان مكتب المفوض السامي: **متحدون للقضاء على العنصرية والتمييز العنصري وكراهية الأجانب وما يتصل بذلك من تعصب**، إعلان وبرنامج عمل ديربان 2009، الوثيقة الختامية، الذكرى السنوية العاشرة لإعلان وبرنامج عمل ديربان 2011.

26. أولك نيستر: **فيروس التعصب حل الشفرة السياسية الإسرائيلية**، ترجمة/ عبد الوهاب محمود وهب الله، مركز الدراسات الشرقية جامعة القاهرة، مصر، العدد 23، 2003.

27. أيان كريب: **النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرمارس**، ترجمة/ محمد حسين غلوم، عالم المعرفة، عدد (244)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1999.

28. برهان غليون: **إغتيال العقل، محنة الثقافة العربية بين السلفية والتبعية**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط4، 2006.

29. بسام داود عجك: **الحوار الإسلامي –المسيحي (المبادئ، التاريخ، الموضوعات، الأهداف)**، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 1998.

30. بن العزمية علال: **أطروحات الصراع والتثاقف في زمن العولمة**، منشورات عالم التربية، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2011.

31. بني جابر جودت: علم النفس الاجتماعي، دار الثقافة، عمان، الأردن، 2004.

32. بوالروايح محمد: **نظريات حوار وصدام الحضارات**، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، قسنطينة الجزائر، ط1، 2010.

33. جاك لوفرا: **الحوار**، ترجمة/ الهدراتي نجية، السعيد الركراكي، Force équipement، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2012

34. جعفر السبحاني: **نظرية المعرفة (المدخل إلى العلم والفلسفة والإلهيات)**، مؤسسة الإمام الصادق، مدينة قم، إيران،2008.

35. جعفر عباس حاجي: **نظرية المعرفة في الإسلام (دراسة مقارنة لأهم الأسس والمفاهيم المتعلقة بنظرية المعرفة في الإسلام وبقية المذاهب الفلسفية الأخرى)**، مكتبة الألفين للطباعة والنشر والتوزيع، كويتبيروت، لبنان، ط1، .1986

36. جمال ماضي: **الدعوة المؤثرة (الدعوة الفردية الدعوة العامة)**، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، مصر، ط1، 2006.

37. جورج غورفيتش: **الأطر الاجتماعية للمعرفة**، ترجمة /خليل أحمد خليل، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط3، 2008.

38. جون دكت: **علم النفس الاجتماعي والتعصب، ترجمة عبد الحميد صفوت**، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 2000.

39. حامد خليل: **أزمة العقل العربي**، دار كنعان للدراسات والنشر، دمشق، سوريا، ط1، 1992.

40. حامد عبد السلام زهران: **علم النفس الاجتماعي**، عالم الكتب، القاهرة، مصر، 1977.

41. حسان الباهي: **الحوار ومنهجية التفكير النقدي**، إفريقيا الشرق، المغرب، 2004.

42. حسان بن عمر بصفر، سامي بن أحمد المهنا: **مهارات الاتصال وفن الحوار**، مركز النشر العلمي، جدة، المملكة العربية السعودية، 2008.

43. حسن آل حمادة: **حوار حول أطروحة تعارف الحضارات، تعارف الحضارات**، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 2006.

44. حسن الجوجو: **التعصب المذهبي والتطرف الديني وأثرهم على الدعوة الإسلامية**، مؤتمر الدعوة الإسلامية ومتغيرات العصر، كلية أصول الدين الجامعة الإسلامية بغزة، فلسطين، المنعقد بتاريخ: 16-17 أفريل 2005

45. حسن حنفي، محمد عابد الجابري: **حوار المشرق والمغرب (نحو إعادة بناء الفكر القومي العربي)**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت لبنان، ط1، 1990.

46. حسن شحاتة: **الذات والآخر في الشرق والغرب (صور ودلالات وإشكاليات)**، دار العالم العربي، القاهرة، مصر،

47. حسن مجيد العبيدي: **من الآخر. إلى الذات (دراسات في الفلسفة الحديثة والمعاصرة والفكر الفلسفي العربي المعاصر)**، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2008.

48. حسن محمد وجيه: **مقدمة في علم التفاوض الاجتماعي والسياسي**، عالم المعرفة، العدد (190)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1994.

49. حسن مصدق: **يورغن هابرماس ومدرسة فرانكفورت، (النظرية النقدية التواصلية)**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المملكة المغربية، ط1، 2005.

50. حسن **موسى** الصفار: **الحوار والانفتاح على الآخر**، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، سلسلة الدراسات الحضارية، بيروت، لبنان، ط2، 2012.

51. حسني الجبالي: **علم النفس الاجتماعي بين النظرية والتطبيق**، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 2003.

52. حسين عبد الحميد أحمد رشوان: **أصول البحث العلمي**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، 2003.

53. حسين عبد الحميد أحمد رشوان: **التطرف والإرهاب من منظور علم الاجتماع**، مؤسسة شباب الجامعة، مصر، 2002.

54. حصة بنت عبد الرحمن الوايلي: **الحوار الأسري التحديات والمعوقات (دراسة وصفية تحليلية)**، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 2010.

55. حمدي أبو الفتوح عطيفة: **منهجية البحث العلمي وتطبيقاتها في الدراسات التربوية والنفسية**، دار النشر للجامعات، للقاهرة، ط1، 1996.

56. خالد عطية السعودي: **صورة الآخر في كتب التربية الإسلامية لمرحلة التعليم الأساسي في الأردن (دراسة تحليلية)**، مجلة العلوم التربوية والنفسية، جامعة البحرين، المجلد 13، العدد 03 سبتمبر 2012

57. خالد كبير علال: **التعصب المذهبي في التاريخ الإسلامي – خلال العصر الإسلامي-، مظاهره آثاره، أسبابه، علاجه**، كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

58. د. برنال: **رسالة العلم الاجتماعية**، ترجمة/ إبراهيم حلمي عبد الرحمن، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، ط1، 2016.

59. دانييل جولمان: **الذكاء العاطفي**، ترجمة/ ليلى الجبالي، عالم المعرفة، العدد 262، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت،2000.

60. راجح عبد الحميد الكردي: **نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة**، مكتبة المؤيد، المملكة العربية السعودية، ط1، 1992

61. ربحي مصطفى عليان، عثمان محمد غنيم: **مناهج واساليب البحث العلمي – النظرية والتطبيق-**، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2000.

62. رجاء وحيد دويدري: **البحث العلمي، أساسياته النظرية وممارسته العملية**، دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان، دار الفكر، دمشق، لبنان، ط1، 2000.

63. رضا المصري: **فن الحوار الناجح**، دار قطوف للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2011.

64. روبرت مكلفين، ريتشارد غروس: **مدخل إلى علم النفس الاجتماعي**، ترجمة / ياسين حداد، موفق الحمداني، فارس علمي، دار وائل للنشر، عمان، الأردن، ط1، 2002.

65. روجيه غارودي: **في سبيل حوار الحضارات**، ترجمة /عادل العوا، عويدات للنشر والطباعة، بيروت لبنان، ط6،2007.

66. ريم بنت خليف بن محمد الباني: **ثقافة الحوار لدى طالبات المرحلة الثانوية في مدينة الرياض ودورها في تعزيز بعض القيم الخلقية**، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، المملكة العربية السعودية، ط1، 2009.

67. رينيه ويلك: **مفاهيم نقدية**، ترجمة/ جابر عصفور، عالم المعرفة، العدد (110)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1987.

68. زكي الميلاد: **تعارف الحضارات**، تعارف الحضارات، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 2006.

69. زكي الميلاد: **من أجل بناء نظرية لحوار الحضارات، مؤتمر دولي (كيف نواصل مشروع حوار الحضارات، حوار الحضارات، اسسه وقواعده)، المنظم بدمشق، بالتعاون مع** المركز الدولي لحوار الحضارات في طهران، منشورات المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية، الجزء الأول المنعقد بتاريخ: 19-21 جانفي 2002، ط1، 2002.

70. زكي الميلاد: **من حوار الحضارات إلى تعارف الحضارات، تعارف الحضارات**، دار الفكر، دمشق سوريا، ط1، 2006.

71. زين العابدين درويش: **علم النفس الاجتماعي**، أسسه وتطبيقاته، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 1999.

72. زينب محمود شقير: **الباثولوجيا الاجتماعية والمشكلات الاجتماعية المعاصرة**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ط1، 2001.

73. ستيفن إريك برونر: **النظرية النقدية (مقدمة قصيرة جدا)**، ترجمة سارة عادل، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2016.

74. سعد البازعي: **قلق المعرفة – إشكالات فكرية وثقافية** –، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2010.

75. سعد الدين إبراهيم: **تأمل الآفاق المستقبلية لعلم الاجتماع في الوطن العربي: من الإثبات إلى تحقيق الوعود**، نحو علم اجتماع عربي (علم الاجتماع والمشكلات العربية الراهنة)، مركز دراسات الوحدة العربية: بيروت، ط2، 1989.

76. سعد عبد الرحمن: **مشكلة التعصب والتحامل**، عالم الفكر، عدد1، مجلد 1، الكويت، 1970.

77. سعيد اسماعيل صيني: **قواعد أساسية في البحث العلمي**، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط1، 1994.

78. سعيد بن حمد الربيعي: **التعليم العالي في عصر المعرفة**، دار الشروق، عمان، الأردن، ط1، 2004.

79. سلطان بن مسفر الصاعدي الحربي: **دور الحوار في تعزيز الأمن الفكري**، وزارة التربية والتعليم المملكة العربية السعودية، 2011.

80. سناء محمد سليمان: **فن وأداب الحوار بين الأصالة والمعاصرة**، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2013

81. شادية علي قناوى: **سوسيولوجيا المشكلات الاجتماعية وأزمة علم الاجتماع**، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، 2000.

82. صالح بن عبد الله بن حميد: **أصول الحوار وآدابه في الإسلام**، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة – مكة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1994.

83. صلاح اسماعيل: **نظرية المعرفة المعاصرة**، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2005. ط1، 2008.

84. طارق البشرى: **الحوار الإسلامي العلماني**، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1، 1996.

85. طارق حجي: **نقد العقل العربي، من عيوب تفكيرنا المعاصر**، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، 1999.

86. طه جابر العلواني: **الأزمة الفكرية ومناهج التغيير**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2003.

87. طه عبد الرحمن: **الحق الإسلامي في الاختلاف الفكري**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005.

88. طه عبد الرحمن: **الحوار أفقا للفكر**، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2013.

89. طه عبد الرحمن: **حوارات من أجل المستقبل**، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط1، بيروت، لبنان، 2011.

90. طه عبد الرحمن: **في أصول الحوار وتجديد علم الكلام**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المملكة المغربية، ط3، 2007.

91. عادل السكري: **نظرية المعرفة من سماء الفلسفة إلى أرض المدرسة**، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر، ط1، 1999.

92. عادل محمد زايد: **تكوين الفرق والعمل الجماعي**، مشروع الطرق المؤدية إلى التعليم العالي، مركز تطوير الدراسات العليا والبحوث، كلية الهندسة، جامعة القاهرة، مصر، الطبعة الأولى مارس2007.

93. عبد الحافظ سلامة: **علم النفس الاجتماعي**، اليازوردي، الأردن، 2007.

94. عبد الحليم آيت أمجوض: **الحوار في الواقع المعاصر: المفهوم، المشروعية، والأبعاد التواصلية، والحجاجية**، مطبعة تامونت أكادير، المغرب، ط1، 2009.

95. عبد الحميد محمد الهاشمي: **المرشد في علم النفس الاجتماعي**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، 1983.

96. عبد الرحمن المالكي: **مدرسة شيكاغو ونشأة سوسيولوجيا التحضر والهجرة**، أفريقيا الشرق الدار البيضاء، المملكة المغربية، 2015.

97. عبد الرحمن بدوي: **مناهج البحث العلمي**، وكالة المطبوعات، الكويت، ط3، 1977.

98. عبد العزيز بن عثمان التويجري: **الحوار والتفاعل الحضاري من منظور إسلامي**، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو)، الرباط، المملكة المغربية، ط 2، 2015.

99. عبد العزيز قباني: **العصبية بنية المجتمع العربي**، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط1، 1997.

100. عبد الغاني مغربي: **الفكر الاجتماعي عند ابن خلدون**، ترجمة/ محمد الشريف بن دالي حسين، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988.

101. عبد الفتاح العيسوي: **نظرية المعرفة في الفكر الإسلامي**، دار الوفاء، الإسكندرية، مصر، 2002.

102. عبد القادر بوعرفة: **الحضارات والأديان أسئلة الحاضر والمستقبل (قراءات في فكر سهيل فرج)**، دار القدس العربي، وهران، الجزائر، ط1، 2010.

103. عبد الكبير الخطيبي: **النقد المزدوج**، منشورات عكاظ، الرباط، المغرب، 2000.

104. العبد الكريم وآخرون: **نشر ثقافة الحوار لدى العاملين في المؤسسات التربوية**، المادة العلمية، تنفيذ مكتب الآفاق المتحدة بتكليف من مكتب التربية العربي لدول الخليج.

105. عبد الله التطاوي: **الحوار الثقافي مشروع التواصل والانتماء**، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر، ط1، 2006.

106. عبد الله بن حسين الموجان: **الحوار في الإسلام**، مركز الكون، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، ط1، 2006.

107. عبد الله علي العليان: **حوار الحضارات في القرن الواحد والعشرين، رؤية إسلامية للحوار**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الأردن، ط1، 2004.

108. عبد المجيد عمراني: **مستقبل حوار الحضارات في ظل العولمة**، دار الوليد للتوثيق، بومرداس، الجزائر، ط1، 2009.

109. عبد الهادي نبيل: **سيكولوجية الجماعات – تشكلها، حركتها** –، الرضوان للنشر والتوزيع، الأردن، دار الأمين للنشر والتوزيع، فلسطين، ط1، 2013.

110. عبير سهام مهدي: **التعصب في الفكر الصهيوني**، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، سوريا، ط1، 2012

111. العجيلي عصمان سركز، عياد سعيد أمطير: **البحث العلمي أساليبه وتقنياته**، الجامعة المفتوحة طرابلس، ليبيا، ط 1، 2002.

112.عقيل حسين عقيل: **منطق الحوار بين الأنا والآخر، من حوار الأفراد إلى حوار أهل الحضارات والأديان** ، **دار** الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، 2004.

113. عقيل سعيد ملا زاده: **الحوار قيمة حضارية، دراسة تأصيلية لمنهجية الحوار في الإسلام**، دار النفائس للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2009.

114. علي أسعد وطفة: **التربية إزاء تحديات التعصب والعنف في الوطن العربي**، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2002.

115. علي الوردي: **مهزلة العقل البشري**، دار كوفان، لندن، بريطانيا، ط2، 1994.

116. علي محمد جبران، وليد أحمد مساعدة: **ثقافة الحوار من منظور إسلامي وأهميته في حل المشكلات الطلابية في الجامعات**، عمادة البحث العلمي، جامعة آل البيت، الأردن، 2008.

117. علي معمر عبد المؤمن: **البحث في العلوم الاجتماعية، الوجيز في السياسات والمناهج والتقنيات**، منشورات جامعة 7 أكتوبر، ليبيا، ط1، 2008.

118. العياشي عنصر: **علم الظواهر الاجتماعية**، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، سوريا، ط1، 1990.

119. غريغوار منصور مرشو، سيد محمد صادق الحسيني: **نحن والآخر**، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 2001.

120. فارس راتب الأشقر: **فلسفة التفكير ونظريات في التعلم والتعليم**، مكتبة طريق العلم، الأردن، ط1، 2010.

121. فرانسيس فوكوياما: **نهاية التاريخ وخاتم البشر**، ترجمة /حسين أحمد أمين، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، مصر، ط1، 1993.

122. فرج الله عبد الباري: مناهج البحث وآداب الحوار والمناظرة، دار الآفاق العربية، مصر، ط1، 2004.

123. فهد مسفر الدوسري: **الاتصال العلمي عند الباحثين العرب في العلوم البحتة**، مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض السلسلة الأولى(5)، 1991.

124. فهمي مصطفى، علي القطان محمد: **علم النفس الاجتماعي، دراسات نظرية وتطبيقات عملية**، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1977.

125. فؤاد البهى السيد، سعد عبد الرحمن: **علم النفس الاجتماعي رؤية معاصرة**، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 1999.

126. فؤاد زكريا: **آراء نقدية في مشكلات الفكر والثقافة**، دار وفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، مصر، ط1، 2004.

127. فؤاد زكريا: **التفكير العلمي**، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية مصر، 2004.

128. فؤاد زكريا: **خطاب إلى العقل العربي**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 2010.

129. قباري محمد اسماعيل: **مدخل إلى علم الاجتماع المعاصر، مشكلات التنظيم والإدارة والعلوم السلوكية**، منشأة المعارف الإسكندرية، مصر، 1988.

130. ماجدة محمود: إشكالية الأنا والآخر (نماذج روائية عربية)، عالم المعرفة، العدد (398)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2013

131. مادلين غراويتز: **مناهج العلوم الاجتماعية (منطق البحث في العلوم الاجتماعية)**، ترجمة/ سام عمار، المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر، دمشق، سوريا، ط1، 1993.

132. مالك عبيد أبو شهيوة، محمود محمد خلف: **صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي**، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصر، ط1، 1999.

133. مأمون طربيه: **علم الاجتماع في الحياة اليومية (قراءة سوسيولوجية معاصرة لوقائع معاشة)**، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 2011.

134. محمد الأمين الشنقيطي: **آداب البحث والمناظرة**، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مجمع الفقه الإسلامي بجدة، المملكة العربية السعودية

135. محمد السيد الجليند: **الأصولية والحوار مع الآخر**، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1999.

136. محمد آيت حمو: **أفق الحوار في الفكر العربي المعاصر، منشورات الاختلاف، الجزائر**، دار الأمان، المملكة المغربية، ط1، 2012.

137. محمد بن علي العتيق: **التعصب الرياضي (أسبابه – آثاره – وسبل معالجته بالحوار)**، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، المملكة العربية السعودية، ط1، 2013.

138. محمد جعفر مصفا: **التفكير الزائد**، ترجمة أحمد القبانجي، مؤسسة الإنتشار العربي، لبنان، ط1، 2012.

139. محمد سعدي: **حول صراع الحضارات، حوارات ومقالات مختارة لصاموئيلهنتنغتون**، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2006.

140. محمد شمص: **العلم والدين صراع أم حوار (مقاربة فلسفية لإشكالية العلاقة بين العلم والدين)**، معهد المعارف الحكمية، بيروت، لبنان، ط1، 2006.

141. محمد عابد الجابري: **فكر ابن خلدون العصبية والدولة، معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي**، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت، ط5، 1992.

142. محمد عابد الجابري: **مدخل إلى فلسفة العلوم، العقلانية المعاصرة وتطور الفكر العلمي**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، ط5، 2002.

143. محمد عابد الجابري:**المسألة الثقافية في الوطن العربي**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط 2، 1999.

144. محمد عثمان الخشت: **العقلانية والتعصب**، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2007.

145. محمد عزت حجازي: **الأزمة الراهنة لعلم الاجتماع في الوطن العربي، نحو علم اجتماع عربي: علم الاجتماع المشكلات الاجتماعية والمشكلات العربية**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، بيروت، لبنان، 1986.

146. محمد عمارة: **إسلامية المعرفة ماذا تعني؟**،نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2007.

147. محمد عمارة: **الحضارات العالمية تدافع؟ ... أم صراع؟**، نهضة مصر للطباعة والنشر، مصر، ط1، 1998.

148. محمد محمد قاسم: **المدخل إلى مناهج البحث العلمي**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1999.

149. محمد مراح: **نحو رؤية إسلامية لتعارف الحضارات**، تعارف الحضارات، دار الفكر، دمشق، ط1، 2006.

150. محمد نظيف: **الحوار وخصائص التفاعل التواصلي، (دراسة تطبيقية في اللسانيات التداولية)**، افريقيا الشرق، المغرب، 2010.

151. محمود الجوهري وآخرون: **علم الاجتماع والمشكلات الاجتماعية**، دار المعرفية الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1998.

152. محمود الزيادي: **محاضرات في علم النفس الاجتماعي**، مكتب سعيد رأفت للآلة الكاتبة وخدمة طلبة الجامعات، مصر، 1971.

153. محمود السيد أبو النيل: **علم النفس الاجتماعي (عربيا وعالميا)**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، 2009.

154. محمود حمدي زقزوق: **الإسلام وقضايا الحوار**، ترجمة/ مصطفى ماهر، مطابع الأهرام التجارية، قليوب، مصر، 2002.

155. محمود شمال حسن: **سيكولوجية الفرد في المجتمع**، دار الآفاق العربية، مصر، ط1، 2001.

156. مصطفى النشار: **نظرية العرفة عند أريسطو**، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط3، 1995.

157. مصطفى يوسف كافي: **هندسة الحوار والإقناع**، دار الحامد للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2015.

158. معتز سيد عبد الله: **الاتجاهات التعصبية**،عالم المعرفة، العدد (137)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1989.

159. معتز سيد عبد الله: **التعصب دراسة نفسية اجتماعية**، دار غريب للنشر والطباعة والتوزيع، القاهرة، مصر، ط2، 1997.

160. المعهد العالمي للفكر الإسلامي: **إسلامية المعرفة (المبادئ العامة – خطة العمل – الإنجازات)**، سلسلة إسلامية المعرفة (1)، ط2، 1992.

161. ممدوح الشيخ: **ثقافة قبول الآخر، مكتبة جزيرة الورد**، القاهرة، مصر، ط1، 2007.

162. مناد طالب: **مشكلات فلسفية نهضوية معاصرة**، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

163. منصور الرفاعي عبيد: **الحوار أدابه وأهدافه**، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، مصر، ط1، 2004.

164. منى أبو القاسم، جمعة عبد الرحمان: **الاغتراب الفكري والاجتماعي في الشخصية القومية العربية**، منشورات قار يونس، بنغازي، ليبيا، ط 1، 2008.

165. نادر طالب شوامرة: **علم النفس الاجتماعي**، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2014.

166. نادية محمود مصطفى: **تعارف الحضارات**، تعارف الحضارات، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 2006.

167. نبيل رمزي: **سوسيولوجيا المعرفة (جدل الوعي والوجود الاجتماعي)**، دار الفكر الجامعي، الاسكندرية، مصر، الجزء الأول، 2001.

168. نبيلة عبد الكريم الشرجبي: **علم النفس الاجتماعي رؤية معاصرة، دار** الأيام للنشر والتوزيع، عمان الأردن، 2015.

169. نجية طلبة المسلمي: **انتكاسة عقل**، دار العين للنشر، الإسكندرية، مصر، 2010.

170. نصر حامد أبو زيد: **التفكير في زمن التكفير، ضد الجهل والزيف والخرافة**، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، ط2، 1995.

171. نهى سعدي أحمد مغازي: **أسس البحث العلمي**، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، مصر، ط1، 2013.

172. نيجستاد برناردا: **الأداء الجماعي**، ترجمة/عزة باشا شيماء، نصري شنودة إيمان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2015.

173. هاني الجزار: **أزمة الهوية والتعصب (دراسة في سيكولوجية الشباب)**، دار هلا للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2011.

174. هاني الجزار: **في أسباب التعصب نحو رؤية تكاملية**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ط1، 2006.

175. الهيتي توفيق: **المعرفة العلمية والعوامل المؤثرة فيها، (الطب نموذجا)**، مطبعة أميمة، فاس، المغرب، ط1، 2008.

176. هيوا حاجي ديلوي: **الاتجاهات التعصبية بين الجماعات العرقية (دراسة اجتماعية ميدانية في إقليم كوردستان العراق)**، مؤسسة موكرياني، للبحوث والنشر، أربيل، العراق، 2008

177. وليم و.لامبرت، وولاس لامبرت: **علم النفس الاجتماعي**، ترجمة/ سلوى الملا، دار الشروق، القاهرة، ط2، 1993.

178. ياسر الصاوي: **إدارة المعرفة وتكنولوجيا المعلومات**، دار السحاب للنشر والتوزيع، القاهرة مصر، ط1، 2007.

179. يحي سعيد قاعود: **أطروحات فوكوياما وهنتنغتون والنظام العالمي الجديد (دراسة تحليلية مقارنة)**، مركز البيان للدراسات والبحوث، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2015.

180. يوسف القرضاوي: **الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم**، دار الشروق، مصر، 2001.

الرسائـــل الجامعيـــة

181.أحمد رياض سكر: **دور أعضاء هيئة التدريس في كليات الإعلام ونظيراتها بالجامعات الفلسطينية في تعزيز ثقافة الحوار لدى طلبتهم وسبل تطويره**، أطروحة ماجستير، تخصص أصول تربية كلية التربية، جامعة الأزهر، غزة، فلسطين، 2013.

182. أحمد عماد الدين خواني: **ابستمولوجية النظرية السوسيولوجية**، أطروحة دكتوراه علوم، تخصص تنمية وتسيير الموارد البشرية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قسنطينة2، الجزائر، 2013.

183. أحمد محمد شافعي أحمد: **التعصب وعلاقته ببعض المتغيرات النفسية والاجتماعية دراسة مقارنة على عينة من طلاب التعليم العام والأزهري**، أطروحة دكتوراه، تخصص الدراسات النفسية والاجتماعية، جامعة عين شمس، مصر، 2000.

184. أحمد موسى بدوي: **الأبعاد الاجتماعية لإنتاج واكتساب المعرفة (حالة علم الاجتماع في الجامعات المصرية)**، سلسلة أطروحات الدكتوراه (76)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2009.

185. آسيا بنت مسعد بن سرحان العتيبي: **الحوار التربوي بين الأستاذ الجامعي وطلاب الدراسات العليا في ضوء ثقافة إعادة الهندسة**، أطروحة ماجستير، تخصص إدارة تربوية وتخطيط، كلية التربية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 2005.

186. اعراب فتيحة: **معوقات البحث العلمي لدى الأستاذ الجامعي في الجامعة الجزائرية، (دراسة ميدانية على أساتذة جامعة الجزائر2–بوزريعة)**، أطروحة ماجستير، تخصص علم اجتماع (ثقافي تربوي)، جامعة الجزائر 2 (بوزريعة)، الجزائر، 2011

187. أماني بنت محمد بن سعد الدوسري: **العلاقة بين الجمود الفكري والمسؤولية الشخصية الاجتماعية لدى عينة من عضوات هيئة التدريس بجامعة ام القرى في ضوء بعض المتغيرات الديمغرافية**، اطروحة ماجستير، تخصص شخصية وعلم النفس الاجتماعي، كلية التربية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 2011.

188. امحمد صبور: **المعرفة والسلطة في المجتمع العربي (الأكاديميون العرب والسلطة)**، سلسلة أطروحات الدكتوراه(18)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط2، 2001.

189. أودينة سليم: **فلسفة التداوليات الصورية وأخلاقيات النقاش عند يورغن هابرماس**، أطروحة ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم الفلسفة، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2009.

190. إيمان سعد فايز الشتري: **تأثير التفكير الناقد والتعصب على العنف لدى عينة من الشباب مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي (دراسة شبه تجريبية)**، أطروحة ماجستير، تخصص علم النفس، جامعة عين شمس، مصر، 2015

191. بليل عبد الكريم: **المفاهيم المفتاحية لنظرية المعرفة في القرآن الكريم**، أطروحة ماجستير، تخصص فلسفة إسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، 2009.

192. بن خيرة بوعلام: **إشكالية الآخر في الفكر الجابري (دراسة تحليلية نقدية للغرب من منظور الفكر العربي ... محمد عابد الجابري نموذجا)**، اطروحة ماجستير، تخصص فلسفة، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الجزائر، الجزائر، 2005.

193. جميل حامد عطية: **تأثير التعصب على تماسك البناء الاجتماعي، دراسة ميدانية للحالة العراقية**، دراسة مقدمة إلى معهد البحوث والدراسات العربية جامعة الدول العربية للحصول على دكتوراه في العلوم الاجتماعية، القاهرة، 2010.

194. حسام نافذ أبو دلال: **النقابات ودورها في التنمية السياسية في فلسطين** (دراسة ميدانية على القوى العاملة – نموذج الخدمات الصحية) أطروحة ماجستير، تخصص دراسات الشرق الأوسط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأزهر، غزة، 2010.

195. خالد أحمد حسنين علي حربي: **بنية الجماعات العلمية العربية في القرنين الثالث والرابع الهجريين (دراسة في الأسس الابستمولوجية)**، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، مصر، 2001.

196. خالد بن محمد بن وصل المغامسي: **الحوار آدابه وتطبيقاته في التربية الاسلامية**، أطروحة ماجستير، تخصص، تربية إسلامية، كلية التربية بمكة المكرمة، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 2002

197. خالد فوزي يعقوب المحاسنة: **النهضة في فكر مالك بن نبي وعلى شريعتي (دراسة مقارنة)**، أطروحة دكتوراه، تخصص، فلسفة في العلوم السياسية، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، مصر، 2013.

198. دناقة أحمد: **الأستاذ الباحث وواقع إنتاج المعرفة العلمية في الحقل السوسيولوجي (دراسة على عينة من أساتذة علم الاجتماع بجامعة: الأغواط، غرداية، ورقلة)**، أطروحة ماجستير، تخصص علم الاجتماع، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، 2011.

199. رضا محمد عريضة: **الأخر كما يدركه المراهق، (دراسة** استطلاعية)، أطروحة الدكتوراه، تخصص فلسفة الدراسات النفسية والاجتماعية، معهد الدراسات العليا للطفولة، قسم الدراسات النفسية والاجتماعية، جامعة عين شمس، مصر، 2005.

200. العابد ميهوب: **الفكر التربوي عند مالك بن نبي**، اطروحة دكتوراه، نخصص علم الاجتماع التربية، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2014

201. رندة عبد العزيز أبو سويرح: **التعصب الحزبي وعلاقته بالاتجاهات السياسية لدى طلبة جامعة الأزهر، غزة**، أطروحة ماجستير، تخصص علم النفس، كلية التربية، جامعة الأزهر، غزة فلسطين، 2013.

202. زاوي أحمد: **بنية اللغة الحوارية في روايات محمد مفلاح**، أطروحة دكتوراه، تخصص لغة عربية، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة وهران، الجزائر، 2015.

203. سالم جمعة عبد الصاحب: **الاتجاهات التعصبية وعلاقتها ببعض المتغيرات لدى طلبة الجامعة**، اطروحة دكتوراه، تخصص فلسفة علم الاجتماع، قسم علم الاجتماع، جامعة سانت كلمنتس العالمية، بغداد، العراق، 2011.

204. سامح ممدوح حامد عبد الرؤوف: **الاتجاهات التعصبية وعلاقتها ببعض الأساليب المعرفية (التروي والدوجماطيقية)**، أطروحة ماجستير، تخصص علم النفس، كلية الآداب، جامعة المنصورة، مصر، 2007.

205. سمراء كحلات: **تمكين المعرفة في المنظمة الجزائرية، دراسة ميدانية بمكتبات جامعة باتنة**، أطروحة ماجستير علم المكتبات، جامعة منتوري قسنطينة، 2009.

206. شبلي هجيرة: **إشكالية مستقبل العلاقة بين الحضارات (زكي الميلاد نموذجا)**، أطروحة ماجستير، تخصص فلسفة الحضارة، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر،2013.

207. صوافي بوعلام: **محددات الأنا والآخر في المتن الروائي الجزائري الجديد، أطروحة دكتوراه**، تخصص أدب عربي، كلية الآداب والفنون، جامعة أحمد بن بلة وهران 1، الجزائر، 2015.

208. عبد الرحمان بن حسن النصار الدوسري: **التعصب الطائفي وأثاره الأمنية (دراسةتاصيلية)**، اطروحة ماجستير، تخصص عدالة جنائية، جامعة نايف للعلوم الأمنية، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2013.

209. عبد الله صافي: **علاقة التعصب بسمتي السيطرة والاجتماعية لدى عمال المحروقات (شركة سوناطراك قسم الانتاج المديرية الجهوية بحاسي رمل)**، أطروحة ماجستير، تخصص علم النفس العمل والتنظيم، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، الجزائر، 2007.

210. عبدي سميرة: **الضغط المدرسي وعلاقته بسلوكات العنف والتحصيل الدراسي لدى المراهق المتمدرس (15-17)، (دراسة ميدانية على عينة من تلاميذ السنة الأولى ثانوي ولاية بجاية نموذجا)**، أطروحة ماجستير، تخصص علم النفس المدرسي، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، 2011.

211. عزي الحسين: **الأسرة ودورها في تنمية القيم الاجتماعية لدى الطفل في مرحلة الطفولة المتأخرة (دراسة ميدانية لعينة من تلاميذ السنة الخامسة ابتدائي بمدينة بوسعادة)**، أطروحة ماجستير، تخصص علم النفس الاجتماعي، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة مولود معمري تيزي وزو، الجزائر، 2014.

212. علاء حلمي عبد اللطيف محمد: **الحوار وفلسفة التاريخ عند مارتن بوبر**، أطروحة ماجستير، كلية الاداب، جامعة القاهرة، مصر، 2008.

213. عمر عبد الله شلح: **أساليب التربية الحزبية وعلاقتها بالاتجاهات التعصبية لدى طلاب الجامعات في محافظات غزة**، اطروحة ماجستير، تخصص علم النفس، كلية التربية في جامعة الأزهر بغزة، فلسطين، 2010.

214. فرج وافي محمد الخنفري: **الاتجاهات التعصبية وعلاقتها بالسلوك العدواني لدى العاملين بالقطاع الصحي بالرياض**، أطروحة ماجستير، تخصص رعاية وصحة نفسية، كلية العلوم الاجتماعية والإدارية، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2014.

215. كروش كريمة: **الحوار بين الآباء والأبناء**، أطروحة ماجستير، تخصص إرشاد وتوجيه، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة السانيا وهران، الجزائر، 2011.

216. ماهورباشة عبد الحليم: **التأصيل الاسلامي لعلم الاجتماع، مقاربة في إسلامية المعرفة**، أطروحة دكتوراه، تخصص علم الاجتماع، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية جامعة سطيف 2، الجزائر، 2014.

217. مجلي بن عبد الرحمان بن عبد العزيز المجلي: **التدابير الواقية من التعصب المذهبي وأثرها على أمن المجتمع**، أطروحة ماجستير، تخصص التشريع الجنائي الإسلامي، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، المملكة العربية السعودية، 2008.

218. محمد الرحوحي: **الاتجاهات التربوية في المغرب الإسلامي بين النظرية والتطبيق**، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن طفيل القنيطرة، المغرب، 2007.

219. محمد بن عبد الله بن محمد المطلق: **الحوار ودرء الفتن الطائفية دراسة تأصيلية**، أطروحة ماجستير، كلية الدراسات العليا، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، المملكة العربية السعودية، 2013.

220. محمد بوضياف: **مستقبل النظام السياسي في الجزائر**، أطروحة دكتوراه، بقسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية، كلية العلوم السياسية والإعلام، جامعة الجزائر، 2008.

221. محمد رشدي سلطاني: **المعارف الجماعية وأثرها على نشاط الإبداع في المؤسسة**، أطروحة دكتوراه، تخصص علوم تسيير، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، 2014.

222. محمد لمين ثابت: **عوائق حوار الأديان، الحوار الإسلامي المسيحي نموذجا (دراسة تحليلية نقدية)**، أطروحة ماجستير تخصص حوار الأديان، جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، 2013.

223. محمود ابو حديد توفيق عزات فريد: **التعصب القبلي في السلوك السياسي الفصائلي الفلسطيني وأثره على التنمية السياسية**، أطروحة ماجستير، تخصص التخطيط والتنمية السياسية، كلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2010.

224. مخنان طارق: **أزمة غياب دور النخبة المثقفة الجزائرية في التغيير**، أطروحة ماجستير علم أجتماع، تخصص، التنظيم والديناميكيات، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، مدرسة دكتوراه، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، 2012.

225. مشحوق ابتسام: **العلاقة بين إنشاء مخابر البحث العلمي وتطوير الانتاج العلمي في الجزائر (دراسة حالة جامعة فرحات عباس – سطيف –)**، أطروحة ماجستير، تخصص علوم التربية، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2012.

226. مهرة بنت عبد القادر محمد الزهراني: **إسهام الإشراف التربوي في نشر ثقافة الحوار من وجهة نظر المشرفات التربويات والمعلمات بمدينة مكة المكرمة**، أطروحة ماجستير، تخصص مناهج وإشراف تربوي، كلية التربية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 2011.

227. مولاي امحمد: **تكنولوجيا المعلومات والبحث العلمي في مجال المخطوطات العربية الإسلامية بمراكز ومخابر البحث في المخطوطات بالجامعات الجزائرية**، أطروحة دكتوراه، تخصص علم المكتبات، جامعة وهران، الجزائر، 2013.

228. نجاة بوقزولة: **الحوار الحضاري في رواية (كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد ل: واسيني الأعرج)**، أطروحة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، 2008.

229. نعمان عباسي: **مقاربات علم الاجتماع بين التكامل والتعدد (دراسة تحليلية في طبيعة المعرفة السوسيولوجية بين وحدة العلم وخصوصيات الواقع)**، أطروحة دكتوراه، تخصص علم الاجتماع، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2011.

230. نفيسة حسن حسن دسوقي: **اساليب التنشئة الأكاديمية للباحثين، في علم الاجتماع في مصر**،(دراسة استطلاعية)، أطروحة ماجستير، تخصص علم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة القاهرة، مصر، 2004.

231. وفاء مصطفى محمد عليان: **الجمود الفكري وقوة الأنا وعلاقتهما بجودة الحياة لدى طلبة الجامعات في محافظات غزة**، أطروحة ماجستير، تخصص علم النفس، كلية التربية جامعة الأزهر غزة، فلسطين، 2014.

232. يحي بن محمد حسن بن أحمد زمزمي: **آداب الحوار في ضوء الكتاب والسنة**، أطروحة ماجستير، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1992.

233. يعيش حرم خزار وسيلة: **تدريس علم الاجتماع بين العلوم والإيديولوجيا**، أطروحة ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2001.

234. يوسف حنطابلي: **إشكالية السؤال السوسيولوجي في الفكر العربي المعاصر، الواقع العربي بين ماضي الأنا وحاضر الآخر، (دراسة تحليلية نقدية)**، أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع، تخصص ثقافي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة يوسف بن خدة، الجزائر، 2008.

235. يوسف زكريا ابراهيم الداعور: **الدور التربوي للجامعات الفلسطينية في مواجهة التعصب الحزبي لدى طلبتها**،من وجهة نظر أعضاء الهيئة التدريسية، أطروحة ماجستير، تخصص أصول تربية، كلية التربية، جامعة الأزهر، غزة، فلسطين، 2012

المؤتمرات، الملتقيات والندوات

236. أبو القاسم العليوي: **التربية وحوار الحضارات**، الإسلام وحوار الحضارات: وقائع الندوة المولّدِيَة الدولية، المنظم من طرف وزارة الشؤون الدينية، القيروان، تونس، الدورة 27، العدد 1، المنعقد بتاريخ: 12 -13 جوان، 2000.

237. أحمد برقاوي: **منطق العلاقة بين الحضارات**، كيف نواصل مشروع حوار الحضارات الجزء الثاني (الحضارات حوار أم صدام) ؟، مجموعة محاضرات المؤتمر المنظم بدمشق، منشورات المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية، المنعقد أيام: 19-21 جانفي، 2002.

238. أحمد زايد: **المعرفة والسلطة، نحو نموذج أخلاقي للتنشئة العلمية**، مؤتمر أخلاقيات البحث العلمي الاجتماعي، الجزء الأول، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، المنعقد بتاريخ 17-18 أكتوبر 1995، مصر.

239. أنطوان ضو: **ثقافة حوار الحضارات**،كيف نواصل مشروع حوار الحضارات، مجموع محاضرات المؤتمر المنظم بدمشق بالتعاون مع المركز الدولي لحوار الحضارات في طهران، منشورات المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية بدمشق، الجزء الأول، المنعقد بتاريخ: 19-21 جانفي، 2002.

240. خليل عبد الله المدني: **علم الاجتماع في الوطن العربي (الواقع والطموح)، دراسة في نشأة وتطور علم الاجتماع في كل من مصر، المملكة العربية السعودية، السودان، ودوره العلمي والمجتمعي**، ندوة علم الاجتماع من منظور إسلامي، مركز الدراسات المعرفية، قاعة رواق المعرفة، القاهرة، مصر، المنعقد أيام: 17-20 فيفري 2007.

241. سهير علي الجيار: **الحوار في مؤسساتنا التربوية المؤتلف والمختلف**، مؤتمر التعليم في العالم الإسلامي، دار الضيافة جامعة عين شمس، مصر، المنعقد في الفترة من 31 جانفي إلى 01 فيفري 2009.

242. السيد ولد أباه:**خطاب صراع الثقافات، الخلفيات الفكرية والاستراتيجية**،الإسلام وحوار الحضارات: وقائع الندوة المولّدِيَة الدولية، الدورة 27، العدد 1، المنظم من طرف وزارة الشؤون الدينية، القيروان، تونس، المنعقد بتاريخ: 12 -13جوان، 2000.

243. الشاذلي القليبي: **من أجل إنشاء نظام تضامني بين الحضارات**، الإسلام وحوار الحضارات، وقائع الندوة المولدية الدولية، المنظم من طرف وزارة الشؤون الدينية، القيروان، تونس، الدورة 27 العدد1، المنعقد بتاريخ: 12 -13 جوان 2000

244. صالح بلعيد: **دور مخابر البحث العلمي في تطوير البحث العلمي والتنشيط الثقافي والبيداغوجي**، الملتقى الوطني: آفاق الدراسات العليا والبحث العلمي في الجامعة الجزائرية، المنعقد بجامعة الجزائر1، أيام: 23-24-25-26 أفريل 2012.

245. عبد الحكيم خالد الحسبان: **الدراسات السوسيولوجية والأنثروبولوجية في الأردن (الإشكالات الابستيمولوجية والعلمية)، مستقبل العلوم الاجتماعية في الوطن العرب**، بحوث المؤتمر المنظم من طرف مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية

والثقافية، بوهران، الجزائر والجمعية العربية لعلم الاجتماع، تونس، المنعقد أيام 20-22 مارس 2002، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2014.

246. عبد العزيز بن عثمان التويجري: **حوار الحضارات تواصل لا صراع**، (حوار الحضارات تواصل لا صراع)، أعمال الندوة التي نظمتها جامعة الدول العربية بالقاهرة، المنعقدة بتاريخ: 26 – 27 نوفمبر، 2001.

247. على الحوات: **التكامل والتبادل المعرفي في الوطن العربي، التعليم العالي والبحث العلمي في مجتمع المعرفة**"، المؤتمر التاسع للوزراء المسؤولين عن التعليم العالي والبحث العلمي في الوطن العربي، دمشق 15-18 ديسمبر 2003، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم إدارة التربية، تونس، 2006.

248. علي تعوينات: **التعليمية والبيداغوجيا في التعليم العالي**، الملتقى الوطني الأول حول تعليمية المواد في النظام الجامعي، مخبر تطوير الممارسات النفسية والتربوية، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة قاصدي مرباح، الجزائر، أفريل 2010.

249. عمار جيدل: **متطلبات الحوار الحضاري، مؤتمر دولي** (كيف نواصل مشروع حوار الحضارات)، المنظم بدمشق، بالتعاون مع المركز الدولي لحوار الحضارات في طهران، منشورات المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية بدمشق، الجزء الأول، المنعقد بتاريخ: أيام 19-21 جانفي، 2002.

250. فرشان دليلة: **دور مخابر البحث في تكوين طلبة الدراسات العليا، مقارنة بين الجامعة الجزائرية والجامعة الفرنسية، الملتقى** الوطني: آفاق الدراسات العليا والبحث العلمي في الجامعة الجزائرية، المنعقد بجامعة الجزائر1، أيام: 23-24-25-26 أفريل 2012.

251. كاملي بلحاج: **الدور البيداغوجي في السير الحسن لمشاريع ومخابر البحث، الملتقى الوطني: آفاق الدراسات العليا والبحث العلمي في الجامعة الجزائرية**، المنظم من طرف جامعة الجزائر 1، المنعقد أيام: 23-24-25-26 / أفريل 2012.

252. مارلين نصر: **مستقبل العلوم الاجتماعية في الوطن العربي**، بحوث المؤتمر الذي نظمه مركز دراسات الوحدة العربية، مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية بوهران والجمعية العربية لعلم الاجتماع بتونس، المنعقد أيام 20-22 مارس 2012، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، مركز البحث في الانثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران، الجزائر، ط1، 2014.

253. محسن بوعزيزي: **مستقبل العلوم الاجتماعية في الوطن العربي**، بحوث المؤتمر الذي نظمه مركز دراسات الوحدة العربية، مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية بوهران، الجمعية العربية لعلم الاجتماع بتونس، المنعقد أيام 20-22 مارس 2012، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، مركز البحث في الانثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران، الجزائر، ط1، 2014.

254. محمد محجوب: **نظريات في صراع الحضارات**، النص الديني بين منطق الهويات وحوار الحضارات، وقائع جامعة الوعاظ المنستير، المنظم من طرف وزارة الشؤون الدينية، تونس، عدد 3، المنعقد بتاريخ: 1-2 أكتوبر 2002.

255. المنجي بوسنينة: **مرتكزات أساسية، حوار الحضارات تواصل لا صراع**، (حوار الحضارات تواصل لا صراع)، أعمال الندوة التي نظمتها جامعة الدول العربية بالقاهرة، المنعقدة بتاريخ: 26-27 نوفمبر 2001.

256. هادي خانيكي: **الحوار مع الذات والحوار مع الآخر**، مؤتمر دولي (كيف نواصل مشروع حوار الحضارات، الحضارات حوار أم صدام؟)، المنظم بدمشق، منشورات المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية، الجزء الثاني، المنعقد بتاريخ: 19-21 جانفي 2002.

المجلات، الدوريات، التقارير والجرائد

257. إبراهيم بن عبد الكريم السنيدي: **الحوار والمناظرة في الإسلام، (أحمد ديدات نموذجا في العصر الحديث)**، مجلة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، المملكة العربية السعودية، العدد 46، 2010.

258.أبو بكر خالد سعد الله: **الروائي رشيد بوجدرة ورفقائه**، جريدة الشروق الصادرة بتاريخ 30/ 08/ 2017، بالجزائر.

259. أحمد بن عبد العزيز الرومي: **الدواعي المعرفية والوطنية لتعزيز ثقافة الحوار لدى طلاب المرحلتين المتوسطة والثانوية من وجهة نظر المعلمين (دراسة ميدانية على مدينة الرياض)**، مجلة العلوم التربوية، مصر، مجلد 22، العدد 4، ج1، أكتوبر 2014.

260. أحمد عماد الدين خواني: **حوار الإبستيمولوجيا والسوسيولوجيا نحو فك التمركز**، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة سطيف 2، الجزائر، العدد 16 ديسمبر 2012.

261. أحمد قايد نورالدين، سبيعي حكيمة: **التعليمية وعلاقتها بالأداء البيداغوجي والتربية**، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، جامعة غرداية، الجزائر، العدد الثامن، 2010.

262. أحمد مداس: **المعرفة واستئثار الأنا بإنتاج الآخر**، مجلة مخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة بسكرة، الجزائر، العدد 9، 2013.

263. احميدة نصيرة: **ظاهرة التعصب الرياضي لدى الجماهير الجزائرية (أسبابها-أعراضها – مقترحات)**، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر العدد 11، جوان 2013.

264. أفراح جاسم محمد: **صورة المثقف العربي في ذهنية الواقع (قراءة في سوسيولوجيا الواقع المقهور)**، مجلة إضافات، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، العددان 20-21 خريف وشتاء 2013.

265. أمجد أحمد الزعبي: **الآخر في فكر الأمير عبد القادر الجزائري (دراسة في فتنة دمشق 1860)**، مجلة البحوث والدراسات الإنسانية، جامعة سكيكدة، الجزائر،العدد 12، 2016.

266. أنطوان زحلان: **حال العلم والتقانة في البلدان العربية**، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، العدد 436، جوان 2015.

267. بشرى عناد مبارك: **التعصب وعلاقته بالهوية الاجتماعية والمكانة الاجتماعية لدى العاطلين عن العمل**، مجلة الفتح، كلية التربية الأساسية، جامعة ديالي، بغداد العراق، العدد 53، 2013

268. بن شاعة بيران: **الهوية الدينية من الاختلاف إلى التعصب**، مجلة العلوم الاجتماعية، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الأغواط، الجزائر، العدد 15، نوفمبر 2015.

269. بوصفصاف عبد الكريم: **مخابر البحث العلمي في الجزائر تجربة رائدة**، مجلة الحوار الفكري، جامعة قسنطينة، العدد 01 جويلية 2001.

270. ثروت عبد الحميد عبد الحافظ، ياسر فتحي الهنداوي المهدي: **واقع ممارسة التشارك المعرفي لدى أعضاء هيئة التدريس، دراسة تطبيقية على كليات التربية في بعض الجامعات العربية**، مجلة العلوم التربوية والنفسية، جامعة البحرين، المجلد 16، العدد 4 ديسمبر 2015.

271. جفال عبد الحميد: **معوقات البحث العلمي في الجزائر، الواقع والآفاق**، مجلة العلوم الاجتماعية والانسانية " تواصل "، جامعة باجي مختار عنابة، الجزائر، العدد 28، جوان 2011.

272. الجيلالي المستاري: **الخطاب الديني في المدرسة الجزائرية، بعض الملاحظات النقدية على كتب التربية الإسلامية في الثانوي**، مجلة إنسانيات، تصدر عن المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران، الجزائر، العدد 47-48، 2010.

273. حسان الجيلالي: **علم الاجتماع تجربة شخصية**، مجلة دفاتر، منشورات مخبر: المسألة التربوية في الجزائر في ظل التحديات الراهنة، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، العدد 04، مارس 2015.

274. حسين جمعة: ثقافة **الحوار مع الآخر**، مجلة جامعة دمشق، سوريا، المجلد،24، العددان 3 و4، 2008.

275. حسين مطاوع الترتوري: **البحث العلمي خطته واصالته ونتائجه**، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، جامعة القدس المفتوحة، فلسطين، العدد 20، جوان 2010.

276. حمدى حسن محمد حسانين: **الشخصية المتطرفة في ضوء الاضطرابات السلوكية ومفهوم الذات**، مجلة كلية التربية جامعة أسيوط، مصر،عدد 6، مجلد 1، جانفي، 1990.

277. حنان علي عواضة: **الفلسفة النقدية لكانط، طبيعتها وتطبيقاتها**، مجلة الأستاذ، كلية التربية، جامعة ابن رشد، بغداد، العراق، المجلد 1، العدد 203، 2012.

278. حورية بدرة: **الحوار الأسري وعلاقته بالقيم الاجتماعية (دراسة ميدانية على عينة من تلاميذ الثانوية)**، مجلة العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة الجزائر، العدد 09، ديسمبر، 2012.

279. خليل علي حيدر: **في ندوات العرب ومؤتمراتهم**، مجلة حوار العرب، تصدر عن مؤسسة الفكر العربي، بيروت، لبنان، العدد 16، مارس 2006.

280. راشد بن ظافر الدوسري: **ممارسة الحوار في جامعة الملك سعود من وجهة نظر الطلاب – كلية التربية نموذجا** ،مجلة دراسات، جامعة الأغواط، الجزائر، عدد 39، فيفري 2016.

281. رشيد جرموني: **التقرير العالمي حول العلوم الاجتماعية لسنة 2010 (تقاسم المعرفة)**، مجلة إضافات، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، العدد السادس عشر، خريف 2011.

282. رندة ناصر: **العلوم الاجتماعية والموضوعية: من عقدة (المعطف الأبيض)، إلى (الرغبة في أن تضمنا خيمة العلم)**، مجلة إضافات، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، العددان 33–34 شتاء ربيع، 2016.

283. زكي الميلاد: **تعارف الحضارات،الفكرة، الخبرة والتأسيس**، مجلة الحوار الثقافي، تصدر عن مخبر حوار الحضارات والتنوع الثقافي وفلسفة السلم، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، الجزائر، عدد خريف وشتاء 2013.

284. ساري حنفي: **أسلمة وتأصيل العلوم الاجتماعية: دراسة في بعض الإشكاليات**، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، العدد 451، سبتمبر 2016.

285. ساري حنفي: **التطور المضطرب للعلوم الاجتماعية العربية ومحاولات إلغاء شرعيتها**، مجلة إضافات مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، العدد 25 شتاء 2014.

286. ساري حنفي: **الشرذمة إشكالية الأنشطة البحثية للأكاديميين في العلوم الاجتماعية في الوطن العربي**، مجلة إضافات، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، العدد 28، خريف 2014.

287. ساري حنفي، ريغاس أرفانيتس: **البحث العربي ومجتمع المعرفة (رؤية نقدية جديدة)**، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، العدد 432، فيفري 2015.

288. ساري حنفي: **الكتابة السوسيولوجية العربية (تحليل بعض المتغيرات في مقالات مجلة إضافات)**، مجلة إضافات، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، العدد 19، صيف 2012،

289.سعد عبد الله عاشور: **ضوابط الحوار مع الآخر**، مجلة الجامعة الإسلامية، **(سلسلة الدراسات الإسلامية)**، الجامعة الإسلامية، غزة فلسطين، المجلد السادس عشر، العدد الأول، جانفي 2008.

290. سعيدي محمد: **حوار الشعوب في ظل التعايش الديني والحضاري والثقافي**، مجلة الفكر المتوسطي، الصادرة عن مخبر حوار الحضارات والديانات في الحوض المتوسط، جامعة تلمسان، الجزائر، العدد الأول 2012.

291. سلمان بونعمان: **علم الاجتماع الغربي (مساءلة ومحاكمة كبير علماء الاجتماع يراجع فكر الرواد)**، مجلة إضافات، بيروت، لبنان، العدد 16، خريف 2011.

292. سهى حمزاوي: **مكانة العلوم الاجتماعية بين الواقع التطبيقي والإشكالات المعرفية**، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة سطيف 2، الجزائر، العدد21، ديسمبر 2015.

293. صالح هويدي: **من ثقافة النقد إلى ثقافة التنوير**، مجلة نقد وتنوير، مركز نقد وتنوير للدراسات الإنسانية، الكويت، العدد الرابع، الفصل الأول، السنة الثانية، مارس 2016.

294. صخر الحاج حسين: **نظرة إلى مفهوم العرق عرق أم أثنية**، مجلة تحولات، لبنان، العدد 15، 2006.

295. صفية بنت عبد الله بن أحمد بخيت: **تحديد معوقات الحوار في المجتمع الإسلامي وطرق علاجها في ضوء الحوار الإسلامي**، مجلة جامعة أم القرى للعلوم التربوية والنفسية، المملكة العربية السعودية، المجلد 4، العدد 2، جويلية 2012.

296. عبد الباسط هويدي، فتيحة زايدي: **المؤسسة الجامعية فضاء لإنتاج المعرفة العلمية (وضعية مخابر البحث العلمي والكفاءات البحثية بالجامعة الجزائرية)**، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة حمة لخضر، الوادي، الجزائر، العدد 27 ديسمبر 2016،

297. عبد العزيز الخياط: **أسس الحوار الإسلامي – الإسلامي**، مجلة الكلمة، تصدر عن منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث، مؤسسة التاريخ للطباعة والنشر والتجارة، بيروت، لبنان العدد 12، السنة الثالثة، صيف 1996.

298. عبد العظيم محمود الديب: **الحوار والتعددية في الفكر الإسلامي**، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية جامعة قطر، العدد الثامن، 1990.

299. عبد الله ساقور: **فعالية النظام الجامعي الجزائري في إنتاج المعرفة واستهلاكها (طلبة قسم علم الاجتماع نموذجا)**، مجلة العلوم الانسانية، جامعة قسنطينة1، الجزائر، العدد 17 جوان 2002.

300. عدنان محمود عباس، زهرة موسى جعفر: **التعصب لدى المراهقين (دراسةمقارنة)**، مجلة ديالي، العدد الثامن والخمسون، جامعة ديالي، بغداد، العراق، 2013.

301. عقون مليكة: **دور الحوار في تصحيح صورة الإسلام لدى الغرب (الإمكانية والموانع)**، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، تصدر عن مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية، جامعة معسكر، الجزائر، العددان 5 –6، جوان 2014

302. علي أسعد وطفة، عبد الرحمن الأحمد: **التعصب ماهية وانتشارا في الوطن العربي**، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، المجلد 30 العدد 03 مارس 2002.

303. عمر عبد الله أحمد شحادة الفجاوي، ريم فرحان عودة المعايطة: **ثقافة الحوار مع الآخر في نماذج من الأدب الجاهلي**، مجلة العلوم العربية والإنسانية، جامعة القصيم، المملكة العربية السعودية، المجلد 7، العدد2، 2014.

304. عمر عتيق: **ثقافة الحوار في الدراسات النقدية**، مجلة الجزيرة للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة الجزيرة، السودان، المجلد 13، العدد 1، 2016.

305. فيروز مامي زرارقة: **الحرية الأكاديمية وأزمة البحث الاجتماعي في العالم العربي، رؤية استشرافية لمستقبل البحث الاجتماعي**، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة حمة لخضر، الوادي، الجزائر، العدد 13–14، ديسمبر 2015.

306. قنيفة نورة: **النظرية السوسيولوجية بين التمثل الفكري لأساتذة علم الاجتماع والممارسة الواقعية أو الوجه الآخر لديمومة أزمة علم الاجتماع في المجتمع الجزائري**، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة حمة لخضر، الوادي، الجزائر، العدد 20، 2016.

307. كاتي نصار، آلن الأوسطه: **تعزيز المناعة الاجتماعية بمواجهة التطرف**، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، العدد 451، سبتمبر 2016.

308. كبّار عبد الله: **الجامعة الجزائرية ومسيرة البحث العلمي (تحديات وآفاق)**، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، العدد 16، سبتمبر 2014.

309. كيبش عبد الكريم، عبد اللطيف بوروبي: **إشكالية الصراع الحضاري في مرحلة العولمة (مقاربة نظرية)**، مجلة المفكر، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، العدد 03 فيفري 2008.

310. لبنى عبد الرسول الصراف: **التدين وعلاقته بالجمود الفكري (الدغمائية) لدى طلبة جامعة الكوفة**، مجلة مركز دراسات الكوفة، جامعة الكوفة، العراق، العدد 21، 2011.

311. ماهورباشة عبد الحليم: **أزمة العلوم الاجتماعية في العالم العربي**، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة الوادي، الجزائر، العدد4، جانفي 2014.

312. ماهورباشة عبد الحليم: **تأصيل العلوم الاجتماعية في الفكر العربي المعاصر**، مجلة الباحث الاجتماعي، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة قسنطينة2، الجزائر، العدد 11، 2015.

313. محمد بامية: **العلوم الاجتماعية في العالم العربي، أشكال الحضور**، المرصد العربي للعلوم الاجتماعية، الصادر عن المجلس العربي للعلوم الاجتماعية التقرير الأول، 2015.

314. محمد محفوظ: **إشكالية المصطلح في الفكر العربي المعاصر**، مجلة الكلمة، تصدر عن منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث، مؤسسة التاريخ للطباعة والنشر، والتجارة، بيروت، لبنان العدد 8، 1995.

315. محمود محمد صالح الشامي: **مستوى ثقافة الحوار لدى الأسرة الفلسطينية في محافظة رفح (دراسة ميدانية على عينة من الآباء والأبناء)**، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة سطيف، الجزائر، العدد 19، ديسمبر 2014.

316. مختار مروفل: **نحو رؤية جديدة لدور العلوم الاجتماعية ووظيفتها في ضوء كتاب ميشيل ويفوركا**، مجلة نقد وتنوير، تصدر عن مركز نقد وتنوير للدراسات الإنسانية، العدد 02، خريف 2015.

317. مريم آيت أحمد: **جدلية الحوار قراءة في الخطاب الإسلامي المعاصر**، منشورات مجلة علوم التربية، الرباط، المغرب،2011 .

318. المصطفى حدية: **قضايا في علم النفس الاجتماعي**، منشورات المجلة المغربية لعلم النفس، الرباط، المغرب، ط1، 2005.

319. مولود سعادة: **النخبة والمجتمع تجدد الرهانات**، مجلة الباحث الجزائري، جامعة قسنطينة 2، الجزائر، العدد 10، سبتمبر 2010

320. ناظم كاضم جواد: **إيجاد مستويات معيارية للتعصب الرياضي لمشجعي كرة القدم**، مجلة الفتح، جامعة ديالي، العراق، العدد 59، سبتمبر، 2014.

المواقـع الالكترونيــة

321. أماني محمد السيد: **نظم إدارة المؤتمرات العلمية ودورها في تحكيم ونشر بحوث المؤتمرات**، نقلا عن الموقع الالكتروني:http://www.academia.edu/5350524/%D9%86%D8%B8%D9%85_%D8%A5%D8%AF%D8%A7%D8%B

322. بليل عبد الكريم: **التعصب**، مقال نشر بتاريخ: 02/02/ 2012، تاريخ التصفح: 19/ 2017/07، نقلا عن الموقع الالكتروني لشبكة الألوكة الثقافي: www.alukah.net/*authors/view/home/2888/page/3*

323.حسني عوض، محمد عبد العزيز : **درجة التعصب لدى طلبة الجامعات الفلسطينية والسودانية (دراسة عبر ثقافية مقارنة)**، مجلة علوم إنسانية، العدد 46، السنة الثامنة 2010، نقلا عن الموقع الالكتروني:

http://www.qou.edu/arabic/researchProgram/researchersPages/hussniAwad/intoleranceAmongStudents

324. خيام محمد الزعبي: **ثقافة الحوار في مؤسساتنا التربوية**، الحوار المتمدن، العدد 4293، بتاريخ 02/ 12/ 2013، على الساعة 09 سا و20 د، نقلا عن الموقع الالكتروني: http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=389443

325. سعادة خليل: **تنشئة الأطفال على التسامح واحترام الآخرين**، نشر بتاريخ 2015/10/14، نقلا عن الموقع الالكتروني:/http://www.nashiri.net/content/view/2054

326. سعد الرميحي: **أزمة العقل العربي (مناظرة بين الأستاذ/ محمد عمارة والأستاذ فؤادزكريا)**، نقلا من الموقع: المكتبة المفتوحة، البريد الالكتروني: https://pdf2arab.blogspot.com/2017/01/blog-post_16.html

327. سلمان بن فهد العودة: **أدب الحوار**، ص16، نقلا عن الموقع الالكتروني: http://www.alkutubcafe.com/book/tHlvCM.html

328. السيد علي خضر: **الحوار في السيرة النبوية**، رابطة العالم الإسلامي، المركز العالمي للتعريف بالرسول صلى الله عليه وسلم ونصرته، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية نقلا عن الموقع الالكتروني:
http://d1.islamhouse.com/data/ar/ih_books/single6/ar_hiwar_fi_Searah_Khedher

329. صابر جيدوري: **ثقافة الحوار في الفضاء الجامعي. آمال وتطلعات**، ص ص2-8، نقلا عن الموقع الالكتروني:
http://www.achr.eu/%25D8%25AB%25D9%2582%25D8%25A7%25D9%2581%25D8%25A9%2520%2

330. صلاح عبد السميع عبد الرازق: **تنظيم المؤتمرات العلمية**، مدونة الدكتور صلاح عبد السميع عبد الرازق، نقلا عن الموقع الالكتروني:
drsalah2011.blogspot.com/2012/01/blog-post_21.html

331. عادل مستوي، سمير كسيرة: **التعليم العالي وإشكالية تطوير وإنتاج المعرفة العلمية في الجزائر (رؤية تحليلية خلال الفترة بين 1990-2013)**، Cybrarians Journal، دورية علمية محكمة تعنى بمجال المكتبات والمعلومات، العدد 40، ديسمبر 2015، نقلا عن الموقع الالكتروني:
http://www.journal.cybrarians.info/index.php?option=com_content&view=article&id=709:madel&cat

332. عبد الله موسى: **مراكز الدراسات، ترف فكري أم ضرورة عصرية؟**، مجلة النبأ، مؤسسة المستقبل للثقافة والإعلام، العراق العدد، 38، أكتوبر 1420، نقلا عن الموقع الالكتروني: http://annabaa.org/nbahome/index.htm

333. عبد المؤمن بن صغير: **الصعوبات التي تعترض الباحث العلمي في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية وحدود الموضوعية العلمية**، مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية، تصدر عن مركز جيل البحث العلمي، العدد 1، أكتوبر، 2013، ص 33، نقلا عن الموقع الالكتروني: http://jilrc-magazines.com

334. عمر عبد الله كامل: **آداب الحوار وقواعد الاختلاف**، المؤتمر العالمي حول موقف الإسلام من الإرهاب، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ص11، نقلا عن الموقع الالكتروني: http://www.asharqalarabi.org.uk/markaz/di-06082011.pdf

335. عيد الدويهيس: **السلطة العلمية؟ أين، نقلا عن الموقع الالكتروني:** https://www.alkutubcafe.com/book/VwHNLN.htm

336. عيد الدويهيس: لا للتعصب العرقي، نقلا عن الموقع الالكتروني: https://www.alkutubcafe.com/book/VwHNLN.htm،

337. عيد الدويهيس:**لا لأبحاث الجامعات**، ط1، 2011، نقلا عن الموقع الالكتروني: https://www.alkutubcafe.com/book/VwHNLN.htm

338. فاضل الصفار: **إدارة المؤتمرات، الملامح والمقومات**، مجلة النبأ، مؤسسة المستقبل للثقافة والإعلام، العراق، العدد 27، السنة الرابعة، نوفمبر1998، نقلا عن الموقع الالكتروني: http://annabaa.org/nbahome/index.htm

339. فاضل الصفار: **الاستماع ودوره في إنجاح التفاهم والحوار**، مجلة النبأ، مؤسسة المستقبل للثقافة والإعلام، العراق، العدد 35، السنة الخامسة، 1999، نقلا عن الموقع الالكتروني: http://annabaa.org/nbahome/index.htm

340. فاضل الصفار: **المؤتمرات الولادة وآليات النجاح**،مجلة النبأ، مؤسسة المستقبل للثقافة والإعلام، العراق، العددان 25-26(سبتمبر – أكتوبر)، 1998، نقلا عن الموقع الالكتروني: http://annabaa.org/nbahome/index.htm

341. فاضل الصفار: **تقنيات الحوار البناء، والتفاهم المثمر**، مجلة النبأ، مؤسسة المستقبل للثقافة والإعلام، العراق العدد 34، الربيع الأول، السنة الخامسة، 1999، نقلا عن الموقع الالكتروني: http://annabaa.org/nbahome/index.htm

342. فوزية البكر: **البحث العلمي وإنتاج المعرفة في الجامعات السعودية، شبكة ضياء**، نقلا عن موقع نقلا عن الموقع الالكتروني: http://diae.net/author/diae

343. كمال عبد اللطيف: **تأصيل العلوم الإنسانية في الفكر العربي المعاصر (الشروط المعرفية والتاريخية)**، مجلة فكر ونقد، مجلة ثقافية فكرية الكترونية، تصدر عن منبر محمد عابد الجابري، العدد 18، أفريل 1999، نقلا عن الموقع الالكتروني: http://www.aljabriabed.net

344. لعربي فرحاتي: **نقاش حول واقع البحث العلمي في الجامعات الجزائرية**، دعت إليه مدونة " عن كثب "، تاريخ النشر: الثلاثاء 22 ديسمبر 2015، نقلا عن الموقع الالكتروني: https://badislounis.blogspot.com/2015/12/

345. محمد الإدريسي: **أزمة العلوم الاجتماعية في العالم العربي – مقاربة نقدية** – ، مجلة نقد وتنوير، مركز نقد وتنوير للدراسات الإنسانية، الكويت، العدد 03، ديسمبر/ فيفري 2015، ص ص 204- 209، نقلا عن الموقع الالكتروني :tanwair.com

346. مرتضى معاش: **التواصل مع الآخر، تأصيل لمنهجية التعايش**، مجلة النبأ، مؤسسة المستقبل للثقافة والإعلام، العراق، العدد 47،2000، نقلا عن الموقع الالكتروني:http://annabaa.org/nbahome/index.htm

347. مرتضى معاش: **المؤتمرات ضرورة حضارية**، مجلة النبأ، مؤسسة المستقبل للثقافة والإعلام، العراق، لبنان، العددين 17-18 (أكتوبر – نوفمبر)،1997، نقلا عن الموقع الالكتروني: http://annabaa.org/nbahome/index.htm

348. مركز دراسات الوحدة العربية : **نشأة المركز**، نقلا عن الموقع الالكتروني :*http://www.caus.org.lb/*

349. مركز دراسات الوحدة العربية: **التقارير السنوية عن نشاط المركز**، تقرير لسنة 2003، نقلا عن الموقع الالكتروني: http://www.caus.org.lb/

350. مركز دراسات الوحدة العربية: **مراجعة كتب**، نقلا عن الموقع الالكتروني:http://www.caus.org.lb/

351. مصطفى الحسن: **إلى الحوار الضائع**،مجلة النبأ، مؤسسة المستقبل للثقافة والإعلام، العراق، العددان 25-26، أكتوبر، نوفمبر1998، نقلا عن الموقع الالكتروني: http://annabaa.org/nbahome/index.htm

352. مهدي محمد القصاص: **علم الاجتماع العائلي، كلية الآداب جامعة المنصورة**، مصر، 2008، نقلا عن الموقع الالكتروني: https://kou-tobe.blogspot.com

353. موح عراك عليوي: **الازدواجية الشخصية بين عصبية الانتماء والولاء الوطني (دراسة اجتماعية تحليلية)**، جامعة بابل، العراق، 28/ 07/ 2011، نقلا عن الموقع الالكتروني:uobabylon.edu.iq

354. موسوعة الجزيرة: **تاريخ القومية العربي، تقديم خالد الحروب**، نقلا عن الموقع الالكتروني:
http://www.aljazeera.net/nr/exeres/7971eff6-7498-4b48-86fa-b471295b6f56.htm

355. نسيبة عبد العزيز العلي المطوع: **التعصب مدمر الحضارات**، أبحاث المؤتمر" الوسطية منهج حياة البوابة الإسلامية " نقلا عن الموقع الالكتروني:http://islam.gov.kw/Pages/ar/BooksItems.aspx?catId=9 ،

356. هالة كمال: **الحرية الفكرية رغم حصار الجامعة**، ص ص 3-4، نقلا عن الموقع الالكتروني:cairo.academia.edu/HalaKamal

357. ويكيبيديا الموسوعة الحرة، نقلا عن الموقع الالكتروني :

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%B1%D9%83%D8%B2_%D8%AF%D8%B1%D8%A7

358. يحي جبر، عبير حمد: **دور المؤسسات التعليمية والأهلية في نشر ثقافة الحوار**، جامعة النجاح، نابلس، فلسطين، نقلا عن الموقع الالكتروني:blogs.najah.edu/staff/yahya-jaber/article/article-49

II. المراجع باللغة الفرنسية

359. Ali el-kenz : **les sciences sociales dans les pays arrabes : cadre pour une recherche,** L'algérie 50 ans après etat des savoir en sciences sociales et humanes 1954- 2004, Actes de symposium, Oran, 20- 21- 22 septembre 2004, Ed.crasc, 2008, p 67

360. Andreas Zick, Beate Küpper, Andreas Hövermann**:intolerance, prejudice, and discrimination a european,** Nora Langenbacher Friedrich-Ebert-Stiftung Forum Berlin, german, p ,p 9,158.

361. Centre de Recherche en Anthropologie Sociale et Culturelle **: Performance de la recherche et de l'innovation au crasc 2015**, Oran, Algérie, 2017

362. Centre de Recherche en Anthropologie Sociale et Culturelle : Plan stratégique de développoment au crasc à l'horizon 2020, Oran, 2017

363. Direction Générale de la Recherche Scientifique et du Développement Technologique : **Etude scientométrique de la production scientifique des établissements d'enseignement supérieu,** Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique, Algerie, juillet 2015

364. Layachi Anser**:Epstemologie and the Particularity Of Humanities : Preliminary Eliments for reflection**, Semat, Scientific Publishing Center, University Of Bahrain,N 3,September, 2014**.**

365. Mustapha Haddab **: Les sciences sociales en Algérie , sont- elles en progrés ?,** L'algérie 50 ans après etat des savoir en sciences sociales et humanes 1954- 2004, Actes de symposium, Oran, 20- 21- 22 septembre 2004, Ed.crasc, 2008

366. Olivier Tschannen : **Histoire de la sociologie et théorie sociologique, *Support de cour*,** ressource électronique ; classiques.uqac.ca/inter/ressources/sociologie/tschannen/tschannen_histoire_socio.PDF

367. Omar Lardjane **: Réflexions sur un état des lieux des sciences humaines et sociales humaines et sociales en Algérie aujourd'hui, cadre pour une recherche,** L'algérie 50 ans après etat des savoir en sciences sociales et humanes 1954- 2004, Actes de symposium, Oran, 20- 21- 22 septembre 2004, Ed.crasc, 2008

368. Pierre Bourdieu : **Question de la Sociologie,** éditions, de minuit, Paris, 1984, p19

369. Yasser M. A. Hashkel**:Personal traits of a tribal fanatic, Descriptive study on university students**,*RA*Journal of Applied Research *Volume 1 Issue 2 March 2015,*Citant la source électronique :www.rajournals.in